



Université Mohammed V- Rabat - Faculté des Sciences Juridiques, Economiques et Sociales - Agdal

مركز الدكتوراه في القانون والاقتصاد

أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية

استعمال المتغير الديني في التواصل السياسي بالمغرب

دراسة حالة حزب العدالة والتنمية

الطالب الباحث: إدريس بنيعقوب

الأساتذة المقررون

د. أحمد بوجداد أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس بالرباط

د محمد الغالي أستاذ التعليم العالي بجامعة القاضي عياض بمراكش

د. عبد الحافظ أدمينو أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس بالرباط

لجنة المناقشة

د. أحمد بوجداد أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس بالرباط رئيسا ومقررا

د. عبد الرحيم المنار اسليمي أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس بالرباط مشرفا وعضوا

د محمد الغالي أستاذ التعليم العالي بجامعة القاضي عياض بمراكش عضوا ومقررا

د. سعيد الصديقي أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد بن عبد الله بفاس عضوا

د. عمر الشرقاوي أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني بالمحمدية عضوا

د. عبد الله بوصوف كاتب و باحث في تاريخ المغرب وفي قضايا التدين والهوية عضوا

د. امحمد جبرون كاتب و باحث في تاريخ المغرب عضوا

السنة الجامعية 2023/2022

مقدمة

تشكل دراسة خطاب وأسلوب تواصل حزب العدالة والتنمية المغربي باعتباره جزءا من الحركات السياسية ذات المرجعية الإسلامية، مسألة ذات بعد منهجي، تتوخى محاولة فهم الفعل التواصلي للتنظيم الإسلامي في مشاركته السياسية الشرعية من خلال المنهج العلمي ومن خلال مفاهيم ونظريات تساعد في تفسير سماته التواصلية، مع تفادي الانزلاق إلى مخارج أحكام القيمة أو إلى سطحية في النظر. نحن إزاء "ظاهرة" خطابية تشتغل ضمن نسق سياسي وتنتج لغة عبر التواصل السياسي في أفق ممارسة السلطة. وبذلك يقتضي هذا الأمر رسم حدود فاصلة مع الممارسات البحثية التي تعتمد ثنائية تحليلية لوصف ظاهرة الاسلام السياسي في المنطقة العربية، والتي تضع بجانب التنظيمات الإسلامية ظاهرة التطرف وأحيانا العنف والإرهاب، أو تربطها بشكل مباشر وقطعي بنسق فكري ونظري أجنبي واحد الذي هو في الغالب تنظيم الاخوان المسلمين في مصر، أو تعمم عليها فكرة رفض الديمقراطية والحريات الإنسانية.

فمن خلال البحث في نشأة وتطور حزب العدالة والتنمية، موضوع هذه الأطروحة، فإنه يمكننا أن نقول إجمالا أن بداية مساره في الاندماج في النظام السياسي المغربي، تسري عليه عموما نفس الخلاصة في عدد من البلدان العربية، التي عرفت انفتاحا سياسيا بعد سقوط جدار برلين وتفكك القطب الشرقي الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفيتي، وبالتوازي مع هذا المسار التفككي للمعسكر الشيوعي الذي بدأ أواخر الثمانينات من القرن الماضي، ومع "الإجهاد" والاستنزاف الذي عرفته التيارات القومية العربية اليسارية¹، عرفت المنطقة العربية تحولات تهم بالأساس تخلي عدد من بلدانها عن المشاريع القومية بأيدولوجياتها الاشتراكية، وإقرار عدد من دول المنطقة توجهات منفتحة على الأفكار الليبرالية بعد فشل عدة مشاريع تنموية وطنية. هذه المرحلة تأسست من خلالها رؤية للإصلاح السياسي التدريجي وفتح مسلسل جديد لإدماج التنظيمات الإسلامية في الحياة العمومية والسياسية.

وقد بدأ واضحا المواقف الرسمية المعلن عنها بواسطة القيادات السياسية لعدد من دول المنطقة العربية، أو مواقف ضمنية من خلال الاعتراف الواقعي بنشأة ووجود هذه التنظيمات الإسلامية لعدد من الدول، والسماح لها

1 Nicolas Dot-Pouillard, "L'islamisme et les insurrections arabes au prisme de la variable identitaire", in La Dispute, 2013, pp.422. Lien: <https://shs.hal.science/halshs-00911643/document>

بممارسة عملها الدعوي أو التأطيري الاجتماعي كبداية للعمل السياسي، بالنظر إلى كون هذه التنظيمات يمكن أن تشكل أداة سياسية لخدمة أهداف ومشاريع أنظمة الحكم في المنطقة، ووسيلة جديدة لإعطاء مشروعية متجددة لهذه الأنظمة، بهدف خلق توازن اجتماعي متميز بتقوية حضور البعد الديني الذي يخدم الاستقرار والوحدة الداخلية ويفترض فيه المساهمة في دعم سلوك طاعة ولي الأمر ودعم مشاريع التضامن الاجتماعي والخيري من شأنها أن تغطي على الثغرات الاجتماعية لاختيارات السياسات القطاعية للدولة.

ويثير البحث عموماً في التنظيمات الإسلامية وطرق تواصلها، ضرورة بحثية متعلقة بدراسة كيفية توظيفه للموروث الديني الإسلامي في عملية استرشاد طرق بناء تصورات لإدارة الدولة ولصناعة مشروع "تهضوي" غير علماني، مما يفضي بالبحث إلى مواجهة هذا التوظيف للتراث الإسلامي مع إشكالية التوفيق والملاءمة مع أسئلة الحاضر المتشعبة والمتنوعة في كل الميادين وأهمها أسئلة الإقلاع الاقتصادي والتنموي والسياسي، ومع أسئلة تفسير النص التراثي خصوصاً النص الديني الذي غالباً ما يخلق تناقضات وخلافات وصراعات بين الجماعات الإسلامية نفسها في تفسير النص وفي كيفية ملاءمته مع الواقع، بين تيارات مجدت السلف وانتاجات السلف الفقهية والشرعية وارتفعت إليها بشكل مطلق، وبين تيارات رافضة للواقع رفعت شعار الجهاد العنيف، كوسيلة للتغيير والإصلاح، وتيارات أخرى أخذت توجهات معاكسة فتطابقت رؤاها مع نظرة الأنظمة الحاكمة للتدين فنهجت مسلكاً معتدلاً وأحياناً تبريراً للسلطة الحاكمة.

لقد كان تدرج حزب العدالة والتنمية منذ نشأته سنة 1997 في الاندماج في الحياة السياسية، فعلاً سياسياً براغماتياً "حذراً"، لما يقتضي من فتح مسارات احتكاك مع مفهوم تدبير الدولة وإكراهات وانتظارات مواطنيها في الشق الاجتماعي والاقتصادي، وبداية العمل من داخل المؤسسات الرسمية، ووصول أعضاء وقيادات الحزب إلى مواقع مسؤولية عمومية في إطار المشاركة في ممارسة "السلطة" من خلال الانتخابات والعمل البرلماني ثم الحكومي. بمعنى أن هذا التدرج وهذه المشاركة فرضت تحديات ورهانات على الحزب لتحديد مسافة معينة مع الخطاب الديني التقليدي

المعتمد على قواميس الحلال والحرام ومع شعار تطبيق الشريعة الإسلامية، نظرا لأن هذا الخطاب قد يكون غير ملائم لمنطق اشتغال المؤسسات الرسمية التي ادمج فيها حديثا. ظهر هذا الحذر البراغماتي في عمل الحزب في احتفاظه بلغة أخلاقية دينية في حدود معينة، ثم وجد نفسه، في غياب رؤية إصلاحية حقيقية للدولة، مضطرا إلى إنتاج خطاب تبريري لأزمات التدبير ثم تقديم التنازلات الضرورية للسلطة مستعينا بتبرير اجتناب الفتنة أو اللجوء إلى مفاهيم ووقائع ونصوص تراثية تبرر توجه المشاركة السياسية، من خلال ما وصفته "حركة التوحيد والإصلاح"، في أحد بياناتها بأنها تسعى للمساهمة في "إقامة الدين الإسلامي وفسح المجال للتعاون على الالتزام به عقيدة وعبادة وسلوكا، والمساهمة في خدمة المجتمع وإصلاحه وفق قيم الإسلام وشريعته"².

وقد يكون حزب العدالة والتنمية المغربي من بين الأحزاب الإسلامية القليلة في المنطقة العربية، التي عرفت تحولات عميقة إن على مستوى تغيير مثالياته وإعادة النظر في مرجعياته ورغباته في الاستناد إلى السلف بشكل مطلق لتغيير الواقع، وانتقاله المتدرج من حزب معارض إلى حزب مشارك وقائد للحكومة، أو على مستوى تغيير تواصله السياسي وخطابه الديني مع اصطدامه مع القواعد العرفية التاريخية والنظامية المؤسسة في الوثائق التشريعية، التي تضبط الاشتغال السياسي وتسيج الممارسة السياسية داخل النظام السياسي المغربي بتعدد فاعليه واستراتيجياتهم وتحدد مساحات فعلهم وتأثيرهم السياسي والاجتماعي.

وبالحديث عن راهنية الحركة الإسلامية في العالم العربي، يقول جاسم سلطان³، أنها تمر في هذه المرحلة بأصعب أيامها، من كثرة الاصطدامات مع الأنظمة السياسية بعد وصولها لأول مرة للسلطة في عدد من الدول العربية، من بينها المغرب. مرت هذه التنظيمات بمسار يمكن وصفه بالصعب مما جعل موضوع دراستها يطرح نفسه بقوة لمحاولة الإجابة على أسئلة محورية كبرى من قبيل: "لماذا هذا المسار؟ وما الذي يجعل الحالة الإسلامية تصل

2 محمد لكموش، الدين والسياسة في المغرب، منشورات أفريقيا الرشق، 2013، ص: 224.
3 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2015.

إلى الطريق المسدود المرة بعد الأخرى؟⁴. يعطي جاسم سلطان أمثلة كثيرة على هذا الفشل فيقول: "فيوماً ما ارتفعت الآمال بإقامة دولة الإسلام في القارة الهندية، فانفصلت باكستان عن الهند ثم تحولت إلى دولة فاشلة ثم انشقت على نفسها فولدت بنغلاديش، وهي دولة فاشلة أو توشك، ثم جاءت تجربة أفغانستان ووصل المجاهدون إلى الحكم ثم انهارت التجربة لتقوم تجربة طالبان ثم تنهار ثم ولدت تجربة السودان وانتهت إلى فشل ذريع ثم جاءت الصومال وانتهت إلى كارثة ومن قبلها الجزائر ... شيء ما يقود إلى النتائج ذاتها، وبين كل ذلك نجحت ماليزيا ونجحت تركيا في صناعة نجاحات مقدر، وكلتا التجريبتين بنت نموذجها على الأسس الغربية المعروفة، واعتمدت التنمية الاقتصادية كرافعة للمجتمع، وهو مسار لم تر الحركات الإسلامية التقليدية أنه مسار ممثّل للإسلام، ومن اعتبره كذلك رآه كنوع من التحايل إلى أن يحدث التمكين ثم سيظهر الوجه الحقيقي بحسب هؤلاء"⁵. لذلك فإن التساؤل يظل مشروعاً حول وجه الإشكال في أفكار حزب العدالة والتنمية المغربي ولماذا لم ينجح في الحفاظ على تصدر الانتخابات؟ هل تكمن الإشكالات في فكر الحزب أو في سنده حركة التوحيد والإصلاح وبالتالي في خطابهما وعناصر تواصلهما السياسي عموماً وهو الشيء الذي يحول بينها وبين أن تكون رافعة اجتماعية للتقدم؟

يقول جاسم سلطان أنه في كل مرة، يطرح بعض الإسلاميين مسألة المدة الوجيزة لمكوّتهم في السلطة، وبالتالي هي مدة لا تسمح لهم بحل "تراكمات ضخمة كالتّي تركها الاستبداد عبر زمن طويل" في زمن وجيز كالذي أتيح لهم. ويرى سلطان أن السؤال صائب لو أن هذه التنظيمات الإسلامية صارت الجماهير مسبقاً أي قبل الوصول إلى السلطة بأنها لا تمتلك "سوى الإخلاص والنوايا الحسنة وسنحاول إصلاح ما كان..."، والعمل في حدود ما تسمح به الظروف المحلية والدولية، و أنها لا تمتلك "تصورات واضحة وخططاً محكمة (...)" ناهيك بأن يقال: إن هذا الحل مصدره الدين"⁶. وبذلك فإن السؤال المنطقي الذي يتبادر إلى الأذهان هو "لماذا الاستعجال على الوصول إلى الحكم ما

4 سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 10-11.

5 نفس المرجع السابق.

6 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 141.

دامت الخبرة قليلة والمنتج غير جاهز؟ ولم لا يتم مصارحة الجماهير حقيقة بأن المرحلة هدفها هو اكتساب الخبرة، وليس الانطلاق والتقدم بالمجتمع؟⁷. ويخلص سلطان إلى معضلة التنظيمات الإسلامية أنه في قمتها هناك علم بعدم وجود المنتج أو التصور وأن لديهم رغبة في التجربة، لكن الأفراد في القواعد تروج القيادات بينهم "وهم وجود النظم وحضورها"⁸.

ويعتبر سلطان أن العبور من هذا الواقع والتقدم فيه يحتاج إلى ما هو أكبر من وجود هذه الجماعة أو تلك، "يحتاج إلى تصورات متفوقة ابتداء في مجال السياسة والاجتماع إلى صناعة مجتمعات مستقرة سياسياً واجتماعياً وقادرة على مباشرة التنمية والعبور في سلم التطور مستفيدة من الحكمة والتعلم من الآخرين. كما يحتاج إلى التركيز على الضروريات وأسس التقدم وليس على الهوامش و المظاهر والشكليات، وإلى خطاب تصالحي مع الذات ومع الإقليمي والعالمي، لتقليل العداوات وزيادة فرص النجاح"⁹. ومن الصعب الجزم بأن هذه التنظيمات في عمومها تمتلك رؤية من هذا النوع، وقد يكون السبب هو أن بنيتها لم تتأسس على "المشترك بين الطيف الاجتماعي" بل ربما على عوامل الفرقة والاختلاف، "فكيف تستطيع أن تجد خطأ نظاماً مع غير المسلم وهي لا تستطيع أن تجد خطأ نظاماً مع بعضها أو مع عموم المسلمين؟"¹⁰.

وتجدر الإشارة إلى أن الفشل الانتخابي لحزب العدالة والتنمية سنة 2021، أعاد إلى الواجهة وإلى النقاش الداخلي للحزب فكرة إعادة النظر في أطروحة الحزب وصناعة تصور جديد أو منقح، وهي فكرة سبق لعدد من الباحثين أن عبروا عنها بهدف إثارة الانتباه إلى ضرورة صرف النظر عن أطروحة الانتقال الديمقراطي التي يؤسس عليها الحزب رؤاه، و أن "بناء نظام سياسي حديث في المغرب، والخروج النهائي من مأزق ثنائية التحكم/الديمقراطية، والقطع نهائياً مع تاريخ الصراع السياسي في البلد.. لا يحتاج، ولن يتحقق باستدعاء مقولة الانتقال الديمقراطي، وبعثها

7 نفس المرجع السابق، ص: 142.

8 نفس المرجع السابق.

9 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 149.

10 نفس المرجع السابق.

من جديد، وإنما إلى تأليف مبدع بين التقليد والحداثة السياسية بما يحفظ للملكية حضورها الفعلي، ويتيح للمواطنين المشاركة في السلطة، من خلال ممثليهم¹¹.

لذلك، فإن اختيار هذا الموضوع للدراسة، والمتعلق بتجربة حزب العدالة والتنمية في استعمال المتغير الديني في التواصل السياسي بالمغرب، منذ نشأته سنة 1997 إلى الانتخابات التشريعية لسنة 2021، يرتبط بمحدد موضوعي يتعلق أساساً بمحاولة دراسة وفهم الأسلوب والعلاقة بين استعمال العامل الديني في التواصل والخطاب السياسي للحزب بشكل عام، وبين توظيف هذا العامل في الظهور والاشتباك السياسي وفي محاجبة فرقاء الفضاء السياسي المغربي وفي استمالة الجماهير وتميرير القناعات السياسية، ثم بحث الانعكاسات المحتملة لهذا التوظيف على مراكز مختلف الفاعلين السياسيين، في أفق استخلاص استنتاجات علمية غايتها تحديد مكان الخلل في استهلاك اللغة الدينية في الحياة الحزبية وارتداداتها على النسق السياسي والحزبي والاجتماعي ككل، وذلك بالنظر إلى مخرجات هذا الفعل التواصلية للحزب الإسلامي في محاولته تغيير بعض قواعد وأسس مشروع السلطة في المغرب. كما يتوخى هذا الموضوع التحليل العلمي لظاهرة استعمال اللغة الدينية في التواصل الحزبي بالمغرب، ومحاولة فهم التحولات السلوكية التواصلية التي بات الحزب يعيشها، من خلال إعادة تشكيل الرؤية النظرية و المعرفة للحزب وربطها بطريقة تصريفها في فضاء الخصومة السياسية مع باقي الفرقاء، ومدى التناقض بين تبني عدد من قواعد المرجعية التراثية وبين مختلف التعبيرات عنها داخل السياقات السياسية والاجتماعية المغربية المختلفة.

المتغيرات هي أي خصائص يمكن أن تأخذ قيمًا مختلفة، وبذلك يمكن قياسها كميًا أو كميًا مثل الطول أو العمر أو الجنس أو مثل الأحزاب السياسية والدين والخطاب وغيرها، ويمكن دراسة تأثير أحد المتغيرات على متغير آخر

11 جبرون امحمد، "البيجدي مطالب بالتخلي عن أطروحة الانتقال الديمقراطي ومواجهة التحكم"، جريدة اليوم 24 الإلكترونية، المغرب، بتاريخ 15 غشت 2016، الرابط: <https://alyaoum24.com/682453.html>

وبالتالي هي مسألة بحث علاقة السبب بالنتيجة¹²، مثلا دراسة تأثير الخطاب الديني على التواصل السياسي وعلى بنية حزب معين مثلا، وبهذا المعنى قد يكون المتغير المستقل الذي هو خطاب ديني لحزب العدالة والتنمية هو سبب فعل سياسي معين وأن قيمة هذا المتغير تكون مستقلة عن متغيرات أخرى، ويمكن اعتبار المتغير التابع هو ذلك التأثير أو النتيجة مثلا ارتفاع القاعدة المساندة انتخابيا لحزب العدالة والتنمية، وهو متغير يستمد قيمته بشكل متلازم إلى حد بعيد في التغييرات الطارئة من خلال ارتباطه بالمتغير المستقل، وفي البحث التجريبي فإنه يتم معالجة المتغير المستقل لقياس تأثيره على المتغير التابع. والمتغير المستقل في هذه الدراسة هو كميات اللغة الدينية والاخلاقية في تواصل حزب العدالة والتنمية، فيما يمكن تحديد المتغير التابع في تلك النتيجة التي نقيسها في ارتباط العامل الديني بالفعل التواصل والسياسي للحزب. وهناك أسماء وصفات أخرى تعطى لهذا المتغير من بينها متغير الاستجابة، بحيث أن الخطاب السياسي ذو المرجعية الدينية كمتغير مستقل يتأثر بمتغيرات أخرى داخل النظام السياسي كالتغيرات القانونية والمعيارية وغيرها التي تجعل المتغير المستقل يستجيب لها للقيام بتغييرات في متغير آخر، وهذا ما سنحاول دراسته دراسة كيفية لمحاولة فهم علاقة المتغير الديني في خطاب حزب العدالة والتنمية بالنتائج المرتبطة بموقعه السياسي والانتخابي في المغرب. وهناك حسب المتغير المعدّل Moderator وهو المتغير الذي قد يغير في الأثر الذي يتركه المتغير المستقل في المتغير التابع إذا اعتبره الباحث متغيرًا مستقلًا ثانويًا إلى جانب المتغير المستقل الرئيسي في الدراسة¹³.

قد تكون المتغيرات كمية، مثل الحزب السياسي، أو الوظائف العمومية أو قد تكون كمية قابلة للإحصاء والقياس العددي والكمي، مثل: الجنس، والعمر، والثروة وغيرها، ويمكن تصنيف هذه المتغيرات على أساس أنها مستقلة أو تابعة أو وسيطة. ويعرف مصطلح المتغير بكونه أي كمية تتغير، أو أي خاصية مميزة يمكن قياسها، وهو يطلق على كل ما

¹² محمد تيسير، "الفرق بين المتغير المستقل والمتغير التابع: مع 4 أمثلة"، المؤسسة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، 2022/06/01، الرابط <https://blog.aisrp.com/?p=31773>

¹³ المصدر: كتاب مهارات البحث العلمي، مصطفى فؤاد عبيد، مركز البحوث والدراسات متعدد التخصصات، www.mdrscenter.com الطبعة الثانية، إسطنبول، تركيا، 2022، الرابط: <https://urlz.fr/ozrS>

يراد دراسته في البحث الاجتماعي¹⁴. ويحدد الباحثون المتغيرات في ثلاثة أنواع: يطلق على الأول المتغير المستقل، والمتغير التابع، والثالث هو المتغير الوسيط، والمتغير المستقل هو الذي يؤثر في المتغير التابع، بينما المتغير التابع هو الذي يتم التأثير عليه، والمتغير الوسيط هو الذي قد يكون له دور في التأثير على المتغير التابع، وله دور أساسي بل ويمكن وصفه بالمحرك الفعلي لعلاقة التأثير للمتغير المستقل في عملية التغيير على المتغير التابع. ويمكن تصنيف العامل الديني في التواصل السياسي ضمن المتغيرات النوعية Qualitative، وهي متغيرات لا يمكن تقديرها عددياً، خلاف المتغيرات الكمية Quantitative التي يكون فيها للأعداد فيها قيمة مركزية والتي غالباً ما يتم الرجوع إليها بغية وضع تصنيف أو ترتيب معين أو حساب الفوارق ووضع المقارنات الكمية مثلاً¹⁵.

فإذا كنا بصدد دراسة علاقة الخطاب الديني واللغة الأخلاقية في التواصل السياسي لحزب العدالة والتنمية وتأثيره على تصدر المشهد السياسي بالمغرب، فإن المتغير المستقل يكون هنا هو هذا الخطاب ويكون المتغير التابع هو هذا التصدر وإلى حد ما الهيمنة على المشهد التواصل السياسي، بينما قد يكون المتغير الوسيط هنا هو الاحتجاجات الاجتماعية لا سيما فيما عرف بالربيع العربي التي انتجت صدمات ومواجهات ومطالب موجهة مباشرة إلى السلطة السياسية في المغرب عن طريق الاحتجاج في الشارع العام.

إن المتتبع للحياة السياسية المغربية في شقها المتعلق بالتواصل السياسي الحزبي، يقف على عدة مفارقات و تناقضات مرتبطة بطريقة توظيف واستعمال المكون الديني الإسلامي تحديداً في عمليات التواصل مع عموم المواطنين، التي قد تبدو لأول وهلة عملية تهدف بالأساس إلى تملك مشروعية دينية تسهل عملية التواصل و كسب التعاطف السياسي و الانتخابي. يتميز النسق السياسي المغربي بمركزية و سمو المؤسسة الملكية داخل هرمية

¹⁴ غيث محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 1989، الإسكندرية، ص: 506
¹⁵ المصدر: كتاب مهارات البحث العلمي، مصطفى فؤاد عبيد، مركز البحوث والدراسات متعدد التخصصات، مرجع سابق.

المؤسسات السياسية¹⁶ و الاجتماعية، و التي سعت منذ الاستقلال إلى التملك التام و المنفرد للمشروعية الدينية، باستعمال عامل النسب الشريف لآل البيت حينا، و حينا آخر للمذاهب الإسلامية، و أيضا لموقعها على مستوى خريطة تدبير الدين في العالم لاسيما من خلال موقعها في حماية ممارسة ديانات أخرى كالديانة اليهودي ثم موقعها في حماية المقدسات في القدس الشريف. فتمكنت من تأسيس تفردا في تدبير المجال المقدس و تدبير أمور تدين المغاربة، من خلال الترتيبات الهيكلية و القانونية والثقافية، التي سعت لوضعها و خلق إجماع حولها و الاستفراء بمفاتيحها، بشكل أغلق بصفة نهائية أي محاولات أو مشاريع منافسة في هذا المجال، داخل سيرورة تاريخية مدعمة لمؤسسة إمارة المؤمنين.¹⁷

إشكالية العلاقة بين الديني و السياسي في المغرب تبدو جد معقدة للإجابة على سؤال من ينتج من داخل النسق السياسي المغربي أو بعبارة أوضح من يستعمل من؟

و رغم سعي الدولة منذ الاستقلال إلى تأطير المجال الديني للمغاربة، و إغلاقه أمام محاولات المنافسة، فإن التطورات الكبيرة التي طرأت على طرق التواصل و الإعلام من خلال الأدوات التكنولوجية الحديثة التي سهلت انتشار المعلومة بسرعة، فإن ذلك سهل أيضا انفتاح مختلف فئات المجتمع على قراءات أخرى للتدين و على تفاسير مختلفة للمرجعية الإسلامية، الشيء الذي أدى إلى المساعدة على ظهور تيارات دينية متنوعة تختلف مع الدولة في تفسيرها و توجيهها للتدين، بل و تنتقد توجهات علمائها وفقهائها أحيانا و تشتبك معهم، مما يوحي بأن الدولة تكون قد فقدت جزءا من قدراتها في الإحاطة بطلبات و رغبات المجتمع في مجال التدين و إيجاد الحلول لمشاكله العقدية و المعاملاتية الدينية، مما أدى بفئات مختلفة من المجتمع إلى البحث عن تأطير ديني أكثر ملاءمة و البحث عن الفتوى في سياقات فقهية مذهبية أجنبية.

16 أمحمد المالكي، المغرب وتجربة الانتقال الديمقراطي في إسبانيا، مساهمة في ندوة: تجارب الانتقال الديمقراطي المقارن، دفاتر سياسية، العدد 60، يناير 2004، ص:6.

17 محمد ضريف، "قراءة في أداء مؤسسات الحقل الديني الرسمي"، جريدة التجديد، بتاريخ 21 فبراير 2009، الرابط:

<https://www.maghress.com/attaidid/47877>

كل هذا يسائلنا حول تعريف و تحديد الفاعل الديني داخل الحقل السياسي المغربي، هل هو العلماء و الفقهاء

الشرعيين و الخطباء والزوايا أم هناك نوع آخر من الفاعلين الدينيين؟

هذا التساؤل يحيلنا على تساؤل آخر مرتبط بوضع تعريف و تحديد لمفهوم السياسي في المغرب، هل يمتلك

فعلا هذا السياسي القدرة على إنتاج ذاته و على إنتاج خطابه، أم أنه هو نفسه منتج للسلطة و لقواعد اللعبة

السياسية التي تضعها السلطة عبر استعمال القانون والعرف، و بالتالي لا يجوز لهذا الفاعل، من هذا المنظور،

التمرد على القواعد الموضوعة مسبقا في حالة مساهمته في تدبير "حصص" من السلطة؟

أولا- السياق

منذ سنة 2011 و تحديدا منذ ما اصطلح عليه بالربيع العربي و ما رافق ذلك من مد احتجاجي ضد الأنظمة

السياسية في المنطقة العربية بطرق غير معهودة، و ما أفرزه هذا السياق من مطالب شعبية تنادي بالديمقراطية و

الحرية، منذئذ عرف المغرب ظهورا أكثر كثافة لخطاب الإسلام السياسي كفاعل مهم في التأثير على مواقف الرأي

العام المغربي، و على الاندفاع نحو السلطة من أجل تقديم مطالب الديمقراطية و الحرية والمشاركة السياسية بشكل

أوسع، و بالتالي أصبح هذا التيار الإسلامي أحد العناصر التي من شأنها، في سياق مضطرب، أن تساهم بشكل أو

بآخر في تثبيت النظام و الحفاظ على استقراره مقابل السماح له بحيازة مساحة أكبر داخل الفضاء التدبيري العمومي

و داخل المشهد السياسي تحديدا، الشيء الذي أسفر عنه تصدر حزب العدالة و التنمية ذي التوجه الإسلامي للمشهد

الحزبي.

تميز سياق الانتخابات التشريعية لسنة 2011، التي أفرزت تصدر الحزب الإسلامي للمشهد الانتخابي

والسياسي، وتحقيق حزب العدالة والتنمية الفوز بالرتبة الأولى ب 107 مقعدا في مجلس النواب، في سياق

احتجاجات الربيع العربي لعدد من الشعوب العربية وسقوط أنظمة رؤساء دول عربية بسبب هذا الغليان الاجتماعي.

وفي المغرب كان النشاط الاحتجاجي تمثل في حركة 20 فبراير، التي رفعت شعارات إصلاحية في مواجهة الفساد بمختلف مظاهره، كما أن هذه الاستحقاقات الانتخابية جاءت في ظل دستور جديد.

ظهرت حركة 20 فبراير بالمغرب نتيجة لعوامل من بينها ما يمكن أن نسميه "العدوى الاحتجاجية" على غرار الأحداث في المحيط الإقليمي، بسبب اندلاع موجة من الاحتجاجات الشعبية في كل من تونس وليبيا ومصر وغيرها، والتي غيرت معالم من الأنظمة السياسية لهذه البلدان. انطلقت هذه الحركة في المغرب بعد نداءات على مواقع التواصل الاجتماعي، وظهرت بشكل أكثر وضوحاً بتاريخ 14 فبراير 2011 بعد إصدار نشطائها الشباب البيان الأول، بعد ما اجتمعوا لهذا الغرض¹⁸، ثم جاء اجتماعهم بتاريخ 16 فبراير من نفس السنة، الذي أثمر عن وضع ما أسموه بميثاق الحركة التي تميزت باشتغالها خارج إطارات حزبية أو نقابية، رغم التحاق عدد من التنظيمات الشبابية تنتمي لأحزاب العدالة والتنمية، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وجماعة العدل والإحسان.

وقد تميزت الحركة بكونها "شبكة وطنية فضفاضة دون قيادة مركزية، مكونة من خليط هجين من الإسلاميين واليساريين والأمازيغيين والمستقلين"¹⁹، لم تكن لها قيادة مؤسساتية مركزية تمثلها ولم تتمكن من إنتاج خطاب موحد المرجعية، إضافة إلى كونها تميزت بخليط من المطالب منها ما هو اجتماعي ومنها ما هو سياسي وما هو اقتصادي ومنها ما هو فئوي كبعض المطالب النقابية مثلاً، ومنها ما هو أني وما هو بعيد المنال وغيرها من الشعارات والمطالب.

وفي 19 فبراير 2011، تحولت الأمور إلى تعبئة عن طريق وسائل الإعلام وعبر منصات التواصل الاجتماعي أساساً، تستهدف كل فئات المجتمع مما خلق حالة من التأهب في صفوف مؤسسات الدولة. بعد ذلك بيوم أي في 20 فبراير انطلقت شرارة الاحتجاجات الأولى في جل مدن المملكة وتم رفع شعارات منددة بالأوضاع

18 نبيل الأندلسي 2013، 20 فبراير: قراءة في مسار حركة فيسبوكية تحولت إلى حركة فاعلة ومؤثرة. مجلة وجهة نظر، عدد 55 ص 44 حتى 48.

19 زين الدين محمد، الدستور ونظام الحكم بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى 2022، الدار البيضاء، ص 143

الاجتماعية والاقتصادية مطالبة بالتغيير السياسي من قبيل الشعب يريد إسقاط الحكومة، الشعب يريد إسقاط الفساد، الشعب يريد تغيير الدستور وغيرها من الشعارات.

في التاسع من مارس 2011 جاء الخطاب الملكي²⁰ ليعلن عن مجموعة من الإجراءات الجديدة، في مقدمتها إجراء تعديل دستوري شامل يبدأ بتشكيل لجنة لمراجعة الدستور والالتزام بعدة أمور من بين أبرزها تقويم الاختلالات. ورغم مضامين الخطاب الملكي التي جاءت في تفاعل مع مطالب الحركة وفي مقدمتها تعديل الدستور، إلا أن وتيرة الاحتجاجات بقيت مرتفعة.

فتحت اللجنة المكلفة بمراجعة الدستور باب استقبال مقترحات الأحزاب والنقابات والمنظمات غير الحكومة وأعضاء حركة 20 فبراير، وعبرت المذكرات التي تقدمت بها الأحزاب السياسية عن رغبتها في تعزيز صلاحيات البرلمان خاصة في مجال التشريع ومراقبة عمل السلطة التنفيذية.

وجاء في مذكرة حزب العدالة والتنمية تأكيده على الحاجة الماسة للمغرب لـ "دستور ديموقراطي يستند على المرجعية الإسلامية، ويؤهله لكسب تحديات التنمية الصالحة والعدالة الاجتماعية، ويعزز إشعاعه الحضاري المرتكز على رصيده التاريخي وتنوعه الثقافي"، كما أن "رهان الإصلاح الديموقراطي المطروح اليوم يضع المغرب على أبواب الملكية المغربية الثانية لدولة ما بعد الاستقلال، وهو أفق واعد وتاريخي واستراتيجي ينبغي حوضه بكل جرأة وإبداع ومسؤولية ووضوح، دون خوف أو تردد، فنحن في زمن المراجعة الحقيقية والشاملة وليس المراجعة التقنية الجزئية، والتي ستنقل الدولة المغربية من دولة التحكم إلى دولة التشارك بين مجموع مكوناتها في القرار خدمة للصالح العام"²¹

20 الخطاب الملكي في 9 مارس 2011.

21 مذكرة حزب العدالة والتنمية التي قدمها للجنة تعديل الدستور بتاريخ 29 مارس 2011 بخصوص التعديلات الدستورية المقترحة.

وفيما يتعلق بتعديل الفصل 19 من الدستور ابتكر حزب العدالة والتنمية مطلب إرساء ملكية ديمقراطية قائمة على إمارة المؤمنين²².

وفي الفاتح من يوليوز 2011 تم إجراء الاقتراع على الدستور والذي تم تبنيه بنسبة 98,49%. وفي 25 نونبر 2011 جرت انتخابات تشريعية تميزت عن سابقتها لكونها جرت في سياق وطني وإقليمي استثنائي، فشكلت بذلك منعطفًا دقيقًا في تاريخ الحياة السياسية بالمغرب مقارنة مع نظيرتها لسنة 2007، حيث اتسمت بشيوع العديد من المفاهيم وبرز العديد من الأوراش بما فيها الورش الدستوري الذي شكل نقلة نوعية متميزة في الحياة السياسية بالمغرب، كما تميزت بظروف تنظيمية طبعها الدعوة الحادة للمقاطعة من لدن الحركات الاحتجاجية التي تحمل العديد من المطامح وتعكس الكثير من المطالب²³.

لقد عرفت هذه الانتخابات التشريعية فوز حزب العدالة والتنمية بالمرتبة الأولى ب 107 مقاعد متبوعا بحزب الاستقلال ب 60 مقعدا، ثم حزب التجمع الوطني للأحرار ب 52 مقعدا، فيما احتل حزب الأصالة والمعاصرة، الذي يخوض أول انتخابات تشريعية له، المرتبة الرابعة ب 47 مقعدا.

من أهم خلاصات هذه الانتخابات هو ما تعلق بعدد المقاعد التي حصل عليها حزب العدالة والتنمية والتي بواته المرتبة الأولى، ثم عدد المقاعد التي حصل عليها حزب الأصالة والمعاصرة الذي احتل الرتبة الرابعة، رغم أن الكثير من المتتبعين للمشهد السياسي المغربي كانوا يرشحونه لتبوء المرتبة الأولى، وهو الذي بدأ يشق طريقه السياسية بشعار كبير يهم حداثة ودمقرطة الدولة والمجتمع ليصطدم بأزمة الاحتجاجات سنة 2011، وهو الحزب الذي فور نشأته بأشهر استطاع أن يحصل على المراتب الأولى في الانتخابات الجماعية لسنة 2009 حيث حصل على 6015 مقعدا رغم حداثة نشأته، في سياق كان يراد منه التمكين لهذا الحزب لصدارة المشهد وتعويض الأحزاب الإدارية

22 مذكرة حزب العدالة والتنمية في موضوع المراجعة الدستورية، الدستور الجديد للمملكة المغربية 2011، سلسلة نصوص ووثائق، منشورات م.م.إ.م.ت، الطبعة الأولى 2011، ص: 42
23 خالد بنجدي، قراءة حول مظاهر السلوك الانتخابي للاقتراع التشريعي ل 25 نونبر 2011، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 102، يناير 2012، ص: 36.

التقليدية التي لم تعد قادرة على أداء مهام التأطير والتعبئة، وغير قادرة على مواجهة الأحزاب المصنفة "إسلامية"، كحزب العدالة والتنمية، التي تتأسس على نوع من التنشئة الدينية وتتميز بالقدرة على التعبئة الجماهيرية²⁴.

تتميز هذه المحطة الانتخابية بكونها حملت مستجدات للخريطة السياسية ببروز خطابات سياسية جديدة تستند لخطاب الحركات الاحتجاجية التي جاءت الانتخابات في سياقها، كما تتميز بكون نسبة المشاركة فيها عرفت ارتفاعا حيث تم تسجيل نسبة مشاركة وصلت الى 45,4% مقارنة بالانتخابات التشريعية لسنة 2007 والتي لم تتجاوز فيها نسبة المشاركة 37%.

لم يتوان قياديو حزب العدالة والتنمية و أعضاؤه في الحكومة و على رأسهم رئيسها عبد الإله بنكيران في الاستعمال غير المنتظم للمرجعية الإسلامية، كأسلوب يزاوج بين الوعظ الديني الأخلاقي الجماهيري و التسويق السياسي لصورة تنظيم سياسي يتبنى دين الشعب، و يحرص على ربط الحياة و السلوك به، في إطار قاموس الحلال و الحرام و الخوف من الله و ما إلى ذلك من القيم الإسلامية، مع تعبيرهم في نفس الوقت عن موقفهم الراض للتطرف و العنف، و تبني الخيار الديمقراطي و العمل من داخل المؤسسات الرسمية للدولة خلافا لجماعات أخرى لم تحسم خياراتها بعد.

و من أهم ما يعزز موقع حزب العدالة والتنمية داخل المشهد السياسي و الحزبي بالمغرب، هو إسناده من قبل جماعة التوحيد والإصلاح ذات التوجه الإسلامي الحركي، التي لا تتطابق دائما مع التوجه المذهبي الفقهي للدولة بل إن بعض قياديتها يعبرون أحيانا عن عدم انصياع للمؤسسات الدينية للدولة ولمذهبها المالكي الصوفي، و تتعدى ذلك إلى ممارسة "الدعوة الإسلامية" و إبداء الآراء و الفتاوى الفقهية خارج مؤسسات تدبير الدين الرسمية وأيضا تنظيم الحلقات والدورات التكوينية الفقهية للمواطنين عموما و لمنتسبيها تحديدا، الذين يشكلون الخزان الرئيسي للمتعاطفين و الناخبين في مختلف الاستحقاقات، إضافة إلى كونهم يشكلون امتدادا للحزب في المجال الإعلامي والاجتماعي و

24 نبيل الأندلسي، المشاركة السياسية بالمغرب مقارنة للثابت والمتحول في التنشئة السياسية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بسلا، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2015.

الخيري و كذلك النضالي، حول مختلف القضايا و أنهم يوجدون في حالة تعبئة دائمة من أجل دعم الحزب في مهامه التدييرية العمومية.

و في نفس السياق تدعم فئة من السلفيين الحزب²⁵، هذه الفئة التي تتبنى قراءة مختلفة للدين عن التوجه الرسمي للدولة، و تعطي لنفسها دور المصلح و المرشد و الموجه لسلوك المتدينين و للمغاربة ككل، مستعملة طرقا تواصلية تقليدية كالوعظ في المساجد و حلقات الإرشاد داخل الجمعيات، إضافة إلى استعمالها بشكل ملحوظ للوسائل التكنولوجية الحديثة للتواصل و نشر المعلومة، و في مقدمتها شبكات التواصل الاجتماعي و البوابات الإخبارية الإلكترونية، مما أمن لها انتشارا داخل المجالين الحضري و القروي لتتبادل الأدوار مع السياسي الحزبي في تأطير و أدلجة المواطن/الناخب.

من جانب آخر لم يكن باقي الفاعلين في المشهد السياسي ليتركوا المجال مفتوحا للعدالة و التنمية، فسعوا هم بدورهم لتعديل قواعد التوازن الإعلامي السياسي، لمحاصرة الخصم الذي بات يستخدم خطابا دينيا "مغريا"، من شأنه أن يحصل على مشروعية دينية تنافس الفاعل الديني المركزي الذي هو الملك، و قد تهدد وجودهم السياسي داخل الخريطة السياسية و داخل المؤسسات الدستورية. ولقد اخترنا في هذا الصدد وضع مقارنات بين حزب العدالة والتنمية في بعض مباحث هذه الأطروحة مع حزب الأصالة و المعاصرة تحديدا، باعتباره الحزب الأكبر تواجدا انتخابيا بعد حزب العدالة والتنمية منذ انتخابات 2011 إلى نهاية ولاية 2016، وهو الأكثر مواجهة لتوجهات الحزب الإسلامي المرجعية، في تناوله لموضوع قدرة الدين على التأطير الاجتماعي و السياسي للمواطن و للدولة، مدعيا تقديم مشروع

25 انظر المادة الإعلامية في موقع هسبريس تحت عنوان: " سلفيو المغرب يدعمون الإسلاميين ويستعدون لتأسيس حزب سياسي"، بتاريخ 28 أكتوبر 2011، الرابط: <https://www.hespress.com/%D8%B3%D9%81%D9%8A%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%8A%D8%AF%D8%B9%D9%85%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D8%B9-64718.html>

ديمقراطي حدائي ذو نزعة "علمانية" غير مكشوف عنها بشكل واضح و صريح، تفاديا لأي تناقض مع الرؤية الرسمية للدين، داخل الدولة التي تتبناه كمرجعية تاريخية و تأسيسية لإمارة المؤمنين و الحكم ككل.

و من خلال قراءة العمل التواصلي لهذا الحزب، فإنه هو أيضا يحاول استعمال المرجعية الإسلامية في صيغتها الرسمية مع عدد من التحفظات عليها، محاولا تجديدها خصوصا عندما يعبر عن موقفه المساند لحرية المعتقد أو المنتقد للإعلام الديني الرسمي، و لمواقف حزب العدالة والتنمية و جماعة الإصلاح و التوحيد المتعلقة بالإفتاء في عدد من القضايا، التي تراها الجماعة خروجاً عن الدين و الأخلاق و يراها هذا الحزب فتاوى متطرفة بشأن الحريات الفردية يجب على الدولة صيانتها. كما أن حزب الأصالة والمعاصرة في انتقاداته لحزب العدالة والتنمية غالبا ما يربط بين مقولة مرجعية الحزب الإسلامية وبين تيارات سياسية دينية أجنبية كجماعة الإخوان المسلمين في مصر، أو بما يسميه البعض بالتنظيم العالمي للإخوان المسلمين، محذرا من الوصول إلى نفس مآلات دول أخرى تنتمي لنفس الفضاء الجغرافي و الثقافي للمغرب كتونس و ليبيا و سوريا و غيرها، تعرف موجات من الغلو أو التطرف أو اللجوء إلى العنف باسم الدين حسب ما يقوم بترويجه في تواصله السياسي عبر مختلف الوسائل التواصلية.

يعتمد حزب العدالة والتنمية على عدة تنظيمات مدنية و حقوقية و عدة أذرع إعلامية تسنده في تواصله ونشر خطابه. فإذا أخذنا في الاعتبار تعريف التواصل السياسي بأنه استعمال استراتيجي لوسائل التواصل و أدواته، للتأثير في البيئة العامة و توجيه الرسائل السياسية لإقناع الناس و توجيه سلوكهم نحو هدف محدد، غالبا ما يكون هو دعم الجهة السياسية مصدر الرسالة لوصولها إلى مراكز السلطة، فإن أهم وظائف الخطاب السياسي لا تنحصر فقط في الإخبار و الإقناع، و إنما أيضا تشمل المقاومة و المعارضة و الرفض للمختلف، مع الرغبة في كسب الشرعية أو نزعها عن الخصم، واستعمال كل الحجج و الاستدلالات بما في ذلك المنبثقة عن المرجعية الدينية الممثلة أساسا في النصوص الدينية كالقرآن و الأحاديث النبوية، الشيء الذي قد يعطي تميزا و سيطرة للحزب الذي يتوفر أعضاءه على

تكوين ديني في العلوم الشرعية أو على الثقافة التقليدية عموماً²⁶. وقد شكلت طبيعة حزب العدالة والتنمية المتميز ببنية فكرية مرجعها التكوين الديني الإسلامي، وبنية تنظيمية توفق ما بين هرمية التنظيمات الإسلامية في ضرورة التوفر على قائد أو زعيم أو مرشد، وبين شكليات البناء الهرمي الديمقراطي للحزب من خلال السماح بالمشاركة في القرار والحرية في الاختيار والتعبير الداخلي، إحدى عناصر القوة في سياق أزمة الربيع العربي. كذلك يعد التنظيم بفعل التكوين الديني التقليدي لقادته ولأعضائه، المؤسس على قراءات تراثية إسلامية للتدين، جعلهم مهئين، للمواجهات والاشتباكات والانتقادات القيمة تجاه باقي الخصوم. هناك جانب مناقض في هذا التكوين وشكل غير متوازن بسبب ما يمكن أن نصفه بإغفال التكوين الحديث الذي يتميز بالاطلاع على الأفكار الحديثة في صناعة الدول وفي صناعة الرخاء الاقتصادي وفي بناء مؤسسات الدولة والمجتمع في جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاعلامية وغيرها.

لذلك فإن المعالجة العلمية لاندماج الإسلاميين في العمل السياسي النظامي وفاقها المستقبلية بالمغرب من خلال حزب العدالة والتنمية، تفترض بداية إعادة تشكيل منهجي لولادة ونشأة وتطور هذا الفعل السياسي المستحدث في المغرب، من خلال البحث في أهم محاور الخلفية الفكرية والنظرية للتنظيم، ثم اعتماد مقارنة دينامية تتوخى فحص طرق استعمال هذه الخلفية النظرية الدينية للحزب في الميدان تجاه الدولة والمؤسسات والمجتمع.

وبذلك فإن أهم بوابات العمل السياسي التي اعتمدها حزب العدالة والتنمية سواء عندما تموقع في المعارضة البرلمانية أو عندما شارك في القرار الرسمي التدييري من خلال تواجده في الحكومة، هي بوابة بناء خطاب جديد متميز يرسم مواقف مرحلية تتعاطى مع الواقع وتتميز عن باقي الخصوم. شكل الاعتماد على التواصل وبناء خطاب جديد من خلال الاستدعاء المنهجي والمنتظم والدائم غير المتقطع للخطاب الديني من قبل قيادة الحزب وأعضائه أحد أبرز

26 نبيل الأندلسي، المشاركة السياسية بالمغرب مقارنة للثابت والمتحول في التنشئة السياسية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بسلا، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2015.

عناصر التفاعل مع الجماهير ومع المؤسسات، بل يمكن القول بدون مجازفة، أنه شكل أحد أهم أسس التميز السياسي لاستمالة مختلف فئات المجتمع المغربي.

وقد يتبين من خلال مختلف التصريحات لأغلب قادة حزب العدالة والتنمية خلال ممارستهم السياسية، ومشاركتهم في مختلف الانتخابات، أنهم حاولوا التعامل مع خصائص الحقل الديني بالمغرب، بتجنب أي صدامات مع هذا الحقل قد تكون نتائجها غير متوقعة. هذا الحقل الديني الرسمي الذي تأسس عبر أزمنة تاريخية طويلة من التدبير والإصلاح، مرتبط بشكل مباشر مع مؤسسة وشخص الملك الذي يستمد مشروعيته الدينية من خلال تأسيس إمارة المؤمنين في مختلف الدساتير التي عرفها المغرب منذ استقلاله. هذه المشروعية كما وصفها ودرسها مختصون وباحثون من مختلف مقاربات البحث العلمي، لها امتدادات في كل جوانب تدبير الدولة المغربية، يمتد ظلها من التدبير التنفيذي اليومي إلى التدبير السياسي والقطاعي العمومي إلى ممارسة وظيفة التحكيم والإشراف على القضاء، مما جعل مؤسسة الملك محور وجوه السلطة في البلاد ومنها تبتثق مشروعية كل المؤسسات وكل الممارسات داخل فضاء الدولة. وهي تمارس فعلها التقريري والرمزي في الحياة العامة تارة من خلال كثافة أعرافها التاريخية، وتارة من خلال النصوص الموضوعية وتارة من خلال معايير التدبير الحديث للدول، مما يعطيها المكانة الفضلى في إنتاج القواعد وفي إنتاج السلطة وأيضا في إنتاج السياسة.

ثانيا: القيمة العلمية للموضوع

إننا حينما ندرس التواصل السياسي واستعمال الدين من قبل التنظيمات الإسلامية وندرس نظام تفكيرها و أفكارها، فإن ذلك بغرض تحرير طاقاتنا البحثية والفكرية من خلاصات بحثية أجنبية لم تفسر الواقع المغربي بشكل سليم أو أنها فسرت بأدوات لا تتلاءم مع السياق والذهنية المغربية، بنسبة من السطحية أو التماهي مع الصورة النمطية عن هذه التيارات في مواطن أجنبية. كما أن البحث في الموضوع له رهنيته لأن هذه التنظيمات مرتبطة بدين سماوي يتدين به الشعب وليس بفكر بشري قد ينهار أمام الصدمات الاقتصادية والاجتماعية كما وقع من أنساق يسارية

وشرعية سابقة. وفي نظرنا ومن خلال مختلف القراءات للتاريخ الإسلامي والعربي، فإن علاقة الفكرة الإسلامية في الفعل الاجتماعي والسياسي، هي علاقة غير مرتبطة فقط بما هو زمني، أو بأجندة انتخابية أو استحقاق لممارسة السلطة، وإنما هي فكرة تشتغل في أفق "خلود الدين"، فالمرجعية الإسلامية تعتبر الدين والقرآن خالدين وأن الرسالة الإسلامية هي آخر الرسالات إلى يوم القيامة، مما يجعل معتققيها وروادها متحررين نظريا وفكريا بأي أجندة زمنية محددة وأنهم يشتغلون لأمد أطول من أمد بقاء أي أجندة انتخابية أو من أمد بقاء الدولة الوطنية نفسها، ابتغاء لإرضاء الله تعالى وللأجر في الآخرة. لذلك فالفرق بين التنظيمات السياسية الإسلامية والتنظيمات غير الدينية يسارية أو يمينية هو أنها في عمق فكرة وجودها غير مرتبطة بأجالات انتخابية، وأن مسألة الفوز أو الفشل في الانتخابات ما هو إلا امتحان رباني أو بلاء إلهي سيتم تجاوزه بالعودة إلى جذور الفكرة الإسلامية ومنابعها كما حدث ذلك في فترات متعددة من التاريخ الإسلامي بعد فترات قوة ثم انحطاط ثم عودة حسب السياقات والأزمات، للانطلاق في نفس طويل الزمن من جديد في تهيئ المواطنين لفترة حكم إسلامي "موعود" ولو بعد مئات السنين.

فالغوص في الموضوع يظل متجددا شريطة استعمال أدوات منهجية ملاءمة قد تساعد على انتاج خلاصات بحثية تساهم في رؤية الزمن الحالي والمقبل، وتساهم في المعرفة العلمية لفهم شروط إنجاز مشاريع وطنية سياسية ولشروط الاستقرار وفي فهم التجارب الفاشلة التي لا تكاد تخرج من أزمة إلا لتدخل في ما هو أكبر منها مما قد يؤثر على النظام السياسي ككل وعلى حس التنافس السياسي وعلى نسب المشاركة الشعبية.

إن دراسة بعض جوانب التنظيمات السياسية ذات المرجعية "التدينية" من خارجها، مختلف عن دراستها من الداخل. فدرستها من الداخل أي من قبل منتسبين إليها، قد يكون مرده إلى الرغبة في البحث عن مبررات الفكرة الحزبية بمغالطة الذات في إيجاد "المعاذير" لها وبالتالي قد نصح أمام بحث "دعائي" غايته النقد فقط أو محاولة البناء والتصحيح. أما دراستها من خارجها فهو بحث عن أوجه القوة والقصور أيضا لعله يجدي علميا في الوصول إلى وعي تنظيمي منطلقه أكاديمي، وبالتالي نكون أمام نوع من البحوث العلمية المنتهجة لكشف الرؤى والتوجهات.

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال تسليط الضوء على أسلوب تواصل قادة حزب العدالة والتنمية لاسيما في شخص أمنائه العاميين وعلى رأسهم عبد الإله بنكيران، وتأثيره على تقاليد الخطاب والتواصل السياسي بالمغرب. فاللقاءات المفتوحة التي نظمها حزب العدالة والتنمية شكلت مصدرا للتجيش والتعبئة الجماهيرية ومصدرا لتفاعل وسائل الإعلام، وتكاد تكون الوسيلة الأهم للحزب لإدارة الصراع السياسي مع باقي الفاعلين، فهي ليست مجرد لقاءات لنشر أفكار التنظيم السياسي، وإنما أداة لمهاجمة الخصوم للتأثير على الجمهور. من تم شكلت هذه اللقاءات منصة لخلق الجدل والنقاش العام مما جعلها تحظى بتغطية إعلامية، مما يزيد من أهمية دراستها ومحاولة تفكيك أسلوب بناءها. وقد يكون أسلوب تواصل حزب العدالة والتنمية وأمينه العام بنكيران، انعكاسا للحالة الذهنية والشخصية وبوابة للاطلاع على توجهاته السياسية، مما يعني أن هذا الأسلوب من خلال اللقاءات الجماهيرية المفتوحة والتواصل المباشر مع الناس، والتي استحوذت على الجمهور وعلى عناوين الصحافة وما يرافقها من تعليقات، أصبحت أكثر أهمية حتى من بلاغات وبيانات المؤسسات الرسمية بما في ذلك الحكومة والبرلمان.

وهناك اهتمام واسع بموضوع استعمال الخطاب الديني في المشهد السياسي المغربي، مما يثير عدة جوانب تعطي أهمية كبرى لهذا الموضوع والتي يمكننا تفصيلها في العناصر التالية:

1- إن أهمية الدراسة تأتي مركزة على دراسة و محاولة التأسيس لظاهرة استعمال العامل الديني

الإسلامي في الخطاب الحزبي عموما وطرق وأساليب توظيفه.

2- ارتفاع وتيرة التوظيف المفرط أحيانا لاستعمال الخطاب الديني داخل المؤسسات الرسمية

للدولة، و على رأسها البرلمان و المجالس الحكومية وخلال فترات الحملات الانتخابية، لإضفاء جرعة من الشرعية على عدد من القرارات أو التوجهات السياسية، مع محاولة احتكار اللغة الأخلاقية الدينية داخل مجال التنافس الحزبي، بشكل قد يغير موازين القوى بالنظر إلى تأثير المكون الديني في بناء

الشخصية المغربية، و المتجذر في الذهنية المغربية خصوصا لدى الفئات البسيطة و المتوسطة للمجتمع.

3- غياب استعمال أمثل للأداة الدينية في التواصل السياسي عند الاحتكاك بال جماهير، قد ينفر المواطن من السياسية و يخلق نوعا من التشكيك في قدرة الدولة على الإجابة على أسئلة الهوية الثقافية و المذهبية للجماعة المغربية. كما أن جنوح حزب نحو الاستحواذ و الهيمنة على استعمال المصطلح الديني و حملته العاطفية قد يضعف باقي الأحزاب أمام أي استحقاق عمومي.

4- قصور المنظومة التشريعية و القانونية في تدبير إشكالية استعمال الخطاب الديني في التواصل السياسي الحزبي، و التي و إن كانت قد منعت استعمال الرموز الدينية في الحملات الانتخابية، و منعت قبل ذلك تأسيس الأحزاب بناء على عنصر الدين، فإنها لم تجب بصراحة على نوازل الاستعمال المفرط أو المتجاوز للاحترام الواجب للمؤسسات العمومية و للدين أيضا.

5- لجوء حزب العدالة والتنمية موضوع الدراسة، إلى تقييم الخصوم في الإعلام بناء على سلم أخلاقي ذو مرجعية دينية إسلامية، مع السعي إلى اصطياذ الثغرات و التجاوزات الأخلاقية، و التي غالبا ما تحول التواصل السياسي إلى تهجمات لفظية مرجعتها الإسلام.

6- محاولة إحراج الحزب لباقي الخصوم السياسيين، عند مناقشة قضايا مجتمعية ذات أهمية كبيرة كعقوبة الإعدام، و زراعة القنب الهندي و الحرية الجنسية و المثلية و غيرها باستعمال المرجعية الدينية لإقناع الجماهير.

7- غياب النقاش العلمي الجدي حول المؤسسات الدينية، إن على مستوى البرامج الحزبية أو التدخلات في المؤسسات التشريعية و التنفيذية، الشيء الذي يفضي إلى عدم وجود أي تصور لأي مشروع واقعي و حقيقي لنظرة سياسي لتجديد الخطاب الديني للدولة و لطرق تدبير المجال المقدس.

8-نقص الدراسات العلمية حول تحليل و وصف الاستعمال السياسي للخطاب الديني و غياب

خلاصات للتعامل مع الظاهرة.

ومن أسباب اختيار الموضوع هو النمو المتزايد لظاهرة التوظيف السياسي للمكون الديني من قبل بعض الأحزاب السياسية، من دون أن يلي ذلك أي مجهودات لترشيد استعماله أو دراسات علمية معمقة لتحليل ذلك. كما أن تعدد الأحزاب السياسية ووفرة الإمكانيات المادية و البشرية، يقابله غياب أي مخططات تواصلية حقيقية للعدد الأكبر من الأحزاب بناء على أهداف واضحة، أفضى هذا الوضع إلى نقل القوة إلى حزب العدالة والتنمية، ليشغل أكبر مساحة تواصلية و أكبر حصة استهلاكية للخطاب الديني، الشيء الذي يفرض إعادة النظر في برامج التواصل الحزبية و الاستفادة من عناصر القوة و الضعف لجميع الفاعلين. إلى جانب ذلك فإن عدم اهتمام عدد من الأحزاب السياسية و النخب المثقفة للمآلات الخطيرة لتطور و نمو ظاهرة التوظيف السياسي التواصلي للخطاب الديني، يجعل الباحث مهتما بالبحث في صيغ ذات عمق علمي قد تساهم في تدارك فهم الظاهرة و محاولة توجيهها في اتجاه الحفاظ على الاعتدال و المشاركة في استهلاكه. كما أن أحد أسباب اختيار الموضوع ينبع من احتكاكي المباشر و المنتظم مع عدد من أطر الأحزاب السياسية، و عدد من قيادتها و كذا عدد مهم من الصحفيين و الإعلاميين لمختلف المنابر الإعلامية بالمغرب و خارجه المتهمين بالموضوع، إضافة إلى طبيعة عملي سابقا في عدد من الدواوين الوزارية مكلف بتدبير جزء من التواصل السياسي، جعلني ألامس عمق الإشكالية و مدى تأثيرها على عدد من الأحزاب السياسية، الذين في أغلبهم لم يتمكنوا من فهمها الفهم الدقيق و السليم. هذا بالإضافة إلى طبيعة تكويني الذي يزوج بين القانوني و السياسي، و ممارستي للكتابة الصحفية عبر عدد من المنابر الإعلامية بالمغرب و خارجه، و إلى اهتماماتي بالتواصل و الإعلام الجديد خصوصا شبكات التواصل الاجتماعي.

كل هذا يعطي للموضوع أهمية وقيمة بحثية و رغبة في المساهمة في مقارنة الموضوع علميا، لتقديم منتج علمي أكاديمي قد تكون له أهمية في تطوير النقاش حول الظاهرة، و في تحفيز البحث العلمي المتجدد في الموضوع وأيضا تحفيز النخب الحزبية على النظر من زوايا علمية في تواصلها مع الجماهير.

ثالثا- أهداف الأطروحة والمدة الزمنية المدروسة

يمكن تلخيص أهداف هذه الأطروحة في النقاط التالية:

- 1- محاولة وضع تصور عقلائي لاستعمال العامل الديني في التواصل السياسي الحزبي، يهدف إلى تنمية قدرات الأحزاب السياسية التواصلية و التدافعية داخل النسق السياسي، و من أجل دفعها لتحسين قدراتها على مواكبة التحولات و التحديات في هذا المجال.
- 2- معرفة أسباب التوظيف الحاد للخطاب الديني في التواصل السياسي الحزبي بالمغرب، و تحسيس الفاعلين السياسيين بضرورة ترشيده و التحكم في استهلاكه في إطار المنافسة السياسية السليمة.
- 3- تحليل النموذج التواصلية لحزب العدالة والتنمية، الذي يعد نموذجا مختلفا لاستهلاك و توزيع الخطاب الديني عبر أذرعه المختلفة النشطة في المجتمع، مما قد يؤدي إلى تنافس حاد مع الدولة، في غياب منافسين على المستوى الحزبي و في ظل ضعف باقي الأحزاب في هذا المجال.

وفيما يتعلق بالمدة الزمنية المدروسة فإننا نحددها في الفترة الممتدة منذ صدور دستور 2011، نظرا لكونها سنة عرفت صعود غير مسبوق للخطاب الديني، و هي السنة التي تصدر فيها حزب العدالة والتنمية المشهد الحزبي، فيما عرفت باقي الأحزاب المنافسة تراجع ملحوظة، تلتها سنوات الولاية التشريعية الأولى ما بعد دستور 2011، و

التي عرفت جولات مهمة في الصراع الحزبي تجلت في نزالات إعلامية تواصلية عديدة، إلى سنة 2021 السنة التي عرفت انتخابات تشريعية وضعت نتائجها حزب العدالة والتنمية في رتبة متأخرة.

رابعا - في تعريف التواصل السياسي

يرى فيليب ريتور أن التواصل السياسي يقدم نفسه كنشاط متخصص في تقويم عمل وحكم السياسيين ولا يمكن تصويره إلا متعلقاً بمسألة التمثيل السياسي، أي بطبيعة العلاقة القائمة بين أهل السلطة السياسية (الممثلين) وأولئك الذين تمارس هذه السلطة عليهم (الممثلين). ويعتبر ريتور أن تسويغ أسباب التفويض من أجل الحكم دفع بالسياسيين إلى إيجاد صيغ متنوعة لتمسرحات الحكم، من صيغها القديمة إلى أكثرها معاصرة وهو ما يسميه ريتور بالدرامية السياسية، بالنظر إلى وجود "عدة مسرحية"، التي سماها بالاندييه Balandier، "سلطة المسرح" Théatrocratie، لا سيما في قلب المجتمعات الإفريقية، لتجسيد السلطة السياسية، حيث يوجد الترميز في كل مكان، ويمكنه أن يفضي، في بعض الظروف إلى مسرحة قصوى. ويقول ريتور "إن صورة المهرج المتحققة والمأسسة في ظل المملكة (يقصد إحدى المملكات في إفريقيا)، بمجنون الملك تعبر عن الانتظارات والحرمانات الماثلة في الجسم الاجتماعي"، وبذلك فإن الاتصال عبر التاريخ أخذ اشكالا متنوعة أهمها مسرحته ودراميته، بغية الوصول أو تبرير الحكم والسلطة²⁷.

ويعرف دومينيك وولتون D. Wolton التواصل السياسي بأنه "كل اتصال موضوعه السياسة". ويضيف وولتون بأن مجال التواصل السياسي توسع اليوم ليشمل دور وسائل الإعلام والاستطلاع والتسويق السياسي مع اهتمام خاص بالفترات الانتخابية، وهو ما يؤكد الأهمية المتزايدة للاتصال داخل الحقل السياسي بحيث تحدث المواجهة في الأنظمة الديمقراطية على الواجهة الإعلامية، أي في نهاية المطاف عبر الاعتراف بالآخر، ويصبح التواصل السياسي "مجالا لتصارع المشروعات المتناقضة"²⁸.

27 فيليب ريتور، سوسيولوجيا التواصل السياسي، ترجمة خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، لبنان 2008

28 Dominique Wolton , la communication politique : construction d'un modèle. Revue Hermès n4 (1989) p28.

ويعرف جون ماري كوتري التواصل السياسي بكونه "أسلوبا تبادليا لخطاب ذي حمولة سياسية بين مختلف أطراف المجتمع قصد تحقيق هدف التمكّن من السلطة"²⁹. وفي تعريفه للاتصال وعلاقته بالنظام السياسي، تبنى ألموند مقاربة وظيفية مشبها الوظيفة الاتصالية بالدورة الدموية، معتبرا أن نظام الاتصال هو إحدى القنوات الرئيسة لتدفق المعلومات من النخب السياسية إلى الجماهير، وأيضا لنقل مشاكل وطموحات وتصورات الجماهير إلى النخبة³⁰. ويحدد شوارتزبرغ انطلاقا من مقاربة وظيفية للتواصل أن تواصل الأنساق السياسية يتم عبر ثلاث وسائط أساسية، وهي وسائل الإعلام، أو عن طريق التنظيمات السياسية كالأحزاب مثلا، أو عن طريق التواصل المباشر غير الرسمي أو غير المهيكل³¹. فيما يعتبر لاسويل أن المجتمع يشبه الهرم حيث يوجد الحكام وهم الصفوة في قمة هذا الهرم وجماهير الشعب في القاعدة، بينما يوجد الخبراء والمتخصصون في الوسط بين الرأس والقاعدة، وتجري عمليات التواصل على أساس أن لكل أمة نظاما سياسيا معيناً يتكون من الصفوة وهم مسؤولون على إصدار القرار والإشراف على مقدرات الدولة، ومواردها الاقتصادية والبشرية.³²

وهناك تعريفات كثيرة لمفهوم التواصل السياسي نورد من بينها، تعريف ميدو الذي وصفه بكونه مجموع الرموز والرسائل المتبادلة المتأثرة بالنظام السياسي أو المؤثرة فيه. وتعريف تشافي الذي حدده انطلاقاً من كونه ذلك التواصل الذي يحدث أثراً في العملية السياسية بما في ذلك الانتخابات مثلاً. ويعرف بليك وهاردسون التواصل السياسي هو التواصل المؤثر تأثيراً حقيقياً أو ممكناً في الحالة السياسية أو الوجود السياسي بصفة عامة. ويقول عنه شودسن بأنه أي عملية تهم نقل رسائل تهدف إلى التأثير على استخدام السلطة أو الترويج لها في المجتمع. فيما وصفه تعريف دينتون وودوارد بأنه مرتبط بالنقاش العمومي حول السلطة ومصادر الدخل العام في المجتمع. وينظر إليه اللورد

29 Cotteret (JM), Gouverner c'est paraitre, réflexion sur la communication politique, PUF, 1ere édition, 1991, P: 98.

30 إبراهيم حمادة بيسيوني، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، فبراير 1993، ص 50.

31 Roger-Gérard Schwardzenberg, Sociologie politique, Éditions Monchrestien, 5e Édition, Paris, 1998, P: 131-136.

32 إبراهيم حمادة بيسيوني، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، مرجع سابق ص: 53.

ويندلسمان بأنه "الإرسال الإرادي لرسالة سياسية من مرسل إلى مستقبل بهدف جر المستقبل في اتجاه لا يستطيع معه التفكير في غيره"³³. ويرتبط التواصل السياسي بمفهومين يشتغلان في نفس فضاء السلطة والسياسة، وهما مفهوم التسويق السياسي ومفهوم الدعاية. ويعرف التسويق السياسي بأنه كل عمل يهدف إلى "تجميل" و تحسين وضع حزب سياسي ما على مستوى زيادة أعضائه وتحسين صورته لدى الرأي العام، وهو يستخدم جميع الوسائل الضرورية والتقنيات الممكنة للوصول إلى هدف محدد مسبقاً.

ظهر التسويق كمفهوم في الولايات المتحدة الأمريكية في الميدان التجاري لينتقل إلى ميادين أخرى ومنها مجال التواصل السياسي³⁴، وبات معه الحزب السياسي يعتبر بمثابة "سلعة" قابلة للتسويق، وهو يعتبر جزءاً من أمركة التواصل، وظهر ذلك في الحملات الانتخابية للرئاسيات الأمريكية وخاصة خلال ثلاثينيات القرن الماضي مع الحملة الانتخابية لفرانكلين روزفلت. لكن المحللين يعتبرون أن الاستعمالات الأولى للتسويق السياسي في الانتخابات الرئاسية الأمريكية كان سنة 1952. وقد تميزت الحملات الانتخابية الأمريكية لسنة 1956 بأول ظهور للوصلات الدعائية السياسية التي باتت إحدى مميزات الحملة الانتخابية. ثم بعد ذلك انتشر استعمال المفهوم وأدواته في إنجلترا سنة 1959 وفي بلجيكا وفرنسا سنة 1965.

ويعرف Bongrand التسويق السياسي بكونه "مجموعة التقنيات التي تهدف إلى تسهيل ملاءمة المرشح والناخبين، حتى يتسنى لكل واحد منهم التعرف عليه وإبداء الفارق والاختلاف مع المتنافسين من أجل الرفع من عدد الأصوات اللازمة للفوز بأقل الوسائل"³⁵. فيما يرى كوتري التسويق السياسي بكونه "التأثير الذي يقوم به شخص أو حزب لتغيير رأي أو سلوك الناخبين بالاستعانة بوسائل التواصل المتوفرة لديه، بغية الحصول على أكبر عدد ممكن من

33 محمد سعود البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، 2000، ص 16

34 London (D), Le Marketing politique, Dalloz, 1986, P.1

35 Bougrand (M), Le Marketing Politique, PUF, Que Sais-Je? N 1698, P: 119

الأصوات والفوز في الانتخابات"³⁶. ونجد أيضا تعريف ألبوي الذي يرى أن "التسويق السياسي هو مجموع النظريات والأساليب والتقنيات والممارسات الاجتماعية المستمدة من التسويق التجاري والمخصصة بمجملها لإقناع المواطنين لتقديم الدعم والمساندة لشخص، لمجموعة أو لمشروع سياسي"³⁷.

وبخصوص الدعاية فتعد ذات نشأة قديمة جدا تعود إلى بدايات استعمال الإنسان للغة والرسم، فنشأت أول أشكال الدعاية خاصة بعد ظهور المطبعة سنة 1436 وأصبح بالإمكان نشر المعلومات بشكل أسرع من السابق. ويرى هارولد لازارسفيلد، أن الدعاية هي التعبير المدروس عن الآراء والأفعال الذي يصدر عن الأفراد والجماعات الأخرى، وذلك من أجل أهداف محددة مسبقا، ومن خلال تحكم نفسي³⁸. ويعرفها مرتون، بأنها مجموعة من الرموز التي تؤثر على الرأي أو السلوك، وذلك بالنسبة للقضايا غير المتفق عليها في المجتمع³⁹. وتعتبر الدعاية السياسية بمثابة عملية إثارة المواطن بغية الوصول إلى استمالته من قبل الفاعل السياسي، وتتعلق بمجموع الأنشطة التي يقوم بها الحزب أو المرشح السياسي من أجل إعداد الناخبين للتصويت عليه من خلال محاولة التأثير عليهم بكل الأساليب والإمكانيات مستخدما كل وسائل الاتصال المتاحة.

ويعد لجوء السياسيين لوسائل الإعلام عاملا ساهم في تبليغ الرسائل السياسية المرجوة داخل فضاء التواصل الذي يعرفه دومينيك وولتون بأنه "الفضاء الذي يتم فيه تبادل الخطابات المتناقضة بين ثلاثة فاعلين رئيسيين وهم رجال

36 Cotteret (JM), Op. Cit, P: 71.

37 Albouy (S), Marketing et Communication Politique, l'Harmattan, 1994, P: 22.

38 مي عبد الله، الدعاية وأساليب الإقناع، لبنان، دار النهضة العربية، 2006، ص: 6.
39 منصور، فاطمة الزهراء، دور الاتصال السياسي في المشاركة الانتخابية، بحث لنيل الماستر بكلية الحقوق بجامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2013-2014، ص: 48.

السياسة ورجال الإعلام والرأي العام⁴⁰. فالفاعلون السياسيون يولون أهمية بالغة للاستراتيجيات الإعلامية (التواصلية)، إذ بدوا يتخلصون من الأشكال التقليدية للتواصل ويتجهون نحو هذه الوسائل الحديثة ومنها التلفزيون⁴¹. ومن خلال أهمية هذه التعاريف وتزايد اهتمام الباحثين بالموضوع، تتجلى مركزية وحيوية التواصل السياسي بالنسبة للأحزاب السياسية، نظرا للتأثير الذي تحدثه عمليات التواصل من خلال تبادل المعلومات والتفاعل بين مختلف هياكل وعناصر الحزب أو مع محيطها ومع الجماهير، بتوظيف جميع أنواع التواصل المتاحة سواء تعلق الأمر بالتواصل المباشر الشخصي أو الجماهيري، المباشر أو غير المباشر، فوسائل الإعلام باتت، بالنسبة للأحزاب السياسية، أساسية تقوم بتشكيل تمثيل مشترك للسياسة من خلال انتقاء ومعالجة أخبار الأحزاب السياسية، لأنها أصبحت تقترح علينا ماذا نفكر فيه إن لم يكن فيما يجب أن نفكر⁴²، مما يعني أن وسائل الإعلام لم يعد دورها يقتصر على الوساطة بين الأحزاب السياسية وبين الرأي العام فحسب ولكن تجاوز ذلك إلى خلق صورة ذهنية للحزب يعتمد عليها الرأي العام في اتخاذ مواقفهم وقراراتهم تجاه القضايا السياسية المطروحة على الساحة الإعلامية والسياسية.

خامسا - الحقل المعرفي للأطروحة

تندرج هذه الأطروحة بشكل رئيسي في دائرة علم الاجتماع السياسي وعلم السياسة، باعتبارها تهدف إلى دراسة ظاهرة حزبية في صراعها مع بنيات و قوى سياسية أخرى وإلى فهم توازنات القوة داخل النسق السياسي المغربي. كما أن الدراسة تناقش إحدى أهم وظائف البنيات السياسية وهي وظيفة إنتاج الخطاب السياسي والتواصل لممارسة التأثير السياسي وامتلاك القوة وفرض السيطرة على باقي الفاعلين. إلى جانب ذلك فإن الأطروحة تندرج ضمن حقل معرفي في طور التشكل والتأسيس، وهو علم الإعلام السياسي. وبالنظر إلى حجم التأثير السياسي الذي أصبحت تحدثه

40 Wolton (D), La Communication Politique : Construction d'un modèle, Hermès, N : 4, le Nouvel Espace Public, 1989, P :32.

41 Oumama Kettani, La Communication : A l'épreuve du modèle d'analyse communicationnelle intégré, Publication Annajah, 1ere édition ,2009, P : 287.

42 Philippe Guillot, Introduction à la Sociologie Politique, Armand Colin, Paris, 1998, P: 84.

وسائل الإعلام في ظل ما يشهده العالم من تطور في أدوات التواصل الجماهيري، فإننا نقوم بوصف طرق استعمال وسائل الإعلام من قبل البنية الحزبية موضوع الدراسة، وتأثيرها في مجريات الأحداث السياسية وفي توجهات الرأي العام والجماهير.

سادسا - الدراسات السابقة

شكلت دراسة التواصل السياسي بالمغرب عموما موضوع اهتمام لدى العديد من الدارسين، نذكر منها أربع دراسات، الأوليتين اهتمتا بالتواصل عموما والثانيتين ركزتا على تواصل حزب العدالة والتنمية.

أ - دراسات مغربية

الدراسة الأولى كانت تحت عنوان، "قضاء التواصل السياسي بالمغرب المعاصر 1999/1844"، وهي أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام نوقشت بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بجامعة القاضي عياض خلال السنة الجامعية 2001/2002⁴³. ناقشت هذه الأطروحة دور الاستراتيجيات التواصلية التي ينهجها الفاعلون السياسيون في تحديد مسار بناء مشروعيتهم والحفاظ عليها، مع جرد أنماط التواصل السياسي والاختلافات الموجودة بين التواصل السياسي الحديث، والتواصل الطقوسي على مستوى القدرة التفسيرية الإجرائية للفعل التواصلية في مراحل مختلفة، كما تطرقت لعدد من المظاهر أهمها أزمة التوزيع، أزمة التمثيل، أزمة التواصل، في التواصل السياسي.

أما الدراسة الثانية⁴⁴ فكانت تحت عنوان: "Pouvoir et communication au Maroc Monarchie, médias et acteurs politiques (1956-1999)"

وتتميز كونها عمقت التدقيق في التواصل العمومي والتواصل

43 المومني، نادر، قضاء التواصل السياسي بالمغرب المعاصر 1999/1844، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام نوقشت بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بجامعة القاضي عياض خلال السنة الجامعية 2001/2002.

44 Mouhtadi, Najib, Pouvoir et communication au Maroc Monarchie, médias et acteurs politiques (1956-1999), L'Harmattan, Paris, 2008.

السياسي بالمغرب، من خلال معالجة أنماط التواصل المختلفة وعلاقتها بالسلطة السياسية عبر مراحل متعاقبة، وكذا أشكال التعبير المرتبطة بها، ودور النخب وحضورها في هذه السياسات العمومية الاتصالية ومدى قدرة التواصل السياسي على تحقيق الشرعية الديمقراطية.

وبذلك فإن هاتين الدراستين اقتصرتا في تفسير وتحليل تحولات التواصل السياسي، لفترة زمنية تعود إلى ما قبل 1999، وهي فترة تحولات سياسية مهمة في المغرب لفهم أساليب التواصل ما قبل تولي الملك محمد السادس العرش، الذي أطلق عليه "العهد الجديد". ساهمت هذه الفترة في تحولات مؤسساتية كبيرة لاشك أن تأثيرها امتد إلى خلق بيئة تواصلية جديدة بالمغرب، سواء عبر تحرير المجال السمعي البصري الذي أنشأته الدولة واحتكرته لعقود، أو من خلال ترسانة قانونية وتنظيمية جديدة في مجالات التواصل والصحافة والإعلام وغيرها. كما عرف العقدان الأخيران تطورا ملموسا في بنية التواصل، عموما، بظهور أشكال جديدة، وأساليب مستحدثة، استفادت من الانتشار الواسع لشبكة الأنترنت وما تلاها من وسائل حديثة، غيرت نمط التواصل كما أثرت في مضامينه.

الدراسة الثالثة هي رسالة دكتوراه، تناولت بلاغة الخطاب السياسي السجالي عند الأمين العام لحزب العدالة والتنمية ورئيس الحكومة الأسبق عبد الإله بنكيران⁴⁵. عملت على دراسة الخطاب السياسي، وذلك بالاعتماد على متن يتكون من مجموعة من الخطب التي ألقاها بنكيران في مناسبات مختلفة تمتد من 2011 إلى 2017. حاولت هذه الأطروحة الإجابة عن تجليات الخطاب السجالي لدى هذا "الزعيم السياسي" والاستراتيجيات الخطابية التي اعتمدها للتأثير في الجمهور بهدف الحصول على تعاطفه والتصويت على مرشحيه.

الدراسة الرابعة وهي أيضا أطروحة دكتوراه في القانون العام⁴⁶، تهدف إلى رصد التحولات التي طالت طرق تواصل الأحزاب السياسية المغربية لدى حزب العدالة والتنمية وحزب الأصالة والمعاصرة، من خلال دراسة وتحليل

45 مشبال، محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي السجالي عند عبد الإله بنكيران، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، السنة الجامعية 2019-2020
46 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، يوليو 2023

المضامين والوسائط المعتمدة في التواصل السياسي خلال الانتخابات التشريعية والجماعية الممتدة ما بين الفترة 2011 و2021. وقد حاولت هذه الدراسة التي اعتمدت على المنهج الوصفي للجانب الصحفي والرقمي في تواصل الحزبين والمقارنة بينهما، وصف طرق استغلال هذين الحزبين لفضاء التواصل من خلال ما تملك من أدوات تواصلية حديثة، وأدوات تواصل تقليدية، لتحقيق غاياتها ومنها التأثير السياسي، ثم ناقشت مدى حضور جوانب من الخطاب الأخلاقي الديني، متناولة دراسة علاقة الخطاب السياسي ومنتجه باختيار الوسائط التواصلية الضرورية، في إطار التنافس بين الحزبين من منطلقين مختلفين حددهما الباحث في ثنائية التقليديانية والحدائثة.

إن الدراسات السابقة بالمجمل، والتي تناولت التواصل السياسي هي أدبيات مهمة جداً لهذه العمل، وستأتي هذه الدراسة بما يكمل بعضها ويضيف إلى بعضها الآخر ويبدأ من حيث انتهت. كما أنها ستقف أمام أهم النقاط والعناصر التي تم إغفالها ولم تتطرق لها هذه الدراسات، والتي حاولت من خلالها هذه الدراسة، قدر الإمكان، الإجابة عنها من خلال استكمال مسار دراسة فضاء التواصل السياسي بالمغرب، بالتركيز على التواصل الحزبي والتحويلات على مستوى الوسائط والمضامين. كما تهتم هذه الدراسة بالوضع الراهن من خلال التركيز على العقد الأخير من زمن التواصل السياسي الحزبي بالمغرب والذي عرف تحولات ملحوظة شكلا ومضمونا.

ب - دراسات أجنبية حديثة تناولت استراتيجيات الخطاب والتواصل

هناك دراسات غربية مهمة لا سميا في الولايات المتحدة الأمريكية، اعتمدت مناهج ونظريات اعتمدنا بعضها في هذه الأطروحة نظرا للجدوى الكبيرة التي نتجت عن مفاهيمها في فهم وتفسير حالات تواصل معينة للقادة السياسيين، ومنها دراسة Jon Green، وآخرون⁴⁷ سنة 2020، والتي درست تأثير الاستقطاب السياسي في خطاب النخبة الأمريكية على الاستجابة الفعلية المبكرة لأزمة جائحة فيروس كورونا لدى المواطنين الأمريكيين، من خلال

47 Jon Green, Edgertone Jared, Skyler J Cranmer, Elusive consensus: Polarization in elite communication On the COVID-19 pandemic, Sci Adv 2020, vol 6.no 28, eabc2717, pp:1-5. Link: <https://www.science.org/doi/10.1126/sciadv.abc2717>

تحليل تغريدات أعضاء مجلسي النواب والشيوخ الأمريكيين أثناء الموجة الأولى من الجائحة. انتهت الدراسة إلى أن الانقسام الحزبي الكبير في تناول الأزمة من قبل النخبة أثر على المواقف والسلوك العام للأمريكيين، وأدى إلى إعاقة استجابتهم المبكرة للأزمة، وأن خطاب الديمقراطيين أظهر تغييرا سلوكيا أكبر من الجمهوريين، والمستقلين، حيث ركز على مناقشة الأزمة مبكرا، وبشكل متكرر، مركزا على قيمة الصحة العامة، وعلى المساعدة المباشرة للعاملين المتضررين، في حين على النقيض من ذلك، فقد ركز خطاب الجمهوريين بشكل أكبر على الوحدة الوطنية، وعلى الصين، والشركات.

هناك دراسة⁴⁸ Catey Sohaib، سنة 2020، توصلت إلى وجود علاقة دالة إحصائيا بين نشاط القادة السياسيين على تويتر، وبين زيادة عدد متابعيهم من الجمهور، لصالح الذين لديهم نشاط أكبر على الشبكة، فضلا عن زيادة عدد متابعي الزعماء والقادة السياسيين خلال فترة الأزمة أي أزمة تفشي وباء كورونا مقارنة بالأشهر السابقة للأزمة.

أيضا نجد دراسة⁴⁹ Dewi K.، وآخرون، التي سعت إلى تحليل استراتيجيات القادة السياسيين في استخدام تويتر كأداة للاتصال السياسي، من خلال دراسة تأثير محتوى حساب تويتر الخاص بالزعيم الإندونيسي "رضوان كامل" على أتباعه، وانتهت نتائج الدراسة إلى أن المكونات الثلاثة في محتوى حساب الزعيم "رضوان كامل" على تويتر، والتي تتعلق بمشاركة الأخبار، وسياق الرسالة، وجودة الاتصال مع تحديث الأنشطة اليومية، كان لها أهمية إيجابية مع مواقف وسلوك المتابعين.

48 Sohaib R. Rufai Catey Bunce, World leaders' usage of Twitter in response To the Covid-19 pandemic: a content analysis Journal of Public Health, 2020, Vol 42, No 3, p: 510-516. Link:

<https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC7188178/>

49 Dewi K. Soedarsonoset, Bahtiar B. Mohamad, Diekola M. Akanmu, Political Leaders and Followers' Attitudes: Twitter as A Tool for political Communication: Journal of Critical Reviews, 2020, Vol 7-Issue 8, pp: 1245-1252. Link: <https://www.researchgate.net/publication/342523027>

وفي دراسة⁵⁰ قدمها Akash Dubey، حلل فيها تأثير لغة المشاعر والعواطف الواردة في تغريدات المواطنين الأمريكيين والهنود تجاه قادتهم السياسيين في التعامل مع جائحة كوفيد-19، فخلص إلى وجود اختلافات كبيرة في نظرة المواطنين الأمريكيين، والهنود نحو قادتهم أثناء تفشى فيروس كورونا، حيث جاءت تغريدات الهنود مليئة بالمشاعر الإيجابية تجاه رئيس الوزراء "ناريندرا مودي"⁵¹ Narendra Modi، وتمثلت في الثقة والترقب والفرح، فيما جاءت تغريدات الأمريكيين مليئة بالمشاعر السلبية نحو الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب" Donald Trump، وتمثلت في الدهشة والخوف والحزن والغضب.

ورصدت دراسة Farzana Masroor، وآخرون سنة 2019، استراتيجيات خطاب أثنين من السياسيين الباكستانيين على شبكة تويتر أثناء الأزمات (عمران خان، ومريم نواز)، أعقاب تسريبات "بنما"، والتي تم من خلالها توجيه تهمة الفساد لرئيس الوزراء الباكستاني "نواز شريف"، بهدف الكشف عن البنية اللغوية، والاستراتيجيات المتحققة عبر عدد من الصور البلاغية في التغريدات محل التحليل. كشفت نتائج الدراسة عن وجود عدد من استراتيجيات الاستقطاب في تغريدات القيادتين بهدف إضفاء الشرعية على أيديولوجيتهم لخدمة مصالحهم، حيث تمثلت الدوافع الأساسية المرتبطة بالسياق اللغوي لتغريدات "عمران خان"، في الإطاحة بالحكومة، ونزع الشرعية عنها، وتأجيج الرأي العام عليها، فيما وظفت "مريم نواز"، تغريداتها بهدف المساعدة في تحقيق الهيمنة السياسية والشرعية، عبر سلسلة من الإجراءات السياسية تضمن خلالها السيطرة على الرأي العام، واستعادة ثقة الجمهور في الحكومة.

50 Akash Dutt Dubey, Decoding the Twitter Sentiments towards the Leadership in the times of COVID-19: A Case of USA and India, 2020, link: <https://ssrn.com/abstract=3588623>

51 A'ndre Gonawela, Speaking their Mind: Populist Style and Antagonistic Messaging in the Tweets of Donald Trump Narendra Modi Nigel Farage and Geert Wilders Computer Supported Cooperative Work(CSCW), vol 27,no 1, pp.293-326. Link: <https://doi.org/10.1007/s10606-018-9316-2>

دراسة أخرى ل Nilay Yavuz، وآخرون⁵² سنة 2018، حلت استراتيجيات الخطاب السياسي، وكشفت عن الأنماط اللغوية المتكررة في تغريدات كبار السياسيين الأتراك على موقع تويتر، أثناء أزمة الانتفاضات الشعبية المرتبطة بأحداث حديقة جيزي (2013) Gezi، وانتهت الدراسة إلى أن تغريدات السياسيين تميزت بالخطاب الذي يوجه الجمهور إلى اتجاه واع قد يعيد إنتاج التهميش والاستقطاب بين عامة المواطنين، بما يؤدي إلى الانقسام التام في المجتمع، كما تم استخدام لغة داعمة للذات مقابل ازدياد الآخر، وتم توظيف استراتيجيات الاستعارة، والتوحد، من قبل السياسيين في الحزب المعارض بشكل ملحوظ، مقارنة بالسياسيين في الحزب الحاكم.

فيما سعت دراسة⁵³ Jesus Diaz-Campo، وآخرون سنة 2015 إلى تحليل طرق استخدام القادة السياسيين في أمريكا اللاتينية لشبكة تويتر كقناة اتصال أثناء الأزمات السياسية، وسمات خطابهم على الشبكة، وأظهرت نتائج الدراسة وجود استراتيجية مشتركة لاستخدام تويتر في أوقات الأزمات بين القادة السياسيين سواء الحكوميين، أو المعارضين، وأنهم ينظرون إلى تويتر على أنه أداة للترويج لخطاباتهم السياسية وشخصيتهم العامة، أكثر من كونه ساحة جديدة للحوار والنقاش. وكشفت النتائج أيضا عن وجود فروق بين القادة الحكوميين، والمعارضين في سمات خطابهم على تويتر، حيث حرص القادة الحكوميون على نشر الرسائل التي تسهم في بناء صورتهم العامة، فيما أظهر القادة المعارضون تفضيلهم لنشر الرسائل التي تدعم مشاركة الآراء والنقد، والحد من التغريدات التي تروج للذات.

52 Nilay Yavuz, Naci Karkin, İsmet Parlak, Özlem Özdeşim Subay, Political Discourse Strategies Used in Twitter during Gezi Park Protests: A Comparison of Two Rival Political Parties in Turkey, International Journal of Public Administration in the Digital Age, 2018, Vol. 5, Issue 1 pp:82-96. Link:

<http://dx.doi.org/10.4018/IJPADA.2018010105>

53 Jesús Díaz-Campo et autres, Latin American leaders on Twitter. Old uses for New media during political Crises Revista Latina de Comunicación Social 70, 2015, pp: 155-173. Link: <http://dx.doi.org/10.4185/RLCS-2015-1040en>

جاءت دراسة Flores⁵⁴, Priscilla، لتقدم تحليلاً للكيفية التي استخدم فيها "دونالد ترامب" الخطاب البلاغي على موقع تويتر لتعظيم تأثير رسالته في المائة يوم الأولى من رئاسته، من خلال تحليل (503) تغريدة في الفترة من 20 يناير وحتى 29 أبريل 2017، وانتهت الدراسة إلى أن موقع تويتر ساعد على إيجاد معايير جديدة للخطاب السياسي البلاغي، ومكن الرئيس الأمريكي من توظيف استراتيجيات جديدة من الخطابات الشعبوية الفعالة، وأن قدرة "ترامب" على نقل الأصالة، واستعداده لأن يكون غير تقليدي، وعفويته، كانت عوامل أساسية في صدق قوته لدى قطاعات كبيرة من الجمهور الأمريكي، وأن خطابه تضمن إهانات لخصومه السياسيين، ووسائل الإعلام السائدة. ومن منظور أنثروبولوجي لغوي، أجرى P.Zampetti، دراسة⁵⁵ لتحليل الخطاب السياسي "غير المتحضر" الناتج عن تغريدات هيلاري كلنتون، ودونالد ترامب، أثناء الانتخابات الأمريكية 2016، وما بعدها. توصلت نتائج الدراسة إلى أن تغريدات "كلنتون" ركزت على الطرح المركزي المتمثل في مهاجمة ترامب ووصفه بأنه، كاذب، عنصري، متحيز جنسياً، متممر، خطر على الطبقة العاملة، وكارثة السياسة الخارجية، فيما ركزت تغريدات "ترامب" في الهجمات ضد وسائل الإعلام الرئيسية، والدول المنافسة مثل إيران، وكوريا الشمالية، وهيلاري كلنتون، والديمقراطيون، كما استخدمت تغريدات "ترامب" النداءات الموضوعية مثل "لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى"، والخوف من النداءات الموجهة ضد المكسيكيين، والمسلمين وغيرهم من الجماعات.

54 PriscillaL Flores, Social Medias Influence on Political Communication: A Content Analysis of. Donald Trump's Tweets in the First 100 Days of His Presidency Master degree in Arts The University of Texas Rio Grande Valley, 2018, PP.22-23. Link:

<https://www.google.co.ma/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=https://scholarworks.utrgv.edu/cgi/viewcontent.cgi?part=1&context=3D1257%26context%3Ddetd&ved=2ahUKEwiktK3WzJ6AAxVjVqQEHOA2DToQFnoECBIQAQ&usq=AOvVaw2jH3zOznuLpfb76P6c6Ax3>

55 Joseph P. Zampetti, Rhetorical Incivility in the Twitter sphere: A Comparative Thematic Analysis of Clinton and Trump's Tweets During and After the 2016 Presidential Election, Journal of Contemporary Rhetoric, Vol.9, No 1/2 pp: 29-54. Link:

https://www.researchgate.net/publication/338189571_Rhetorical_Incivility_in_the_Twitterosphere_A_Comparative_Thematic_Analysis_of_Clinton_and_Trump's_Tweets_During_and_After_the_2016_Presidential_Election

ج- جوانب الاستفادة من الدراسات السابقة

لقد كانت لهذه الدراسات فائدة كبيرة لهذه الأطروحة، عن طريق التعرف على منهجية إعدادها ونتائجها سواء على مستوى على المعرفة المعمقة بموضوع التواصل والخطاب عموماً، ثم على المستوى النظري والمنهجي وفهم نظرية المجتمع الشبكي وكيفية استعمال التحليل الكيفي للخطاب، التحليل النقدي للخطاب من خلال فهم نظرية المربع الأيديولوجي، أو نظرية الخطاب التداولي أو نظرية أفعال الكلام، ثم دراسة الأبعاد السيكو استراتيجية المؤثرة في إنتاج الخطاب، وكذلك ماهية استراتيجيات الإقناع المستخدمة. وبذلك فإن هذه الأطروحة تعتبر استكمالاً للمشروع الكبير في البحث في موضوع التواصل السياسي بالمغرب، من خلال استعمال جهاز مفاهيمي محدد وواضح ومناهج ملاءمة للموضوع.

سابعاً - إشكالية الموضوع

تزداد إشكالية توظيف اللغة الدينية الإسلامية حدة و تعقيداً منذ ما اصطلح عليه باحتجاجات الربيع العربي في المجال العام و تحديداً في التواصل السياسي للأحزاب، و هذا في ظل تبني الدولة لنموذج تدبيري تصفه الدولة بالوسطية و الاعتدال في التدين. هذا التوظيف للدين قد ينتج عنه عدم توازن في تدبير العلاقات فيما بين الفاعلين السياسيين، وفيما بينهم و بين الدولة و المجتمع ككل. لذا تبحث هذه الأطروحة في الملامح والسمات العامة لتواصل قادة حزب العدالة بغية الكشف عن القوى العاملة والعناصر المؤثرة في إنتاج هذا الخطاب، وتحليل أساليب الخطاب الاستعاري المضمرة، والأفعال الكلامية التي تم توظيفها في تقديم الخطاب في ضوء الصفات والتكوين الذي يتوفر عليه هؤلاء القادة، خاصة وأن خرجات عبد الإله بنكيران واستعمال شبكات التواصل الاجتماعي لنشرها، تعد حالة جديرة بالاهتمام العلمي في علاقاتها بتدعيم الروابط في الاتصال السياسي بين القادة والرأي العام. يستعمل القادة السياسيون لحزب العدالة والتنمية الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي والفضاءات العمومية المفتوحة كوسيلة للخطاب العام،

باستعمال استراتيجيات بلاغية معينة، قد تهدف إلى صناعة "علامة تجارية" سياسية، وإلى بناء صورة أيديولوجية متميزة. وعلى ضوء هذه الإشكالية فإننا نطرح التساؤلات التالية:

ما هي الاستراتيجيات التي تبناها خطاب حزب العدالة والتنمية في تواصله مع الجماهير لاسيما منذ فترة الربيع العربي سنة 2011، إلى نهاية ترؤسه الحكومة 2021؟

ما هي الملامح السيكو استراتيجية التي شكلت الشخصية الخطابية لعبد الإله بنكيران؟

ما هي أهم آليات التعبير المجازي والخطاب المضمر التي وظفها بنكيران في مواجهة خصومه؟

ما هي السياقات والظروف والمراجعات التي ساهمت في تشكل حزب العدالة والتنمية؟

ما هي حدود العلاقة بين الديني و السياسي في النسق السياسي المغربي، و ما هي نقط التماس و نقط

التنافر و ما مدى مشروعية استعمال الأحزاب لخطاب ديني منافس لخطاب الدولة الديني و ما هي أهم أنواع

الخطاب الديني بالمغرب؟

هل يرتبط الخطاب السياسي الديني في المغرب بأنساق سياسية و فكرية أجنبية؟

من هم أبرز المتدخلين في عملية التواصل السياسي لحزب العدالة والتنمية و ما مدى تفاعل الإعلام و

الرأي العام مع تدخلات قادته؟

ما هي أبرز العناصر الفكرية و اللغوية المكونة للخطاب الديني في التواصل السياسي لحزب العدالة

والتنمية؟

ما هي أهم الآليات و القنوات التواصلية المستعملة لتوصيل رسائل سياسية من خلال الخطاب الديني و ما

هي تأثيراتها؟

ما مدى تأثير المصطلح و القاموس الديني على توجهات الرأي العام و على مختلف فئات المجتمع؟

ما هي أهم الرسائل التي يتضمنها الخطاب الديني للأحزاب السياسية؟

هل يوظف الخطاب الديني بشكل منتظم و ممنهج أم بشكل تلقائي و عشوائي في ظروف زمنية مختلفة؟
هل النصوص القانونية و التنظيمية، بما في ذلك قواعد تنظيم المجال الديني، كافية لتأطير استعمال الخطاب الديني في التنافس السياسي الحزبي و ما مدى نجاعتها؟
ماهي النتائج المترتبة عن توظيف العامل الديني في الحياة السياسية الحزبية و ما تأثيرها على النسق السياسي ككل؟

وما هي محددات تنامي وانتشار هذه التيارات الإسلامية رغم أزمة الفكر والممارسة التي حكمت مساره وتطوره؟

وما هي طبيعة التحولات التي أحدثها الحراك الشعبي خلال سنة 2011 على مسار الاسلاميين بالمغرب؟
ولماذا نجح الإطار الفكري للحركة الإسلامية، إبان الثورات في تعبئة الناخبين على حساب التيار العلماني المدني؟

وما هي تداعيات صعود الاسلاميين المغاربة عبر الآلية الانتخابية على التحول الديمقراطي من جهة وعلى النسق الاجتماعي والسياسي من جهة أخرى؟

ما هي مسببات وتداعيات الأزمة التي عاشها الحزب الاسلامي بعد "اعفاء" بنكيران وبعد التراجع في انتخابات 2021؟

ثامنا - الإطار النظري والمنهجي للأطروحة

لقد ظل البحث عن المنهج العلمي لفهم وتفسير الواقع سؤالاً مثيراً للجدل بين الفلاسفة، فانقسمت الآراء بين توجهات نظرية عدة، من أهمها المنهج الفيبري نسبة لماكس فيبر في استعمال التأويل⁵⁶ للفهم ومن تم بناء النموذج

56 حسام الدين فياض، نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر دراسة في علم الاجتماع التأويلي، المكتبة الإلكترونية: مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، <https://books-library.net/sitemap> الطبعة الأولى، 2018، ص: 2-10.

المثالي بناء على دراسة التجارب الذاتية، أو باعتماد منهج البراديغم لبناء جهاز مفاهيمي نظري يساعد على التفسير والتحليل من خلال انتاجات توماس كون⁵⁷ وقبله مدارس فحص معنى الحقيقة العلمية وقابليتها للدحض⁵⁸ refutability وفي أسبقية النظريات على الملاحظة والتجريب مع كارل بوبر⁵⁹. لقد جادل الفلاسفة في كيفية فهم الواقع وانقسموا إلى وضعانيين positivists وبنائيين constructivists، وهل "المعرفة العلمية للظواهر تنطلق من خلال الملاحظات التي من شأنها أن تكشف الحقيقة "كما هي"، وذلك بفضل أساليب التحقيق التي يتم التحكم فيها بعناية؟"⁶⁰، أم أن المعرفة العلمية تقتصر فقط على دراسة "تمثيلات الواقع"، والتي تعد المعطيات الوحيدة التي يمكن الوصول إليها؟ بمعنى آخر، "هل الواقع موجود كمعطى ليتم اكتشافه ووصفه، أم أنه نتاج نشاط المعرفة؟ بذلك يمكننا القول أنه ليست كل قراءات الواقع متساوية من حيث الوضوح الفكري، والقوة التحليلية، والقدرة على توضيح الظواهر التي يمكن ملاحظتها. إن تقييم صحة الخطاب العلمي يتم "أولاً وقبل كل شيء على أساس قدرته على "إظهار" المزيد (وهذا بالتأكيد ليس هو الحال مع جميع الأعمال التي وصفت بأنها علمية)؛ ويتم تقييمه أيضاً على أساس إمكانية التنبؤ بالمواقف والسلوك السياسي. ومن وجهة النظر المزدوجة هذه، "لا يمكن إنكار أن علم الاجتماع السياسي، خلال القرن الماضي، قد سجل إنجازات قيمة بفضل جمع البيانات الدقيقة بشكل لا يضاهي، و بفضل صياغة الاشكالات التي ضاعفت ونوعت مقاربات النظر؛ وأخيراً بفضل تحديد أفضل البناءات الأسطورية (méthologiques) للسياسة،

57 Patrick Juignet, "Les paradigmes scientifiques selon Thomas Kuhn", in Philosophie, Science et Société, publié le 6 mai 2015, Mis à jour le 4 mai 2023. Lien électronique:

<https://philosciences.com/vocabulaire/113-paradigme-scientifique-thomas-kuhn>

58 Thomas Lepeltier, "À propos de La Logique de la découverte scientifique, de Karl Popper", in Histoire et philosophie des sciences (2013), P: 152, Lien électronique :

<https://doi.org/10.3917/sh.lepel.2013.01.0152> et <https://www.cairn.info/histoire-et-philosophie-des-sciences--9782361060398-page-152.htm>

59 Ladrière Jean, "Karl Popper, Misère de l'historicisme", traduit de l'anglais par Hervé Rousseau, In Revue Philosophique de Louvain, Troisième série, tome 58, n°60, 1960, pp: 632-636. Lien électronique :

https://www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1960_num_58_60_5062_t1_0632_0000_1

60 Philippe Braud, Sociologie politique, LGDJ, Collection Manuel, Sous-collection Droit public, 15e édition, Paris, 2022, P: 42-47.

ومن بينها، الأساطير العلمية⁶¹. كما أن الفلاسفة يرون أن المعرفة ليست واحدة أي المعرفة العلمية فقط، وإنما هناك المعرفة الحدسية وهي المعرفة المباشرة التي تتحصل وتتلقى فيها الذات حيثيات الموضوع كما هو، وإذا أردنا الحديث بواسطة المصطلح الكانطي لقلنا أن الذات العارفة بوسعها الوصول إلى حقيقة " الأشياء في ذاتها" وذلك عن طريق معرفتها معرفة مباشرة عن طريق الحدس. وهو ما يعني تلك الرؤية الكلية المباشرة للمعاني العقلية المجردة، أو ما دعاه "إدموند هوسرل" (Edmund Husserl (1859 – 1938) بالقدرة على إدراك الماهيات، وبذلك فإن الحدس يعد نوعاً من المعرفة⁶².

وبالنظر إلى كون موضوع الدراسة: استعمال المتغير الديني في التواصل السياسي بالمغرب، دراسة حالة حزب العدالة والتنمية، يتناول واقعا اجتماعيا، حول متغير-الدين- متحول من وضعيات متعددة من التبعية للفاعل إلى الاستقلالية عنه إلى الحيادية أحيانا، فيحتاج الموضوع بذلك إلى ملاحظة وتفكير ووضع فرضيات واستدلال، فإننا اعتمدنا المنهج العلمي في شقه التجريبي الاستقرائي، مع عدم إغفال النشاط الاستنباطي ضمنه، باعتماد الملاحظة والافتراضات ثم التجريب⁶³ عن طريق الجهاز المفاهيمي والمنهجي المعتمد. ولاشك أن فعل الملاحظة المعدة أو المحضرة⁶⁴ بمعنى جمع المعطيات بشكل مسبق لتحليلها، في هذه الدراسة يشمل موضوعا بشريا وانسانيا وأن الدارس الذي يلاحظ هو أيضا بشري وانساني مما قد ينتج عنه الصعوبة في اختيار أدوات البحث والقياس مقارنة مع سهولة الاختيار في العلوم الدقيقة كعلوم الطبيعة والرياضيات مثلا، فالطبيعة لا تملك لغة بشرية للتحدث ولا "تكذب"، عكس الظاهرة الإنسانية الصعبة الإدراك مما يحتمل تنوع خيارات التفسير والتأويل⁶⁵. وبالنسبة للصياغة العلمية للأطروحة

61 Ibidem

62 فلاح عبد الزهره لازم الكعبي، (جامعة واسط كلية الآداب العراق)، المعرفة الحدسية بيناسكال وبرغسون دراسة تحليلية مقارنة، غي لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 18، 2015، الرابط الإلكتروني للدراسة:

[http://dx.doi.org/10.31185/lark.Vol".Iss18.698](http://dx.doi.org/10.31185/lark.Vol)

63 Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, collection Précis, Droit public science politique, Éditions Dalloz, Paris, 1996, P: 356-357.

64 Ibid, P: 358.

65 Ibid, P: 357.

ونقصد بها الأسلوب العلمي الذي تم من خلاله استقراء أو استنباط مجموعة من "الحقائق" والمعطيات، فإننا نستحضر، ما قلناه سابقاً، حول الإشكالية العلمية الشهيرة حول مدى دقة منطق العلوم الإنسانية مقارنة بالعلوم التطبيقية، وهي الإشكالية التي لم تحسم والتي كثرت حولها الآراء ابتداءً من "دافيد هوم" ومروراً بـ"كارل بوبر" و"توماس كيون" و"إيمري لاكوتاس" و"باول فايرآبيند"، والتي وصل القول في أقصى أطرافها بأن "دقة العلوم التطبيقية والإنسانية ما هي إلا وهم وأسطورة كبيرة وأنه ينبغي الخروج عن الإكراه العلمي في العلوم الإنسانية، ويقصدون به القيود المنهجية والعلمية"⁶⁶. ولقد كانت عدد من الدراسات الغربية تحديداً مفيدة جداً في اختيار واستلهام البراديغم المعتمد في هذه الدراسة، بحيث أن الجهاز النظري المركزي لهذه الأطروحة ومقارنته المنهجية الرئيسة هو جهاز استعمل في عدة دراسات متعلقة بتحليل وفهم خطاب عدد من القادة السياسيين في المغرب، ويبدو أن نتائجها كانت مهمة ومشجعة على تبني نفس المقاربات إلى حد ما لدراسة السياق المغربي.

ومن منطلق تبني فكرة اعتبار التفكير كوسيلة للبحث، من خلال ملاحظة الواقع الاجتماعي للموضوع⁶⁷. وعموماً هناك نظريات مهمة يمكن الاستناد عليها في وصف و تفسير طريقة استعمال حزب العدالة والتنمية وقياداته لشبكات التواصل الاجتماعي، ولتوجيه خطابهم السياسي، وبهذا اعتمدت هذه الأطروحة على ثلاث مداخل نظرية رئيسية :

أ- نظرية المجتمع الشبكي

من بين هذه النظريات نجد نظرية المجتمع الشبكي Networked Society theory للباحث الإسباني مانويل كاستيلاس⁶⁸ Manuel Castells. وترى هذه النظرية أن هناك علاقة تأثر بين التغييرات التي تحدث في المجال السياسي تتأثر بشدة بالتغيرات في البعد التكنولوجي، التبادل بين علاقات القوة ومجتمع الشبكة في البيئة السياسية

66 جاسم سلطان، قواعد في الممارسة السياسية، مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 2008، ص: 18.

67 Ibid.

68 Manuel, Castells, Communication Power, Oxford University Press, New York, USA, 2009, pp.67-131.

نتيجة التقدم التكنولوجي والرقمنة، وظهر ما يطلق عليه "الاتصال الجماهيري الذاتي"، وهو جزء من نظرية المجتمع الشبكي. ذلك أن التطورات التي تطرأ على الوسائل التواصلية تؤثر على محيطها وعلى الأشخاص الذين يستعملون وسائل التواصل. وتشير النظرية إلى أنه يمكن للفاعلين السياسيين تجاوز وسائل الإعلام السائدة، ومشاركة المواطنين المحتوى على منصاتهم الرقمية بسهولة، حيث يتمتعون بحرية أكبر في التعبير عن انتماءاتهم السياسية.

تتطلب هذه النظرية من كون وسائل الإعلام هي الرابط الأساسي بين الفاعلين السياسيين والمواطنين، وبالتالي أصبح الإعلام بحد ذاته فاعلاً سياسياً مهماً إلى حد كبير في هذا المجال. تؤكد نظرية المجتمع الشبكي⁶⁹ على قوة منصات التواصل الاجتماعي التي تنمو باستمرار مما يفرض تكيفاً مستمراً من قبل السياسيين مع هذه التغيرات والحفاظ على التواصل مع الجمهور، ليس فقط عبر الوسائل التقليدية، ولكن أيضاً عبر منصات التواصل الاجتماعي.

يرى كاستيلاس⁷⁰، أنه ينبغي أن يكون للسياسيين دور فعال في الإعلام، والتكيف مع تغيراته وتحولاته، فمع ظهور قنوات التواصل الاجتماعي أصبح لدى المستخدمين إمكانية التعبير عن أنفسهم بطرق إبداعية مختلفة، من خلال استخدام الرموز التعبيرية، أو مشاركة مقاطع الفيديو، أو الصور، أو المشاعر والعواطف، ونظراً لأن العديد من السياسيين يقومون بإنشاء حسابات شخصية على وسائل التواصل الاجتماعي، فإن ذلك يسمح لهم بالتواصل مع الجمهور بشكل أكثر استقلالية. فالسياسة في الزمن الحالي تحولت إلى سياسة إعلامية، لكون المعلومات والمعطيات توزع وتنتشر داخل وسائل الإعلام، وهذا لا يعني أن وسائل الإعلام هي صاحبة السلطة، بل هي أداة يستعملها الفاعلون السياسيون للتأثير على الجمهور النشط الذي لديه رأي في اختيار المعلومات التي يبحث عنها.⁷¹

69 Ibid.

70 Ari-Veikko Anttiroiko, "Castells' network concept and its connections to social economic and political network analyses", Journal of social structure vol, 16, n: 11, 2016, pp: 1-18. Published in:

<https://urlz.fr/mlus>

71 Manuel, Castells, "A Network Theory of Power" in International Journal of Communication", vol 5, 2011, pp:773-787. Published in: <https://urlz.fr/mlux>

ويصف كاستياس هذا الشكل الجديد للاتصال من خلال مجتمع الشبكة والتقنيات الجديدة، أي ما يسمى بالاتصال الجماهيري الذاتي self-mass communication ، بكونه ثورة في وسائل الإعلام، وله خصائص تشبه إلى حد كبير خصائص الاتصال الجماهيري، مؤكدا معطى مهم وهو أن معظم فئات المجتمع عند اتخاذ اختياراتها لا تتأثر بالخطاب العقلاني والمنطقي، ولكنها تتأثر باللحظة العاطفية لديها تجاه ما قدم لها من معطيات ومعلومات، مما يعطي لهذا النوع من التواصل القدرة على إنتاج كثيف ومتنوع من التدفقات الاتصالية وبالنتيجة قدرة على الوصول إلى جمهور أكبر⁷². وتؤكد نظرية مجتمع الشبكة أن الاتصال الجماهيري الذاتي أدى إلى ظهور استقلالية للأفراد مما شكل من منصات التواصل الاجتماعي شبكة من الفاعلين السياسيين، وغير السياسيين، الذين يستخدمون الاتصال الذاتي الجماهيري لإنتاج وتشكيل المعلومات لأهدافهم المحددة.

وتعتمد هذه النظرية على عدة عناصر ينبغي توفرها من أجل تحقيق اتصال فعال،⁷³ وهي:

1- الشبكة (the network): وتعني المنصة الإعلامية على الإنترنت، وتمثلها في حالة

حزب العدالة والتنمية شبكات التواصل الاجتماعي خصوصا فيسبوك ويوتيوب، باعتبارهما الشبكة

الأكثر استعمالا من قبل الفاعلين السياسيين، وغير السياسيين، والقاعدة الأساسية للتواصل

الجماهيري الذاتي.

2- الفاعل السياسي (Political actor): حيث الشبكة تتكون من فاعلين سياسيين

يستخدمون الاتصال الذاتي الجماهيري لإنتاج وتشكيل خطابهم سواء على حساباتهم الخاصة أو

حسابات تنظيماتهم السياسية.

72 Alina Nechita, "Mass self-communication", in Journal of Media Research, Vol 3, n: 14, 2012, pp: 29- 44.

Published in: <https://urlz.fr/mluF>

73 Kestas Kirtiklis, "Manuel Castells' theory of information society as media theory", Lingua posnaniensis,

Lix (1), 2017, pp:65-77. Published in: <https://urlz.fr/mluI>

3- الغرض أو الهدف (Purpose): ويكون من خلاله التركيز الأساسي على التواصل

مع الجماهير بغية إرسال رسائل وخطاب محدد.

4- الوصول (Access): وهو إتاحة المعلومات في الوقت الحقيقي والوقت الذي تم

اختياره، كنشر تدخلات وخرجات وتصريحات بنكيان بشكل مباشر في وقت قيامه بذلك.

5- المشاركة (Engagement): وتعني ضرورة وجود تفاعل من قبل المستخدمين أو

المتابعين أو مناضلي الحزب أو الخصوم مع الخطاب بأشكال مختلفة مثل إعادة تقاسم المحتوى

أو التعليق عليه.

وبذلك فإن هذه النظرية مناسبة للتعرف على صفات ومميزات خطاب وتواصل حزب العدالة والتنمية وتواصل

قياديه لاسيما أمنائه العامين.

ب- نظرية فعل الكلام Speech Acts Theory

لقد طور الفيلسوف الإنجليزي جون لانجشو أوستين Austin، نظرية "أفعال الكلام"، في الكتاب الذي جمعت

فيه سلسلة محاضراته سنة 1962 تحت عنوان "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" How To Do Things With

Words".

يرى أوستين أن لأفعال الكلام خلفية اجتماعية،⁷⁴ وهي ليست مجرد أقوال تتضمن بعض القيم كالصدق،

والكذب، بل يمكن للغة أن تكون لها وظيفة أداء، والتي يمكن استخدامها ليس فقط لوصف الواقع خارج اللغة، ولكن

أيضا لتغييره، فنظرية أفعال الكلام تنظر إلى المعنى في الكلام على أنه فعل إنجازي متحقق في الواقع. دافع أوستين

عن فكرة رئيسية وهي أن تحديد الفعل اللغوي (فعل الكلام)، الذي نوظف له بصورة انتظامية جملة معينة، هو الذي

74 Manuel Castells, Communication, Power and Counter-power in the Network Society, International Journal of Communication, vol,1, 2007, pp:238-266, published in: <https://urlz.fr/mluk>

يعطينا ويمنحنا معنى تلك الجملة⁷⁵، بمعنى أن الطرق التي تستخدم من خلالها الكلمات، تكون لتنفيذ إجراءات أو إنجاز نشاط ما وليس فقط لتقديم المعلومات.

وقد ميز أوستن بين ثلاث مستويات في الأفعال الكلامية وهي:

1- الفعل القولّي The Locutionary act، وهو عملية التلفظ بجملة ما مع شروط الإفادة.

2- الفعل الإنجازي The Illocutionary act، وهو الفعل الذي يراد به الحدث الذي يقصده المتكلم

بالجملة.

3- الفعل التأتيري The Perlocutionary act وهو التأثير الذي يوقعه الحدث اللساني في

المخاطب أو المتلقي.⁷⁶

ويعتبر أوستن الفعل الإنجازي هو الركيزة في الكلام وأهمها، حيث ركز عليه حتى أطلق البعض على النظرية

بأنها نظرية الفعل الإنجازي، وهو الفعل الذي يتصل بمراد المتكلم من وراء كلامه، فيفرض على السامع أن يبذل

مجهودا ذهنيا من أجل الوصول إليه، كما يفعل بنكيران عندما يتحدث عن التماسيح والقفاريات مثلا. وبذلك فإن

المتلفطات الذي ينطق بها الخطيب السياسي في هذه الحالة، لها مظهر دلالي مهم، بحيث تعد أفعالا وإنجازات لها

نتائج وانعكاسات ووقع على باقي الأنشطة التي نقوم بها، وبذلك فإن اللغة ليست مجرد أداة للأخبار والوصف، بل

وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله، وأن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فحسب، بل إنجاز حدث

اجتماعي في آن واحد. وتساعد هذه النظرية على تفسير ما يقوله المتكلم من جمل في حين هو يعني شيئا آخر، في

كيفية إسهام اللغة في التغيير، في تغيير الأفكار والمواقف والتصورات وحتى الاختيارات.

75 طاوسي قاسمي، ترجمة أفعال الكلام من الإنجليزية إلى العربية في الخطاب السياسي دراسة تحليلية، رسالة لنيل الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر2، 2006 ص 8-11.

76 Bayan Robin Natsheh, Social Media as a Tool of Persuasion in Political marketing: Analyzing the discourse of Trump's Tweets during his Presidential Campaign, thesis to obtain the Degree of Master of Applied Linguistics and the Teaching of English, College of Graduate Studies, Hebron University, Palestine, 2019, pp. 6-15. Published in: <https://urlz.fr/mluS>

وبذلك فإن استقادة هذه الأطروحة من هذه النظرية لأفعال الكلام كانت مهمة في تحديد السلوك اللغوي لخطاب قادة حزب العدالة والتنمية وتحديد الأمين العام عبد الإله بنكيران، والكشف عن الخصائص الخطابية المتعلقة بتصريحاته وخطبه، وفي كيفية توظيفه لأفعال الكلام لتحقيق أغراض إنجازية، لاسيما من خلال الأنماط الأساسية التي استعملها ضد خصومه، كفعل الإهانة Insulting، الذي يعد عملا كلاميا يعبر من خلاله بنكيران على رأيه السلبي تجاه الخصم بطريقة تبدو "غير لائقة"، فهو يتعمدها بهدف إذلاله وإيذائه أمام الجماهير.

ت - نظرية الديمقراطية التداولية Deliberative Democracy theory

تهدف نظرية الديمقراطية التداولية للوصول إلى قرارات ديمقراطية من خلال قوة الجدل عبر عملية متبادلة للنقاشات العقلانية كوسيلة لمعالجة قضايا معينة. ويرى أنصار هذه النظرية أمثال John Rawls و Habermas، أن المداولات هي أفضل طريقة متبادلة لاتخاذ القرارات، بكونها طريقة تنتج شرعية صناعة القرار السياسي من خلال مشاركة المواطنين والنقاش العمومي.⁷⁷

تفترض هذه النظرية ضرورة وجود خطاب ثنائي الاتجاه بين السياسيين وناخبهم بهدف التبادل الحر للأفكار، ولتعزيز النقاش، ولتشجيع الخطاب الصادق والمتوازن ومن تم البحث عن الحلول، الشيء الذي يقتضي وجود خصائص معينة مثل المنطق، واستخدام الأدلة والحجج العقلانية في الخطاب.⁷⁸

ويعد "جوزيف إم بيسيت" Joseph M. Bessette⁷⁹ هو أول من استعمل مصطلح الديمقراطية التداولية سنة 1980، ووضع التصور النظري في كتابه "صوت العقل اللطيف: الديمقراطية التداولية والحكومة القومية

77 Nader Hanna, Deborah Richards, "Speech Act Theory as an Evaluation Tool for Human-Agent Communication", in Algorithms, vol, 12, issue: 4, 2019, pp.1-17. Published in: <https://urlz.fr/mluW>

78 Dzema Spago, "Insults Speak Louder than Words: Donald Trump's Tweets through the Lens of the Speech Act of Insulting", in Journal of Language and Literary Studies, 2019, pp:139 -159,68. Published in: <https://urlz.fr/mlv1>

79 Paromita Pain et Gina Masullo Chen, The President Is in: Public Opinion and the Presidential Use of Twitter, 2019, pp.1-12, published in <https://doi.org/10.1177/2056305119855143>

الأمريكية" عام 1994. تدور الأطروحة الأساسية للنظرية وراء النموذج التداولي الأولي للديمقراطية هو أن عملية التداول بشكل متكافئ للأراء، يمكنها أن تحقق القرار الصحيح، والحقيقة ستكون هي المنتج النهائي، غير أن هناك من أنصار النظرية من يرى أن عملية التداول من خلال الاتصالات عبر الحاسوب قد تمنع من تفاعل مباشر وجها لوجه وقد تخلق نوعا من عدم التكافؤ في فرص إبداء الرأي والمشاركة في صناعة القرار.

تفسر هذه النظرية العملية السياسية على أنها عملية يعمل فيها السياسيون مع مواطنيهم للتوصل إلى استنتاجات قابلة للمشاركة، تعكس الأسباب المقدمة في العملية التداولية، ويتفق الغالبية من المنظرين على أن المداولات تشمل بعض أشكال "الحديث العام"، التي تسهم في الرأي العام، لذلك أصبح هناك استعمال متزايد لوسائل التواصل الاجتماعي باعتبارها شكلا من أشكال هذا الحديث العام⁸⁰. وبالنظر إلى أن بنكيران وعدد من قيادات حزب العدالة والتنمية، يستخدمون منصات التواصل الاجتماعي خلال الحملات الانتخابية، وإلى الآن، فإن هذه النظرية تشكل إطارا مفاهيميا لفهم الخطابات المتأصلة في تواصل الحزب وقيادته، ومدى احترامها لمنطق الحوار والنقاش العمومي من أجل الوصول إلى حلول ونتائج للمشاكل العمومية.

ت - مقارنة التحليل النقدي للخطاب

اعتمدت هذه الأطروحة على مقارنة تحليل الخطاب النقدي Critical Discourse Analysis، من خلال النموذج المعرفي Socio-cognitive Model لـ تيون فان ديك⁸¹ Teun Van Dijk's، حيث يرى هذا النموذج أن اللغة هي الوسيلة الكفيلة بتطويع الخطاب ليصير ممارسة سلطوية سياسية، تتضمن الهيمنة عبر الاختيارات اللغوية

80 Piotr W.Juchacz (2020). Deliberative Law-Making: A Case Study of the Process Of Enacting of a 'Constitution of the Third Sector' in the Polish Sejm International Journal for the Semiotics of Law vol.33.no.3 pp.77-100.

81 Paul Smith, (2018), An Analysis of the Relevance of Deliberative Democracy. Agonistic Pluralism and Pluralist Group Theory in Explaining Twitter Activity During the Scottish Independence Referendum 2014, degree of Doctor of Philosophy the Robert Gordon University, pp.33-36. Publié sur: <https://rgu-repository.worktribe.com/output/348473>

المقصودة. ويتكون هذا النموذج من ثلاث عناصر وهي: التحليل الاجتماعي المعني بفحص السياق، ثم تحليل الخطاب المعني بالنص نفسه، والتحليل المعرفي، الذي يعطي أهمية للبعد الأيديولوجي في الخطاب والذي يجعل المتحدث، قيادة حزب العدالة والتنمية في هذه الحالة، يرسمون عن حزبهم وعن شخصياتهم تمثلاً إيجابياً لذواتهم في حين يرسمون الآخر رسماً سلبياً، فيصير حزب العدالة والتنمية ينظر إلى المشهد السياسي بـ "أنا والآخر".

ظهر التحليل النقدي للخطاب منذ تسعينيات القرن العشرين كتوجه جديد، في تحليل الخطاب في الأوساط الأكاديمية في أوروبا الغربية. ومع نهاية القرن كان يمثل أحد أكثر توجهات تحليل الخطاب استقطاباً للباحثين. ويقدم نورمان فايركلوف تفصيلاً أكبر لأهداف التحليل النقدي للخطاب، وفي مقدّمة كتابه التأسيسي "اللغة والسلطة" الصادر في 1989، يحدّد أهداف الكتاب في هدفين: الأول هو المساعدة في تصحيح التبخيس الشائع لأهمية اللغة في إنتاج علاقات السلطة وترسيخها. أمّا الثاني فهو المساعدة في زيادة الوعي بالكيفية التي تسهم بها اللغة في إنجاز هيمنة بعض البشر على بعض، لأن الوعي هو الخطوة الأولى نحو التحرر. هذا الوعي يُمكن من مساعدة البشر على إدراك المدى الذي تعتمد فيه لغتهم الخاصة على المسلّمات الشائعة، والطرائق التي يمكن لعلاقات السلطة أن تشكل بواسطتها هذه المسلّمات الشائعة. ويرى فايركلوف أنّ الوعي الذي يحقّقه الاطلاع على نماذج من استخدام اللغة أداة للقهر والهيمنة يمكن أن يكون حافزاً على المقاومة والتغيير. ويتحقّق الوعي عن طريق التحليل النقدي للظواهر اللغوية والسيميوطيقية للخطاب، مثل المفردات والنحو والعلاقات النصية واللون والصورة⁸² وغيرها.

يعتبر التحليل النقدي للخطاب فرعاً من تحليل الخطاب ومن بين اهتماماته تسليط الضوء على وجود معنى ثقافي وايديولوجي في الخطاب، فيما يتعلق باستخدام اللغة وإعادة إنتاج القوة والهيمنة والمقاومة في المجتمع من خلال

82 عماد عبد اللطيف، "من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي"، مجلة ثقافات، مجلة علمية تصدرها كلية الآداب بجامعة البحرين 2009، ص: 69-70

الخطاب واللغة. ويعتبر التحليل النقدي للخطاب أسلوباً تحليلياً لكشف الإيديولوجيات الخفية في الخطاب⁸³، يسعى لإبراز العلاقة الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع. وتهدف هذه المقاربة المنهجية على وصف الممارسة النصية، وإبراز السلطة في الخطاب، من خلال تفكيك البنى اللغوية للنصوص وشبكات علاقاتها اللسانية الداخلية، وتحليل عناصر السياق والعلاقات التفاعلية بين المشاركين، لتحديد الذوات والمواقع والمراجع الأيديولوجية؛ ثم كشف السلطة المتخفية خلف الاختيارات اللغوية على الصعيد الاجتماعي، بمعنى آخر أن التحليل النقدي للخطاب يسعى لدراسة الاستعمال اللغوي "المخادع" الذي يخدم الأيديولوجيات، ومن تم الهيمنة على مناطق القرار في البنى الذهنية لدى الفئات المستهدفة، وليس الاقتصار على تحليل المضمون فقط. ويقوم المربع الإيديولوجي أو المربع المفاهيمي لدى فان دايك على أربعة مبادئ تمكن التحليل الإيديولوجي من التعبير عن المواقف الإيديولوجية المختلفة في الخطاب وهي:

- التأكيد على الأمور الإيجابية التي تتعلق بنا.

- التأكيد على الأمور السلبية المتعلقة بهم.

- إزالة التركيز على الأمور السلبية التي تتعلق بنا.

- إزالة التركيز على الأمور الإيجابية المتعلقة بهم.

تلعب هذه التحركات الأربع دوراً بالغ الأهمية في استراتيجية سياقية أوسع نطاقاً تتمثل في العرض الذاتي الإيجابي والعرض السلبي للآخر. ويناقش العرض الذاتي تحرك الفرد كعضو في مجموعة، في حين يعبر بقوة عن مفاهيم إيديولوجية متعددة، فلا شيء إيجابي يوحيه مصطلح "هم" بل هو دائماً يحمل إيحاءات سلبية، في حين أن مصطلح "نحن" يشير دائماً لإيحاءات إيجابية⁸⁴.

83 نزيهة وهابي، أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي، مجلة جسور المعرفة، المجلد 6، عدد 4، دجنبر

2020، جامعة البليدة، الجزائر، ص: 65 إلى 77.

84 Van Dijk's, T. A, Ideology and Discourse: A multidisciplinary Introduction, Universidad Pompeu Fabra, Barcelona:2000, Pp 8-16.

ينتمي التحليل النقدي للخطاب إلى العلوم النقدية التي أشار إليها يورغن هابرماس، والتي تأتي في الترتيب الثالث بعد العلوم الطبيعية والعلوم التأويلية، وهي علوم نتجت عن اهتمامات معرفية مشتركة بين البشر. يقول عماد عبد اللطيف أن "الاهتمام الأول تقنيّ فنيّ يتمثل في معرفة البيئة المحيطة وفي السيطرة عليها والتحكّم فيها، وقد أدى هذا الاهتمام إلى قيام العلوم الطبيعية. والاهتمام الثاني عمليّ يتمثل في قدرة كلّ منّا على فهم الآخرين، وعلى العمل المشترك والتعاون في مناشط الحياة، وهذا هو الاهتمام المسؤول عن قيام العلوم التأويلية. أمّا الاهتمام الثالث فهو اهتمام تحرّري ينطوي على الرغبة في تخليص أنفسنا من كلّ ما يعمل على تشويه عمليّات الاتصال والفهم، وهو الاهتمام المسؤول عن قيام العلوم النقدية"⁸⁵. وتتنظر مدرسة التحليل النقدي للخطاب، إلى مصطلح الخطاب كشكل "من أشكال الممارسة الاجتماعية، تُستخدم فيه اللغة بنوعها المقروء والمكتوب، حيث تتولّد علاقة جدلية بين حدث خطابي معيّن من ناحية، والمواقف والمؤسسات والهياكل الاجتماعية التي تعدّ إطاراً له من ناحية أخرى، وحيث يتشكل الحدث الخطابي من خلالها ويسهم أيضاً في تشكيلها"⁸⁶.

وقد ازدهر التحليل النقدي للخطاب السياسي العربي في السنوات العشر الأخيرة، من خلال كم الدراسات التي تعالج العلاقة بين الخطاب والسلطة في العالم العربي، وبعضها ركز "على مساءلة كيف يعزز الخطاب العربي اللامساواة الاجتماعية والهيمنة في محاولة للكشف عن تقنيات التلاعب والخداع"⁸⁷. وعلى سبيل المثال، "عالجت ميشيل دن Dunne الخطاب السياسي المصري حول الديمقراطية، وكشفت عن أن هذا الخطاب يفعل عادة أشياء أخرى بخلاف ما يقول"، كما أن عماد عبد اللطيف درس خطابات الربيع العربي، مستكشفاً كيف تلاعبت الخطابات السياسية بالجمهور أثناء الربيع العربي. يرى عماد عبد اللطيف أن "كل الدراسات التي تناقش العلاقة بين الخطاب

85 عماد عبد اللطيف، "بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن power and role of the

intellectual منشورات قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب جامعة القاهرة، 2006 ص: 32.

86 بسمّة عبد العزيز، سطوة النص، خطاب الأزهر وأزمة الحكم، دار صفاة للنشر والتوزيع والدراسات، مصر، الطبعة الأولى، 2016، ص: 42.

87 عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة، السلطة، المقاومة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، 2020،

ص: 46-47.

والسلطة، وتُعد بتعريف الخطاب السلطوية استنادا إلى تحليلات نصية، على أنها تنتمي إلى التحليل النقدي للخطاب، حتى وإن لم تستخدم لافتته، أو توظف أدوات تحليله. وذلك لأن التحليل النقدي للخطاب . في أحد أبعاده إنما هو منظور ومقاربة نقدية للخطاب، ذات منطلقات لسانية⁸⁸.

ج- الأدوات المنهجية للدراسة

تندرج هذه الدراسة ضمن إطار الدراسات الوصفية التفسيرية، حيث تنطلق من الوصف ثم تتجاوزه إلى محاولة وضع تصور تحليلي كفي نقدي لخطاب وتواصل حزب العدالة والتنمية، من خلال أبرز قياديه عبد الإله بنكيران لاسيما خلال فترتي قيادة الحزب للحكومة وتصدره المشهد السياسي. فهي أطروحة تهتم أساسا بالوصف الشامل والتحليل المتعمق للوثائق التي يتم تحليلها، لكي نتمكن من توضيح عدد من الأفكار والعناصر اللغوية الخطابية، وما يتوارى فيها من معان ودلالات، باعتبار أن هذه الأطروحة تركز على الأفكار والمعاني وليس على الوصف الكمي. اعتمدت الدراسة على منهج المسح الشامل في شقه الكيفي Qualitative research model، باعتباره منهجا يتسق وأهدافها، بما يتيح من إمكانيات رصد وتحليل خطاب وتواصل قيادة حزب العدالة والتنمية وتحديدًا في شخص عبد الإله بنكيران بشكل رئيسي وبعض القيادات الأخرى بشكل ثانوي، كسعد الدين العثماني، أحمد الريسوني، محمد يتيم وغيرهم.

استعانت الأطروحة بأداة تحليل الخطاب الكيفي، بما تسمح به من الكشف عن الخصائص العامة لخطابات عبد الإله بنكيران تحديدا، ومن تم استخراج الأطروحات المركزية لخطابه، وتحديد القوى الفاعلة والأدوار المنسوبة إليها من وجهة نظر الخطاب، والاستراتيجيات التي تم توظيفها في دعم خطابه، مع تحليل لبعض الأبعاد السيكو استراتيجية التي تؤثر في إنتاج خطاب عبد الإله بنكيران واستراتيجيته اللغوية.

كما أن موضوع الأطروحة يتوافق مع استعمالات مناسبة لعدة مناهج علمية، وهي منهج دراسة الحالة الذي يمكن من جمع مجموعة من المعطيات والمعلومات وفق عينة مدروسة، بغية الدراسة الدقيقة لكافة الجوانب التي ترتبط بالظاهرة موضوع الأطروحة، بهدف دراسة الموقف بشكل كلي لخطاب حزب العدالة والتنمية، من خلال التركيز على الجزئيات والتفاصيل الخطابية والتواصلية، ومن ثم معالجتها ودراسة العلاقات بينها مما قد يساعد على التوصل إلى وضع تفسيرات وإلى إنتاج معرفة بما يقع ويحدث في المشهد السياسي الكلي بالمغرب.

كما أننا سنستعمل المنهج الوظيفي، الذي أغنى علم الاجتماع، لكونه منهجا لا يتميز بالتعقيد أو بالشكليات التقنية والضبطية الكثيرة. تتناول هذه الدراسة الوظيفة بكونها مفهوما يساهم في فهم علاقات السببية، جاء من الرياضيات وتم تطويره في البيولوجيا ثم انتقل إلى علم الاجتماع وارتبط بالمسارات الحيوية والعضوية داخل النسق الاجتماعي بغاية فهم عناصر إبقاء البنية أو العضو الاجتماعي. ومن منظور مالفينوسكي أو من خلال تلامذته منهم ميرتن، فإننا نعلم على هذا المنهج للقيام بالملاحظات الضرورية ثم لتفسير وفهم الارتباط بين عوامل مستقلة داخل النسق وعلاقاتها بالمجتمع ككل. ويميز مرتون بين الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة، ويرى أن هناك بعض العناصر الاجتماعية كالدين مثلا قد يكون لها وظائف مهمة بالنسبة لمجموعات أو فئات من المجتمع دون فئات أخرى تنتمي لنفس المجتمع، واعتبر أن التقاليد والعادات عوامل لها وظائف معينة وحيوية⁸⁹.

كما أن المنهج البنوي مناسب لهذه الدراسة كمنهج يساعد على فهم الظواهر الاجتماعية، وعلى فهم نسق العلاقات داخل النظام السياسي وعلى فهم البنية الحزبية من خلال إبراز قدرات الفاعلين على التحول والضبط الذاتي داخل نسق شامل. يعتبر المنهج البنوي البنية كبناء، دراسته تحدد نمط العلاقات داخلها وقد تتطابق الوظيفة مع

البنية. فالبنية هي ثابت نسبي وهي تخلق توازن غير مستقر بين القوى المتصارعة، المتحركة والمتغيرة تحت رقابة بنيات أخرى، وهكذا تنتج البنية بناءات وإعادة بناءات مستمرة⁹⁰.

وقد استعملنا أيضا في هذه الأطروحة، منهج التحليل النسقي، لاسيما من منظور دافيد اسيتون، المتميز بفهم وتفسير الدينامية داخل بيئة متنوعة، بغية فهم عناصر الحفاظ على استقرار الأنساق السياسية ضمن سياق التغيير والتحول. أو من خلال تصور تالكوت بارسونز في توجهه الوظيفي البنيوي، من منطلق الحفاظ على التوازن، في تفسيره للنظام الاجتماعي، الذي يضم النسق الاجتماعي والنسق الثقافي، المتميزين عن بعضهما والمرتبطين في نفس الوقت بواسطة مفهوم المأسسة، أي بتحويل العناصر الثقافية كالقيم والدين والرموز وغيرها، إلى معايير وقواعد عمل أو سلوك اجتماعي. فيسعى هذا المنهج إلى إنتاج نموذج أو إطار نظري لتحليل النسق السوسيو ثقافي وتحديد التشابهات والاختلافات بين مختلف الأنساق. وهو منهج يعتبر أن مفهوم الدور هو أحد أهم عناصر البنية، إلى جانب الجماعات أو المجموعات والمعايير والقيم. ينظر هذا المنهج إلى الوظيفة كمفهوم دينامي تعطي للنسق الاجتماعي القدرة على رد الفعل أمام أي اختلالات أو فقدان توازن قد يتعرض لها النسق الاجتماعي. ويحدد بارسونز أربع وظائف أساسية مرتبطة بالقيم والقواعد وهي وظيفة الاستقرار المعياري، وظيفة الإدماج لترتيب وتنسيق عناصر النسق، ثم وظائف مرتبطة بالواقع وهي وظيفة تتبع الأهداف والغايات، ثم وظيفة التأقلم والتكيف. وبذلك فإن هذه المناهج تتناسب كثيرا موضوع هذه الدراسة وتعطيها تنوعا منهجيا يسهم في خلق التكامل في التفسير والفهم⁹¹.

تاسعا - فرضية الأطروحة

تقوم هذه الدراسة بالاشتغال على فرضية واحدة محورية وهي:

90 Ibid. P: 382-392.

91 Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, op, cité. P: 394-396.

عودة قادة حزب العدالة والتنمية إلى التوظيف السياسي للخطاب الديني الأخلاقي و لرموزه ولشخصياته الأجنبية و لقاموسه اللغوي، منذ فترة الربيع العربي، يفترض أنه توظيف مناقض لمخرجات المراجعات الفكرية التي أعلنها سابقا، وأن هذا الاستعمال المفرط للغة الدينية والأخلاقية في خطاب وتواصل حزب العدالة والتنمية، يهدف إلى ممارسة لغة ايديولوجية سلطوية و إلى السيطرة والهيمنة على المجتمع تخفي أهداف خطابية مضرة لمنافسة مؤسسات الدولة في التمثيل الديني.

عاشرا - عينة الدراسة

يمثل مجال الأطروحة التصريحات والخطب التي ألقاها الأمين العام لحزب العدالة والتنمية عبد الإله بنكيران وبعض القياديين والمتاحة في حسابات الحزب وقياديه على منصات التواصل الاجتماعي فيسبوك ويوتيوب التي أصبحت منصات أكثر شعبية وأكثر استعمالا وملاءمة لدى الجماهير المغربية مقارنة مع تويتر، الذي يستعمل بكثرة في الفضاءات الأجنبية الأنجلوساكسونية، فتحولت إلى فضاءات لنشر أفكار وخطابات وعقائد القادة السياسيين بسبب طبيعتها المفتوحة للنقاش العام وللمشاركة المدنية، ثم الموقع الرسمي للحزب pjd.ma، وهي تشكل مصدرا للمعلومات والأخبار حول أنشطة الحزب.

تمثلت عينة الأطروحة على المواد المصورة المتوفرة على حسابات الحزب الرسمية تحديدا على منصة يوتيوب، وعلى التصريحات والمخرجات الإعلامية سواء تلك التي كانت خلال فترات الحملات الانتخابية أو خلال أنشطة حزبية كبرى كالمؤتمرات والملتقيات الكبيرة مع عموم المغاربة أو مع المنتسبين للحزب أو في حوارات صحفية أو تصريحات لوسائل الاعلام بمناسبة لقاء سياسي معين، مع الاعتماد على وحدة الجملة في التحليل. و تناولت الأطروحة بالدراسة والتحليل على عينة من تصريحات قيادة حزب العدالة والتنمية، من خلال لقاءات وخطب الأمين العام للحزب عبد الإله بنكيران. وقد جاء هذا الاختيار بناء على كون عبد الإله بنكيران شكل "ظاهرة" خطابية تواصلية سياسية بعمق إسلامي. تثير تصريحاته وخطبه جدلا واسعا في المغرب ومتابعة إعلامية كبيرة. كما أنه شخصية ترأست الحكومة المغربية،

وقادت الحزب في تصدين انتخابيين مهمين، لاسيما في الانتخابات التشريعية لسنة 2011 ثم في سنة 2016. إلى جانب ذلك يتميز بنكيران بكونه كان فاعلا خطابيا خلال موجة احتجاجات الربيع العربي سنة 2011، وهو من القيادات الإسلامية المؤسسة للحزب وللمشاركة السياسية الشرعية والعلنية. وهو يعد أيضا أحد قدماء جمعية الشبيبة الإسلامية الذين قاموا بمراجعات فكرية تمهيدا للاندماج في الحياة السياسية. وبذلك وإنما بتبني تقنية المسح الشامل لتصريحاته وخطبه، فإننا عالجنا بالقراءة والتحليل جميع خطبه ولقاءاته الجماهيرية المنشورة على قناة الحزب الرسمية⁹² في منصة يوتيوب منذ سنة 2011 إلى متم شهر نهاية سنة 2022، وهي كالاتي:

- المهرجانات الجهوية لحزب العدالة والتنمية لسنة 2022 وتضم 43 فيديو على الرابط:

<https://youtube.com/playlist?list=PL7SIB2F0mCrP5WdIS5zTgvwmdJNLL6vKU>

- مهرجانات عبد الإله بنكيران وتضم 7 فيديوهات على الرابط:

<https://youtube.com/playlist?list=PL7SIB2F0mCrOJsWG5LJafcuUD4vBS2XN5>

- الجلسات الشهرية لمساءلة رئيس الحكومة عبد الإله بنكيران وهددها 60 فيديو على الرابط:

<https://youtube.com/playlist?list=PLdqF6n3Cy02BY0-e8FNBnHh0erC7nlkZ0>

- كلمات ولقاءات مختلفة لبنكيران سواء لقاءات صحفية أو مع قناة الحزب وعددها 51 فيديو على

الرابط:

<https://youtube.com/playlist?list=PLdqF6n3Cy02BDlvnYSNb4Od7cB3k?DGZp>

- المهرجانات الانتخابية خلال حملة انتخابات 2016 وهي 7 فيديوهات على الرابط:

<https://youtube.com/playlist?list=PL7SIB2F0mCrM7i-oFXJn9JYyIZPn91rjT>

92 انظر رابط القناة على منصة يوتيوب على الرابط: <https://youtube.com/@PjdTv>

من بين هذه الفيديوهات، هناك 19 فيديو تم بثه بشكل مباشر أثناء لقاءات ألقى فيها بنكيران خطبا أو أعطى تصريحات.

وتجدر الإشارة إلى أن معاينة والاطلاع على هذه الفيديوهات من خلال روابطها، وأيضا الاطلاع على جميع الروابط الالكترونية المعتمدة كمصادر في هذه الأطروحة، فقد تم على مراحل متنوعة حسب حاجيات البحث، غير أننا قمنا بالاطلاع عليها مجددا بغية التدقيق والتحقق، وذلك خلال الأسبوع الأول من شهر شتنبر 2023، أي قبيل إيداع الأطروحة لدى مركز الدكتوراه بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكادال بالرباط بغرض مناقشتها.

وفي إطار محاولة إيجاد وبلورة إجابات للأسئلة المرتبطة بإشكالية البحث ودراسة الأزمة الداخلية الحالية، التي يعيشها هذا الحزب الاسلامي نتيجة الاحتقان الشديد الموجود بفعل تراشق وتبادل الاتهامات "بالخيانة"، وتصريف الاختلاف والصراع خارج هياكل المؤسسة الحزبية سواء بين قيادات الصف الأول أو بين قيادات الصف الثاني، فإننا قسمنا هذه الدراسة إلى قسمين اثنين. القسم الاول، سيخصص لسياقات المشاركة السياسية للإسلاميين المغاربة وإرهاصات الأولى، وذلك من خلال استحضار مسار النشأة والتطور والتحويلات التي عرفها هذا الحزب منذ مشاركته في العمل السياسي من داخل المؤسسات، والتعرض كذلك لأهم المحطات الاساسية التي عاشها، من خلال فصلين الأول يتناول العوامل الطبيعية للنشأة، وفي الفصل الثاني ناقشنا العوامل غير الطبيعية لتطوره في المشهد السياسي بالمغرب. أما القسم الثاني فناقشنا فيه تواصل حزب العدالة والتنمية باعتباره تواصل سياسي بنفس إسلامي، من خلال فصلين. الأول تناولنا فيه دراسة التواصل السياسي للحزب كوسيلة للتعبير عن الهوية من خلال تقاطعات الثقافي بالخطابي، وفي الفصل الثاني درسنا فيه الفعل التواصلي لحزب العدالة والتنمية كفعل تواصلي سياسي مؤثر ذو نزعة إقصائية مضمرة.

القسم الأول

حزب العدالة والتنمية فاعل سياسي جديد بمرجعية تقليدية

تواصل بمكون إسلامي في بنية مغربية تقليدية

من الملاحظات الأساسية التي أثارها عدد من الباحثين في الحياة السياسية المغربية، وتحديدًا في موضوع الأحزاب السياسية، هو وجود محطات مفصلية في مسار نشأة وتطور هذه الأحزاب لاسيما منذ استقلال المغرب سنة 1956. ومن أبرز الملاحظات التي يمكن للباحث في العلوم السياسية أن يرصدها بشأن تطور البنيات والتنظيمات والأفعال السياسية الصادرة في تفاعل الأحزاب مع جهاز الدولة ومع المجتمع المغربيين، هي ما يمكن وصفه بالتأثيرات الأيدلوجية الأجنبية على الفاعل الحزبي على مستوى تحديد رؤيته للدولة ولعناصر خطابه وماهية وجوده ككل. فإذا كانت المرحلة الأولى غداة استقلال المغرب تميزت باستهلاك واضح من قبل النخب السياسية الحضرية، للتوجهات اليسارية الاشتراكية والشيوعية، التي شكلت حينها مع توسع القطب الشرقي بزعامة الاتحاد السوفيتي، نماذج نظرية مثلى لدى عدد من الفئات المغربية المتعلمة، لممارسة السياسة وإنتاج شعارات جماهيرية كبرى و خطاب يفسر ويحلل الواقع ويستهدف إدارة الدولة، فإن سقوط وانهيار هذا النسق الفكري والاقتصادي والعسكري اليساري مع أواخر الثمانينات من القرن الماضي، كان له ارتدادات فكرية وسياسية فتحت المجال أمام فاعلين سياسيين شرعيين جدد، بميول إسلامية لممارسة إنتاج السياسة والسلطة، بمنظور مختلف عن باقي الفاعلين التقليديين. وعندما نتأمل في واقع التيارات الإسلامية سواء داخل الدولة الواحدة أو داخل نفس الفضاء العربي، نلاحظ حجم "الخلافات"، بين هذه التيارات كما هو الشأن بين حركة التوحيد والإصلاح وجماعة العدل والإحسان في المغرب ومع غيرها من التيارات. وفي باب الخلافات هاته وكمثال على نوعيتها، قال فريد الأنصاري أن الخلفية الأيديولوجية لجماعة العدل والإحسان احتوت على فهم غلط لموقع السياسة من الدين وهو ما يسميه التضخم السياسي، منتقداً بذلك كلام وأطروحة مؤسس الجماعة عبد السلام ياسين. بل إن الأنصاري ذهب بعيداً في انتقاد المنتسبين لهذه الجماعة ووصف طلبتها في الجامعات بأنهم تركوا الجامعة المغربية بتاريخ "ثقي وسجل أسود"، وأن ذلك كان سبباً في انطلاق "موجة الفجور السياسي والانحلال الخلفي" نتيجة عكسية لما كان يمارسه باسم الدين في الجامعة⁹³. كما انتقد الأنصاري بشكل ضمني "رؤى" عبد السلام

93 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، منشورات رسالة القرآن، 2007، ص:52.

ياسين في مسألة رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، موضحا وجود شروط لاعتبارها، ومعلقا عليها بكون عدم سلوك الحركات الإسلامية طريقة العلم الشرعي الصحيح لصناعة القيادات العلمية أحدث فراغا سعى البعض لملائه "بالرؤى المنامية"⁹⁴. وانتقد أيضا أحمد الريسوني وهو أحد أبرز قادة حركة التوحيد والإصلاح وأول رئيس منتخب للحركة سنة 1996، جماعة العدل والإحسان في حوار مع قناة الجزيرة القطرية⁹⁵، بعدما مجد تياره الإسلامي، حيث قال: "أن أهم ما يميز الحركة هو اندفاعها للانفتاح على كل مكونات المجتمع والبلد، وجميع القوى الفاعلة فيها، للتفاعل وللتفاهم أكثر وللتأثير، حيث لا تخفي الحركة أنها تريد أن يكون لها تأثير على الأحزاب، وعلى الثقافة السياسية، والمسائل الفكرية، مضيفا: "أن هذا الانفتاح على المجتمع يبدو غائبا في جماعة العدل والإحسان التي تعتمد العمل التربوي الداخلي المركزي".

وبذلك وبسبب كثرة هذه الخلافات التي قد تؤدي أحيانا إلى مواجهات بين تيارات تدعي الانتماء إلى نفس المرجعية الإسلامية، فإنه قد يجوز لنا استعارة عنوان كتاب علي شريعتي⁹⁶ لنقول أننا أصبحنا نعيش معارك "دين ضد الدين"، لكل تيار إسلامي مفهومه الخاص عن الدين، حتى كادت بعض المشايخ الإسلامية أن تكفر بعضها البعض. تميزت هذه الخلافات بتنوعها وتضادها أحيانا على مستوى قراءات التراث والمرجعية الدينية وأيضا على مستوى اختيارات طرق ممارسة العمل الدعوي أو السياسي، ما بين العلنية والسرية، وما بين رفض الأنظمة السياسية وما بين الرغبة في المشاركة وما بين التطابق مع وجهات نظر الأنظمة وأيضا على مستوى النظر الفقهي ما بين سلفية وهابية وسلفية مغربية وغيرها من الأمور، الشيء الذي يعطي انطباعا، بتحول هذه التنظيمات إلى شبه "طوائف"⁹⁷ دينية، وإلى

94 نفس المرجع السابق، ص: 63-70.

95 أحمد الريسوني، مقابلة على قناة الجزيرة القطرية بتاريخ 15/06/1999، برنامج "ضيف وقضية"، عنوان الحلقة: "ظروف نشأة الحركات الإسلامية في المغرب"، رابط البرنامج: <http://www.aljazeera.net/programs>

96 شريعتي علي، دين ضد الدين، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 2007، رابط الكتاب: <https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%B6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-pdf>

97 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجا، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2015، ص: 164-161.

روابط "عشائرية متشابكة"⁹⁸، يتشارك داخلها المنتسبون إليها نفس الإمكانيات وإغلاق باب الولوج إليها أمام التنظيمات الأخرى رغم ادعاء الانتماء لنفس المرجعية الإسلامية.

لقد عاشت هذه التيارات الإسلامية مراحل ولادة وتطور ومراحل كمون وفترات ظهور ومواجهات، منذ سقوط الخلافة الإسلامية وتحول تركيا نحو نظام مدني علماني. ولعل هذه الولادة المأزومة في سياق أزمة تميز بنهاية الدولة الإسلامية وبتوسع الاستعمارات الغربية للمنطقة العربية تحديداً، قد يكون المحدد الجيني المهم في مسار عمل هذه التنظيمات وفي مسار مشاركتها السياسية وفي طرق اشتباكها مع باقي الفاعلين، الذي اتسم بنوع من الشدة والعنف في محطات كثيرة.

ومنذ تلك المرحلة التي أحدثها مصطفى كمال أتاتورك في العالمين الإسلامي والعربي بعلمنة الدولة التركية، ارتفعت الأصوات المتدينة المحافظة للدعوة للعودة إلى تراث السلف وإلى قواعد وأصول الإسلام. وقد تميزت هذه الحقبة من تاريخ مخاض فكرة التنظيم الإسلامي الحركي، بسجلات فكرية في المنطقة العربية وفي مصر بشكل بارز، فكان كتاب علي عبد الرزاق حول أصول الحكم في الإسلام⁹⁹ الذي تبنى بشكل واضح نظرية فصل الديني عن الدولة وعن السياسة، كان أحد أهم حلقات الصراع النظري بين تيار يدعو إلى العودة إلى السلف وإلى المرجعية الإسلامية وتيار يدعو إلى التحرر من وصاية الدين على الحياة العامة.

وعلى هذا الأساس السجالي الديني، لاحظ الباحثون كيف تموّعت الشخصيات ذات التكوين الديني التقليدي المحافظ، في تنظيمات أخذت في التوسع والانتشار منذ عشرينيات القرن الماضي، بهرمية تنظيمية صارمة، تزامنت مع اشتباك نظري وسياسي آخر، مع التيارات التقدمية الاشتراكية والشيوعية. هذه الفترة تزامنت مع إنشاء الاتحاد السوفييتي الشيوعي ومع انتشار الأيدولوجية الماركسية اللينينية في العالمين العربي والإسلامي، مما أدخل التيارات الإسلامية في

98 نفس المرجع السابق.

99 محمد عمارة، الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق دراسة ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت،

2000، ص: 43-7.

صراعات طويلة الأمد، تميزت بنوع من العنف، في مواجهة التيارات اليسارية أو في مواجهة الأنظمة الحاكمة. ولم يكن المغرب مستثنى من هذه المواجهات بين جهاز الدولة وبين هذه التوجهات السياسية اليسارية والإسلامية فيما بينها. سارت هذه المواجهات في المغرب منذ أواسط السبعينيات مع استرجاع الأقاليم الجنوبية من الاستعمار الإسباني، نحو بداية عهد توافقي تدريجي كان واضحا في أهدافه السياسية، وهي بالأساس خلق الإجماع الداخلي وادماج الفاعلين السياسيين، يساريين أو إسلاميين في النظام السياسي، وخلق توافق بينهم وبين جهاز الدولة المغربية، مما أفضى بعد عقود من الزمن إلى فتح الباب أمام المشاركة السياسية التديرية لهم في صيغة توافقات مرحلية ارتبطت سواء بوجود أزمت اقتصادية، كحالة ادماج اليسار في حكومة التناوب أواخر التسعينيات من القرن الماضي، أو مرتبطة بأزمات سياسية كبرى كأزمة الاحتجاجات على الأنظمة السياسية فيما سمي بالربيع العربي مع مطلع العشرية الثانية من الألفية الثانية، وهي حالة فتح الباب للحزب الإسلامي حزب العدالة والتنمية، وما سيستتبع ذلك من مواجهات مع باقي الفاعلين السياسيين.

ويبدو من خلال التطورات المتلاحقة، أن جهاز الدولة وجوهر السلطة، لم تكن لها النية في نهج مسار استئصالي راديكالي، سواء ضد اليساريين أو الإسلاميين، كما حدث في أنظمة عربية كثيرة، وإنما أصبح جليا أن استراتيجية الدولة كانت تهدف إلى محاولة "إنضاج" هؤلاء الفاعلين من منظور الدولة، وإلى اختبار مستويات الفعل السياسي والاجتماعي لديهم في مواجهة الدولة، لاسيما أن ميزة اللجوء إلى العنف كانت سمة عدد منها في المغرب في الفضاء العربي. ويجمع الباحثون على أن هذا الإدماج في المشاركة السياسية لتدبير شؤون الدولة، جاء في سياق أجبر الدولة على القيام به نظرا للانتشار الاجتماعي والاعلامي الذي حققته المرجعيات الإسلامية منذ التسعينيات، وجاء في إطار توافقات حول حدود الممارسة السياسية، وحول حجم التواجد بعد ظهور تعبيرات عن مراجعات فكرية وسلوكية دينية، مما انتهى بالموافقة على تأسيس حزب سياسي إسلامي، بشكل متدرج منذ أواخر التسعينيات.

في هذا القسم سنناقش عوامل نشأة وتطور حزب العدالة والتنمية في أفق المشاركة السياسية الشرعية، من خلال فصلين. في الفصل الأول سنتناول العوامل الطبيعية التي ساهمت في نشأة حزب العدالة والتنمية بمناقشة عناصر البيئة الدينية والمكونات التاريخية للدولة المغربية ذات الطابع المسلم وكذلك عناصر البيئة السياسية بوصف عام للأحزاب والنخب السياسية المغربية، ثم في فصل ثاني نتناول فيه العوامل غير الطبيعية لتطور حزب العدالة والتنمية، ونقصد بذلك العقد الفكرية التي واجهها التنظيم الإسلامي في إطار مراجعتها من أجل الاندماج في الحياة السياسية، باعتبارها مرجعيات فكرية غير مغربية في غالبيتها الأعم وتعتبر عقبة أمام أي توافقات وطنية. كذلك نناقش الصعوبات المرتبطة بعملية الانتقال من العمل السري إلى العمل العلني الشرعي وكذلك صعوبة الانتقال من فكر وتنظيم الجماعة إلى سياق تنظيمي حزبي يوظفه القانون والعرف بالمغرب.

الفصل الأول

حزب العدالة والتنمية

العوامل الطبيعية للنشأة

تميز المجال السياسي المغربي منذ الاستقلال عن الاستعمار الأوروبي، بوجود دينامية حزبية مرتبطة بحجم التجاذبات النظرية والسياسية، وأيضاً بحجم قوة الصراعات والاستقطابات الأيدلوجية، التي أفرزت ظهور تنظيمات حزبية حازت على صك الشرعية من الدولة. وتكاد تكون هناك قاعدة اجتماعية "راسخة"، متعلقة بكون الجماهير عموماً تستهويها التيارات السياسية الجديدة وتثير انتباهها، لاسيما إذا بنت هذه التيارات خطابها على نوع من النقد تجاه الدولة وتجاه باقي الفاعلين، بأفق يبدو واعداً على مستوى حريات وحقوق المواطنين، أو على مستوى إدارة الدولة وإنتاج تنمية يستفيد منها الجميع.

وبما أن سياق التسعينيات ارتبط بشكل وثيق، بانهيار منظومة الدولة الشيوعية، فكان حتماً أن تصير الطريق معبدة، أمام ظهور مكثف للتيارات الإسلامية بشكل مثير للاهتمام، من خلال رفع وتيرتها و نشاطها الاجتماعي أو من خلال وسائل الإعلام بسبب الانتشار الكبير للقنوات التلفزية الفضائية في المنطقة العربية خلال تلك الفترة.

تميزت هذه المرحلة بالنسبة للمغرب، بانفتاح مشهود للدولة على مستويات نظر لتنظيم علاقة الدولة بالمجتمع، الذي أصبح أكثر انفتاحاً على التجارب الأجنبية مع العولمة ومع الانفتاح الإعلامي الكبير، خصوصاً على مستوى حقوق الإنسان أو على مستوى التفكير في فتح مسارات تنموية جديدة بفاعلين جدد، من خلال استقطاب أحزاب المعارضة آنذاك على رأسها الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب الاستقلال وحزب التقدم والاشتراكية، لممارسة تناوب حكومي توافقي خلال الانتخابات التشريعية لسنة 1997، بعد تعديل دستوري لبي بعض مطالب المعارضة. سنناقش ونحلل من خلال هذا الفصل الأول المتعلق بدراسة العوامل الطبيعية لنشأة وتطور حزب العدالة والتنمية، باعتبارها عوامل وفرقتها البيئة السياسية المغربية وهي تشكل ذلك التراكم من مؤسسات أنشئت عبر تاريخ بعيد، أو تلك القواعد السياسية التي فرضتها طبيعة المؤسسات المغربية، والتي كلها عوامل لاشك ساهمت في توجيه مسار التيار الإسلامي المعني للولوج إلى العمل السياسي الشرعي. سنتناول عناصر البيئة العامة التي هيأت لولادة ونشأة حزب العدالة والتنمية (مبحث أول)، ثم بعد ذلك سنتناول بعض المفاهيم النظرية التي يمكن أن نقارب من خلالها العملية

السياسية في المغرب، من خلال إبراز إطار عمل الأداة الحزبية وتمثلها لأدوارها في الحياة السياسية المغربية (مبحث ثاني).

مبحث أول: عناصر بيئة نشأة حزب العدالة والتنمية

شكلت الانتخابات التشريعية المغربية بتاريخ 14 نوفمبر 1997، منعرجا فاصلا في تنويع مسار دمج جزء من التيارات الإسلامية المغربية في دائرة الفعل داخل النظام السياسي للمملكة. ويمكن أن نقول أن هذا الإدماج كان ثمرة توافق بين قيادة التيار الإسلامي المعني، وبين سلطة الدولة، بعدما توجه هذا التيار بطلب تأسيس حزب سياسي سيصير فيما بعد حزب العدالة والتنمية، ومن تم بداية مرحلة العمل السياسي الشرعي بدخول مجال المنافسة السياسية عبر الانتخابات، بناء على القواعد المعيارية، الدستورية والقانونية والتنظيمية والعرفية، لممارسة العمل الحزبي والسياسي بالمغرب. تجسد هذا التوجه الاندماجي في العمل السياسي الشرعي في أول خطوة عن طريق الانتماء العضوي إلى حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية لمؤسسه عبد الكريم الخطيب.

غير أن بؤادر نشأة حزب العدالة والتنمية جاءت في سياق اجتماعي وسياسي معين، تؤطره مجموعة من السوابق التاريخية والاجتماعية والسياسية، متعلقة أساسا بعناصر البيئة الدينية بالمغرب التي مهدت لظهور فكرة العمل الإسلامي (الفقرة الأولى)، وأهم مميزات السلطة في المغرب في ارتباطها بالعامل الديني (الفقرة الثانية)، ثم مناقشة بعض قواعد العمل السياسي التي ترسخ بعضها في الممارسة بشكل ملحوظ (الفقرة الثالثة).

الفقرة الأولى: البيئة الدينية كعامل طبيعي للنشأة

أكد كلود بلازولي¹⁰⁰ Palazzoli في إحدى مقدماته الشهيرة عن النظام المغربي، أن فهم المغرب السياسي يقتضي العودة إلى التاريخ، وإلى الإطار الذي تتم فيه اللعبة السياسية، لأن المغرب من دول العالم الثالث التي لم

100 Palazzoli, Claude, Le Maroc politique De l'indépendance à 1973, la bibliothèque Arabe Sindbab, Paris, 1974, pp:19-48

يحدث قطيعة بين الماضي والحاضر...". والملاحظ أن هذا التمازج على صعيد الممارسة السياسية للحكم قد تمثل في مرجعته الدينية التاريخية المدعمة للمشروعية الملكية، وإلى تحييد القوى السياسية الحديثة المنافسة وتأكيد مركزية الملكية في اتخاذ القرارات المرتبطة ببلورة السياسة الأمنية، بالإضافة إلى الهيكل التقليدي لأجهزة المخزن¹⁰¹.

ويربط محمد ضريف¹⁰² بين الإسلام والملكية في صناعة الأمة المغربية، منذ مجيء الأدارسة للمغرب، حيث انصهرت الثقافة العربية والأمازيغية لتشكيل الشخصية المغربية، موحدة حول النظام الملكي وحول المذهب المالكي السني. ولقد أولت الدولة المغربية اهتماما كبيرا للدين وجعلت منه أحد أهم العناصر المكونة للدولة. ويمكن القول أن الدين ظل يحكم نظرة حكام المغرب في علاقاتهم سواء داخليا مع الجهات والزوايا والعلماء والأفراد، أو في علاقاتهم الخارجية مع القوى الدولية ومع دول العالم بشكل عام. وإلى جانب الإسلام تعتبر الهوية العربية كجزء من الشخصية المغربية، حاضرة في المغرب كبديهية¹⁰³ ولا تثير تناقضات حادة كما تثيرها مسألة توظيف الدين في السياسة.

وهناك من المؤرخين من يقول أن المغرب أسس دولة إسلامية مستقلة عن الشرق الإسلامي، منذ مرحلة المرابطين، حتى أصبح البعض يتحدثون عن دولة المغرب الإسلامي مقابل دولة المشرق الإسلامي، فخلقت وشائج تاريخية وبشرية ودينية تستمر إلى الآن مع دول أبعد عن حدود المغرب، كالنيجر ونيجيريا، إفريقيا الوسطى، وبوركينا فاسو وجنوب السودان وتشاد مثلا¹⁰⁴. ولقد شكل الإسلام حسب المؤرخين عنصرا بارزا في تشكل الفكرة الإمبراطورية المغربية، سواء في زمن المرابطين الذين انتصروا للعقيدة في شبه الجزيرة الإيبيرية، أو في زمن الموحدين الذين كانت لهم نظرة متشددة للدين خارجة على إطار المذهب المالكي، والذين هم بدورهم حاولوا توحيد شمال إفريقيا تحت رايتهم ومحاربة النصارى في أوروبا أو في المشاركة في الحروب الصليبية إلى جانب صلاح الدين الأيوبي. ثم من بعدهم

101 كريم الدكالي، التأطير القانوني للحكومة الأمنية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي، جامعة محمد الخامس بالرباط، 2022، ص: 14

102 محمد ضريف، الإسلام السياسي في المغرب: مقاربة وثائقية، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى، 1992، ص: 15

103 عبد الله حمودي، الحداثة والهوية، سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين واللغة، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2015، ص: 89.

104 عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي المغربي، 2012، ص: 61.

المريونيون أو الوطاسيون الذين حافظوا على مكانة الإسلام في جمع شمل المغاربة وتوحيد صفوفهم، ثم بعدهم السعديون والعلويون الذين أعادوا تأسيس الدولة الوطنية المغربية على أساس ديني، خصوصا أنهم يمتلكون شرعية النسب الشريف. لقد ساهمت دولة المغرب الإسلامي في نشر الإسلام في غرب ووسط إفريقيا بشكل كبير مقارنة مع شرقها المطل والقريب من شبه الجزيرة العربية أرض بعثة رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام، مما يؤكد الدور الكبير الذي قام به سلاطين المغرب في نشر الإسلام في إفريقيا لازالت آثاره قائمة إلى الآن¹⁰⁵.

وقد قال الملك الراحل الحسن الثاني معبرا عن تشبث نظام الحكم بالإسلام ديننا ومصدر قيم: "تريد مغربا في أخلاقه وتصرفاته جسدا واحدا موحدا، وتجمعه اللغة والدين ووحدة المذهب، فديننا القرآن والإسلام، لغتنا لغة القرآن ومذهبنا مذهب الإمام مالك، ولم يقدم أجدادنا رحمة الله عليهم على التشبث بمذهب واحد عبثا أو رغبة في انتحال المذهب المالكي، بل اعتبروا أن وحدة المذهب كذلك من مكونات وحدة الأسرة"¹⁰⁶، مما يؤكد أن الدولة كانت حريصة على تدبير وتنظيم وتأهيل الحقل الديني بعد أن عانت السياسة العمومية في المجال الديني من اختلالات وتفرقة، وبعض الفوضى في هذا المجال لسنوات طويلة قبل وأثناء الاستعمار الأجنبي للمغرب، ولم تكن الوظيفة الدينية للملك منظمة بشكل كاف أو مدسكرة، إلى حدود إنشاء وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنة 1961 وعلى رأسها علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال¹⁰⁷، وأهم الأعلام المغربية المحافظة. بعد ذلك صدر دستور 1962 الذي نص على أن الملك أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين.

أولا - الرجوع للتاريخ كوسيلة لفهم سيرورة تشكل بنية الدولة المغربية وعلاقتها بالدين

شكل تصدر حزب العدالة والتنمية في الانتخابات التشريعية لسنة 2011، ثم تشكيل حكومة برئاسة عبد الإله بنكيران أمين عام الحزب و أحد أبرز القياديين المنتمين إلى التيار الإسلامي، تحولا نوعيا إن على مستوى التواصل

105 دانييل ريفيه، مرجع سابق.

106 خطاب الملك الحسن الثاني أمام مجلس النواب، أكتوبر 1970.

107 انظر رسالة علال الفاسي إلى العاهل المغربي الحسن الثاني في دجنبر 1961، نشرت في الجريدة الرسمية للمملكة بالظهير المحدث

لوزارة الشؤون الإسلامية، 2566 دجنبر 1961، ص 3338.

السياسي الحزبي و آلياته و أدواته التقنية و التسويقية، أو على مستوى نوعية الخطاب المستعمل من خلال إدخال جرعات غير مسبقة من القاموس الديني الإسلامي للحياة العامة، ذلك أنه لم يسبق أن استعمل القاموس الإسلامي الحركي من قبل أعضاء الحكومة في المؤسسات الرسمية للدولة بهذا الشكل، و لم يسبق أن تم الحرص على توظيف اللغة الدينية الوعظية في التواصل الرسمي للمسؤول الحكومي، الشيء الذي كان حكرا على رئيس الدولة في حدود معينة، الملك باعتباره أمير المؤمنين في خطبه الرسمية أو في توجيهاته من حين لآخر و التي كانت تتضمن جرعات دينية مدعمة بنصوص القرآن أو التراث الإسلامي بصفة عامة. ومن الملاحظات التي رصدناها في خطابات ما بعد فوز حزب العدالة والتنمية، أن عددا كبيرا من أعضائه والمنتسبين إليه كانوا يميلون إلى الاعتقاد بأن المغرب ولد من جديد بعد انتصارهم السياسي، بل إن الدولة تأسست من جديد في سنة 2011، وأصبح عدد منهم يصر في خطابه في كل مناسبة على ضرورة تنزيل وتفعيل دستور 2011، مذكرين بسياقه الاجتماعي الاحتجاجي، ومتجاهلين التراكم العرفي والسياسي للمملكة عبر التاريخ من خلال محطات قوتها وتوسعها وذكائها في تدبير التناقضات الداخلية والدولية، مما يجعلنا بحاجة إلى التذكير ببعض فصول تاريخ المغرب المهمة، باعتبار أن العودة إلى التاريخ مهمة جدا ليس من أجل الوصف أو صنع حكايات القوة والنجاح وإنما من أجل فهم مسار التاريخ المغربي واستخلاص الدروس في التعامل مع السلطة في المغرب ومن أجل فهم قدرات الدولة المغربية التاريخية على استيعاب كل التيارات والتوجهات بدون إلحاق الضرر بالاستقرار أو بشكل النظام السياسي. ولأن استدعاء التاريخ يكون أحيانا فاصلا في فهم الواقع وتفسيره فإننا نذكر ببعض المحطات التاريخية التي صنعت الدولة المغربية التي سميت في زمن ما بدولة الغرب الإسلامي المستقلة تقابلها دول الشرق الإسلامي.

أ- في أهمية استدعاء التاريخ

لقد لاحظ الجميع ذلك الاستدعاء المثير للانتباه الدال والهادف للتاريخ¹⁰⁸ في الحرب الحالية بين روسيا وأوكرانيا¹⁰⁹. استدعاء لافت ظهر جليا في التصريحات والتصريحات المضادة من قبل قياديي المعسكرين. بوتين¹¹⁰ ولافروف¹¹¹ وزير خارجية روسيا استعانا بشكل ملحوظ بعدد من القراءات للتاريخ¹¹² الحديث، عندما تناولا مسألة الصراع في أوروبا متحدثين عن فترة نابوليون ثم هتلر.

هناك كتاب للمؤرخ البريطاني ألان جون تايلر، عنوانه "الصراع من أجل السيادة على أوروبا"¹¹³ كترجمة لكتابه بالإنجليزية "the struggle for the mastery in Europe"، صدر سنة 1954، والذي يتحدث فيه عن الصراعات خلال القرن 19 إلى انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1918، بين الإمبراطوريات الأوروبية، الروسية، الفرنسية، البريطانية، العثمانية، وباقي الدول العظمى في أوروبا، التي كانت تحكمها عائلات ملكية كبرى، تنافست من أجل فرض السيطرة على أوروبا باعتبارها مركزا للعالم حينها.

تميز المؤرخ تايلور بمراجعات وقراءات تاريخية نوعية ومختلفة عن عدد من القراءات السائدة في الغرب، فهو يعتبر الحرب العالمية الثانية، ناتجة عن مؤامرة إجرامية بريطانية بولونية، لإيقاف جنوح هتلر نحو السيطرة على أوروبا اقتصاديا وسياسيا، ومن تم السيطرة على جزء من العالم. ويرى أيضا أن هتلر كان قائدا عاديا صنع مجدا صناعيا

108 الصراع على رواية التاريخ أم الأرض؟.. مؤرخ يناقش مغالطات الرواية الروسية تجاه أوكرانيا، موقع الجزيرة نت، الرابط: <https://urlz.fr/mN6f>

109 ما هي "متلازمة نابليون" التي اتهم الغرب بوتين بها بعد حرب أوكرانيا؟ مقال على موقع عربي بوسط على الرابط: <https://urlz.fr/mN66>

110 أصدر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أمرا بإدراج تاريخ الأديان ضمن برامج الجامعات، انظر الرابط: <https://urlz.fr/mN63>
111 انظر تصريحات وزير الخارجية الروسي لافروف التي جاء فيها لافروف دعوته وزير الدفاع الألماني إلى التعلم من دروس التاريخ قبل حديثه عن هزيمة روسيا، بتاريخ: 16 يناير 2023، انظر الرابط: <https://urlz.fr/mN62>

112 Jeffrey Mankoff, "Russia's War in Ukraine: Identity, History, and Conflict", in The Center for Strategic and International Studies (CSIS), 22 April, 2022, link: <https://www.csis.org/analysis/russias-war-ukraine-identity-history-and-conflict>

113 أ. ج. ب. تايلور، الصراع على سيادة أوروبا 1918 – 1848، ترجمة فاضل جنكر، الطبعة الأولى، كلمة أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2009

لألمانيا في زمن قياسي، بعد زمن الفقر والجوع الناتج عن الحرب العالمية الأولى، ولم يكن ينوي الدخول في الحرب حينها، إلا أنها فرضت عليه لإيقاف زحفه. وينظر تايلر إلى شخصية هتلر بكونها ليست إلا تعبيراً عن فكر جرمانى كان سائداً في الفكر الشعبي والقومي الألماني وفي أفكار المثقفين الألمان.

عند قراءة كتاب تايلر عن الصراع من أجل الهيمنة على أوروبا، قد يبدو لأول وهلة وكأن الكاتب يتحدث عن صراعات الزمن الحالي على مستوى المفاهيم والتوصيفات وأساليب تدبير الصراع. وقد يخرج القارئ بخلصة مهمة، وهي أن ما يحدث اليوم في أوروبا، هو نفسه ما كان سائداً خلال تلك الحقبة، من نفس الأطراف ولنفس الأهداف والمصالح، مما يجعل التاريخ حياً لم يمض، يعيد إنتاج نفسه بشكل جديد. ربما لأن ذاكرة أوروبا تورث خلاصات التاريخ للسياسيين كعقائد محددة لتدبيرهم السياسي¹¹⁴.

وعندما نحاول استدعاء بعض فصول تاريخ المغرب، كما سنرى في الفقرات الموالية، فإننا لنبرز أن المملكة صنعت توقعاً عالمياً وعمقاً في القارة الأفريقية انطلاقاً من نشر الدين المغربي ومن خلال ممارسة التجارة مع الشعوب الإفريقية بمنطق رابح منذ زمن بعيد. تميزت العلاقات التجارية هاته بوجود مضمون قيمي إنساني منبعه الدين المغربي. ويمكن القول أن ما تفعله الدولة المغربية اليوم من إعادة لتأسيس صلات الربط مع العمق القاري، إنما هو نتاج ممارسة مغربية تمتد لقرون طويلة، وليست وليدة الزمن الحالي. لذلك فإن بعض الإسلاميين المغاربة ربما لا يفهمون جيداً هذا البعد التاريخي، فيلجؤون إلى مشايخ مشرقيين ربما ظننا بأنهم يملكون التفسير الصحيح للدين، في حين أن المغرب نشر الدين الإسلامي في أجزاء واسعة من القارة الأفريقية لاسيما في وسطها وغربها، والشواهد كثيرة على ذلك في دول غرب أفريقيا. وقد كان من الممكن أن تطور هذه التنظيمات الإسلامية أفكار الدين المغربي الذي عرف اشعاعاً في القارة نظراً لاعتداله ووسطيته، لتفادي الاصطدامات والقراءات المشرقية غير المنسجمة مع بيئة

التصوف المغربي، وكان من المفترض أن تفهم أن التدين لم ينشأ مع هذه الحركات الإسلامية بل هو مغروس في الشخصية المغربية منذ مئات السنين.

ب- المرابطون والموحدون وتشكل المشروع الإمبراطوري على أطروحة دينية

حسب المؤرخين فإن تاريخ المغرب الوسيط، يمنح القارئ والمهتم نظرة مهمة من حيث حجم التواجد المغربي في قلب السياسات الداخلية والخارجية، لعدد من القوى العظمى التي تصارعت من أجل التسيد على العالم. يقول المؤرخون¹¹⁵ أنه مع الأدارسة وتحديدا مع إدريس الأكبر الذي لم تدم إمارته سوى خمس سنوات، تم تطهير المغرب من بدع الخوارج وتم إنشاء أول مملكة سنية على المذهب المالكي ووضع لبنات مؤسسة إمارة المؤمنين. بعد ذلك مع المرابطين والموحدين تشكلت الفكرة والزمن الإمبراطوري¹¹⁶ للدولة المغربية، في الفترة الممتدة من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلاديين، فانتشر الإسلام في غرب أفريقيا ووسطها بشكل ملحوظ وربما أكثر من شرقها المطل على شبه الجزيرة العربية مهد الرسالة المحمدية ومنطلق دولة المشرق الإسلامي. تفاعل المرابطون مع قضايا الدين والتمدين بشكل ملحوظ، واندفعوا لنصرة هذه القضايا، لاسيما في شبه الجزيرة الإيبيرية. وقد تمكنوا من تحقيق توازن دولي جديد حينها في المنطقة. لقد شهدت هذه الفترة، نهضة إسلامية حقيقية لشعب أمازيغي شمال افريقي، مما ساهم في تلاقح ثقافي وعمراني فريد جمع بين الخيال والإبداع والسواعد الأمازيغية وبين الثقافة الغربية في التنظيم والعمران. ما قام به "السياسي" والعسكري المرابطي المغربي في الانتصار للدين وللتدين المغربي المالكي الصوفي المعتدل، شكل نموذجا ترسخ فيما بعد في قيم تدبير الدولة المغربية¹¹⁷.

115 ليلي أبو زيد، ممالك المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2023، ص: 38-44
116 دانييل ريفيه، تاريخ المغرب من مولاي إدريس إلى محمد السادس، ترجمة أحمد ابن الصديق، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2022، ص: 97
117 نفس المرجع السابق .

ولم يتخلف الموحدون¹¹⁸ بعد المرابطين، عن السير على نفس النهج فيما يتعلق بنصرة قضايا مفهوم الأمة الإسلامية، ويمكننا القول أن ما يميز فترتي حكم هاتين الامبراطوريتين الناشئتين هو غياب التوجه الدبلوماسية الدولي الذي سيظهر فيما بعد، ويبدو أن السمة الأساسية التي سيطرت عليهما هي المواجهة المباشرة الميدانية مع الخصوم في الخارج لصيانة الدولة والتدين الإسلامي من وجهة نظرهم المذهبية، وربما ذلك بسبب حجم الثقة في النفس وفي القوة العسكرية حينها.

ويقول المؤرخون أنه عندما كان أسطول صلاح الدين الأيوبي مهددا من قبل الأساطيل الصليبية المتفوقة عدة عتادا، وكان صلاح الدين قد وصله علم بقوة الأسطول المغربي الموحد، وعلم بما حققه هذا الأسطول من فتوحات في الغرب الإسلامي، بعث إلى السلطان يعقوب المنصور سنة 1190 ميلادية، يطلب إعانتة بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس الشام. وقد عرف عن الموحدين إنشاء الأساطيل منذ عهد السلطان عبد المؤمن بن علي. يقول المؤرخون أن عدد "قطعها وصل إلى 400 قطعة بحرية كانت موزعة بين أهم موانئ مملكته، فكان منها بالأندلس ثانون وبشالي المغرب مائة وفي المهديّة مائة وعشرون وفي إفريقية والجزائر مائة"¹¹⁹. وكانت الترسانات تعرف بدور الصنعة، ومن ضمنها دار الصنعة بقصر مصمودة وكان يصنع بها المراكب والحراريق المعدة للنقل إلى الأندلس، ودار الصنعة بالحبلات قرب وادي فاس وكان يصنع بها القوارب وصغار المراكب. وكان أمراء البحر يتلقون تدريبا خاصا في شؤون التجديف وقيادة السفن قبل أن يعهد إليهم بمهمة القيادة، حتى صار أسطول الموحدين اعظم أسطول في البحر المتوسط¹²⁰.

118 دانييل ريفيه، نفس المرجع السابق، ص: 114

119 محمد الصديق الحافظي، الرباط في القدس توثيق لما تفرق بين الرحلات المغربية عن قيم القدس وفضائلها، منشورات وكالة بيت مال القدس الشريف، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2023، ص: 21-25

120 عبد العزيز بنعبد الله، القدس تاريخيا وفكريا، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، مارس 1981، ص: 17.

وقد جاء في وصية صلاح الدين للأmir ابن منقذ عندما اختاره ليكون رئيس بعثته إلى السلطان المغربي¹²¹:
"تستخير الله سبحانه، وتتوجه كيفما يسر الله إلى الجهة الإسلامية المغربية، حرس الله جانبها، ونصر كتائبها ومراكبها، وتستقري في الطريق وفي البلاد من أخبار القوم في أحوالهم وآدابهم وأخلاقهم وأفعالهم، وما يحبونه من القول من نزرة أو جمعة، ومن اللقاء منبسطة أو منقبضة، ومن القعود بمجالسهم مخففة أو مطولة، ومن التحيات المتهاديات بينهم ما صيغتها وما موقعها، وهل هي السنن الدينية أو العوائد الملوكية؟. ولا تلقه (يقصد السلطان يعقوب المنصور الموحد) إلا بما يحبه، ولا تخاطبه إلا بما يسره، والكتاب قد نفذ إليه ولم يختم لتعلم ما خوطب به. والمقصود أن تقص القصص عليه من أول وصولنا إلى مصر.. وما جرى لنا مع الفرنج من الغزوات المتقدمة.. وما أعقبها من كسرتنا لهم الكسرة الكبرى، وفتح البيت المقدس، وتلك على الإسلام منة الله العظمى، وإلى غير ذلك من أخذ الثغور، وافتتاح البلاد، وإثخان القتل فيهم والأسر لهم، واستتجاد بقيتهم لفرنج المغرب، وخروج نجداتهم وكثرتها وقوتها.. وتذكر ما دخل الثغر من أساطيلنا ثلاث مرات، واختراقها مراكبهم وهي الأكثر، ودخولها بالميرة بحكم السيف الأطهر، وأن أمر العدو ذلك قد تطاول.."¹²²

ومما جاء في رسالة صلاح الدين الأيوبي إلى السلطان الموحد المنصور الذهبي التي تلقاها في مدينه فاس:
"الحمد لله الذي استعمل على الملة الحنيفية من استعمر الأرض، وأغنى من أهلها من سألته القرض، وأجرى على يده النافلة والقرض، وزين سماء الذراري التي بعضها من بعض، أما بعد فإن الغرب مستودع الأنوار وكنز دینار الشمس، ومصب أنهار النهار، ومن جانبه يأتي سكون الليل.. استصرخ الكفار بالكفار فأجابوهم رجالا وفرسانا وشيئا وشبانا وزرافات ووحداناً، وبراً وبحراً ومركباً وظهراً ومنهم ملك الألمان الذي خرج في جموع ملأت الفجاج.. ورباً وصل بهم إلى عكا في البحر تهيباً أن يسلك البر.. ولما كانت حضرة سلطان الإسلام وقائد المجاهدين إلى دار السلام أولى من توجه إليه الإسلام بشكواه وبثه، واستعان به على حماية نسله وحرثه.. كان المتوقع من تلك الدولة العالية والعزمية

121 محمد الصديق الحافظي، الرباط في القدس...، مرجع سابق.

122 نفس المرجع السابق.

الغادية مع القدرة الوافية والهمة الهادية أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملاًها عليهم جواري كالأعلام.. وشواني كأنها الليالي مقلعة بالأيام.. تطلع علينا معشر الإسلام آمالاً وتطلع على الكفار آجالاً.. وقد سير لحسن مجلسه الأطهر ومحله الأنور الأمير الأصيل سفير الملوك والسلاطين أبو الحزم عبد الرحمان بن منقذ كتب الله سلامته..¹²³.

وتبين صيغة وأسلوب الرسالة مقام المبعوث إليه وهو سلطان المغرب أمير المؤمنين أبو يوسف يعقوب المنصور، كما تطلعنا الرسالة على جوانب معرفية غاية في الأهمية تتجلى في المكانة التي كان يحظى بها سلطان الموحدين بالمشرق، من خلال خطابه "بسلطان الإسلام وقائد المجاهدين إلى دار السلام". كما تكشف هذه الرسالة على تعظيم المشاركة لأساطيل الموحدين، لقولها: "أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين، فيملاًها عليهم جواري كالأعلام"¹²⁴. وقد قام ابن المنقذ سفير صلاح الدين بنظم قصيدة تثني على السلطان المغربي، ومما جاء فيها¹²⁵: " إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى... إلى من سمت بالذكر منه الأوائل

إليك أمير المؤمنين ولم تزل... إلى بابك المأمول ترجي الرواحل

قطعت إليك البر والبحر موقنا... بأن نذاك الغمر بالنجح كافل

وحزت بقصيدك العلا فبلغتها... وأدنى عطاياك العلا والفضائل".

فجهز السلطان المغربي مائة وثمانين سفينة كان لها أثر قوي على منع النصارى من سواحل الشام كما يقول ابن خلدون¹²⁶. وكان ضمن الاسطول عدد من المغاربة مكث عدد منهم بالقدس، كان فيهم الصناع والعمال والفقهاء من أمثال أبي الحجاج يوسف بن محمد المعروف بـ "ابن الشيخ"، الذي غزا بالمغرب مع الموحدين وبالشام مع صلاح

123 بوشنتى بوكزول، المغاربة والقدس جوانب من العلاقات التاريخية، الطبعة الأولى، طوب بريس، الرباط، 2015، ص: 76-77.

124 محمد الصديق الحافظي، الرباط في القدس، ... مرجع سابق.

125 عبد الحميد المودن، عبد الرحمان محمد مغربي، المغاربة في القدس الشريف نموذج من التعاون المغربي الفلسطيني"، الذكرة التاريخية المشتركة المغربية - الفلسطينية، الجزء الأول، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2018، ص 95.

126 عبد الهادي التازي، أوقاف المغاربة في القدس، ذكره محمد الصديق الحافظي، الرباط في القدس، مرجع سابق.

الدين. ولعل أحسن تعبير أدته الشام اعترافا بجميل العاهل المغربي هو ذلك المشهد الذي أقامته للمنصور على مقربة من دمشق على ما عند ابن خلكان وابن بطوطة. وعندما حقق صلاح الدين آماله في إبعاد الخطر عن بيت المقدس، أذن لمن يريد من المغاربة بالعودة إلى ديارهم، لكنه كان بحاجة إلى بعض منهم ممن كانوا يفضلون بدورهم البقاء بالشام استعدادا للطوارئ. وفعلا استقر في مدينة القدس الشريف جزء من المغاربة الذين شاركوا في حملات صلاح الدين البرية والبحرية، وهو ما كان له دور في توسيع الوجود المغربي في المدينة المقدسة¹²⁷، وفي نشر المذهب المالكي والتصوف المغربي.

وتقول تقديرات المؤرخين¹²⁸، أن خمس جيش القائد الكردي المسلم صلاح الدين الأيوبي لمواجهة الصليبيين في القدس، كان من المغاربة، الذين قدموا أواخر القرن الثاني عشر الميلادي إلى المنطقة عبر 180 سفينة جهزها سلطان المغرب حينها يعقوب المنصور الموحي، فكان الانتصار العسكري على جيوش الصليبيين القادمة من عواصم الإمبراطورية الرومانية، من فرنسا وإيطاليا وبريطانيا والجزيرة الإيبيرية وغيرها من بلدان أوروبا. وكانوا قبل ذلك قد ساهموا في انتصارات معركة "حطين" سنة 1187 ميلادية. وتقول الشواهد التاريخية أن صلاح الدين الأيوبي تمسك بالمغاربة الوافدين وأقامهم بشكل دائم في المدينة المقدسة، بل إنه وهب لهم أرضا صارت فيما بعد تعرف بحارة المغاربة، وقال فيهم مقولته الشهيرة "أسكنتُ هنا من يثبتون في البر ويبطشون في البحر، وخير من يُؤتمنون على

127 محمد الصديق الحافظي، الرباط في القدس...، مرجع سابق، ص: 25.

128 "حارة المغاربة.. وصية صلاح الدين الأيوبي الحية"، بتاريخ 26 يناير 2023، الرابط:

<https://doc.aljazeera.net/cinema/2020/3/10/%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%A7%D8%1%D8%A8%D8%A9-%D9%88%D8%B5%D9%8A%D8%A9-%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%8A%D9%88%D8%A8%D9%8A>

المسجد الأقصى وعلى هذه المدينة"، فقاموا بعد ذلك بتوقيف عقارات في القدس وبنوا المساجد والزوايا الصوفية وتقلدوا المناصب، وكان لافتا تمسكهم بالمذهب المالكي والإفتاء به في أرض فلسطين وبالتصوف كسلوك ديني معتدل¹²⁹. لقد ساهم هذا الزمن، حسب المؤرخين، في إعادة تنظيم الفكر الاندلسي، و في نشأة فكر عربي مغربي مستقل عن المشرق. فكر آثاره النظرية مستمرة إلى الزمن الحالي، فكر أخصب نظرية الحكم والدولة في المغرب، وجعل لها قوة ورؤية عظيمة في البناء والتدبير والتجاوب مع المجتمع ومع الأجنبي. هي فترة صنعت عمراننا مدنيا ضخما، لازالت آثاره المادية شاهدة عليه، من قصور وأسوار ومدن وصوامع وجامعات¹³⁰.

ت - المرينيون والوطاسيون واستمرار عنصر الدين في تشكيل بنية الدولة

بعد المرابطين ثم الموحيدين، ربما لم يكن المرينيون يملكون نفس الشرعية أو الأطروحة والمشروع الديني لمن قبلهم ولا حتى لمن جاؤوا بعدهم، وربما لهذا السبب حاولوا خلق نسق عقدي جديد، يلتمس الشرعية من الأولياء والصالحين، إضافة إلى أنهم لم يكونوا يتوفرون على نفس القدرات والقوة لمن سبقهم، لمواجهة صعود وظهور جبهات مناوئة لهم في الخارج، سواء في إفريقيا أو في مالي أو في الأندلس.

وقد تميزت فترة حكم المرينيين¹³¹ بتجدد ظهور أفكار وممارسات التقسيم والتجزئ الترابي القبائلي، والطريقي الصوفي للمغرب. تقاتل الوطاسيون مع المرينيين، مستعملين العنصر الأجنبي في الصراع عندما اعترفوا بالسلطة الرمزية للأتراك العثمانيين وصاروا يدعون للخليفة العثماني في صلاة الجمعة¹³². وانتشرت في زمن الوطاسيين الفوضى والسياسة، ناهيك عن انتشار الأوبئة والمجاعات وثقافة الرق والعبودية، ثم تكررت الهجومات المسيحية على

129 مجير الدين العلمي، الأندلس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة: محمود عودة الكعابنة، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، مكتبة دنديس، 1999، عمان، الأردن، ص: من 361 إلى 369.

130 دانييل ريفيه، مرجع سابق.

131 إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الجزء الثاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2011، ص: 65 و66

132 نفس المرجع، ص: 181.

المغرب، لاسيما من قبل البرتغاليين، الذين احتلوا حينها سبتة وطنجة وأصيلة ثم أزموور وأسفي، وتوغلوا نحو مراكش، خصوصا بعد السلطان أبي عنان.

ولعل أبرز خلاصات الزمن الوطاسي هو أن المجتمع بقبائله وزواياه وأشرافه، كان أقوى من الدولة، وانهار التعليم في أواخر فترة حكمهم وانتشرت الأمية والجهل، وأسست عدد من القبائل الأمازيغية والعربية شبه "جمهوريات"¹³³ في مناطق نفوذها.

ث - السعديون وتشكل الدولة الوطنية" بمشروعية دينية

سيعرف المغرب تحولا عميقا في القرن الخامس عشر الميلادي مع بداية عهد السعديين. حينها شكل ارتفاع الشعور بالانتماء الوطني، إلى مجتمع واحد وإلى وحدة المصير داخل حدود وطنية واحدة، أهم العناصر التي هيأت لتسيد السعديين. وربما يعتبر المغرب منذ ذلك الحين أول دولة في المنطقة العربية من أسس جذور دولة وطنية، لها حدود وحكومة وشعب وتمارس سلطة مركزية مستقلة عن الخارج.

مع بداية ظهور السعديين ذوي النسب الشريف، تقوى الشعور بالانتماء الوطني بسبب ارتفاع التهديدات وعودة الهجمات الصليبية الإيبيرية الأوروبية ضد المغرب. خاض السعديون معارك حاسمة، قوت شوكتهم منذ معركة وادي اللبنة سنة 1558، ضد العثمانيين والانتصار عليهم، إلى معركة وادي المخازن والانتصار على الحملة الصليبية الإيبيرية الأوروبية سنة 1578.

تميز حكمهم بوجود شرعية دينية للسلطان شريف النسب، وبرغبة في تقوية سيادة الدولة، وتوحيد البلاد وإعادة تأسيس أجهزة الدولة ومؤسساتها، ناهيك عن التوسع الخارجي الديني والتجاري، لاسيما في الممالك الإفريقية. لقد كان ذكاء السعديين بارزا في خلق التوازن الإقليمي المجاور، أو في منطقة البحر الأبيض المتوسط واللعب على التناقضات الدولية، وإدارة العلاقات الدولية بحكمة وبراعة، في الانتقال بسلاسة بين مختلف مصالح القوى العظمى وقتها بدون

133 دانييل ريفيه، مرجع سابق، ص: 143.

التعرض لضغوطات، بل شكلوا قطبا اقتصاديا وسياسيا، وأصبحت القوى الكبرى عالميا حينها مثل بريطانيا واسبانيا،
تطلب ربط علاقات اقتصادية مع المغرب¹³⁴.

بنى أحمد المنصور الذهبي السعدي مصانع البارود وأسطولا حربيا بحريا لردع الأتراك والبرتغاليين. وشرع في
تأسيس أسس عناصر ومبادئ العقيدة الدبلوماسية والسياسة الخارجية، سيستفيد منها كثيرا أبناء عمومتهم الأشراف
العلويون، فيما بعد بشكل ملموس وعميق¹³⁵.

تميزت هذه الدول المتعاقبة على حكم المغرب، منذ المرابطين إلى السعديين، بقصر مدة حكمهم التي لم
تتجاوز في أحسن أحوالها القرنين من الزمن. غير أن عهد العلويين الذي بدأ في القرن السابع عشر الميلادي، سيكون
أطول، ربما لأنهم امتلكوا عناصر تقاطع بين كل فترات الحكم السابقة، من شرعية دينية، وذكاء دولي، ونزعة وحدوية،
وطموح إمبراطوري.

وقد تكون أيضا الجغرافيا، عاملا من عوامل تواجد المملكة في قلب العالم، وفي اكتساب أوراق ضغط دولية
كمنطقة عبور وتواصل حضاري شمال جنوب وشرق غرب. وكما قال المؤرخ دانييل ريفيه، المغرب لم تحكمه أي
حتمية جغرافية، بل أعطت الجغرافيا لهذا البلد أكثر من خيار طبيعي، ووفرت له خيارات انفتاح متنوعة على العالم¹³⁶.

ثانيا - العلويون وحضور المشروعية الدينية في تدبير الأزمات الداخلية والخارجية

أسس العلويون دولة تعاملت مع دروس تاريخ من سبقوهم في الحكم. لقد تعايشوا مع حركات مناوئة وأخرى
صديقة منذ بداية حكمهم. تعاملوا مع الزوايا والقبائل واحتجاجاتها وانشقاقاتهما، تعاطوا داخليا مع بلاد السببية وبلاد
المخزن، تجنبوا الصدمات الخارجية والدولية وخرجت البلاد سليمة بعد كل صدام مع القوى الدولية والإقليمية. تعاملوا
مع الاستعمار الأجنبي ومع مختلف الأفكار من تسلف و تصوف وتشيع ومذاهب دينية وسياسية كثيرة. عاش نظام

134 دانييل ريفيه، مرجع سابق، ص: 173 إلى 181.

135 نفس المرجع السابق، ص: 15.

136 نفس المرجع السابق.

حكمهم فترة صدامات الإيديولوجيات اليمينية واليسارية في صراع الشرق الشيوعي مع الغرب الرأسمالي. دبروا مراحل ظهور حركات وأفكار الانفصال والانقسام الداخلي وحتى العائلي، لاسيما في أزمة الثلاثين سنة للحكم بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل¹³⁷ منذ 1727 إلى 1757، وكيف برز دور المرأة حينها، لاسيما ما قدمته الصحراوية خناثة بنت بكار مربية السلاطين، والدة السلطان عبد الله بن إسماعيل و جدة السلطان محمد الثالث، صانع المغرب الحديث كما يقول عبد الله العروي. ظل العلويين متمسكون بالإسلام وبالتذكير بقيمه وتعاليمه سواء من خلال رسائلهم وخطبهم أو من خلال لقاءاتهم بالعلماء وبالأجانب.

ساهم السلطان المولى إسماعيل في تأسيس دولة موحدة. أسس قواعد للتفاوض الدولي و الدبلوماسية، وعاصر عظماء الملوك الأوروبيين، أمثال ملك فرنسا لويس الرابع عشر، ولم يكن على ود معه، بل طبعت العلاقة بينهما بصراع كبير كان ساحته البحر المتوسط والمحيط الأطلسي المطل على المغرب. عين السفراء لدى ملوك أوروبا، أمثال السفير "رايس" قراصنة سلا عبد الله بن عائشة، ووجد البلاد، وأرسى لبنات دولة مؤسسات ودولة مرافق قوية، وأبرم الاتفاقيات الدولية من أهمها المعاهدة التجارية مع بريطانيا سنة 1721، التي اعتبرها المؤرخون البريطانيون أنها رائدة و سابقة لزمانها بشكل بعيد¹³⁸.

تأسست قوة السلاطين العلويين، على التوفيق ما بين التدبير الديني للدولة والمجتمع، وما بين تحقيق القوة والاستقلالية عن القوى الأجنبية. وإن من السلاطين العلويين من تحصل من العلوم الشرعية والفقهية ما أهله لمقارعة علماء المشرق وإصدار الفتاوى، وكتابة الشروح والتفسيرات للمتن القرآني وغيرها من المواضيع. كما أنهم امتلكوا من الشجاعة والذكاء الهادئ في تدبير العلاقات الدولية للمغرب، وهزموا قوى عظمى ودمروا جيوشها على حدود البلاد.

تميز السلطان المولى محمد بن عبد الله أو محمد الثالث حفيد السلطان المولى إسماعيل والصحراوية خناثة بنت بكار، برؤية قد تبدو محافظة في قراءة التدين المغربي. يعتبره المؤرخون أحد أكبر وأهم الشخصيات العلوية من

137 إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص: 63

138 إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص: من 54 إلى 59

حيث الكاريزما السياسية والحضور الثقافي والمعرفي. حارب الفرنسيين على مشارف تطوان وطرد البرتغاليين من مازاغان، التي ارتبط بها البرتغاليون ارتباطا أسطوريا وخرافيا. اعترف بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1777، وتعاهد معها بعد ذلك، وتبادل الرسائل المكتوبة مع الرئيس جورج واشنطن، وخلق توازنا جديدا مع أطماع بريطانيا العظمى بهذا الاعتراف، لعله من خلال قراءته للواقع وللمستقبل أدرك بأن هذه البلاد الجديدة أي الولايات المتحدة الأمريكية ستكون يوما ما قوة عظمى.

ساعد السلطان المولى سليمان، العثمانيين والليبيين عسكريا، في ما يسمى بحروب شواطئ طرابلس. دمر الجيش المغربي حينها أجزاء من الأسطول الأمريكي، على مشارف بحر طنجة، بعدما أعلن الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1802¹³⁹. السلطان المولى سليمان تميز بالزهد وحب المعرفة الدينية والشرعية¹⁴⁰، وكتب الكتب وأصدر الفتاوى المعتدلة وقارع بعض علماء الوهابية¹⁴¹، وعرف عنه رفض البدع وتقديس القبور وغيرها.

انتهج سياسة احتراز وحذر من الغرب ومن أوروبا، لاسيما وهو سلطان عاصر الثورة الفرنسية، بزعامة نابوليون¹⁴² الذي لم يجرؤ على القيام بأي حملة عسكرية ضد المغرب حينها وتوجه بحملته العسكرية نحو مصر. لقد كان السلطان المولى سليمان بقراراته، بما ذلك سياسة الاحتراز، التي لعب في صناعتها العلماء دورا كبيرا، ربما كان ذلك بسبب خوفه على تآكل قيم المغرب والمغاربة، أمام زحف لقيم غربية لا تستقيم مع ذهنية البلاد. كما اصطدم مع بعض أشقائه الذين حاولوا طرد اليهود، فعمل على تأمينهم ومنح الحماية لهم لممارسة التجارة والكسب والتدين اليهودي¹⁴³.

139 إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص: 170 و 171.

140 نفس المرجع، ص: 173.

141 نفس المرجع، ص: 158 و 159

142 نفس المرجع، ص: 166 إلى 167

143 إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص: 483.

ولعل وصيته بتتصيب ابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام، بعده سلطانا على المغرب، تحمل معنى عن شخصية المولى سليمان وتدينه الشديد. ومما جاء في هذه الوصية: "لأنه (أي السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام) إن شاء الله حفظه الله لا يشرب الخمر ولا يزني ولا يكذب ولا يخون ولا يقدم على الدماء والأموال بلا موجب. ولو ملك المشرقين... ويصوم الفرض والنفل، ويصلي الفرض والنفل. وإنما أتيت به من الصويرة ليراه الناس ويعرفوه. وأخرجته من تافيلالت لأظهره لهم، لأن الدين النصيحة. فإن اتبعه أهل الحق صلح أمرهم، كما صلح سيدي محمد جده، وأبوه حي. ولا يحتاجون إلي أبدا ويغبطه أهل المغرب ويتبعونه إن شاء الله. وكان من اتبعه اتبع الهدى والنور. ومن اتبع غيره اتبع الفتنة والضلال. وأحذر الناس من أولاد يزيد، كما حذر والدي. وقد رأى من اتبعه أو اتبع أولاده كيف خاض الظلمة ونالته دعوة والده، وخرج على الأمة. وأما أنا فقد خفت قواي ووهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا حفظني الله في أولادي والمسلمين. أمين"144.

تميز القرن 19 الميلادي بمناورات القوى الإمبريالية الغربية على دول الجنوب، فاستعمرت دول عربية وإفريقية منها الجزائر سنة 1830 من قبل فرنسا، هذا الاستعمار للجزائر المجاورة، جر على المغرب المستقل حينها، دسائس ومؤامرات أوروبية وانطلق مسلسل ابتزاز المملكة والتضييق عليها، منذ معركة إيسلي ثم اتفاقية للا مغنية سنة 1845. **عمل السلطان المولى الحسن الأول** بعد ذلك، على التركيز على توحيد البلاد من جديد، وإدخال القبائل والزوايا تحت طاعة السلطان، حتى لا يسهل استغلالهم من قبل القوى الإمبريالية لاسيما فرنسا. السلطان المولى الحسن الأول أطل بشكل ملحوظ زمن استقلال المغرب، وكانت فرنسا قد أسست وقوت قواعد بها بالجزائر.

تميز السلطان المولى عبد الحفيظ بن الحسن، هو الآخر بإصرار ومناورة كبيرة في عدم تمكين الاستعمار الفرنسي من المغرب. وقد تأسس حكمه، إثر عزل شقيقه الأصغر من الحكم السلطان عبد العزيز، على ما عرف تاريخيا بعقد البيعة المشروطة بينه وبين كبار المبايعين من علماء وأعيان، باشتراط الدفاع عن استقلال المغرب أمام

144 ورد نص الوصية في كتاب "الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى" للناصري، انظر الرابط:

<https://ketabonline.com/ar/books/6277/re'd?page=64&part=1#p-6277-64-1>

الأطماع الأجنبية. غير أنه بعد توقيع اتفاقية الحماية الفرنسية سنة 1912، اعتبر ذلك عدم قدرة السلطان عبد الحفيظ على الوفاء بعقد البيعة المشروطة¹⁴⁵، فتخلى عن الحكم لفائدة أخيه السلطان يوسف.

بعد ذلك، وخلال فترة الاستعمار، لعب السلطان محمد الخامس انطلاقا من الوعي الوطني الذي كان سائدا، وتحديدا منذ بداية الأربعينيات، خصوصا عندما تطابقت رغبة الحركة الوطنية في تحرير البلاد مع رغبته، فناور داخليا وخارجيا بشكل مكشوف من أجل تحقيق هذه الرغبة، وتعرض للنفي خارج المغرب وإلى اضطهاد شمل أسرته الصغيرة. كان لزمين وريث عرشه الملك الراحل الحسن الثاني صراعات داخلية وخارجية لا تقل تعقيدا عن من سبقوه في حكم المغرب. تأرجحت هذه الصراعات ما بين الرغبة في استكمال بناء دولة مستقلة بشكل تام، وما بين تفادي ارتدادات التجاذبات السياسية والإيديولوجية الداخلية والخارجية، التي يمكن أن نقول عنها أنها كادت أن تعصف بالدولة ككل وبنظامها السياسي، خلال فترة الستينيات فيما سمي بسنوات الرصاص. يقول المؤرخ امحمد جبرون عن هذه الظرفية: "إن الأحداث الصعبة التي شهدتها المغرب سنة 1965، والتي تمثلت أساسا في أحداث 23 مارس في الدار البيضاء، وإعلان حالة الاستثناء، واختطاف المهدي بن بركة، أدخلت البلاد في نفق مظلم، تعطلت فيه الحياة السياسية بشكل شبه كامل، وأمسى الملك هو الفاعل الرئيس في الحقل السياسي تشريعيا وتنفيذيا، ملكا ورئيسا للحكومة، يمارس اختصاصاته بواسطة مراسيم، واستنادا إلى الفصل 35 من دستور 1962".¹⁴⁶ ورغم أن الملك الحسن الثاني كان يملك ثقافة غربية ومعرفة بالنماذج الغربية في تدبير العلاقة بين الدولة والمجتمع، وكان له احترام للغرب عموما ولثقافته، فإنه كان دائما يذكر بأهمية الإسلام في بناء الدولة المغربية، وكان يصر على إبراز المغرب كدولة تربط بين مختلف الثقافات والحضارات وأن الإسلام هو الذي يعطي للمغرب هويته الحضارية والسياسية¹⁴⁷، و كدولة متشبثة بالإسلام

145 إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص: 330.

146 امحمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر (1912-1999) من الحماية إلى وفاة الملك الحسن الثاني، دار الإحياء للنشر والتوزيع،

طنجة، المغرب، مارس 2023، ص: 403.

147 Ignace Dalle, Hassan II entre tradition et absolutisme, Librairie Arthème Fayard, Paris, 2011, p: 488-489.

جعلت من الإسلام كصمام أمام للتعايش، معتبرا أن الشريعة الإسلامية هي من أكثر الشرائع الدينية السماوية الأكثر ارتباطا بمفهوم النظام العام¹⁴⁸.

وفي عمومها كانت صراعات فكرية نظرية حول تصور شكل الدولة والنظام، معظمها صراعات منبعها أفكار أيدلوجية أجنبية، خلال زمن الحرب الباردة بين قطبي الشرق بزعامة الاتحاد السوفيتي والغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. ويبدو أن هذه الصراعات السياسية الداخلية أجلت بشكل كبير، تنمية البلاد وإقلاعها اقتصاديا وخلفت خروقات حقوقية كثيرة ومتنوعة سيتم التعامل معها فيما بعض في عهد الملك محمد السادس من خلال آلية هيئة الإنصاف والمصالحة.

وبذلك فإنه يمكننا القول انطلاقا من دروس التاريخ أن الملكية في المغرب شكلت نظاما جمع ووجد المغاربة، حول مشروع بناء الدولة، من منطلق مغربي خالص، في غياب أي تصورات أو مشاريع حزبية أو فئوية حقيقية للبناء. كما أنها عبر جميع المراحل التي قطعتها وعبر جميع التطورات الداخلية والخارجية حافظت على مركزيتها وعلى استقرارها، مما منح المغرب "ميزة تاريخية لا تمتلكها أية بلاد إسلامية على نفس الدرجة، ذلك أن الدولة التي أقام بها الأدراسة في فاس منذ بداية القرن 19 على نمط إسلامي امتازت باستمرارية تاريخية ملحوظة تواصلت حتى يومنا هذا"¹⁴⁹.

ثالثا - الملك محمد السادس: العودة إلى مسير التاريخ من الفكرة الإمبراطورية إلى

الفكرة "الاندماجية" القارية

148 Ignace Dalle, Hassan II entre tradition et absolutisme.. Op. Cité. P: 497.

149 أركون محمد، "دولة القانون أو التحرير الثاني للمغرب الكبير"، في مجلة المناهل، العدد 14، السنة 19، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 1993، ص: 31.

يقول المؤرخ عبد الله بوصوف¹⁵⁰ أن حكم الملك محمد السادس يندرج "في سياق "الزمن الطويل"، أي زمن تكوين الدولة الوطنية الموغلة في القدم، والتي بنت استقرارها ومصداقيتها مع توالي الأسر الحاكمة، (...) لكنه أيضا زمن إعادة هيكلة حقل ديني متجذر، كونه ارتكز منذ البدء على بنيات لم تتوقف عمليات التحيين والتحديث من بين ظهرانها. ولعل هذا الموروث التاريخي الغني، والمشروعية الملكية، التي جسدها وواكبته، هما اللذان فسحا المجال واسعا أمام الملك محمد السادس لمباشرة وتسريع وتيرة عمليات الإصلاح. ويرى بوصوف أنه مباشرة بعد وفاة الملك الحسن الثاني في العام 1999، "اندرج الملك محمد السادس، بصورة طبيعية ومباشرة، في سياق خط الملوك العلويين الذين سبقوه، دون تحفظ أو تردد". ذلك أن "تاريخ الأسرة العلوية، لا بل وتاريخ من سبقها من أسر حاكمة، إنما هو تاريخ ينهل من معين ما أسميناه أعلاه بالمشروعية النبوية". ولذلك، يبدو من الضروري العودة إليه، كي يكون بمقدورنا "فك شفرة" مصادر هيكلية الدولة التي انتظمت في إطاره، ثم تحديد وزن ودور السياسي والديني¹⁵¹.

عندما وصل الملك محمد السادس إلى عرش المملكة بعد وفاة الملك الحسن الثاني، يبدو أنه اشتغل في نفس المسار التاريخي للمملكة الممتد لقرون بعيدة، وعمل على تدبير الصراعات والأطماع الأجنبية، بشكل متوازن وديبلوماسية، و على استعادة دور المملكة في إفريقيا وفي التنافس القاري بالاشتغال على الفكرة القارية من منظور جديد، بتحويل الفكرة الإمبراطورية المغربية¹⁵² التاريخية التقليدية والدينية والتجارية، إلى فكرة للاندماج المغربي القاري، من أجل تعايش اقتصادي متوازن مفيد للشعوب وسياسي وديني مشترك، في سياق تدبير متوازن بين تناقضات القوى الكبرى.

150 عبد الله بوصوف، في الحاجة إلى وسطية الإسلام التدين المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، 2019، مطبعة أمين كراف، سلا، المغرب، ص: 81

151 نفس المرجع السابق.

152 محمد نبيل ملين، السلطان الشريف الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة عبد الحق الزموري و عادل بن عبد الله، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مركز جاك بيرك، جامعة محمد الخامس السويسي، الرباط، المغرب، 2013، ص: 7.

وقد ذكر الملك محمد السادس بهذا التاريخ في خطاب 20 غشت 2021 بمناسبة الذكرى الـ 68 لثورة الملك والشعب، في ربطه بين تدبير الأزمات والتهديدات وما بين تاريخ المغرب ونظامه الملكي واستقراره حيث قال: "لأننا نؤمن بأن الدولة تكون قوية بمؤسساتها، وبوحدة وتلاحم مكوناتها الوطنية. وهذا هو سلاحنا للدفاع عن البلاد، في وقت الشدة والأزمات والتهديدات. وهو ما تأكد بالملمس، في مواجهة الهجمات المدروسة، التي يتعرض لها المغرب، في الفترة الأخيرة، من طرف بعض الدول، والمنظمات المعروفة بعداؤها لبلادنا. فالمغرب مستهدف، لأنه دولة عريقة، تمتد لأكثر من اثني عشر قرناً، فضلاً عن تاريخها الأمازيغي الطويل؛ وتتولى أمورها ملكية مواطنة، منذ أزيد من أربعة قرون، في ارتباط قوي بين العرش والشعب"¹⁵³.

وقد نذكر بهذه المحطات التاريخية الفاصلة، بغرض وضع صورة كبيرة شاملة، تضع ما يقع اليوم من ظهور لتيارات إسلامية وتصدرها الانتخابات وترؤسها حكومة البلاد، في سياق استمرارية وليس كقطيعة، لأن ذلك كله ينبغي أن ينظر إليه كامتداد وكاستمرار لقواعد تدبير الدولة وأسسها التي بنيت بهدف تقادي الصراعات التي قد تشكل عبئاً على الدولة، وحاجزا أمام رهان التنمية، وبهدف إدماج الجميع بما في ذلك الذين يحاولون منافسة الدولة وإمارة المؤمنين في استعمال الخطاب الديني والمرجعية الإسلامية بشكل مباشر في العملية السياسية.

الفقرة الثانية: السلطان الشريف وارتباطه بالمرجعية الدينية في تدبير الدولة

143 موقع وكالة المغرب العربي للأنباء الرابط: <https://www.mapamazighe.ma/ar/discours-messages-sm-le-roi/%D8%AC%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%83-%D9%8A%D9%88%D8%AC%D9%87-%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8%D8%A7-%D8%B3%D8%7%D9%85%D9%8A%D8%A7-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A9-%D8%A8%D9%85%D9%86%D8%A7%D8%B3%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%B1%D9%89-%D8%A7%D9%84-68-%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%83>

يبدو أن السلطة والدين في المغرب اجتمعا بعد أن طوعت السلطة الدين لتصبح هي المتحكمة في هذه العلاقة¹⁵⁴، ويمكن القول أن الحكم في المغرب، أصر منذ قرون بعيدة تعود إلى بداية دخول الإسلام إلى البلاد، على إعادة إنتاج نفسه باستمرار انطلاقا من النسخة الأولى التأسيسية، مميزا بين الدين والعلم والسلطة السياسية، بين المطلق والنسبي، بين الإلهي والبشري، وبقدرته على حل الإشكالات المتعلقة بالدين باجتهادات مغربية داخلية وليس قادمة من الخارج. بذلك يمكن الحديث عن "الإسلام المغربي" التاريخي المتطور حسب السياقات، في مقابل الإسلام التفسيري الحديث أي ذلك التدين المرتبط بقراءات سلفية أو إسلامية حركية، لاسيما تلك التي تقول بوحدة الدين والدولة وبالحاكمية، المتمسكة بشعار "الإسلام هو الحل"¹⁵⁵، في غياب مشروع مجتمعي حقيقي يجيب على الإشكاليات الاقتصادية والاجتماعية.

تميزت الدولة المغربية بقدرتها على فهم التطورات والتأقلم معها، لذلك تمكنت من تجنب الكثير من الرجات والانقضاضات والتحولت في العلاقة بين الدين والسلطة، وآخرها ما نتج من صدمات بينهما في فترة الربيع العربي، ومن عصبيات بالمفهوم الخلدوني في تقسيم الدول إلى طوائف وعشائر متنازعة. وقد قال ابن خلدون¹⁵⁶ عن علاقة الديني في معادلة تطور الدولة والتقدم الحضاري على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها: "إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو انتقال من حال إلى حال"¹⁵⁷.

154 ادريس هاني، "في التسلط الحافي والاستبداد كملهاة"، مجلة وجهة نظر، العدد 49، السنة الرابعة عشرة، 2011، ص: 33 .
155 نيثان. ج. براون، عمرو حمزاوي، ومارينا أوتاواي، الحركات الإسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي: استكشاف المناطق الرمادية، أوراق كارنيجي www.CarnegieEndowment.org سلسلة الشرق الأوسط، إصدار مشترك لمؤسسة كارنيجي للسلام الدولي ومؤسسة Herbert Quandt Stiftung الألمانية، مارس 2006، ص: 7-8. رابط التحميل:

www.CarnegieEndowment.org/pub
156 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، نسخة Pdf مكتبة ودار المدينة النورة الدار التونسية للنشر، 2012، رابط:

<https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D9%5%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%AE%D9%4%D8%AF%D9%88%D9%86-pdf>

157 ابن خلدون: المقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، 1972.

ويؤكد بعض الباحثين¹⁵⁸ أن الدولة المرينية عملت على تكريس المذهب المالكي بشكل نهائي، والذي اعتاده المغاربة منذ عهد الدول الزناتية، ومن هذا المنظور اعتبر التوجه الموحي الظاهري مجرد قوسين في التاريخ المذهبي للمغاربة. فكان التوجه الرسمي للدولة المرينية واضحا في المسألة الدينية في إطار مشروع متكامل يبدأ بسياسة التعليم التي تم نهجها، خصوصا من خلال بناء مدارس البيضاء بفاس الجديد، والصهرج والعطارين والطالعة بسلا، وكذلك مدارس المصباحية والبعونانية، ولعل الهدف من ذلك هو ضمان التكوين الرسمي للأطر المخزنية والدينية، التي ستدافع عن مصالح السلطة السياسية دينيا. وكانت المناهج الدراسية الفقهية في هذه المؤسسات التعليمية مركزة على كتب المالكية¹⁵⁹، منها كتب الخليل ومالك. وحسب المختصين فإن هذا كان بمثابة رسائل موجهة داخليا إلى الفقهاء والعلماء المعارضين للسلطة، وخارجيا فهي بمثابة "إعلان شرعية سياسية دينية جديدة بعيدة عن الأتراك العثمانيين، خلافا للدولة الوطاسية التي أعلنت ولاءها للأتراك سابقا"¹⁶⁰.

أولا - استقرار الحكم عبر آلية عقد البيعة

تعتبر مسألة التوريث عموما معطى سوسولوجيا وتاريخيا في نفس الآن. فتوريث الحكم أو أي شيء آخر هو يدخل ضمن رغبة الآباء على نقل عناصر القوة إلى الأبناء، وأيضا نقل طرق التدبير والعمل وتوارثها عبر التاريخ¹⁶¹. وتعد البيعة الأداة المقدسة لإضفاء المشروعية على الحكم في الإسلام، ولهذه الغاية حافظ عليها السلطان الشريف، وعلى مضمونها التعاقدية وعلى شكلها "بعثا للنموذج الذي أقيمت عليه السلطة الإسلامية الأصلية"¹⁶²، أي

158 عبد اللطيف أكنوش، السلطة والمؤسسات السياسية في المغرب الأمس واليوم، مكتبة بروفانس البيضاء، 1998، ص: 79.

159 إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص: 158.

160 السعيد عبد الرزاق، "المؤسسات الدينية السياسية ودورها في التحولات الراهنة مقارنة سوسيو تاريخية"، في موقع مركز أفكار للدراسات والأبحاث، أكادير، المغرب، بتاريخ: 12 دجنبر 2018، الرابط:

<https://afkaar.center/2018/12/12/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%D8%A7%8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%8%A9-#/%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7>

161 Michels Robert, Sociologie du parti dans la démocratie moderne, Collections Folio Essais, Éditions Gallimard, Paris, impression novoprint, Barcelone 2015, P: 53-56

نموذج بيعة الرضوان من صحابة الرسول "صلى الله عليه وسلم". وترتبط مؤسسة إمارة المؤمنين بمؤسسة الولاء عن طريق البيعة لكونهما "مؤسستان متداخلتان، (...)، ثم هما يغرسان جذورهما، ويجدان نسقيتهما وتجسيدهما في الفقه الإسلامي وفي القانون الوضعي على حد سواء، (...). إن أي تفكير في البيعة، في محدداتها وفي فلسفتها، لا يمكن أن يستقيم إلا بإدراجها في هذا السياق التاريخي الذي أسس لها المرجعية وضمن لها الامتداد. إنها مبررات تجد قوتها في منطوق وروح السنة، فيما يتكفل الفقه بتحديد نسقيتها وديمومتها، وامتدادها في راهنية القانون العام العصري، الذي يؤسس لنظام الحكم في المغرب"¹⁶³.

يقول المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان¹⁶⁴ البيعات جمع بيعة، وهي مصدر بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعة ومعناها المعاقدة والمعاهدة وهي مشبه بالبيع الحقيقي، وهي تجمع بين طرفين تهما البيعة. الطرف الأول هو السلطان الذي لا يكاد المؤرخون يميزون بينه وبين الدولة، والذي يعتبر في حد ذاته مؤسسة قائمة الذات، فهو أمير المؤمنين، ذو أصل شريف، ينتمي لآل البيت، مما يجعل البيعة أمرا طبيعيا لطرف غير منازع فيه. أما الطرف الثاني في البيعة فهم أهل الحل والعقد، وفي هذا الإطار يقول ابن زيدان أن البيعة عقد يتضمن التزام طاعة السلطان الجديد، بمن بيدهم الحل والعقد ولهم كلمة مسموعة في الأمة، من وزراء وعمال وقضاة وأمناء وشرفاء وعلماء وعدول وقواد الأجناد ورؤساء الحرف"¹⁶⁵.

البيعة عقد مكتوب بين طرفين بمحضر شاهدين عدلين، يضمن تبادلا بينهما، طرف يعطي السلطة وهم أهل الحل والعقد لأن سلطة السلطان لا تتم إلا عندما تتم البيعة، وطرف يعطي النفوذ والحماية وهو السلطان، وتكون هذه

162 Laroui Abdellah, Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912), Centre Culturel Arabe, Casablanca, 1993, P: 80

163 عبد الله بوصوف، في الحاجة إلى وسطية الإسلام التدين المغربي نموذجاً، مرجع سابق، ص: 181

164 عبد الرحمن ابن زيدان ، هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الملك بن زيدان ابن السلطان المولى إسماعيل بن الشريف العلوي ، نقيب الشرفاء العلويين بمكناس، و مؤرخ الدولة العلوية و جامع وثائقها و ظواهرها، ولد في مدينة مكناس في القصر الملكي المعروف ب قصر المنحشة في شهر ربيع الآخر 1295 هـ / أبريل 1878م، وتوفي ظهر السبت 21 ذو الحجة 1365 هـ / 16 نوفمبر 1946م.

165 محمد الفلاح العلوي، "البيعة في نظام الحكم بالمغرب: الجذور والامتدادات"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 353، الرابط: <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8625>

العملية المرحلة الأولى من البيعة. أما المرحلة الثانية، فهي تلك التي تتكلف فيها هذه النخبة الحضرية بجمع البيعات الأخرى، أي بيعات القبائل و باقي المراكز الحضرية، وبهذا يكون الاتجاه العام الذي تأخذه البيعات اتجاها تنازليا¹⁶⁶، حيث تبرز أهم المؤسسات والقنوات التي تمر منها السلطة كي تمارس على سكان الحضر والبوادي، بحيث يكون أعضاء النخبة الحضرية والقروية وسطاء بين السلطان وسكان المدن والقبائل فيما يخص الحصول على البيعة، وغالبا ما يتم إنجاز ذلك في مرحلتها الثانية، ووفق ما يمكن أن تمليه بعض الجماعات الثقافية كالعلماء أو حرفيي المدن من شروط¹⁶⁷.

ثانيا - استقرار الدولة عبر "مؤسسة المخزن"

يقول عبد الله العروي إن المخزن تأسس على عنصرين مهمين هما الجيش والبيروقراطية الذين تطورا عبر التاريخ ولعبا دورا إداريا وسياسيا أيضا¹⁶⁸. ويشكل التحديد السياسي لمفهوم المخزن في علاقته كمفهوم بالدولة، موضع خلاف كبير بين العديد من الباحثين الذين تناولوا مؤسسة المخزن. وهو كمفهوم سوسيولوجي يتيح استعمال عدد كبير من المقاربات التحليلية¹⁶⁹. يذهب ميشو بيلير Michaux Bellaire إلى تصوير المخزن كسلطة مطلقة التصرف، جائزة تغذي الاضطرابات والاختلافات الاجتماعية للاستئثار بوظيفة التحكيم الخاصة به¹⁷⁰، تأهله لإمكانية احتكار بلورة القرارات العمومية لاسيما الأمنية منها، بكل مضامينها بإقصاء فاعلين يحتمل أن يكونوا منافسين له ماديا ورمزيا. إن المخزن من هذا المنظور يعيش على الانقسامات القبلية¹⁷¹ ليدعم وظيفته كحكم وكوسيط بين مجموع الفرقاء الاجتماعيين، ويذهب R.Leveau في ما يشبه Bellaire إلى أن المخزن يشكل نظاما للضبط الاجتماعي ومراقبة

166 رقية المصدق، منعطف النزاهة الانتخابية: معالم الانحسار في تدبير الانتخابات التشريعية المباشرة، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص: 35.
167 نفس المرجع السابق.

168 Laroui Abdellah, Les origines sociales., op. Cité, pp: 81-91.

169 شقير محمد، تطور الدولة في المغرب إشكالية التكون والتمركز والهيمنة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن العشرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2002، ص: 102.

170 Claisse Alain, "Le makhzen d'aujourd'hui", in Le Maroc actuel, Éditions, C.N.R.S, Paris, 1992, P: 285.

171 Hammoudi Abdellah, "Segmentarité, stratification sociale, pouvoir politique et sainteté, réflexions sur les thèses de Gellener", in Hespéris-Tamuda, vol 16, 1977.

الصراعات والنزاعات الاجتماعية وكذا التحكم في الحراك الاجتماعي، من خلال تفعيل نظام تواصله مع المحيط "القواد؛ الباشوات؛ المقدمين؛ الشيوخ"، نغاديا لكل الاضطرابات التي تهدد استقراره وهذا ما يجعل من المخزن حسب " R.Leveau نظاما لإدارة الأشخاص والمجموعات، في حين أن إدارة الأشياء متروكة للتكنوقراط¹⁷².

وفي نفس السياق يذهب " WATERBURY إلى تأكيد سكونية النظام، وعدم التحول في طبيعته التسلطية القائمة على العنف المادي والرمزي معا، واستمرار اشتغاله بنفس الميكانيزمات التي طبعت تاريخه، العنف الدائم، واستراتيجية احتواء القبائل قائمة على التحالفات والدور التقسيمي¹⁷³ للمخزن، لاحتكار بلورة القرار الأمني داخل القبيلة أولا، ثم داخل النسق السياسي بأكمله بعد ذلك. لم يقبل جرمان عياش هذا الرأي لأن المخزن في تقديره لا يمكن أن يعيش طويلا على العنف، فهو مسنود فعليا من لدن العامة أيضا، ما دام يقوم بوظائف اجتماعية وسياسية ضرورية لحياة المجتمع. ويذهب جاك بيرك أن المخزن يشير إلى نظام قديم عرف تحولا على مستوى البنية، ولكنه حافظ بالمقابل على مضمونه الرمزي في ما يمكن أن يوصف بانبعاث مخزن جديد¹⁷⁴.

إن المخزن ليس بالمبدأ الدستوري ولا بالمفهوم القانوني، إنه مفهوم سوسيولوجي مما يجعل كل المقترحات السابقة في فهم طبيعة المخزن مقبولة، كلا منها يحيل على إحدى العناصر المميزة لهذه المؤسسة. إن المخزن في اللغة العامة يحيل على كل ما هو عام ويحيل على سلطة الدولة، ويحيل على إقامة السلطان أو ما يسمى بدار السلطان. إن المخزن هو جهاز السلطة الذي يشكل سلسلة حلقات، بدءا من السلطان الذي يتلقى سلطته من المرجعية الدينية الإسلامية ومرورا بالوزراء والعمال والسلطات المحلية وإلى حدود الشاوش¹⁷⁵.

172 Leveau Rémy, "Aperçu sur l'évolution du système politique depuis 20 ans", in Maghreb Machrek, N 106, octobre/novembre 1984, PP: 23-25.

173 Waterbury John, Le Commandeur des croyants, la Monarchie et son élite, P.U.F, Paris, 1975, PP: 35-49

174 Cherifi Rachida, "le Makhzen politique au Maroc, hier et aujourd'hui", in Afrique Orient, 1988, P: 16.

175 Ibid., P: 13

المخزن إجمالاً هو الدولة والسلطة، هو النفوذ والسطوة، يفرض استجابة وخضوع الجميع لقراراته¹⁷⁶. ويرى ريمي لوفو أن المخزن وإن كان أحياناً يقدم تنازلات للطبقة السياسية، إلا أن هذه التنازلات تبدو وكأنها منح وعطايا منه فلا يمكن لأحد أن يبتز المخزن أو يضغط عليه للحصول على مكاسب إلا بناء على رغباته وتوجهاته¹⁷⁷. إن المخزن كما يقول "كليس" متعدد الدلالات والأبعاد، إذ لا يمكن اختزاله في "الشريفية" ولا في السلطان ولا في الدولة كجهاز مركزي ولا في الإدارة ولا في الطبقة السائدة أو الخاصة، إنه بالمقابل يشكل خليطاً من كل ذلك تبعاً لسياق تاريخي متفرد يصعب قوليته في إطار نموذج واحد¹⁷⁸، فهو بنية متعددة الدلالات والوظائف في أبعاد السلطة والسطوة وأيضاً التحكم وتدبير الأزمات والإكراهات.

وإذا كان الاختلاف قائماً حول تحديد مفهوم "المخزن"¹⁷⁹ بحيث أن عبد الله العروي يميزها عن مؤسسة السلطان¹⁸⁰، عكس محمد الكلاوي الذي يجعل منها مؤسسة من مؤسسات الدولة السلطانية ويميزها على مؤسسة الجيش¹⁸¹، فإن أوبان يميز بها جهاز الإدارة بدءاً من السلطان إلى المخزني¹⁸²، فواقع الممارسة السياسية في ظل نظام السلطنة يؤكد حقيقتين، وفي واقع الأمر فإن مؤسسة المخزن في الممارسة السياسية كانت دائماً امتداداً لمؤسسة السلطان¹⁸³.

الحقيقة الأولى هي أن محيط المجتمع في ظل نظام السلطنة لم يكن يتمتع بأية استقلالية، فالعلاقة كانت بين راع ورعيته، وليست علاقة مواطنة. يقول ابن خلدون عن السلطان: "إنه المالك للرعية، والرعية من لها سلطان،

176 Ibid., P: 114-115.

177 Leveau Rémy, Le sabre et le turban l'avenir du Maghreb, Éditions François Boutin, Paris, 1993, P: 80

178 Cherifi Rachida, le makhzen politique, op, cité, p: 3-4

179 أكنوش عبد اللطيف، السلطة والمؤسسات السياسية في مغرب الأمس واليوم، مكتبة بروفانس، الدار البيضاء، 1988، ص: 42.

180 Cherifi Rachida, le makhzen politique, op, cité, p: 9

181 الكلاوي محمد، المجتمع والسلطة دراسة في إشكالية التكوين التاريخي والسياسي للمؤسسات والوقائع الاجتماعية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995، ص: 103.

182 El Yaagoubi Mohamed, Histoire de l'Etat et des institutions au Maroc, Essai de synthèse, REMALD, collection manuels et travaux universitaires, N 8, 1999, P: 73-74

183 Ibidem, P: 52-53.

والصفة التي له من حيث إضافته لهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه تملكهم فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان حصل المقصود من السلطان على أتم الوجوه، وإن كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضرارا عليهم وإهلاكا لهم¹⁸⁴.

الحقيقة الثانية هي أن نظام السلطنة نظام ذو نزعة مركزية يقوم على مناهضة كل مؤشرات الاستقلالية المنبعثة من المحيط، وهذا ما يفسر حرص المخزن على الحضور في مجموع التراب، إما عن طريق القواد والباشوات كمثلين له على الصعيد المحلي أو من خلال ترحال المخزن المركزي¹⁸⁵.

وهذه النزعة المركزية لمؤسسة المخزن 186 هي التي قادت إلى الاستئثار بتدبير القرارات الأمنية، وفي هذا السياق يقول محمد الكلاوي، "إن إقصاء العامة من تسيير شؤون الدولة إلى جانب السلطان إنما ينطلق من فكرة وحدة السلطة التي أوجب أن تتوحد بيد المالك لسرها: خليفة الله وظله على الأرض، هكذا ظل حال الدولة السلطانية¹⁸⁷ لزمن طويل، والعمال فيها وكل من يلي شيئا من أمور المسلمين في دينهم أو دنياهم من وزير أو قاض أو محتسب أو غيرهم، كل أولئك وكلاء السلطان¹⁸⁸ ونواب عنه وهم من الحاشية وأقرب المقربين إلى السلطان وإن كان لا يتساوى كل فرد فيها مع عامة الناس، فإنها كمجموعة ألا تخرج من عرف النظام عن باقي الرعية"¹⁸⁹.

ويرجع الأستاذ محمد اليعقوبي¹⁹⁰ هذا الاختلاف في تحديد سلطات السلطان إلى كون المغرب لم يكن يعرف تواجد نص سامي يحدد اختصاصات مختلف أجهزة الدولة السلطانية مركزيا ومحليا. إن هذه الصلاحيات التي كان

184 عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993، ص: 174.

185 الكلاوي محمد، المجتمع والسلطة، مرجع سابق، ص: 106.

186 Robert Jacques, la monarchie marocaine, L.G.D, édition, 1996, P: 19.

187 التوازني نعيمة هراج، الأمناء في المغرب في ظل حكم السلطان المولى الحسن 1873-1894، مطبعة فضالة، المحمدية، 1985، ص: 56-57.

188 الكلاوي محمد، المجتمع والسلطة، مرجع سابق، ص: 48.

189 أمين عبد الإله، مقارنة سوسيو ثقافية للعمل الجمعي الحقوق بالمغرب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، السنة الجامعية 2001-2002، كلية الحقوق، جامعة القاضي عياض، مراكش، ص: 138.

190 أمين عبد الإله، نفس المرجع السابق، ص: 138.

يتمتع بها السلطان لم تمكنه من تبوؤ أعلى هرم السلطة فحسب، بل جعلته كذلك رئيسا مباشرا لكل المجموعات المشكلة للمجتمع، فثمة شبكة ولاءات تربط مؤسسة السلطان مباشرة بكل مجموعة اجتماعية: الشرفاء والعلماء والأعيان دون ما حاجة إلى وسائط. وعموما فإن النظام السياسي المغربي من خلال مؤسسة المخزن تميز عبر تاريخ الممارسة السياسية بنزعة مركزية قوية، لم تتردد في مواجهة كل نزوع إلى الاستقلالية وتأكيد شخصنة السلطة، مع شبكة ولاءات مرتبطة مباشرة بمؤسسة السلطان، ومزاوجة محبوكة بشكل جيد بين العنف والإيديولوجيا¹⁹¹.

وفي هذا السياق يقول الأستاذ محمد الكلاوي أنه بعيدا عن الجانب الهيكلي تنهض المؤسسة المخزنية على عدة ثوابت إيديولوجية: الأصالة؛ التاريخ العريق؛ الخصوصية؛ الدين؛ المقدسات، توظفها دوما كدعامات مرجعية في شرعنة السلطة¹⁹². وبحكم بناء المخزن المشخصن المستمد من تراكمات الإرث السياسي المغربي، فقد توزعت فيه الأدوار السامية بشكل عمودي هرمي تسوده علاقات القرابة والولاء وذلك بمقدار ما يتوفر لدى الخادم من نسبة الطاعة والخضوع، فالموظف في دائرة المخزن يظل مرتبنا قبل كل شيء بولي نعمته بصرف النظر عن مؤهلاته وكفاءته¹⁹³.

ثالثا - إمارة المؤمنين صاحبة الولاية العامة في تدبير شؤون الدين

يقصد بإمارة المؤمنين في الإسلام، الرئاسة العظمى والولاية العامة الجامعة، القائمة على الدين وسياسة الدنيا. والقائم بها يسمى الخليفة، لأنه خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسمى إماما لأن الإمامة والخطبة في عهد الرسول وفي زمن الخلفاء الراشدين، كانت لازمة له، لا يقوم بها غيره، إلا بطريق النيابة عنه¹⁹⁴.

لما وصل العلويون إلى الحكم في المغرب، مع أواخر القرن 17 الميلادي وبداية تشكل دولتهم، حافظوا على تسمية السلطان بلقب أمير المؤمنين، نظرا لتوفرهم على شرط الانتماء إلى البيت النبوي¹⁹⁵، وهو اللقب الذي كان

191 حمودي عبد الله، الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطوية في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة عبد المجيد الجحفة، دار النشر توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة، 2010، ص: 208.

192 الكلاوي محمد، المجتمع والسلطة، مرجع سابق، ص: 91-120.

193 حمودي عبد الله، الشيخ والمريد، مرجع سابق، ص: 75.

194 يسف محمد، "الخلافة الإسلامية أو إمارة المؤمنين"، يوم 17 غشت 2012، منشور في الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3vpVaja>

أسسه الموحدون أسوة بالمشرك الإسلامي¹⁹⁶. وبذلك حافظت الدولة العلوية على لقب أمير المؤمنين على استمراريته وتجدره في الوعي السياسي والديني للمغاربة إلى أن تمت دسترته سنة 1962 من خلال الفصل 19، ثم في الفصل 42 من الدستور الحالي لسنة 2011 ليخرج بالتالي من دائرة الارتباط الرمزي والأخلاقي بالتقاليد الدينية، ويأخذ أبعاداً أخرى تجعل الحامل للقب أمير المؤمنين، أي الملك "يتمتع بسند إضافي يضمن له شرعية دينية بوصفه قائماً على أمور الجماعة المؤمنة (...). واعتماداً على وظيفته الدينية السامية ينصب أمير المؤمنين/ الملك نفسه راعياً للإجماع بين أفراد وجماعات مكونة لمجتمع مسلم، يربط بين مكوناته اعتقاداً راسخاً بأحدية السلطة، وعليه، يتمتع أمير المؤمنين بسلطات لا تحد، لأنها تمارس وفق القرآن والسنة¹⁹⁷.

وهناك ظهور قضائي للقب أمير المؤمنين بكثافة أعرفه واختصاصاته، عند محاكمة الحزب الشيوعي المغربي سنة 1960، حيث استند المجلس الأعلى في حكمه على "أن العاهل المغربي هو قبل كل شيء ملك وأمير المؤمنين"¹⁹⁸. ويعتبر وصف الملك بأمير المؤمنين في دستور 1962 البداية العملية لتأهيل الحقل الديني في المغرب، حيث تحمل الملك بموجب هذا اللقب مسؤولية الوظيفة الدينية، كما أتاح له إمكانية رعاية السياسة الدينية والإشراف عليها، "لقد كان هذا اللقب خطوة أولى على طريق عقلنة وتأهيل الحقل الديني في دولة الاستقلال، ونقل مركز الثقل في المجال الديني إلى المؤسسة الملكية بعدما كانت طرفاً متواضعا أمام العلماء، فعلى سبيل المثال الصراع حول جامع القرويين بين العلماء والنخبة العصرية تدخل الملك باعتباره حكماً لا باعتباره وصياً على الحقل الديني ومؤسساته. ولالإشارة فقبل الإقرار الدستوري للقب أمير المؤمنين كان العلماء هم سادة المجال الديني والمستبدين بشأنه"¹⁹⁹. يعتبر

195 محمد ضريف "النسق السياسي المغربي مقارنة سوسيولوجية"، في أفريقيا الشرق، المغرب، 1991، ص: 74.

196 عبد اللطيف أكنوش، "تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية"، في أفريقيا الشرق، المغرب، 1987، ص: 88.

197 عبد العلي حامي الدين، "إمارة المؤمنين في النظام السياسي المغربي: الأصول والمرجعية، الوظائف السياسية"، مجلة ألوان مغربية، العدد الثالث، أكتوبر- نونبر 2004، ص: 18.

198 ريمي لوفو، "الإسلام والتحكم السياسي في المغرب"، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، العدد 13- 14، 1991/1992، ص: 169.

199 لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، السنة الجامعية 2020-2021، ص: 245.

ريمي لوفو هذا الحكم القضائي أنه شكل "تنبيها" لكل الأحزاب السياسية التي يمكن أن تتشابه مع توجهات الحزب الشيوعي²⁰⁰. ويرى لوفو أن هذه القضية بمثابة سابقة قانونية بتوجه سياسي مهم، تبين مساحة سلطات الملك كقائد ديني، وأنه لا يمكن لأي سلطة أو نص أو هيئة أن تعترض قرارات الملك²⁰¹. ويشبه لوفو الدين في المغرب بالوطنية، لأنه في نظره يسيح الحقل السياسي ويضمن للملكية الرقابة الايديولوجية العليا²⁰². وقد عمل الملك الحسن الثاني على تنظيم الحقل الديني لسنوات طويلة قبل الثورة الإيرانية²⁰³ التي حفزت تيارات الإسلام السياسي. وتعتبر إمارة المؤمنين في المغرب موروثا تاريخيا أصيلا، وعضد الدولة وسندها، فهي تشكل بذلك دينامية مستمرة تستمد قوتها من "الزمن الطويل"، تجسد وظيفة تأطير الحقل الديني، يلجأ إليها الملك لممارسة وظيفة التحكيم السياسي²⁰⁴.

إن المشروعية الدينية للنظام الملكي في المغرب، والتي تجعل من الملك أمير المؤمنين هي احتياط استراتيجي يسمح له بتعويض الدستور وتجاوزه متى احتاج إلى ذلك، وهي من جهة أخرى رد واضح وصريح على التيار التقدمي الذي مثله حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، المتأثر بالفكر الاشتراكي آنذاك، والحريص على توحيد المشروعية وجعلها مشروعية سياسية صرفة. يقول ريمي لوفو في هذا السياق: "ومن الغريب أن نلاحظ أنه في الوقت الذي كان الملك مهتما بإضفاء الشرعية على الملكية بواسطة الانتخاب، نجد أن الأحزاب هي التي أدخلت القانون الإلهي (الحركة الشعبية وحزب الاستقلال) كأحد وسائل الحكم، غير أن هذا لا يعني أن الملك قد تخلى عن أسس شرعيته الدينية، بل إن لجوئه إلى الاستفتاء والانتخاب كان وسيلة لهزم اليسار المغربي في ميدانه وتبني جزء من برنامجه التحديثي"²⁰⁵.

200 Leveau Rémy, Le sabre et le turban l'avenir du Maghreb, op. Cité .

201 Ibid, P: 81.

202 Ibid.

203 Ibid.

204 عبد الله بوصوف، في الحاجة إلى وسطية الإسلام التدين المغربي نموذجا، مرجع سابق، ص: 181

205 ريمي لوفو، الإسلام والتحكم السياسي في المغرب، مرجع سابق، ص: 170-169.

ومن أشهر التوظيفات السياسية لمفهوم إمارة المؤمنين في الحياة السياسية المغربية ما تضمنه خطاب الحسن الثاني في افتتاح دورة أكتوبر لمجلس النواب سنة 1981 من اتهامات وتهديدات لنواب حزب الاتحاد الاشتراكي المنسحبين من البرلمان احتجاجا على تمديد مدة ولاية البرلمان، حيث اعتبرهم خارجين عن الجماعة ومستخفين بها²⁰⁶.

رابعا - استقرار علاقة المجال الديني بالسياسي

بالنظر إلى المرجعية المذهبية الدينية للمغرب فإن بعض الباحثين، يتبنى تسمية "الإسلام المغربي"، الذي يحمل الخصائص الكبرى التالية: إنه أولا إسلام الوسطية، والذي يجب أن نحدد مساره وندقق في مضامينه. وإنه ثانيا، "الإسلام دين الدولة"، والذي من المفروض أن نضبط إيقاعه، وخطوطه الكبرى ومواصفاته. ثم إنه ثالثا، ذلك الإسلام المرتكز على بنیان مثلث "المالكية والأشعرية والتصوف السني"، والذي من الواجب التوقف عند محدداته وتموجاته²⁰⁷.
ورغبة من الدولة في ضبط المجال الديني، فقد كانت إرادة السلطة واضحة في إدارة الفاعلين الدينيين. يقول محمد ضريف إن "العلماء فقدوا استقلاليتهم من خلال إعادة هيكلة «المجلس الأعلى للعلماء» والمجالس العلمية المحلية، وتحويل «رابطة علماء المغرب» إلى «الرابطة المحمدية للعلماء»، كما أن الذين يمارسون وظيفة الإفتاء فقدوا وجودهم بشكل عام، حيث من الصعب الآن أن نتحدث عن مفتين مستقلين ما دامت هذه الاستراتيجية الدينية حصرت الإفتاء في ما يسمى: «الهيئة العلمية المكلفة بالإفتاء داخل المجلس العلمي الأعلى»²⁰⁸.

ويرى ضريف أن "هناك مسألتان أساسيتان طرحتا بعد أحداث 16 ماي بشكل أثار كثيرا من الالتباسات: المسألة الأولى تتعلق بعلاقة ما هو سياسي بما هو ديني في المغرب بعد أحداث 16 ماي، حيث كانت هناك قوى

206 عبيدودي عبد النبي، المجالس العلمية ورهان الإصلاح الديني بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية

العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكادال، الرباط، 2012-2013، ص: 70.

207 عبد الله بوصوف، في الحاجة إلى وسطية الإسلام التدين المغربي نموذجا، مرجع سابق، ص: 212

208 ضريف محمد، "الفاعل الديني بين اللاتسييس الجزئي والتسييس المفروض"، جريدة المساء، المغرب، عدد 16 دجنبر 2009، الرابط:

<https://www.maghress.com/almassae/32340>

حادثة تدعو إلى الفصل بين ما هو ديني وما هو سياسي. وفي نفس الوقت، كانت هناك تأويلات مقدمة من المؤسسة الرسمية في المغرب تحاول أن تلقي الضوء على طبيعة العلاقة. وأعتقد أن الخطابات الملكية كانت واضحة في ضبط العلاقة ما بين ما هو سياسي وما هو ديني، ولو أن الأمر أحياناً لم يقرأ بشكل سليم. كما أن الملك محمد السادس تحدث في الاستجواب، الذي خص به الجريدة الإسبانية «إلبايس» في يناير 2005، عن كون الدولة في المغرب ليست علمانية²⁰⁹.

أما المسألة الثانية كما يرى ضريف أنه كان هناك اتجاه يتصور أن النسق السياسي المغربي كان يسير نحو إحداث نوع من الفصل بين ما هو ديني وما هو سياسي ولو على مستوى الفاعلين الفرعيين، أي الفاعلين الدينيين والفاعلين السياسيين في نفس الوقت، بحيث لا يتدخل الفاعل الديني في الحقل السياسي ولا يتدخل الفاعل السياسي في الحقل الديني، غير أن أحداث 16 ماي فرضت تصوراً آخر، بمعنى أن المؤسسة الرسمية في المغرب حاولت ألا تحدث نوعاً من التمييز بين ما هو ديني وما هو سياسي، وإنما سعت إلى أن تحدث نوعاً من التمييز بين منزلة الفاعل الديني ودور هذا الفاعل، بمعنى أن هناك تمييزاً ليس بين الفعل الديني والفعل السياسي وإنما بين المنزلة والدور، بحيث ينبغي للفاعل الديني أن يحافظ على طبيعته كفاعل ديني، ولا يسمح له بتغيير طبيعته، أي أن ينتقل من فاعل ديني إلى فاعل سياسي، ولكن يسمح له بلعب دور سياسي. معنى ذلك أن الاستراتيجية الدينية الجديدة، التي أعلن عنها الملك بعد 30 أبريل 2004، كانت تقتضي أن يلعب الفاعلون الدينيون أدواراً سياسية²¹⁰.

وهو نفس الوضع بالنسبة للخطباء والوعاظ والأئمة، وهنا تتم الإشارة إلى المقرر الصادر عن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في 10 مارس 2006، والذي يحدد المواصفات والشروط المتطلبة في الإمام، بحيث يمكن أن

209 نفس المرجع السابق.

210 نفس المرجع السابق.

نقول إن عملية توظيف الإمام أو الخطيب أو الواعظ أصبحت تخضع لنفس الشروط و "نفس المسطرة التي يخضع لها كل موظفي الدولة في المغرب"²¹¹.

وإلى جانب الرغبة في إضفاء مصداقية على السياسة الدينية الجديدة بعد 30 أبريل 2004، يقول ضريف أن "هذه السياسة انبنت أساسا على فكرة التقريب بين الخطاب الرسمي الديني والخطاب الديني الشعبي، لذلك نجد الآن أن كثيرا من الفاعلين الدينيين الذين كانت الدولة ترغب في إقصائهم أصبحوا حاضرين بقوة داخل الحقل الديني حاليا. وهكذا، نجد داخل المجالس العلمية المحلية ممثلين عنهم، وطال الأمر الأئمة والخطباء في المساجد كذلك ممن ينتمون أصلا إلى «حركة التوحيد والإصلاح»، وهناك من ينتمي أو يتعاطف مع جماعة العدل والإحسان. أكثر من ذلك، هنالك رموز للتيار السلفي الوهابي أصبحت حاضرة في الحقل الديني عكس ما يُعتقد. بمعنى أن هناك الآن حقلا دينيا شبه مغلق يُطلب فيه من الفاعلين الدينيين أن يقوموا بدور سياسي"²¹². ويقول بول باسكون في دراسته للمجتمع المغربي وموقع الدين والمعتقدات فيه ودورها في حل عدد من المشاكل، أن التعايش هو سيد الموقف بين "السحر والاسلام الشعبي والاسلام السني والاسلام الصوفي، لم تعقد الغلبة قط لأحدها على الباقي، وإنما هناك في غالب الأحيان تعايش، إن لم يكن تحالف وإبدال. وفعلا، فالأولياء، المتصوفون، هم الذين عقدوا لواء النصر للإسلام المحارب الصارم في الفضاءات الوثنية والسحرية، وهم الذين ابتذلوا واسترجعوا شيئا فشيئا، لاحقا، ضمن بلبله لا مندوحة عنها تجمع البدع إلى الدين القويم، وهو مسار ومنحدر محتوم تتم استعادته باستمرار"²¹³.

وبما أن الإعلام هو أحد حلقات الصراع السياسي ووسيلة لترويج الخطاب الديني، فأصبح مجالا للمنافسة الدولية بين تيارات دينية متنوعة توظف الحاجات العقيدية والدينية من فتاوى وغيرها للمتدينين، فإن الدولة في المغرب

211 نفس المرجع السابق.

212 ضريف محمد، "الفاعلون الدينيون بعد 16 ماي 2003"، ورقة قدمت في ندوة نظمتها مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد، الدفاتر الزرقاء، مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد، العدد 10، دجنبر 2007، منشور في جريدة الاتحاد الاشتراكي، المغرب، بتاريخ 31 دجنبر 2008، الرابط:

<https://www.maghress.com/alittihad/84620>

213 باسكون بول، "الأساطير والمعتقدات بالمغرب"، ترجمة مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد الثالث، أكتوبر 1986، ص: 96.

اهتمت به في تدبير الحقل الديني. تجلى هذا الاهتمام في إطلاق إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم سنة 2004 كأول إذاعة وطنية مختصة في البرامج الدينية، ثم القناة التلفزيونية بنفس الاسم سنة 2005. تركزان كلاهما بالدرجة الأولى على القرآن الكريم تلاوة وتفسيراً ودرسا، وقد سبق تدشين هذه الإذاعة وتوقيع اتفاقية تعاون بين الإذاعة والتلفزيون المغربي ووزارة الاتصال من جهة، ووزارة الأوقاف من جهة ثانية، تلتزم بموجبها وزارة الأوقاف بالتوجيه الديني للإذاعة وجعلها موافقة للمذهبية المغربية، ومدتها بالأطر الدينية الكفاءة القادرة على إنتاج البرامج أو المساهمة فيها، في حين تتكفل وزارة الاتصال من خلال الشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة بالجانب التقني والتأطير الفني للإذاعة. إلى جانب ذلك تم إطلاق منصات إلكترونية للحديث الشريف، وإعادة الاهتمام بنشر التدين المسلم المغربي في إفريقيا وفي أوساط الجالية المغربية بالخارج، وأيضا في نشر القراءات المغربية للقرآن الكريم وتشجيع القراءة على الطريقة المغربية وتقديم الجوائز وتنظيم المسابقات الدينية وغيرها²¹⁴.

خامسا - تدبير المجال الديني: قطاع إداري تسلسلي تديره وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

حدد الظهير الشريف المنظم لهذه الوزارة في فصله الأول أهدافها على النحو التالي: "يعهد إلى وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية بالقيام بالإرشاد الإسلامي، والإشراف على كل أعمال الوعظ والتربية الإسلامية ونشر الخلق الإسلامي، وبعث ثقافة إسلامية، وربط أواصر التضامن الأخوي مع الشعوب الإسلامية عن طريق منظماتها، وإبداء الرأي الإسلامي"²¹⁵. كما نقل إليها اختصاصات وزارة الأوقاف وقسم الوعظ والإرشاد الذي تتضمنه في فصله الثاني. ومن أهم الإدارات التي تشكلت منها هذه الوزارة الحديثة إدارتي الدين والثقافة الإسلامية، ومما تختص به الأولى التربية

214 لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه، مرجع سابق، ص: 255-256.

215 الظهير الشريف المنظم لوزارة الشؤون الإسلامية، الجريدة الرسمية للمملكة المغربية عدد 2566، بتاريخ 29 دجنبر 1961، ص:

الإسلامية والوعظ والإرشاد والزوايا، وتختص الثانية بتوجيه المعاهد الإسلامية والمحافظة على علوم الإسلام وتكوين المرشدين للمغرب وإفريقيا بالإضافة إلى التأليف والترجمة وإحياء التراث الإسلامي²¹⁶.

ومن بين ما نص عليه هذا الظهير إنشاء هيئة للإفتاء من كبار العلماء المغاربة تتكفل بالإجابة عن الأسئلة التي ترد عليها من مختلف جهات المملكة، وتساعد الوزارة في إعداد الرأي متى طلب منها ذلك، ولم يفت المشرع في هذا السياق التنبيه إلى أن الفتاوى التي قد تصدر عن هذه الهيئة لها صبغة دينية صرفة، ولا يكون لها أي تأثير على القوانين الجاري بها العمل²¹⁷.

وفي شهر نونبر من سنة 1993 صدر ظهير جديد في شأن اختصاصات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وحدد لها عدة أهداف من أهمها، أداء رسالة الأوقاف والمحافظة على كيائها، الحفاظ على القيم الإسلامية وسلامة العقيدة، والحفاظ على وحدة المذهب المالكي، والتكوين والتأطير والدراسات في المجال الديني، ويلاحظ في هذا السياق تعاضم الاهتمام الرسمي بالأوقاف حيث جعل منها المشرع أولوية أساسية للوزارة، وأعطاهم الأسبقية عن الأهداف الخاصة بالحراسة الدينية²¹⁸.

ومن ناحية أخرى اختزل الحقل الديني الرسمي في ظهير 1993 في الأبعاد التالية: العمل الثقافي الذي يهدف إلى تطوير الدراسات الإسلامية والنشر والترجمة، بالإضافة إلى أعمال التوعية، والإفتاء والمجالس العلمية. غير أن أهم مستجد قانوني يتعلق بتدبير الحقل الديني هو ما حمله ظهير 1993، والذي يتمثل في الاعتراف القانوني بالجمعيات العاملة في الميدان الديني، وشرعنة الاتصال الرسمي بها، وربط العلاقات بها. وفي سياق بيانه لاختصاصات مديرية الشؤون الإسلامية جاء النص التالي: "ربط العلاقات مع الجمعيات العاملة في الميدان الديني داخل المغرب وكذا مع

216 نفس المرجع السابق.

217 نفس المرجع السابق، ص: 3340.

218 الظهير الصادر في 8 نونبر 1993 في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالجريدة الرسمية، عدد 4236،

5 يناير 1993، ص: 23.

المنظمات الإسلامية²¹⁹. وتفعيلا لهذا الاختصاص أحدثت مصلحة خاصة به، وقد شكل هذا النص مؤشرا قويا على عزم الدولة الواضح على الانفتاح على الحركات الإسلامية والتعاون معها²²⁰. فقد جعل هذا الظهير من الوزارة، ولأول مرة، أداة للحفاظ على " سلامة العقيدة، والحفاظ على وحدة المذهب المالكي"، بعدما كانت الدولة تعرف ميولا سلفيا في السنوات الأولى من الاستقلال، واهتماما محدودا بأمر المذهب المالكي²²¹. ومن الوثائق التي تثبت توجهات الدولة في تلك الفترة نجد كتاب علال الفاسي للملك الراحل الحسن الثاني، الذي جاء فيه: "ولقد عملت رغبة جلالتم في السير على النهج الذي خطه جلالة والدكم المقدس محمد الخامس رضي الله عنه حينما أسند منذ أول عهده حركة البعث الإسلامي، التي تجلت في الدعوة السلفية الحق الداعية إلى تطهير الدين وتقوية مظاهره وإنعاش مساجده ومعاهده، والدعوة إلى التمسك بأخلاقه، وتشجيع ما دعا إليه من أمر بالمعروف والنهي عن المنكر"²²².

وبذلك فإن طرق تدبير الدولة المغربية للمجال الديني لم تكن عائقا أمام ظهور تيارات وحركات وميولات فقهية تشجع على عودة الناس لتعاليم الإسلام، والتخلي بأخلاقه وقيمه، مثل ما كانت تقوم به التيارات السلفية ونشاطها في إلقاء الدروس والمواعظ في المساجد وحركات الإسلام السياسي، لاسيما في سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي بوجود تيارات يسارية اشتراكية وشيوعية كانت تعتمد المنطق المادي لإقناع الجماهير وفي تفسير الظواهر المجتمعية. غير أن أحداث كبيرة داخلية وخارجية، كان لها أثر واضح في مراجعة الدولة لسياستها الدينية خلال عقدي السبعينيات والثمانينات²²³، ونذكر من أبرز هذه الأحداث²²⁴:

- نشأة جماعة الشبيبة الإسلامية بزعامة عبد الكريم مطيع سنة 1972، ذات النهج المعارض والثوري

ضد النظام الملكي، ثم اغتيال عمر بنجلون، أحد قادة اليسار، وتورط أعضاء منها في هذا الحادث.

219 الظهير الصادر في 8 نونبر 1993 في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف، مرجع سابق.

220 لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه، مرجع سابق، ص: 248.

221 نفس المرجع السابق، ص: 249.

222 رسالة وزير الدولة المكلف بالشؤون الإسلامية علال الفاسي إلى الملك الحسن الثاني مؤرخة في 5 دجنبر 1961، نشرت في الجريدة

الرسمية للمملكة رفقة الظهير المحدث لوزارة الشؤون الإسلامية، عدد 2566، بتاريخ 29 دجنبر 1961، ص 3338.

223 لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه، مرجع سابق، ص: 249.

224 نفس المرجع السابق، ص: 249-250.

- رسالة عبد السلام ياسين، الوافد حديثاً من التصوف والزوايا والتي وجهها إلى الملك الحسن الثاني سنة 1974، والتي سماها "الإسلام أو الطوفان" والتي كانت عبارة عن حزمة انتقادات للنظام السياسي المغربي²²⁵.

- أحداث مكة سنة 1979 حيث استولى أكثر من 200 مسلحاً محسوباً على الاتجاه السلفي على الحرم المكي، وهو من مقدسات المسلمين، مدعين ظهور المهدي المنتظر، على عهد السعودي خالد بن عبد العزيز.

- الثورة الإيرانية سنة 1979، التي انتشرت أخبارها في مختلف دول العالم الإسلامي وأصبحت نموذجاً لنجاح ثورات ذات مرجعية إسلامية، وبذلك شكلت حافزاً لفئات واسعة من الشباب بمن فيهم الشباب المغربي.

حاليا تهتم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتنظيم مجال الوعظ والإرشاد في مساجد المملكة، وتكوين الأئمة والمرشدين، والقيام ببرامج محو الأمية وتجهيز المساجد بالتلفاز لبث حلقات الوعظ، وتدبير وضعيات القيميين الدينيين، وعملت على استقطاب عدد من الوجوه المحسوبة على التيارات الإسلامية الحركية. كما تنظم الوزارة رخص بناء المساجد وشروط الحصول على الإذن لممارسة مهام الخطابة والإمامة بعدما كانت تسود بعض الفوضى في هذا الجانب، وكانت الجماعات الإسلامية تعين من تشاء في الوعظ داخل المساجد بدون مساطر واضحة²²⁶.

وقد أصدرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية "دليل الإمام والخطيب والواعظ"²²⁷، الذي يهدف إلى تأطير الخطباء والواعظ والأئمة تأطيراً مذهبياً ينأى بهم عن موارد التدين المختلفة. وقد كان الهدف من وراء هذه الإجراءات هو التصدي للتيارات الفقهية التي أصبحت تنتشر عبر القنوات الفضائية والانترنت لمدارس وعظية غير مالكية أو

225 حسن أوريد، الإسلام السياسي في الميزان (حالة المغرب)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2016، ص: 29.

226 لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه، مرجع سابق، ص: 250-258

227 دليل الإمام والخطيب والواعظ، منشور بالموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بعدما صادق عليه المجلس العلمي الأعلى بتاريخ 17 مارس 2006.

غير سنوية أصلاً. هذا الدليل الذي أصدرته الوزارة يهدف أيضاً إلى نقل القيمين الدينيين من القيام بدور التنمية الروحية إلى دور التنمية الوطنية. وأصبح يطلب من القيمين الدينيين أن يأخذوا بعين الاعتبار، في تعاطيهم مع الشأن الديني، متغيرات المحيط الدولي، من أجل تقديم صورة عن إسلام متسامح معتدل، بمعنى هناك وظيفة سياسية رسمية يقوم بها هذا الفاعل الديني الرسمي لكنها ربما تكون غير كافية، لذلك يتم اللجوء إلى فاعل ديني غير رسمي أو فاعل سياسي ديني غير رسمي كبعض حركات الإسلام السياسي أو بعض الزوايا والطرق الصوفية²²⁸.

وهناك بعض التصريحات التي أدلى بها محمد توفيق بصفته وزيراً للأوقاف، فيما يتعلق بإمكانية السماح لخطباء المساجد، مثلاً، بالترشح في الانتخابات، بشرط الاختيار بين دور الإمامة أو دور النيابة في المجالس المنتخبة²²⁹. بمعنى أنه يسمح للفاعل الديني بأن يتحول إلى فاعل سياسي شريطة أن يفقد ماهيته كفاعل ديني، أما الجمع بينهما فلا تسمح به الاستراتيجية الدينية²³⁰، غير أنه يدون أن هذه الاستراتيجية لا يمكن أن تنجح إلا بفاعلين دينيين يقومون بأدوار سياسية²³¹. ونجد من أبرز اختصاصات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي حددتها النصوص المؤطرة لعملها²³²:

- العمل على التعريف الصحيح بحقائق الدين الإسلامي الحنيف والسهر على نشر تعاليمه السمحة وقيمه الراسخة
- الحفاظ على القيم الإسلامية وسلامة العقيدة، والحفاظ على وحدة المذهب المالكي والعمل على ضمان إقامة الشعائر الدينية في جميع مساجد المملكة.
- المساهمة في بناء المساجد وترميمها وتوسيعها وتجهيزها وتأطيرها، ودراسة طلبات الترخيص ببنائها.

228 لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه، مرجع سابق، ص: 250-258.

229 ضريف محمد، الفاعل الديني بين اللاتسييس الجزئي والتسييس المفروض، مرجع سابق.

230 نفس المرجع السابق.

231 ضريف محمد، الفاعل الديني بين اللاتسييس الجزئي، مرجع سابق.

232 انظر الظهير الشريف رقم 1-03-193 صادر في 9 شوال 1424 (4 ديسمبر 2003) في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية، الجريدة الرسمية عدد 5172، بتاريخ 25 ديسمبر 2003.

- إعداد سياسة الدولة في مجال التعليم العتيق والإشراف عليه وتنظيم شؤونه.
- توثيق أوامر التعاون وإقامة علاقات التبادل والتنسيق مع القطاعات والهيئات الوطنية والدولية في إطار السعي لتحقيق أهداف الوزارة.
- وضع سياسة للتكوين الأساسي والمستمر لفائدة الأطر الدينية من أجل تحسين أدائهم والرفع من مستوى تكوينهم.

وبذلك فإننا نتساءل هل من العقلانية تحويل " الدين " إلى قطاع إداري تسلسلي وما يعنيه ذلك من تسلسل إداري ومساطر توظيف، وإفتاء بعد موافقة الرؤساء الإداريين، لاسيما عبر سلم إداري عبر المجالس العلمية المحلية ثم الإقليمية ثم الجهوية ثم المجلس العلمي الأعلى؟ هل من المستساغ أن يتحول الأئمة والمرشدون الدينيون إلى موظفين ينتظرون الترقيات، وقد يمارسون العمل النقابي، وبالتالي تضعف قدرتهم على الاشتباك مع تيارات إسلامية غير متوافقة مع مذهب وتوجه الدولة الديني؟ في نظرنا هذا الوضع قد يقسم العلماء والخطباء إلى فئة تنتمي "للقطاع العام" مقيدة بواجبات تحفظ كثيرة وبالتزامات مهنية وببطء بيروقراطي في التعامل مع "المستعجلات الدينية"، وفئة تنتمي "للقطاع الخاص" تنتسب إلى الجماعات الإسلامية والجمعيات الدينية، الأكثر سرعة وقرب في الإنجاز الإفتائي وغير المقيدة بأي التزامات مهنية، مما يقتضي في نظرنا أن يعاد بلورة تصور توظيف الخطباء بناء على تصور شبيه بالتدبير المفوض بناء على دفاتر تحملات واضحة ودقيقة للتعامل مع سرعات زمن الأنترنت وتكنولوجيا التواصل الحديثة.

نفترض أن الدين هو مجال وجداني بالدرجة الأولى، وعلى أساسه يتخذ المتدين عدة علاقات وقرارات، وأن الزمن الحالي هو زمن تكنولوجيا تواصل سريعة، فهل يعقل ان ينتظر أحيانا المتدين سلما إداريا للحصول على فتوى تشبه قرارا اداريا في شكل اتخاذها، لاسيما أنه يجد نفسه أمام انفتاح تكنولوجي عبر الانترنت على فتاوى مشرقية مثلا أو سلفية أو غيرها؟ لذلك نرى أن أحد أسباب انتشار بعض التيارات الإسلامية وانتشار الخطاب الديني غير الرسمي،

هو هذه البيروقراطية التدينية، التي جاءت مصاحبة لمشاريع الإصلاح الديني الأخير، مما جعل علماء وفقهاء "القطاع العمومي"، خارج الاشتباكات الفقهية والعقدية التي تدور في مكان آخر غير المسجد وهو شبكات التواصل الاجتماعي تحديداً.

سادسا - دور الزوايا في تدعيم السلطة الروحية للسلطان

هناك من يصف حركة المتصوفين بالإسلام الشعبي، وبمركزيته في التدين المغربي منذ ما قبل الحماية الفرنسية²³³. يقول المؤرخون أنها حركة ولدت في المشرق نتيجة ضعف التدين وتفسخ الأخلاق وتحديداً في عهد الدولة العباسية²³⁴. وقد كان الصوفي ينزل بنفسه عن العالم كسلوك له ربما دلالة دينية واجتماعية وسياسية كذلك، قاصداً التعبد والتمعن في الكلمة الإلهية، ويقنع بلباس من الصوف وبنزر قليل من الطعام، زاهداً في حياة الناس وممتلكاتهم²³⁵.

وانتقلت هذه الحركة إلى المغرب الإسلامي حسب العديد من الدارسين، في عهد المرابطين والموحدين بشكل واضح، على شكل ممارسة شعبية للدين، وكشكل من أشكال التدين البعيدة على رسميات السلطة، وربما كرد فعل تجاهها. إذ ظهرت "رباطات" التجأ إليها المتصوفة قصد تعليم الناس أمور دينهم وتدبير حياتهم، لكن بعد توسع الحركة، تعرضت للقمع الديني والسياسي من طرف الدولة الموحدية، مما دفعهم وأتباعهم إلى أن يساعدوا القبائل المرينية على مقاتلة هذه الدولة والوصول إلى السلطة²³⁶.

ويرجع الباحثون إنشاء الزوايا تاريخياً إلى السلطان المريني أبا يعقوب يوسف (1258م-1286م)، لكن الغرض الأساسي من بنائها حسبما يبدو، هو استقبال الوفود الأجنبية وغيرها، أي عبارة عن فنادق رسمية. غير أن

233 ضريف محمد، الحقل الديني المغربي ثلاثية السياسية والتدين والأمن، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، نونبر 2017، ص: 20.

234 عبد اللطيف أكنوش، "السلطة والمؤسسات..." مرجع سابق، ص: 80.

235 السعيد عبد الرزاق، "المؤسسات الدينية السياسية ودورها في التحولات الراهنة مقارنة سوسيو تاريخية"، مرجع سابق.

236 إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994، ص: 106-120.

السلطان أبا عنان (1351م-1357م)، قرر ميزانية خاصة لهذه الزوايا، لتصير مقصدا مفضلا للمسافرين، ومريدي الطرق الصوفية وخاصة الفقراء منهم، وربما بهذا السلوك قد بدأ شكل جديد من التدين، وعهدا جديدا لمؤسسة جديدة سوف يكون لها شأن في الحياة الدينية السياسية²³⁷. وقد "صارت الزوايا مرتعا خصبا للتأطير السياسي بعد الديني من جهة، وللمعارضة السياسية من جهة أخرى، وظهرت شخصيات صوفية ادعت في الغالب النسب الشريف، كما ادعت الإتيان بالخوارق والتميز باحتكار البركة والكرامات التي كان الشعب متعطشا لها بفعل ظلم السلطة الحاكمة وقهرها. وعملت على بناء الزوايا بشرعية دينية لتمارس العمل السياسي، فأضحت مقرا لتعليم الصوفية"²³⁸.

وقد ساهمت هذه الزوايا والطرق الصوفية في صد الاحتلال الأجنبي منذ التاريخ الحديث (القرن السابع عشر والثامن عشر ميلادي)، في وقت عجزت السلطات الرسمية عن التصدي له. فظلت مهمة الجهاد في كثير من الأحيان مقتصرة على هذه الزوايا التي ولد من رحمها الأشراف السعديون في سوس (زاوية تاكمدارت الصحراوية)، وهم من سيتمكن من حسم السلطة السياسية اعتمادا على شكل من أشكال التدين أي الزوايا والطرق الصوفية، و سيعملون على توحيد البلاد سياسيا²³⁹. ويرى بعض الباحثين أن الزاوية شكلت مجالا لحركية النخبة في تاريخنا المعاصر، و قناة تواصلية مثلها مثل المسجد، فقد كانت مخصصة لإلقاء الدروس وفي نفس الوقت مكانا للاجتماع وإيصال الخبر السياسي ونشره كقناة للتواصل الديني لتصريف الموقف السياسي²⁴⁰.

237 بن شقرون محمد، مظاهر الثقافة المغربية في عهد المرينيين، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982، ص: 123.
238 C.A.Julien , Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1978,; p 197. مرجع ذكره في دراسته الباحث السعيد عبد الرزاق، "المؤسسات الدينية السياسية.."، مرجع سابق.
239 السعيد عبد الرزاق، "المؤسسات الدينية السياسية.."، مرجع سابق.
240 الزاهي نور الدين، الزاوية والحزب، الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، افريقيا الشرق 2003، الطبعة الثانية، ص: 211.

ظاهرة الزوايا تعتبر شكلا من أشكال مظاهر القداسة، وقد امتزجت بها لتكونا وجهين لظاهرة واحدة، ولهذا لا يمكن أن نعتبر القداسة، الزاوية، الشرف والبركة، سوى أبعاد مختلفة لظاهرة واحدة هي الديني بمعناه الأنثروبولوجي الواسع²⁴¹.

إن جل الباحثين الذين اهتموا بظاهرة الزوايا سواء منهم المغاربة أو الأجانب يتفقون على وجوب البحث عن جذور ظاهرة الزوايا بالرجوع إلى الحركة الصوفية التي دخلت المغرب ابتداء من القرن الثاني عشر ميلادي، وانتعشت مع بروز أزمة السلطة التي حدثت في القرن السادس عشر بسقوط الوطاسيين، مما أحدث وقتها تحولا مهما في التاريخ الديني للمجتمع، لصالح نوع من التصوف الشعبي مضمونه الإيمان بالقدرة والاستسلام لهذه الوضعية، مما وسع هامش التواصل والاحتواء لدى المركز القراري للدولة²⁴².

فمن أهم مميزات الإسلام الذي دخل المغرب أنه كان تدينا حضريا بالأصالة، وذلك ما يفسر ارتباط تشييد المدن التاريخية الكبرى بالفاتحين للمغرب كفاس؛ القيروان؛ ومراكش، وأصبحت بالتالي المدينة هي المجال الأساسي الذي تزوج فيه القيم الإسلامية²⁴³، بالنظر إلى أن المدينة تحتضن العلماء والمساجد والمدارس، وبقيت البوادي إلى حد ما خارجة عن دائرة هذه التنشئة الدينية²⁴⁴. ومع دخول الطرق الصوفية "الزوايا" إلى المغرب أحدث تحول جذري في الخريطة الدينية للمجتمع، بحيث إن الإسلام كمنظومة شاملة سوف لن يبقى مقصورا على الحواضر بل سيمتد إلى القبائل، عن طريق الأشياخ والطرق الدينية والعلماء والصلحاء²⁴⁵ وسيسمح بتوسع الخطاب الديني للمركز القراري للسلطة ليشمل القرى والبوادي، و أصبح الأمر يقتضي للحصول على صفة الشيخ التوفر على صفات معينة تميزه عن

241 الدكالي كريم، التأطير القانوني للحكامة الامنية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السوسية بالرباط، مختبر الدراسات والأبحاث القانونية والسياسية، السنة الجامعية 2021-2022، ص: 152.

242 بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت و المتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، فبراير 1991، ص: 39.

243 الدكالي كريم، التأطير القانوني للحكامة الأمنية، مرجع سابق، ص: 153.

244 بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع...، مرجع سابق، ص: 4.

245 جنوبي محمد، الأولياء في المغرب الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية السوسيو ثقافية، مطبعة دار القرويين، المغرب، 2004، ص: 10-11.

العامّة. وأكثر هذه الصفات شيوعا هي الشرف، إذ إن الأصل الشريف مبدأ للإجراء كضرورة للتعبئة في الغالب، ولكن غياب الشرف قد يعوض عنه بالعلم²⁴⁶. إن وضع الغرابة يضا هي وضع المقدس، بل إن إحدى وظائف القداسة هي إدماج الغرابة داخل المقدس، بحيث هناك ظواهر قد تدعم الغرابة لكن عندما يستوعبها المقدس فإنها تأخذ معناها وتفقد غرابتها، وقد يكون الجهل المطلق أيضا من سمات القداسة²⁴⁷.

ويعتبر تراكم هذا الرصيد من صفات الشرف أو العلم أو الغرابة أو الجهل ضروريا لكل مبتدئ في الطريق، وعندما يتوفر لديه هذا الرصيد تبدأ ملامح ظهور البنية الأولية للزاوية "القادرية، الشاذلية"²⁴⁸. وتشكل ظاهرة الزوايا على الرغم من تحفظات العلماء حول شرعيتها أو إنكارهم لها، عنصر استمرارية للأسس الرمزية التي يقوم عليها المخزن²⁴⁹، بحيث ظلت تعمل على ترسيخ تلك الأسس داخل المجتمع، ويتجلى ذلك في ارتباط الأصل الشريف بمؤسس الزاوية، و ترسخ هذه الظاهرة بشكل أو بآخر مبادئ الشرف وتصوره في الوعي القبلي، وتجسد بذلك لدى العموم الحضور الروحي للسلطان كشريف وكصاحب بركة فيه مصلحتها وهو الضامن لوجودها والساخر على أمنها المحافظ على أموالها²⁵⁰.

إن الزاوية كما رأينا ليست نقيضا إيديولوجيا للمخزن، بمعنى أن تعاليمها وقيمها لا تتضمن مشروعا إيديولوجيا مناهضا، إلا أنها مع ذلك قد تكون طرفا ينافس المخزن أحيانا في مجال السلطة، ذلك ما يفسر تباين المواقف من ظاهرة الزوايا. موقف قد نسميه مبدئيا وموقف عملي سياسي²⁵¹. هناك موقف يرفض ظاهرة الزوايا باعتبارها انحرافات

246 الدكالي كريم، التأطير القانوني للحكامة الأمنية، مرجع سابق، ص: 153.

247 المهناوي محمد، التنظيم العسكري وعلاقته بالسلطة والمجتمع في العهد العلوي، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، الجديدة، 1996، ص: 312.

248 الدكالي كريم، مرجع سابق، ص: 153.

249 أكنوش عبد اللطيف، "المكانة الاجتماعية والسياسية للشرفاء في المغرب"، في مجلة أبحاث، المغرب، العدد 18، 1988، ص: 17.

250 الدكالي كريم، نفس المرجع السابق.

251 بورقية رحمة، مرجع سابق، ص: 24-43.

مخالفة لتعاليم الإسلام، وجدت بالأساس في المحيط القروي على هامش الإسلام الرسمي، وصار لها صدى ملحوظ خاصة في المحيط، وتطبعت بطابعه المتمرد إلى حد متفاوت حسب القضايا والحالات²⁵².

فوجود هذا الموقف المبدئي من الزوايا لا ينفي وجود موقف عملي، يتجلى في تشجيعها مع مراقبتها واستغلال نفوذها²⁵³. يعترف المخزن بكل الزوايا، بل ويعزز وجودها بظواهر التوقير والاحترام الذي يضمن لها امتيازاتها من زيارات وفتوحات مع إعفائها من الضرائب التي تكلف به العوام، كما يتدخل المخزن أحيانا للمحافظة على استمراريتها، وتسعى هي أحيانا إلى هذا التدخل لأجل ضمان مصالحها، يواكبه تدخل للمراقبة يضع لسلطة الزاوية حدودا لا يجب أن تتخطاها. ويتدخل المخزن لفك الصراعات داخل الزوايا أو لتدبير أزماتها خصوصا أزمات التوريث بعد وفاة شيخ الطريقة أو مدبرو شؤون الزاوية، ويتدخل مثلا في تنظيم تعاقب مناصب المقدمين أو "مزوار" الزاوية، فيقوم المخزن بالتعيين في هذه المواقع عند وجود خلافات، بظهير شريف وباقتراح من القائد أو الباشا، وفي كلتا الحالتين يكون الظهير الشريف أمرا ضروريا لإضفاء المشروعية على تلك الخلافة²⁵⁴.

هناك حالات تدخل فيها المخزن في شؤون الزوايا بغية إضعافها إذا قوي نفوذها، وذلك بإحداث أو تشجيع زوايا أخرى تنافسها في مجالها أو بإحداث انشقاقات داخلها²⁵⁵. كما عملت إدارة الحماية الفرنسية على تقليص نفوذ الزوايا وحتى العلماء من خلال قطع الطريق عنهم في الاستقلالية المالية التي كانت مجسدة في تدبير جزء من الوقف والحبوس التي كانت تشكل موردا ماليا مستقلا، يمنح الزوايا والعلماء استقلالية عن موارد الدولة. وضعت إدارة الحماية الفرنسية خطة لإصلاح نظام الأحباس وفق تصور المقيم العام الفرنسي الماريشال ليوطي ضمن بنود معاهدة فاس لسنة 1912، كانت الغاية من ذلك هو "وضع حد نهائي لنظام تبذير أملاك الأحباس، تأسيس صندوق للمرافق التي

252 نفس المرجع السابق.

253 باسكون بول، "الأساطير والمعتقدات بالمغرب"، ترجمة مصطفى المسناوي، مرجع سابق، ص: 83-103.

254 بورقية رحمة، مرجع سابق، ص: 44.

255 Godelier Maurice, "L'État: les processus de sa formation, diversité de ses formes et ses bases", in Revue internationale des sciences sociales, XXXII, 4, 1980, p. 657-671, lien:

https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000043597_fre

يجب تخصيصها مباشرة للعمل الإحساني، إعادة الاعتبار للبنىات، من خلال تدبير مبسط وعقلاني لها، مع أخذ الحقوق المكتسبة بعين الاعتبار، السهر على أن توجه مجمل المداخل لأعمال الخير طبقا لرغبة المانحين، تخفيف إجراءات التحبيس كي يكون الوقف في خدمة التنمية الاقتصادية للبلاد، تكوين فريق من الموظفين المغاربة متخصصين لتدبير شؤونها في المناهج الإدارية العصرية". فترتب على هذا الإصلاح خلق وزارة مكلفة في صلب "المخزن المركزي" بالأحباس بموجب ظهير 30 أكتوبر 1912. تلا ذلك خلق مديرية عامة للأحباس من بين ظهرائه ذات الوزارة من خلال ظهير 4 غشت من العام 1915²⁵⁶. في الآن ذاته، وبحكم تعدد وتنوع الصيغ القانونية التي كان يأخذ بها، فإن الوقف قد أسهم أيضا وبنسبة كبيرة، في تلبية الحاجيات الحياتية للعديد من الشرائح الاجتماعية الهشة،²⁵⁷ وأخذ بيد فئة القائمين على مرافق الحقل الديني كمسيري المساجد، والعلماء، وجماعات الشرفاء وغيرها. وقد تعرضت بعض الزوايا إلى الملاحقة والتضييق، من قبل الحكومة التي تشكلت من أطر حزب الاستقلال (1956-1960) التي قامت بملاحقة المتصوفة والتضييق عليهم، لاسيما أولئك الذين حامت حولهم شبكات أو الذين تورطوا في علاقات مشبوهة مع المستعمر الفرنسي. استغلت نفس الحكومة إشاعة قيم التدين السلفي وفسح الطريق أمامه، غير أن هذه السياسة لم تكن محل اتفاق بين جميع المتدخلين وخاصة الملك محمد الخامس، الذي عمل من جهته على حماية الزوايا والتجاوز عن مذنبهم في حق الوطن، وخاصة الزاوية الكتانية التي أيدت في الماضي قرار نفي سلطات الحماية الفرنسية للسلطان محمد الخامس²⁵⁸.

وفي إطار هيكله الحقل الديني الذي تبنته الدولة على عهد الملك محمد السادس، اعتنى المشروع بالتصوف وبالزوايا²⁵⁹، وعمل على إحياء معانيه ورسومه في الحياة المغربية، باعتباره مرجعية للسلوك والمنهج الروحي السليم،

256 عبد الله بوصوف، في الحاجة إلى وسطية الإسلام التدين المغربي نموذجا، مرجع سابق، ص: 322 إلى 327

257 نفس المرجع، ص: 324

258 محمد الطوزي، "الإسلام والدولة في المغرب العربي"، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، العدد 13/14، سنة 1991/1992، ص 28.

259 لشهب نور الدين، التواصل الجهادي...، مرجع سابق، ص: 257.

إلى جانب الفقه المالكي باعتباره مرجعية للأحكام والأشعرية مرجعية للعقيدة. وفي هذا السياق قامت الدولة بمجموعة من المبادرات الداعية إلى تجديد رسالة التصوف في الحياة الراهنة للمغاربة، ودعم حضوره الاجتماعي والثقافي، ومن أبرز هذه المبادرات²⁶⁰:

- لقاء سيدي شيكر، والذي اعتبر بمثابة مؤتمر عام يجمع كافة المنتسبين للتصوف في المغرب، وينعقد في موقع له ثقل رمزي تاريخي كبير هو رباط شاكور، نسبة إلى أحد أصحاب عقبة بن نافع فاتح المغرب، ويعد من أولى الرباطات التي ظهرت في المغرب المسلم. وانعقد لقاء سيدي شيكر في شهر شتنبر من سنة 2004، وكان عالميا حيث شارك فيه عدد من اقطاب التصوف الأجانب، وانعقد اللقاء الوطني الأول في شتنبر 2008.

- التجمع العام لرواد الطريقة التيجانية بفاس في شهر يونيو من سنة 2007، حيث "حاول المغرب بمناسبة مرور 200 عاما على وفاة الشيخ سيدي أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية أن يجمع بمدينة فاس الشيوخ المنتسبين إلى التيجانية من أزيد من أربعين دولة، ويؤكد مرة ثانية على رعايته الثابتة للتصوف، ورغبته الواضحة في جعل الحركات الصوفية رأس حربة في مواجهة البدع الضالة، والتطرف الأعمى، والتسييس المغرض". وهناك أنشطة ثقافية وفكرية بشكل منتظم كل سنة، تقوم بها زوايا أخرى مثل الزاوية البوتشيشية والزاوية العلمية وغيرها.

سابعاً- دور العلماء في الاستقرار السياسي

اضطلع علماء المغرب بأدوار متعددة في حياة المجتمع، واستطاعوا أن يشكلوا فئة اجتماعية تحد من ملة أعيان المدينة ذوي التأثير الفعلي في تشكيل "الرأي العام" واتخاذ القرارات الملانمة، وتصغي إليها وتثق بها شريحة

عريضة من المجتمع، وهو ما أدى إلى تعزيز دورهم الاجتماعي والسياسي من خلال المكانة التي يحتلها العالم بين أقرانه المشتغلين بالعلوم الشرعية²⁶¹.

غير أن استقلال العلماء لم يصل في المغرب إلى ما عرفته بلاد إسلامية أخرى مثل الدولة العثمانية، حيث ظلوا مجرد زعماء طبيعيين فقط لسكان الحواضر، وكانوا يعبرون عن تذرهم من قرارات السلطة بطرق مختلفة، مثل موقف "كنون والتادلي" من ضريبة المكس، وموقف "محمد بن عبد الكبير الكتاني" من التنازلات التي قدمها السلطان عبد الحفيظ إلى فرنسا ومعارضته لسياسته حتى ذهب ضحية ذلك²⁶².

وجعل ظهير 2004 من مؤسسة العلماء ومؤسسة قوية مركزيا ومحليا، من حيث الأجهزة المسيرة والاختصاصات والانتشار الجغرافي²⁶³:

- من الناحية المؤسساتية وخلافا للتجربة السابقة تحول المجلس العلمي الأعلى إلى مؤسسة مكتملة البناء، يدير شؤونها الكاتب العام، ويسهر على تنفيذ اختصاصاتها، وتتمتع باستقلالية كبيرة تجاه وزارة الأوقاف، بعدما كانت الوزارة هي المشرفة عليها التجربة السابقة. كذلك المجالس العلمية المحلية فهي الأخرى عرفت تطورا مؤسساتيا كبيرا، حيث توفر لها نظام داخلي دقيق، وألحقت بها لجانا دائمة تعنى بالدراسات والأبحاث، والتوعية والإرشاد الديني، والعمل الاجتماعي والثقافي²⁶⁴.

- ومن ناحية الاختصاصات، انتقلت مهام المجلس العلمي الأعلى من ثلاثة إلى ستة مهام كبرى، تصب كلها في اتجاه إعطاء مدلول عملي للمجلس، وتقوية الرقابة والمتابعة المركزية للمجالس العلمية المحلية، حتى تؤدي مهامها على أحسن وجه، بحيث أضيفت إلى الأهداف التي كانت موجودة في القانون القديم أهداف أخرى تتمثل في إعداد برنامج سنوي يتضمن أنشطة المجالس العلمية المحلية المقترح القيام

261 بورقية رحمة، مرجع سابق، ص: 76.

262 الدكالي كريم، مرجع سابق، ص: 155.

263 لشهب نور الدين، مرجع سابق، ص: 253.

264 نفس المرجع السابق، ص: 254-255.

بها، وإصدار التوجيهات والتوصيات الرامية إلى ترشيد عمل المجالس، وإحالة طلبات الإفتاء على الهيئة المختصة بذلك²⁶⁵.

- ومن ناحية الامتداد الجغرافي، أصبحت المجالس العلمية في عهد الملك محمد السادس تغطي سائر تراب المملكة، فانتقل العدد إلى 70 مجلسا، وضمنها المجلس العلمي للمغاربة بأوروبا، في حين كان عددها في عهد الحسن الثاني لا يتعدى أربعة عشر مجلسا. ويعتبر ظهير 22 أبريل 2004 الذي تمت بموجبه إعادة تنظيم المجالس العلمية أول خطوة فعلية لاستعادة المبادرة في مجال الفتوى من قبل الدولة، حيث نص هذا الظهير على إحداث "هيئة مكلفة بالإفتاء" لتتولى إصدار الفتاوى الرامية إلى بيان حكم الشريعة الإسلامية في القضايا ذات الصبغة العامة²⁶⁶.

تتعرز مكانة العلماء في المجالس العلمية، بإعادة تنظيم رابطة العلماء التي تحول اسمها إلى الرابطة المحمدية لعلماء المغرب"، بموجب الظهير المنظم لها الصادر في 14 فبراير 2006. وبحسب مضامين الخطاب الملكي وظهيرها المؤسس أريد لها أن تكون دعامة إضافية للقيام بوظيفة التأطير في إطار "الاستراتيجية المندمجة والشمولية" لتأهيل الحقل الديني في المملكة، وهو ما أشارت إليه ديباجة الظهير المذكور بوضوح، التي جاء فيها: "استكمالا لحلقات مسلسل إصلاح الشأن الديني الذي جعلناه في صدارة اهتمامنا وثابتنا من ثوابت سياستنا، ورغبة في ترشيد عمل علمائنا الأجلاء وتنظيم جهودهم وتنسيق أعمالهم الخيرة حتى يكونوا جبهة واحدة موحدة، وصفا مترابعا في مجاهدة الضلال والجمود ومنازلة التطرف والجمود"²⁶⁷.

265 لشهب نور الدين، مرجع سابق.

266 نفس المرجع السابق.

267 انظر الظهير الشريف رقم 1.05.210 الصادر في 15 من محرم 1427 الموافق 14 فبراير 2006، القاضي بتحويل جمعية رابطة علماء المغرب صفة مؤسسة ذات نفع عام تحت اسم «الرابطة المحمدية للعلماء، الجريدة الرسمية، الجريدة الرسمية عدد 5418، ص: 1106. وجاء في ديباجة هذا الظهير ما يلي: "استلهاما من روح أصلتنا الإسلامية العريقة، وسيرا على سنن أسلافنا الميامين في إعلاء منارة العلم والمعرفة، واستنفار الهمم، وشحذ العزائم وتعبئة القدرات وتجميع الطاقات؛ وقياما بالأمانة المنوطة بنا بوصفنا أميرا للمؤمنين، وما تستلزمه الإمامة العظمى من واجب حراسة الدين وإقامة شعائره وشرائعه، وتمنيع قيمه ومكارمه مما قد يلابسها من ذرائع الزيغ والانحراف أو شوائب التنطع والابتداع؛ واستكمالا لحلقات مسلسل إصلاح الشأن الديني الذي جعلناه في صدارة اهتماماتنا وثابتنا من ثوابت

ولتمكين الرابطة المحمدية لعلماء المغرب في حلتها الجديدة من القيام بوظائفها على أحسن وجه، اعتبرها المشرع مؤسسة ذات نفع عام، وهو ما يخول لها مجموعة من الامتيازات، وفي مقدمتها تلقي التمويلات الأساسية من الدولة²⁶⁸. تميزت هيئة العلماء عبر التاريخ المغربي بكونها مؤسسة استشارية للسلطة المركزية المتمثلة في شخص السلطان، دون سواه، والذي يشكل في حد ذاته مؤسسة مستقلة عن باقي القبائل، لكن يبقى السؤال مطروحا حول طبيعة هذه الاستشارة²⁶⁹.

فإذا كان وضع الشرفاء يستمد قوته من هبات السلطان ودعم القواد، فإن فئة العلماء تستمد وضعها من مكانتها لدى أهل القرى، ولم تكن عادة تملك ما يكفي من الاستقلالية تجاه السلطان لإقرار فكر قادر على التأثير في الحياة الاجتماعية ومخالفة السياسة المخزنية عند الضرورة، ولا يمكن فهم هذه النتيجة إلا بطرح علاقة الديني بالسياسي في المجتمع المغربي إبان القرن التاسع عشر كمسألة نظرية. يستمد السياسي مشروعيته من الديني بما يتضمنه من دلالات الرمزية، إذ لا يعتبر السلطان سلطانا إلا إذا بايعته مدينة فاس ذات الدلالة الرمزية المهمة، باعتبار أنها المجال الذي يحتضن العلم والعلماء، ولأنها أيضا المجال الذي يجعل من الاعتراف بالسلطة إعادة إنتاج رمزي لنموذج من الحكم قام على أساس الشرف مع الأدارسة²⁷⁰.

و يكون اعتراف أهل فاس في كل مرة إجراء طقوسيا يقتضي العودة إلى البداية الأصلية والتكرار الرمزي لعملية تأسيس الحكم المشروع، إذن فلسطة السياسي لا تتم إلا عندما يدعمها الديني، ومن هنا يستمد العلماء ما لهم من تأثير كمؤسسين للسلطة. ولا تكتمل سلطة الديني إلا بدعم السياسي²⁷¹، إلا أن سلطة الديني الفرعي المجسدة في العلماء ظلت تعيش كبنية دينية سياسية تقليدية، بمنأى عن أي تحول للمجتمع وغير منخرطة في التغييرات السياسية الكبرى

سياستنا؛ ورغبة في ترشيد عمل علماننا الأجلء وتنظيم جهودهم وتنسيق أعمالهم الخيرة حتى يكونوا جبهة واحدة موحدة وصفا متراسا في مجاهدة الضلال والجحود ومنازلة التطرف والجمود".
268 نفس المرجع السابق.

269 ضريف محمد، مؤسسة السلطان الشريف بالمغرب محاولة في التركيب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988، ص: 51-69.

270 الأنصاري محمد، أحكام ولاية العلم والعلماء اتجاه الدولة والمجتمع، أطروحة لنيل الدكتوراه في الفقه الإسلامي، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب، 2001-2002، ص: 479.

271 بورقية رحمة، مرجع سابق، ص: 77.

والتحولات المجتمعية²⁷² والتواصلية والتطورات التكنولوجية، وليست لها ارتباطات كبيرة مع تطلعات الأجيال الجديدة خصوصا أمام انفتاح تواصل كوني، يمكن أن يفسر ضرورات التفكير في مشاركة الديني في الحياة السياسية من خارج دوائر المجال الديني التقليدي للتعامل واحتواء الأزمات الجديدة، كالتطرف الديني والإرهاب والتشيع، وهو الأمر الذي جسده تواجد بعض حركات التيار الإسلامي في الحياة السياسية المغربية منذ أواخر التسعينيات من القرن الماضي.

ثامنا - إرث الاستعمار الفرنسي: محاولة علمنة اللغة العربية في علاقتها بالدين

لقد واجه العقل السياسي-الاستعماري الفرنسي، في سعيه لفرض توجهاته وفرض مبادئ الجمهورية الفرنسية "العلمانية" وفي سعيه لبناء نظام جديد في المغرب، صعوبة تدبير العلاقة مع الإسلام ومؤسساته ورموزه، الذي يعتبر المصدر الأساس للشرعية السياسية في النظام السياسي التقليدي بالمغرب²⁷³. وقد استطاع الساسة الفرنسيون وعلى رأسهم المارشال ليوطي (Hubert Lyautey) التغلب على هذه الصعوبات، وتحقيق نوع من الاستقلالية للمجال السياسي عن الديني، وإعادة تنظيم المرفق الديني والأوقاف الإسلامية، وحصر الدين ووظائفه في زوايا ضيقة تتعلق بالعبادات، والأحوال الشخصية، والإرث، وبعض القضايا العقارية بعدما كان حاكما ومهيمنًا على كل شيء²⁷⁴. وكان من أهم ما جاء به الاستعمار الفرنسي هو فرض اللغة الفرنسية في مجموعة من المجالات وعلى رأسها صناعة القاعدة القانونية الوضعية، وبذلك فلا شك أن العقلية العلمانية بلغتها وتصورها لما هو ديني وما هو زمني، ستنعكس على عدد من النصوص القانونية والمفاهيم وعلى لغة الإدارة وغيرها، وهي محاولة يمكن أن نصفها بأنها محاولة لعلمنة اللغة المستعملة بين الدولة والمجتمع من خلال القواعد المعيارية، ومن خلال التعليم الحديث الذي فرضته فرنسا وأيضا بواسطة نصوص قانونية حديثة مقارنة مع قواعد الفقه الإسلامي الذي كان سائدا قبل الاستعمار. ويرى المؤرخون أن

272 نفس المرجع السابق.

273 جبرون امحمد، الملكية في أفق جديد، مرجع سابق، ص: 84.

274 Susan Gilson Miller, A History of Modern Morocco, Cambridge university press, 2013, p: 92.

عملية تجاوز الشريعة الإسلامية في علاقتها بالقانون وفي علاقتها بالتوصيفات اللغوية للجرائم، بدأت فعليا سنة 1914 بصدور ظهير «مجلس الجنايات»، الذي أوكلت له مهمة النظر في الجنايات الخطيرة التي يكون الحكم على مرتكبها بالسجن والغرامة المالية. تجاهل هذا الظهير بصورة شبه كلية الإحالة على الشريعة الإسلامية، "مع العلم أن عددا من الجرائم المشار إليها في هذا القانون هي «جرائم شرعية»، تتعلق بالحدود وعدد من أحكام الفقه الجنائي الإسلامي"²⁷⁵.

وقد نص هذا القانون المحدث لهذا المجلس في فصله الرابع على ما يلي: " يصدر الحكم بأكثر من عام واحد وبذعيرة تزيد على الألف بسيطة حسنية الجرائم الآتي ذكرها :

أولاً: الخروج عن الطاعة والبحث عن الثورة والشتم الموجه نحو الملك؛

ثانياً: القتل عمدا والجرح المبرم المتسبب عنه الموت غالبا وقتل الأطفال وإسقاط الجنين عمدا؛

ثالثاً: اختطاف المرأة والزنا بها؛

الرابع: إيقاد النار المؤدية للحريق عمدا؛

الخامس: النهب بحمل السلاح؛

سادساً: السرقة واختلاس الدراهم بالتحايل وأخذ الرشوة إذا كان مبلغ ما ذكر أكثر من خمسمائة بسيطة

حسنية؛

سابعاً: تزوير السكة وتقليد الطوابع أو خيانة الإمضاء بها وتزوير الكيل والوزن ؛

ثامناً: تزوير الأوراق"²⁷⁶.

ومن تم، فجرائم الفساد أو قطع السابلة، والقتل العمد، والنهب والسرقة.. لها أحكام واضحة في الشريعة

الإسلامية، ومتوارثة، وكان يمكن الاجتهاد فيها، وتعويضها بأحكام أخرى من قبيل ما جاء في هذا القانون استنادا إلى

275 جبرون امحمد، الملكية في أفق جديد، مرجع سابق، ص: 85.

276 انظر الجريدة الرسمية، عدد 40، بتاريخ 6 فبراير 1914، ص: 57.

أدلة شرعية واضحة، غير أن شيئاً من ذلك لم يحصل. ومن المثير للانتباه في هذا السياق أن صدور هذا القانون كان بتوقيع أحد شيوخ السلفية الوطنية المغربية وأحد رواد الإصلاح السلفي الشيخ أبو شعيب الدكالي، بصفته نائبا للصدر الأعظم²⁷⁷. وسيتعزز هذا الاتجاه في الخروج عن مرجعية الشريعة الإسلامية بصدور قوانين أخرى من قبيل الظهير المتعلق بالأوباش وبالأشخاص الذين يتعاطون صناعة القوادة على النسوة. لم يكتف هذا الظهير بالنص على أحكام وعقوبات غير «شرعية» جراء هذه المخالفات، بل تعدها إلى تبني أحكام القانون الجنائي الفرنسي في هذا الباب، بلغة شبيهة بالمفاهيم والمصطلحات الفرنسية²⁷⁸. واستمر نفس التوجه في محاولة إخراج الدين والثقافة الدينية من حياة الدولة المغربية، عن طريق الاهتمام بعصرنة التعليم وتهميش التعليم الديني²⁷⁹، الشيء الذي سيكون له على ما يبدو تأثير على نشوء نخب الدولة وعلى صراعاتها أيضا.

يركز الباحثون عند دراسة العلمانية في علاقتها بالديمقراطية وبالدولة المدنية وأيضا بمكانة الدين في الدولة العلمانية، على مسألة الفصل بين التشريع الديني وبين الحياة السياسية. غير أنه يمكننا القول أن العلمانية هي أيضا نسق ثقافي وفكري، بمعنى أن مسألة علمنة دولة ما أو مجتمع ما ليست فقط عملية فوقية تهتم بوضع حدود في العلاقة بين السلطة والسياسة والقانون وبين الدين، وإنما تمتد أيضا إلى الوجود الثقافي واللغوي للدين في حياة الناس. ذلك أن اللغة هي ليست مجرد وعاء لغوي للكلمات تستعمل في مجال الكلام والتواصل فحسب، وإنما هي تتطوي على ثقافة، تاريخ، وعي وهوية معينة. فالمجتمعات تعبر من خلال اللغة عن ثقافتها وعن تراثها وتاريخها، وإن هناك مفردات وكلمات نشأت في سياق ذهني وسياسي معين ومن الصعب فصلها عن سياق النشأة في أذهان المستعملين²⁸⁰.

277 أنظر اسم صاحب التوقيع في نفس المرجع السابق.

278 انظر الجريدة الرسمية عدد 47، بتاريخ 27 مارس 1914، ص: 105.

279 جبرون امحمد، الملكية في أفق جديد، مرجع سابق، ص: 90-91.

280 علمنة اللغة كمدخل لعلمنة المجتمع، مجلة تبيان الإلكترونية، 21 يوليوز 2019، الرابط: [https://tipyan.com/secularization-](https://tipyan.com/secularization-of-language)

ويمكن أن نقول أن هذا الإرث الاستعماري سواء في ضبط المجال الديني وفصله عن الدولة والسلطة، أو في مسعاه لفصل الحمولة الثقافية للغة العربية عن التدبير العمومي، في مشروع علمنة شامل حينها، خلق ذهنيات جديدة وثقافة عمومية جديدة داخل الدولة، بل يمكننا أن نقول أن أثر هذه العملية شملت الحياة السياسية بشكل كبير من خلال نوع من الصدام الثقافي داخل المجتمع بين ثقافة تقليدية أساسها الدين، وثقافة عصرية أساسها أفكار غربية في شتى المجالات.

أ- في تعريف مفهوم علمنة اللغة

يقصد بمفهوم علمنة اللغة "إبعاد الدين عن صياغة التصورات والمفاهيم والمصطلحات الدارج استخدامها في عمليات التواصل في كل الميادين بما فيها الميدان الديني"، واختزال الديني في شعائر علنية للعبادات كالصلاة مثلا، ليسهل فصله عن تشريعاته التي تنظم أمور الدنيا و لإنشاء أجيالٍ تتقبل الفكرة العلمانية وتعمل على تقريرها والتوسع في اعتمادها، أي أن تكون هناك خطط ثقافية وسياسية تحصر استخدام المصطلحات ذات الحمولة الدينية في المجتمع ككل، سواء بالقيام بمجهود فكري ولغوي، لإعادة صياغتها أو فصلها عن هذا الأصل وربطها بمفاهيم علمانية حتى لا تعارض الشؤون الدينية ولا تفرض حملتها الدلالية على مستخدميها.

وتعد عملية علمنة اللغة خطوة أساسية من أجل مشروع كبير يهدف لتأسيس علمانية شاملة تضم الدولة والمجتمع، بطريقة سلسلة ودون صدمات. وقد تمر العملية عبر مناهج التعليم وعبر الإعلام وأيضا عبر اللغة المستعملة في الإدارة والقانون، لكي يتقبلها المجتمع على مراحل وبدون صدمات وحتى تخرج اللغة الدينية ومعانيها في المخيال العام وتحل محلها لغة ومصطلحات ليس لها دلالات ذات مرجعية دينية.

وهناك أمثلة في اللغة الانجليزية تعبر عن التغيير الذي وقع في بنية المصطلحات لإخراجها من دلالاتها الدينية. مثلا كلمة Christmas، والتي يعتقد الناس أنها تعني ولادة المسيح والتي كانت في الأصل Christ's Mass، أي موت المسيح وليس ولادته. ثم تحول الاستعمال في كلمة God be with you، أي الله معك تحولت

إلى استعمال لغوي آخر فأصبحت *good luck* أي حظ جيد، ثم كلمة *God willing* أي بمشيئة وإرادة الله، فصارت تستعمل مكانها *hopefully*، أي على أمل ذلك، بمعنى أن هناك إخراج لهذه المفردات من سياقها الديني²⁸¹، وإخراج كل ما له علاقة بالدين وبالله من حركة ونسج نظام يؤسس لإرادة الإنسان منفصلة عن إرادة الله حسب هذه المصطلحات، وهذه في نظرنا تعد أحد محاور اشتغال العلمنة الذي تجاوز علاقة الدولة والمجتمع بالدين إلى فصل الإنسان أو الفرد عن الدين.

ويرجع الباحثون صعوبة علمنة اللغة العربية دون سواها، لكونها تتميز بثبات دلالات مصطلحاتها، ولاتصالها بالقرآن الكريم وبأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، رغم محاولات زرع ترجمات لمصطلحات غريبة مثلا في السياق العربي، فالواضح أنها لم تتوفق في إزاحة المصطلح العربي الأصلي من سياقه الثقافي ومن الاستعمال العام.

ب- في علاقة اللغة بالدين وبالسياق العام

لقد كانت العلاقة بين اللغة وبين السياق السياسي العربي كبيرة، فظهور مصطلح "نائب الفاعل" في الدراسات النحوية -على يد الإمام النحوي ابن مالك الجبالي (672هـ/1271م)، كان استلهاما من "حقل السياسة ليواكب فيما يبدو تضخم سلطات نائب السلطان"²⁸². وهذا الاتساع في صلاحيات "نائب السلطان" هو الذي جعل السبكي -وكذلك ابن تيمية- يفرده له الكثير من التفصيلات في الحديث عن الولايات والصلاحيات، لا سيما إذا عرفنا أن الكثير من السلاطين تولوا الحكم وهم دون سن البلوغ فكان نوابهم هم المتصرفين²⁸³.

وفي اختيار المصطلحات وارتباطها بالدين أو التصوف أو السياسية هناك أمثلة كثيرة في السياق النحوي العربي ومن أشهرها، ما ذهب إليه تاج الدين السبكي المصري (771هـ/1369م)، في كتابه "معيد النعم ومبيد النقم"

281 Secularized Language, in: Conservapedia, lien:

https://www.conservapedia.com/Secularized_Language

282 عبد الله الطحاوي، رفضوا مساجدهم "الحرام" وقوانينهم الوضعية وقدموا رؤى للإصلاح.. هل حاول ابن تيمية والسبكي وابن خلدون إنقاذ دولة المماليك؟، مقال منشور على موقع الجزيرة، بتاريخ 16 نونبر 2021، رابط: <https://urlz.fr/mlf8>

283 نفس المرجع السابق.

في التمييز بين كلمة "الشكر" و"الحمد"، مفضلاً الشكر على الحمد لأن الحمد هو سلوك قلبي، ينبغي أن يكون حال كل فرد لإنسان سواء في نعمة أم في ابتلاء، أما الشكر فلا يكون إلا عند حضور النعمة. والشكر وصفه القرآن بالعمل (اعملوا آل داود شكراً)؛ (سورة سبأ/الآية: 13). وهو رد الفعل اللازم تجاه أي منة أو هبة مست الإنسان، وبالتالي فهو فكرة معيارية يمكن أن تحس وتشاهد. وربط السبكي سؤال الشكر بالأمة ككل وبحكامها، وفي مقدمة ذلك أن يمارس الناس وظائفهم ومهنتهم على الوجه الأمثل دينا للتقرب بها إلى الله، باعتبارها شكراً لنعمه التي جاد بها الله على صاحب الوظيفة أو الصناعة، وهذا يرفع من مستوى الاحتراف والإنتاجية بإتقان العمل²⁸⁴.

ولاشك أن اللغة العربية بحمولتها الدينية نتجت وتطورت بعد اتصال قوي وطويل الأمد مع الدين، مما ساهم في تشكيل هوية لغوية للمتحدثين بها. فمثلاً هناك مصطلحات لها عمق ديني وأخلاقي يستعملها الناس بشكل يومي، ككلمة الصدقة في اللغة العربية كقيمة دينية وأخلاقية وصفة تدخل الجنة، في مقابل كلمات في الفرنسية والانجليزية لا تحمل ذات المعنى.

أيضاً كلمة "رزق"، على سبيل المثال، التي كانت تدلّ في النسيج القرآني على ما يهبه الله من الخيرات لعباده، صارت تعني "لقمة العيش" التي يكسبها الإنسان بكده يمينه. وأكثر المجالات التي تأكدت فيها هذه العُلمنة هي المجالات السياسية والقانونية، بحيث تحرّرت المفردات من حمولاتها الفقهية التي التصقت بها لقرون وصارت تُحيل على مبادئ قانونية وضعية. وهناك كلمات أخرى أخذت في الاختفاء لتحل محلها مصطلحات أخرى كمصطلح الشذوذ الجنسي، وما يعنيه من حمولة دينية لاسيما فيما يتعلق بالتحريم الديني للشذوذ، والذي كان من بين أنواعه ممارسة الميول الجنسي مع نفس الجنس ثم بدأ المصطلح في التواري فحل محله مصطلح المثلية الذي يعني الانجذاب الجنسي إلى شخص من نفس الجنس، سواء بسبب عوامل بيولوجية أو نفسية أو بسبب اختيار هوياتي عادي²⁸⁵.

284 عبد الله الطحاوي، نفس المرجع السابق.
285 نجم الدين خلف الله، مصادرة العربية مرتين: بين قداسة اللغة والتطرّف العلماني، منشور على الموقع الإلكتروني لجريدة العربي الجديد، 24 ماي 2019، رابط: <https://uriz.fr/mleW>

وهناك مثال أكثر دلالة يتعلق الأمر بكلمة "الربا"، التي يعتبرها الإسلام محرمة على الناس، والتي حل محلها في المؤسسات والبنوك والإدارة بفعل القانون والتنظيم، مصطلح "الفائدة البنكية"، لتخرج من سياقها الديني الذي يصنفها في خانة الحرام والممنوعات والأمور السيئة السلبية، وتتحول إلى ميزة إيجابية وقيمة اجتماعية واقتصادية، ومع ذلك لازال الجدل مستمرا حولها حينما يلجأ الناس إلى فتاوى الفقهاء حول جوازها فيكون غالبا رد الفقهاء أن استعمالها حرام إلا للضرورة القصوى. فالمصطلح وإن تم تغييره بمصطلح آخر إلا أن معناه الديني لا يزال حاضرا، مما قد يساهم في خلق نوع من التفرقة بين المتدينين وغير المتلتزمين دينيا الشيء الذي قد يكون له آثار على الاختيارات السياسية عموماً للفرد أو على ميولاته الحزبية.

ولعل أبرز العوائق التي تحول دون علمنة اللغة العربية بشكل عميق هو ارتباطها، في المخيال الجمعي، بالدين الإسلامي باعتبار القرآن نزل باللسان العربي. وقد بُني هذا التلازم على "سلسلة مصادر متخيلة وخيارات عقدية وأيديولوجية يجدر تفكيكها: أولاها أنّ الله اختار هذه اللغة للتعبير عن مراده الأزلي، فانتقى من كلماتها وتراكيبها ما يترجم "مقاصده" التي أراد إبلاغها للناس. وتفنّن علماء الكلام المسلمون في توضيح هذه العلاقة وانتهى الأشاعرة إلى افتراض ثنائية "الكلام النفسي"، أي: المعنى القائم بذات الله، والكلام اللفظي وهو التعبير عنه، مع تأكيدهم أنه قد يكون غير عربي، لأنّ الله تعالى تكلم مع الأنبياء بلغات أخرى".²⁸⁶

إضافة إلى ذلك فإن كل حقول وعلوم الدين ومصطلحاته وفقهه وتفسيراته تبلورت باللغة العربية وانتشرت. وهناك نصوص تشريعية كثيرة منها مثلا مدونة الأسرة في المغرب أو نصوص مرتبطة بالعقارات والحقوق العينية والأوقاف وغيرها، تحمل مفردات ذات معنى ديني وفقهي إسلامي صرف. وهذا لا يعني أن قداسة العربية عقيدة، بل إن استعمالها هو حرية شخصية، وليست مما يُفرض على الناس بالقوة، فالقاعدة الأساسية في الإسلام هي أنه "لا إكراه في الدين".

وقد عرفت المنطقة العربية والإسلامية محاولات لفصل العربية عن المقدس. وفي سنة 1881، ظهرت الدعوة إلى الفصل بين اللغة العربية والإسلام في مجلة "المقتطف"، التي نادى بكتابة العلوم الحديثة بلغة الناس المحكية. ثم في "أوائل 1902، أُلّف القاضي الإنكليزي سلمون ولمور كتاباً سمّاه: "العربية المحلية في مصر" مُنظراً لقواعدها ومنادياً باتخاذها لغةً للعلم والأدب، وحتى كتابتها بالحروف اللاتينية. وفي نفس الفترة، دافع إسكندر المعلوف، في مقالٍ له بجريدة "الهلال" (1902)، عن اللهجات، وحثّ على استخدامها في تدوين العلوم، مؤكداً أنّ اختلاف لغة الكلام عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب تخلف العرب الثقافي، كما رأى أنّ تعلق المسلمين بالفصحى لا مبرر له، لأنّ الكثير منهم لا يتحدّثونها ولا يكتبون بها، ولأنّ لغة العرب المسلمين هي غير الفصحى على كلّ حال، وختم بالقول: "ما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم طالبين التحرّر من رقّ لغة صعبة المراس، قد استنزفت أوقاتهم، وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً، بل أصبحت ثقلاً يُؤخّرهم عن الجري في مضمار التمدّن، وحاجزاً يصدّهم عن النجاح".²⁸⁷

واستمرت الدعوات إلى عدّ العربية كائناً "دنيوياً"، ومحاولات فصلها عن الدين، فكانت تجربة الدولة التركية في عهد مصطفى كمال أتاتورك بعد سقوط نظام الخلافة الإسلامية، سباقة حينها في هذا الموضوع، بحيث تم استبدال كتابة التركية بالحروف العربية إلى الحروف اللاتينية.

وفي كتابات أدباء مفكرين عربٍ كثر كان "أجراًهم" عبد العزيز فهمي الذي "اقترح" سنة 1943 كتابة العربية بالحروف اللاتينية. ثم أحمد لطفي السيد وسلامة موسى ولويس عوض الذي قال: "ما من بلدٍ حيٍّ إلّا وشبّت فيه ثورة أديبة هدفها تحطيم لغة السادة المقدّسة، وإقرار لغة الشعب العامية أو الدارجة أو المنحطّة". وفي المشهد الثقافي الفرنسي أعيد هذا النقاش مؤخراً، عندما صرح وزير الثقافة الأسبق جاك لانغ حول ضرورة "سحب تعليم العربية من أيدي الإسلاميين"²⁸⁸.

287 نجم الدين خلف الله، مرجع سابق.

288 نجم الدين خلف الله، مرجع سابق.

ومن أمثلة محاولات علمنة اللغة والمؤسسات في المغرب وظيفة مؤسسة المحتسب، هذه المهمة التي كانت تستند إلى شخصية تمتاز بحسن الخلق والمروءة والتفقه في الدين. فقد كانت مرتبطة بما يمكن وصفه بمهام شرطة تعمل على مراقبة الأسواق وحماية الناس من الغش وأيضاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأعدت إدارة الحماية الفرنسية تنظيمها وحصر اختصاصاتها في أمور مراقبة الأسواق فقط من الغش في السلع والأثمنة²⁸⁹.

ثم هناك إصدار الظهير البربري لسنة 1930، الذي حاولت من خلاله الحماية الفرنسية فصل الثقافة الأمازيغية عن الفضاء العربي المسلم، بتمتيعه باختصاصات حل نزاعاته عن طريق تأسيس محاكمه الخاصة المؤسسة على أعراف الأمازيغ وليس على أساس الشريعة الإسلامية²⁹⁰. وإضافة إلى ذلك كل النصوص القانونية التي أسسها الاستعمار الفرنسي في المغرب منذ 1912، في القانون المدني وفي تنظيم المهن والتعمير والمدن، تحمل مصطلحات غريبة ولدت في سياق علماني فرنسي، وتمت ترجمتها بناء على معناها في ذهنية العلمانية الفرنسية. وقد يكون النقاش الذي ساد مؤخراً في المغرب حول التدريس في المدارس المغربية باللغة العامية بدل اللغة العربية الفصحى، أحد هذه المحاولات لإخراج العربية من سياقها الذهني والثقافي الديني. ويعتبر هذا الموضوع أحد الإشكالات التي قد تحتاج إلى دراسة مستقلة مستفيضة وشاملة لاتسع هذه الأطروحة لتفصيلها بشكل موسع.

الفقرة الثانية : البيئة السياسية كعامل مؤطر للفعل السياسي

يقول جاسم سلطان أنه مع فكرة أن الإسلام "نظام شامل" ولدت فكرة "التنظيم الشامل"²⁹¹ وهو موضوع يحتاج توضيح لفك الالتباس. ويرى جاسم سلطان أن الإسلام يقدم عقائد وعبادات وقيماً ومبادئ، وعلى البشر نحت الشكل

289 إدريس أجويلل، "دور المحتسب في حماية المستهلك ومراقبة الأسعار"، مجلة الإحياء، إصدارات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد 21، 2016، الرابط: <https://www.arrabita.ma/blog/%D8%AF%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%AA%D8%B3%D8%A8%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%87%D9%84%D9%83-%D9%88%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%82%D8%A8%D8%A9>

290 امحمد جبرون، مرجع سابق، ص: 142.

291 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 63.

الذي ستأخذه في الواقع، ولكن التصور الأول أن الإسلام نظام شامل حتى لو تم اعتباره على ما هو عليه، هل تقود هذه الفكرة بالضرورة إلى فكرة التنظيم الشامل، أي بمعنى إلى تأسيس تنظيم سياسي إسلامي يبنى على فكرة العمل الإسلامي دعوة وسياسة؟ ويبدو أن التيارات الإسلامية التي أسست أحزابا سياسية في المنطقة العربية ظلت رهينة هذه الفكرة ولم تتمكن من حسم الجدل حول هويتها الاجتماعية، بين خيارات الدعوة والسياسة. وقد ارتبطت معظم التنظيمات الإسلامية في المنطقة العربية بنموذج تنظيمي واحد فكرا وممارسة، مما خلق بعض الصدمات بينها وبين البيئة الوطنية التي ولدت فيها، لكونها تحمل أفكارا يمكن اعتبارها دخيلة على سياقها الوطني أو المحلي. من هنا نتساءل هل يمكن اعتبار حزب العدالة والتنمية حزبا له نفس ملامح وصفات الأحزاب التي نشأت فكرا وممارسة في المغرب، أم أن له سمات أخرى مختلفة ومغايرة عن أحزاب البيئة السياسية المغربية؟ لذلك سنحاول في هذه الفقرة مناقشة أهم العناصر المؤثرة للفعل الحزبي بالمغرب وأهم صفات النخب الحزبية، لكي يتضح موقع حزب العدالة والتنمية تنظيميا ونخبة سياسية داخل النسق المغربي.

أولا- نبذة عن الفكرة الحزبية بالمغرب

يعتمد قادة حزب العدالة والتنمية على المقاربة المذهبية أو الأيديولوجية، في تعريف حزبهم. وهي مقاربة تؤسس تصنيف الحزب بناء على المرجعية وعلى أساسه الأيديولوجي، فهم يؤكدون في جميع خطبهم وتصريحاتهم على أن مرجعية حزبهم هي المرجعية الإسلامية. وهناك مقاربات أخرى كلاسيكية لتصنيف الأحزاب منها المقاربة البنوية التي تنظر للحزب كنسق أو كجهاز.

يرى موريس دوفيرجي الذي يعتمد على التصنيف المذهبي، في كتابه "الأحزاب السياسية"، والذي يعد من أبرز الدراسات العلمية حول الأحزاب السياسية خلال خمسينيات القرن الماضي بفرنسا، أن الحزب ينطبق عليه مفهوم التنظيم كما حدده ألان تورين مثلا، أي بمثابة "أداة تقنية من أجل تعبئة الطاقات الإنسانية وتوجيهها نحو غايات

محددة".²⁹² وهناك من وصف الحزب بكونه تنظيماً سياسياً أو كوحدة اجتماعية، تتشأ ويعاد إنشاؤها بشكل مقصود من أجل بلوغ غايات معينة، على حد تعبير تالكوت بارسونز²⁹³.

ومن بين المقاربات الموظفة في تعريف الحزب السياسي، هناك المقاربة النسقية للأحزاب والمقاربة الوظيفية ومقاربات استراتيجيات الأحزاب. ويرى سيغmond نيومان أن الحزب هو "تنظيم للعناصر السياسية النشيطة في المجتمع. يتنافس سعياً إلى الحصول على التأييد الشعبي مع جماعة أو جماعات أخرى تعتقد وجهات نظر مختلفة"²⁹⁴.

أما تعريف فرانك سوروف فيرى بأن "الأحزاب السياسية تعتبر كمؤسسة في السوق السياسي، تسوق وتبيع برامجها من أجل جذب العملاء والأعضاء باستمرار"²⁹⁵. وعرف ماكس فيبر الأحزاب السياسية بكونها جمعيات تقوم على التزام حر، هدفها مد مناضليها النشيطين بفرص مثلى أو مادية لتحقيق أهداف موضوعية، أو الحصول على امتيازات شخصية، أو تحقيق الاثنين معاً²⁹⁶.

ويعتبر كتاب "الأحزاب السياسية المغربية" لروبرت ريزيت Robert Rézette من بين أهم ما كتب عن الأحزاب السياسية المغربية خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وهو يقول بأن "تاريخ الأحزاب المغربية هو تاريخ بعض الرجال أكثر منه تاريخ التنظيمات"²⁹⁷. فيما يرى عدد من الباحثين أن الفعل الحزبي بالمغرب هو "ظاهرة" مستوردة" ظهرت في سياق ارتفاع الحس الوطني على حساب الانتماء الجهوي أو المحلي، لمواجهة الحماية الفرنسية، ويرى آخرون أن بنيوية اللاشعور الجمعي المغربي مؤسس على الروح "الجهوية" وليس على الروح الوطنية، لذلك ما أن

292 Alain Touraine (1966), *rationalité et politique dans l'entreprise, l'entreprise et l'economie du 20 ème siècle*, T2, édition Puf, Paris, pp. 138-174.

293 لحبيب معمري، التنظيم في النظرية السوسولوجية، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، 2009، ص: 9.

294 أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، عدد 177، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شتنبر 1987، ص: 14.

295 المهدي الشيباني، الأحزاب السياسية التقاتة سوسولوجية، مركز البحوث والاستشارات العلمية والتدريب، المجلة الجامعة، ليبيا، العدد 16، المجلد الأول، فبراير 2014، ص: 14.

296 Michel Offerlé, *les partis politiques, Que sais-je ?*, n 2376, 2022.

297 Robert Rézette, *les partis politiques marocains*, Paris, Cahiers de la Fondation des Sciences Politiques, Editions Armand Colin, 1955.

حصل المغرب على استقلاله السياسي سنة 1956، حتى استرجعت الروح الجهوية مكانتها الأصلية في إنتاج الفعل الاجتماعي والسياسي على حساب الروح "الوطنية"، الشيء الذي يجسده لامبالاة الإنسان المغربي تجاه الأحزاب السياسية، مما يحول دون تشكل أحزاب جماهيرية، فالأحزاب المغربية تظل أولا وأخيرا أحزاب أطر²⁹⁸.

ثانيا - وظائف الحزب السياسي

يتفق دارسو الأحزاب السياسية، بشكل عام، على تحديد الوظائف التي تضطلع بها الأحزاب في النظم السياسية الحديثة، مثل التمثيل، والاتصال، وربط المصالح وتجميعها. وقد تصاغ تلك الوظائف في شكل أكثر تحديدا لتشمل تجنيد واختيار العناصر القيادية للمناصب الحكومية، ووضع البرامج والسياسات للحكومة، والتنسيق بين فروع الحكم والسيطرة عليها، وتحقيق التكامل المجتمعي من خلال إشباع مطالب الجماعات والتوفيق بينها، والقيام بأنشطة التعبئة السياسية والتنشئة السياسية²⁹⁹.

وقد عمل دستور المملكة المغربية لسنة 2011، على بلورة مجموعة من المبادئ والقواعد والقيم من أجل تدعيم وتقوية دور الأحزاب السياسية في تأهيل المشهد السياسي الوطني وتخليق الشأن العام، "تعمل الأحزاب السياسية على تأطير المواطنين والمواطنات وتكوينهم السياسي، وتعزيز انخراطهم في الحياة الوطنية، وفي تدبير الشأن العام، وتساهم في التعبير عن إرادة الناخبين، والمشاركة في ممارسة السلطة، على أساس التعددية والتناوب، بالوسائل الديمقراطية، وفي نطاق المؤسسات الدستورية"³⁰⁰.

وعموما يمكن تلخيص أهم وظائف الأحزاب في ثلاثة وظائف: وظيفة التمثيلية³⁰¹ الإدماجية والوساطة، بحيث تساهم الأحزاب السياسية على تنظيم المواطنين وتمثيلهم، وهو ما يعتبر من الأدوار الأولى للحزب السياسي. ويرى

298 محمد ضريف، النسق السياسي المغربي المعاصر مقارنة سوسيوسياسية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، سنة 1991، ص: 65.

299 حرب أسامة الغزالي، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، العدد 117، شتنبر 1987، ص: 188.

300 الفصل السابع من الدستور المغربي لسنة 2011.

301 محمد ضريف، الحقل السياسي المغربي: الأسئلة الحاضرة والأجوبة الغائبة، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص: 166.

ستين روكان الأحزاب السياسية في الغرب، كعوامل للصراع، وفي الوقت نفسه كعوامل للإدماج، فالوظيفة الإدماجية³⁰² تحيل على الحركات الاجتماعية الشعبية الكبرى، وتحيل أيضا على المواطنة وعلى المشاركة السياسية إضافة إلى دور الوساطة، إلى جانب المؤسسات الأخرى كالنقابات والجمعيات، لاسيما عند ظهور نزاعات كبرى أو مشاكل اجتماعية وطنية أو محلية.

الوظيفة الثانية محددة في التأطير السياسي، وقد نص الدستور المغربي لسنة 2011 في فصله السابع صراحة على الدور التأطيري للأحزاب السياسية، فهي فضاءات للتكوين والتأطير السياسي لتأهيل المواطنين لتقلد المناصب السياسية ولتسيير الشأن العام، وتساهم في " تنظيم وتوجيه الاستشارة الشعبية عند الاقتراع وذلك باختيارها للمرشحين وتأطيرهم في المجالس المنتخبة في شكل فرق برلمانية وتوجيههم وفق برنامجها أثناء مساهمتهم في الحكم، ويستفيد أعضاؤها من تجربتها، وفي خلاياها يتلقون تربية سياسية تؤهلهم للمساهمة في تسيير شؤون الدولة"³⁰³.

الوظيفة الثالثة متعلقة بالدور الإعلامي التواصلي التي يفترض فيها إخبار أعضاء الحزب خاصة والرأي العام عامة، بالأحداث والوقائع من وجهة نظر مرتبطة بتطلعاته ومطالبه. وعادة ما تعتمد الأحزاب، عندما تكون في المعارضة، إلى التهويل من سوء الأوضاع بالبلاد والتركيز على فشل السياسة الحكومية كمقدمة لطرح برنامج الحزب البديل الكفيل لوحده بإخراج البلاد من أزمتها³⁰⁴.

مبحث ثاني: حزب العدالة والتنمية أمام أنماط حزبية مغربية: ثنائية الدور والوظيفة

من أهم النتائج التي تتوخاها الأحزاب من وراء مشاركتها السياسية، هي المشاركة في التدبير العمومي وفي ممارسة السلطة. وتسعى الأحزاب أيضا إلى اكتساب منتسبين إليها ومتعاطفين، الذين يفترض أن تقوم بتأطيرهم وتنشئتهم من أجل ممارسة العمل السياسي وتمثيلها والدفاع عن مصالحها وعن خطابها. سنحاول في هذا المبحث أن

302 سعيد خمري، قضايا علم السياسة مقاربات نظرية، دار المناهل الرباط، 2018، ص: 127

303 المختار مطيع، المبادئ العامة للقانون الدستوري والمؤسسات السياسية، دار القلم، الطبعة الأولى، 2002، ص: 122.

304 نبيل الأندلوسي، المشاركة السياسية بالمغرب مقاربة للثابت والمتحول في التنشئة السياسية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، جامعة محمد الخامس الرباط، السنة الجامعية 2014. 2015.

نناقش أهم عناصر العملية السياسية في فقرة أولى وصناعة الالتزام السياسي لدى المنتسبين للحزب السياسي في الفقرة الثانية، ثم نتناول مفهوم الدور الذي تمارسه الأحزاب في الشأن السياسي الداخلي، من خلال نظرية الدور والمتغيرات التي تطرأ على الدور في الفقرة الثالثة.

الفقرة الأولى: عناصر العملية السياسية

تشكل المشاركة السياسية بواسطة نخب سياسية أهم العناصر المكونة للعملية السياسية، فلا يمكن تصور عمل سياسي سواء من خلال التمثيل الشعبي عبر الانتخابات، أو عبر المشاركة في اتخاذ القرار في تدبير الشأن العام، بدون إقرار قواعد تنافس مفتوح في إطار مشاركة سياسية لنخب سياسية أو حزبية. سنناقش في هذه الفقرة، مفهوم المشاركة السياسية وأسسها النظرية والعملية، كما سنتناول وصفا لأهم مميزات وخصائص النخبة السياسية المغربية.

أولاً - المشاركة السياسية: مجال مفتوح للتنافس

تعتبر المشاركة السياسية من بين المواضيع التي حظيت باهتمام الباحثين في العلوم الاجتماعية وعلم السياسة وعلم النفس وغيرها من العلوم، بالنظر إلى أهميتها في إعطاء دينامية لحياة الدولة المجتمع، في علاقتها بالتنشئة السياسية التي يتلقاها المواطن في بيئته والتي تسهم في جعله أكثر قدرة على فهم طرق ممارسة حقوقه السياسية. فالتنشئة الاجتماعية ليست في نهاية المطاف، إلا عملية تهيئة وإعداد المواطن حتى يصبح مؤهلاً ليشترك في الحياة السياسية في المجتمع³⁰⁵.

وتعني المشاركة السياسية مجموع الأنشطة الاختيارية أو التطوعية التي من خلالها يسهم أفراد المجتمع في اختيارات حكاهم، بشكل مباشر أو غير مباشر، ولها أشكال تقليدية أهمها التصويت، والمناقشات العمومية، وتجميع الأنصار، وحضور الاجتماعات العامة، ودفع الاشتراكات المالية والاتصال بالنواب وغيرها.

305 Michel Crozier, Erhard Freiberg, l'acteur et le système : les contraintes de l'action collective, Editions du seuil, Paris, 1977, p : 463.

ويرى فيريرا وكيم Verba S, H, Kim أن المشاركة السياسية لها علاقة بالسلوكيات والأفعال القانونية أو مشروعة الممارسة، من طرف المواطنين العاديين، والتي تهدف إلى حد ما التأثير بشكل مباشر على اختيار الموظفين الحكوميين، أو الإجراءات والقرارات التي يتخذونها³⁰⁶. أما ميرون فاينر Myron Weiner فيعرف المشاركة السياسية بأنها: "أي فعل تطوعي موفق أو فاشل، منظم أو غير منظم، مؤقت أو مستمر، مشروع أو غير مشروع يبغى التأثير في اختيار السياسات العامة، أو اختيار القادة السياسيين في أي من مستويات الحكم المحلية أو القومية"³⁰⁷. ويرى دافيد سيرس David Sears³⁰⁸ أن المشاركة السياسية هي ذلك السلوك المباشر أو غير المباشر الذي يعطي للفرد دورا في الحياة السياسية لمجتمعه، من أجل التأثير في اتخاذ القرار وتحديد الأهداف العامة في المجتمع وتحقيقها. وينظر إليها كل من صامويل هنتغتون وجون نلسون أنها "ذلك النشاط الذي يقوم به المواطنون بقصد التأثير في عملية صنع القرار الحكومي، سواء أكان هذا النشاط فرديا أم جماعيا، منظما أم عفويا، متوصلا أم منقطعاً، سلميا أم عنيفا، شرعيا أم غير شرعي، فعلا أم غير فعال"³⁰⁹.

وقد حدد كل من Gavray Born و Waxweiler أشكال المشاركة في ثلاثة أنواع: هي المشاركة السياسية، المشاركة المدنية والمشاركة الاجتماعية، في حين تحدث Milan (2005) عن المشاركة الانتخابية، والمشاركة في الأنشطة السياسية غير عملية التصويت، والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية³¹⁰.

306 Verba, S., H., Kim, J, Participation and political equality : A seven nation comparison. Chicago, Illinois : University of Chicago Press. (1978).

307 عبد الحليم الزيات، التنمية السياسية دراسة في علم الاجتماع السياسي: البنية والأهداف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص: 86.

308 David Sears, Politicisation, in Fred Greenstein and Nelson Polby Meds Hand nook political science Vol 2, Massachusetts, Addition Wels publishing Company, 1979, p. 95.

309 تامر كامل محمد، إشكالية الشرعية والمشاركة وحقوق الإنسان في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 251، يناير 2000، ص: 117.

310 Milan, A. (2005), Volonté de participer : l'engagement politique chez les jeunes adultes, Tendances sociales Canadiennes, Hiver, 2005, 1-7.

ويمكن تقسيم المشاركة السياسية إلى مشاركة مؤسساتية ومشاركة منظمة ومشاركة مستقلة أو انفرادية. ويقصد بالمشاركة المؤسساتية أو الرسمية، أن المشاركة تحدث عن طريق السلوكيات أو المؤسسات الرسمية والدائمة للدولة. فالمشاركة السياسية على هذا المستوى تعني أولئك المسؤولين السياسيين الذين يقومون بوظائفهم السياسية الثابتة كرئيس الدولة والوزراء والبرلمانيين والأعوان التنفيذيين، وعموم المسؤولين المنخرطين في النظام السياسي. أما المشاركة المنظمة، فهي المشاركة في إطار مؤسسات أو تنظيمات قائمة تشكل حلقة الوصل بين المواطن السياسي والنظام السياسي، أو بمعنى آخر أنها الأجهزة التي تقوم بمهمة تجميع ودمج المطالب الفردية والتعبير عنها وتحويلها إلى اختيارات سياسية عامة في إطار برامج محددة. ومن هذه الأجهزة المنظمة الأحزاب السياسية والنقابات وجماعات الضغط³¹¹. وتعتبر المشاركة الانتخابية إحدى أبرز أوجه المشاركة السياسية، وتغطي مجالات الترشح للانتخابات لتسيير الشأن العام، والمشاركة في الحملات الانتخابية والتصويت وتمثيل الناخبين في مكاتب التصويت وغيرها.

ثانياً - النخبة السياسية بالمغرب: تقليدية وعصرية

من أهم الدراسات والمراجع التي يلجأ إليها الباحثون في فهم بعض جوانب صيرورة تشكل النخب السياسية المغربية، هو كتاب "أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، للأمريكي جون واتربوري John Waterbury، الذي توقف في تناوله لهذه النخبة عند قضايا الحكم والتحويلات الاقتصادية والسياسية، والعلاقة بين الدولة والقطاع الخاص. يعتبر واتربوري أن النخبة السياسية تلعب دوراً حاسماً في الحكم والتحويلات السياسية، مركزاً في تفسيره على كيفية تأثير هذه النخب على السياسات العامة وعلى مسارات التنمية الاقتصادية، وكيف يمكن أن تؤدي هذه النخب إلى تحقيق التغيير أو الاستقرار في النظم السياسية³¹².

311 إبراهيم أبراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الطبعة الأولى، 1998، ص: 250
312 جون واتربوري، أمير المؤمنين.. الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، الطبعة الأولى 2004.

من الأمور التي رصدتها واتربوري هي أن جميع أفراد الطبقة الحاكمة كانت تعرف بعضها البعض معرفة شخصية، ودية كانت أو عائلية، وهي عوامل كافية للتخفيف من حدة المواقف بطريقة فعالة. غير أن الوضع المذكور لم يستمر طويلاً بحيث لم تصمد العلاقات الشخصية داخل النخبة المغربية التي نسجت خلفها اجتماعية مشتركة أمام زحف جيل من الشباب الذين سارعوا بدورهم لاقتحام الطبقة المسيرة بأصل اجتماعي وتكوين مختلف. ساهم في هذا الزحف وفق تفسير واتربوري، جهود مغرب ما بعد الاستقلال في ميدان التعليم³¹³.

وفي محاولته لتحديد تعريف لمفهوم النخبة يستحضر واتربوري مفهوم "الأقليات الاستراتيجية"، كما تحدث عنها رايمون أرون³¹⁴، حيث يرى أنها أقليات من الأفراد توجد في مواقع استراتيجية من المجتمع وتتحكم في السلطة ليس فقط داخل مجالها الخاص، بل وكذلك في مجال الشؤون العامة، وهو يرى أن النخبة السياسية المغربية هي عبارة عن مجموعة من هذا النوع من الأقليات الاستراتيجية³¹⁵.

وبالعودة إلى التاريخ نلاحظ أن النخبة السياسية المغربية، لعبت أدواراً حيوية سواء خلال الفترة التي سبقت الاستعمار أو ما بعده، وكان لها فعل وتأثير على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وتميزت بتكوين ثقافي ومعرفي يمزج ما بين المدرسة التقليدية من علم شرعي وفقهي ولغة وغيرها وما بين المدرسة العصرية من مناهج مدرسية وجامعية حديثة. شملت هذه النخب لاسيما مع بداية الاستقلال عن الاستعمار "الأعيان الجدد المرتبطين بالقطاع العصري، والأطر والتقنيين ورجال الأعمال وأصحاب المهن الحرة والمتقنين والمناضلين الحزبيين والنقابيين، حيث سيلعب بعضها دوراً أساسياً في نشر بعض مظاهر التحديث السياسي والاجتماعي"³¹⁶.

الفقرة الثانية: صناعة الالتزام السياسي

313 نفس المرجع السابق.

314 Raymond Aron, Catégorie dirigeantes ou classes dirigeantes, RFSP, Vol15, N1, 1965, p. 17.

315 نفس المرجع السابق.

316 بونعمان سليمان، "وظائف النخبة المحلية في النسق السياسي المغربي"، في المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 44، 2009، ص:

تعتبر الظاهرة السياسية إحدى مستويات الظاهرة الاجتماعية، وهي تتميز بثلاث ظواهر محركة للدافع البشري، وهي ظاهرة الاختلاف وظاهرة التنوع وظاهرة الندرة³¹⁷، وهي كلها ظواهر كافية بأن تخلق ما لا نهاية من الصراعات، ومن الانتماءات والتجاذبات وأيضاً من الالتزامات والاستقطابات.

يعمل كل تنظيم سياسي على خلق حداً أقصى من الوفاء والالتزام لدى المنتسبين إليه. وبذلك فإن الالتزام السياسي "للمناضلين" يعد أحد مسببات قوة الأحزاب، وبه يتميز الحزب القوي عن الحزب "الانتخابي" الضعيف من منظور مفهوم الالتزام السياسي. في هذه الفقرة سنفحص مفهوم الالتزام السياسي ومفهوم المناضل والزيون السياسي ودور الحزب في صناعة مناضلين يدافعون عنه وعن خطابه.

أولاً- مفهوم الالتزام السياسي في عمل البنية الحزبية

يرى ايمانويل مونيي Emmanuel Mounier أن مفهوم الالتزام السياسي يضم عدة مفاهيم فرعية كمفهوم المواطن، والعقيدة والعمل السياسي. وعرف الالتزام السياسي بأنه "يكون عند المواطن الفاعل الذي ينضوي تحت عقيدة سياسية ولا يمكن فصل الالتزام السياسي عن العمل السياسي، وهذا الملتزم عليه أن يكون مستعداً لمجابهة الموت ليصبح التزامه التزاماً فعلياً"³¹⁸. ويرتبط مفهوم الالتزام السياسي بمفهوم المشاركة السياسية أو المدنية التي وصفها توماس إيرليش Thomas Ehrlich بأنها "تعمل على إحداث تغيير في الحياة المدنية لمجتمعاتنا، وتطوير مزيج من المعرفة والمهارات والقيم والدافع لإحداث هذا التغيير. وهذا يعني تعزيز نوعية الحياة في المجتمع، من خلال كل من النشاطات السياسية وغير السياسية"³¹⁹. ويرى كل من Key Lehman Schlozman, Sidney Verba، و E. Brady، أنه إذا كانت المشاركة السياسية تهدف إلى التأثير على الحكومات فإن التصويت هو النشاط الأكثر أهمية

317 جاسم سلطان، قواعد في الممارسة السياسية، مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة، مرجع سابق، ص: 29-32.

318 ورد هذا التعريف في دراسة عصام مبارك (أستاذ مساعد في كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية في الجامعة اللبنانية)، عنوانها:

"الالتزام السياسي بين المفاهيم والتحديات"، في مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 111، يناير 2020، الرابط: <https://urlz.fr/mLp6>

319 EHRlich Thomas, Civic Responsibility and Higher Education, Oryx Press, ERIC Document Reproduction, Phoenix, 2000, p: 6.

في هذا المجال، وهو يشكل نشاطا فرعيا مثل عمل الحزب على محاولة إقناع شخص ما بكيفية التصويت، أو العمل فردياً أو جماعياً للتأثير على صنع أو تنفيذ السياسات العامة من قبل المسؤولين³²⁰.

وعموما فإن الالتزام السياسي، كما رأينا في تعريفات ايمانويل مونيي و توماس ايرليش يعني الانتماء الإرادي لموقف معين أو لعقيدة سياسية محددة، والإيمان والافتناع به مع اشتراط الاستمرارية في الانتماء للموقف والتعبير عنه بالعمل والمشاركة الفعلية ولو بمجابهة الموت، فهو عمل على إحداث تغيير في الحياة المدنية لمجتمعاتنا، وتطوير مزيج من المعرفة والمهارات والقيم والدافع لإحداث هذا الاختلاف. وهذا يعني تعزيز نوعية الحياة في المجتمع، من خلال كل من المسارات السياسية وغير السياسية³²¹.

ويرى البعض أن الالتزام ينتج عن تكوين معرفي وتنشئة سياسية داخل التنظيمات السياسية والحقوقية والنقابية أساسا، لكي يتحول إلى ما يسمى بالنضال. وقد يتجلى هذا الالتزام، في القيام بعدة إجراءات الأقل عنفا إلى أعلى درجاتها: "عملية التصويت، الإضراب عن الطعام، النضال الحزبي، المعارضة، النقمة على السلطة، عمليات الضغط والمظاهرات، المقاومة، الاضطرابات، أو الاغتيالات السياسية، الثورات كالثورة الإنجليزية 1642 والفرنسية 1789 والروسية 1919، والأعمال الانتحارية"³²²، كالتي قامت بها "القاعدة" بزعامة "أسامة بن لادن" ضد مصالح غربية، فهذا التنظيم يعتبر هذه العمليات التزاما سياسيا³²³. غير أن هناك فرق بين الالتزام بشيء والإلزام على فعل شيء. فالالتزام السياسي هو عملية سياسية وقانونية مرتبطة بالدولة، وله بعد أخلاقي ومبدئي مرتبط بالعقائديت والمعتقدات، في حين يقوم الإلزام على الضغط واتباع أسلوب العقاب والقصاص، بدون قناعة فكرية. وإذا اعتبرنا أن الدولة هي المؤسسة الوحيدة التي تلزم المواطن بأن يطيع قوانينها ويتقيد بأوامرها، فإن الالتزام بالمؤسسات الأخرى كالأحزاب مثلا

320 VERBA Sidney, SCHLOZMAN Kay Lehman, E. BRADY Henry, Voice and Equality: Civic Voluntarism in American Politics, Harvard University Press, Cambridge, 1995, p: 38.

321 EHRlich Thomas, op. Cit., p: 6.

322 BOUTHOUl Gaston, La Sociologie de la Politique, Presses Universitaires de France, Paris, 1967, p: 185

323 عصام مبارك، الالتزام السياسي..، مرجع سابق.

وبقوانينها وأنظمتها يأخذ طابعا اختياريا، لأن المواطن ينتمي إليها وينسحب منها بمحض إرادته وعندما يرغب، وهذا ما يفسر المقتضيات الواردة مثلا في قانون الأحزاب بحرية الانسحاب من الحزب متى شاء المنتمي إليه. لكن انسحاب المناضل من حزب ذو توجه اسلامي يبدو أمرا ليس بالسهل نظرا لوجود ما يشبه الاعتقاد الديني والعقد الشرعي بين المنتمي والحزب، أو ما يشبه البعد الأخلاقي العقائدي في الانتماء وأن الانسحاب قد يعتبر تملصا من المرجعية الدينية ككل³²⁴. وقد يقال "إن الاعتقاد الديني أقوى من الاعتقاد السياسي، فينشأ عنه من العنف ما لا ينشأ عن هذا"، فيجيب طه عبد الرحمان على هذا بكون قوة الاعتقاد لا يلزم منها بالضرورة وجود العنف والغلظة، بل قد يلزم منها اللطف والرحمة؛ وهذا بالذات شأن الاعتقاد الديني متى كان صادقا وخالصا؛ أما إذا شابته دلائل العنف أحيانا، فليس ذاك هذه الجهة المخصصة، وإنما من جهة ازدواج هذا الاعتقاد، عند بعضهم، بالمصلحة السياسية المتمثلة في طلب التسديد، فتكون هذه المصلحة المادية هي التي نفثت في هذا الاعتقاد المعنوي روح التطرف"، بمعنى أن الاعتقاد الديني يتحول إلى عنف سواء مادي أو لفظي ليس لسبب التدين وتعاليم التعبد أو بسبب الدين نفسه، وإنما بسبب اختلاط التدين بالمصلحة السياسية والتي غالبا ما تكون في البحث عن السلطة أو عن الحكم³²⁵.

ثانيا - دور الحزب في خلق الالتزام السياسي

إن الحزب الذي يؤمن بأدواره الفلسفية الكبرى يركز على تنشئة المنتمين إليه بشكل جماعي لتوحيد الجهود، بهدف خلق تناغم وانسجام فكري فيما بينهم لتثبيت الالتزام، وتجعل الذات الحزبية جزءا من شخصيتهم وسلوكهم اليومي، لأنها تكون قد تحولت من فعل عاطفي ووجداني إلى فعل عقلائي وواقعي، بشكل يصبح من المستحيل على المناضل الرجوع عن هذا الإيمان لئلا يُتَّهم بالخيانة أو الردة.

324 عصام مبارك، الالتزام السياسي..، مرجع سابق.

325 طه عبد الرحمن، رُوح الدين من ضيق العُلمانية إلى سعة الانتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2012،

ص: 330-331.

ويرى ألموند³²⁶ Almond أن عملية التنشئة Socialisation التي تؤمنها الأحزاب، تضطلع بدور مهم على

مستويات الأنواع الثلاثة للثقافة التي تدخل في عملية التنشئة، وتسمح للأفراد بالمشاركة والانصهار في المنتظم:

. الثقافة المعرفية Cognitive من خلال تنوير الأفراد وإعطاء المعلومات حول المسائل الوطنية.

. الثقافة العاطفية Affective من خلال المشاركة بنشاط الحزب إذ تقوي الشعور بالانتماء للوطن.

وهنا تدخل لعبة الرمزية من خلال الشعارات والطقوس والأعياد والاجتماعات التي تفعّل المشاعر وتقوي

الالتزام في الداخل.

. الثقافة التقييمية Evaluative يحدد الحزب أهدافاً ومعايير لتقييم الحقائق السياسية والاقتصادية.

وهو يقترح أيديولوجيا ومنظمات فكرية تشكل ركناً أساسياً في عملية تنشئة الأفراد.

فالإيمان بأفكار ومرجعية الحزب مثلاً هي من دفعت بالكثيرين إلى دخول المعتقلات والسجون والتعرض

للتعذيب والتضحية بحياتهم. وقد تميزت بذلك الأحزاب اليسارية التي تقوم على الالتزام الأيديولوجي بما يشبه الإيمان

الديني، وأيضاً التيارات الإسلامية التي انتجت منتسبين يشبهون إلى حد ما في التزامهم السياسي مناضلو التيارات

اليسارية.

وتلعب بعض العوامل النفسية والاقتصادية والاجتماعية دوراً في التأثير على قوة الالتزام السياسي واستمراريته،

كالإحساس بالإحباط وفقدان القدرة على فهم المشاكل الجديدة، وانعدام الهدف من النضال أو صعوبة الوصول إليه مما

يخلق حالة إحباط وضعف في القناعة، وخاصة عند فشل محاولات الوصول. ويقول الفيلسوف اليوناني هيراكليس:

"من المرهق والمؤلم أن تخدم أسياداً لا يتبدلون..."³²⁷.

326 A.ALMOND Gabriel, VERBA Sidney, The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations, SAGE Publications, California, 1989.

327 عصام مبارك، الالتزام السياسي...، مرجع سابق.

هناك أيضا نوع من الالتزام الحزبي المرتبط بالمصالح أو الأهداف المادية، التي كلما انتفتت ضعفت معها قوة الالتزام، أو أن يكون الالتزام مرتبط بالزعيم وبالقائد الذي يعني تحييه ظهور تفرقة أو عدم استمرارية على نفس النهج السابق، أو عند فشل الحزب في تحقيق أهداف سياسية بسبب أزمة في القيادة و "غياب المناقبية والازدواجية بين الممارسة والخطاب وسيطرة الهوس الشخصي تؤدي كلها إلى ضعف الأحزاب"، أو تصير الخطابات والمناقشات حينها شبيهة بالأسلوب "السفسطائي اليوناني، والسفسطائية كلمة يونانية يفسرها القاموس بأنها استدلال باطل يُقصد به تمويه الحقائق"³²⁸.

وهناك ملاحظة نثيرها بشأن هذا الموضوع، وهي أن الالتزام داخل التنظيمات الإسلامية هو أقوى من الالتزام السياسي الحزبي العادي، لأنه مرتبط بالالتزام الديني، بل يكاد يكون تعبيراً من تعبيرات التدين والتقرب إلى الخالق. والملاحظ أيضا أن هذه التنظيمات تقوم على مبدأ الطاعة تجاه القائد أو المرشد أو الزعيم أو أمير الجماعة، وهي لاشك أحد نقاط القوة التي تتمتع بها هذه التنظيمات وتتفوق بها على باقي التنظيمات المدنية كالنقابات أو المنظمات المدنية أو الأحزاب السياسية. لذلك فإن أحد أهم عناصر قوتها هي الارتباط بشخص الزعيم ولو بدون تداول ديمقراطي في قضايا الحزب. ويلاحظ أيضا أن كثيرا من المشاكل داخل هذه التنظيمات أو الاختلافات، يتم حسمها أو القضاء عليها بالاحتكام إلى أسس الالتزام الديني وإلى قواعد التدين.

ثالثا - بين المناضل والمنخرط في الحزب

جاء في معاجم اللغة العربية أن أصل فعل ناضل³²⁹ جاء من نَضَلَ نَضْلًا وَنَضَلَهُ أَي سَبَقَهُ وَغَلِبَهُ فِي الرِّمَاءِ. ويعني فعل ناضل لغة حَامَى وَدَافَعَ عَنْ، ونقول نَاضَلَ فلاناً أَي باراه في الرِّمِيِّ، وانتضَلَ أَي اسْتَبَقُوا فِي الرِّمِيِّ. وفي

328 عصام مبارك، الالتزام السياسي..، مرجع سابق.

329 انظر تعاريف الكلمة في المعاجم العربية الواردة على الرابط: <https://urlz.fr/mLSt>

اللغات اللاتينية³³⁰ ترادف كلمة مناضل لفظ militant، وأصلها كلمة militia أي الخدمة العسكرية أو مهنة الجندي ومنها اشتقت كلمة milice أي ميليشيا. استعملت صفة مناضل في البداية في الأحاديث الدينية الكنسية³³¹ بين مفهومي الكنيسة المتألّمة والكنيسة المنتصرة. وتحدّر الكلمة من فعل عسكري، وقد أخذت الصفة طابعا علمانيا في القرن التاسع عشر حيث أصبحت تعني رجلا فعالا ناشطا في سبيل قناعاته، وظهرت الكلمة من قبل عامية باريس سنة 1848، لتعني القياديين السياسيين والنقابيين للحركة العمالية³³².

وقد أدى تطور الكلمة اللغوي إلى توسيع مضمونها، فانفصلت عن إطار الحركة العمالية لترتبط بكل من يخدم تنظيمًا سياسيًا أو نقابيًا، لكن العمال ظلوا يستعملون الكلمة بطابعها المميز. ثم أخذت الأحزاب المحافظة وأحزاب الوسط تستعمل الكلمة للحديث عن النشاط المتطوعين من دون مقابل، بينما أصبحت الأحزاب و النقابات تسمي المداومين فيها مناضلين، للتأكيد على أن الذين يتركون أعمالهم، ليكرّسوا أنفسهم كليًا للحركة العمالية مرتبطين بها عضوياً كالحزب³³³.

والمناضل السياسي المنتسب لبنية حزبية فهو الذي يعمل على الترويج والدفاع عن أيديولوجية حزبه بتطوع وبدون مقابل أو تبني قضية أو سياسة أو أفكار معينة. في مقابل هذا المناضل قد نجد أنفسنا أمام أشخاص آخرين ليس لديهم نفس الفكرة عن تنظيم المجتمع، ولا نفس قوة الإيمان بأيديولوجية الحزب، وفي أغلب الأحيان لا يمتلكون ذات الاهتمامات التي أسس من أجلها التنظيم السياسي ولم يواجهوا المخالفين لتصوراتهم مثلا عبر الاحتجاجات، ولا تبدو عليهم من خلال لغتهم مثلا امتلاك قناعات فكرية عميقة، والأكثر من ذلك ليس لهم استعداد لإشهار معتقدات حزبهم، ولا يتحركون أو يشاركون في قوة الحزب بأموالهم بكل تضحية وبدون مقابل، فهؤلاء مجرد منخرطين يشبهون "الزبائن"

330 Voir définition du militant et militantisme sur le lien suivant:

<https://www.toupie.org/Dictionnaire/Militantisme.htm>

331 عصام مبارك، الالتزام السياسي...، مرجع سابق.

332 Voir le site de l'institut sciences politiques de Toulouse: [http://www.sciencespo-](http://www.sciencespo-toulouse.fr/medias/fichier/dispo-lengagement_1427786283728-pdf?INLINE=FALSE)

[toulouse.fr/medias/fichier/dispo-lengagement_1427786283728-pdf?INLINE=FALSE](http://www.sciencespo-toulouse.fr/medias/fichier/dispo-lengagement_1427786283728-pdf?INLINE=FALSE)

333 Friedrich Ebert Stiftung, "Les Jeunes et l'Engagement en Politique", in Friedrich Ebert Stiftung, Yaoundé, 2014, p: 22

الذين ينتظرون الحصول على سلعة أو بضاعة معينة ثم ينصرفون أو يغيرون مكان التسوق إذا تعذر الحصول على المطلوب. فالنضال لا يعني إشهار بطاقة الانتماء للحزب³³⁴، أو حضور الأنشطة الحزبية وإنما هو انخراط ترافقه الفعالية وامتلاك الوعي والمعرفة العلمية الدقيقة بمواقفه وقضاياه الأساسية وبمرجعياته وهويته، وهذا ما عبر عنه Duverger بالقول إن الصورة تبدو وكأن المناضلين يقودون المنتسبين، وهؤلاء يقودون المناصرين والمناصرين يقودون الناخبين³³⁵.

فالمناضلون في الأحزاب الجماهيرية هم فئة خاصة من المنتسبين، ويشكلون النواة الأساسية في كل وحدات القاعدة الحزبية. نجد هؤلاء في الخلايا والفروع ونتعرف عليهم من خلال نشاطهم الكبير في المجالات كافة: اجتماعات، نشر شعارات وتعليمات الحزب، الدعاية، النقاش والحملات الانتخابية، فمشاركة المناضل فعلية وإيجابية active أما مشاركة المنتسب فهي سلبية passive.³³⁶

رابعا - حول مفهوم الزبون السياسي

يحدد تعريف الزبونية Clientelism في اللغة الإنجليزية³³⁷، انطلاقا من الكلمة التي اشتقت منها وهي كلمة client التي تعني التابع، وتشير إلى أن شخصا يعيش تحت حماية آخر. وفي اللغة العربية اشتقت الزبونية أو الزبائنية من كلمة "الزبن"، التي تعني حسب لسان العرب لابن منظور: الدفع والصرف، وبيع الثمر على شجره، أو بيع المجازفة، فيقال: أخذت زبني من الطعام أي حاجتي. فهي إذن عملية الصرف والدفع والمجازفة لأخذ الحاجة، وهي

334 MESSARA Antoine, Parties et Forces Politiques au Liban Renouveau et Engagement, Fondation Libanaise Pour la Paix Civile Permanente, 1998, pp: 22-221.

335 SEILER Daniel-Louis, "Maurice Duverger et les partis politiques", in Revue Internationale de Politique Comparée, 2010, Vol17, p: 55-65.

336 عصام مبارك، الالتزام السياسي...، مرجع سابق.

337 انظر هذه التعريفات في الموسوعة السياسية: Political-encyclopedia.org على الرابط: <https://urlz.fr/mM4p>

معاني لغوية قريبة من المعاني الاصطلاحية، ولها مرادفات عديدة في السياق العربي مثل: المحسوبية، الولائية، الانخراطية، الاستزلام، التعزيب، وغيرها.

اصطلاحا يرتبط مفهوم الزبونية بالعلاقات بين الرعاة السياسيين أو الرؤساء وعملائهم أو أتباعهم، وقد اختلف الباحثون في وضع تعريف واحد للزبونية وذلك بسبب النطاق الواسع والمتنوع للتبادلات السياسية التي يمكن للمصطلح أن يستوعبها. وتعرف سوزان ستوكس Susan C. Stokes الزبونية السياسية بكونها "عرض سلع مادية مقابل دعم انتخابي، حيث يكون معيار التوزيع الذي يستخدمه المستفيد patron هو هل ستدعمني؟ ف شراء الأصوات يطلق عليه غالبا الزبونية الانتخابية أو الزبونية الحزبية، وهو السيناريو المعتاد الذي ينوي فيه المرشح شراء الأصوات ويكون عادةً من خلال وسطاء"³³⁸.

ويعرفها بعض الباحثين بكونها منح الجمهور الموارد كالوظائف أو العقود، مقابل الدعم السياسي وهو يختلف عن شراء الأصوات من نواحٍ عديدة، أهمها امتداد الصفقة لفترة زمنية أطول ولا يقتصر على فترة الحملة الانتخابية. وهناك من المتخصصين من يعرفها على أنها تحالف عمودي ثنائي بين شخصين غير متكافئين في الوضع أو القوة أو الموارد.

ويصف جيمس سكوت James Scott "علاقات الزبونية بأنها صداقة منفعية بغرض الاستفادة Instrumental Friendship يستخدم فيها الطرف الأول patron وضعه الاجتماعي والاقتصادي الأعلى، إضافة إلى نفوذه وموارده لتوفير الحماية أو المزايا للطرف الثاني client وهو شخص أقل مكانة مقارنة بالطرف الأول"، فيما يصفها كيتشليت Kitshlet بقوله: "الزبونية تتطوي على المعاملة بالمثل والطوعية ولكن أيضا بالاستغلال والسيطرة".

وذهب أوليفيه روي Olivier Roy في اتجاه تفسير شبكة وسلسلة العلاقات التي ترافق الزبونية بحصرها معرفياً في

أنماط ثلاثة³³⁹، مستنتجا قوة العلاقة بين النمطين الأخيرين في المجتمع السياسي في العديد من البلدان النامية:

- الشبكة المعاونة التي تتشكل حول رجل يتمتع بسلطة ما والتي تزول بزوال هذه السلطة.

- العصبية التقليدية المتمثلة في العشيرة والقبيلة والقرية والأسرة الموسعة.

- العصبية الحديثة الاجتماعية والسياسية (النقابات، الأحزاب).

و هناك من يرجع أصول مفهوم الزبونية السياسية إلى الفكر السياسي النظري الفرنسي المقارن، حيث لوحظ

انتشار الزبونية في فرنسا خلال الفترة ما بين 1871-1940. تعتبر الزبونية ظاهرة قديمة كانت تعني في السابق

"القدرة أو الرغبة في تكوين الصداقات"، وتحول معناها بعد استخدامها لأول مرة في السياسة عام 1952، وذلك عندما

تم اتهام إدارة الرئيس الأمريكي ترومان بتعيين أصدقاء في مناصب حكومية بغض النظر عن مؤهلاتهم، وتم وصف

هذه الممارسة بأنها زبونية أو محسوبية³⁴⁰.

أما في العصر الحديث فقد اهتمت الجامعات البريطانية بالزبونية السياسية وأعدت دراسات حولها وقد برز منها

كتاب مثل: كوربن Corbin، دافيس Davis، كامبل Campbell وهو الاهتمام الذي امتد لاحقاً إلى الجامعات

الأمريكية مثل فوستر Foster، كيني M.Kenny، فريدريك Friedrich، وفي نهاية السبعينيات التحق بهذا الركب

باحثون إيطاليون مثل: غرامشي Gramsci وباحثون آخرون³⁴¹.

إلى حدود السبعينيات كانت أهم الدراسات المتعلقة بالزبونية السياسية محصورة عموماً في حقول

الانثروبولوجيا، وكانت مهتمة بتحليل العلاقات داخل المفهوم من أجل فهم الظاهرة لاسيما في المجتمعات المتخلفة.

وفيما يتعلق بالدراسات المهتمة بعلاقة الزبونية بالنظام السياسي، فهي حديثة نسبياً وتحليلاتها سطحية تقتصر على

339 نفس المرجع السابق.

340 الموسوعة السياسية، نفس المرجع السابق.

341 نفس المرجع السابق.

التقييم الأخلاقي لمظاهر الزبونية في المجتمعات النامية، دون أن تتعمق في التحليل السوسيولوجي الذي يوسع من دائرة أبعاد هذه الظاهرة وممارستها التي تخرجها من حيزها الأنثروبولوجي ومجالها الاجتماعي المحلي إلى العالمي، ومع ذلك فقد أصبح لبعض مصطلحاتها بعداً عالمياً وعلى رأسها (الرابطة الأسرية، الرابطة الإقليمية أو المناطقية)³⁴². وقد وجهت الانتقادات لهذه الدراسات من الناحية السوسيولوجية خصوصاً فيما تعلق بربط الزبونية بآثار التخلف، مثال ذلك ما ذكرته دراسة بعنوان: Safina-2015 أن استمرار تقدم المحسوبة، يؤدي إلى «هجرة العقول» من روسيا، مما يعرض التنمية الاجتماعية والاقتصادية للخطر، كما ذهبت بعض الدراسات إلى نفي وجود الزبونية، خاصة على المستوى السياسي في الدول المتخلفة. وقد قوبل هذا الانتقاد بالتأكيد على أن الزبونية ظاهرة سياسية واجتماعية موجودة، إضافة إلى أن ممارستها عالمية ولا تقتصر على مجتمعات بعينها، كما لا يمكن حصرها في التفسير الأحادي المرتبط بجانب واحد وهو محدودية الموارد (انتشار الفقر وقلة فرص الترقية الاجتماعية)، بل يمكن أن تنتج أساساً عن ضعف الوازع الديني أو الأخلاقي، أو عدم شفافية طرق التسيير والتنظيم، وهو ما يدفع بالفاعلين الاجتماعيين نحو اللجوء إلى آليات من شأنها خرق الأنظمة غير الشفافة والأحادية التوجه، فتسود العلاقات الزبونية³⁴³.

من هنا تبدو الفروق الشاسعة بين مفهوم المناضل السياسي الذي انتمى روحياً وفكرياً إلى تنظيم سياسي له مرجعية مقننة تجعله راسخاً في ميادين المواجهة السياسية، وبين الزبون السياسي الذي لا يعدو أن يكون مجرد "متبضع" منخرط في حزب سياسي غير مقتنع بمضامين خطابه وربما لا يفهمها، جاء من أجل الحصول على امتياز أو من أجل إرضاء للرئيس أو المؤسس بغية تحقيق منافع مادية، ضعيف الإيمان بشعارات الحزب وغير مستعد للمواجهة ميدانياً مع الخصوم الأقوياء. فالمناضل يؤمن أن له دور مركزي ووجودي في الحياة السياسية فيما يعتبر الزبون نفسه أنه جاء من أجل مهمة أو وظيفة مؤقتة محددة في الزمن والمكان، مما يجزئنا للحديث عن نظرية الدور وتعريفاته والمفاهيم المرتبطة به وتمييزه عن الوظيفة وغيرها.

342 نفس المرجع السابق.

343 الموسوعة السياسية، نفس المرجع السابق.

الفقرة الثالثة: البحث عن الدور السياسي

تحدثنا في الفقرة السابقة عن كون المناضلين والالتزام السياسي هما إحدى أهم محددات قوة الحزب، وأن الحزب يعتمد على الالتزام السياسي لمناضليه لخلق الفارق السياسي في العمليات السياسية. غير أنه في نظرنا يرتبط الالتزام السياسي وأيضاً فكرة المناضل بضرورة وجود دور يحدده الحزب لنفسه، هذا الدور هو الموجه لعمل المناضلين وهو بالنسبة لهم مسألة وجودية يرتبطون بها إلى مستويات مثالية أحياناً. من هنا فإن التعرف على مفهوم الدور قد تكون له أهمية في هذه الدراسة، باعتبار أن قوة الخطاب والتواصل هي ناتجة عن تحديد الدور ووضوحه بالنسبة للفاعل السياسي.

أولاً- الدور كفعل اجتماعي

اهتم ماكس فيبر بالدور الاجتماعي من خلال نظرية الفعل الاجتماعي³⁴⁴، معرفاً علم الاجتماع على أساسه، في نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، معتبراً أن الفعل الاجتماعي هو أي "اتجاه أو نشاط إنساني يخلق الفاعلون عليه أو مجموعة الفاعلين معنى ذاتياً. ويعتبر الفعل لا اجتماعياً إذا كان موجهاً فقط نحو سلوك الموضوعات غير الحية. أما الفعل الاجتماعي فنشير إليه بأنه ذلك الفعل الذي يتضمن اتجاهات وأفعال الآخرين، وهو بدوره موجه إليهم. بذلك يشكل الاتجاه الذاتي نحو الآخرين البعد الاجتماعي في الفعل بشرط أن يكون موجهاً نحو سلوك الآخرين". قسم ماكس فيبر الفعل الاجتماعي إلى ثلاث أنواع³⁴⁵ وهي:

- الفعل الاجتماعي الوجداني الانفعالي العاطفي: هو ذلك الفعل الذي توجهه

العواطف، وبالتالي، فهو فعل غير اخلاقي وغير عقلائي. والأمثلة على هذا النمط من السلوك

عديدة، كالسرقة والشجار بين الناس وغيرها.

344 حسام الدين فياض، نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر دراسة في علم الاجتماع التأويلي، المكتبة الإلكترونية: مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، <https://books-library.net/sitemap> الطبعة: الأولى، 2018، ص: 26-27

345 نفس المرجع السابق، ص: 29-30.

- الفعل الاجتماعي العقلاني المثالي: وهو الحركة او النشاط الذي يقوم به شاغل الدور عندما تكون كل من وسيلته وغايته أخلاقية وعقلية وشريفة كسلوك الطالب في الجامعة وسلوك المقاتل في القوات المسلحة. وهناك الفعل العقلاني بالنظر إلى الهدف، الذي يرتبط بالتخطيط قبل التنفيذ والترشيد العقلاني والتدبير الجيد للوسائل المتاحة أي قبل العمل للوصول إلى الأهداف المرجوة، ثم تحليل النتائج المتوقعة الناتجة عن هذا الفعل المرتقب، بعبارة أخرى نجد أن فيبر يحدد العقلانية بالنظر إلى قدر المعرفة التي لدى الفاعل.

- الفعل الاجتماعي التقليدي: يبنى هذا الفعل على العادات والقيم والأعراف والتقاليد، فالأنشطة اليومية، مثل: طرق الأكل أو المصافحة بالأيدي والتحية وغيرها³⁴⁶.

وتعددت التعريفات لتوضيح مفهوم الدور، قد يكون مرد ذلك إلى الاستعمالات المتعددة في حقول معرفية متنوعة من بينها علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا. يعرف الدور في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنه "السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة والجانب الدينامي لمركز الفرد، فبينما يشير المركز إلى مكانة الفرد في الجماعة، فإن الدور يشير إلى نموذج السلوك الذي يتطلبه المركز. ويتحدد سلوك الفرد في ضوء توقعاته وتوقعات الآخرين منه، وهذه التوقعات تتأثر بفهم الفرد والآخرين للحقوق والواجبات المرتبطة بمركزه الاجتماعي، وحدود الدور تتضمن تلك الأفعال التي تتقبلها الجماعة في ضوء مستويات السلوك في الثقافة السائدة"³⁴⁷.

ونجد تعريف الدور في قاموس علم الاجتماع، بأنه "نموذج يرتكز حول بعض الحقوق والواجبات، ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل جماعة أو موقف اجتماعي معين، ويتحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة

346 حسام الدين فياض، نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر، مرجع سابق.

347 أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1993، ص: 395.

توقعات يعتنقها الآخرون كما يعتنقها الفرد نفسه³⁴⁸، وأن للدور متطلبات وهي توقعات الآخرين بشأن أداء شخص لدور معين في موقف ما، وعرفت توقعات الدور بأنها السلوك المتوقع والمرغوب الذي يرتبط بدور معين. وربط القاموس الدور بأدائه وهو طريقة قيام الشخص بدوره في موقف معين. أما تعريف الدور في معجم مصطلحات علم النفس فهو "مجموعة من أنماط سلوك الفرد، تمثل المظهر الدينامي للمكانة، وترتكز على الحقوق والواجبات المتعلقة بها، وبمعنى آخر يتحدد الدور على أساس متطلبات معينة تنعكس على توقعات الأشخاص لسلوك الفرد الذي يحتل مكانة ما في أوضاع معينة"³⁴⁹.

من خلال التعريفات السابقة يمكن أن نلاحظ بأنها تشتمل على الكثير من القضايا المشتركة، التي تجعل من مفهوم الدور يركز على الأفعال والتصرفات التي يقوم بها الشخص، بما يتوافق مع متطلبات مركز معين في المجتمع. وعموما تتأسس نظرية الدور على خمس افتراضات أساسية³⁵⁰ وهي:

- يتميز بعض الأفراد بتوفرهم على أنماط سلوك مميزة تساعدهم على أداء أدوارهم داخل إطار معين.
- ترتبط الأدوار غالبا في علاقات بين عدد معين من الأفراد الذين يشتركون في هوية واحدة كالانتماء للأحزاب السياسية مثلا.

- غالبا ما يكون الأفراد مدركين للدور الذين يقومون به، ويتحكم هذا الإدراك في طريقة ممارسة الأدوار.

- تستمر الأدوار بسبب ما يترتب عليها من نتائج من ناحية، وبسبب ارتباطها بسياق نظم اجتماعية أكثر اتساعا من ناحية أخرى.

- أداء الأدوار التي يقوم بها الأفراد يحتاج إلى تأهيل أي كالتكوين والتنشئة والتدريب وغيرها.

348 محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص: 390-393.
349 عبد المجيد سالم، معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1998، ص: 107.
350 سيد علي شتا، نظرية الدور والمنظور الظاهري لعلم الاجتماع، الطبعة الأولى، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص: 122.

وهناك من يعرف الدور بالمقارنة مع مفاهيم أخرى ومن بينها:

- مفهوم المركز: يمكن القول أن الكثير من المراكز أدوارا والعكس بالعكس، ولكن المراكز تعتبر تصنيفات للكائنات الإنسانية بينما تعتبر الأدوار تصنيفات للسلوك.
- مفهوم النشاط: يمثل الدور تلك السلوكيات المميزة للأشخاص في إطار معين، بينما يعرف النشاط بأنه ذلك التفاعل المؤقت ولكنه المتميز لعدد من الأدوار التي يكون بينها اعتماد متبادل.
- مفهوم الوظيفة: هو مفهوم يتداخل أحيانا كثيرة مع مفهوم الدور إلا أنه لا يتطابق معه، ذلك لأن الدور غير الوظيفة حيث يشمل الممارسة لمدة زمنية أطول.
- مفهوم المهمة: وهناك من يعرف المهمة بكونها تتكون من الأمر الذي ترغب المنظمة في تحقيقه في المدى المنظور وفق المجال الذي تعمل فيه³⁵¹، ويتم تحديد المهمة إما بشكل عريض أو بشكل نية استراتيجية، وغالباً بشكل محدد، على صيغة: أن نصبح رقم كذا في مجال كذا أو قادة كذا في مجال معين³⁵².

ثانياً- في أفق فهم دور الحزب السياسي: نظرية الدور كأساس نظري

لاحظ الباحثون³⁵³ أن لفظة دور Role تم استعارتها لأول مرة من الفن المسرحي من قبل ميد G-Meed وكذلك من قبل علماء الاجتماع بجامعة شيكاغو في العشرينات من القرن الماضي. وقد حاول كتاب عديدون توظيف

351 جاسم سلطان، التفكير الاستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثانية، 2010، ص: 232-233.

352 نفس المرجع السابق.

353 الموسوعة السياسية، نظرية الدور في العلاقات الدولية، الإعداد العلمي: مريم مخلوف نشر بتاريخ 3 يونيو 2022، political-encyclopedia.org

الرابط: <https://urlz.fr/mlqc>

واستعمال مفهوم الدور في تحليل السلوك بين الأفراد. ويرى ³⁵⁴ G.H.Meed أن الدور الاجتماعي هو وحدة التشئة الاجتماعية ونمط للاتجاهات والأفعال التي يتخذها الفرد، فيما يبحث لينتون ³⁵⁵ Linton عن مرادف لمصطلح الدور في مصطلح الموقع position، وميز بين الأدوار المفروضة Ascribe Roles والأدوار المتحققة achieved Roles، وأدوار نشطة Active Roles ثم الأدوار كامنة Latent Roles. وعرف الأدوار المفروضة بكونها تلك الأدوار التي ليس للفرد علاقة في شغلها مثل تلك المتعلقة بالجنس والعمر والقرابة أو الانتماء إلى طائفة وسلالة معينة، بينما الأدوار المتحققة تلك التي باستطاعة الفرد أن يشغلها بناء على جهوده وقدراته الشخصية مثل المواقع المهنية والتعليمية. أما الأدوار النشيطة فعرفها بأنها مجموع ما يقوم بها الشخص في مدة معينة، واعتبر الأدوار الكامنة هي التي تكونت في حالة كمن، لأن الوقت المناسب لظهورها لم يأت بعد. وينظر Hall إلى "الدور بصفة عملية له ثلاثة مكونات هي كالآتي:

- مكون بنائي: ويتمثل في مطالب الدور الخارجية، وهي قائمة المعايير والتوقعات والمحرمات وغيرها.

- مكون شخصي: يتمثل في الجانب الداخلي الذي يتصور الفرد على أساسه الوضع الاجتماعي.

- مكون سلوك الدور: يتمثل في الطرائق التي يتصرف بها الأفراد في وصف معين".

ولتوضيح العلاقة بين الدور والشخصية يقترح Alport أربعة عناصر³⁵⁶ لمفهوم تشكل الدور:

- توقعات الدور: Role expectation

354 Steven J. Campbell, Role Theory, Foreign Policy Advisors, and U.S. Foreign Policymaking, working papers, Department of Government & International Studies University of Southern Carolina, International Studies Association, published in 1999, link: <https://ciaotest.cc.columbia.edu/isa/cas01/>
355 Ibidem.

356 Steven J. Campbell, Role Theory, Foreign Policy Advisors, Op. Cité.

وهي ما تحدده الثقافة لكل دور من الأدوار الاجتماعية، أي ما تقرره سلفا من كل فرد، يشغل موقعا معينا، في النظام الاجتماعي المعاصر.

- مفهوم الدور: Role conception:

وهي الصورة التي يكونها الفرد عن دوره ويتداخل مفهوم الدور مع مفهوم الفرد عن نفسه، إلى جانب ما هو متوقع منه وكثيرا ما ينشأ الغموض نتيجة لهذا التداخل بين مفهوم الدور والدور المتوقع.

- قبول الدور أو رفضه: Role acceptance or rejection

يقبل الأفراد أدوارهم إذا كانت محددة في ضوء توقعات الآخرين أو تصوراتهم الخاصة، وقد لا يقبل البعض أدوارهم ولا يكثرثون بها، بينما البعض يحبون تصوراتهم الخاصة لأدوارهم ولكنهم لا يقبلون توقعات الآخرين منهم.

- أداء الدور: Role performance

وهو الأسلوب الذي يسلك به الفرد دوره ويعتمد على جميع هذه الشروط السابقة. وبذلك فإن تفسير الفرد للدور رهين بمدى استعداداته وميوله الفطرية وحاجاته الأساسية، لذلك فإن الدور له معنيان أيضاً هما:

- تصور الدور وقبوله أو رفضه، وكلاهما القبول أو الرفض يتمان ضمن تنظيم الشخصية، ومن تم يتحدد نوع السلوك في البناء الاجتماعي وكيف يؤدي الفرد دوره. فضلا عن ذلك يمكن القول إن الأشخاص الذين يتصورون أدوارهم كما يحددها المجتمع ويقبلونها بسرور هم أشخاص يميلون نحو دعم البناء الاجتماعي، أما هؤلاء الذين يتطرفون في تغيير تحديد أدوارهم ولا يقبلونها سواء في التعريف الاجتماعي للدور أو تعريفهم الشخصي له فهم أشخاص متمردون.

- وتقوم نظرية الدور على أساس مفهوم التفاعل بين الذات والدور من ناحية، وبين الأشخاص مع بعضهم البعض من ناحية أخرى. يتميز الدور بأنه ذو طبيعة معيارية (ملزمة) كما يتميز بأنه ذو طبيعة تنبؤية تمكن

من التنبؤ بأنماط السلوك المتوقعة في إطار أدوار معينة، فالفرد يتنبأ عن سلوك متوقع فيعد نفسه لمواجهة سلوك مناسب.

وكثيراً ما تأخذ الأنماط السلوكية داخل حدود الدور شكلاً رسمياً يتناسب مع ما اتفقت عليه الجماعة، سواء كان ذلك شعورياً من خلال التنظيمات الرسمية أم لا شعورياً من خلال المعايير والقيم السائدة في المجتمع، ومن ثم فإن أداء الفرد دوره، يخضع لتصوره عن الدور وهو ما تحكمه مجموعة من العوامل من بينها اتجاهاته وقيمه وتكوينه وتنشئته واستعداداته وغير ذلك من العوامل التي تحدد السلوك.

ويفترض نيوكام ³⁵⁷ Newcomb وجود ثلاثة حالات قد تؤدي واحدة منها أو جميعها إلى حدوث الصراع داخل الدور:

- غموض (عدم وضوح) التوقعات بالنسبة للشخص المفترض فيه لعب دور ما.

- تعدد التوقعات بشأن الدور المطلوب وكثرتها.

- التعارض بين التوقعات نفسها.

ويرى ميرتن ³⁵⁸ MERTON أن غموض التوقعات حول السلوك المناسب لدور معين أو مكانة معينة يعد

سبباً كافياً لحدوث الصراع، فيما يؤكد شو و كوسنانزو ³⁵⁹ Shaw & Costanzo أن عدم الإجماع في الرأي حول

357 Theodore.M.Newcomb, "ROLE BEHAVIORS IN THE STUDY OF INDIVIDUAL PERSONALITY AND OF GROUPS", published in Journal of Personality, Volume 18, Issue 3, mars 1950, p. 273-289 link:

<https://doi.org/10.1111/j.1467-6494.1950.tb01247.x>

358 Merton, Robert K. "The Role-Set: Problems in Sociological Theory." in British Journal of Sociology Volume 8, 1957, pp 106-120.

359 Stephanie Lorraine Derr, Role conflict, ambiguity, and changing family roles in single parent families, Thesis Submitted to The College of Arts and Sciences of the University of Dayton In Partial Fulfilment of the Requirements for

The Degree Master of Arts in Psychology, University of Dayton, Ohio, USA, April 1998, p: 3-4, published in: <https://urlz.fr/mlth>

توقعات الدور يعد من أسباب صراع الدور، بينما يقترح Indik وآخرون³⁶⁰ أن من بين أسباب الصراع³⁶¹:

- التناقض بين متطلبات الدور وقدرات الفرد.

- الغموض في تحديد متطلبات الدور.

- ضغوط وأعباء العمل.

ويربط Parsons صراع الدور بعملية التوحد Identification مع توقعات الدور والقيم المتناقضة وأنماط

السلوك التي تتطلبها، فإذا كان الشخص قد توحد معها فإنه عندئذ يريد أن يؤدي في وقت واحد دورين متناقضين يتعذر

أدائهما معها³⁶².

ثالثاً- نظرية الدور في النسق السياسي الداخلي ومتغيرات تفسير الدور

نشأت نظرية الدور وتطورت في إطار علم الاجتماع³⁶³، منطلقة من أسس اجتماعية سيكولوجية بالدرجة

الأولى، بغية فهم موقع الفرد وتأثيره في السياسة الداخلية والعالمية، فضلاً عن الرغبة في فهم وتطوير النسق السياسية،

فسعى علماء السياسة المعاصرين لوضع بنية نظرية لمفهوم الدور في إطار علم السياسة. يعرف بروس بيدل -

Bruce Biddle³⁶⁴ الدور على أنه: قائمة أو دليل سلوك مميز لشخص أو مكانة، أو منظومة من المعايير

والتوصيفات المحددة لسلوكيات شخص أو مكانة اجتماعية³⁶⁵. فيما عرّفه كال هولستي Kal Holsti بأنه تعريفات

360 Indik, B., Seashore, S.E., & Slesinger, J. "Demographic correlates of psychological strain", Journal of Abnormal and Social Psychology, 1964, p: 69, 26-38, published in: <https://psycnet.a.org/doi/10.1037/h0040300>

361 Steven J. Campbell, Role Theory, Foreign Policy Advisors, and U.S. Foreign Policymaking, working papers, Department of Government & International Studies University of Southern Carolina, International Studies Association, published in 1999, link: <https://ciaotest.cc.columbia.edu/isa/cas01/>

362 Ibidem.

363 Vit Benes, Role theory: A conceptual framework for the constructivist foreign policy analysis?, study published in 2018, link: <https://urlz.fr/mlrH>

364 Ibidem.

365 Biddle, Bruce J. Role Theory: Expectations, Identities, and Behaviours , Academic Press, 1979 NEW YORK, USA

صناع القرار للأنواع العامة للقرارات والالتزامات و القواعد والسلوكيات التي تصدر عن دولهم، وللوظائف التي ينبغي على أية دولة أن تؤديها على أساس مستمر سواءً في النظام الدولي أو في النظام الإقليمي الفرعي". أما ستيفن والكر Steven Walker فقد عرّف مفهوم الدور على أنه: تصورات واضعي السياسات الخارجية لمناصب دولهم في النظام الدولي³⁶⁶.

عملت نظرية الدور السياسي على البحث في الأنساق السياسية من الداخل كل على حدة، وبحث هيكل الأدوار وتوزيعاتها وتفاعلاتها بين الأنساق الفرعية أو الأبنية التي تشكل النسق السياسي ككل. ويشمل الدور السياسي داخل النسق السياسي الوطني أنماط السلوك ومجموعة المواقف المتوقعة من الأشخاص الذين يحتلون مناصب في هيكل صنع القرار، وأنواع الأعمال التي تؤدي ضمن كل موقف. ويعرف نظرية الدور في حقل العلاقات الدولية، الدور بوصفه "مجموعة من الوظائف الرئيسية التي تقوم بها الدولة في الخارج عبر فترة زمنية طويلة، و ذلك في إطار تحقيق أهداف سياستها الخارجية"، بمعنى أن الدور ليس ممارسة مؤقتة أو ظرفية وإنما هو مؤسس على الديمومة وعلى رؤية أو مرجعية مبادئ تؤسس عليها الدولة دورها على المستوى الدولي. ومن خلال ما سبق بسطه، فإنه يمكننا أن نعيد تركيب ذلك بالقول أن الدور ليس مجرد قرار أو سلوك أو هدف، بل يُعبر عن مجموعة من وظائف محورية تقوم بها الدولة في فترة زمنية معينة، وهذا يتطلب منها مراعاة ثلاثة جوانب رئيسية: أولها "تحديد مركزها في العلاقات الدولية ورسم مجال حركتها بدقة، وهذا انطلاقاً من توصيفها لنفسها ضمن أي خانة من الدول تنتمي (عظمى - كبرى - إقليمية - صغرى) و منه يتحدد توجهها هل إقليمي أو عالمي؟ ثم تحديد وضبط دوافع سياستها الخارجية، وأخيراً توقعها لحجم التغيير الذي يمكن أن تحدثه نتيجة أدائها لهذا الدور حتى تستطيع تقييم هذا الأداء.

وهكذا فإن نظرية الدور تساعد على فهم السلوكيات السياسية للدول تجاه بيئتها الدولية أو الإقليمية، وأيضاً

مراكز ومواقع الأفراد والتنظيمات داخل النسق الوطني الداخلي، وهي مرتبطة بثلاث عناصر أساسية:

- توقعات الدور: وهي القواعد التي تنظم الأفعال السياسية، أي الأفعال التي تتضمن التأثير

وصنع القرار والتوزيع السلطوي للقيم، وتشير هذه التوقعات إلى مطالب المجتمع من الأفراد الذين يشغلون

مناصب متشابهة

- توجهات الدور: وهي الأفكار الخاصة بالفرد شاغل الدور كالسلوك الذي يجب أن يسلكه

عندما يكون في وضع معين، وتعكس هذه الأفكار القواعد التي يضعها المجتمع وخصائص القائم بالدور

وإدراكه لمطالب وتوقعات من حوله .

- سلوك الدور : وهو عبارة عن الأفعال التي يقوم بها الفرد الذي يشغل منصبا معيناً حيث يتم

التركيز هنا على الفعل كما حدث لا كما يجب أن يكون .

وانطلاقاً من نظرية الدور فإنه قد تم تحديد عدة متغيرات لتفسير أدوار الأفراد والجماعات الذين قد يتشابهون

في امتلاك مصادر القوة، مثلاً التمويل الحزبي، امتلاك الإعلام، امتلاك عدد كبير من المنتسبين وغيرها من عناصر

قوة التنظيم، لكنهم يختلفون في السلوكيات وفي نتائج مواقفهم. ولفهم هذه المتغيرات هناك من يحددها في ثلاثة

متغيرات أساسية تعتمد عليها نظرية الدور في التفسير. أولها هو المتغير المتعلق بمصادر الدور، يقصد بها

الخصائص والمقومات والإمكانات المادية وأيضاً غير المادية، وهنا يمكن أن نقول أن هذه المقومات غير المادية

تشمل حجم الالتزام السياسي للمناضل، قوة خطابه وتواصله السياسي، قيمة مرجعيته الفكرية، الرموز والشخصيات،

الخبرة وإرادة القيادة، وجود خطاب سياسي قوي وغيرها من الأسس اللامادية التي يبني عليها الحزب أو القائد السياسي

صورته³⁶⁷.

ثاني هذه المتغيرات تتعلق بتصوير الدور، أي كل ما يتعلق بتصورات وإدراكات القيادة السياسية صاحبة القرار الحزبي مثلا، لأدوار تنظيمها. فامتلاك الفرد أو التنظيم لمقومات مادية أو غير مادية لا يعنى بالضرورة أنه سوف يؤدي دورا سياسيا فعالا³⁶⁸، كذلك الأمر فيما يتعلق بالقائد هل يملك تصورا لدوره الطويل الأمد أم أنه يقدم نفسه كصاحب مهمة أو وظيفة محددة زمنيا. وهنا نثير ما كان قام به مثلا بعض القادة المؤسسون لحزب الأصالة والمعاصرة عندما انسحبوا من الحزب وقدموا ما سموه استقالات بعد أزمت داخلية أو فشل انتخابي، ومن بينهم الأمين العام الأسبق إلياس العماري الذي قدم استقالته من قيادة الحزب ومن مهام انتدابية أخرى بعد الفشل في الحصول على المرتبة الأولى في انتخابات 2016، مما يوحي بأنه كان يمارس وظيفة أو مهمة مؤقتة وليس دورا سياسيا طويل الأمد بالمعنى الذي حددناه سابقا، فكانت أغلب تصريحاته عن أهداف حزبه تشير في اتجاه أنه أحدث من أجل محاصرة المد الإسلامي في المغرب، وهي مسألة مؤقتة بالنظر إلى زمن الدولة وأهدافها، فهل هذا يعني أن الحزب سينتهي بعد أداء هذه المهمة؟

وأخيرا ثالث هذه المتغيرات متعلق بطريقة وكيفية أداء الدور³⁶⁹، أي كل ما يتعلق بالمرجات السياسية من قرارات وتواصل وخطاب وسلوك انتخابي وغيرها، وهذا مرتبط بالأساس بما يسمى ب"مؤهلات الدور"، التي تشمل جميع القدرات الذاتية والمالية والخارجية لإقامة الدور السياسي، ولخلق البيئة المناسبة لقبول هذا الدور والتجاوب معه أثناء مرحلة التنفيذ أو الإنجاز السياسي.

368 نفس المرجع السابق.

369 نفس المرجع السابق.

الفصل الثاني

حزب العدالة والتنمية

العوامل غير الطبيعية للتطور

بعدما تناولنا في الفصل الأول العوامل الطبيعية لنشأة تيار إسلامي في المغرب، فإنه من كان من المفترض أن تظهر توجهات إسلامية منبثقة من نفس البيئة الدينية والتاريخية للمغرب، بمعنى امتدادا لتطور البنية الدينية للمملكة. بمعنى أنه من خلال ما ناقشناه في عناصر البيئة المغربية، كان من المفترض أن تنشأ وتطور خلالها توجهات دينية وسياسية تستمد أفكارها من الفقه المالكي ومن الأفكار المغربية، غير أن الواقع أفرز تيارات تنهل من توجهات دينية مشرقية مما خلق نوعا من الصعوبات في اندماجها وتأقلمها مع النسق الديني والسياسي المغربي.

على ما يبدو عند فحص مسار الاندماج هذا في شموليته، فإن هذه المشاركة السياسية لهذا التيار الإسلامي ولئن تميزت بنوع من التدرج كما أسلفنا آنفا، منذ تسعينات القرن الماضي، من خلال ممارسة المعارضة البرلمانية ثم تصدر الانتخابات وترؤس الحكومة المغربية، فإنها لم تكن فترة خالية من الصدمات أو المطارحات و المناكفات الفكرية والسياسية، منذ أول ممارسة انتخابية وسياسية في شكل معارضة برلمانية في زمن حكومة التناوب سنة 1997، إلى مرحلة ترؤس الحكومة بعد دستور 2011، مروراً بوقائع الأعمال العنيفة بتاريخ 16 ماي 2003، التي وصفت بالتحجيرات الارهابية في الدار البيضاء من قبل من وصفوا بالمتطرفين الذين يتبنون المرجعية الإسلامية، ثم الموقع الذي احتله أعضاء الحزب في احتجاجات سنة 2011 التي أطلق عليها في الاصطلاح الإعلامي بالربيع العربي التي هزت المنطقة العربية وأسقطت رؤساء دول وأثرت على أنظمة سياسية عربية أخرى.

في خضم هذا المسير الاندماجي في الحياة السياسية المغربية، استغل قادة حزب العدالة والتنمية هذه المحطات، للتعبير عن هويته السياسية والفكرية وعن رؤيته لإصلاح الدولة وسياساتها العمومية. تجلّى هذا التعبير عن شخصية وهوية التنظيم في العمل على تقوية القدرات التواصلية مع الدولة ومع سلطاتها ومع المجتمع، لإبراز كون الحزب أنه غير عنيف وغير استتصالي بل بتقديم صورته كحزب ذو خطاب ديني إسلامي معتدل و متوافق مع السلطة، في سبيل خلق القبول العام لممارسة تدبير الشأن العام وقيادة الحكومة والقطاعات العامة، ثم ظهر ذلك في عرض الحزب لمؤهلاته في تأطير المجتمع والتصدي لكل نزعات الاحتقان أو التطرف. سنناقش في مبحث أول

كيفية تعامل إسلاميو حركة التوحيد والإصلاح مع مطلب المشاركة السياسية (مبحث أول)، وإظهار مراحل التطور الحاصل في البنية الحزبية وكيفية تدبير مرحلة الانتقال من تنظيم الجماعة إلى تنظيم حزبي سياسي (مبحث ثاني).

مبحث أول: الصعوبات المرتبطة بقرار مشاركة إسلاميو حركة التوحيد والإصلاح في

الحياة السياسية

اتخذت حركة التوحيد والإصلاح قرار المشاركة في الحياة السياسية، ثم أقدمت على عدة محاولات لإنشاء حزب سياسي إسلامي. لم تكمل غير أن هذه المحاولات بالنجاح، مما حدى بها إلى الأخذ بفكرة الاندماج في حزب سياسي قائم الذات، وهو حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية الذي كان يقوده عبد الكريم الخطيب، المنشق سابقا عن حزب الحركة الشعبية الذي أسسه رفقة المحجوبي أحرسان. كان من بين مشاريع الحزب الذي كانت تنوي جماعة الإصلاح والتجديد تأسيسه، هو ما سموه حينها بـ "حزب التجديد الوطني"، في بداية 1990³⁷⁰ قبل اندماجها مع رابطة العالم الإسلامي.³⁷¹ وقد تقدمت هذه الرابطة أيضا بمشروع إنشاء حزب الوحدة والتنمية، لكن طلبها قبول بالرفض من قبل السلطة.

لم يكن حينها من المقبول من وجهة نظر سياسية، قبول إنشاء حزب سياسي يتبنى المرجعية الإسلامية ويجعل من الدين أساسا لعمله، فالقانون كان حاسما وصلبا في هذا التوجه، بحيث هناك مقتضيات ترفض صراحة تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني، ولعل ذلك كان بسبب رفض المنافسة مع باقي الفاعلين بما ذلك المؤسسة الملكية انطلاقا من الدين، ومنع استغلاله لغرض سياسي. وبذلك ارتهن طلب المشاركة السياسية بضرورة سلك طريق الالتحاق بحزب الخطيب بهدف استراتيجي وهو السيطرة على هذا التنظيم السياسي مستقبلا. تم هذا الانضمام من قبل حركة التوحيد والإصلاح، في غضون شهر ماي 1996، بعد صيغة جماعة الإصلاح والتجديد، التي يقول عنها محمد

370 التاقي البشير، الحركة الإسلامية والمشاركة السياسية بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، 2009، ص: 174.

371 محمد يتيم، حركة التوحيد والإصلاح التجربة الوحيدة التوجهات العامة، الفرقان، العدد 41، 1998، ص: 29.

ضريف أنها كانت: "تشكل تعبيراً ظرفياً عن التيار الإسلامي، هذا التعبير الظرفي تجلّى من خلال مظهرين: الالتقاء الموضوعي مع السلطة أولاً، والنتية السياسي ثانياً"³⁷². ولم يكن هذا القرار ليكون لولا موافقة الملك الراحل الحسن الثاني³⁷³، خصوصاً وأن المعطيات الدولية تغيرت لاسيما بعد انهيار المعسكر الشرقي الشيوعي، وارتفاع الحساسية الدينية في المجتمعات العربية كتعبير اجتماعي في زمن انتشار القنوات الفضائية وعودة الخطاب الديني بقوة للمشهد الإعلامي، ونفترض أنه كان من الذكاء استيعاب المعتدلين من الإسلاميين داخل النظام السياسي، والسماح لهم بممارسة السياسة وفق القواعد القانونية والأعراف السياسية التي توطر النظام السياسي المغربي.

لم يكن اختيار حزب الحركة الشعبية الدستورية اعتباطاً أو عشوائياً، بل قد يكون مرد ذلك إلى كون الخطيب رئيس الحزب ذو تجربة سياسية مهمة فهو أحد مؤسسي الحركة الشعبية رفقة المحجوبي أحرسان قبل أن ينشق عنه خلال فترة حالة الاستثناء سنة 1967 بعدما عبر عن رفضه لحل البرلمان من قبل الملك وإعلان حالة الاستثناء. وقد اعتبره جون واتر بوري "بيدقا جديدا على رقعة شطرنج الملك"³⁷⁴. يعد الخطيب شخصية سياسية قريبة من المخزن وكانت له أدوار مهمة داخل شبكة المسؤوليات العمومية، منها توابع حقيبة وزارة الشؤون الأفريقية، ثم رئاسة مجلس النواب، وقبل ذلك كان أحد المدافعين عن سلطات الملك ضد حزب الاستقلال أواخر الخمسينيات، وهو أيضاً أحد المقاومين ضد الاحتلال الأوروبي للمغرب، وأحد رواد دعم حركات التحرر في إفريقيا وخصوصاً ما جمعه بثوار جنوب إفريقيا وعلى رأسهم الزعيم نيلسون مانديلا. إلى جانب ذلك فإن المتتبع لما أنتجه عبد الكريم الخطيب من تصريحات ومقالات، لاسيما في أول مجلة لحزب الحركة وكان اسمها ذو دلالة سياسية وثقافية وهي مجلة المغرب العربي، فإنه يلاحظ أنها كانت دائماً ما تفتتح بمادتين افتتاحيتين، واحدة لأحرسان يتناول فيها بشكل رئيسي الأوضاع الاجتماعية

372 محمد ضريف، الإسلاميون المغاربة حسابات السياسة في العمل الإسلامي 1969.1999، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1999، ص: 135.

373 الزهراوي محمد، "الإسلاميون المغاربة: من رهان الإصلاح إلى "أزمة التنظيم" قراءة في تجربة حزب العدالة والتنمية المغربي (1997 – 2017)"، المركز الديمقراطي العربي، 5 يوليو 2020، الرابط: <https://democraticac.de/?p=67665>

374 مقتدر رشيد، "المشاركة السياسية عند الإسلاميين الإصلاحيين المغاربة، مساهمة لدراسة وتقييم المسار السياسي للإسلاميين بالمغرب"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 314، السنة 27، أبريل 2005.

للبلاد متحدًا عن الفوارق الاجتماعية والعدالة الاجتماعية والجهوية والتنوع الثقافي، ومادة للدكتور الخطيب دائما كانت بنفس إسلامي ولغة دينية واضحة، مما يبرز الثقافة التقليدية المحافظة للخطيب التي قربت منه أعضاء وقيادات حركة التوحيد والإصلاح.

تم قبول انضمام الإسلاميين إلى جانب الخطيب كوصي³⁷⁵ وضامن لعبور سلس نحو ممارستهم السياسية، فتحول حزب الخطيب تحولا جذريا³⁷⁶، من حزب ضعيف النتائج على مستوى المشاركة الانتخابية إلى حزب مشارك انتخابيا بشكل لافت خلال فترات إعادة الولادة مع دخول الإسلاميين أواخر التسعينيات وبداية الألفية الثانية. ولم يكن دخول الإسلاميين إلى حزب الحزب كجماعة أو كحركة إسلامية، بل يبدو أن شرط انضمامهم كأفراد كان واضحا بدون أي التزامات واضحة أو مكتوبة من قبل الخطيب أو من قبل السلطة، مما يؤكد أنها كانت فترة اختبار وتجريب قد تتطور كلما ظهر "الانضباط" السياسي على المنخرطين "النوعيين" الجدد³⁷⁷.

قبل الانضمام إلى حزب الخطيب كانت هناك محاولة للانخراط في حزب الاستقلال، لما يجسده هذا التنظيم من مدرسة نضالية عريقة، وأيضا كمؤسسة قادها محافظون لهم خلفية فكرية إسلامية على رأسهم الزعيم علال الفاسي، لكن محاولة الانضمام هاته لم تؤت ثمارها المرجوة، مما دعا إلى التفكير في بديل لحزب الاستقلال فلم يكن سوى حزب الخطيب³⁷⁸.

كان الالتزام واضحا بين المنخرطين الجدد من حركة التوحيد والإصلاح وبين الخطيب، حول مجموعة المواقف والقضايا الوطنية والدولية، أهمها العمل تحت إمارة المؤمنين، نذب التطرف والعنف، والإقرار بالإسلام كدين للدولة. فتم عقد المؤتمر الاستثنائي للحزب بتاريخ 2 يونيو 1996، بغية فتح الباب للدخول الرسمي والعلمي لأعضاء من حركة

375 الحوزي محمد، الملكية والإسلام السياسي في المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مارس 2001، ص: 243.

376 مقتدر رشيد، المشاركة السياسية عند الإسلاميين، مرجع سابق، ص: 58.

377 الزهراوي محمد، "الإسلاميون المغاربة: من رهان الإصلاح إلى "أزمة التنظيم"، مرجع سابق.

378 نفس المرجع السابق.

التوحيد والإصلاح إلى الأمانة العامة لحزب الخطيب، الذي سيتم تغيير اسمه من الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية إلى حزب العدالة والتنمية³⁷⁹.

خاض بعد ذلك الحزب بالإسلاميين الملتحقين أول تجربة انتخابية تشريعية في 14 نونبر 1997. تميزت هذه البداية بدنامية خطابية شهدتها الحملات الانتخابية، تحت شعار انتخابي بلغة محافظة هو من أجل نهضة شاملة.. أصالة، عدالة، تنمية³⁸⁰. حصل الحزب الذي لم يغط نصف الدوائر الانتخابية، في هذه الاستحقاقات على المرتبة التاسعة، وبلغ مجموع الأصوات التي حصل عليها 264324 صوتا بنسبة 4.14 % من الأصوات المعبر عنها وفاز بتسعة مقاعد نيابية في الغرفة الأولى. وبذلك انطلق مسار العمل البرلماني لحزب العدالة والتنمية بالإعلان عن ولادة المجموعة البرلمانية للحزب، ومصادقة الأمانة العامة على اختيار مصطفى الرميد منسقا لها. في دورة البرلمان لشهر أكتوبر 1999 أعلن عن تأسيس الفريق النيابي للحزب بعد استكمال النصاب القانوني اللازم، بعد التحاق نائبين من أعضاء المجلس، وكان قبلهم قد التحق النائب عبد الإله بنكيران بعدما فاز في الانتخابات الجزئية بسلا³⁸¹.

شكلت هذه البداية بخوض غمار الانتخابات وضمان مقاعد في المؤسسة التشريعية، المشاركة الفعلية والحقيقية في العمل السياسي العلني والشرعي لإسلاميي حركة التوحيد والإصلاح، ومن تم شكلت المحك الحقيقي لمعرفة قوة الإسلاميين في أوساط المجتمع، وظهر ما يمكن وصفه بخط اشتباك جديد لباقي الفاعلين السياسيين، واختبار ملموس لمدى قدرات التنظيمات الإسلامية على بناء سياسيات عمومية³⁸² منتجة للتنمية.

379 نفس المرجع السابق.
380 انظر فريق العدالة والتنمية بمجلس النواب، "حصيلة السنوات الخمس، التزام وعطاء: الولاية التشريعية (1997-2002)", الطبعة الأولى، غشت 2002، ص: 4.
381 نفس المرجع السابق، ص: 5.
382 الزهراوي محمد، مرجع سابق.

الفقرة الأولى: الصعوبات الفكرية ومحاولات "تطويعها"

تقدم حركة التوحيد والإصلاح نفسها على أنها حركة دعوية تربوية على منهاج أهل السنة والجماعة، يرتكز عملها في مجال الدعوة الإسلامية عقيدة وشريعة وقيما وأدبا، من أجل الالتزام بمقتضيات الإسلام وإقامة أركانه وأحكامه على صعيد الأفراد والأسرة والمجتمع والدولة والأمة. تقول الحركة أن رسالتها تقوم على الإسهام في إقامة الدين وتجديد فهمه والعمل به، وبناء نهضة إسلامية رائدة وحضارة إنسانية راشدة، في إطار حركة دعوية تربوية وإصلاحية معتدلة وشورية وديمقراطية، تعمل وفق الكتاب والسنة. تؤكد الحركة على أنها في سبيل تحقيق هذه الأهداف فإنها تعتمد مسلك التدرج والحكمة والموعظة الحسنة، والتدافع السلمي والمشاركة الإيجابية والتعاون مع جميع الهيئات على اختلافها³⁸³.

يعتبر عدد من قادة الحركة من الكوادر المنشقة عن الشبيبة الإسلامية، وتأسست سنة 1996، كنتاج لعملية اندماج بينها وبين تنظيمات إسلامية أخرى وهي حركة التجديد والإصلاح ورابطة المستقبل الإسلامي³⁸⁴. وبذلك يمكن القول أن حركة التوحيد والإصلاح، التي ظلت تشتغل بشكل علني منذ تأسيسها طبقا للقوانين المعمول بها في المغرب، هي تحالف من تنظيمات تتقاسم نفس المرجعية الإسلامية ونفس الأهداف الدعوية³⁸⁵.

تختلف حركة التوحيد والإصلاح التي تعتبر الرحم الذي ولدت فيه فكرة تأسيس حزب العدالة والتنمية، في تصورها للدولة الإسلامية عن باقي الجماعات الإسلامية³⁸⁶ كالعدل والإحسان مثلا. ترى الحركة أن الوصول إلى الخلافة الإسلامية وإلى بناء دولة إسلامية ينبغي أن يمر بمرحلة بناء الإنسان المسلم قبل أي شيء. وتعتبر هذه

383 ميثاق حركة التوحيد والإصلاح، طوب بريس للطباعة والنشر، 1998، ص: 14-15، على الرابط:
<https://alislam.ma/%D9%88%D8%AB%D8%7%D8%A6%D9%82-%D9%88%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%82>

384 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 261.

385 نفس المرجع السابق.

386 الخلفي مصطفى (قيايدي في حزب العدالة والتنمية)، "المشروع السياسي لحركة التوحيد والإصلاح"، جريدة التجديد، عدد خاص، المغرب، 2002، ص: 4.

المسألة إحدى نقاط المراجعة الفكرية التي عملت عليها كوادر الشبيبة الإسلامية لطرق باب العمل السياسي، فقطعوا بذلك مع التغيير عبر الثورة والمواجهة³⁸⁷، وتبنوا منهج التدرج في الإصلاح والبدء بالقاعدة وإيلاء أهمية للفرد والأسرة. وخلافا لعدد من تيارات الإسلام السياسي، التي ترى أن السيادة في الإسلام هي للشرع وليس للشعب كما في الديمقراطية الغربية التي تقوم على أساس فصل الدين عن الحياة كأساس الفلسفي للديمقراطية، وأن الحاكم في الإسلام هو الشرع مع اعتبار أن حكم الأغلبية ليس معياراً للصواب³⁸⁸. فقد حاولت حركة التوحيد والإصلاح صناعة طابع خاص يميزها عن التيارات الإسلامية الموجودة في العالم العربي، خاصة فيما يتعلق بنظرية إقامة دولة الخلافة أو الدولة الإسلامية، على اعتبار أن إمارة المؤمنين في المغرب تستمد شرعيتها من البيعة وتلقى إجماعاً من المغاربة. وبالتالي فالمشكلة ليست مشكلة نظام سياسي بل هي مشكلة تخليق الحياة العامة، واستحضار الهوية الإسلامية وزرع مبادئها داخل الأسر المغربية³⁸⁹. لكن الناظر إلى أسس التكوين التي تعتمدتها الحركة لمناضليها وأطرها، يجدها تعتمد اعتماداً رئيسياً على أدبيات الجماعات والتيارات الإسلامية في الشرق الإسلامي، ومنها نظرية الحاكمية للمودودي وكتب سيد قطب ومحمد عبد الوهاب وابن تيمية، التي تتمركز فيها فكرة السيادة للقرآن والسنة وليس للشعب، وفكرة الأمة الإسلامية المؤسسة على مفهوم الخلافة³⁹⁰.

وبالرغم من كون الحركة تقدم نفسها أنها حركة دعوية تربوية³⁹¹ على قيم الإسلام، فإنها في مواقفها ومواقف قيادتها تميزت بوجود تعبيرات سياسية تجاه الدولة والسلطة. في هذا التوجه وفي تصريح له³⁹²، أكد أحمد الريسوني أحد أبرز قادة حركة التوحيد والإصلاح و أول رئيس منتخب لها سنة 1996، أن الحركة منفتحة على كل مكونات

387 الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت، يونيو 1998.

388 الخالدي محمود، نقض الديمقراطية، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، 1984، ص: 31-137.

389 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب (دراسة نقدية)"، مرجع سابق.

390 العثماني سعد الدين، "المشاركة السياسية في فقه شيخ الإسلام ابن تيمية"، سلسلة الحوار 29، منشورات الفرقان، ص: 8-12.

391 تعريف حركة التوحيد والإصلاح، منشور على موقع الحركة: <https://alislah.ma/>

392 أحمد الريسوني، مقابلة تلفزيونية على قناة الجزيرة القطرية بتاريخ 15/06/1999، برنامج "ضيف وقضية"، عنوان الحلقة: "ظروف

نشأة الحركات الإسلامية في المغرب"، الرابط: <https://urlz.fr/mLjH>

المجتمع المغربي وعلى كل الفاعلين، وعلى جميع القوى الفاعلة فيها، للتفاعل وللتفاهم أكثر وللتأثير، وأن الحركة تسعى لأن يكون لها تأثير على الأحزاب السياسية، وعلى الثقافة السياسية، والمسائل الفكرية، في سبيل صناعة الإنسان المسلم.

ومع ذلك يبقى الإشكال مطروحا بشكل عام حول الحدود الفاصلة بين الدعوي والسياسي، ذلك أن التنظيمات الإسلامية تعتبر في عقيدتها الحركية، أن ممارسة أي فعل اجتماعي أو أي عمل سياسي هو شكل من أشكال الدعوة إلى الله وإلى الإسلام. وبذلك فهي قد تكون في وضع يصعب التمييز في خطابها بين ما هو دعوي تقليدي صرف وبين ما هو خطاب سياسي محدد اللغة والأهداف. فإذا كانت مثلا جماعة العدل والإحسان المغربية، تدعو صراحة إلى قيام خلافة إسلامية ودولة لا فصل فيها بين الدين والدولة، فإن خطاب حركة التوحيد والإصلاح ومن تم قيادات حزب العدالة والتنمية، فيه نوع من اللبس والغموض واللغة غير المباشرة في تحديد موقف واضح من ممارسة السياسة وأهدافها الكبرى في ارتباطها بالدعوة الإسلامية³⁹³. ومن الأمثلة على هذا الارتباك بين الدعوي والسياسي، هو مسألة تحديد موقف واضح من التشريع ومن القانون الوضعي في علاقته بالشرعية الإسلامية ومع القرآن والسنة. وسنرى فيما بعد في هذه الأطروحة مساحات الخلافات بين توجه التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية، بين تصورها للتدين وبين بعض مخرجات التشريع، لاسيما فيما يتعلق بقوانين الأسرة وبعض نصوص القوانين الجنائية وأيضا في تعريف الحلال والحرام وارتباطه بمرجعيتها وبالقانون المغربي. وهناك عدد من العقد النظرية والفكرية التي اعترضت سبيل مشاركة إسلاميو التوحيد والإصلاح في الحياة السياسية. شكلت هذه العقد نوعا من العقبات التي كان ينبغي حسمها، أو على الأقل تغيير الموقف منها قصد إبداء حسن النية تجاه سلطة ومركز قرار المشاركة السياسية في الدولة. ومن بين هذه العقد النظرية هناك مسألة الديمقراطية والشورى، ومسألة الحاكمية والسيادة ثم مسألة الأمة الإسلامية والدولة الوطنية إضافة إلى أسئلة نظرية أخرى كالموقف من حقوق الإنسان مثلا، والتي سنناقشها في هذه عناصر هذه الفقرة.

393 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 296-302.

أولاً- الديمقراطية و الشورى و حقوق الإنسان

عملت حركة التوحيد والإصلاح على إنضاج تصورهما في المشاركة السياسية من خلال القيام بجهد تأصيلي لتبرير "الانتقال من الاختيار الثوري خلال مرحلة الشبيبة الإسلامية إلى خيار التغيير الحضاري، أي الانتقال إلى رؤية إصلاحية وفق منهج يفرض مقاربة شمولية للمجتمع معتمدة في ذلك على المنهج المقاصدي للشاطبي، بهدف خدمة الواقعية والبراغماتية السياسية للجماعة"³⁹⁴.

ينطلق قادة حزب العدالة والتنمية في تصورهم للإصلاح من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويرى محمد يتيم "أن العمل الإسلامي في جوهره عمل إصلاحي للمجتمع"³⁹⁵، فيما ذهب زميله أحمد الريسوني إلى كون "الإصلاح لا ينبغي أن يقتصر على مؤسسات الدولة وشؤونها، الإصلاح هو إصلاح للأمة والدولة معا"³⁹⁶.

من أهم المواضيع التي حظيت باهتمام حركة التوحيد والإصلاح هو بلورة موقف واضح من الفكرة الديمقراطية. فقد كان هذا الموضوع أحد فصول الصراع بين التيارات الإسلامية وبين ما يسمى بالتيارات الحداثية التقدمية التي تجعل من الديمقراطية وحقوق الإنسان، مذهباً ومطلباً سياسياً جندت له كل وسائل الحوار مع المجتمع أو الاحتجاج على النظام السياسي في مراحل متعددة. وجد التيار الإسلامي نفسه مقيداً بأدبيات فقهية ونظرية كان يتبناها، أنتجها عدد من الفقهاء والعلماء ومنظرو الحركات الإسلامية بخصوص تطبيق فكرة الشورى ومدى التقائيتها مع الفكرة الديمقراطية، إلى جانب القيود النظرية في التعاطي مع مفهوم الحريات وحقوق الإنسان كما تأسست في المنظومة المعيارية العالمية. وفي إطار السعي إلى البحث عن السند الشرعي لمراجعة الموقف من الديمقراطية التي كان يرفضها عدد كبير من الإسلاميين، الذين كان جزء منهم يعتبرها "وثنية أو هي علمانية"، وكانوا يعتبرونها غير مطابقة لفكرة الشورى

394 الحسين أعبوشي، "جدلية الصراع في شأن الطبيعة الدينية والمدنية للدولة في المغرب"، في الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (مؤلف جماعي)، الجزء الثاني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2017، ص: 48.
395 يتيم محمد، العمل الإسلام والاختيار الحضاري، منشورات حركة الإصلاح والتجديد، 2، الطبعة الرابعة، ص: 32 و 33.
396 الريسوني أحمد، حوار مع جريدة التجديد، العدد 132، دجنبر 2000.

الإسلامية، كان الفقه المقاصدي أحد عناصر الترافع لقبول الديمقراطية³⁹⁷، في أفق إقامة "ديمقراطية إسلامية"، كما قال أحمد الريسوني، ومن تم تهيئ السياق للمشاركة السياسية. يقول محمد طوزي "وجد منظرو الحركة في المرجعية المقاصدية للإمام الشاطبي إطارا مساعدا في خدمة الواقعية والبراغماتية السياسية، كما تعكس الانشغال الدائم بملاءمة إيديولوجية لمواكبة الفرص السياسية"³⁹⁸. وبذلك اعتبر أحمد الريسوني الديمقراطية أنها جزء من "نظام شامل للحياة بكل جوانبها وأبعادها"، وبكونها أيضا "نظام عقائدي، أخلاقي، تشريعي، له أصوله وثوابته، ومسلماته، فداخل هذا النظام تأخذ الشورى مكانها ومكانتها، باعتبارها أحد ركني الحياة الإسلامية، الركن الأول الوحي، والركن الثاني الشورى"³⁹⁹.

يتضح أن النظرة البراغماتية كانت حاضرة لدى الريسوني في محاولة إقناع مناضلي الحركة الإسلامية، بوجود إيجابيات ومنافع في الديمقراطية، التي يمكن الاستفادة منها بما يتوافق مع متطلبات المرحلة السياسية، وقال إن "فكرة الديمقراطية في جوهرها وفي مقصودها، فهي فاتحة لكل جنس ولكل بيئة، طبعا مع استحضار قابليتها للتكيف من حيث التفصيل والتنزيل والممارسة"⁴⁰⁰.

ويبدو أن موقف قيادي حركة الإصلاح والتوحيد من الديمقراطية يسير في نفس الإنتاجات الفكرية في إطار المراجعات النظرية لدى غالبية التيارات الإسلام السياسي في المنطقة العربية، من خلال التوافق على قبول النظر إلى الجانب الاجرائي في الديمقراطية، الذي يشمل الانتخابات كإجراء للوصول إلى مؤسسات الدولة وإلى السلطة، وتأسيس الجمعيات والأحزاب التي تساعد على ممارسة الفعل السياسي بحرية وداخل الشرعية، وممارسة التواصل والخطاب السياسي في الإعلام بما في ذلك العمومي ثم تحفيز الناس على التصويت لهم لتدبير التنافس داخل التنظيم، وغيرها

397 الريسوني أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، ص: 30.

398 Tozy Mohammed , Monarchie Et Islam Politique Au Maroc, Presses de sciences politiques, Paris, 1999, P: 245.

399 مجلة الفرقان، عدد37، سنة 1996، ص: 63.

400 نفس المرجع السابق، ص: 64.

من الجوانب الإجرائية التي تسمح للإسلاميين بالحركة دون قيود، فيما ظل الغموض سائدا بشأن قبول بعض الجوانب الفكرية الجوهرية في الديمقراطية كـبعض حقوق الإنسان وبعض الحريات الفردية.

واعتبر الريسوني أنهم داخل حركة التوحيد والإصلاح يمارسون الديمقراطية، ولا يقولون أن هذه الديمقراطية "أتينا بها من الإسلام، ولا نقول هي متنافية مع الإسلام، وهي تنظيمات نأخذها ونفصلها، ونكيفها، ونستعملها، ولا نحس ولا ندعي أننا استخرجناها من كتب الفقه أو الأصول، ولا يمكن لأحد أن يدعي علينا أننا استغربنا أو تعلمنا (من العلمنة) بسبب هذه الديمقراطية التي نطبقها"⁴⁰¹.

نهج محمد يتيم نفس المنطق التبريري لقبول الديمقراطية كإجراء يوصل إلى هدف إسلامي كبير، وليس كفكرة ونظرة مستقبلية دائمة في تنظيم الدولة. وقال في هذا الجانب "الديمقراطية ليست واحدة وتسمح بتعدد يمكن من صبغها بصبغة ثقافية محلية"⁴⁰². وهذا نفسه ما أكده سعد الدين العثماني حينما قال أنه "من الخطأ البين تصور أي تعارض بينها (الديمقراطية)، وبين الإسلام. والسبب الأول لذلك هو أن الإسلام لم يضع شكلا محددًا للحكم ولا لمشاركة المواطنين فيه، بل ترك ذلك للإبداع البشري وتطوره بحسب ما تمليه مسيرة الإنسان الحضارية. كما أنه من الخطأ أيضا وضع مقابلة أو تناقض بين الشورى والديمقراطية، لأن الشورى مبدأ وليس طريقة للحكم. ونماذج تطبيقها في الواقع الإسلامي هو صيغ تاريخية اجتهد المسلمون في وضعها، ولا يمكن إلزام من بعدهم بالجمود عليها"⁴⁰³.

فيما يتعلق بحقوق الإنسان فقد ارتهنت نظرة الإسلاميين الجديدة للمسألة الحقوقية بالمغرب إلى نفس الرؤية الصدامية القديمة مع التيارات التي تصف نفسها بأنها حداثة ويسارية، التي سيطرت على النقاش الحقوقي في المغرب منذ الاستقلال. وبالنظر إلى الحركة الحقوقية بشكل عام فإنها نشأت وتطورت في المغرب بهوية سياسية ونظرية

401 الريسوني أحمد، الحركة الإسلامية صعود أم أفول، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2014، ص: 73.

402 يتيم محمد، التغيير الحضاري ومسألة الديمقراطية، مجلة الفرقان، عدد 37، 1997، ص: 9.

403 العثماني سعد الدين، الدين والسياسة تمييز لا فصل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2015، ص: 36.

يسارية، مما خلف إرثا صداميا ممتدا إلى الفترة الراهنة في المجتمع وفي الجامعات تحديدا⁴⁰⁴، بين تيارات الإسلام السياسي وبين اليسار عموما، الذي كانت تصنفه الجماعات الإسلامية على أنه خارج عن الإسلام. وفي سياق هذا الإرث الصدامي، أسس هذا التيار الحداثي التقدمي عدة تنظيمات مدنية موجهة ضد التيارات الدينية المتشددة، تدعو إلى قيم المساواة والمواطنة والتسامح، من بينها جمعية بيت الحكمة، حركة اليقظة والمواطنة، جمعية ضمير، مجموعة الديمقراطية والحداثة، الجبهة المغربية لمناهضة التطرف والكراهية وغيرها من التنظيمات الحقوقية. وظهرت الاشتباكات بين التوجهين بشكل كبير بعد الفوز الانتخابي لحزب العدالة والتنمية وترؤسه للحكومة سنة 2012، مما أحيى تخوفات القطب الذي يصنف نفسه حداثيا، والذي وجه بعض المنتمين إليه دعوات اليقظة والحذر وكذا التعبئة لمواجهة أي تراجع محتملة على صعيد الحريات وحقوق الإنسان بالمغرب⁴⁰⁵، ودعا بعضهم لتشكيل "لمقاومة النكوص السياسي والحقوقية"، معتبرين أن "التحدي الذي يواجه الإسلاميين هو تحقيق أهداف الحراك الشعبي وليس أهدافهم الخاصة والضيقة"⁴⁰⁶.

وبذلك فإن علاقة الإسلاميين المغاربة بالمسألة الحقوقية اعتمدت فيها قناعات المحافظة على الخصوصية والهوية العربية الإسلامية، وظلت تصوراتهم بشأنها مشروطة، بتحفظات مؤسسة على مركزية المرجعية الإسلامية التي يتبنونها⁴⁰⁷، الشيء الذي أثار مجموعة من التناقضات، والانتقادات والمخاوف لدى باقي الفاعلين الحقوقيين، الذين يهتمون الإسلاميين بالتعامل الانتقائي، والانتهازي مع حقوق الانسان، بما يخدم توجهاتهم وليس توجهات الفكرة الديمقراطية عموما. ومن أهم التنظيمات الحقوقية ذات النشأة اليسارية التي تتحفظ على عضوية وانخراط الاسلاميين فيها على أساس الاختلاف/التناقض مع مرجعيتها الحقوقية وهويتها النضالية التقدمية، وتتخوف من الاختراق التنظيمي

404 لزرق عزيز، الدين والسياسة الدعوة والثورة، سلسلة دفاتر وجهة نظر، الطبعة الأولى، 2015، ص:91.
405 وزيف محمد، "الإسلاميون وحقوق الانسان في المغرب الإسلاميون والمسألة الحقوقية في المغرب"، دراسة منشورة على الموقع الإلكتروني لمركز مبادرة الإصلاح العربي، بتاريخ 20 دجنبر 2018، الرابط: <https://urlz.fr/mKkd>
406 عصيد أحمد، "من أجل جبهة لمقاومة النكوص السياسي والحقوقية: التحدي الذي يواجه الإسلاميين هو تحقيق أهداف الحراك الشعبي وليس أهدافهم الخاصة والضيقة"، جريدة الصباح، المغرب، عدد 12 مارس 2012.
407 وزيف محمد، مرجع سابق.

أو المذهبي، هي الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، رغم أن الجمعية قدمت دعماً لبعض الإسلاميين في ما عرف قضية خلية "بليرج"، والتي كتب عنها القيادي في حزب العدالة والتنمية عبد العالي حامي الدين مقالاً⁴⁰⁸ يتحدث فيه عن تشارك اليساريين والإسلاميين في قضية التضامن مع معتقلي القضية المذكورة. وقد دفع هذا التضامن الحقوقي اليساري مع معتقلين إسلاميين، قيادات إسلامية من حزب العدالة والتنمية من بينهم المصطفى الرميدي، إلى الإشادة بالشخصيات الحقوقية التي لا تنتمي للتيار الإسلامي من بينهم النقيب عبد الرحمان بن عمرو⁴⁰⁹.

وتعليقاً على الموقف الانتقائي أو الرفض أحياناً لبعض الإسلاميين للمنظومة الكونية لحقوق الإنسان يقول القيادي الإسلامي التونسي راشد الغنوشي: "إن عجبني لشديد، من أناس مطحونين بالديكتاتوريات، مقهورين بالاستبداد، وهم مع ذلك، بدل أن يتصدوا لخصمهم الحقيقي: الاستبداد، نراهم يختلقون مشكلات مع الديمقراطية"⁴¹⁰.

ويتموقع حزب العدالة والتنمية و حركة التوحيد والاصلاح، في خندق التيارات الإسلامية المحافظة التي تنظر إلى حقوق الإنسان نظرة ربية وعدم قبول كلي، بل نظرة انتقائية بما يتوافق في نظرها مع قراءتها الدينية. وشهدت المواجهات مع التيار "الحدائي التقدمي" أوجهاً، حينما خرج التيار الإسلامي والمحافظون في مسيرة وصفت إعلامياً بالمليونية، في يوم 12 مارس 2000 بالدار البيضاء لمعارضة مشروع "خطة إدماج المرأة في التنمية"، التي دعمها المعسكر النقيض بمسيرة مقابلة بمدينة الرباط في نفس التاريخ، وهو معسكر مشكل من مجموعة من التنظيمات

408 عبد العلي حامي الدين، "إسلاميون ويساريون يدا في يد للتضامن مع المعتقلين الستة في ملف بليرج"، جريدة المساء، المغرب، عدد: 11 أكتوبر 2008.

409 انظر عينات لشهادات إسلاميين في عيد الرحمان بنعمرو:

- الأشرف حسن، "عبد الرحمان بنعمرو.. شيخ الحقوقيين في المغرب"، مقال في العربي، 20 نوفمبر 2015، الرابط:

<https://urlz.fr/mKnW>

- عبد الله لعماري، "عبد الرحمن بنعمرو، جوهرة النضال، وأيقونة العدالة ومفخرة المغاربة الأحرار"، جماعة العدل والإحسان، ومتاح على

www.aljamaa.net/ar/document/80803.shtml

410 جبرون امحمد، "الإسلاميون في طور تحول: من الديمقراطية الأداة إلى الديمقراطية الفلسفية: حالة حزب العدالة والتنمية المغربي"، تبين، عدد 3، شتاء 2013، ص. 193 - 208.

والفعاليات والحساسيات اليسارية والليبرالية التي تتقاسم تبني المرجعية الكونية لحقوق الانسان على الرغم من اختلاف مشاريعها وتصوراتها الأيديولوجية والسياسية⁴¹¹.

أخذت الصراعات بين التيارين حجما أكثر انتشارا وتوسعا منذ 2009، مع ظهور بعض التعبيرات المرتبطة بالمثلية، أو بعض أفكار التشيع أو ما سمي بالمسيحيين المغاربة وغيرها، وتأسيس تنظيم مدني يسمى الحركة البديلة للحريات الفردية، المعروفة اختصارا بحركة "مالي"⁴¹²، والتي طالبت بمناهضة تجريم حرية الإفطار العلني في رمضان (تتجدد حملتها "ما صايمينش" بشكل سنوي كما هو الشأن بالنسبة للحملات الدعائية ضدها). ثم بعد ذلك ظهرت سجالات حقوقية متعددة زادت من حدة الصدام مع التيارات الإسلامية. من بين هذه السجلات، كان موضوع حرية المعتقد بالمغرب، والعلاقات الجنسية الرضائية، المثلية، العلاقات الجنسية خارج مؤسسة الزواج، العادات والانظمة الاستهلاكية والغذائية، الإفطار في رمضان، المشروبات الروحية، الاجهاض، الاختيارات والتعبيرات الفنية والثقافية، المهرجانات، بعض الأعمال السينمائية والأدبية، مواضيع متعلقة بالنساء كالمساواة بين الجنسين، التعدد، زواج القاصرات، والمساواة في الإرث وغيرها من المواضيع، التي كان رد الاسلاميين عليها بخطاب هجومي قذحي كاتهام بعض الداعين إليها بالشذوذ والتغريب والعمالة للخارج وغيرها.

وخلال عملية إصدار دستور سنة 2011 التي كانت محطة مواجهة حقوقية أيضا، وفي تصديه لمقترحات دسترة الحريات الفردية وبعض المطالب الحقوقية من أبرزها إقرار حرية المعتقد، عمد حزب العدالة والتنمية إلى التعبئة الجماهيرية والإعلامية لممارسة ضغوطات على اللجنة الاستشارية المكلفة بالمراجعة الدستورية، وصلت حد التلويح بمقاطعة التصويت⁴¹³ على الدستور ومعارضة الحملة الدعائية والتعبوية بشدة لا سيما لمقترح دسترة حرية المعتقد⁴¹⁴.

411 وزيف محمد، مرجع سابق.

412 Mohamed-Sghir Janjar, L'épisode MALI: réflexions sur un cas de désobéissance civile au Maroc, Les Etudes et les Essais du Centre Jacques Berque, n° 6, année 2011.

413 الحمداوي محمد، "رئيس حركة التوحيد والإصلاح ل "التجديد" : المرجعية الإسلامية خط أحمر"، جريدة التجديد، عدد 10 يونيو 2011.

قال بلال التليدي أحد كوادر حزب العدالة والتنمية عن موقف حزبه من هذه المطالب الحقوقية، "هل نحن بصدد مراجعة هوية الدولة السياسية ومركزية الشرعية الدينية فيها؟ هل نحن بصدد قطيعة تاريخية وسياسية مع الدولة المغربية التي تأسست منذ أربعة عشر قرناً؟ هل نحن بصدد التأسيس لدولة جديدة بهوية جديدة؟ إن فتح المجال لحرية المعتقد حتى بالتقييد المقترح في مشروع الدستور الجديد، له تداعيات خطيرة يمكن أن يؤسس بذور تغيير الديمغرافيا الدينية بالمغرب، وتهديد الوحدة الدينية للمغاربة، وضرب ثوابت الدولة، وفي مقدمتها إسلامية الدولة وإسلامية الشعب المغربي، لاسيما في ظل وجود ضغوط دولية تستثمر كل الأوراق بما في ذلك قضايا الاستراتيجية للتمكين من خلق أقلية مسيحية في المغرب، وإزالة كل المقتضيات الدستورية والقانونية التي من شأنها تحصين الوحدة المذهبية وتمنيع الهوية السياسية للبلد"⁴¹⁵.

وبخصوص نظرة قيادات وأطر حزب العدالة والتنمية، للهيئات الرسمية المعنية بالرقى بحقوق الإنسان فقد عبر عنها عبد العلي حامي الدين، رئيس "منتدى الكرامة لحقوق الإنسان"، وهو تنظيم مدني حقوقي ذو توجه إسلامي، الذي يرى أنه وعلى الرغم من الإشارة في ديباجة الظهير الملكي لتأسيس المجلس الوطني لحقوق الإنسان، إلى مبادئ باريس المنظمة للمؤسسات الوطنية للنهوض بحقوق الإنسان فإن هذا القانون لم يحترم هذه المبادئ في العديد من مقتضياته، واعتبر أن "طريقة التعيين المنصوص عليها في الظهير لا تمنح الضمانات اللازمة لتحقيق أغراض التعددية والاستقلالية المطلوبة"، وأكد على انعكاس ذلك "على مجموعة من المقتضيات الأخرى التي تكبل تحرك المجلس وتجعله مرتعنا بإرادة من يملك سلطة التعيين (أي الملك)". ويستخلص حامي الدين أن "النسخة الحالية من المجلس الوطني لحقوق الإنسان هي امتداد لدستور 1996 بكل دلالاته "السلطوية"⁴¹⁶، أما نسخة دستور 2011 فتتطلب

414 حسن الأشرف، "تحذيرات من مس المرجعية الإسلامية في دستور المغرب"، جريدة هسبريس الإلكترونية، بتاريخ 9 يونيو 2011،

الرابط: <https://urlz.fr/mKp1>

415 التليدي بلال، "حرية المعتقد والهوية السياسية للدولة المغربية"، جريدة التجديد، بتاريخ 16 يونيو 2011.

416 عبد العلي حامي الدين، "المجلس الوطني لحقوق الإنسان ومبادئ باريس"، بدون تاريخ رابط المقال على موقع حزب العدالة والتنمية:

www.pjd.ma/node/1661

مراجعة شاملة للقانون المحدث لهذه المؤسسة من طرف البرلمان القادم، وهو ما يبدو أفقا بعيد المنال بعدما ظهرت مؤشرات إفراغ الدستور الحالي من دلالاته الديمقراطية وشحنه بالتأويل السلطوي عبر ممارسات متخلفة تنتمي إلى ما قبل دستور 1996⁴¹⁷. تحدث حامي الدين عن إقصاء متعمد و ممنهج من هذه المؤسسة الدستورية، الذي قال أنه كرئيس لمنندى الكرامة "تقدم بمقترحاته لدى رئاسة المجلس (المجلس الوطني لحقوق الإنسان)، بطلب من هذا الأخير، لكن اللائحة النهائية خلت من أي اسم يعبر عن الحساسية الإسلامية ولو كانت من خارج منندى الكرامة، وهو ما يعبر عن توجه إقصائي داخل الدولة، يعمل على تغييب النخب التي تنطلق من خلفية إسلامية عن مثل هذه المؤسسات، وإشارة واضحة على طبيعة تعامل الدولة مع هذه الحساسية في المرحلة القادمة"⁴¹⁸.

وعموما فإن علاقة اسلامي حزب العدالة والتنمية بحقوق الإنسان، توجهها عدة إشكالات عضوية وتنظيمية وايدولوجية، أهمها عدم التوافق والتفاهم مع التنظيمات والفعاليات الحقوقية المغربية، وعدم القدرة على صناعة رؤية حقوقية واضحة توفق بين المرجعية الدينية وبين الإطار الاتفاقي والمعياري الكوني لحقوق الإنسان. ويمكن هنا إثارة الفكرة التي تبناها عدد من خصوم حزب العدالة والتنمية، بأن تجربته كحزب في المسألة الحقوقية، تميزت إلى حد بعيد بطابع انتقائي بالاشتغال على ملفات حقوقية دون أخرى، وبإعطاء الأولوية للدفاع عن قضايا المعتقلين الإسلاميين، مقابل رفض أو تحفظ على مواضيع حقوقية أخرى كالحريات الفردية وربطها بالهوية وبالإسلام، الشيء الذي خلق نوعا من عدم الثقة في مشروعهم الإصلاحي، ودفع بعض الباحثين إلى استنتاج أن "مكانة الاسلاميين في المستقبل، وبلوغ مشروعهم الاصلاحى مدها، مرتبطان أشد ما يكون الارتباط بقدرتهم على ديمقراطية فكرهم السياسى، وإعادة تأسيس مفاهيم الحرية والمساواة والسيادة الشعبية في خطابهم، بما يسهل عليهم عملية الاندماج في الحداثة السياسية وتسهيلها"⁴¹⁹.

417 عبد العلي حامي الدين، "المجلس الوطني لحقوق الإنسان ومبادئ باريس"، مرجع سابق.

418 نفس المرجع السابق.

419 وزيف محمد، مرجع سابق.

وهناك من الباحثين⁴²⁰ من خلص إلى أن الديمقراطية وحقوق الإنسان، والتي اعتاد الإسلاميون على النظر إليها برؤية باعتبارها "أفكارا غريبة لا تنطبق على المجتمعات العربية"، أصبحت جزءا من خطاب الحركات الإسلامية المعتدلة، وبالأخص إلى استراتيجياتها السياسية والتواصلية. لقد أصبحت المشاركة السياسية، وخاصة في الانتخابات، من أولويات الحركات الإسلامية. وفي الدول التي سمحت بتأسيس أحزاب إسلامية قانونية (المغرب والأردن مثلا)، تمكنت تلك الأحزاب من الحصول على حضور قوي في البرلمان. وفي العديد من الدول التي واصلت حظر المشاركة الرسمية للإسلاميين (مصر)، وقامت "بنفيهم" (تونس، وسوريا)، "ظهرت حركات المعارضة الإسلامية أيضا كأصوات قوية تناصر الديمقراطية والمشاركة السياسية"⁴²¹.

وقد لاحظ الباحثون أن معظم الحركات الإسلامية المعتدلة لم تقطع بشكل تام مع بداياتها الأيديولوجية، على العكس من ذلك فقد ظلت تظهر فيها مظاهر للتوتر بين الأهداف القديمة بتأسيس دول إسلامية، وتطبيق الشريعة دون تقديم حلول وسط، وبين الأهداف الجديدة في أن تصبح من الفاعلين المؤثرين في نظام تعددي ديمقراطي. وقد نتج عن تلك التوترات غموض اكتنف عددا من الموضوعات أي "المناطق الرمادية". يتجلى هذا الغموض في كل من الخطاب المعلن للحركات الإسلامية وفي أفعالها السياسية. فعلى سبيل المثال، تقبل الأحزاب الإسلامية الفاعلة في المغرب والأردن التعددية السياسية، ولكن فقط داخل إطار المرجعية الإسلامية التي لا تعرف ولا تحدد بدقة. وتطالب جماعة الإخوان المسلمين مثلا في مصر بإصلاحات ديمقراطية شاملة، ولكنها تظل مترددة بشأن التصديق على حقوق المساواة السياسية الكاملة للمواطنين الأقباط. وقد كان للإسلاميين دور فاعل في البرلمان في الكويت منذ الثمانينات، ولكن غالبيتهم عملوا لسنوات عديدة على "تقويض حق المرأة في التصويت بناء على تفسيرهم للشريعة"⁴²².

420 نيثان. ج. براون، عمرو حمزاوي، ومارينا أوتاواي، الحركات الإسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي...، مرجع سابق.

421 نفس المرجع السابق.

422 نيثان. ج. براون، عمرو حمزاوي، نفس المرجع السابق.

يرى جاسم سلطان في تحليله لعمل التيارات الإسلامية في المنطقة العربية، أن "الحقيقة الموضوعية أن هذه المنظمات على اختلاف درجات تشدها أو تراخيها وإخلاص كثير من قياداتها، فهي لم تؤمن أغلبيتها بالدولة المدنية ودولة المواطنة حتى الآن إلا باعتبارها وسيلة للوصول إلى النموذج النقيض لدولة المواطنة ذاته، ولا ينفي هذا وجود أفراد صادقين في إيمانهم بدولة المواطنة، بل هناك من يؤمن بها ويكتم إيمانه خوف النبذ والإقصاء، ولكن من الحق أيضاً أن قيادات كثيرة لا تؤمن بها وقواعد كثيرة لا تؤمن بها، بل إن الثقافة المنتشرة السائدة تسير عكس اتجاهها حتى الساعة"⁴²³.

ثانياً - إسلاميو العدالة والتنمية ومراجعة مفهوم الحاكمية

يضع منظرو فكرة الحاكمية في خانة تشبه التقديس المطلق، وهي غير قابلة للتجسيد، بل تبقى أفقاً تسعى السيادة الشعبية نحو الاقتراب منه، وتجتهد في تحقيق مقاصده وفق معارفها واختياراتها وظروفها التاريخية⁴²⁴. تشبه فكرة الحاكمية مفهوم الحتمية المادية في الفكر الوضعي⁴²⁵، وأكثر من ذلك، فإن السيادة الشعبية تمثل الضامن الأمثل لعدم تشكل كنيسة أو سلطة أرضية تدّعي لنفسها خصائص إلهية، وتؤسس "طاغوتاً" منافساً للإله بالتعبير الديني، لأن السيادة الشعبية تتشكل تاريخياً، وتترن فيها السلطة بحيث تمكن الرقابة المتبادلة وتسهل المراجعة النقدية⁴²⁶.

يعد مفهوم الحاكمية من المفاهيم التي أنتجها الخطاب والفكر الإسلامي الحركي، الأكثر إثارة للنقاش⁴²⁷، بحيث أن للمفهوم تشعبات على مستويات مختلفة في النظر إلى الدولة والإنسان وإلى طرق تدبير العلاقة بينهما بناء

423 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 159.

424 محمود هدهود، "نقد جدل السيادة والحاكمية"، مجلة الجمهورية، سوريا، بتاريخ 29 يناير 2020، الرابط: <https://aljumhuriya.net/ar/2020/01/29/%D%86%D9%82%D8%AF-%D8%AC%D8%AF%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85%D9%8A%D8%A9>

425 محمد أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، دار الساقى، بيروت، 2009، ص: 28.

426 محمود هدهود، مرجع سابق.

427 فريد الأنصاري، البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، دار السلام، القاهرة، 2009، ص: 84-99.

على قاعدة فوقية دينية وليس على قواعد من تقدير البشر⁴²⁸. قد يكون هذا المفهوم أحد أركان صناعة الفكر والخطاب المتشدد تجاه الدولة والناس، والذي برز بشكل كبير في كتابات شخصية إسلامية غير عربية وهي شخصية الباكستاني أبو الأعلى المودودي، الذي أسس تنظيماً إسلامياً عابراً للحدود أطلق عليه الجماعة الإسلامية سنة 1941. كان للمفهوم حينها فهما مرتبطاً إلى حد بعيد بمقاومة الاستعمار البريطاني للهند⁴²⁹، ومن ثم كان سندا نظرياً محفزاً لمقاومة المستعمر من أجل الدفاع عن هوية وحقوق الأقلية المسلمة بالهند. يرى المودودي أن الدولة الإسلامية بناء يقوم على الاعتقاد في وجود حاكمية الله الواحد الأحد، وليس لفرد أو لأسرة أو لطبقة، أو لشعب، وأن كل الأمر والسلطة والتشريع، من منطلق الحاكمية التي تجسدها "لا إله إلا الله"، ينبغي أن تستمد من هذه الحاكمية وأن أي مخالفة لذلك تعد شركاً بالله وإدعاء للألوهية⁴³⁰. وبذلك فإن التشريع في سبيل تدبير حياة الناس في جميع المجالات، كما يرى المودودي، ينبغي أن ينطلق من هذه "الحاكمية" التي يجسدها القرآن والسنة النبوية كقانون عام أسمى، وأن الحكم لله ولرسوله وينبغي أن يؤسس تدبير الدولة عليه، وأي مخالفة لذلك تعد خروجاً عن الإيمان⁴³¹.

انتقل هذا التنظير للحاكمية الإلهية وعلاقتها بتدبير الدولة، إلى المنطقة العربية، وكان أبرز المنافحين والمطورين للمفهوم هو الأديب المصري سيد قطب⁴³²، الذي كان أحد أقطاب الحركة الإسلامية في مصر وأحد كبار المثقفين المؤثرين في تنظيم الإخوان المسلمين مع بداية خمسينيات القرن الماضي. ومن باب الموضوعية والتجرد العلمي، فإنه قد يكون مفيداً استحضار السياق السياسي والاجتماعي والدولي التي عاشته مصر والمنطقة العربية، عندما تبنى سيد قطب مفهوم الحاكمية وأعاد بناءه والتنظير له وإصدار المواقف بناء عليه. تميز السياق خلال هذه الفترة باجتماع عاملين أساسيين قد يساهمان في فهم وتفكيك تصورات سيد قطب. العامل الأول هو عامل دولي، تجسد

428 محمد أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، مرجع سابق، ص: 32-59.

429 المودودي أبو الأعلى، منهاج الانقلاب الإسلامي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1988، ص: 17.

430 المودودي أبو الأعلى، الخلافة والملك، ترجمة: أحمد إدريس، دار القلم، 1978، ص: 18.

431 أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، ترجمة: أحمد إدريس، دار القلم، 1978، ص: 18.

432 سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، الطبعة السادسة، 1979، ص: 17.

في تسليم بريطانيا بتوافق مع قوى غربية، أراضي عربية فلسطينية إلى اليهود لتأسيس دولة اسرائيل سنة 1948، وما تلى ذلك من مواجهات عسكرية وصراعات. اعتبرت هذه المحطة فاصلة في خلق نوع من التطرف والصدام مع الغرب في ظل وجود حجر استعماري غربي على معظم الدول العربية والإسلامية.

العامل الثاني هو عامل داخلي يهم مصر، وهو مرتبط بإسقاط النظام الملكي في ثورة يوليو 1952، واستبدال نظام الحكم بنظام عسكري شمولي بقيادة جمال عبد الناصر، يرفض التعددية الحزبية والفكرية ويمنع الملكية الخاصة للأراضي ووسائل الإنتاج، ويفرض نظاما اشتراكيا قوميا بعثيا يتعارض مع قيم ومعتقدات الدين الإسلامي. هذا الوضع الداخلي خلق توترا كبيرا بين النظام العسكري وبين التنظيمات الإسلامية وأدى إلى مواجهات عنيفة وحوادث دامية، وإلى اعتقالات بشكل كبير في صفوف معارضي النظام، و ممارسة التعذيب في المعتقلات، وإجراء محاكمات عسكرية وصفت بغير العادلة، من أبرزهم منتسبي جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا، والذي كان قد تم اغتياله، سنة 1949 قبيل ما سمي بثورة الضباط الأحرار، مما زاد من جنوح عدد من أعضاء التنظيمات الإسلامية إلى التطرف والتشدد وإلى ممارسة العنف وتكفير المجتمع والدولة.

في هذا السياق، تشكلت نظرة سيد قطب، الذي تحول من أديب يكتب عن الجمال والفن إلى منظر للصدام مع الدولة والمجتمع. وعندما نتناول هذه العناصر المؤثرة في السلوك السياسي للفرد، فإننا لا نقول بتبرير الأفكار المتشددة التي انتجت في هذا السياق، وإنما من باب التعريف بشكل عام ومقتضب، بالمحدد الاجتماعي وبذور البيئة الاجتماعية في توجيه سلوك الأفراد، وبذلك فقد يكون توجه سيد قطب وغيره من أعضاء التنظيم الإسلامي نحو تشدد فكري شكل أساسا لممارسة العنف والتكفير، مرده إلى ضغوطات البيئة الاجتماعية والسياسية المحيطة به، وإلى مزاجه وسلوكه النفسي، غير أنه يمكن أن نقول أن ما أنتج من أفكار متعلقة بالحاكمية، من قبل سيد قطب، تجاوزت البيئة التي عاشها، وأصبحت سندا فكريا لكل ممارسة تكفير فيما بعد وإلى الآن.

اعتبر سيد قطب، ثم من بعده شقيقه محمد قطب الذي عاش فترات في السعودية بعد خروجه من مصر، حيث لقي هناك دعما كبيرا لاسيما فيما يتعلق بطبع ونشر كتبه من أهمها جاهلية القرن العشرين، والتي ربما رأت فيها السعودية نوعا من التطابق مع أفكار السلفية الوهابية فساهمت في نشرها عن طريق كتب الاخوان المصريين، أن الدول والمجتمعات الإسلامية التي لا تحكم بما أمر الله وتخالف قواعد الشريعة الإسلامية، فهي في نظره تعيش زمن الجاهلية، لأنها تعتدي على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية، وهي الحاكمية. إنها تسند الحاكمية إلى البشر، فتجعل بعضهم إلى بعض أربابا، لا في الصورة الساذجة التي عرفتها الجاهلية الأولى، ولكن في صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين، والأنظمة والأوضاع بمعزل عن منهج الله للحياة، وفيما لم يأذن به الله⁴³³.

اعتبر سيد قطب أن المجتمعات الإسلامية تعيش جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أشد منها. لقد رسم صورة سوداء مظلمة عن الواقع آنذاك، عن حياة الناس وسلوكهم وثقافتهم وعاداتهم وقوانينهم وفنونهم وغيرها، يكاد بذلك يحرم كل شيء ويدعو بشكل ضمني إلى قتال هؤلاء الجهلة الخارجين عن الإسلام⁴³⁴.

شكل هذا الفكر "الحاكمي"، التوجه الذي استهوى شباب التنظيمات الإسلامية في العالم الإسلامي والعربي وفي المغرب أيضا. كان لهذا الفكر وجه آخر، هو مقاطعة الأنظمة السياسية في المنطقة، وعدم مشاركتها أي فعل كيفما كان، سياسيا أو غيره، ورفض للديمقراطية ولكل مؤسسات الدولة وحتى سلوك أفراد المجتمع، باعتبارها أنظمة كافرة طاغوتية، وأن الحل يكمن في الحاكمية لله وبناء دولة خلافة إسلامية تطبق شرع الله، أساسها الانتماء إلى الوحدة في العقيدة وليس إلى الانتماء إلى وطن له حدود الدولة الترابية، وأن القانون مقيد بشريعة الإسلام وفقهه⁴³⁵. باختصار

433 سيد قطب، معالم في الطريق، مرجع سابق، ص: 17.

434 نفس المرجع السابق.

435 عبد المنعم الشحات، (أحد شيوخ السلفية بمصر)، "الإسلام والديمقراطية مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف"، 31 ماي 2013، في الجريدة الإلكترونية أنا السلفي وهو موقع ينشر فيه سلفيون مصريون وغيرهم مقالات عن أفكارهم، الرابط: <https://urlz.fr/ozae>

إعطاء السيادة للقرآن وللسنة وليس للبرلمان كما قال أحد الدعاة المصريين⁴³⁶. وخلافا لهذا التوجه، يرى الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن⁴³⁷ ذو التوجه الصوفي أن فئة من الإسلاميين الذين يرفعون شعار الحاكمية لله "خطؤوا" في ذلك، لأنهم في نظره لم يدركوا أن المقصود بهذا المبدأ هو "التدبير الروحي" المتعلق بالفطرة الذي يبعد عن الرغبة في التسيد والتسلط، وليس "التدبير السياسي" المتعلق بالنفس والهوى الذي يوقع صاحبه في التسيد والتسلط، مما أفرز توجهها "ديانيا" يقول بدعوى دمج الدين بالسياسة، والذي أدى إلى تدبير للدين يخدم التسيد لا التعبد، و إلى تبني المفاهيم العلمانية وآلياتها دفعا لتهمة التطرف عن أنفسهم أو لنيل السلطة وحب "الحكم"، وإلى التسيد والتسلط باسم الدين دون القدرة على النقد العلمي والفلسفي للعلمانية. وبذلك فإن مفهوم الحاكمية في نظر طه عبد الرحمن قد يصنع مستبدا سياسيا يتقمص "شخص الإله" و بدل أن يَخص الله تعالى بمعاني الغيب ينسبها لنفسه، ومن هنا كان هذا "التغيب" يقوم على "النسبة". ويقول طه عبد الرحمن في بيان الفرق بين "الفطرة" و "النسبة" أنه إذا كان العمل الديني يبني على الفطرة التي تتحدد بها الروح والتي هي بمنزلة الذاكرة الغيبية للإنسان، فإن العمل السياسي يبني على "النسبة" التي تتحدد بها النفس⁴³⁸. وبذلك فإن طه عبد الرحمن يرى أن حقيقة مجال مبدأ الحاكمية لله تكمن في التدبير الروحي (الأمر الإلهي وشهوده) وليس التدبير السياسي كما "توهم" القائلون بالحاكمية⁴³⁹.

كان لمقتل عمر بنجلون تداعيات و تأثير على انطلاق بداية تحول في عمل كوادر الشبيبة الإسلامية، تجلى ذلك بشكل ملموس في التعامل مع إمكانية مباشرة مراجعة فكرية ونظرية لتحديد أهداف المراحل المقبلة من عمل أعضاء التنظيم الإسلامي⁴⁴⁰. يتبادر إلى الذهن عدة تساؤلات قد تشكل فرضيات لبحوث أكاديمية مستقبلية، أهم هذه التساؤلات هو هل كانت تلك فعلا مراجعة فكرية حقيقية وبالتالي التراجع عن عدد من التصورات النظرية والقراءات

436 مشبال محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي...، مرجع سابق، ص: 59.

437 طه عبد الرحمن، رُوح الدين، مرجع سابق.

438 نفس المرجع السابق، ص: 454-478.

439 نفس المرجع السابق، ص: 368-382.

440 مشبال محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي...، مرجع سابق، ص: 58.

الدينية وما قد يلي ذلك من تغيير جوهري في أساليب الخطاب والعمل، أم كان ذلك مجرد انحناء عابرة و تمارين فكرية بمثابة تكتيك مرحلي براغماتي يبعد الشبهات والاعتقالات والتضييق، ويعطي فرصة للتنظيم لإعادة تنظيم صفوف مناضليه وقواعده وأطره في أفق اكتساب قوة أكبر لمواجهة الخصوم والفاعلين والنظام ككل، باللغة والخطاب السابق أي خطاب دولة الخلافة الإسلامية وخطاب الحاكمية وما يرافقها من مفاهيم متشددة ضد الواقع المعيش؟⁴⁴¹ قد يبدو هذا السؤال مشروعاً، إذا أخذنا في الاعتبار لغة "الغلبة" والاستقواء التي مارسها عدد من قياديي حزب العدالة والتنمية أثناء وبعد فترة ما سمي بالربيع العربي، الشيء الذي يضع التنظيم الإسلامي أمام سؤال الثقة فيه خصوصاً إذا علمنا أن هذا التنظيم يعيش بنفس النخب القديمة التي تكونت في أفكار الشبيبة الإسلامية، مما قد يخلق نفوراً تجاهه سواء من قبل باقي الفاعلين أو من قبل الجماهير وربما حتى بعض مناضليه أو المنتسبين إليه. يبقى هذا السؤال مفترضاً⁴⁴² بمعنى أنه قد يشكل أساساً لفرضيات بحث أكاديمي قد يفضي إلى خلاصات مهمة، في فهم البنية التكوينية للخطاب الإسلامي وفهن استراتيجيات عمل التنظيمات الإسلامية في المغرب.

تبنى أطر وقيادات الجماعات الإسلامية قبل "صناعة" حزب العدالة والتنمية المغربي، نفس القراءات التحليلية للواقع لتنظيمات إسلامية في الشرق العربي والإسلامي. كانت قراءات تنطلق من الحديث عن الضعف الذي أصاب الأمة الإسلامية أمام القوى العالمية الكبرى الذي تجلى في الوهن في الصراع العربي الإسرائيلي لتحرير فلسطين، بسبب ما تراه في الأنظمة السياسية الإسلامية والعربية، التي ينبغي مواجهتها ومواجهة حكامها بكل الأدوات المتاحة بما في ذلك تكفيرها والتصدي لها ولو باستعمال العنف⁴⁴³.

غير أنه مع بداية المراجعات الفكرية لكوادر الشبيبة الإسلامية، خرجت اجتهادات مجددة للخطاب ولأساليب العمل، ترى في مجملها وفي فكرتها العامة، ضرورة تغيير استراتيجية العمل والمواجهة، بالابتعاد عن خيارات العمل

441 نفس المرجع السابق، ص: 173.

442 نفس المرجع السابق، ص: 171.

443 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب (دراسة نقدية)"، دراسة، مركز برك للدراسات والأبحاث، اسطنبول، 2017،

الرابط: <https://urlz.fr/mLjv>

السري أو المواجهة العنيفة، والتفكير في طرق للوصول إلى الحكم والمشاركة السياسية. لأنه بالوصول إلى الحكم يمكن إنجاز "البديل الحضاري" الذي هو الحكم بشريعة الإسلام وتغيير الواقع. وعلى ضوء هذه المراجعات الفكرية للتنظيم، عملت حركة التوحيد والإصلاح فيما بعد على نهج مسلك التقرب من المؤسسة الملكية لمواجهة ما تسميه قوى علمانية⁴⁴⁴، كما يقول عبد الإله بنكيران مؤكداً أن هؤلاء العلمانيون كانوا يرفضون "الهوية الدينية للنظام الملكي، وفي تلك المرحلة كنا ندعو إلى التعامل مع النظام الملكي في إطاره القانوني والدستوري، ولكن تبين لنا أن الجهات العلمانية وإن كانت لا تستطيع أن تعلن عن نفسها صراحة، لسبب أن الدولة الإسلامية والشعب مسلم، تريد إزالة الطابع الديني للدولة المغربية"⁴⁴⁵.

وبذلك عمد رواد حزب العدالة والتنمية إلى البحث عن خطوات المراجعة النظرية والاستراتيجية، والتي يمكن أن نصفها بخطة التراجع إلى الوراء من أجل التقدم إلى الأمام بقوة، على غرار نظرية لينين الثورية، خطوة إلى الوراء من أجل خطوتين إلى الأمام، فلا بد أن مؤسسي المراجعة ومنهم القياديين في التيارات التي أسست حزب العدالة والتنمية، وبسبب مواجهتهم للتيارات اليسارية والشيوعية، كانوا على دراية معرفية باستراتيجيات اليساريين⁴⁴⁶ والشيوعيين في ممارسة السياسة، ولأشك أنهم استفادوا من منهجهم وقراءاتهم لمواجهة أنظمة مركزية قوية. من بين هؤلاء الرواد محمد يتيم⁴⁴⁷، أحمد الريسوني، سعد الدين العثماني، و عبد الإله بنكيران⁴⁴⁸ ثم لاحقاً عدد من الشباب المنضم فيما بعد إلى تنظيمهم.

فإذا كان محمد يتيم⁴⁴⁹، في محاولة تشخيصه للواقع من أجل وضع ترتيب أولويات ومحاور عمل التنظيم الإسلامي، منتقداً المقاربات غير الموضوعية لعدد من الحركات الإسلامية لفهم الواقع وفهم حركة التاريخ، خلص إلى

444 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب، مرجع سابق.

445 بنكيران عبد الإله، الحركة الإسلامية وإشكالية المنهج، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص: 58.

446 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 178.

447 انظر مقالة محمد يتيم، "نظرات في فقه المشاركة والمقاطعة"، جريدة الراية عدد 251، 1997.

448 الخلوقي محمد، مرجع سابق.

449 يتيم محمد، لعمل الإسلامي والاختيار الحضاري، منشورات حركة الإصلاح والتجديد، الطبعة الرابعة، 1996، ص: 58.

أن الإشكال هو حضاري بالدرجة الأولى وليس سياسياً⁴⁵⁰، وأن أولوية عمل التنظيم ينبغي أن ينصب على تهيئة الإنسان بتكوينه على القيم وعلى فهم حكم الإسلام والخلافة الإسلامية التي دمرت مع سقوط الدولة العثمانية، قبل مباشرة أي عمل سياسي يهدف إلى تغيير طرق الحكم⁴⁵¹، فإن أحمد الريسوني أسس لبنات تبرير التراجع أو المراجعة الفكرية لعمل التنظيم الإسلامي، على الفقه الإسلامي منطلقاً من القواعد المنطقية في فقه علم الأصول، باعتباره فقيهاً في العلوم الشرعية. وفي هذا الصدد يرى الريسوني أنه يتعين الاستلهام من نظرية المقاصد على أساس أعمال العقل والمنطق والمرونة في التعاطي مع الواقع السياسي، والابتعاد عن مقال التكفير في أفق التموثق في الحقل السياسي بشكل سليم. فالمقاصد تعني التوافق مع مسعى الشريعة الإسلامية الأساسي، أي البحث وفق سلم وألويات عن المصالح النافعة ودرء المفاسد والأضرار المحدقة بالإنسان وبالمجتمع، لأن أحكام الشريعة وأمرها ونواهيها، حسب ما يراه الريسوني، يمكن أن تقرأ وتنفذ بدرجات، حسب المصالح العامة والخاصة⁴⁵².

بالنسبة لسعد الدين العثماني الذي ترأس الحكومة المغربية فيما بعد، فإنه في محاولاته لمراجعة خط سير تنظيمه الإسلامي، يسير في توجه التبرير للمشاركة السياسية، ونبذ العنف، مقدماً تفسيراً يكاد يكون جذرياً حينها لعلاقة الدين بالدولة، حيث تبنى إلى حد ما نفس قواعد النظرية العلمانية بفصل أعمال وسلوك الرسول ما بين ما هو ديني وأمر إلهي عن طريق الوحي، وما هو دنيوي مفصول عن إرادة السماء أو عن القواعد المؤطرة لسلوك الإنسان المتدين. عزز العثماني مقالته بشواهد من السيرة النبوية، معتبراً أن بعض أفعال الرسول ما هي إلا اجتهاد من بشرته. لم يفسر العثماني مصدر هذا الاجتهاد النبوي الذي يظل في عمقه مستنداً على قواعد القرآن والوحي وليس خارجاً عنها. حاول

450 بحكاك حميد، "الإسلاميون المغاربة بين الدعوة والدولة حركة التوحيد والإصلاح نموذجاً، منشورات دفاتر سياسية، الطبعة الأولى،

2009، ص: 58-59.

451 نفس المرجع السابق.

452 الريسوني أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، ص: 30.

العثماني وضع تمييز بين العبادات وبين المعاملات⁴⁵³، من أجل أن يخرج العمل السياسي من دائرة العبادات والنصوص القطعية، ويجعل منه أمراً غير واجب متروك لتقدير البشر⁴⁵⁴.

ذهبت كل المراجعات النظرية والفكرية لقيادي التنظيم الإسلامي الذي تأسس على نهاية الشبيبة الإسلامية، في اتجاه اعتبار العمل السياسي عمل دنيوي وهو ليس بالمقدس أو العقدي الشرعي، وليس من أصول الدين، وأنه مؤطر بمقاصد الشريعة بمعنى ينبغي أن يسعى إلى جلب مصلحة أو درء مفسدة⁴⁵⁵، بناء على تقدير المصلحة مع ضرورة الترجيح عند تداخل المصالح والمفاسد بناء على الواقع.

وبذلك اعتمدت حركة التوحيد والإصلاح، على ما سمي بفقهاء الموازنة بين المصالح والمفاسد لتحديد موقفها من المشاركة في العملية السياسية بشكل متدرج، طبقاً للتدرج في نزول القرآن وفي تغيير الرسول للواقع على فترات ومراحل⁴⁵⁶. ويمكننا التساؤل حول مستويات التدافع بين مفهوم الحاكمية الذي لا يعطي حق التشريع لغير الله، ومفهوم السيادة الذي يؤسس للديمقراطية ويعطي الحق للشعب⁴⁵⁷ في ممارسة التشريع سواء بشكل مباشر أو عبر ممثلين يختارون عن طريق الانتخابات. ويرى بعض الباحثين⁴⁵⁸ أن أهم المفاهيم الإجرائية التي نتجت عن هذه المراجعات، تتجلى في مفهومي "المساهمة"، في اصلاح المجتمع من خلال العمل الإسلامي، والتخصص"، في العمل من خلال الانتشار في جوانب متنوعة من مجالات المجتمع في السياسية والنقابات والعمل الخيري وغيرها.

453 العثماني سعد الدين، الدين والسياسة تمييز لا فصل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2015، ص: 19-27.

454 العثماني سعد الدين، "الدين والسياسة تمييز لا فصل"، مجلة الفرقان، العدد: 82، 2018.

455 التليدي بلال، ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية، طوب بريس، الرباط، 2008، ص: 84.

456 يتيم محمد، العمل الإسلامي والاختيار الحضاري، منشورات حركة الإصلاح والتجديد، الطبعة الرابعة، 1996، ص: 58.

457 الخالدي محمود، نقض الديمقراطية، دار الجيل، بيروت، 1984، ص: 31-137.

458 Fadil Mohamed, Un groupe religieux à l'épreuve du parti politique Sécularisation de l'islamisme au Maroc: Mouvement de l'unicité et de la réforme-Parti de la justice et du développement [1996-2011], Thèse présentée en cotutelle en vue de l'obtention des grades de Philosophiae Doctor (Ph.D.) en Sciences des Religions de l'Université de Montréal et de Docteur en Sociologie de l'Ecole Pratique des Hautes Études Paris-Sorbonne, Université de Montréal et École Pratique des hautes études Paris-Sorbonne, Juillet, 2014, p: 293-297.

وقد شكل مفهوم السيادة أحد أبرز المآزق النظرية التي اصطدم بها الإسلام السياسي وأثار تحفظات كثيرة، وصدامات مع خصوم الحركات الإسلامية. لم تقتصر التحفظات على نظرية سيادة الشعب في الدولة الديمقراطية على الجناح السلفي للحركة الإسلامية، بل شملت عددا مهما من التيارات التي وصفت بالمعتدلة، حيث يبدو التناقض بين المفهومين في عدد من برامج هذه الحركات الإسلامية، رغم إعلانها التصالح مع فكرة المشاركة الديمقراطية. لقد ظل شرط الالتزام بالمرجعية الإسلامية يستبطن أي حديث عن الديمقراطية وعن سيادة الشعب، فنتج عن ذلك انتقادات من خصوم التيارات الإسلامية الذين يقولون بأطروحة التناقض بين الإسلام السياسي وبين الديمقراطية، ذلك أن أطروحة الحاكمية تنفي في طياتها أهم أساس للديمقراطية، وهو السيادة الشعبية⁴⁵⁹.

يعتبر جون بودان⁴⁶⁰ وتوماس هوبز⁴⁶¹ المؤسسين الفعليين لمفهوم السيادة، السيادة تعبير عن الفعل السياسي المؤسس للقانون، الذي يساوي بين الناس ويضمن تدبير خلافاتهم وصراعهم على السلطة من أجل تجانس كيان الدولة واستقرارها، ويتجسد في العاهل⁴⁶². طور جون لوك وجون جاك روسو مفهوم السيادة، فنقلوها من مركزها في شخص العاهل، إلى الشعب أو الأمة، لتصبح أساسا للقانون وأساسا لشرعية كل الاجراءات التي تمارسها السلطة السيادية النابعة من إرادة الشعب⁴⁶³.

459 هدهود محمود، نقد جدل السيادة والحاكمية، مرجع سابق.

460 Thomas Berns Bodin : la souveraineté saisie par ses marques, Centre de Philosophie du Droit de l'Université Libre de Bruxelles, Lien:

https://www.google.co.ma/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=https://dipot.ulb.ac.be/dspa ce/bitstream/2013/31990/1/tb-0027.doc&ved=2ahUKEwicw7DUxsqAAxXsUaQEHW4_DQgQFnoECCMQAQ&usg=AOvVaw0hbSWDe9kcrk MnJUNbz9Bz

461 Peter Szendy, "Lecture souveraine, lecture distraite, les Leviathans de Hobbes et Melville", in Open Edition Books, Presses universitaires de Paris Nanterre, 30 Mai 2022, lien:

<https://books.openedition.org/pupo/27293?lang=en>

462 De Benoist Alain, "What is Sovereignty?" In Telos: Critical Theory of the Contemporary 1999, p: 99-118, lien: <http://journal.telospress.com/content/1999/116/99.short>

463 Ibid.

وقد عرف نقاش السيادة نقاشاً علمياً قانونياً وفلسفياً كبيراً في أوروبا، تمحور حول صفة صاحب السيادة ومن هو السيد وكيف يخضع السيد للقانون ومن ينشئ القانون؟ وفي هذا النقاش رأى المنظر القانوني الألماني هانس كلسن⁴⁶⁴ أن مفهوم السيادة يُفسي إلى الاستبداد و إلى السلطة المطلقة، وأنه غير ضروري لتأسيس القانون. فالقانون في نظر كلسن يجب أن يتأسس من داخله بمعزل عن السياسة أو الأخلاق، أي أنه لا يجوز تبرير القانون بأنه يتوافق مع القواعد الأخلاقية، أو أنه قانونٌ لكونه نابعاً من إرادة سياسية لديها سلطة سيادية. فالقانون يُبرر بأنه قانون فحسب، وهي الفرضية التي أطلق عليها كلسن «النظرية المحضة للقانون»، أو ما اصطلح على وصفه ب: «الوضعية القانونية»⁴⁶⁵.

ولتأسيس القانون، يطرح كلسن مفهوم «المعيار الأساسي» الذي يفترض أن القانون هو مجموعة من المعايير (القوانين الحاكمة للسلوك الاجتماعي)، تُشتق من بعضها بحيث أن كل معيار ينبثق عن معايير أعلى وصولاً إلى المعيار الأسمى للنظام القانوني (القواعد الدستورية). يحاول كلسن إذن الانتقال من سيادة الدولة إلى سيادة القواعد القانونية، أي أنه يحاول أن يحول السيادة من خاصية لسلطة الدولة إلى خاصية للقانون نفسه⁴⁶⁶.

يواجه طرح كلسن معضلتين⁴⁶⁷ تتبعان مما اعتبر إغفالاً منه للبعد السياسي للقانون. تتحدد المعضلة الأولى في كونها نظرية تتجلى في مشكلة «التشريع الأول». فإذا كانت المعايير التي تمنح شرعية التشريع تعود إلى معايير أعلى وصولاً إلى المعيار الأساسي، فمن الذي وضع المعيار الأساسي؟ أو كيف حاز المعيار الأساسي شرعيته؟ لقد أدت تلك المعضلة بكلسن إلى افتراض أزلية النظام القانوني للدولة وفق نظريته عن تماهي الدولة ونظامها القانوني. فالدولة في نظر كلسن ما هي إلا نظامها القانوني الذي يؤسس هو لسلطتها عبر منحها الشرعية، إذ أن محض ممارسة القوة

464 Petra Gúmplová, "Hans Kelsen's Critique of Sovereignty", 2009, lien:

<https://www.semanticscholar.org/paper/Law-%2C-Sovereignty-%2C-and-Democracy-%3A-Hans-Kelsen-%E2%80%99-s-G%C3%BCmplov%C3%A1/6a75bcc4ed737b662a0c8f7e324732a132e635a4> et https://www.academia.edu/6656713/Hans_Kelsens_Critique_of_Sovereignty

465 هدهود محمود، نقد جدل السيادة والحاكمية، مرجع سابق.

466 Petra Gúmplová, op. Cité.

467 هدهود محمود، نقد جدل السيادة والحاكمية، مرجع سابق.

والعنف دون شرعنة قانونية لا يخلق دولة. النظام القانوني في نظر كلسن أزلي بأولية الدولة، ويمكننا التغاضي عن لحظة التأسيس وحجبها. يضطر كلسن من أجل المحافظة على اتساقه إلى إنكار واقعة تغيير الأنظمة القانونية من خلال الفاعلية السياسية عبر الثورة أو انقلاب الدولة أو حتى الديمقراطية، مع بقاء الكيان السياسي أو الدولة قائماً، فيضطر إلى ادعاء تواصل النظام القانوني رغم واقع إمكانية تغييره أحياناً بواسطة الفعل السياسي⁴⁶⁸.

أما المعضلة الثانية فهي عملية، وتتمثل في «الفاعلية القانونية»، أي حاجة الطبيعة الإلزامية للقانون إلى سلطة تجسدها. يذهب كلسن إلى أن القانون نفسه يمتلك تلك الطبيعة، وهو يخلق السلطة التي تحقّق الإلزام به ويُشرعُ العنف الحافظ له. يرى البعض أن فكر كلسن غلب عليه الطابع النظري الصوري المحض فحجب عنه سؤال الفعل: ماذا إذا قررت السلطة بالفعل أن تُلزم بخلاف القانون؟ أو ماذا إذا تحول العنف الحافظ للقانون إلى "عنف صانع للقانون"⁴⁶⁹؟

قد تكون غاية كلسن من وراء هذه النظرية هي حماية الديمقراطية الليبرالية ومؤسساتها والحقوق الفردية من تسلط الدولة، متمثلة في أجهزتها أو حتى في الأغلبية الشعبية، عبر حكم القانون الذي حلم كلسن أن يمتد وراء سيادة الدولة بحيث تتأسس منظومة قانونية عالمية تخضع الأنظمة القانونية داخل الدول إليها، وقد رأى كلسن إرهابات حلمه تتحقق عندما حضر الاجتماعات التحضيرية للأمم المتحدة في سان فرانسيسكو⁴⁷⁰.

في توجه آخر يرى كارل شميت، على النقيض من كلسن⁴⁷¹، أن السيادة أمر واقع في أي نظام قانوني نظراً إلى أن أي نظام قانوني لا بد أن يتضمن تحديداً لمن يملك حق إعلان حالة الاستثناء أو حالة الطوارئ، بوصفها

468 هدهود محمود، نقد جدل السيادة والحاكمية، مرجع سابق.

469 Benjamin Walter, "Critique of Violence", 1921, in Selected Writings, Vol 1 1913-1926, THE BELKNAP PRESS OF HARVARD UNIVERSITY PRESS, Cambridge, Massachusetts, London, England 1996, sixth printing 2004, by Harvard university, press paperback edition, p: 236-252. Link: <https://criticaltheoryconsortium.org/wp-content/uploads/2018/05/Benjamin-Critique-of-Violence-1.pdf>

470 هدهود محمود، نقد جدل السيادة والحاكمية، مرجع سابق.

471 نفس المرجع السابق.

الحالة التي يجري فيها تعليق القانون. إن حق إعلان حالة الاستثناء هو خاصية السيادة الأساسية بوصف السيادة هي حق عدم الالتزام بالقانون⁴⁷².

السيادة عند شमित هي أصل الدولة التي ولدت من رحم علمنة اللاهوت، أي نقل السيادة من الإله السماوي الكنسي إلى سلطة الدولة الأرضية. ويتأسس القانون عنده بفعل صدوره عن صاحب السيادة أو عن «أمريته». يرى شमित أن التخلي عن السيادة يعني التخلي عن الدولة والسياسة من خلال إنهاء الجدل السياسي المفترض في الديمقراطية عبر الفرض التعسفي للقيم الليبرالية، وإخضاع الدولة لإملاءات خارجية بحكم افتقادها سيادتها في تحديد أصدقائها وأعدائها (مفهوم السياسي)؛ أي أن شमित يقر بالتناقض الذي يثيره أعداء السيادة بين السيادة والشرعية، أو بين السياسة والقانون⁴⁷³.

ينطلق كلسن وشमित كلاهما في محاولة حل معضلة الدوران بين السيادة والشرعية إلى محاولة اختزال أحد المبدئين في نظيره⁴⁷⁴. فبينما يحتج كلسن بالأولوية النظرية للقانون، يحتج شमित بالأولوية التاريخية للسيادة. إن افتراض السيادة كسلطة مطلقة وأزلية وغير قابلة للانقسام يعتبره البعض افتراضاً لاهوتياً يتعلق بعالم المطلق، وعندما جرى نقل تلك الفرضية من عالمها إلى عالم النسبي حيث تتجسد الدولة، فإن السلطة لم تبقى مطلقة وأزلية وغير قابلة للانقسام لتحل في جسد كائن متخيل هو العاهل أو الشعب أو الأمة؛ وإنما تفتت السلطة وتنوعت أدواتها، وبقيت حتى في سطوتها السيادية، إذا أمكن تمركزها وتكثيفها في جهة محددة، محكومةً بقوانين حازت نصيبها من السلطة؛ السلطة التي أضحت مع غرامشي ثم بورديو وفوكو، مفهومة على نحو يتجاوز أدوات العنف أو نطاق الدولة. تنشأ السلطة

472 هدهود محمود، نقد جدل السيادة والحاكمية، مرجع سابق.

473 نفس المرجع السابق.

474 نفس المرجع السابق.

السيادية في التاريخ بفعل تمفصل عرضي لمصادر القوة، لذلك فإنها تبقى سلطة محددة تاريخياً بفعل نشأتها ومحكومة بمصادر تشكلها التي أعطتها الشرعية والقوة كليهما⁴⁷⁵.

على الرغم من أن بودان طرح الرؤية الأكثر إطلاقية لسلطة السيادة، إلا أنه يرى أن صاحب السيادة يقع فوق كل سلطة سوى سلطة الإله الذي هو سيّد فوق كل السادة، وعندما يمارس صاحب السيادة سلطته في إصدار القوانين، فإنه يبقى محكوماً بالقانون الإلهي والقانون الطبيعي الذين لا يملك أن يخرج عليهما. كذلك يرى هوبز أن السيّد هو شخصية مصطنعة لا طبيعية، أي أن سيادته تتشكل تاريخياً⁴⁷⁶.

راهن القانوني الألماني هيرمان هيلر، خلافاً لكلسن وشميت، على عملية التشكل لتلك للسلطة، التي تحدث في الديمقراطية من أسفل إلى أعلى، وهو ما يطلق عليه هيلر «المبدأ الجدلي» للديمقراطية، بحيث تتأسس السلطة من قبل المواطنين والجماعات، وتتوزع بين مؤسسات وأجهزة تتحدد السلطة بها. أما في الحكم الأوتوقراطي، فإن السلطة تتشكل من أعلى عبر إرادة الحاكم. ينتقد هيلر أطروحة كلسن عن الهوية بين الدولة والنظام القانوني، حيث أن الأنظمة الأوتوقراطية لا ينتفي فيها القانون بالضرورة، لكن السلطة تبقى متمركزة من أعلى بما ينفي الحكم الديمقراطي والبرلماني الذي استهدف كلسن حمايته⁴⁷⁷.

إن السيادة إذن ينبغي أن تُفهم بوصفها بنية اجتماعية تتشكل في التاريخ بفعل قوى متغيرة، وليست محض مفهوم نظري يمكن عزله كجوهر مستقل عن البنية الاجتماعية التي توطئه. وعن تلك السيادة المبنية اجتماعياً، يصدر القانون ويشق شرعيته، لا من مجرد حق سلطة شخصية ما في إصداره، ولكن السلطة تكتسب الشرعية الاجتماعية، والقوة الإلزامية أيضاً، عبر عملية بنائها نفسها وليس من خلال النظرية⁴⁷⁸.

475 Dyzenhaus David, "Kelsen, Heller and Schmitt: Paradigms of Sovereignty Thought", Theoretical Inquiries in Law, Vol. 16 2015, p: 337-366. Link: <https://philpapers.org/rec/DYZKHA>

476 هدهود محمود، نقد جدل السيادة...، مرجع سابق.

477 Dyzenhaus David, "Kelsen, Heller and Schmitt, op, cité.

478 هدهود محمود، مرجع سابق.

ومن تم يبرز التناقض مع إجماع أدبيات الإسلام السياسي التي ترى أن سلطة التشريع لا يمكن أن تُتاح لغير الله، وأن ذلك ليس مسألة ضمن مسائل، وإنما هو جوهر التمايز بين النموذجين العلماني (الجاهلي في تعبير أدبيات الإسلام السياسي) والإسلامي. كما أن تحكيم الشريعة الذي يمثل جوهر البرنامج السياسي للإسلاميين إنما ينبثق نظرياً من مفهوم الحاكمية. وبافتقاد مفهوم الحاكمية، ينتج التناقض النظري في الأنظمة الوضعية بين السيادة والشرعية، ويتوفره في النموذج الإسلامي ينحل التناقض النظري. وتقيد الشريعة عملياً سلطة الحاكم المطلقة، سواء كان هذا الحاكم ملكاً مطلقاً، كما يفضل الجناح السلفي، أو رئيساً منتخباً كما يفضل الجناح الوسطي. ويمكن القول أن الحاكمية كمفهوم يحمل تناقضاً بداخله، بحيث أنه يواجه إشكال نقله من عالم الميتافيزيقي المطلق إلى العالم المادي السياسي، ويتميز بصعوبة تجسديه في كيان أرضي محدد⁴⁷⁹.

إذا كان الله هو صاحب الحق المطلق في التشريع، وإذا كان من المستحيل أن نتصل بالله، بل يعد ذلك عقيدة إسلامية أيضاً أي انقطاع الوحي، فكيف نعرف القانون الإلهي؟ قد يرى البعض أن الإجابة تكمن في النص المقدس الموحى. ولكن هل أحصى هذا النص كافة المشكلات، كما أن هذا النص يحتاج هو ذاته إلى الاجتهاد وإلى التأويل. فمن هو صاحب الحق في ممارسة الاجتهاد أو التأويل؟ يقول الإسلاميون إن صاحب هذا الحق هو الفقيه الولي أو هيئة من الفقهاء أو هيئة من أهل الحل والعقد أو الإمام المستجمع لشروط الإمامة، وتساءل عدد من الباحثين عن الجهة التي تحدد الولي الفقيه أو من يحدد الفقهاء الذين يستجمعون شروط الاجتهاد؟ ومن يحدد أهل الحل والعقد؟ ومن

479 الصاوي صلاح، نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، دار طيبة، الرياض، النسخة الإلكترونية بتاريخ 05 شتنبر 2011، الرابط في مكتبة نور الإلكترونية <https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%F%D8%A9-%D9%88%D8%A3%D8%AB%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B6%D8%B9%D9%8A%D8%A9-pdf>

يواجه خطأ الإمام أو أهل الحل والعقد ويقومه إذا أخطأ الاجتهاد أو خرج عن الشريعة، فيقرر اجتهاداً مضافاً أو يقرر الشريعة التي يجب الرجوع إليها⁴⁸⁰؟

ولاحظ بعض الباحثين أن الحاكمية الإلهية في النموذج الإسلامي تتجسد من خلال «حاكمية الكتاب»، أي النص المقدس الذي يحتاج بشراً للاجتهاد في تأويله والاجتهاد خارجه، وهي من ثم حاكمية بشرية في واقعها الفعلي. فإذا منح شخص بعينه فقيهاً كان أو عالماً أو هيئة من مجموعة من الأشخاص، حق الاجتهاد المنفرد دونما رقابة شعبية، فإننا في الواقع لا نكون إزاء حاكمية إلهية وإنما نكون أمام رؤية كنسية تملك حق التشريع باسم الله. وبذلك تبقى الحاكمية في موقعها في عالم المطلق، غير معزولة عن عالم النسبي الذي تؤثر فيه كآفق لها تسعى إليه، ودون أن تتجسد في هذا العالم النسبي تجسداً يهدد تلك الحاكمية الإلهية المطلقة في الحقيقة⁴⁸¹.

وقد احتدمت السجلات حتى في الأنظمة الديمقراطية نفسها بشأن مفهوم السيادة ومصدرها، فقد كانت هناك رؤى لفقهاء وفلاسفة القانون في الغرب ترى بضرورة جعل القانون الطبيعي في مرتبة أعلى فوق السيادة الشعبية، بما يعني أن الافتراض النظري لمحددات مسبقة للسيادة الشعبية هو ليس بالضرورة نقيضاً للديمقراطية الليبرالية، وهو إلى حد ما نفس التوجه النظري الذي يراه جزء من تصورات الإسلام السياسي للديمقراطية بكون السيادة الشعبية ليست نقيضاً للحاكمية، لأنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين⁴⁸².

ثالثاً - الدولة الإسلامية والملكية وإمارة المؤمنين: نحو مراجعات أعمق

بخصوص فكرة إقامة الدولة الإسلامية في المغرب، فإن سعد الدين العثماني من خلال مساهماته النظرية في إطار المراجعات الفكرية لتياره الإسلامي، فإنه يرى أن المطالبة بإقامة هذه الدولة أصبح متجاوزاً "باعتبار أن الدولة

480 محمد أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، مرجع سابق.

481 محمد أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، مرجع سابق.

482 هدهود محمود، نقد جل السيادة والحاكمية، مرجع سابق.

الإسلامية⁴⁸³ في المغرب قائمة، ولا معنى للحديث عن إقامتها واستيراد الأدبيات المشرقية في ذلك. والحديث بالنسبة للمصلحين كان بالأساس في إصلاح النظام السياسي وتجاوز اختلالاته⁴⁸⁴. وأسس العثماني تعليقه لهذا المعطى على أساس أن "الدولة قائمة في المغرب منذ قدوم إدريس الأول إلى المغرب هاربا من الشرق" وبأنها "استمرت عبر القرون باختلاف الأسر، كما أن المغرب لم يعاني من صدمة سقوط الخلافة كما عانى منها المشرق العربي، وكما عانت منها الحركات الإصلاحية المشرقية". وقد تبنت حركة الإصلاح والتوحيد هذا المسوغ النظري في وثائقها، فأوصت بما يلي:

أ- اعتبار إسلامية الدولة معطى تاريخي ودستوري وينبغي إعطائه مضمونا واقعيا على مستوى السياسات والاختيارات. وهو الأمر الذي يترتب عنه كون "الإقرار بإسلامية الدولة يقتضي اتخاذ الشريعة مصدرا أعلى لجميع القوانين، كما يعني من الناحية العملية بطلان جميع القوانين والتشريعات والسياسات التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية"⁴⁸⁵.

ب- اعتبار مبادئ الحريات والديمقراطية مدخل أساسي.

ت- إقرار إصلاحات دستورية تعزز مواقع المرجعية الإسلامية وسيادة الشعب وحقه في الاختيار

والمراقبة والمحاسبة.⁴⁸⁶

ومن التنازلات البراغماتية الأخرى التي قدمها أعضاء الشبيبة الإسلامية السابقون، بغية الاندماج في النظام السياسي المغربي وتأسيس حزب سياسي شرعي للعمل من داخل مؤسسات الدولة، نجد ذلك التحول في الموقف من الملكية ومن مؤسسة إمارة المؤمنين. فقد كانت نظرة الإسلاميين السابقة مؤسسة على أدبيات الإسلام السياسي الأولى،

483 حركة التوحيد والإصلاح، وثيقة الرؤية السياسية، الطبعة الأولى، 2000، ص: 49.

484 العثماني سعد الدين، الدين والسياسة تمييز لا فصل، مرجع سابق، ص: 43.

485 حركة التوحيد والإصلاح، ورقة الرؤية السياسية، مرجع سابق، ص: 47.

486 نفس المرجع السابق.

ومنها نظريات أبو الأعلى المودودي وحسن البنا وسيد قطب التي كانت تعتبر الاستيلاء على السلطة كفيل بتطبيق تصوراتهم حول التدين والحكم الإسلامي⁴⁸⁷، منطلقين من تصورات الحاكمية وجاهلية المجتمعات.

يقول بنكيران عن هذا الموقف الجديد لتياره الإسلامي أن "القضية ليست قضية حكم فقط، إنها أعمق من ذلك، إنها قضية تدين عام وقعت فيها انحرافات وخلل يحتاج إلى دعوة من جديد لتصحيح المفاهيم وتقوية الإيمان، وإصلاح الأحوال بصفة عامة. فتحول تصورنا من تجمع يسعى إلى الحكم إلى تجمع يريد أن يخطو بالمجتمع خطوة نحو الإسلام، وهذا ما دفعنا إلى مراجعة موقفنا من الحكم في بلادنا فأصبحنا ننظر إلى الجانب السياسي على أنه جانب من الجوانب وليس هو كل شيء"⁴⁸⁸.

وداخل نفس النسق المراجعاتي النظري والفقهية، بنى قادة التيار الراغب في المشاركة السياسية الشرعية، من أهمهم محمد يتييم والعثماني والريسوني، سندا فكريا للموقف الجديد الذي يعترف بالملكية وبإمارة المؤمنين. واعتبر محمد يتييم أن تاريخ الدعوة الإسلامية ملهم في هذا الجانب، معتبرا أن الفرد هو الفاعل الأساسي في أي عملية تغيير ذلك أن "عمليات التحول التي حدثت في الإسلام خاصة في العصر النبوي كانت نتيجة للفعل الإنساني إذ لما تغير الإنسان ذاتيا، أصبح مؤهلا لإحداث التغيير في المؤسسات الاجتماعية وواقعه المحيط به"⁴⁸⁹، مؤكدا على أن بناء الفرد وتربيته على القيم الإسلامية وتهيئته لقبول المرجعية الإسلامية، هي البديل الحضاري والخيار الاستراتيجي عن ممارسة صدامية على السلطة⁴⁹⁰.

ومن هذا المنطلق ضمنت حركة الإصلاح والتوحيد هذه التصورات والمراجعات في إحدى وثائقها المؤسسة للتوجه الجديد⁴⁹¹ و تبنت اختيار العمل في إطار النظام الملكي بناء على أربعة اعتبارات رئيسة أجملتها فيما يلي:

487 مشبال محمد الأمين، بلاغة الخطاب السجالي، مرجع سابق، ص: 160

488 بنكيران عبد الإله، "المسلمون"، الرابطة، عدد 10، مايو 1994.

489 يتييم محمد، أوراق في المنهج الحضاري، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 2000، ص: 13.

490 التليدي بلال، مراجعات الإسلاميين، دراسة في تحولات النسق السياسي والمعرفي، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2013، ص: 152.

491 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 266-267.

- حفظ استقرار المغرب، والمحافظة على وحدة نسيجه الاجتماعي رغم ما يطبع هذا النسيج من تعدد لغوي وعرقي وجهوي وسياسي.

- اعتبار ما يقتضيه إقرار الدستور بإسلامية الدولة، والصفة الدينية للملك من حفظ الدين وقيمه، من الحيلولة دون سيطرة اللائكية، وما يضمن الدستور من حقوق وواجبات تمكن من تطوير أوضاعنا بشكل يعطي لإسلامية الدولة مضمونا فعليا، ومن الارتقاء عن طريق التدافع السلمي بالأداء الديمقراطي، إلى أعلى صورة ممكنة⁴⁹².

- اعتبار طبيعة النظام الملكي المغربي غير الحزبية أو الطائفية أو الإيديولوجية.
- فسحه لقدر من الحرية، يسمح بوجود مقدر، ومتزايد للحركة الإسلامية .

رابعا- إشكالية التوفيق بين مفهوم الأمة الإسلامية ومفهوم الدولة الوطنية

يثير السؤال المتعلق بأيهما أسبق هل هي الأمة الإسلامية ووحدتها أم الدولة الوطنية، جدلا وارتباكا واضحا لدى الإسلاميين عامة ولدى حزب العدالة والتنمية والجماعات المسندة له خاصة. ترتبط هذه الإشكالية بثنائية الوطني والإسلامي في مشروع ما يسمى بالإسلام السياسي⁴⁹³، وتتعلق أساسا بتصورات الإسلاميين للوطني ولمفهوم الثوابت الوطنية. ومن هذا المنطلق، فإن مناقشة موقف الإسلاميين في هذا الموضوع يتمركز حول مشكلة تحديد المرجعية التي تحدد حدود الوطني، هل هو القاعدة القانونية التي تحدد حدود الدولة وسلطتها وحقوق وواجبات مواطنيها، أم النص الديني الذي يطرح إشكالا في فهم العلاقة بين الدولة الإسلامية والخلافة والدولة الوطنية، ذلك أن معظم أطاريح منظري الحركات الإسلامية تسير في اتجاه تأسيس مشروع إسلامي في أفق بلوغ استرجاع مرحلة الخلافة الإسلامية كما رآها مثلا حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

492 الخلفي مصطفى (قيادي في حزب العدالة والتنمية)، "المشروع السياسي لحركة التوحيد والإصلاح، مرجع سابق، ص: 7.

493 الخطيب معتز، "الإسلاميون بين الدولة الوطنية والمشروع الإسلامي"، موقع الجزيرة، 23 دجنبر 2020، الرابط:

<https://urlz.fr/mL4U>

تعرض مفهوم الأمة إلى تجاذبات بين التيارات القومية العربية وبين التيارات الإسلامية. وهناك من الباحثين من يقولون بأن الارتباط الأهم لمفهوم الأمة في المنطقة العربية كان مع مفهومي الوطن والوطنية بالدين، فالوطن مرادف للدين وهو مجموع الأمة الإسلامية فلا وطنية في الإسلام غير الوطنية الملازمة للأمة الإسلامية. يرى بعضهم أن محاولات تغريب المفهوم مرفوضة لكونها لا تتسق مع النظرية الإسلامية، ومع المفهوم القرآني للأمة ومع أهداف الشريعة⁴⁹⁴. وتستعمل التيارات الإسلامية مفاهيم: «الأمة»، «الأمة العربية الإسلامية»، «الأمة الإسلامية»، «الأمة المحمدية» وغيرها، في "خطابها التجنيدى، الدعوي والتعبوي، ولا يكاد يخلو مهرجان انتخابي، أو نشاط سياسي لهذه الحركات السياسية من ترديد مفهوم الأمة الإسلامية، الأمة العربية الإسلامية، الأمة، عشرات المرات وكثيرا ما تكرر على مسامع المناضلين والأنباع شعارات: «نحن أمة واحدة»، «نعمل لما فيه صلاح الأمة»، «يجب أن يشارك جميع أبناء الأمة»، «الأمة في خطر»، «مجد الأمة»، «تقوية أواصر الأمة» وهي كلها شعارات سياسية تتغذى من مفهوم الأمة لتنفذ بسرعة إلى قلوب الملايين من المسلمين المقهورين⁴⁹⁵.

وهناك من الباحثين من يرى أن استعمال التيارات الإسلامية لمفهوم الأمة يكاد يكون بدلا عن مفهوم الدولة، البلد، الوطن، القومية، بل يكاد يكون من أساسيات تربية المناضلين وهم في سن ما قبل "الرشد السياسي". فالإسلاميون وفق بعض الدارسين للظاهرة الإسلامية، يجدون طريقا سهلا للوصول إلى عواطف الجماهير من خلال خطاب مفهوم الأمة، لأنه يحمل نوعا من القداسة الدينية. فهو نوع من تهريب "عقل الجماهير التي أنهكتها صعوبات وقساوة الحياة اليومية إلى السنوات الأولى للوحي، العصر الذهبي للأمة الإسلامية التي خلقها القرآن الكريم، أمة كانت متحدة لا تعرف حدودا بين قطر وآخر. ولمفهوم الأمة مفعول سحري في قلوب الملايين من المسلمين وعقولهم يكاد يضاها

494 السيد عمر، "حول مفهوم الأمة في قرن: نقد تراكمي مقارن" دراسة في مركز الحضارة للدراسات والبحوث، 2013، رابط تحميل

الدراسة في الموقع الإلكتروني لمركز الحضارة: <https://hadaracenter.com/3-1>

495 نوري إدريس، "مفهوم الأمة في الفكر العربي المعاصر بين التجاذبات الأيديولوجية السياسية ورهانات الحداثة ودولة القانون"، في الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (مؤلف جماعي)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الجزء الأول، بيروت 2016، ص:

مفعول الوحي القرآني نفسه في زمننا هذا، كيف لا؟ والقرآن هو الذي خلق مفهوم الأمة وطوره⁴⁹⁶، فيرتقي بذلك الحشد الصغير في لقاء يخطب فيه قيادي إسلامي، إلى درجة الإحساس بأنه جزء من مجتمع كبير مستعد لنصرته والانتصار له، في حين أنه لا يتعين طرح إشكاليات الأمة "قبل حل إشكاليات أخرى أولى منها: إشكالية دولة القانون والمجتمع المدني والفضاء العمومي، فالنقاش في شأن الأمة في هذه المرحلة هو قفز عن المراحل، وتجاهل للأسئلة الحقيقية الواجب طرحها في وقتها، ذلك أن التيار الإسلامي "يريد الوصول إلى السلطة بأي وسيلة، حتى إن اقتضى الأمر الهروب بالوعي العربي إلى الأسطورة التاريخية للأمة الإسلامية"⁴⁹⁷.

تعرض رشيد رضا أستاذ محمد عبده وحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين لمفهوم الأمة، باعتبارها "تلك الجماعة التي تربطهم رابطة اجتماع يعتبرون بها واحداً، وتسوغ أن يطلق عليهم اسم واحد، الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص، سواء أكانت كبيرة أو صغيرة، ويختلف هذا الرابط باختلاف الأمة"⁴⁹⁸. وبذلك فإن رشيد رضا يقدر أن مفهوم الأمة الإسلامية هو مفهوم ذو أبعاد سياسية، شرعية عقائدية، تربوية، تاريخية واجتماعية، وذو "مكانة خاصة في الفكر السياسي الإسلامي، باعتباره تجمعا عقديا قيماً ناجما عن تفاعل أفراد من البشر مع مبادئ كلية وقيم عامة تتجاوز الخصوصيات الطبيعية التي تميز بين الناس: من لون وعرق ولغة وإقليم ويتجاوز الاجتماع الموحد والتجانس المشترك الذي قصده الحضارة الغربية"⁴⁹⁹، وعموما تتفق كل تعريفات الأمة الإسلامية الناتجة عن التيارات الإسلامية على أن الدين الإسلامي هو الوعاء المشكل للأمة⁵⁰⁰.

وقد يبدو من أول وهلة أن الحركات التي ترفع دعوى العودة إلى المرجعية الإسلامية، تتبنى نظرية الأمة الإسلامية واسبقيتها على الدولة الوطنية، بحكم الوحدة في الإيمان والانتماء العقدي، فإن تأسيس عدد من هذه

496 نفس المرجع السابق، ص: 654.

497 نفس المرجع السابق.

498 محمود سعد محمود، "مفهوم الأمة وخصائصها في فكر الشيخ محمد رشيد رضا"، 2010، رابط الدراسة:

<https://www.alukah.net/culture/0/9330>

499 نفس المرجع السابق.

500 نوري إدريس، "مفهوم الأمة في الفكر العربي المعاصر بين التجاذبات الأيديولوجية السياسية ورهانات الحداثة ودولة القانون"، مرجع سابق، ص: 635.

الجماعات لأحزاب سياسية وطنية شرعية، ومشاركتها في الانتخابات وفي العمل الحكومي أو البرلماني جعلها تبدو أكثر وطنية وأكثر التصاقا بما تفرضه التوجهات الوطنية على حساب مفهوم الأمة الإسلامية.

ولإبراز هذا التناقض، فإننا نعطي مثالا على موقف أحزاب إسلامية جزائرية وحزب العدالة والتنمية المغربي من نزاع الصحراء الغربية المغربية⁵⁰¹ ومن القضية الفلسطينية. في هذا الباب أعلنت حركة مجتمع السلم الجزائرية وهي حزب يتبنى المرجعية الإسلامية (حمس) التزامها "بمبدأ حل القضية الصحراوية من خلال استفتاء تقرير المصير وفق المقررات الأممية الصادرة في هذا الشأن"⁵⁰²، وأن "مشروع وحدة المغرب العربي هو الإطار الجامع لمصالح البلدان المغربية وشعبها جميعا على مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وفتح الحدود وحرية تنقل البضائع والأفراد، وهو فضاء يساعد على حل القضية الصحراوية ذاتها". مضيئة أنه "مهما كانت مبررات الأطراف وخلفيات القضية برمتها فإن الاختيار الحر للشعب الصحراوي لمصيره هو ما يساعد على ضمان استقرار المنطقة كلها بشكل دائم ونهائي، وأن سياسة فرض الأمر الواقع تؤدي دوما إلى النزاع والاحتراب"⁵⁰³. وقد ذهبت حركة البناء الوطني وهو حزب جزائري ذو مرجعية إسلامية إلى ما أسمته إدارتها "للاعتداءات المغربية"، واتهمت المغرب بخرق اتفاق وقف إطلاق النار المبرم عام 1991، وحذرت من "جرّ المنطقة إلى توترات بدعم غربي"⁵⁰⁴.

وبذلك يمكن أن نستخلص من هذه البلاغات الحزبية الإسلامية الجزائرية أنها تسيير في نفس توجه النظام الجزائري الانفصالي تجاه النزاع الصحراوي، في تكرار سردية استفتاء تقرير المصير وما يسميه بالاختيار الحر للشعب الصحراوي، ودعم جبهة البوليساريو. هكذا يتضح أمامنا تناقض في عناصر اللغة لدى حركة حمس، حين عبرت عن

501 عثمان لحياني (لجزائر) عادل نجدي (المغرب)، "إخوان" المغرب والجزائر في نزاع الصحراء: الولاء للدولة أولاً"، تقرير إخباري، جريدة العربي الجديد، النسخة الإلكترونية على الأنترنت، بتاريخ 22 نونبر 2020، الرابط: <https://urlz.fr/mL80>

502 انظر البيان الصحفي لحركة مجتمع السلم (حزب إسلامي جزائري)، الصادر بتاريخ 16 نونبر 2020، تحت عنوان: "بيان الحركة إثر أحداث منطقة الكركرات في الصحراء الغربية"، الرابط: <https://hmsalgeria.net/ar/p/12187>

503 انظر البيان الصحفي لحركة مجتمع السلم، مرجع سابق.

504 انظر بيان حركة البناء الوطني الحزب الجزائري المتعلق بفتح معبر الكركرات، صادر يوم واحد بعد فتحه، بتاريخ 14 نونبر 2020، نشر على موقع وكالة الأنباء الجزائرية (مؤسسة عمومية رسمية)، الرابط: <https://www.aps.dz/ar/algerie/95875-2020-11-14-08-29-18>

و على منابر إعلامية أخرى داعمة لجبهة البوليساريو منها الرابط: <https://urlz.fr/mL8q>

أن رغبتين متناقضتين، الأولى تركية الانفصال الصحراوي والثانية دعوة إلى وحدة شعوب المغرب العربي⁵⁰⁵. وهي في بلاغها تطابقت مع طرح الدولة الوطنية الجزائرية الداعي إلى انفصال الصحراء عن المغرب، وفي الوقت نفسه حاولت تأطير موقفها من النزاع بالحديث عن مشروع وحدة المغرب العربي بدون حدود أو عوائق ترابية. ويؤكد هذا التناقض بين الدعوة إلى الانفصال الذي يعقد العلاقات بين المغرب والجزائر ويجعل الاتحاد متعثرا وبين الدعوة إلى الوحدة، المأزق النظري الذي تعيشه الحركات الإسلامية بين معتقد قدسية الأمة الإسلامية وبين الحذر السياسي في التعاطي مع سلطة النظام السياسي الذي تنتمي إليه.

ويبدو أنه من الصعب نظريا وعلميا أن نقول أن هذه المعطيات تفضي إلى أن مفهوم "الأمة الإسلامي"، تراجع بشكل كبير لصالح مفهوم الوطني القطري⁵⁰⁶، لدى هذه التنظيمات الإسلامية. ذلك أن هذه التنظيمات أسست وبنيت تصوراتها وتكوين مناضليها وقيادتها المتوارثة لعقود طويلة، على تنظير صلب يكاد يشبه العقيدة في مواجهة الأنظمة والمجتمعات وباقي الفاعلين. فهل يمكن أن يتخلوا عن تلك العقائدية النظرية المؤسسة لوجودهم الاجتماعي التي تتوخى حسب مناهجهم، "إرضاء الله تعالى ودخول الجنة"، بمجرد دخولهم معترك ممارسة السياسة والسلطة؟ ومن الصعب أيضا أن نقول، بدون دراسات علمية مستفيضة ومتابعة لسنوات مقبلة، أن نظرية الإسلام السياسي كانت مجرد جسر عبور إلى السلطة. ومن السابق لأوانه أيضا، في ظل تجربة محدودة ومتدرجة من المشاركة الشرعية في العمل السياسي الوطني، أن نجزم أن التنظيمات الإسلامية قد تراجعت بشكل لا رجعة فيه وبشكل جذري عن مفهوم الإسلامي العابر للحدود الوطنية وأنها أصبحت تفضل الحسابات الوطنية على حساب هذا المفهوم، أو أن نقول أن ممارسة بعض السلطة داخل الحدود الوطنية، أبعدهم عن الاعتبارات الإسلامية الجامعة بينها وبين مثيلاتها في العالم الإسلامي.

505 الخطيب معتز، "الإسلاميون بين الدولة الوطنية والمشروع الإسلامي"، مرجع سابق.

506 الخطيب معتز، "الإسلاميون بين الدولة الوطنية والمشروع الإسلامي"، مرجع سابق.

وفيما يتعلق بمواقف حزب العدالة والتنمية⁵⁰⁷ وعمقه التأسيسي والفكري المتجسد في حركة التوحيد والإصلاح، فإنهما يتطابقان في التعبير عن الموقف من الصحراء، إذ يستمر الحزب في التأكيد على تأييده لسياسات الملك وجهوده في ترسيخ سيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية، ودعم مسار التصدي لمناورات خصوم الوحدة الترابية. وفيما يخص حركة التوحيد والإصلاح فإن موقفها وإن كان في مجمله متطابق مع الموقف السياسي الحزب، إلا أنه يبدو أنه يستعمل عناصر لغة أكثر قوة بحيث أنها تعتبر أن موقفها من نزاع الصحراء هو موقف مبدئي مؤكد لمغربية الصحراء، ويعتبر القضية "قضية أمة وشعب ووطن"، وينوه بالجهود الوطنية المبذولة دفاعاً عن وحدة المغرب وسيادته⁵⁰⁸. ولنعطي مثالا آخر على رؤية إسلاميو حزب العدالة والتنمية، وحركة التوحيد والإصلاح، حول قضايا الأمة وقضايا الوطن، فإننا نناقش هنا مواقفهم تجاه القضية الفلسطينية ومحاولة فهم المنطق الذي يحرك هذه المواقف التي تبدو أحيانا متناقضة وغير مبدئية، وأحيانا براغماتية.

يتبنى حزب العدالة والتنمية⁵⁰⁹ وحركة التوحيد والإصلاح موقف الدولة المغربية وموقف الملك محمد السادس من القضية الفلسطينية، وجعلها "في مرتبة قضية الصحراء المغربية وأحد ثوابت السياسة الخارجية المغربية"، الشيء الذي يمكن أن نستخلص منه أن الوطني هو المعيار الرئيسي في القضية وأن الموقف من قضية فلسطين اكتسب شرعيته و مشروعيته من قضية الصحراء ومن مواقف الدولة المغربية وليس من أي منطلق ديني إسلامي محدد وخاص بمفهوم الأمة الإسلامية. غير أن التناقض بين الحزب والحركة يكون واضحا فيما يتعلق بالاتفاق مع إسرائيل، على فتح مكتب اتصال وعلى تبادل الزيارات وغيرها. فإذا كان موقف الحزب وقيادته التي كانت تدير رئاسة الحكومة

507 انظر بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية، بتاريخ 8 نوفمبر 2020 بخصوص قضية الصحراء وقضية عرقلة جبهة البوليساريو حركة المرور بمعبر الكركرات الرابط بين المغرب وموريتانيا، الرابط على الموقع الإلكتروني الرسمي للحزب: <https://www.pjd.ma/141715-74023.html>

508 بلاغ حركة التوحيد والإصلاح بتاريخ 11 دجنبر 2020، منشور على الموقع الإلكتروني للحركة تحت عنوان: "التوحيد والإصلاح تنوه بالجهود الوطنية المبذولة دفاعا عن وحدة المغرب وسيادته، وتستنكر كل محاولات التطبيع والاختراق الصهيوني"، الرابط: <https://urlz.fr/mL9n>

509 انظر بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 24 دجنبر 2020، بخصوص الموقف من تطورات القضية الفلسطينية ومسألة الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء والاتفاق على فتح علاقات سياسية مع إسرائيل، البلاغ منشور على الموقع الإلكتروني الرسمي للحزب على الرابط: <https://www.pjd.ma/144305-75340.html>

وعدد من القطاعات العامة سنة 2021، تاريخ إبرام الاتفاق مع إسرائيل، مؤيدا لهذا الاتفاق، فإن الحركة عارضت صراحة ما سمته "التطبيع"، و دعت الدولة إلى مراجعة "التدابير المعلن عنها والانحياز للثوابت التاريخية في تعاطيه مع القضايا العادلة للشعوب المستضعفة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية"، واعتبرت هذا الموقف من باب واجب "النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين"510.

وقد يبدو هذا الفعل التواصلية الصادر عن حركة الإصلاح والتوحيد، وكأنه تبادل أدوار ما بين الدعوي والسياسي، مما يثير التساؤل أيهما يوجه الآخر هل يعتبر الدعوي تابع للسياسي أم أن السياسي هو مجرد أداة وذراع اجتماعية للدعوي الذي يعد هو أصل المشاركة السياسية برمتها؟ ومع ذلك فإن التساؤل يظل مطروحا حول تطبيقات المرجعية الإسلامية للحزب والحركة، ومساحات الاختلاف هل يمكن أن تكون جذرية ومعاكسة، خصوصا أنها حركة إسلامية واحدة، وهل يمكن القول أن هذا نوع من ممارسة ميكافيلية وبرغاماتية انتهازية، قد تثير النقاش حول ممارسة الإسلاميين السياسية بعيد غير منسجم مع أخلاق المرجعية الإسلامية؟

وبالعودة إلى البيانات الحزبية أعلاه الصادرة عن أحزاب إسلامية جزائرية وحزب العدالة والتنمية المغربي فيما يتعلق بنزاع الصحراء، فإنه يبدو أنها لا تضم أي عناصر لغوية سواء علنية أو مضمرة عن البعد الإسلامي في تعريف الأمة الإسلامية. في المقابل نرى أن هناك تطابق تام مع موقف الدولة الوطنية، سواء عندما تعلق الأمر بالجانب الجزائري الذي استند إلى نفس لغة النظام السياسي بتبني مفاهيم تقرير المصير من وجهة نظر جزائرية أي بضرورة تنظيم استفتاء، وليس من وجهة نظر الأمم المتحدة التي ترى في الحكم الذاتي شكلا من أشكال تقرير المصير، فيما استند حزب العدالة والتنمية على مفاهيم السيادة الوطنية والتصدي لخصوم الوحدة الترابية، وبالتالي يبدو أن الفكرة الإسلامية وفكرة الأمة الإسلامية المرتبطة إلى حد بعيد بمفهوم الحاكمية لله والأخوة في الإيمان، غير واردة بمناسبة التوقيع بشأن نزاعات عابرة للحدود.

وهناك من الباحثين من طرح افتراضين⁵¹¹ لتفسير هذه المواقف السياسية بشأن قضايا الأمة وقضايا الوطن. الافتراض الأول هو أن هذه التنظيمات الإسلامية طورت وراجعت قدراتها الفكرية والسياسية ومن تم طورت مفاهيمها، وخرجت من مستوى التنظير للفكرة الإسلامية وفكرة الخلافة والأمة، كفكرة عابرة للأوطان، وذلك بسبب دخولها مجال المشاركة في الواقع السياسي بإكراهاته وضغوطاته وقواه ومصالحاته وما يقتضيه ذلك من مرونة وملاءمة للخطاب وتوافقات مع باقي الأطراف حول ثوابت وطنية مجمع عليها داخليا.

التفسير المفترض الثاني⁵¹²، هو أن هذه المواقف هي نابعة من استراتيجيات عمل وطنية لهذه التيارات الإسلامية، تعطي الأولوية حسب فقه المقاصد لمصالح ملحة ولضغوطات مستعجلة، من باب القاعدة الفقهية "الضرورات تبيح المحظورات"، وأنها التزامات قد تفيد في الحصول على مزيد من الشرعية الوطنية، وتزيد من قوتهم في التوقيع السياسي الداخلي ومن شأنها أن تفك الضغوطات عنها في العمل الداخلي، وتجعلها في منأى عن أي اشتباكات سواء مع الأنظمة أو مع الجماهير. وهناك عامل قد يدعم هذا التفسير الثاني، وهو تلك التحالفات الهجينة حول مفهوم المصلحة العليا للبلد وحول ثوابت الوطن، بين الإسلاميين وبين أحزاب ذات توجهات مضادة بل وعلى النقيض من عقائدها، كالتحالف الحكومي بين حزب العدالة والتنمية وبين حزب التقدم والاشتراكية اليساري في سبيل تشكيل الحكومة، وبين حزب حماس المعارض في الجزائر مع أحزاب الحكم في الجزائر وعلى رأسها جبهة التحرير الوطني، في دعم جبهة البوليساريو التي تصف نفسها بالقومية اليسارية ضد "إخوانهم الإسلاميين" في المغرب.

ويرى بعض الباحثين أن عملية تصالح الإسلاميين مع الدولة القطرية بدأت فعليا قبيل الاحتجاجات العربية لسنة 2011. وقد سبق أن طرح بعض الإسلاميين خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين فكرة "الدولة الإسلامية القطرية". ويرى عبد المنعم أبو الفتوح وهو أحد الوجوه التي تكونت في جماعة الإخوان المسلمين، أن "كل الدول القائمة دولاً إسلامية قطرية وإن طرأ عليها بعض الاختلالات بسبب الاستبداد، ومن ثم لم يعد مقبولاً"، ومن تم ليس هناك

511 الخطيب معنز، مرجع سابق.

512 نفس المرجع السابق.

مبرر للحديث عن أسلمة الدولة، لأنها دول مسلمة بمعنى هي "دولة مسلمين"، ولذلك استبدل بها فكرة "الوصول إلى السلطة"⁵¹³، وفي المغرب فقد ظل سعد الدين العثماني لنحو عقدين ينظر لما يشبه "العلمانية الإسلامية"⁵¹⁴ من مدخل تصرفات الرسول بالإمامة والتميز بما يشبه الفصل بين الدين والدنيا، كما رأينا أنفاً. وبذلك فقد يجوز لنا أن نستنتج من تحليل نماذج خطابات الأحزاب المذكورة، أن هناك تعدد لأوجه هوية هذه التنظيمات، وأنه يبدو أن هذه الهويات تعتمل لديها في حالة صراع وتنازع، الشيء الذي قد ينتج عنه ارتباك في العمل بسبب وجود هذه الهويات المتنازعة في الخطاب، مما قد يوقع هذه الأحزاب ومنها حزب العدالة والتنمية في تناقضات وارتباكات سياسية كبيرة.

و يرى جاسم سلطان في انتقاده لفكرة أولوية بناء الأمة الإسلامية، أن "النجاح يجب أن يتم في إقامة الدولة القطرية الناجحة التي تعطي نموذجاً للنجاح الخلقى والقيمي والمادي، وأن يقدم نموذجاً لإمكانية بناء وحدة سياسية على أساس الاتفاق في المبادئ والقيم بين بعض هذه الوحدات، وأن الحديث عن أي شيء مثل فكرة الخلافة الشاملة في هذا الوضع هو كلام لا أرضية له ولا يدل عليه شيء من الواقع"⁵¹⁵.

ويطرح سلطان أمثلة تسير في اتجاه صعوبة بناء فكرة الأمة الإسلامية، باعتبار أنه من أفغانستان إلى اليمن إلى السودان إلى الصومال إلى الجزائر إلى ليبيا إلى مصر، "عجز التصور القائم عن إيجاد استقرار بين الفصائل الإسلامية ناهيك بمجموع المكون الوطني، وبالتالي الحديث عن ما هو أكبر من ذلك هو نوع من الخبط في الظلام، بينما نجاح واحد على مستوى دولة واحدة سيغني عن أطنان من الكلام، ووحدة بين دولتين صغيرتين وفق هذا النموذج ستغني عن أطنان من الكتابات والاشتباكات اللفظية، والتكليف مرهون بوضوح المعنى والمحتوى فأركان الإيمان وأركان

513 الخطيب معنز، مرجع سابق.

514 عدلان عطية، "مشروع علمنة الإسلام، سعد الدين العثماني أنموذجاً"، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، اسطنبول، 2021، متوفر على الرابط: <https://urlz.fr/mLgJ>

515 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، مرجع سابق، ص: 126.

الإسلام والمعلوم من الدين بالضرورة استمر العمل به عبر العصور، أما هذا النوع من الأسئلة (الدولة القطرية أم الأمة الإسلامية) فسببى عالقاً كجزء من آلام العقل المسلم التي مجالها الظن والاجتهاد والتي تفوق الحصر⁵¹⁶.

يناقش جاسم سلطان لفظ الأمة الإسلامية، الذي حينما يقال بشكل مطلق من أي قيد يبدو وكأن "هناك كياناً خالصاً للمسلمين في بقعة ما، يجتمعون فيه تحت كيان واحد، كيان محدد وليس افتراضياً، وهذا الكيان هو المقصود بالفعل ولا يبين لنا المتحدث عندها أنه يتكلم عن كيان افتراضي غير متبلور مكون من: شعوب، لغات، مذاهب، مصالح"، والواقع أننا أمام كيانات وطنية "لم تتفق على الاجتماع وربما لا ترغب فيه بشاهد الحال، ففي حين لا يمكن جمع الصوماليين على وطن ولا الفلسطينيين على وطن ولا السودانيين على وطن، ويمتد للحديث باعتبار ذلك أمراً واقعاً وربما باعتبار التاريخ أو لحظات في التاريخ، فكل شيء متجاوز لحقائق الواقع المعاش"⁵¹⁷. فيظل هذا اللفظ بصيغته التعميمية مجرد خيال داخل عقل خطابي وبلاغي، يمارس "لغة الشاعرية" التي تترك كل "هذا الواقع القريب الذي لا تجد له حلاً وتحلق في فضاءات الخيال لترسم عالمها"⁵¹⁸. فالواقع العملي فيه الدولة القطرية، والدولة القطرية فيها خليط من البشر يبحثون عن المساواة والعدل والرفاه، والمسلمون ليسوا شيئاً واحداً ولا مذهباً واحداً ولا مصالح واحدة، وغير المسلمين ليسوا مستضعفين سيستسلمون لمقررات لا تعطيهم حقوقهم في المواطنة المتساوية كاملة، والعالم محكوم بموازين القوى ولا يستطيع أحد أن يفرض نمط تفكيره⁵¹⁹.

الفقرة الثانية: الصعوبات المرتبطة بالعلاقة مع أنساق حركية إسلامية أجنبية: في

تصور الهوية التنظيمية

لم يكن من السهل على الحركات الإسلامية في المغرب ممارسة العمل السياسي، في وقت مبكر بدون الاصطدام مع النظام السياسي ومؤسسته، أو مع تيارات سياسية مخالفة ظهرت في المجتمع المغربي، كتيارات اليسار

516 نفس المرجع السابق.

517 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق.

518 نفس المرجع السابق.

519 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، نفس المرجع السابق.

والتوجهات الشيوعية، أو الاصطدام فيما بين قياداتها داخليا، باعتبار أن عددا كبيرا من هذه القيادات لم تكن تؤمن بالعمل السياسي الشرعي، ولم تكن تعترف بالنظام السياسي المغربي مما شكل حواجز نحو التطبيع مع العمل السياسي الشرعي. فقد كانت هذه القيادات الإسلامية ترى في وجودها رسالة ولها دور تاريخي وحضاري في أفق تحقيق معالم دولة إسلامية، بعدما نهلت من أدبيات العمل والتصور الإسلامي الذي نشأ معظمه في المشرق العربي، سواء في شقه الحركي المتمثل في جماعة الإخوان المسلمين، أو في شقه الفقهي الذي تعتبره تجديدا من خلال الحركة الوهابية، أو من خلال السلفيات المشرقية التي أعادت بناء خطاب الدعوة إلى العودة إلى السلف الصالح وإلى القرآن والسنة. في هذا المبحث سنناقش الهوية التنظيمية والفكرية لحزب العدالة والتنمية وسؤال الانتماء والتقاطع النظري والحركي مع أنساق تنظيمية وفكرية أجنبية، من خلال مناقشة العلاقة بين حزب العدالة والتنمية وحركة التوحيد والإصلاح، في ارتباطهما بحركات غير مغربية للإسلام السياسي، كتنظيم الإخوان المسلمون المصري، وفي العلاقة بينهما على مستوى الفكري والنظري، وبينهما وبين التيارات السلفية والوهابية .

أولا- ارتباط وجودي/حركي بجماعة الإخوان المسلمين

يجمع الباحثون في موضوع الجماعات الإسلامية في المنطقة العربية، على أن تنظيم الإخوان المسلمين شكل النسق المرجعي التنظيمي والفكري الذي ارتبطت به معظم الحركات الإسلامية في العالم العربي والذي شكل الجذر المشترك بينها جميعها، حتى ولو لم تكن بينها علاقة ارتباط عضوي تنظيمي مباشر⁵²⁰. وتعتبر جماعة الإخوان المسلمين ومؤسسها حسن البنا هي الفكرة التنظيمية والمرجع الفكري الأساسي لتصورات العمل الإسلام السياسي، وهو تنظيم يتقاطع مع الجماعة الإسلامية الباكستانية لمؤسسها أبي الأعلى المودودي في سبب الوجود والظهور في سياق ما بعد دولة الخلافة الإسلامية. يظهر هذا التأثير التنظيمي لجماعة الإخوان المسلمين في ولادة ونشأة باقي الحركات

520 Zidane Meriboute, « Printemps arabe » : le poids des Frères musulmans – leur vision de L'État et de la finance islamiques”, in International Development Policy, Revue internationale de politique de développement, N 3/2013, p: 155-172, lien: <https://journals.openedition.org/poldev/1322> et <https://doi.org/10.4000/poldev.1322>

الإسلامية، بفعل ما أنتجه سيد قطب من أجوبة حول مسائل العمل الحركي والفكري الإسلامي⁵²¹. لقد ظلت المفاهيم والتفسيرات التي وضعها سيد قطب وأبو الأعلى المودودي، إضافة إلى التنظيم الهرمي الذي أنشأه حسن البنا، الإطار التنظيمي المرجعي الأساسي للحركات الإسلامية في المغرب منذ ظهور تنظيم الشبيبة الإسلامية لمؤسسها عبد الكريم مطيع. غير أن عددا من أعضاء هذه الحركة سيتحولون عن منهج الشبيبة الإسلامية "الإخواني" في شقه القطبي، الذي وصف بنوع من التشدد والتطرف في التعامل مع الأنظمة السياسية في البلدان العربية، وصل إلى حد التكفير والدعوة إلى الثورة العنيفة عن طريق تحقيق فريضة الجهاد، والذي يقوم على خيار الانقلابية والعنف، وسيتبنون فيما بعد منهج السلم والوضوح التنظيمي، ليصلوا إلى تحقيق الاندماج في الحياة السياسية.

ولقد عمد مؤسسو تنظيم الشبيبة الإسلامية الذين بدأوا حياتهم السياسية بالانخراط في حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ذو المرجعية اليسارية الاشتراكية والعروبية، وذو الميول الصدامي مع النظام السياسي القائم، وتوجهوا "غداة هزيمة مصر سنة 1967، وانخرطوا في تنظيم الشبيبة الإسلامية التي كانت معادية للنظام، وجعلوا من أدبيات سيد قطب ذات المنحى الراديكالي، مرجعية لهم، وكتابه معالم في الطريق شرعة ومنهاجا"⁵²².

إن البحث في الخلفيات الثقافية والفكرية للنخب المؤسسة لحزب العدالة والتنمية، يعود بنا إلى البدايات الأولى لهذه النخب التي لاشك كانت هي النواة الصلبة للتنظيم على مستوى صناعة الخطاب السياسي وعلى مستوى التواصل السياسي مع الجماهير، والتي جعلت طوال مسار انخراطها في العمل الإسلامي الحركي، من منطلقات الحركة الإسلامية المشرقية مرجعا لها بعد تأثرها "بأدبيات الإخوان المسلمين بمصر وسوريا، وهي أدبيات تتعلق بالمحنة

521 Ibid.

522 أوريد حسن، السياسة والدين في المغرب جدلية السلطان والفرقان، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2020، ص 81.

والتعذيب والسجون، وهجرة المجتمع، وكل ما هو مؤسساتي متأثرة ببرامج تكوينية تستند على كتابات سيد قطب، وزينب الغزالي، وأبي الأعلى المودودي وفتحي يكن⁵²³.

ولنعطي مثالا على هذا التوجه الذي شهدته النخب القيادية لحزب العدالة والتنمية، ونستشهد بتجربة عبد الإله بنكيران الأمين العام للحزب، الذي بدأ هو الآخر تجربته السياسية⁵²⁴، بالتقرب من حزب الاستقلال المحافظ ثم من حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية اليساري، فكان أن التحق بالشبيبة المدرسية القريبة من حزب الاستقلال ثم بالشبيبة الاتحادية سنة 1972، لكنه غادر الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بسبب ما اعتبره فضاء لا يستوعب الشباب من نوي التوجهات الإسلامية. بدأت علاقة بنكيران الخطابية مع الجماهير انطلاقا من سنة 1975، من خلال إلقاء دروس وعظية فقهية في المساجد، مستعينا بكتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي، الأقرب إلى التصوف منه إلى الإسلام الحركي. غير أنه بعدما تعرف على مجموعة من أعضاء الشبيبة الإسلامية في السنة نفسها، في أمسية لاستقطاب الشباب بحي يعقوب المنصور بالرباط، تغير توجهه وعرف منعظا حاسما في حياته، ويقول عنه بنكيران في أحد حواراته الصحفية⁵²⁵: " في نهاية تلك الأمسية تسلمت كتاب معالم في الطريق لسيد قطب رحمه الله، وقرأته في تلك الليلة وأصبحت في الغد شخصا آخر، وبدأت حياتي الثانية"⁵²⁶. كانت هذه بداية الانتماء لتنظيم الشبيبة الإسلامية لعبد الكريم مطيع.

ومن بين الإسلاميين الذين انتقدوا الارتباط بين التيار الإسلامي الذي أسس حزب العدالة والتنمية، مع جماعة الإخوان المسلمين، لاسيما في تبني تصور تنظيمي مشابه للتنظيم الذي أسسه حسن البنا، نجد فريد الأنصاري⁵²⁷، وهو أحد الوجوه الإسلامية التي أسست رابطة المستقبل الإسلامي رفقة أحمد الريسوني. أفرد الأنصاري في كتابه "الأخطاء

523 المتأقي البشير، الحركة الإسلامية والمشاركة السياسية بالمغرب حركة التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بمراكش، السنة الجامعية 2008-2009، ص: 30.

524 ابن كيران يبوحي بكل أسرار من تنظيم سري إلى رئاسة الحكومة، مجلة الزمان، العدد 21، يوليو 2015.

525 سحنون زكرياء، الخطاب السياسي لعبد الإله بنكيران قراءة في الأسس الفكرية والمنهجية، طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى 2016، ص: 18.

526 ابن كيران يبوحي بكل أسرار من تنظيم سري إلى رئاسة الحكومة، مرجع سابق.

527 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 57-76.

السة للحركة الإسلامية في المغرب"، فصل تحت عنوان "استصنام التنظيم الميكانيكي" للإخوان المسلمين. وقد فسّر التنظيم الميكانيكي بأنه "الأسلوب الإداري التنظيمي الذي يعتمد البناء الهرمي العمودي في إدارة العمل وتسييره، حيث تتركب هياكله بعضها على بعض على سبيل التحكم بين قطعها، فلا يتحرك الأدنى إلا بحركة الأعلى، والعكس غير صحيح". ويقول الأنصاري، أن حسن البناء هو أول من أنشأ تنظيمًا بهذه الصورة، لكنه ندم عليه فيما بعد. وقد اعتمدت الحركات الإسلامية بالمغرب نفس النظام الإداري لجماعة الإخوان المسلمين، مع تطوير قليل تمثّل في الاقتباس من الأنظمة الحزبية الحداثيّة ذات البناء الهرمي والتركيب الديمقراطي، مما قد يفرز "استصنامًا للأنا الجماعية"، وذلك أن طبيعة التنظيم الميكانيكي تجعل العمل كله يتحرك داخل دائرة مغلقة واحدة، ولا يسمح بالإبداع ولا التطور، فينتج الأنا الجماعي⁵²⁸. ويقول الأنصاري منتقدًا تضخيم الأنا الجماعية للتنظيمات الإسلامية: "من هنا يصيرُ التنظيمُ بهذه الصورة وسيلةً لاشعوريةً لبناء وهم (الجماعة الإسلامية الكبرى) المُتعالية عن الخطأ، وعمّا فيه الأمة من تدهورٍ وهوانٍ، فينمو فيهم الشعورُ بأنّهم همُ الأصل، وأن على غيرهم أن يكونوا لهم تبعًا، فتنتصب الجماعة معرضًا لاستعراض العضلات الحزبية تلبيةً للشعور المرضي بالنقص، ومعالجةً للإحساس بالهوان فيما تعانیه الأمة من جراحٍ ومأسٍ، ومن هنا يتضخم الإحساس بالتنظيم على حساب الإحساس بالإسلام نفسه، فتتجه سائر الأعمال الدعوية لخدمة الجماعة، حتى ولو تعارضت مع أحكام الشريعة في بعض الأحيان"⁵²⁹.

لقد شكلت كتابات سيد قطب، عند الإسلاميين في كتابيه "معالم في الطريق" و"في ظلال القرآن"، أدوات إيديولوجية للاستقطاب والتعبئة لحشد الأنصار، خصوصًا بعد إعدامه من قبل نظام جمال عبد الناصر، فتحول قطب حينها إلى بطل شهيد. تميزت كتبه بمفاهيم "الحاكمية" وإنشاء "الجيل القرآني الفريد" عبر ما سماه قطب "العزلة الشعورية" للمسلم في سبيل إنشاء "جيل الغضب"⁵³⁰ أو "جند الله" الذي سيقوم في الإطاحة بالأنظمة "الطاغوتية" التي

528 فريد الأنصاري، الأخطاء السنة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 6.

529 فريد الأنصاري، الأخطاء السنة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 76-77.

530 رفعت سيد أحمد، النبي المسلح الراضون، رياض الريس، ج1، لندن، 1991، ص: 101.

تحكم بغير ما أنزل الله، وأنه تبعاً لذلك يتعين "تكفير النظام القائم، وتكفير الحاكم والخروج عليه، وجواز قتاله، واغتنام أموال الدولة، ومحاربة الجيش والبوليس، واعتبار الخدمة بهما كفراً، فلا طاعة إلا للإمام، ويجب عصيان إمارة الكفر والسفه والجاهلية"⁵³¹.

هناك من يرى أن سيد قطب حضر عند عدد من المغاربة في تلك الحقبة، كمناضل إسلامي كغيره من العلماء الذين وقفوا في فترات تاريخية ضد السلطان الجائر من قبيل العز بن عبد السلام وأحمد بن حنبل وابن تيمية وسفيان الثوري وغيرهم، هذا بالإضافة إلى أن المغاربة كانوا يتعاملون مع سيد قطب كمفكر وقف ضد جمال عبد الناصر القومي الذي كان مرفوضاً من قبل الإسلاميين لما وصفوه من حاكم مستبد وعلماني، وأيضاً كان مرفوضاً عند النظام السياسي على عهد الملك الراحل الحسن الثاني بسبب التحالفات الإقليمية إبان الحرب الباردة⁵³².

ومن الأمثلة التي تؤكد هذه المفارقة في حضور سيد قطب لدى المغاربة غير المنتمين إلى حركات الإسلام السياسي، هو ما قام به علال الفاسي بعدما تم تنفيذ حكم الإعدام على سيد قطب عام 1966، بإعادة طبع كتابه "معالم في الطريق"، حيث أصدرت مطابع الرسالة التابعة لحزب الاستقلال نسخة جديدة منه سنة 1966 ضمن سلسلة الجهاد الأكبر. ولم يكتف علال الفاسي بذلك بل كتب مقالة قوية في حق قطب نشرت في جريدة العلم، يدافع فيها عن أفكار سيد قطب ويفند فيها الاتهامات التي وجهت لكتاب "معالم في الطريق"، وقد ذكر علال الفاسي في هذا المقال أن صديقه سيد قطب أهداه نسخة من كتاب "السلام العالمي والإسلام"، وأنه قد قرأه وأعجب به⁵³³.

ثانياً - الإخوان المسلمون والسلفية

من بين أحد أهم الأسئلة المحورية في دراسة مكونات التطرف الديني الذي يؤسس نظريته للمجتمع على الإسلام، هو هل يملك التطرف الديني مشروعاً سياسياً لفهم أولويات المجتمع وهل لديه فعلاً عمقاً تصورياً لبناء الدولة

531 حنفي حسن "الأصولية الإسلامية"، سلسلة الدين والثورة في مصر 1981-1952، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص: 114.

532 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 182

533 عبد العلي حامي الدين، "علال الفاسي ومصرنة المغرب"، 12 يوليوز 2015، في الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية، انظر

الرابط: <https://www.pjd.ma/14994-7550.html>

وسياساتها التدييرية؟ وإذا حاولنا مقارنة هذا السؤال فإنه بالضرورة يحيلنا على مطارحة الوصف النظري لمنابع السلوك الفكري والاجتماعي للمتطرف. كما تفترض محاولة القرب من العمق النظري للتطرف، دراسة أو على الأقل ملامسة الخطوط الناظمة لخطاب المتطرفين. فالنظر في الجانب الخطابي للتنظيمات المتطرفة، كمحتوى و كرموز وإشارات من شأنه أن يقرب الباحث من كنه المرجعيات التي ينبنى هذا عليها السلوك المتطرف العنيف منه خصوصا.

وإذا ما تأملنا في البناء الاجتماعي والتاريخي لخطاب التطرف المفضي إلى سلوك عنيف وإلى الإرهاب، فإننا نجده في بناءه وألفاظه ومعانيه هو خطاب مأزوم نشأ كتعبير عن وجود أزمة عقديّة اعتبرها الرافضون للمجتمع وليدة نكوص ديني وتراجع عن قيم الأمة الإسلامية بفعل تدخلات أجنبية، أفضت إلى إنهاء الخلافة الإسلامية في بدايات عشرينيات القرن الماضي. فبعد ظهور ما اصطلح عليه عدد من الباحثين والمؤرخين بالسلفية الإصلاحية مع جيل من الرواد كرشيد رضا ومحمد عبده وغيرهما، برزت في المجتمعات المشرقية العربية والإسلامية في مصر ولبنان وحتى في باكستان سلفية جديدة تحمل خطابا "مأزوما" متحسر على سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية في ظل موجة إمبريالية غربية قوية على المنطقة العربية والإسلامية⁵³⁴.

وبذلك فإن جل الدارسين لظاهرة التطرف الديني العنيف يجعلون من سقوط الخلافة الإسلامية والاستعمارات الغربية للمنطقة العربية والإسلامية، وسقوط فلسطين وتأسيس دولة اسرائيلية فيها بدعم غربي، نقطة تحول عميق أفرزت خطاب أزمة يدعو إلى العودة إلى أصول الدين الإسلامي، والاقلاع عن تقاليد وثقافة الغرب التي اجتاحت المنطقة، وإلى التصدي للامتداد الشيوعي "السوفييتي" في الفكر والثقافة العربية، و الذي تعتبره التوجهات الدينية الإسلامية أنه توجه ملحد و"كافر" يحارب الدين، من هنا نشأت قراءات "متسلفة" متشددة في التعاطي مع قضايا المجتمع وأولويات الدولة العربية⁵³⁵.

534 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 60-82.

535 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، ص: 7-9.

وقد يستخلص الباحث الدارس للمد السلفي في المنطقة أن هذا المد غير منسجم داخليا وأنه ليس كتلة فكرية واحدة، إنه متعدد السلفيات والقراءات للدين والتدين. كما أن عددا من التنظيمات الإسلامية الناشئة عقب سقوط الخلافة الإسلامية لم تستطع أن تحدد لنفسها هوية واضحة، بل إن كل التعريفات التي أعطتها لنفسها ظهر فيها نوع من التناقض والالتباس، ومنها جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا في أواخر العشرينيات من القرن الماضي. جاء في رسائل حسن البنا في تعريفه لجماعته أنها: "دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية"⁵³⁶، وسجلها قانونيا كجمعية خيرية ذات توجه صوفي، مما أضفى عليها في بداية النشأة وصفا معتدلا ومتسامحا، وقد تميز حسن البنا بامتلاكه لغة تقليدية لغة الوعظ وعلى قدرة ملحوظة على تحريك الجماهير والتأثير فيها⁵³⁷.

وقد اعتبرت الجماعة في بدايتها من قبل المتعاطفين معها، أنها رابطة اسلامية يجتمع تحت مظلتها المسلمون جميعا دون تفرقة أو تمييز. وبالنظر إلى تركيبها فإن روح التصوف كانت حاضرة بقوة في البناء التنظيمي للجماعة منذ النشأة الأولى⁵³⁸، حيث احتلت الأذكار والوظائف الصوفية جزءا هاما من مقررات التأطير والتربية في الحركة، إلى جانب اتسام البناء التنظيمي بكونه بناء لجماعة حركية جمعت بين التقاليد الصوفية والعسكرية في شقه المتعلق بالتدريبات والمعسكرات الشبيهة بمعسكرات الكشافة، وأيضا بتنظيمها الهرمي الصارم و"السلطوي" غير المنسجم مع بناء الطرق الصوفية حيث العلاقة سلسلة و مباشرة بين الشيخ والمريد. وتميزت المقررات الثقافية للجماعة باحتواء عدة كتب للمتصوفة مثل شرح المسترشددين للحارث المحاسبي، والأنوار المحمدية للنبهاني والرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، وغيرها الكثير من كتب الصوفية⁵³⁹.

536 حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، دار الشروق، الطبعة الثانية، 2013، القاهرة، مصر، ص: 95-135.

537 Anouar Abdelmalek, La pensée politique Arabe, Éditions du Seuil, France, 1970, p: 72.

538 حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، مرجع سابق.

539 حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، مرجع سابق.

وقد ارتفعت موجات "التسلف" داخل جماعة حسن البنا مع ارتفاع نسبة القبول والانخراط في الجماعة، في سياق مأزوم سياسيا في مصر وفي المنطقة العربية والإسلامية ككل. يرى حسام تمام المتخصص المصري في البحث في الحركات الإسلامية، في دراسة له بعنوان «تسلف الإخوان.. تآكل الأطروحة الإخوانية وصعود السلفية في جماعة الإخوان المسلمين» صدرت عن مكتبة الإسكندرية عام 2010، أن جماعة الإخوان في سنوات التأسيس الأولى بدأت بوصفها وريثة للسلفية الإصلاحية التي كان الشيخ رشيد رضا أبرز رموزها قبيل تلك الفترة، غير أن المكون السلفي بالجماعة كان آنذاك كامنا مرنا داخلها وغير صدامي مع الدولة والمجتمع على الأقل الى حدود الأربعينيات من القرن العشرين⁵⁴⁰.

تناول تمام مراحل تطور المكون السلفي داخل جماعة الإخوان بوصفه يمثل عددا من الموجات المتتالية، حيث جاءت الموجة الأولى عقب تعرض ستة من قيادات جماعة الإخوان للإعدام عام 1954، ودخول عدد كبير منهم السجون، ما أدى إلى ارتحال العديد من قياداتها ومن المنتمين إليها نحو عدد من دول الخليج منها قطر والكويت والإمارات العربية والمملكة العربية السعودية التي استقبلت النسبة الغالبة منهم، والتي وصفها تمام بكونها "محضن التيار السلفي الوهابي"⁵⁴¹. جاءت الموجة الثانية مع عودة هؤلاء المرتحلين إلى مصر بمنتصف سبعينيات القرن الماضي محملين بما اطلعوا عليه من مكون سلفي وهابي، في بيئة اجتماعية مغلقة تم فيها بشكل تدريجي تبني كل ما يرتبط بمظاهر التشدد السلفي من ارتداء النساء للنقاب وانخفاض مساحة الانفتاح على مختلف الفنون والآداب وأنماط الحياة، التي كانت معروفة ومقبولة لدى الأسر الإخوانية من قبل⁵⁴².

شهدت سبعينيات القرن الماضي توسعا ملحوظا للتيار السلفي بين صفوف الطلاب في مصر، وعاد الإخوان إلى تأسيس مجلة «الدعوة» عام 1976، لسان حال الجماعة التي كانت تصدر أيام حسن البنا وتوقفت مع هجرة

540 حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، مرجع سابق.

541 نفس المرجع السابق.

542 نفس المرجع السابق.

قيادات الإخوان خارج مصر⁵⁴³. ولاحظ الباحثون أن هذه المجلة شهدت نوعا ما من الخروج عن الخط التأسيسي لجماعة الإخوان المسلمين برافدها الصوفي الملحوظ، إلى نوع من التماهي مع الفكر السلفي حيث ضمت العديد من المقالات التي كانت أقرب للخطاب السلفي منها لدعوة الإخوان، ذلك أنها تناولت قضايا عقد الذمة وحرمة بناء الكنائس ولزوم دفع الجزية ووجوب تطبيق الشريعة دون تقييدها برضا حاكم ولا محكوم وبحرمة الغناء والموسيقى⁵⁴⁴.

عرفت مرحلة ثمانينيات القرن الماضي كمون السلفية الإخوانية بعد اغتيال الرئيس المصري أنور السادات وانطلاق حملة اعتقالات كبيرة في صفوفهم، ثم هجرة بعضهم للمشاركة مع الأفغان في الحرب ضد الاتحاد السوفيتي، إلا أن مرحلة التسعينيات من القرن الماضي شهدت الموجة الثالثة، حسب دراسات وبحوث كثيرة، تلك التي كانت بمثابة ميلاد جديد للمكون السلفي داخل جماعة الإخوان المسلمين⁵⁴⁵. و يرى المتهمون بالتنظيمات الإسلامية السلفية، أن انطلاق زمن الفضائيات في تسعينيات القرن الماضي، خلق زحفا جديدا للمد السلفي في المنطقة العربية، خصوصا بعد فشل عدد من السياسات العمومية العربية في احتواء الحاجيات العقدية لمواطنيها، مما دفع عدد منها إلى إجراء تعديلات على قواعد تدبير المجال الديني مع نهاية التسعينيات من القرن الماضي⁵⁴⁶.

و يرجح مختصون أنه مع بدء البث الفضائي انطلقت العديد من القنوات الفضائية ذات الخلفية السلفية، فبرز عدد من شيوخ الإخوان السلفيين الذين تمكنوا من الجمع بين التعليم المدني وبين العلم الشرعي الذي حازوا عليه في مصر والمملكة العربية السعودية. وقد تعرضت بذلك جماعة الإخوان المسلمين ما وصفه عدد من الباحثين لهزة تنظيمية كبيرة في أعقاب عقد الانتخابات الداخلية لها نهاية عام 2009 وبداية 2010، حيث أسفرت تلك الانتخابات عن تصدر العديد من رموز التيار التنظيمي المحافظ، ما مثل حالة من انسحاب الجماعة عن رؤيتها التوافقية التي

543 نفس المرجع السابق.

544 حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، مرجع سابق.

545 نفس المرجع السابق

546 نفس المرجع السابق.

عرفت بها في مرحلة التأسيس، نحو حالة من "التسلف" أو التحول للسلفية⁵⁴⁷. انتهت انتخابات يناير 2010 داخل هياكل الجماعة بانتخاب محمد بديع مرشدا ثامنا للجماعة الإخوانية، وهو الذي يصفه بعض الباحثين بأحد أبرز المنتمين للتيار القطبي المتشدد الذي يمتد فكره إلى سيد قطب، وبصحبته محمود عزت وجمعة أمين نائبين له.

هكذا ظهر السلفيون الكامنون وتعاظم شأنهم ودورهم داخل الجماعة، ومن ثم حدثت العديد من المعارك التي خرج منها السلفيون منتصرين فبات أربعة فقط من أصل خمسة عشر من مكتب الإرشاد غير ملتحين. وبذلك برزت أزمت ملاحقة بعض الكتب والأعمال الفنية التي يرى السلفيون أنها من المحرمات، وتعد قضية المواطنة واحدة من أهم القضايا التي شهدت تراجعا ملموسا لدى جماعة الإخوان المسلمين بتأثير من مكوناتها السلفية⁵⁴⁸.

ونتيجة لبروز المكون السلفي فقدت جماعة الإخوان المسلمين كثيرا من مرونتها وظهر منتسبون لها بخطاب متشدد يميل إلى التطرف ورفض المجتمع والدولة، وفقدت الكثير من قدراتها على ضمان التنوع الداخلي، إضافة إلى أنها اتجهت نحو مزيد من التتميط والمحافظة. ولعل عدم قدرة الجماعة على ضبط ايقاع المجتمع المصري بعد ربيع 2011 وعلى التعامل مع مختلف التناقضات الداخلية والخارجية دليل على عدم وضوح الرؤيا وعلى عدم القدرة على الخروج من خطاب الأزمة التاريخي وعلى تبني تسلف غير منسجم مع روافد ثقافة القرن الواحد والعشرين "المعولمة"، وعلى عدم تجديد في الخطاب والسلوك من منظور التطورات المجتمعية والجيوسياسية⁵⁴⁹.

وتعتبر السلفية كمفهوم من المفاهيم التي أثارت الكثير من الجدل في الأدبيات العلمية والسياسة والإعلامية خصوصا مع ارتفاع موجات التطرف العنيف والإرهاب. ويمكن القول عموما أن كل دين أو منتج فكري بشري يتميز بهذه الرغبة الدفينة في العودة إلى الأصول الأولى، بدافع البحث عن النقاء والأصالة وربما للتطهير من بعض شوائب الحاضر كما يرى عدد من رواد هذا الفكر. وشهد الإسلام هذه النزعة عند تيار واسع من المسلمين، تيار دعا أتباعه

547 نفس المرجع السابق.

548 حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، مرجع سابق.

549 نفس المرجع السابق.

إلى العودة إلى الماضي واستلهاً التجربة الأولى، وربما الدعوة إلى استتساخها اعتقاداً منهم أنها هي الأساس الذي ينبغي اقتباسه وإحيائه بحذايره دون الالتفات كثيراً إلى ظروف هذا الماضي وأوضاعه. هذا التوجه يخلق غالباً الصدمات والمواجهات بين رواه وبين من لا ينتمون إليه، بل ويخلق غلواً وتطرفاً وتكفيراً أحياناً كثيرة. ويرجع بعض الباحثين، نشأة السلفية إلى أحمد بن حنبل مؤسس أحد المذاهب السنية الأساسية، ثم تقعدت مع تلامذته وتلامذة تلامذته كابن تيمية وابن القيم الجوزية، وكانت في البداية رداً على الانحراف في فهم العقيدة الإسلامية وفي تأويل النصوص. استعادت السلفية حياتها بعد ذلك بقرون مع محمد بن عبد الوهاب، لتقاوم مع اعتبرته أشكالاً جديدة من الوثنية والبدع والانحراف. فتحوّلت إلى أرضية فكرية لمعظم حركات الإصلاح الفكري والسياسي التي شهدتها العالم الإسلامي على أيدي جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أو مع حسن البنا وحركة الإخوان المسلمين، أو مع أبو الأعلى المودودي لتتحول في موجة رابعة إلى تيار عالمي متشعبة في تيارات واتجاهات فكرية متعددة⁵⁵⁰.

يقسم بعض الباحثين المختصين السلفية المعاصرة إلى عدة سلفيات، بعضها أكثر تأثيراً في العالم الإسلامي والعربي من حيث الانتشار والتأثير السياسي والاجتماعي. ومن جملة ذلك تصنيف عماد عبد الغني في كتابه السلفية والسلفيون⁵⁵¹، الذي اهتم بأربعة أنواع منها، وهي السلفية العلمية أو الألبانية، نسبة إلى الشيخ الألباني الذي يرى أن قيام الدولة الإسلامية يقتضي بداية التصفية والتربية عن طريق أسلمة المجتمع. وهي سلفية محافظة وتقليدية تهتم بتحقيق التراث وتصحيح الحديث النبوي، كما أنها حركة دعوية سلمية تعطي قدسية للحديث النبوي ومنتشرة في الشرق الأوسط والشام والحجاز⁵⁵².

هناك السلفية الحركية أو السرورية نسبة إلى القيادي الإخواني السوري السابق، الشيخ محمد سرور زين العابدين بن نايف، والذي درس في السعودية وفي لندن ببريطانيا. ظهرت حركته بالسعودية وانتشرت في الجزائر مع

550 عماد عبد الغني، السلفية والسلفيون الهوية والمغاربة قراءة في التجربة اللبنانية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2016، ص: 21-106.

551 نفس المرجع السابق.

552 نفس المرجع السابق.

ممثل الحركة الشيخ علي بلحاج نائب جبهة الإنقاذ المحظورة. اعتمدت هذه الحركة على التوفيق بين التصورات القطبية المودودية في الرؤيا المنهجية للتغيير، وبين التوفيق بين عقيدة الولاء والبراء ومفاهيم الحاكمية والجاهلية، وبين الأسس الفقهية العقدية للسلفية الوهابية في التعاطي مع الأصول ومصادر التشريع. هناك أيضا السلفية الجامية نسبة إلى شيخها السعودي محمد أمان الجامي عميد كلية الحديث سابقا في الجامعة الإسلامية بالمدينة. ومنهم من يطلق عليها سلفية السمع والطاعة للحاكم، ظهرت هذه الحركة في سياق ارتفاع حدة الانتقادات الموجهة للسلطة في السعودية بعد حرب الخليج الثانية ولاعتمادها على جهات أجنبية للدفاع عن المقدسات⁵⁵³. يقوم الخطاب السلفي الجامي الذي أطره بشكل رئيسي، ربيع بن هادي المدخلي، على الاعتراض على الحركة السلفية والولاء للعائلة المالكة السعودية، وعلى رفض ممارسة التحزب والسياسة الذي يحرف الناس عن العلم⁵⁵⁴.

وأخيرا هناك السلفية الجهادية التي دمجت مفهومي الجهاد كفريضة والمكون السلفي كأصل عقدي. برزت بشكل واضح عندما التقى السلفيون مع المجاهدين الأفغان ضد الغزو السوفييتي منذ بداية الثمانينات من القرن الماضي. تعتمد في حركتها على "كفرانية" النظم السياسية العربية والإسلامية القائمة وعلى مفهوم الولاء للإسلام والبراء من الأنظمة ومن الطاغوت الكافر. كما تستند الحركة السلفية الجهادية على مفهومي الجاهلية المعاصرة التي تعيش فيها المجتمعات والدول المعاصرة الطاغية التي كفرت بالله وبتشريعه، واتبعت تشريعات دنيوية باطلة. لذلك فهي تقول بنظرية سيد قطب في أن من شروط الإيمان هو التسليم بأن الحاكمية لله، وأن جميع التشريعات ينبغي أن تكون مطابقة لتشريع الله الذي انزله في القرآن، كما أنها حركة تتبنى الجهاد وقاتل الكفار من أجل نشر عقيدة التوحيد⁵⁵⁵.

ثالثا - ارتباط عقدي وفقهي بالحركة السلفية وبالوهابية

553 عماد عبد الغني، السلفية والسلفيون، مرجع سابق.

554 نفس المرجع السابق.

555 نفس المرجع السابق.

يقول فريد الأنصاري أن ارتباط التنظيمات الإسلامية في المغرب مع التوجهات السلفية المشرقية تؤكد عدة شواهد. ويقول إنه قد وقع "استيراد مذهبي حنبلي باسم الكتاب والسنة"، في جوانب فقهية وأخرى أصولية منهجية⁵⁵⁶. فيما يتعلق بالجانب الفقهي، يذكر الأنصاري مجموعة من الأحكام الفقهية التي وردت عند الحنابلة، وتبناها التيار السلفي، كوجوب النقاب وعدم جواز مس اللحية، ووجوب الخروج من الصلاة بتسليمتين، وتكفير تارك الصلاة، وتبديع القول بالقنوت في صلاة الصبح وغيرها⁵⁵⁷. وفي هذا الصدد جادل الشيخ محمد الغزالي بعض السلفيين المتشددين في بلاد عربية أخرى، جعلت الشيخ الغزالي يرد عليهم بشكل أقل ما يقال عنه أنه غاضب فيقول عنهم: "أن هناك أمورا يقم فيها السلف إقحاما، ولا علاقة لهم بها، فما دخل السلف في فقه الفروع واختلاف الأئمة فيه؟ ومن الذي يزعم أن ابن حنبل هو ممثل السلفية في ذلكم الميدان، وأن أبا حنيفة ومالكا والشافعي جاروا على الطريق، وأمساوا من الخلف لا من السلف، إن هذا تفكير صبياني، وبعض من سماوا بالحنابلة الذين حكى تاريخ بغداد أنهم كانوا يطاردون الشافعية لحرصهم على القنوت في صلاة الفجر هم فريق من الهمل لا وزن لهم وأنا موقن بأن الإمام أحمد نفسه لو رآهم لأنكر عليهم وذم عملهم"⁵⁵⁸. ونسب الغزالي هذا التوجه المعيب في الفهم إلى "علماء يعرفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم بأن للمجتهد أجرين إذا أصاب، وأجرا واحدا إذا أخطأ، وأن العيب ليس في "رعاع يمزقون شمل الأمة بتعصبهم"⁵⁵⁹. ويقول الغزالي في هذه النازلة أنه "لو فرضنا جدلا أن الحق مع الحنابلة والأحناف في أنه لا قنوت في الفجر فمن الذي يحرم مالكا والشافعي أجر المجتهد المخطئ". تكمن المشكلة في نظر الغزالي في أن نفرا "من الناس (يقصد منتسبون للسلفية) يرون الحق حكرا عليهم وحدهم، وينظرون إلى الآخرين نظرة انتقاص واستباحة". ووصف

556 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 128.

557 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 129-131.

558 محمد الغزالي، هموم داعية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السادسة، 2006، ص: 12-13.

559 نفس المرجع السابق.

الغزالي هؤلاء "المتعصبون" للفرعيات أنهم مرضى نفسانيون، مشبههم بـ "الجزار" الذي يشتغل بالفتوى "قلن تراه أبداً إلا باحثاً عن ضحية"⁵⁶⁰.

ويذكر الأنصاري أيضاً كثرة النقل عن علماء الحنابلة، وشيوع تلقيب ابن تيمية بشيخ الإسلام، مع أن في علماء المالكية المغاربة من لُقّب بذلك، وشيوع تلقيب الإمام أحمد بإمام أهل السنة والجماعة مع أحقية الإمام مالك بذلك، والعزو للإمام أحمد قبل غيره من الأئمة لدى تخريج الأحاديث⁵⁶¹. كما تميز سلوك هذه التنظيمات السلفية برفض التصوف بإطلاق، مما يجعلهم في مخالفة سلفية ابن تيمية في تفرقه بين أنواع المتصوفة، وعدم اعتماد السلفية على المدرسة الصوفية السنية المغربية⁵⁶². ويشكل "مفهوم التصوف السني المجال الأوسع الأرحب لرد كل سلوك في هذا الشأن إلى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ثم مشاهير الزهاد والعباد من التابعين وأتباعهم، ممن أجمعت الأمة على فضلهم، كالإمام الجنيد شيخ القوم وإمامهم، وإذن يكون رجال السلفية بذلك مصلحين للبلاد والعباد من الداخل لا من الخارج، ويكونون ألقه لأحوال الناس وأدرى بطبيعة أدوائهم"⁵⁶³.

يذكر الأنصاري أموراً كان على السلفية أن يأخذوا بها وأنه "كان حرياً برواد التيار السلفي بالمغرب أن يدرسوا تاريخ المذهب المالكي لتأصيل مقولاتهم فيه، وأن يشتغلوا برّد كل متونه ومنظوماته إلى أصلها من الكتاب والسنة"⁵⁶⁴، وأن "يبدؤوا بصغار العلم قبل كبارهم، فيؤسسوا التعلم على المذهب المالكي أولاً، ثم يرتقون به إلى محاولة الاجتهاد في إطاره، ثم رتبة الاجتهاد المطلق"⁵⁶⁵.

ويقول الأنصاري في التوجهات الدعوية لهذه التنظيمات: "إن المشكلات الدعوية للبلد غير ما يتصورون، (يقصد التنظيمات الإسلامية ذات القراءات السلفية) وغير ما يتوهمون، وغير ما يستوردون من المشرق من قضايا

560 محمد الغزالي، هموم داعية، مرجع سابق.

561 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 132-135.

562 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 157-164.

563 نفس المرجع السابق، ص: 170.

564 نفس المرجع السابق، ص: 141-144.

565 نفس المرجع السابق.

ومعارك⁵⁶⁶. ويرى محمد ضريف أنه بعد أحداث 16 ماي 2003، أعادت الدولة النظر في طبيعة علاقتها بالتيار الصوفي، بحيث عملت على تأسيس تحالف استراتيجي معه، من أجل مواجهة كل ما من شأنه المس بثوابت الدولة، وفي مقدمتها المؤسسة الملكية الحاضنة لمؤسسة إمارة المؤمنين والسلطة الدينية. ويقول ضريف أن هذا الدور طلب من الفاعل السلفي باتجاهيه أي السلفي التقليدي والسلفي الوهابي أن يؤديه، لأن المواجهة الرئيسية كانت ضد تيار سلفي عنيف وهو ما يسمى "بالسلفية الجهادية". وكانت الدولة حينها قد "استعانت برموز السلفية الوهابية أو السلفية التقليدية، سواء داخل المجالس العلمية أو حتى في تنشيط الحقل الديني"⁵⁶⁷. وكان من بين أسباب لجوء الدولة إلى التيارات السلفية المعتدلة، لمواجهة خطر العنف الديني المفضي إلى الإرهاب وإلى التكفير وإلى إنشاء دولة الخلافة الإسلامية، هو تأثير الدولة السياسي كان محدودا مقارنة مع تنظيمات الإسلام السياسي كجماعة الاخوان المسلمين أو جماعة العدل والإحسان أو حتى حركة التوحيد والإصلاح. فقد عرف عن السلفية التقليدية في المغرب، أنها تدعو باستمرار إلى طاعة ولي الأمر وترى في الخروج عليه معصية وفتنة للمسلمين، وهو نفسه توجه السلفية الوهابية في المشرق العربي⁵⁶⁸.

وهناك من يرى أن السلفية الوهابية تعد المرحلة الثالثة من حياة السلفية⁵⁶⁹، فبعد مرور قرون على مرحلة السلفية مع ابن تيمية⁵⁷⁰ التي عرفت تراجعا ملحوظا، ظهرت من جديد في القرن الثامن عشر الميلادي من خلال الدعوة الجديدة للعودة للإسلام في حلة الحركة الوهابية، في شبه الجزيرة العربية مع محمد بن عبد الوهاب. تزامن ظهور هذه الدعوة السلفية الجديدة من الأرض التي بعث منها النبي محمد عليه الصلاة والسلام ونشأ فيها الإسلام، مع تقادم أوضاع المنطقة الإسلامية والعربية فيما عرف بعصر الانحطاط، وضعف الدولة العثمانية ثم مع بدايات حملات

566 نفس المرجع السابق، ص: 150.

567 ضريف محمد، الفاعلون الدينيون بعد 16 ماي، مرجع سابق.

568 نفس المرجع السابق.

569 المهداوي أحمد، "محطات تاريخية في تطور الفكر السلفي"، المركز الديمقراطي العربي، 15 نونبر 2016، رابط الدراسة:

<https://democraticac.de/?p=39954>

570 محمد أبو رمان، أنا سلفي، منشورات مؤسسة فريدريش إيبيرت، عمان، 2014، ص: 45.

الاستعمار الغربي. من أهم ما جاء في دعوة محمد بن عبد الوهاب هو توحيد الله سبحانه، ومنع التوسل بغير الله، ورفض التبرك بالقبور والأضرحة، وقد ساهم في إحياء تراث ابن تيمية. ويعد كتاب التوحيد، من أهم الأدبيات التي أنتجها محمد بن عبد الوهاب، الذي وضح فيه أصول العقيدة السلفية، والوهابية من الناحية الدينية واعتبرها دعوة إصلاحية تطهيرية، تسعى للحفاظ على الهوية عبر التمسك بظاهر النص. جعل السلفيون وعدد من الحركات الإسلامية منها حركة التوحيد والإصلاح من هذا الكتاب مرجعا في برامج تكوين المنتسبين إليها، وأداة في الدعوة وفي محاجة الخصوم⁵⁷¹.

يعتبر عدد من الباحثين أن أهم مؤسسي وأبرز رموز الحركة السلفية الوهابية بالمغرب في القرن العشرين، هو تقي الدين الهاللي⁵⁷²، خريج جامع القرويين، ويعتبرونه المؤسس الحقيقي للمدرسة السلفية بالمغرب في العصر الحاضر. اكتسب الهاللي شهرة كبيرة في العالم العربي وفي المغرب، وعاش مرحلة بحث عن العلم في مصر وفي المملكة العربية السعودية والتقى بكبار منظري السلفية كالشيخ رشيد رضى، وعاش فترة اغتراب في ألمانيا كما شارك في مقاومة الاستعمار الفرنسي. كان لتقي الدين تلاميذ كثر⁵⁷³، أنشأوا الحركة الإسلامية بالمغرب، وذلك منذ أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي، حيث كانت التنظيمات الإسلامية الناشئة آنئذ تستفيد من تأطيره العلمي والديني. وقد كانت لتقي الدين الهاللي علاقة معروفة مع مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا وأنه اقترح نفسه مراسلا لجريدة الإخوان المسلمين لما طلب البنا ذلك⁵⁷⁴.

يقول الأنصاري أن انطلاق الحركة الإسلامية بالمغرب كان متداخلا بالفكر السلفي، وذلك منذ أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضي، وكانت التنظيمات الإسلامية الناشئة تستفيد من التأطير العلمي لرموز الحركة

571 محمد أبو رمان، أنا سلفي، مرجع سابق، ص: 46-47.

572 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 174.

573 أبو اللوز عبد الحكيم، الحركات السلفية في المغرب (1971-2004) بحث أنثروبولوجي وسوسولوجي، سلسلة أطروحات الدكتوراه،

79، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نونبر 2009، ص: 289.

574 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 123-124.

السلفية بالمغرب أمثال الدكتور تقي الدين الهلالي ومحمد الزمزمي وغيرهما⁵⁷⁵. وقد تعرضت الدعوة السلفية في المغرب إلى اختلالات في "موازن الحكمة والإنصاف والحلم"، وعليه، "فقد كان لهذا وذاك مما ذكرنا من موازين مُختلّة أثرٌ بالغٌ على انحراف التيار السلفي وانزلاقه إلى اتجاهات أخرى وُظِّفت أحيانًا لضرب الإسلام نفسه، فمع أواخر القرن العشرين الميلادي لم يلبث جيل الخلف من المدرسة السلفية أن تغيّرت أحواله، واضطرب اتجاهه بسبب تعرضه لفتن مذهبية وأخرى سياسية، فشطّت به رياح الأهواء إلى ضربٍ من الانحراف المنهجي، والتعصّب المذهبي، واستصنام المشايخ والزعماء، مما أدى فيما بعد إلى أن تكونت منه تيارات وفرق شتى، كان لها أكبر الأثر في توتر الساحة الدينية بالمغرب وإرباك مسيرة الصحوة الإسلامية إرباكًا شديدًا"⁵⁷⁶. فكانت نتائج تطور الاتجاهات السلفية من "مجرد تيار دعوي تجديدي تتلخص وظيفته في محاربة البدع وإحياء السنن في العقائد والعبادات إلى فاعلٍ سياسيٍّ كبيرٍ، يُوظَّفُ سلبيًا وإيجابيًا على المستوى العالمي والمحلي"⁵⁷⁷.

وهناك من يرى أن الدولة المغربية تبنت خلال نهاية القرن الثامن عشر، مع فترة حكم السلطان المولى سليمان الدعوة الوهابية، التي يعتبرها البعض أنها كانت ايدلوجية الدولة الدينية حينها، بعدما توصل السلطان المولى سليمان برسالة وهابية، عن طريق الحجاج الذين لعبوا دورا مهما في نقل تعاليم الحركة الوهابية للمغرب، مع أن عددا من المؤرخين يقولون بعكس ذلك وبأن الاتصال بالوهابية عن طريق الحجاج لم يكن سوى في القرن التاسع عشر⁵⁷⁸. فالفترة التي عاشها السلطان المولى سليمان، كانت فترة ثورات عالمية كبرى، أهمها الثورة الفرنسية وظهور أفكار تحررية وأخرى تدعو إلى تحرير المرأة، وأخرى مرتبطة بتحويلات صناعية كبرى في أوروبا خلقت نوعا جديدا من الأطماع التوسعية لاسيما الثقافية حينها. ولعل حرص السلطان المولى سليمان على الوحدة الثقافية للبلاد، وعلى

575 نفس المرجع السابق.

576 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 112.

577 نفس المرجع السابق، ص: 125.

578 المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2006، ص: 231-232.

استقرارها أمام زحف فكر الثورة الفرنسية، جعل من الملاذ الديني وسيلة وقائية لحماية الحكم وحماية قيم الأمة المغربية. وتحدث عدد من المؤرخين، عن شخصية السلطان المولى سليمان التي تميل إلى السلم والهدنة والزهد حتى أنه أوصى بالملك من بعده، في وصيته الشهيرة لابن أخيه المولى عبد الرحمان بن هشام ولم يوص لأحد من أبنائه أو لإخوته. هذا إضافة إلى التكوين العلمي الفقهي والشرعي الذي تلقاه على يد والده السلطان المولى محمد بن عبد الله الذي تربي في كنف عالمة والفقيرة جدته خنثة بنت بكار زوجة السلطان إسماعيل⁵⁷⁹.

وإذا كانت الدولة المغربية ومؤسساتها وإعلامها لاسيما الديني من خلال قناة وإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم، تقر بأن المذهب المالكي هو القراءة المرجعية في تدين المغاربة، فإن الجانب المعياري القانوني يظل في نظرنا غير صارم في التبني المطلق للمذهب المالكي، مما قد يفيد بوجود رغبة للدولة في ترك الباب مفتوحا على الاجتهادات الفقهية في المذاهب الأخرى، والاستفادة من الحلول الفقهية والتدنيية للمغاربة التي تقدمها، بحيث ليس هناك أي قاعدة دستورية تقيد بالمذهبية المالكية للدولة، وأن إقرار التوجه المالكي الأشعري والصوفي السني، يظل مرتبطا بالأعراف التاريخية الراسخة، وبالخطب والرسائل الملكية، التي يختلف الفقهاء في قيمتها الدستورية المطلقة، أو في ديباجات بعض الظهائر الملكية مثل الظهير الشريف رقم 1.80.270 المؤرخ في 3 جمادى الآخر 1401 هـ الموافق لـ 8 أبريل 1981، والظهير الشريف رقم: 1.03.300 المؤرخ في 2 ربيع الأول 1435 هـجريا الموافق 22 أبريل 2004 ميلادية، مما يبقى السؤال مشروعا حول الأساس الدستوري والقانوني لاعتماد المذهب المالكي ولمجازاة مخالفته، وأيضا للقيمة الدستورية لهذه الكتلة من الأعراف التي يمكن اعتبارها فوق دستورية. وما يزكي هذه الفكرة هو خروج الاجتهاد الفقهي الشرعي عن المذهب المالكي، في التشريع كما هو الشأن في بعض مواد مدونة الأسرة التي تبنت مذاهب فقهية أخرى كالحنبلية مثلا في المادة (الزواج من حامل أثناء الخطبة) وغيرها من المواد.

579 انظر ما سبق بسطه في هذه الأطروحة حول مراحل من تاريخ المغرب.

ويعد مجال الإفتاء أحد رهانات الخطاب الديني الرسمي وهو محصور في مؤسسة رسمية هي المجلس العلمي الأعلى الذي يترأسه الملك. وبالرغم من ذلك فإن الفاعلين غير الرسميين في المجال الديني كالحركات الإسلامية، ورغم وجود مذهب ديني فقهي رسمي واحد سائد في المغرب هو المذهب المالكي، إلا أنّ فقهاء وقيادات الحركات الإسلامية، ومن بينها حركة التوحيد والإصلاح وعدد من الحركات السلفية بالمغرب، يشكّلون واقعا متعددًا بناء على مرجعيتهم الفقهية والدينية، غير مطابق لمذهب الدولة. ولذلك فهناك تماثلا مخالفا أحيانا للسلطة الدينية المجتمعية، تظهر من خلال محاولات الإفتاء من خارج المؤسسات الرسمية، وأيضا من خلال محاولات الاشتباك مع فتاوى وعقائد العلماء المالكيين، كما حدث مثلا مع بيان "موقف المذهب المالكي من الاحتفال برأس السنة الميلادية"⁵⁸⁰، الذي يشبه "الفتوى" الصادرة عن حركة توحيد والإصلاح الراضية للاحتفال برأس السنة الميلادية، ثم مع طرح سؤال شفوي في البرلمان من نواب العدالة والتنمية ينتقدون فيه "تخصيص أربعة أيام لعطلة رأس السنة الميلادية، فيما رأس السنة الهجرية عطلته يوم واحد فقط، هل تخصص فرنسا مثلا يوما واحدا عطلة في رأس السنة الهجرية؟ أردنا فقط أن يكون التعامل معقولاً"⁵⁸¹. وهناك فتاوى أخرى لعدد من المنتسبين للحركات الإسلامية الإحيائية، أو للسلفية العلمية أو لجماعات التبليغ أو للسلفية الوهابية أو حتى لحزب العدالة والتنمية بما فيهم قياديين بارزين، كما حدث مثلا في فتوى التوحيد والإصلاح بعدم جواز الاحتفال بعيد المولد النبوي، ناهيك عن فتاوى ينشرونها في شبكات التواصل الاجتماعي عن طريقة الصلاة وقبض اليدين وغيرها، الشيء الذي يحدث توترات وتراشقات وفوضى داخل صفوف المتدينين. ويمكن القول أن هناك توافق بين حركة التوحيد والإصلاح وذراعها حزب العدالة والتنمية مع الدولة حول المذهب المالكي في

580 ماهر الملاح، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3) جاء وقت الحديث"، بتاريخ 19 شتنبر 2021، جريدة العمق المغربية، رابط المقال: <https://al3omk.com/681378.html>
581 سعد الدين العثماني، حوار نشر في جريدة التجديد، المغرب، بتاريخ 11 يناير 2005، رابط الحوار:

<https://www.maghress.com/attaidid/1729>

صيغته المدنية ، ولا يتشاركون مع الدولة في توجيهها أو في تبنيها للقراءات المالكية المغربية في أساسها الأشعري والتصوفي⁵⁸².

وعندما تأسست الشبيبة الإسلامية في المغرب سنة 1969، وحصولها على الترخيص القانوني في شهر نونبر 1972، بقيادة عبد الكريم مطيع، كان الهدف الرئيسي للتنظيم هو الانتشار في المغرب مستعملا أدوات تنشئة متنوعة تشمل المساجد والجمعيات والفضاءات المدرسية والجامعية، أو عبر اللقاءات المنزلية والأمسيات الدينية وغيرها⁵⁸³.

تميز ظهور الحركة بسياق هزيمة 1967 في الحرب ضد إسرائيل، ومع انتشار المد الماركسي في المغرب، وكان لهذا السياق تأثير على صعود المد الأصولي الإسلامي في الوطن العربي، بسبب فشل الأطروحة الناصرية القومية العروبية، وبداية تحرك الأنظمة العربية المحافظة من أهمها المملكة العربية السعودية في دعم الحركات الإسلامية الأصولية لمواجهة زحف القومية العربية والتيارات التقدمية اليسارية، وهو نفس المخطط الذي اعتمده أيضا نظام أنور السادات في مصر منذ 1971 لضرب خصومه من خلال الإفراج عن عدد من المعتقلين الإسلاميين والتغاضي عن أنشطتهم، وأيضا كان ذلك توجه الحبيب بورقيبة في تونس لصد توسع التيارات الماركسية⁵⁸⁴.

وقبل تأسيس الشبيبة الإسلامية، كان أعضاؤها قد تأثروا بالدروس التربوية والدعوية التي كان يلقيها تقي الدين الهاللي في عدد من المدن المغربية والشيخ زحل إلى جانب دروس بعض المشايخ السلفيين السعوديين والسودانيين⁵⁸⁵. وبعد عملية تأسيس الشبيبة، كان تأثير بعض المشايخ السلفيين الوهابيين كبيرا، ومن بينهم الشيخ الوهابي أبو بكر الجزائري الذي كان يزورهم في شهر رمضان، فبصم هذا التكوين الديني على رصيد قيادي الشبيبة الإسلامية في فهم الدين وكيفية الالتزام به والدعوة إليه. كان أساس هذا التكوين النظري سلفي وهابي، يدعو إلى محاربة التدين التقليدي

582 مصباح محمد، "كيف يفكر السلفيون؟"، دراسة أنجزت بتاريخ 11 مارس 2019، من قبل المعهد المغربي لتحليل السياسات، الرباط، المغرب، رابط الدراسة: <https://mipa.institute/6559>

583 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 179-178.

584 لشهب نور الدين، نفس المرجع السابق.

585 أبو اللوز عبد الحكيم، الحركات السلفية بالمغرب...، مرجع سابق، ص: 289.

والبدع والشركيات وإلى الدعوة إلى السنة الصحيحة، وإلى اليقظة والتحصن ضد التشيع الإيراني الذي ارتفع مده بعد نجاح الثورة الإيرانية⁵⁸⁶.

من أهم المراجع وكتب العقيدة الإسلامية التي اعتمدها قياديو الشبيبة الإسلامية في تكوينهم وفي تكوين المستقطبين الجدد، كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، والعقيدة الطحاوية ورسائل ابن تيمية كالواسطة⁵⁸⁷. وبذلك يمكن القول أن الشبيبة الإسلامية نشأت معرفتها الدينية على الفكر السلفي، لم تكن مهتمة بالتراكم الفقهي المالكي المغربي. ومما زاد من توطيد العلاقة المعرفية والسلوكية التدينية بين قيادات وكوادر الشبيبة الإسلامية، هو توجه عدد منهم إلى الدراسة في السعودية، فنقلت المعرفة السلفية الوهابية إلى المغرب من خلال حلقات التكوين السرية التي كانت الشبيبة الإسلامية تنظمها في أماكن متعددة⁵⁸⁸. ومن بين السلفيين الذين أسسوا الشبيبة الإسلامية وعرف عنه توجهه التكفيري لعدد من السياسيين والناشطين المدنيين والمفكرين، هو عبد الحميد أبو النعيم، الذي اشتهر باكتساب ثقافة أصولية وبنشرها عن طريق أشرطة الفيديو وحلقات الدرس والتكوين لنشر توجهه السلفي الوهابي من خلال الحديث عن مفهوم البيعة داخل الشبيبة، وعدم شرعية الخروج عن الجماعة، ووجوب طاعة الأمير، فكان يوظف المفاهيم الشرعية بسرد الآيات والأحاديث في هذه الأبواب الفقهية والمعروفة، ليقنع المستقطبين بوجوب البيعة لعبد الكريم مطيع⁵⁸⁹.

مبحث ثاني: تطور حزب العدالة والتنمية و صعوبات الاندماج السياسي

586 ابواللوز عبد الحكيم، "الحركات والتنظيمات الإسلامية في المغرب"، موسوعة "الحركات الإسلامية في الوطن العربي"، إشراف د. عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، يناير 2013، ص: 182.
587 الشيخ محمد زحل في حوار مع مجلة "البيان" السنة 17، العدد 174، المغرب، أبريل/مايو، 2002.
588 لشهب نور الدين، نفس المرجع السابق.
589 ابواللوز عبد الحكيم، "الحركات والتنظيمات الإسلامية في المغرب"، مرجع سابق، ص: 1835.

عبر قدماء المنتسبين للشبيبة الإسلامية عن حس براغماتي⁵⁹⁰ وعن مرونة في البحث عن قناة توصلهم إلى المشاركة السياسية الشرعية عن طريق الأحزاب السياسية. كان حزب عبد الكريم الخطيب هو الموقع الذي تم الاستقرار عليه، لإطلاق تجربة العمل السياسي الإسلامي.

يعتبر إنشاء حزب العدالة والتنمية، بمثابة حاضنة جمعت فئة كبيرة من الإسلاميين، وكان بمثابة

"تسييج"⁵⁹¹ سياسي وشرعي لتكيف هذه الفئة من الإسلاميين مع العمل السياسي المؤسساتي أو بمثابة "مختبر تجريبي" لمدى صدقيتهم في التخلي عن أفكار راديكالية غير متوافقة مع أسس الدولة المغربية، وبهدف عدم تركهم خارج النظام السياسي بدون تأطير ومراقبة، لما قد يحدثه ذلك من جنوح نحو أفكار متطرفة أو عنيفة، في أفق إشراكهم في تدبير الشأن العمومي. أيضا هناك فرضية فرعية عن الأسباب الكامنة وراء منح الإسلاميين هامش مشاركة سياسية شرعية، هو الرغبة في الاحتواء والتوظيف في مشير تجديد مشروعية النظام السياسي ككل،⁵⁹² لا سيما مع ظهور بوادر ضعف وصراعات وتراجع النخب السياسية الحزبية وخطابها جماهيريا ومع ارتفاع نسب الاحتجاجات القطاعية والشعبية منذ انتخابات 2002، وبداية زمن "الإسلامية التوافقية" « islamisme de compromis »⁵⁹³ مع النظام السياسي.

ظهر تراجع ملحوظ في نتائج عدد من الأحزاب الكبرى خلال الانتخابات التشريعية لسنة 2007، من بينها حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية الذي قاد حكومة التناوب الأولى بزعامة عبد الرحمن اليوسفي، مقابل احتفاظ حزب العدالة والتنمية بعدد المقاعد المحصل عليها في الانتخابات السابقة أي سنة 2002، مما يبدو أنه هيا المشهد العام إلى قرب دخول الحزب الإسلامي إلى دائرة الفعل الحكومي المباشر، وهو الشيء الذي حدث بعد الانتخابات التشريعية لسنة 2011، وتصدره نتائج الانتخابات بعد حملة انتخابية اختار لها الإسلاميون شعار الإصلاح والحفاظ

590 مشبال محمد الأمين، مرجع سابق، ص: 73.

591 الزهراوي محمد، الإسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

592 أحمد خميس و محمد الطيار، "استخدام الدين في الحياة السياسية"، دراسة في مجلة السياسة والاقتصاد، المجلد 11، العدد 10، أبريل

2021، جامعة حلوان، مصر، ص: 1-23. الروابط الإلكترونية: <https://jocu.journals.ekb.eg/article/151950.html>

593 Abderrahim Lamchichi, "L'Islamisme s'enracine au Maroc", in le monde diplomatique, numéro de Mai 1996, p: 10-11.

على الاستقرار تحت ظل المؤسسة الملكية، في ظل دستور جديد للمملكة المغربية بعد موجة احتجاجات الربيع العربي التي عرفها المغرب أيضا، وبذلك سيقود حزب إسلامي لأول مرة في تاريخ المغرب حكومة البلاد⁵⁹⁴. قد يكون تقدم حزب العدالة والتنمية مرتبط أيضا برغبات السلطة في توسيع الانفتاح السياسي الذي لم يكن متاحا بهذا الحجم في السنوات الماضية، وليس بسبب قدرات إسلاميو حزب العدالة والتنمية على فرض أنفسهم سياسيا وفكريا⁵⁹⁵.

وقد قال أحد المؤسسين وهو أحمد الريسوني الرئيس الأسبق لحركة التوحيد والإصلاح في إحدى المقابلات مع قناة الجزيرة القطرية أنه: "من خلال شخص مؤسس وزعيم الحزب الدكتور عبد الكريم الخطيب يتضح أن الحزب حزب إسلامي، فالدكتور الخطيب معروف بتدينه حتى بمظاهره الإسلامية، معروف بأنه من أكبر مناصري الجهاد الأفغاني، ومن مناصري المسلمين في البوسنة والهرسك ... فالطابع الإسلامي لزعيم الحزب وأدبيات الحزب ووثائقه التأسيسية واضحة وكاملة، ولم نحتج إلى تطويرها ..."⁵⁹⁶.

ويعتبر هذا الانخراط لأطر وقياديي حركة التوحيد والإصلاح في حزب الخطيب، محفزا جديدا للحزب أعطاه دينامية جديدة للتنافس السياسي، بحيث أن تواجد الحزب "الإسلامي" في بدايته في صفوف أحزاب المعارضة البرلمانية، خلق نوعا من الحيوية في النقاش السياسي وفي صناعة الخطاب السياسي وأيضا ساهم في تدعيم مشروعية النظام السياسي.

فبعد أن منح هؤلاء الإسلاميون مساحة عقلانية في الخريطة السياسية والانتخابية سنة 1997، ومع تطور التجربة وتطور قدرتهم على فهم آليات اشتغال المؤسسات وحدود العمل السياسي والدستوري، توسعت مشاركتهم سنة 2002، فحصلوا على 42 مقعدا في مجلس النواب بالبرلمان المغربي، مما شكل نقلة نوعية في استيعاب التيار

594 التليدي بلال، "الإسلاميون وتوسيع المشاركة السياسية في المغرب"، مقال منشور على جريدة الشرق الأوسط عدد 12665 بتاريخ 1 غشت 2013. الرابط الإلكتروني:

<https://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&issueno=12665&article=738418>

595 Mohsen-Finan Khadija et Zeghal Malika, "Opposition islamiste et pouvoir monarchique au Maroc, Le cas du Parti de la Justice et du Développement", in Revue française de science politique, 2006/1 Vol.56, p:79-119. Lien: <https://www.cairn.info/revue-francaise-de-science-politique-2006-1-page-79.htm>

596 أحمد الريسوني، مقابلة مع قناة الجزيرة، برنامج "ضيف وقضية"، مرجع سابق.

الإسلامي المؤمن بأسس الدولة وثوابتها، ومن تم الدخول في تجربة سياسية تتمثل في فتح قنوات العمل السياسي أمام الحساسيات الاجتماعية ذات العمق الديني، بغية نزع فتيل أي احتقان مستقبلي مع التيارات الإسلامية⁵⁹⁷.

وكادت الأحداث العنيفة ل 16 ماي 2003 بالدار البيضاء التي كان وراءها شباب ذوو تكوين إسلامي متطرف، أن تهدم كل ما بناه هؤلاء الإسلاميين في علاقتهم بالنظام السياسي، بسبب الاتهامات التي وجهت إليهم حول مسؤوليتهم الأخلاقية عن تلك الأفعال العنيفة، غير أن سلوكهم الدراماتي و رغبتهم في التوافق وإبداء حسن النية، دفعهم إلى إجراء عملية إرجاع بعض قياداتهم إلى صفوف خلفية والتخلص من بعضهم من مناصب القيادة، من بينهم عبد الإله بنكيران الذي خلفه على رأس الحزب سعد الدين العثماني، ثم تنحي مصطفى الرميد من رئاسة الفريق البرلماني للحزب، و استقالة أحمد الريسوني من رئاسة حركة التوحيد والإصلاح. ولعل استقالة الريسوني من رئاسة الحركة⁵⁹⁸ تعتبر مؤشرا على العلاقة الموجودة بين حزب العدالة والتنمية وبين حركة التوحيد والإصلاح⁵⁹⁹. فعلاقة الولادة والنشأة ثابتة، غير أن علاقة المواكبة والإسناد بين الدعوي والقاعدة الانتخابية كانت إلى حد ما غير ملموسة بالشكل الكافي، لكنها في أحداث الدار البيضاء وضحت علاقة الحزب بالحركة، التي كانت حاجزا لأي علاقة طبيعية مع باقي الفاعلين في العملية السياسية بالمغرب، أو لأي تحالف حزبي سياسي مستقبلي، نظرا لتعرض الحزب، بسبب بعض مواقف وبعض تصريحات قياديي الحركة، لاتهامات بالأصولية والتطرف، مما دفع البعض إلى المطالبة بحلّ الحزب الإسلامي. واتخذت بعض الأحزاب السياسية من بينها حزب القوى الوطنية لرجل الأعمال عبد الرحيم الحجوجي وحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية موقفا معارضا من حلّ حزب العدالة والتنمية بل عبروا عن مساندته سياسيا⁶⁰⁰ من منطلق المنطق الديمقراطي.

597 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب..."، مرجع سابق.

598 أوريد حسن، لإسلام السياسي في الميزان، مرجع سابق، ص96.

599 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب..."، مرجع سابق.

600 مرابط فدوى، "أحزاب السياسية ومسألة وصناعة القرار السياسي في الدول المغاربية (المغرب-الجزائر)"، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 14، 2018، ص: 35. الرابط: <https://jilrc.com/archives/8041>

وقد لعب مؤسس الحزب الدكتور الخطيب، دورا مهما في تخفيف الضغط على التنظيم، نظرا لعلاقاته المتميزة مع "المخزن"، ونظرا للاحترام الذي كان يحظى به مع باقي الفاعلين السياسيين، فقد واجه الهجوم الذي تعرض له الحزب من قبل من وصفهم هو شخصيا بـ "الحدائثيين والديمقراطيين" المهيمنين على إيديولوجية السلطة، الذين هيجوا الإعلام ضد الإسلاميين المنضوين تحت مظلة حزبه⁶⁰¹.

ورغم ذلك كله فإنه يمكننا القول أن حزب العدالة والتنمية خلال عبوره من حركة التوحيد والإصلاح إلى ممارسة العمل السياسي الحزبي، لم يحسم بشكل قاطع الالتباس الوارد بشأن علاقة التدين المنبثق عن المرجعية الإسلامية، وبين الموقف من الدولة، التي تتبنى في دستورها الإسلام كدين للدولة من دون أن تحدد بشكل صريح أن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والقانون، سنناقش في هذا المبحث المراحل التي عاشها إسلاميو التوحيد والإصلاح نحو المشاركة السياسية (الفقرة الأولى)، ثم بعد ذلك نتناول تحليل علاقة الحزب بالحركة (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: نحو المشاركة السياسية

قام إسلاميو حركة التوحيد والإصلاح بالمراجعات الفقهية والفكرية الضرورية لإنشاء حزب سياسي، ولتبرير دخولها غمار المشاركة السياسية، ورغم ذلك فإن التساؤلات لاتزال مشروعة حول تلازم علاقة الدعوي بممارسة الفعل السياسي بأحكامه ومقاصده، و صعوبة الاستمرار في المشاركة السياسية بدون غطاء دعوي أو فقهي شرعي، مما قد ينتج صعوبات و عقد متواصلة وصراع مستمر، بين أجنحة النخب القيادية داخل حزب العدالة والتنمية، أيهما يواجه الآخر هل الفقيه الداعية المسيس أم السياسي المتفقه في الدين؟

أولا- الانتقال من الفكرة الدعوية إلى الفعل السياسي

601 أوريد حسن، الإسلام السياسي في الميزان، مرجع سابق، ص: 96.

يعتبر حسن أوريد⁶⁰² أن "الحزب الذي وظف الخطاب الديني في السياسة بالمغرب، وهو العدالة والتنمية، هو من ينتصب كفاعل تاريخي لخروج الدين من الساحة العامة". وإذا حاولنا تتبع مسار نشأة وتطور الحركات الاجتماعية ذات التوجه الديني الإسلامي الحركي، بمعنى التي أسست بنياتها وعلاقاتها مع محيطها على أساس ديني، يبدو لنا أنها حددت مسيرها نحو أفق يشمل الدولة وبنيت محاولات اصلاحها من خلال المشاركة في تدبيرها. ويبدو أيضا أن الرغبة في العمل السياسي لدى هذه الحركات الإسلامية بالمغرب شكل أحد الرهانات والتحديات الكبرى لديها، نظرا لما يفرضه المجال السياسي المغربي من اعتبارات و قواعد ضابطة وصارمة إلى حد بعيد لحدود الممارسة السياسية، التي تتجلى بشكل مركزي في كون استعمال اللغة الدينية في الخطاب السياسي وفي العمل الحزبي قد يصطدم بأسبقية الملك أمير المؤمنين في تحفيظ استعمال المرجعية الإسلامية، نظرا لوجود تقاليد وأعراف تاريخية وإطار دستوري وقانوني رسخ هذا التحفيظ لصالح المؤسسة الملكية، أو لمن تنتدبه لذلك من مؤسسات رسمية و فقهية. وبذلك يمكننا أن نقول أن أول عائق أمام التيارات الإسلامية المغربية، تجلى في فهمها لإمكانية استغلال الخطاب الديني الصرف في ممارسة السياسة في البلاد. وبخصوص سوابق الارتباط بين الممارسة السياسية والخطاب الديني، فهناك شخصيات مغربية تملك رصيدا وتكوينا دينيا تقليديا وفقهيا بشكل ملحوظ، كعلال الفاسي زعيم حزب الاستقلال والمكي الناصري وغيرهم، مارسوا السياسية بتشعباتها في المعارضة أو في المشاركة في الحكم، غير أنها تختلف مع حالة التيارات الإسلامية الحركية. لقد تبنت الشخصيات المحافظة السياسية المغربية خطابا دينيا متوافقا مع مؤسسة أمير المؤمنين، فيما نجد تيارات الإسلام السياسي مارست عملية التخاطب مع الدولة ومع المجتمع انطلاقا من قراءات دينية ليست كلها متوافقة مع قراءات ومع تدين المغاربة ومع رؤى التدين لدى الدولة المغربية. ونظرا لوجود هذا العائق وهذا التحدي الكبير لممارسة السياسة بدون اصطدام مع مجال أمير المؤمنين، فإن الجماعات الإسلامية التي نشأت في المغرب أواخر

602 حسن أوريد، مرجع سابق، ص: 14.

الستينيات وبداية السبعينات، فضلت ممارسة العمل السري⁶⁰³ لصعوبة الحصول على الاعتراف في ظل بيئة تميزت بمواجهات عنيفة بين الدولة وبين تيارات يسارية وصفت بالراديكالية. ساهم هذا السياق في ظهور تنظيمات وجماعات إسلامية متفرقة رافضة للواقع السياسي في المغرب، لاسيما مع بداية سبعينيات القرن الماضي. تميزت تلك الفترة بأحداث وطنية ودولية بارزة، من أهمها الثورة الإيرانية الإسلامية الشيعية من جهة، ومن جهة أخرى وجود قوة يسارية وماركسية، الشيء الذي شكل أحد الدوافع لإنشاء هذه التنظيمات الإسلامية السرية في المغرب، من أجل دفع مواجهة المد الشيوعي الذي كانوا يعتبرونه خطرا على الإسلام والمسلمين، ثم من أجل تأسيس معارضة للنظام الذي في نظرهم يحتكر الخطاب الديني ويستعمله لإضفاء المشروعية على قراراته وأفعاله⁶⁰⁴.

ومن أوائل الجماعات الإسلامية المغربية التي تم الكشف عنها خلال السبعينيات من القرن الماضي، هي الجماعة التي اتهمت باغتيال المحامي اليساري عمر بن جلون، القيادي في حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية⁶⁰⁵ في 18 ديسمبر 1975. حينها كشفت التحقيقات على أن هذا الاغتيال قام به مجموعة من الشباب ينتمون إلى جمعية الشبيبة الإسلامية، الذي كان يتزعمها عبد الكريم مطيع، وهي جمعية كانت تمارس نشاطها بشكل قانوني في مدينة الدار البيضاء⁶⁰⁶.

يرى عدد من الباحثين في موضوع نشأة وتطور التنظيمات الإسلامية بالمغرب، أن عاملا دوليا ساهم في ظهور وانتشار هذه الجماعات، بحيث تميز العالم حينها بانقسام حاد بين معسكرين شرقي شيوعي وغربي ليبرالي، مما أثر على الوضع الداخلي للمغرب. ظهر تأثير هذا الانقسام الأيديولوجي الدولي على المغرب، بانعكاسه مثلا على

603 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب مقارنة وثائقية، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الثالثة، 1992، ص: 239.

604 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 178.

605 Youssef Belal, Le cheikh et le calife Sociologie religieuse de l'islam politique au Maroc. Tarik éditions, 2012, P: 116.

606 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب، مرجع سابق، ص: 225.

الساحة الطلابية في المدارس والجامعات⁶⁰⁷. في ظل استمرار ابتعاد فقهاء الدولة وعلمائها وخطباء الجمعة، عن التصدي لانتشار الفكر اليساري المادي واستغنائهم عن ذلك بالتذكير بقواعد ممارسة العبادات، مما خلق حالة من الاندفاع لدى التنظيمات الإسلامية الوليدة إلى الخروج على قواعد تدبير الإطار الديني بالمغرب للدفاع عن الإسلام خارج الإطار الشرعي الرسمي الذي ترسمه الدولة⁶⁰⁸. وإلى حد ما يمكن اعتبار عمل الجماعات الإسلامية السرية وقتها في المغرب، أنه لم يكن موجها بشكل مباشر ورئيسي ضد الدولة ومؤسساتها، بل كان مطبوعا بحماسة لمواجهة أطروحات اليسار والأيدولوجية الماركسية، التي كانت تسعى إلى مواجهة النظام السياسي بمقاربة راديكالية لطرح نفسها أمام المجتمع المغربي، كبديل تاريخي لقيادة النظام والدولة⁶⁰⁹.

وشكلت عملية اغتيال القيادي عمر بن جلون، مرحلة فاصلة أخرجت إلى العلن هذه الجماعات الإسلامية، وأدت إلى ظهور انقسامات داخل الشبيبة الإسلامية⁶¹⁰، ظهر ذلك بشكل واضح في الترشق بالبيانات والمنشورات بين أجنحتها، من متبرئ من مقتله وبين مواقف غامضة تبدو مؤيدة للعملية⁶¹¹. لم يظهر الخلاف والاختلاف بين تيارات الشبيبة الإسلامية فحسب، بل كان أيضا ضمن الجماعات الإسلامية المغربية ككل. من بين المواضيع التي شملتها هذه الخلافات، كان موضوع طريقة العمل، هل يستمر في السرية أم يخرج إلى العلن بوجه مكشوف؟ وقد تجلى هذا الخلاف بين الجماعات خصوصا بين كوادر الشبيبة الإسلامية وبين جماعة العدل والإحسان التي أسسها أحد رجال التعليم وهو عبد السلام ياسين بعد مسار تصوفي طريقي مغربي⁶¹²، حول كيفية ممارسة العمل الإسلامي، فقد كان شيخ جماعة العدل والإحسان مختلفا عن قيادات الشبيبة الإسلامية، بحيث أنه كتب مؤلفات وأسس لرؤية خاصة

607 مقتردر رشيد، الإدماج السياسي للقوى الإسلامية في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2011، ص: 34.

608 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

609 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب (دراسة نقدية)"، مرجع سابق.

610 مشبال محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي...، مرجع سابق، ص: 80-81.

611 لشهب نور، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 182.

612 حول جماعة العدل والإحسان أنظر تقرير منشور على موقع الجزيرة نت الموسوعة "حركات وأحزاب"،

<http://www.aljazeera.net/encyclopedia> بتاريخ 2014/11/6.

بجماعته من خلال إنتاجه أدبيات فكرية⁶¹³، عكس الشبيبة الإسلامية التي اكتفت بتبني أدبيات جماعات مشرقية، خصوصا كتابات جماعات إسلامية من مصر، أو كتب محمد عبد الوهاب، سيد قطب والشيخ محمد الغزالي ويوسف القرضاوي وفتحي يكن وغيرهم، والتي كانت كتاباتهم منتشرة بشكل غير محظور في المغرب.

وقد كانت الاعتقالات التي لحقت بالمنتمين لحركة الشبيبة الإسلامية، بعد مقتل عمر بنجلون، وهروب زعيمها عبد الكريم مطيع إلى الخارج، مؤشر على بداية انقسام وانشقاق في صفوف الحركة التي خرج عنها مجموعة من الكوادر كان أبرزهم عبد الإله بن كيران⁶¹⁴ ومحمد يتيم وسعد الدين العثماني وعبد الله باها والأمين بوخبزة وعز الدين التوفيق أواخر سبعينيات القرن الماضي، والذين سيؤسسون تنظيما إسلاميا جديدا خلال الثمانينات، أسموه بالجماعة الإسلامية، التي عمدت في بداياتها إلى إجراء نوع من المراجعة لعمل ومواقف الشبيبة الإسلامية، ثم للتفكير في التخلي عن العمل السري والاشتغال في إطار قانوني⁶¹⁵ بالتركيز على العمل الدعوي الثقافي والتربوي والاجتماعي. غير أن حصولها على الترخيص القانوني لم يكن بالأمر السهل نظرا لاستمرار حالة عدم التوافق والفهم بينها وبين سلطة الدولة.

إن المخاض الذي مرت به الحركات الإسلامية في المغرب منذ بدايات نشأتها، جعلها مضطرة إلى الدخول في مراجعات ونقذ ذاتي حتى تتمكن من الحصول على مكان داخل المجتمع المغربي. كانت البداية بممارسة العمل الدعوي وتأسيس جمعيات تربوية وخيرية⁶¹⁶، حتى تنصهر وسط المجتمع وتؤسس قواعدها الشعبية، كما ستنقسم الجماعات الإسلامية حول المشاركة السياسية⁶¹⁷ كقضية الوصول إلى التغيير الذي تصبو إليه، حيث كانت هناك دعوات للتغيير

613 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب (دراسة نقدية)"، مرجع سابق.

614 مشبال محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي...، مرجع سابق، ص: 80-81.

615 حامي الدين عبد العلي، الحركة الإسلامية بالمغرب محاولة في التعريف، وجهة نظر، العدد الرابع، صيف 1999، ص: 6 و 7.

616 الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب، مرجع سابق.

617 البشير المتافي، "الإسلاميون المغاربة وإشكالية تأصيل خيار المشاركة السياسية"، مرجع سابق، ص: 4.

من خارج النظام السياسي لعدم إيمانها بالعمل السياسي على الشاكلة الغربية، فيما ستتخذ جماعات أخرى موقفا إيجابيا من المشاركة السياسية.

ثانيا- الانتقال من العمل السري إلى العمل العلني الشرعي

تعتبر قضية اغتيال اليساري عمر بنجلون، وبداية سلسلة اعتقالات في صفوف قيادي ومنتسبي جمعية الشبيبة الإسلامية⁶¹⁸، أحد العناصر الدافعة نحو بداية التفكير في مراجعات فكرية وتنظيمية بأفق جديد وبأدوات سياسية غير عنيفة وغير صدامية مع الواقع السياسي، أو مع مؤسسات الدولة والنظام. يمكن أن نطلق على هذه المرحلة، البداية الحقيقية لإنضاج فكرة العمل السياسي الإسلامي والتطبيع مع الأدوات التي يسمح بها القانون والنظام، والتي ستنتج فيما بعد بإنشاء حزب سياسي عارض الحكومة ثم ساهم وشارك في تدبير قطاعاتها. لم يكن العبور نحو هذا الوضع بالمسألة الشكلية أو الأتوماتيكية، بل كان وضعاً معقدا نظرا لما كان يفترضه ويقتضيه للدخول في فترة تجديد القنوات والأفكار والمرجعيات والقيم التي أسس عليها تنظيم الجماعة، باعتبار أن التفكير في تأسيس حزب هو مسألة مرتبطة بالديمقراطية وبالمشاركة العامة المفتوحة لكل المواطنين بجميع خلفياتهم المذهبية الأيديولوجية أو الثقافية، والخروج من منطق وثقافة تدبير وتأسيس جماعة إسلامية من بروفايلات ذات ميول إسلامي صرف. يقول المقرئ أبو زيد الإدريسي⁶¹⁹، وهو أحد الكوادر والقياديين البارزين في جماعة التوحيد والإصلاح وفي حزب العدالة والتنمية، أنه في سنة 1981 "تفاجؤوا" بعدة لقاءات وصفها بالماراطونية، في بيوت خاصة ومجيء الأساتذة عبد الإله بن كيران والأمين بوخبزة ومحمد يتيم لإقناعنا بمفاصلة عبد الكريم مطيع والانفصال عن الشبيبة، وتحويلها إلى اسم الجماعة الإسلامية، وتم انتخاب محمد يتيم رئيسا غير معن). ويقول أبو زيد أنه سمع "لأول مرة الحديث بنوع من الاستتار عن واقعة اغتيال المناضل الاتحادي عمر بن جلون، وعن توزيع المجلة الرعناء «المجاهد» وعن الخط الصدامي ضد

618 مشبال محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي...، مرجع سابق، ص: 80.

619 المقرئ أبو زيد الإدريسي في حوار مع جريدة التجديد، في عددها بتاريخ: 15 يناير 2008.

النظام، وكذا الكلام الملتبس حول الصحراء المغربية. فكانت هذه هي النقاط الأربعة التي لقيت صدى في نفوسنا، ودفعتنا بقوة نحو إعلان المفاصلة". فقد أصدر عبد الكريم مطيع، في مارس 1981، مجلة "المجاهد" التي أصبحت لسانه في الجهر بالعداء للنظام السياسي المغربي، وأسس من مقر إقامته في ليبيا، مجموعة مسلحة سماها "فصيل الجهاد" والتي سيتم اعتقال ومحاكمة عديد من أعضائها سنة 1984 و⁶²⁰1985. لم توافق الأطر الموجودة في المغرب والتي كانت تنتمي لتنظيم الشبيبة الإسلامية، وعلى رأس هذه الأطر عبد الإله بنكيران والأمين بوخبزة وسعد الدين العثماني، الذين شرعوا في تأسيس دينامية القطيعة مع العمل السري، والتوجه نحو العمل السياسي الشرعي من خلال بيانين تاريخيين.

صدر البيان الأول⁶²¹ بداية سنة 1982، من قبل عبد الإله بنكيران ومحمد يتيم وسعد الدين العثماني والأمين بوخبزة وآخرين، للتبرأة من المواقف التي جاءت في مجلة "المجاهد" الصادرة في الخارج، والتي قالوا أنها لم تكن موضوع نقاش ولا اتفاق مع أعضاء ومسؤولي الشبيبة الإسلامية بالداخل، لذا قرروا إعلان انفصالهم و قطيعتهم مع جمعية الشبيبة الإسلامية ومع عبد الكريم مطيع، وختموا بيانهم بالتأكيد على رسوخ قناعتهم بـ "العمل للدعوة الإسلامية" وبأنهم سيعلمون لاحقا عن الإطار القانوني الذي سيعملون من خلاله.

أصدر عبد الإله بنكيران فيما بعد بيانا ثانيا⁶²² وقعه بصفته رئيسا لـ "الجماعة الإسلامية"، التي بلورت قانونها الأساسي في 13 يونيو 1983، مؤكدا من جديد على الانفصال العضوي عن الشبيبة الإسلامية وعن رئيسها عبد الكريم مطيع، وعدم تحمل مسؤولية أي تصرف أو عمل أو بيان يحمل اسم تلك الجمعية. كما أكد البيان أن الجماعة الإسلامية "تتعتمد أسلوبا واضحا في إصلاح أحوال الأمة كافة يقوم على النصح والحوار والإقناع"، و في الختام دعا

620 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب...، مرجع سابق، ص: 257.

621 جريدة الميثاق الوطني، (تابعة لحزب التجمع الوطني للأحرار- المغرب)، عدد 1511، بتاريخ 6 يناير 1982.

622 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب...، مرجع سابق، ص: 256.

البيان السلطات إلى منح الصفة القانونية للجماعة الإسلامية "لتنتمكن من القيام بالواجب في ترشيد الصحوة الإسلامية وفي الحيلولة دون توظيف الطاقات الإسلامية الشاردة في أعمال الشغب والتخريب"⁶²³.

لم يكتف بنكيران بإعلان قطع الصلة مع الشبيبة الإسلامية ومع رئيسها عبد الكريم مطيع، من خلال تياره الجديد الذي بدأ يبدئ أولى لبناته، بل قام أيضا بإجراء مراجعة نقدية لعملهم السابق في التنظيم الذي اتهم باغتيال عمر بنجلون، ورفض بذلك مواصلة العمل السري وأبدى رغبته في فتح مسير جديد ميزته العلنية والشرعية. يرى بنكيران أن العمل السري يمنح الخصوم فرصا لإلصاق مختلف التهم الباطلة التي تشوه عمل الحركة الإسلامية وتشوه غاياتها "فقد تجند للكلام عنا أعداؤنا، فوصفونا بالإرهاب والسطحية والرجعية والظلامية والمسيحية وشتى الأوصاف التي تثير الضحك، ولكنها تستقر في عقول الناس لأنهم لم يسمعوا غيرها"⁶²⁴ ودعا المنتسبين إلى أفكاره وإلى تنظيمه للخروج للعمل، ولإظهار حقيقة تنظيمه، وأن يمروا "لمرحلة الهجوم بعد مرحلة الدفاع، فنكشف الشيوعيين الملاحدة المتسترين بالدفاع عن مصالح الجماهير الكادحة، والليبراليين الفجار المتسترين بحقوق الإنسان ومعاني الحرية، ونطرح ما نريد أن نطرحه على بساط الحوار الوطني، ونحن متيقنون أن الله سيظهر الحق الذي نؤمن به لأن أصله من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونحن لا نخشى الحوار بل أشد ما نخشاه هو الديكتاتورية و الإرهاب. وقد وقع لنا في الأنظمة الديكتاتورية (مصر - سوريا - العراق) ما لم يقع لنا عشره في الأنظمة ذات النهج الديمقراطي ولو في حدود"⁶²⁵.

وعن هذا العمل السري قام بنكيران بما يشبه مرافعة لإقناع من يريد أن يلتحق به، ولإبداء حسن النية تجاه سلطة الدولة. اعتبر بنكيران العمل السري قطعاً للصلة مع المجتمع، معتبراً أن السرية تقتضي "ألا تحدث في أمور

623 بنكيران عبد الإله، "الجماعات والفقهاء الحركي"، جريدة الإصلاح، المغرب، السنة الثانية، العدد 15، بتاريخ 18 مارس 1988، ص:

14-15.

624 بنكيران عبد الإله، "الجماعات والفقهاء الحركي"، جريدة الإصلاح، المغرب، مرجع سابق.

625 نفس المرجع السابق.

الدعوة إلا من تثق به وتملك أن تستكتمه الأمر، وهو نفسه لا تعرفه من واقعك إلا بما تحتاج إليه ظروفه ومرحلته، وهذا عمل لا يملك أن يكون متسعا ولا يستطيع، ولا يمكن أن يتقبله إلا فئات محدودة من الناس⁶²⁶.

كما يرى بنكيران أن السرية تعرض أصحابها إلى السجون والتعذيب لأن "كل الدول في العالم تتبع التنظيمات السرية لتتعرف عليها وتتجنب خطرهما"، وأنها ستظل مراقبة لأن "الذين يتحركون لا يملكون أن يبقوا مستورين إلى الأبد، ولذا فالتنظيمات الأكثر سرية تقع في قبضة السلطة من أجل أتعنه الأسباب". علما أنه "لا يوجد أي مبرر معقول لديها لتبرير هذا الاختيار، فلا هي إرهابية ولا هي تخطط للانقلاب على النظام ولا عندها أسلحة، إنما هي مجموعة من الشباب المتدين تعشعش في عقله تصورات وهمية عن أنظمة بوليسية تحصي عليه أنفاسه، حتى يقع في شباك سلطات عادية تنص قوانينها على أن العمل السري ممنوع، وأن القانون يعاقب عليه بسنتين سجنا في بعض الحالات، كما أن هناك سهولة كبيرة في اتهام التنظيمات السرية بمخالفات لم تقم بها، وتوريطها في محاكمات قاسية دون أن يتمكن أحد من الدفاع عنها، لأن الذي يخفي حسب مفاهيم الناس وارد أن يقوم بأي شيء"⁶²⁷. فالسرية في نظر بنكيران قابلة لأن تخلق الانحرافات بسبب "الأفكار المعوجة والقناعات الخاطئة التي تنشأ عند الشباب الذين يتلقون تكوينهم في اللقاءات المغلقة من طرف أفراد ناقصي العلم والفقهاء، وهكذا تتكون داخل الجماعة الواحدة مدارس متباينة، كل يتأثر بما حمله إليه مسؤوله من القناعات والتصورات، إذ أن هذا التنظيم هو مجموعة من الخلايا المظلمة التي تملك الانحرافات أن تنشأ فيها وتترعرع"⁶²⁸.

ويأتي هذا التوجه الجديد لبنكيران في إطار استكمال مشروع الانشقاق عن "الشبيبة الإسلامية" وبداية مشروع جديد برؤية جديدة مخالفة، من أجل الحصول على ترخيص بالعمل بشكل قانوني وعلني، وفتح قنوات اتصال وحوار مع الدولة. ومن بين الأمور التي سعى بنكيران وجماعته الجديدة "الجماعة الإسلامية"، لإقناع السلطة بها لمنح جماعته

626 نفس المرجع السابق.

627 بنكيران عبد الإله، "الجماعات والفقهاء الحركي"، جريدة الإصلاح، المغرب، مرجع سابق.

628 نفس المرجع السابق.

الترخيص للعمل الشرعي⁶²⁹، هي إرساله برقية بصفته رئيسا للتنظيم الإسلامي الجديد، إلى الملك الراحل الحسن الثاني إثر ندوة صحفية قام بها الملك في نوفمبر 1985، مع ممثلي الصحافة الفرنسية، فأكد بنكيران في هذه البرقية مساندة جماعته لما ورد في تصريحات الملك بشأن اعتزازه بـ "الصحة الإسلامية وعودة الشباب إلى المساجد، ومؤاخذتهم للمجاهرين بالمعصية"، كما التمس بنكيران من الملك الراحل تسوية وضعية الجمعية حتى تتمكن من القيام بواجبها، وخاصة في "الحيلولة دون توظيف طاقات الشباب المتدين في أعمال الإثارة والشغب والتخريب"⁶³⁰.

بعد ذلك بـ عدة شهور عمد بنكيران مجددا بصفته رئيسا لـ "الجماعة الإسلامية"، إلى توجيه رسالة مطولة بتاريخ 17 مارس 1986 إلى وزير الداخلية، وكانت بمثابة مذكرة ترفعية، استهلها بالحديث أن وقائع الماضي بشأن تجربة الشبيبة الإسلامية التي كانت إيجابية في بدايتها "خصوصا بعد أن تصدى الشباب المسلم الملتزم للشباب اليساري في الثانويات والجامعات ورجعت الثقة بالنفس إلى الشباب المتدين عامة"⁶³¹، بيد أنه بعد صدور حكم غيابي بالسجن المؤبد ضد زعيمها عبد الكريم مطيع، لتورطه في جريمة اغتيال عمر بنجلون، يقول بنكيران "لاحظنا تغيرا واضحا في توجيهات مطيع، كان آخرها إصداره لمجلة من الخارج باسم الشبيبة الإسلامية سماها "المجاهد" دون استشارتنا أو إخبارنا واتخذ فيها مواقف لا تتسجم مع توجيهاته السابقة، إلى الدعوة بالتالي هي أحسن حيث دعا إلى العنف والتطرف، كما اتخذ موقفا مشبوها من قضية الصحراء المغربية المسترجعة مما جعلني أفهم أن هذا الرجل قد تكون له اتصالات بأعداء وحدة بلادنا الترابية وأن مواقفه مبنية على وضعيته الشخصية أكثر مما هي على مصلحة الإسلام"⁶³².

وتناول بنكيران بالشرح لطبيعة وأهداف الإطار الجديد (الجمعية الإسلامية) الذي أسسه بمعية مجموعة من الأعضاء والمسؤولين السابقين في الشبيبة الإسلامية، محاولا إقناع المسؤولين بأن الدولة ستستفيد سياسيا من الترخيص القانوني لجماعته الجديدة التي يرأسها، مؤكدا أن الأمر يتعلق بجمعية سلمية تنبذ العنف والإرهاب، وبكونها لا تعادي

629 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب...، مرجع سابق، 256-260.

630 نفس المرجع السابق، ص: 262.

631 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب...، مرجع سابق، ص: 264.

632 نفس المرجع السابق.

“نظام الملكية الدستورية لما يقوم عليه من مشروعية دينية”⁶³³، ولا تنوي “مخالفة الأمة في اعتمادها مذهب الإمام مالك”. نفى بنكيران أي ارتباط لجماعته بالتنظيم العالمي للإخوان المسلمين قائلا: “إننا نؤكد أنه لا علاقة لنا بأية هيئة أو دولة خارج بلدنا وأن ما يمكن أن يكون بيننا وبين غيرنا من المسلمين هو التناصح في الدين والتعاون على البر والتقوى”⁶³⁴، وقال: “إننا نعتقد أن مطيع وأمثاله لا يمكن أن يجدوا موطئ قدم إذا سمح بالدعاة المخلصين الذين يريدون إرضاء ربهم بخدمة أمتهم ولا يبتغون بذلك مالا ولا جاهاً”. ودعا إلى تحالف استراتيجي بين الدولة والجماعة لأن “النزاع والشقاق لا يستفيد منه إلا أعداء الدين وأعداء الوطن”. وقال أن “أفضل وسيلة - في نظرنا - لقطع الطريق على من يريد سوءا ببلدنا وبمقدساته هي فتح المجال أمام الدعاة المخلصين الذين يعتبرون أن من واجبهم إرشاد الشباب وتقويم أي انحراف يغديه أصحاب الأغراض والأهواء”⁶³⁵.

وفي 12 أكتوبر 1987 أي بعد مرور أزيد من سنة ونصف على الرسالة الموجهة إلى وزير الداخلية، توجه بنكيران مباشرة إلى الملك الراحل الحسن الثاني برسالة يستعيد فيها المعطيات التي سبق أن تضمنها كتابه إلى وزير الداخلية، ويلتمس منه إعطاء أوامره للجهات المختصة بغية التسوية القانونية للجماعة الإسلامية⁶³⁶.

في المحصلة لم تكن للرسائل الموجهة لوزير الداخلية أو للملك الراحل النتيجة الملموسة والمباشرة أي الحصول على الترخيص القانوني، لكن يمكن اعتبارها أنها كانت مرحلة تهدئة، ساعدت على تهيئة الأجواء المناسبة لفتح قنوات للاتصال والحوار بعد سنوات من ذلك مع الدولة، عبر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي استدعت الجمعية للقاء مع وزير الأوقاف في 20 فبراير 1990. و قال وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية خلال هذا اللقاء، “أن السبب الذي دفع إلى عدم الاستجابة سابقا لطلب الجمعية بمقابلته، رغم إعلانها القطيعة مع جمعية الشبيبة الإسلامية لمؤسسها عبد الكريم مطيع، وإدانة العنف، وعدم التعارض مع الملكية والمذهب المالكي، ذلك لأنه “بقيت دائما هناك علامة استفهام:

633 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب...، مرجع سابق.

634 نفس المرجع السابق، ص: 266.

635 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب، مرجع سابق، ص: 266.

636 نفس المرجع السابق، ص: 267.

هل هي جماعة صادقة فيما تقوله وتصرح به، أم أنها نفس الجمعية ولكن باسم جديد؟"، كما اعتبر وزير الأوقاف خلال نفس اللقاء بأن المواقف المعبر عنها في جريدة "الإصلاح"، لسان حال الجماعة "فيها ما يشير إلى جنوح إلى المواقف المتشددة"، وإلى "اتجاه يبتعد عن الاعتدال"، خصوصا أنها كانت تنوّه بشكل مستمر بحركة راشد الغنوشي وتنتقد وزارة الأوقاف، فتم توقيف جريدة الإصلاح عن الإصدار بعدما وصلت إلى 60 عددا، و تم تعويضها بأسبوعية "الرؤية"، ليتم استبدالها هي الأخرى فيما بعد بيومية "التجديد" التي كان يديرها مصطفى الخلفي، والتي توقفت بدورها عن الصدور.⁶³⁷

وضمن هذا السياق السياسي أقدمت قيادة الجماعة سنة 1992 على تغيير اسمها الأصلي (الجماعة الإسلامية) واستبداله باسم "حركة الإصلاح والتجديد"، باعتبار الالتباس الذي يثيره اسم "الجماعة الإسلامية" الذي يجعل المتلقي يعتقد أن أعضاء المجموعة المذكورة يسعون لاحتكار النطق باسم الإسلام والانتساب إليه. وهو ما أوضحه عبد الإله بنكيران في افتتاحية له: "تم تغيير اسم الجماعة الإسلامية إلى الإصلاح والتجديد لأن المصطلح الأول يوحي بأننا ننتمي إلى الإسلام ونجرد غيرنا من هذا الانتماء، مما لا ينسجم البتة مع طرحنا الذي ضبطناه في ميثاقنا حينما أكدنا أننا جماعة من المسلمين ولسنا جماعة المسلمين (...). وفي هذا الإطار نؤمن بالاختلاف ونقبله على أساس أن يكون اختلاف تنوع لا "خلاف" صراع. والاختلاف بهذا المفهوم هو نوع تعاملنا مع الحركات الأخرى وعلى رأسها إخواننا في جماعة "العدل والإحسان"، إذ يبقى هذا الاختلاف في أسلوب الإصلاح ومنهجه ولا يرقى إلى هدم أصل من أصول الدين القائم في مجال المعاملات من أداء حقوق الإخوة".⁶³⁸ وهناك من يرى⁶³⁹ أن تغيير اسم التنظيم من الجماعة الإسلامية إلى الإصلاح والتجديد إنما كان لإبعاد تهمة الهيمنة على الإسلام، باعتبار أن اسم الجماعة الإسلامية هو نفسه أطلقه المودودي على جماعته في باكستان.

637 ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب، مرجع سابق، ص: 270.

638 جريدة الإصلاح، عدد 34، سنة 1989.

639 Zeghal Malika, Les islamistes marocains, Le défi à la Monarchie, La Découverte, Paris, 2005, p: 213.

ثالثاً - الانتقال من الضعف السياسي إلى ممارسة السلطة: بداية التمرس على

خطاب المظلومية والمعارضة

من أهم المعانيات التي يمكن للباحث في موضوع إدماج الإسلاميين في الحياة السياسية المغربية أن يرصدها وهي أن كلا الطرفين سواء سلطة الدولة أو قيادات التوحيد والإصلاح أسسوا مسعاهم للتقارب على استراتيجيتين تلتقيان في هدف واحد هو المشاركة بدون صدمات⁶⁴⁰. من جانب السلطة فقد بدأ واضحاً وجود استراتيجية تهدف إلى الحصول على مزيد من المشروعية السياسية عن طريق ممارسة عملية احتواء وضبط مسار الإدماج بشكل متدرج، والسماح لهم في الانخراط في حزب محسوب على الدولة و ضبط الخريطة الانتخابية. في المقابل أسست حركة التوحيد والإصلاح استراتيجيتها للحصول على الاعتراف وعلى الشرعية في ممارسة السياسة من خلال العمل الحزبي على المراجعات الفكرية السابقة، وعلى الالتزام بقواعد الدستور والقانون وعلى العمل في إطار الثوابت الوطنية تحت مظلة النظام الملكي وإمارة المؤمنين صاحبة الأولوية في النيابة عن الأمة، وفي الحديث باسم الدين⁶⁴¹.

ومع ذلك فإن النظر في الممارسة وفي واقع العلاقات بين الطرفين، أبانت عن عدد من التحولات السياسية والاجتماعية والدولية على وجود محطات توتر منذ الفعل السياسي الأول لحزب العدالة والتنمية نهاية التسعينيات من القرن الماضي. كما ساهم عدد من الفاعلين السياسيين وعدد من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وبعض المواقف الدولية، في خلق توترات سياسية ومواجهات أثرت سلباً على نتائج حزب العدالة والتنمية في انتخابات سنة 2021، كما سنرى خلال هذه الأطروحة. استمر الحزب منذ المرحلة الأولى بعد الحصول على الشرعية 1997، في عملية المشاركة السياسية بشكل متدرج عبر الانتخابات⁶⁴²، ومتأقلاً مع إكراهات المشاركة السياسية المؤسساتية، والمتعلقة

640 بونعاج مربييه، السلوك السياسي للحركات الإسلامية بالمغرب، نموذج حركة التوحيد والإصلاح، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكدال، الرباط، السنة الجامعية 2007-2008، ص: 160.

641 الزهراوي محمد، "الإسلاميون المغاربة من رهان الإصلاح إلى أزمة التنظيم.."، مرجع سابق.

642 مقتدر رشيد، الإدماج السياسي للقوى الإسلامية في المغرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى 2010، ص: 14.

بالحصول على الدعم المالي من الدولة والتعاطي مع الإعلام العمومي وعلى التعاطي مع ردود فعل باقي الفاعلين السياسيين. شارك الحزب في الانتخابات الجماعية لشتبر 2003، معلنا الترشح فقط في 19% من الدوائر المتنافس عليها⁶⁴³، وقد يكون ذلك امتدادا للتوافقات مع السلطة، وهو نفس الأمر المتعلقة بالنسب المحدودة لمشاركته تكرر في الانتخابات التشريعية لسنة 2007 والجماعية لسنة 2009. يؤكد هذا الوضع المرتبط بنسب المشاركة في الانتخابات، وجود اتفاقات مسبقة مع السلطة تهدف إلى السماح بالمشاركة على مراحل وبدون إقصاء وفي نفس الوقت مشاركة متحكم فيها بواسطة ضبط الخريطة الانتخابية⁶⁴⁴.

يبدو أنه سيطراً تغيير جوهرى على التوافقات بشأن نسب المشاركة الانتخابية، أفضى إلى تصدر للمشهد الانتخابي⁶⁴⁵ سنة 2011. فبعد مرحلة البحث عن الشرعية وعن الاعتراف وعن الادمج في النظام السياسي، ساهمت الرجاء الاجتماعية والسياسية التي حدثت في المنطقة العربية في فترة الربيع العربي، والتي كان لها امتداد مشابه في المغرب بواسطة حركة 20 فبراير⁶⁴⁶، في تغيير بعد قواعد اللعبة والسماح لإسلامي العدالة والتنمية بالمشاركة الواسعة⁶⁴⁷. ويمكن اعتبار ذلك ذكاء من السلطة التي ربما تكون قد رأت في هؤلاء الاسلاميين جسر عبور نحو استقرار الشارع والجماهير، وأحد الأدوات التي يمكن أن تواجه بها أي انفلات اجتماعي قد يؤدي إلى زعزعة النظام السياسي ككل، ومما يؤكد ذلك هو تصريحات بنكيران المكررة عدة مرات و التي ترمي إلى التذكير بإمكانية عودة

643 محمد الزهراوي، الإسلام السياسي والسلطة في المغرب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية أكدال، الرباط، السنة الجامعية 2005-2006، ص: 130.

644 سطي عبد الإله، "وظيفة العملية الانتخابية والمسألة الديمقراطية في المغرب"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 27 نونبر 2022، الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5501>

645 كتبت عدد من المؤلفات والدراسات حول صعود إسلاميو المغرب إلى السلطة بعد الربيع العربي، من بينها مؤلفات كتبها كوادر حزب العدالة والتنمية، ومن بينها انظر: بلال التليدي، الإسلاميون والربيع العربي، الصعود، التحديات، تدبير الحكم، (تونس، مصر، المغرب، اليمن)، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى 2012.

646 مجموعة مؤلفون، المغرب في سنة 2011، إشراف عمر حرشان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 2012، ص: 18.

647 الزهراوي محمد، الاسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

احتجاجات 2011، كلما أحس بأن هناك إمكانية للتخلي عن حزبه في تدبير الشأن العام، بعدما كان من أوائل من تصدوا لحركة 20 فبراير⁶⁴⁸.

تميز إسلاميو العدالة والتنمية ببراغماتية، دفعت بهم إلى استغلال الوضع وإلى حاجة النظام السياسي إليهم، للتفاوض من جديد على مساحة مشاركة كبيرة لاسيما بعد الدور الذي لعبوه في اضعاف الشرعية على مسطرة إعداد دستور 2011 وعلى الدستور نفسه. ومع ذلك فإننا لاحظنا مواقف تكاد تكون متضاربة بين أجنحة حزب العدالة والتنمية وبين حركة التوحيد والإصلاح، في التعامل مع احتجاجات 20 فبراير، بين مؤيد ومعارض⁶⁴⁹، والتي لقيت مطالبها إلى حد ما تفاعلا من قبل السلطة والنظام السياسي، من خلال مخرجات خطاب الملك محمد السادس ل 9 مارس 2011، الذي جاء بتصوير لدستور جديد ولمفاهيم جديدة على مستوى إعادة ترتيب قيم السلطة في البلاد. تجسدت براغماتية حزب العدالة والتنمية في الدور الذي لعبه عبد الإله بنكيران أمين عام الحزب في عدم مشاركته في احتجاجات الشارع التي دعت إليها حركة عشرين فبراير⁶⁵⁰، وفي استغلال معارضته لها لتحقيق مكاسب سياسية واتفاقات جديدة مع النظام السياسي. لكن موقف حركة الإصلاح والتوحيد، الجماعة الدعوية المؤسسة للحزب، ظلت إلى حد ما غامضة تجاه حركة 20 فبراير⁶⁵¹. و ظهر إصرار وتركيز بنكيران بشكل ملحوظ في كل خروج إعلامي

648 الزهراوي محمد، الإسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

649 كان الدعم السياسي لحزب العدالة والتنمية للمؤسسة الملكية واضحا، سواء عند رفض المشاركة في احتجاجات حركة 20 فبراير رغم وجود خلافات داخلية بشأن ذلك، مما يجعلنا أمام افتراض تبادل أدوار بين مؤيد لاحتجاجات الشارع للضغط على النظام السياسي والتفاوض على موقع في السلطة، وبين مهادن ومؤيد للسلطة يستغل السياق لتحقيق مكاسب سياسية.

انظر حوار الباحث رشيد مقتدر مع جريدة أخبار اليوم، المغرب، العدد 1295، بتاريخ 16/15/2014، ص: 12.

650 أرغم بنكيران شبيبة العدالة والتنمية على التراجع عن قرارها المتعلق بالمشاركة في مسيرات 20 فبراير 2011، فصدر بيان عن الكاتب العام للشبيبة، مصطفى بابا، جاء غيه: "توصل بمراسلة من الأمين العام يوم الخميس 17 فبراير يلزم فيها الشبيبة بالتراجع عن الموقف الصادر عن المكتب الوطني الذي سبق أن أعلن فيه المشاركة في احتجاجات 20 فبراير 2011 والالتزام بقرار الأمانة العامة الذي يؤكد أن الحزب غير معني بالمشاركة في هذه الاحتجاجات"، وبذلك، أعلن الكاتب العام للشبيبة تعليق مشاركة الشبيبة في هذا اليوم الاحتجاجي.

انظر جريدة أخبار اليوم، المغرب، العدد 1295، بتاريخ 16/15/2014، ص: 12.

651 لم تكن مواقف حركة التوحيد والإصلاح واضحة في بداية توجيه نداءات الخروج للاحتجاج يوم 20 فبراير، وهي تعتبر الجناح الدعوي المؤسس لحزب العدالة والتنمية، فقد اختلفت مواقف قيادة هذه الحركة مباشرة بعد الإعلان عن حركة 20 فبراير، بين من يدعو إلى الخروج لاحتجاج ومن يعارض ذلك، ولم يصدر الموقف الرسمي إلا بعد عشرين فبراير، حيث أشاد بيان للحركة "بمستوى الوعي والمسؤولية للمحتجين" ودعا إلى "الإسراع في إصلاحات سياسية ودستورية واقتصادية واجتماعية حقيقية وجريئة ونوعي (... في إطار الثوابت".

حينها وبعدها، على الحديث عن موقفه من الملكية وعن دوره في دفع رفاقه في الجماعة الإسلامية إلى تغيير نظرتهم للنظام والتخلي عن فكرة الثورة على الملك إلى الإيمان بأهميته ودوره في استقرار البلاد وحماية مرجعيتها الدينية، وبذلك حزب العدالة والتنمية من أكبر المستفيدين من فترة الربيع العربي⁶⁵² والتي مكنته من الوصول إلى المشاركة في الحكم. تميزت الحملة الانتخابية التشريعية لسنة 2011 التي انتهت بفوز كبير لحزب العدالة والتنمية بما مجموعه 107 مقاعد من مجلس النواب، أي 27 في المائة من النتائج العامة لتشريعات دستور 2011، بكلمات للأمين العام عبد الإله بنكيران تحمل خطابا يستهدف التقرب من السلطة، وكان واضحا تركيزه على توجيه رسائل التودد إلى الملكية، من بينها حينما قال في لقاء جماهيري في إطار الحملة الانتخابية إن للملك جانبان مختلفان، الرمز والسياسة، "أما الرمز فلا نمسه، وأما السياسة فيجب أن نقول رأينا فيها قبل أن تغرق السفينة وكلنا فيها"⁶⁵³، ودعا المغاربة جميعا إلى الحفاظ على هذه الملكية "بعدها كانت في الماضي هي التي تحافظ عليهم"⁶⁵⁴.

ظلت هذه الرسالة أو هذا الخطاب يرافق خرجات بنكيران حتى بعد ترؤسه للحكومة، قد يكون ذلك بسبب استشعار إمكانية التخلي عن الدعم الموجه لحزبه، أو جراء التحفظات والاعتراضات التي تعرض لها حزبه أثناء تدبيره للحكومة، ملوفا بشكل ملحوظ باحتمال عودة الاحتجاجات التي وقعت في المنطقة العربية وفي المغرب، بعدما كان هو وحزبه أول من تصدى لها من خلال مواجهة حركة 20 فبراير⁶⁵⁵. ورغم انتهاج حكومة بنكيران لسياسات عمومية لم تكن تحظى بالرضى الجماعي، كما هو واضح في تعامله مع تخفيض موارد صندوق المقاصة، ورفع الدعم عن المحروقات، وتبني قانون جديد للتقاعد، وهي كلها مشاريع كان يصعب تنزيلها مع حكومات سابقة رغم أن الدولة كانت

انظر المغرب في سنة 2011 مرجع سابق، ص: 16-17-18.

652 Fadil Mohamed, "Contre le Roi : l'islamisme comme répertoire d'opposition au régime", in Observatoire International du Religieux, Bulletin N°17, Mars 2018. Lien:

<https://obsreligion.cnrs.fr/bulletin/contre-le-roi-lislamisme-comme-repertoire-dopposition-au-regime/>

653 الزهراوي محمد، الحركة الإسلامية بالمغرب العربي، دراسة حول اشكاليات : المشاركة، التطرف، العنف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكادال، الرباط، السنة الجامعية، 2014-2015 ص: 18.

654 نفس المرجع السابق.

655 الزهراوي محمد، الاسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

ترى فيها حلولاً لفك الضغوط عن الميزانية العامة وعن الاقتصاد الوطني، ورغم كل الانتقادات والحملات الإعلامية ضده و ضد حزبه من قبل خصومه السياسيين، فإن نتائج الانتخابات الجماعية لسنة 2015 والتشريعية لسنة 2016، جاءت بنتائج أطاحت بتوقعات الكثير من المتتبعين. استطاع حزب العدالة والتنمية أن يضاعف عدد المقاعد مقارنة مع الانتخابات الجماعية السابقة حيث حصل على 5021 مقعداً جماعياً مما بوأه الرتبة الثالثة وطنياً بنسبة 15.94 من عدد المقاعد، مكتسحاً بذلك المجال الحضري و المدن الكبرى وترأس مجالسها مثل مدن فاس، طنجة، القنيطرة، مراكش، أكادير، الرباط والدار البيضاء وغيرها⁶⁵⁶. أما فيما يتعلق بالانتخابات التشريعية ليوم 7 أكتوبر سنة 2016، فقد أفرزت حصول الحزب على 98 مقعداً في الدوائر المحلية و 27 مقعداً في الدائرة الانتخابية الوطنية أي ما مجموعه 125 مقعداً من مقاعد مجلس النواب⁶⁵⁷. وكخلاصة أولية يمكننا القول أن الدور الذي لعبه الخصوم السياسيين، وباقي الفاعلين الذين تموقعوا جلهم ضد حزب العدالة والتنمية، أعطوا لحزب الإسلاميين فرصة إظهارهم كخصم كبير متحامل على العدالة والتنمية، وربما بسبب هذا المعطى انصرف تركيز حزب العدالة والتنمية من إنتاج خطاب انتخابي عقلاني مطلوب خلال فترات الحملات الانتخابية، يحمل عناصر سياسات عمومية مفيدة للمواطن، إلى خطاب مظلومية وإلى بكائيات سياسية تخاطب مشاعر الجماهير. سنناقش هذا الموضوع في مبحث مقبل خلال هذا الأطروحة للوقوف على مسألة وجود الخصم كمحدد للتفوق التواصلي وللتقرب من الجماهير.

بناء على نتائج الانتخابات التشريعية للسابع من أكتوبر 2016، ومباشرة بعد ذلك بتاريخ 10 أكتوبر استقبل الملك عبد الإله بنكيران بالقصر الملكي بمدينة الدار البيضاء وعينه طبقاً للفصل 47 من الدستور، رئيساً للحكومة المغربية وكلفه بتشكيلها. ويتضح أن بنكيران كان يعتقد أن ترؤس ولاية حكومية ثانية، أصبح مضموناً، لاسيما وأن متغيرات حدثت على رأس حزب التجمع الوطني للأحرار، باستقالة صلاح الدين مزور من رئاسته ليحل محله وزير

656 الزهراوي محمد، الإسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

657 انظر نتائج الانتخابات التشريعية لسنة 2016، على الرابط:

الفلاحة والصيد البحري عزيز أخنوش. غير أن المشاورات أخذت في التعقد عندما انتصبت أربعة أحزاب وهي الاتحاد الدستوري والحركة الشعبية والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والتجمع الوطني للأحرار في كتلة تفاوض واحدة يقودها عزيز أخنوش.

وضع عبد الإله بنكيران قواعد للتفاوض من أجل تشكيل حكومته الجديدة، من أهمها رفض التحالف مع شخصيتين وحزبيهما، وهما إلياس العماري الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة⁶⁵⁸ الذي حصل على 102 مقعدا، وإدريس لشكر الكاتب الأول لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية⁶⁵⁹ الذي حصل على 20 مقعدا، وهو الحزب الذي كان قد يرغب سابقا مشاركته في الحكومة في ولايته الأولى بعد انتخابات برلمان 2011. في المقابل أكد بشكل قاطع على رغبته في التحالف مع حزبين آخرين أقل عددا من حيث نتائج انتخابات أكتوبر 2016 وهما حزب الاستقلال بزعامة حميد شباط، الذي حصل على 46 مقعدا، الذي تميزت علاقته بينكيران بتوترات ومواجهات إعلامية سابقة كثيرة وصلت إلى حد اتهام بنكيران لشباط بأنه رمز الفساد⁶⁶⁰. الحزب الثاني الذي قرر بنكيران التحالف معه هو حزب التقدم والاشتراكية بزعامة نبيل بنعبد الله رغم أنه حصل فقط على 12 مقعدا.

فمنذ البداية كان رفض بنكيران وحزبه واضحا لأي تحالف مع حزب الأصالة والمعاصرة ومع أي تقارب مع أمينه العام إلياس العماري، الذي اختزل فيه بشكل حصري ونهائي مفهوم التحكم والتسلط على باقي الفاعلين السياسيين وعلى المشهد السياسي ككل، غير أنه هذه المرة وجد نفسه أمام شخصية أخرى وحزب آخر يملك هو الآخر القدرة على توجيه القرارات التحالفية، وهو عزيز أخنوش وحزبه التجمع الوطني للأحرار.

في المقابل تبني الفريق الآخر بزعامة رئيس التجمع الوطني للأحرار عزيز أخنوش نفس قواعد بنكيران، فعبروا علنا عن رفضهم للتحالف مع حزب الاستقلال ومع حميد شباط، و بذلك عبروا عن حريتهم في اختيار مع من

658 انظر التصريح الصحفي لعبد الإله بنكيران بعدم إمكانية التحالف مع حزب الأصالة والمعاصرة على الرابط: <https://urlz.fr/narw>

659 انظر التقرير الإخباري بشأن رفض بنكيران التحالف مع حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية على الرابط: <https://urlz.fr/narx>

660 انظر التقرير الإخباري على جريدة هسبريس بتاريخ 1 فبراير 2014 على الرابط: <https://urlz.fr/narz>

يتحالفون، وواجه المتفاوضون بنكيران بتمسكهم بقواعد "اللعبة"⁶⁶¹ نفسها التي فرضها بنكيران وحزبه، وأصرروا على دخول الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية الحكومة. وقد لاحظ المتتبعون كيف أن بنكيران لم يستطع توضيح التمييز في الخصومة بين خصومته الشخصية مع إلياس العماري وادريس لشكر، وبين التعامل مع مؤسسات حزبية لها عمقها وقوتها وحضورها التاريخي والنظري.

قد يوحي لنا هذا الوضع بارتهان بنكيران لقواعد "هيمنة" في التفاوض، لا تستقيم مع القواعد الديمقراطية في المفاوضات، فتحول الأمر من مسألة تحديد أسس تشكيل حكومة على أساس نتائج الانتخابات وعلى أساس الأفكار والبرامج، إلى صراعات شخصية وذاتية، فأصبح بذلك بنكيران في مأزق بين تنفيذ قواعده التي وضعها والتي لا يسمح له "عماده" بالتنازل عنها وبين صعوبة تشكيل الحكومة في ظل هذه القواعد.

شكل هذا المعطى الشخصي لبنكيران في تصلبه وتعصبه لآرائه الشخصية وانعكاسها على تدبير شؤون الدولة، ثابتا خلال مرحلة ولايته الأولى، بدا ذلك بوضوح في عدد من لقاءاته واجتماعاته سواء مع النقابات أو مع عدد من الفئات الاجتماعية، وقد عبر بنكيران في بلاغ "انتهى الكلام"⁶⁶²، بإغلاق باب التفاوض مع حزب التجمع الوطني للأحرار وحزب الحركة الشعبية لتشكيل الحكومة، عن سلوك إقصائي إلى حد بعيد كما سنرى ذلك لاحقا في هذه الأطروحة.

كان لهذا التعثر في تشكيل الحكومة والذي أطلق عليه إعلاميا مصطلح "البلوكاج"، أثر على مستوى التجاذبات والتراشقات الإعلامية، بين أعضاء حزب العدالة والتنمية وبين الأحزاب الأربعة المجتمعة في صف عزيز أخنوش⁶⁶³. ووصفت هذه الأحزاب الأربعة بالفاقدة لاستقلالية القرار، وأنها تنفذ أجندة خفية هدفها عرقلة تشكيل الحكومة. في حين

661 انظر التقرير الإخباري عن أزمة التفاوض بشأن تشكيل الحكومة: "أزمة تشكيل الحكومة المغربية تتعمق بسبب الخلاف بين بنكيران وأخنوش"، على الرابط: <https://arabic.cnn.com/world/2017/0/05/government-morocco-crisis>

662 انظر التقرير الإخباري على موقع القناة الوطنية الثانية (دوزيم): "بنكيران: انتهى الكلام مع أخنوش"، يناير 2017 على الرابط: <https://urlz.fr/narH>

663 كمال القصير، "تعثر تشكيل الحكومة بالمغرب: هُندسة الحقل السياسي أم قزملة التجربة؟"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 30 يناير 2017، على الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2017/01/170130061251803.html>

ترى هذه الأحزاب الأربعة أو من يناصرها أن بنكيران لا يفاوضهم كرئيس مكلف بتشكيل الحكومة، بل يتصرف كأمين عام لحزب العدالة والتنمية، وهو بذلك في نظرهم لا يراعي قواعد التفاوض والتحفظ بشأن انتقادهم وأنه يفقد لشخصية رئيس حكومة بلد وليس لحزبه.

قد يكون تدبير بنكيران لمفاوضات تشكيل الحكومة، لم يكن مؤسسا على استراتيجية واضحة أو على قواعد تدير تناقضات المشهد حسب النتائج بعيدا عن النعرات الشخصية، و يبدو أن القاعدة التي تحكمت في لغة بنكيران هي اللغة العددية، أي أنه الحزب المتصدر عدديا وأنه حاز ثقة الملك من جديد وأن له تجربة في تسيير الحكومة رفقة عدد من هذه الأحزاب، بمعنى أن تضخم الأنا الشخصية خلق لديه نوعا من الاستخفاف والاستعلاء، وطغت الأنا الحزبية على ممارسة المفاوضات السياسية. استمر الجمود التفاوضي لتشكيل الحكومة حوالي خمسة أشهر حتى بدا أنها تسير في طريق مسدود، لاسيما بعد تشبث كل طرف بمواقفه، مما حدا بالملك طبقا لصلاحياته الدستورية إلى إعفاء بنكيران من مهام تشكيل الحكومة، وتعيين شخصية أخرى من نفس الحزب وهي سعد الدين العثماني يوم 15 مارس 2017 لتشكيل الحكومة، فاعتمد هذا الأخير على قواعد أخرى منافية لقواعد وأسلوب بنكيران في التفاوض وأيضا في تدبير الحزب⁶⁶⁴.

جاء في بلاغ الديوان الملكي عقب هذا التعيين، بأن الملك قد "أخذ علما بأن المشاورات التي قام بها رئيس الحكومة المعين (أي عبد الإله بنكيران)، لمدة تجاوزت الخمسة أشهر، لم تسفر إلى حد اليوم عن تشكيل أغلبية حكومية، إضافة إلى انعدام مؤشرات توحى بقرب تشكيلها"، وبذلك أغلق المجال الحكومي أمام بنكيران بشكل كان له آثار كبيرة على مستوى تدبير الحزب تحديدا. تلقى حزب العدالة والتنمية هذا البلاغ وإعفاء بنكيران وتعيين العثماني مكانه، بقبول علني واضح⁶⁶⁵، فلم تكن هناك أي اعتراضات أو نقاشات حول الاختصاص الدستوري والقانوني للملك

664 الزهرراوي محمد، حوار مع جريدة المساء، العدد 3288 بتاريخ 13 و14 أكتوبر 2017، ص: 12
665 كلمة عيد الإله بنكيران في ندوة صحفية تلت الاجتماع العاجل للأمانة العامة للحزب بتاريخ 18 مارس 2017، انظر الرابط على

منصة يوتيوب: <https://m.youtube.com/watch?v=EuvNZ6U5Th>

في ممارسة هذا الفعل، وقررت هياكل الحزب التفاعل بإيجابية مع بلاغ الديوان الملكي بالإجماع، في اجتماع للأمانة العامة للحزب في اليوم الموالي لإبعاد بنكيران، وكذلك في مجلسه الوطني الذي انعقد يوم 18 مارس، وانصبت كل القراءات سواء داخل الحزب أو خارجه على النظر في مستقبل الحزب وشعبيته في القادم من الزمن.

تمكن العثماني من تشكيل حكومة مكونة من 39 وزيرا ومن 6 أحزاب في ظرف وجيز لا يتعدى 19 يوما منذ تعيينه من طرف الملك، فكانت هذه محطة أخرى نتجت عنها خلافات بين بعض قياديي الحزب تجاوزت سقف التباين في الآراء والمواقف والتقديرات، إلى تبادل الاتهامات. وسناقش فيما بعد في هذه الأطروحة، هذه الخلافات⁶⁶⁶ ومسالك التبرير التي اعتمدها بعض قياديو الحزب في التحالف مع الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وفي مهادنة باقي الحلفاء، من خلال استدعاء انتقائي للتاريخ الإسلامي وللقرآن وللسنة النبوية بشكل يخدم الموقف السياسي المرحلي.

تصاعدت حدة الأزمة الداخلية للحزب منذ تلك الفترة، وظهرت مؤشرات الضعف والتراجع والشكوك حول مستقبل قوة التنظيم. ولعل المرور من مرحلة بنكيران في قيادة الحكومة والحزب إلى مرحلة العثماني، أعادت إلى الأذهان، فترة ترؤس هذا الأخير للحزب في بداية الألفية الثانية قبل عقد من الزمن على فترة الربيع العربي، وما تحمله من مهادنة ومرونة وتوافق مع السلطة ومع باقي الفاعلين، وتميزت فترة العثماني أيضا بقدرات تواصلية وخطابية أقل حدة وانتشارا، بعد مرحلة مواجهة وعناد ومحاولة هيمنة خلال فترة بنكيران⁶⁶⁷. فكان من الصعب على العثماني، أن يتعامل مع حالة يمكن وصفها بالحالة النفسية، التي عبر عنها أعضاء الحزب الذين ظل حاضرا في مخيالهم الجمعي والشخصي، تلك المقارنة بين زمن وشخصية بنكيران وبين زمن وفترة العثماني الذي اتهموه بالاستفراد بالقرار هو وفئة صغيرة مساندة له، ووصفوه بأنه قدم تنازلات كثيرة لخصوم الحزب منها قبول ما رفضه بنكيران للتحالف مع إدريس لشكر، وأغرق الحكومة بوزراء بدون انتماء حزبي. يجسد هذا المعطى، فهما لطرق تكوين هؤلاء المناضلين في هذا الحزب الإسلامي التي ربما تأسست على الميل إلى طاعة شخصية الزعيم الذي يملك كاريزما وأسلوب خطابة عاطفي

666 الزهراوي محمد، الاسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

667 نفس المرجع السابق.

وصدائي. كان الغضب داخل صفوف مناضلي الحزب واضحا جراء هذا الوضع، وعبر عدد منهم عن ذلك بشكل قوي وحاولوا جمع نصاب عددي طبقا لنظام الحزب، لعقد اجتماع للمجلس الوطني لمناقشة تطورات تشكيل الحكومة وقواعدها، لكنهم فشلوا في ذلك.

تميزت هذه الفترة بمواجهات موسعة داخل الحزب، فظهرت فجوة بين قياديي حزب العدالة والتنمية المساندين لسعد الدين العثماني، وبين انتظارات المنتسبين للتنظيم الذين عاشوا انخراطا كبيرا في أسلوب خطاب بنكيران. ويمكن القول أن هاجس القياديين المساندين للعثماني كانت رؤيتهم تتأرجح بين محاولة التوافق والاندماج داخل الدولة وداخل النظام السياسي ونيل الشرعية القانونية والسياسية، وبين نظرية الانخراط المتدرج في مسلسل الإصلاح من داخل المؤسسات تحت مظلة أمير المؤمنين. لم يراع هؤلاء القياديون طموحات الأجيال الجديدة داخل الحزب خصوصا أولئك الذين التحقوا مع زمن الربيع العربي، فوجد هؤلاء القياديين أنفسهم أمام جيل جديد تربى على الشحن و "التجيش" العاطفي والسياسي لفائدة بنكيران، و نشأ عندهم سقف مطالب عال في التغيير والإصلاح مما خلق تناقضات كبيرة وفجوات تؤكد على سؤال إمكانية تغيير هوية الحزب وقناعاته في المستقبل⁶⁶⁸.

الفقرة الثانية: التمايز العسير عن حركة التوحيد والإصلاح

تميزت حركة التوحيد والإصلاح بولادة اندماجية مع تيار إسلامي آخر هو رابطة المستقبل الإسلامي التي كان يقودها أحمد الريسوني وفريد الأنصاري وغيرهما⁶⁶⁹. يقول الأنصاري منتقدا دور الحركة في توجيه الحزب: "لقد صارت قصة الوحدة ذات البناء التراجيدي الحزين إلى ما يلي: كانت البداية تأسيسًا طموحًا لوحدة إسلامية وطنية، في أعظم قسم من أقسام العمل الإسلامي بالمغرب، وتأليفا لأوعى نخبة مثقفة من رجاله، ولكن بعد نحو سنتين من العمل بدأ يظهر أن الوحدة صارت تقول حقيقتها إلى مجرد التحاق رابطة المستقبل الإسلامي بحركة الإصلاح والتجديد، ثم بعد

668 الزهراوي محمد، الاسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

669 لشهب نور الدين، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 261.

الانتخابات الوطنية للبرلمان المغربي لسنة 2002 صارت حركة التوحيد والإصلاح في صورتها تؤول إلى مجرد التحاق بحزب العدالة والتنمية وتفرغ لطاقاته في مآهاته المظلمة! وانتهت القصة".⁶⁷⁰

اعتبر الأنصاري أن حركة التوحيد والإصلاح فشلت في وظيفتها الأساسية في توجيه الحزب، على مستوى الهدف أو على مستوى الوسائل الوظيفية أو على مستوى الشورى، فيقول: "إن الحقيقة المرة أن العقلية المطيعية صيرت الحركة في كثير من منسبها بلا دين"⁶⁷¹. ووصف "الشيء المسمى الشورى داخل الحركة" وفق تعبيره، بكونه "ضرباً من الميكيفيلية التيارية"⁶⁷²، وخلص إلى أن حركة التوحيد والإصلاح صارت في النهاية كـ "يا أيها الناس"، "لا اجتهاد لها في الدين ولا في الدعوة، ولا فضل لها في التربية ولا في التكوين"⁶⁷³.

ظل الارتباط قائماً بين حركة التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية منذ تأسيسه ودخول أعضاء الحركة معترك المشاركة السياسية، تجسد هذا الارتباط على مستويات عدة، أولها ارتباط بإسناد الحزب وتطعيمه بالخب السياسية القادرة على المشاركة السياسية، ثم ارتباط معنوي وفكري وأخلاقي مؤطر لخط سير الحزب، إضافة إلى دورها الواضح في تهيئ الرأي العام وتأطير الجماهير من خلال حلقات الدرس الديني والوعظ الذي تمارسه بشكل منتظم. وهي كلها ارتباطات زادت من قوة ذراعها السياسي الذي يعتبر في عمقه ذراعاً فرعياً لما رسمته من أدوار وجودية لخدمة فكرة الدولة الإسلامية المنشودة.

أولاً- دور الحركة في تهيئ وإسناد النخبة السياسية للحزب

شكلت الحركة ما يمكن أن نسميه بالعمق الفكري والتربوي للحزب⁶⁷⁴ وبالمشتل الكبير لصناعة المتعاطفين والنخب السياسية لفائدة الحزب. كانت الحركة ولا تزال القاعدة الحقيقية والأساسية لمشروع العدالة والتنمية. ولا يخفى

670 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 105-106.

671 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، ص: 107.

672 نفس المرجع السابق، ص: 109.

673 نفس المرجع السابق، ص: 110.

674 محمد بن جلول، "الدعوي والسياسي في تجربة حركة التوحيد والإصلاح: الثابت والمتغير"، في أواصر للثقافة والفكر والحوار،

بتاريخ 30 أكتوبر 2021، الرابط: <https://urlz.fr/nasM>

على الملاحظ أن معظم الذين مارسوا في الحزب من نخب شابة ومخضرمة إن لم يكن كلها، تعتبر نخبا جاءت من امدادات ومن "الخزان البشري" الذي بنته الحركة، ومن بينها أيضا ذلك الارتباط أو الاستقطاب الذي تم بين شببية الحزب وبين ما تسميه حينها الحركة باللجنة التلاميذية ضمن هياكلها⁶⁷⁵، مما يطرح تساؤلا فرعيا ذو قيمة بحثية علمية في نظرنا، حول مركزية النخب التي تخرجت من الحركة في إدارة الحزب وتشعباته وانتخاباته، وفي تماس هذه العملية مع فكرة إقصاء ضمني لأي مشاركة من أي نخب لم تتكون في حلقات الحركة. وبذلك فإننا نفترض أن سبب إغلاق منافذ مواقع القيادة في الحزب أمام نخب لم تتربى في الحركة كان بسبب وجود هاجس وتخوف من الاختراق أو السيطرة على أجهزة التنظيم وبالتالي تغيير هوية الحزب الدينية تحديدا. غير أن المفارقة التي رصدناها، هي أن كل الرجات التي تعرض لها الحزب، خصوصا تلك المرتبطة بالجانب الأخلاقي والسلوكي، لم تأت من نخب وافدة من خارج الحركة بل جاءت من أطر وقياديين تربوا منذ سن مبكر أو منذ سن الشباب في رحم الحركة. قد يكون الجواب على هذه المفارقة، هو ضعف المناعة الاجتماعية لدى هذه النخب، نظرا للانغلاق الفكري والتأطيري ونظرا لعدم التفاعل والانخراط في حياة المجتمع بشكل طبيعي وعادي بكل محاسنه ومساوئه.

ثانيا - دور الحركة في المراقبة المعنوية والأخلاقية للحزب

بالنظر إلى طريقة وأهداف الحركة الدعوية التربوية، فإنه في بداية مشاركتها السياسية ظهر توجس عدد من المنتسبين إليها من العمل السياسي، فكانوا غير متحمسين له وغير راغبين في الانخراط في هياكل الحزب الذي أنشأته، فقد كانوا ينظرون إلى ذلك بكونه مجرد استيلاء واستنزاف للبعد الروحي والدعوي الذي تأسست عليها الحركة⁶⁷⁶.

وعندما أصبح أعضاء الحزب المنتمون إلى الحركة، نوابا برلمانيون وشكلوا فريقهم في مجلس النواب برئاسة مصطفى الرميد، لم يكونوا يترددون في طلب المشورة والرأي وربما الفتوى الشرعية، في عدد من القضايا، منها مثلا

675 ماهر الملاح، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3)، مرجع سابق.

676 ماهر الملاح، مرجع سابق.

بعض مشاريع ومقترحات القوانين، كالموقف الشرعي من قوانين القروض الصغرى والبيع بأجل، ومنها أيضا مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية التي تقدم بها عضو الحكومة سعيد سعدي المنتمي إلى حزب يساري وهو حزب التقدم والاشتراكية، بل إن الحركة كانت تلعب دور محرك أو محرض على احتجاجات شعبية ضد نصوص أو خطط سياسات عمومية، بهدف إسناد عمل الحزب كحزب معارض في البرلمان. وقد أبانت الحركة عن قدرة كبيرة في تعبئة المنتسبين إليها أو المتعاطفين معها أو الجماهير بصفة عامة في قضايا كانت تعتبرها مسا بقواعد المرجعية الإسلامية⁶⁷⁷.

غير أن هذا الارتباط المسند لعمل الحزب، وهذا الحبل "السري" بين الحزب والحركة سواء في امدادها له بالخب، أو بالمواقف أو بمساعدته على التعبئة الجماهيرية، لم يسر في خط مستقيم ومستقر، بعد توسع مشاركة الحزب وتضخمه من خلال المنجزات الانتخابية ومع ظهور أزمات مرتبطة بباقي الفاعلين السياسيين، أو مع انخراط أطر جديدة في الحزب لا تنتمي للحركة⁶⁷⁸.

وبالرغم من أن أدبيات وأوراق الحركة، أهمها ورقة "الوصل والفصل"، نصت على التمييز بين الدعوي والسياسي، باعتباره فصلا فرض نفسه مع تطور عمل الحزب، وبذلك تم التمييز بين القيادات العليا في الحركة وفي الحزب، حيث تم التنصيص على عدم الجمع بينهما، إلا أن الحركة ظلت حاضرة معنويا وميدانيا عند كل محطة من محطات الحزب الفاصلة، فظل هذا التمايز أو ما يمكن أن نسميه استقلالية محدودة للحزب في العمل، غالبا وواضحا مع الميل إلى اعتماد نوع من التتابع في القضايا الكبرى⁶⁷⁹، مع إمكانية ظهور خلافات أساسية وكبيرة بينهما. وعموما الاختلافات في المسألة الشرعية الإسلامية بين التنظيمات الإسلامية نفسها أو بينها وبين والدولة، قد تنتقل بسهولة داخل التنظيم ثم تنتقل بينه وبين الجماعات ذات المرجعية الإسلامية، من الإطار الديني الفقهي لتصل إلى مستوى

677 ماهر الملاخ، مرجع سابق.

678 نفس المرجع السابق.

679 نفس المرجع السابق.

الممارسة السياسية وإلى مؤسسات الدولة وإلى الإعلامي والثقافي⁶⁸⁰. بعض هذه الخلافات مرتبط بسؤال من ينتج من⁶⁸¹ وبالتالي من يفرض وصايته على الآخر؟ هل يشكل الحزب ذراعا سياسيا ودعويا للجماعة التي أنشأته فكريا وبشرياً عندما أصدرت قرار العمل السياسي، أم أن الحركة هي ذراع الحزب الدعوي وخزان موارده البشرية والايديولوجية؟

وقد شكل هذا النزاع الجوهرى أحد أهم عقد عمل الحزب مع تزايد الوصاية الشرعية والاخلاقية للجماعة على قادة وأعضاء الحزب، خصوصا بمناسبة سلوكيات وصفت بالفضائح الأخلاقية⁶⁸² المنافية لقيم الإسلام، تستوجب ردعا وربما تستوجب سحبا لدعم الجماعة للتنظيم السياسي، كما كان الشأن في السجلات الإعلامية والداخلية بين أعضاء الحزب، بمناسبة انتشار صور للقيادية والبرلمانية عن الحزب السيدة أمينة ماء العينين، والسيد محمد يتيم أحد قادة الجماعة والحزب الذي كان يمارس مهام وزير الشغل عن الحزب عندما انتشرت صور قيل أنها صور له مع سيدة في الخارج، كانت تمارس مهام ترويض طبي عندما كان مصابا في أحد قدميه، و روج أنها خطيبته أو زوجته عرفيا وهو في غير حل من زواج سابق لأم أبنائه، ثم هناك ملف الخلوة بين السيدة فاطمة النجار وعمر بن حماد وهما عضوان بارزان في جماعة التوحيد والإصلاح، وكانا يمارسان مهام التأطير والتكوين العلمي والفقهى لأطر وأعضاء الجماعة والحزب، غير أن حجتهم حينها في هذه الخلوة كانت هي وجود زواج عرفي بينهما، رغم أن السيد حماد كان متزوجا وكان الوضع يقتضي استصدار إجراء قضائي بالتعدد موثق طبقا لقانون مدونة الأسرة المغربية، مما يطرح تساؤلات أساسية حول مدى امتثال أعضاء الجماعة لقانون الدولة ولمؤسساتها وللمذهب المالكي. هذه الحالات سببت نقاشات

680 انظر تقرير مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، (مؤسسة تابعة للأزهر الشريف بمصر)، تحت عنوان: "ادعاء امتلاك التفسير الصحيح

للنص الديني أحد أبرز المشتركات بين التنظيمات المتطرفة"، القاهرة، 2022، منشور على موقع الأزهر بمصر www.azhar.eg

رابط التقرير: <https://urlz.fr/mN5o>

681 محمد بن جلول، "الدعوي والسياسي في تجربة حركة التوحيد والإصلاح: الثابت والمتغير"، مرجع سابق.

682 سنأتي على مناقشة هذه السلوكيات في فقرات لاحقة في القسم الثاني من هذه الأطروحة.

وجدالات إعلامية، ونتج عنها إصدار بيانات وإعطاء تصريحات وتوضيحات، منها ما اعتبر هذه الحوادث خروجاً عن قواعد الشرع الإسلامي حسب قراءات الجماعة والحزب لأسس التدين.

ثالثاً- دور الحركة في التأطير النظري وبناء المواقف لفائدة الحزب

إذا حاولنا النظر في المواقف السياسية للحركة، فإنها قد تكون محدودة ومرتبطة بقضايا كبرى أو بثوابت الدولة، كالموقف الرفض والمنتقد لدستور 13 سبتمبر 1996، والموقف من قضية نزاع الصحراء المغربية، وهو نفسه الموقف الرسمي، والموقف من القضية الفلسطينية ومسألة ربط علاقات مع إسرائيل الذي سار في توجه مخالف للحزب وإلى حد ما مخالف للموقف الرسمي.

غير أن أهم المواقف والقضايا التي استأثرت باهتمام الحركة، كانت تتعلق بقضايا، تنظر إليها الحركة كقضايا تمس المرجعية الإسلامية، أو الجانب الأخلاقي، أو الجانب الهوياتي، كموقفها الرفض للاحتفال برأس السنة الميلادية⁶⁸³ الذي أصدرته بواسطة بيان علني، وأكدته الفريق النيابي للحزب عندما طرح سؤالاً في البرلمان حول الموضوع⁶⁸⁴، مستعملة مذهب الدولة المالكي لتمير رسالتها، وكأنها بذلك تريد أن تحرج الدولة ومؤسساتها وعلمائها، مما عرض رئيسها حينها الدكتور أحمد الريسوني، إلى صدور "رسالة تحذير قوية اللغة واللهجة من السلطات العمومية"⁶⁸⁵. لم تقف المواجهات عند الحد الفقهي مع السلطة، بل اشتدت عندما تبنت الحركة والحزب وفريقه البرلماني الذي كان يترأسه مصطفى الرميد، لما سمته الحركة والحزب بملفات قضايا خروقات حقوق الإنسان، ضد فئة تم اعتقالها وقيل أنها كانت محسوبة على السلفية الجهادية، بعد أحداث 11 شتبر 2001 في الولايات المتحدة

683 ماهر الملاح، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3) جاء وقت الحديث"، مرجع سابق.

684 سعد الدين العثماني، حوار نشر في جريدة التجديد، المغرب، بتاريخ 11 يناير 2005، مرجع سابق.

685 ماهر الملاح، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3) جاء وقت الحديث"، مرجع سابق.

الأمريكية، وانخراط المغرب في الجهود العالمية لمحاربة الإرهاب الدولي، وهو ما زاد من التوتر بين الحركة والحزب من جهة وبينهم وبين السلطة من جهة أخرى⁶⁸⁶.

ولم يكن متزعم ما سمي بتيار التماهي⁶⁸⁷، عبد الإله بنكيران، متفقا مع مواقف الحركة ومع فتاوها للحزب خصوصا فيما يتعلق بالتوجيهات السياسية ضد قرارات الدولة. كان بنكيران متخذا موقفا إلى الخلف بعدم الظهور في الواجهة، لكنه كان يرسل إشارات احتجاجه على الحركة من بعيد، معتبرا أن مواقفها الراضية لعدد من قرارات الدولة، قد تقضي على مشروع الاندماج السياسي للإسلاميين في النظام برمته، لأنها بذلك حسب رأيه تدمر كل محاولات بناء الثقة بين الإسلاميين والمؤسسة الملكية، والتي لعب هو دور مهم في بنائها منذ إعلانها "التوجه الجديد" سنة 1982. يبدو أن الحركة لم تكن تعير مواقفه وأراءه قيمة فعلية وكان مأل جميع تحركاته حينها الفشل، ابتداء من عدم تبني موقفه للموافقة على دستور 1996، ومرورا بعدم تلبية رغبته في الترشح في انتخابات 1997، ثم ميله للمشاركة في حكومة اليوسفي في ذات السنة، و بموقفه في الاستمرار في المساندة النقدية سنة 2000، ووصولاً إلى الموقف الراض للتبني الحقوقي والرقابي لملف السلفية الجهادية⁶⁸⁸.

686 زيف محمد، "الإسلاميون وحقوق الإنسان في المغرب الإسلاميون والمسألة الحقوقية في المغرب"، مرجع سابق.
687 ماهر الملاح، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3) جاء وقت الحديث"، مرجع سابق.
688 ماهر الملاح، مرجع سابق.

القسم الثاني

حزب العدالة والتنمية التأسيس لخطاب دعوي أخلاقي

قيمي في الحياة السياسية

لقد كان واضحا استعمال الخطاب واللغة الدينية من قبل عبد الإله بنكيران الأمين العام لحزب العدالة والتنمية منذ أول يوم لترأسه الحكومة ولترأس أول مجلس حكومي، حيث ظهر ذلك على مستوى الشكل باستعمال البسمة عند بداية الاجتماعات، ثم مصطلحات أخرى من قبيل: الحمد لله، خوف الله، الجنة، العتق من النار، وغيرها إضافة إلى التذكير ببعض قصص الصحابة والخلفاء الراشدين وغيرها. وبذلك فإن اللجوء إلى المرجعية الإسلامية⁶⁸⁹ على مستوى الشكل في تواصل وخطاب قيادة حزب العدالة والتنمية، قد يكون في إطار تحقيق هدف التميز عن باقي الفاعلين السياسيين، على مستوى الهوية السياسية وعلى مستوى اللغة وطريقة التواصل والخطابة مما يمكن اعتباره أحد أهم نقاط القوة التي يعتمدها هذا الحزب في توجيه الضربات لخصومه.

هناك من يعرف السياسة بكونها فن "القوة وتوزيعها بين الأطراف"⁶⁹⁰، و يعرف علم السياسة بعلم القوة أو القدرة، وتعني القوة قدرة الطرف (أ) على فرض إرادته على الطرف (ب)⁶⁹¹. ولذلك فإن القوة التي "لا تتمكن من فرض إرادة ليست إلا قوة متوهمة"، وكما يقول جاسم سلطان أن معرفة حجم قوة طرف معين يكمن في الإجابة على سؤال محدد وهو: "ما الذي يستطيع الطرف (أ) أن يفعله إذا غضب؟"⁶⁹². من هذا المنطلق وبعد القيام بعملية تحديد الأطراف الحقيقيين في الصراع، ولقياس قوة كل طرف وحجم القوة "الموزعة" بينهم، فإننا ننظر في كيفية ردود فعل الأطراف على مختلف أنواع الأفعال السياسية، مثلا كيف كان رد فعل حزب العدالة والتنمية على قرار إعفاء بنكيران من تشكيل الحكومة؟ كيف استقبلوا نتائج انتخابات 2021، وغيرها من الوقائع التي يفترض فيها إثارة "الغضب". قد

⁶⁸⁹ سحنون زكرياء، الخطاب السياسي لعبد الإله بنكيران قراءة في الأسس الفكرية والمنهجية، مرجع سابق، ص: 53-56
⁶⁹⁰ جاسم سلطان، قواعد في الممارسة السياسية، مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 2008، ص: 45.
⁶⁹¹ نفس المرجع السابق.
⁶⁹² نفس المرجع السابق، ص: 46.

يكون رد فعل قادة حزب العدالة والتنمية هو مزيد من الخطابة والتواصل باعتبارها أداة قوة في نظرهم تضعف الخصوم، وقد يكون الأسلوب هو عدم القدرة على فهم السياق وبالتالي فقدان القدرة على الفعل السياسي المؤثر.

في هذا القسم سنناقش أساليب إبراز قوة حزب العدالة والتنمية في مواجهة خصومه من خلال التواصل السياسي للحزب كوسيلة للتعبير عن الهوية في تقاطعات الثقافي بالخطابي (فصل أول)، ثم نتناول مستويات ممارسة القوة في الفعل التواصلي لحزب العدالة والتنمية كفعل ذو نزعة إقصائية مضمرة (فصل ثاني).

الفصل الأول

التواصل السياسي للحزب

كوسيلة للتعبير عن الهوية:

تقاطعات الثقافي بالخطابي

ترتبط مسألة هوية كل تنظيم اسلامي بخلق التميز عن التنظيمات السياسية الموجودة بمختلف أطيافها المذهبية، وأيضا عن باقي التيارات الإسلامية الأخرى، التي غالبا ما يحدث بينها صراعات حول أحقية ومشروعية الفكرة والإسلامية والقراءة التراثية الصحيحة. يقول فريد الأنصاري في نقد "الفصائلية" الإسلامية البغيضة في العمل الإسلامي وفق تعبيره، أنها شكلت خروجاً عن مقتضى الشريعة والأخلاق في ممارساتها، مثل وقوعها في تربية الطلاب على الكذب والخداع وسوء الأخلاق في المناظرة والحوار والاختلاط، وهو يقصد جماعة العدل والإحسان، التي يصفها بأنها: "ما رأى في الإسلاميين أقلّ حياء من طالباته وطلابه، ولا دوساً لأحكام الشريعة من رواد هذا الفصيل".⁶⁹³ ويقول الأنصاري أنه كان شاهداً على ذلك في الجامعة المغربية خلال فترة تدريسه فيها⁶⁹⁴ وأن فصيل الوحدة والتواصل التابع لحركة التوحيد والإصلاح، والذي تطور فيما بعد باسم منظمة التجديد الطلابي، وقع هو نفسه في ما وقع فيه فصيل العدل والإحسان من "مزلق ومهالك، وابتلي بما ابتلي به من أدواء وأهواء" وترك الفرائض وغيرها من أمور التعب⁶⁹⁵. وبذلك فإنه يمكن القول أن أزمة التنظيمات الإسلامية هي ليس أزمة حديثه العهد أو ناتجة عن المشاركة السياسية فقط، وإنما هي أزمة تكاد تكون بنيوية مرتبطة بأساسها الفكري و التنظيمي والخطابي، الذي أقامت عليه عملها السياسي ككل. لذلك فإنه من الضروري مناقشة علاقة الخطاب بالفكرة السياسية للتنظيمات عموماً وبالتواصل السياسي كسلوك اجتماعي تجاه المجتمع (مبحث أول)، ومناقشة أساليب ممارسة هذا التواصل السياسي من قبل حزب العدالة والتنمية (مبحث ثاني).

693 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، ص: 47.

694 نفس المرجع السابق، ص: 44-52.

695 نفس المرجع السابق، ص: 52-58.

مبحث أول: علاقة الخطاب بالتواصل السياسي

لعل أهم ما يميز الاشتباكات والمواجهات التي تكون الجماعات الإسلامية طرفا فيها، هو ادعاء كل تنظيم إسلامي في الدول العربية والإسلامية، امتلاك التفسير الصحيح للنص الديني⁶⁹⁶، وللقاعدة الفقهية الإسلامية، ويكاد يكون هذا أحد أبرز المشتركات بين التنظيمات الدينية عموما.

ومن أهم القواسم المشتركة بين التنظيمات الإسلامية هو العمل على تكوين أعضاء التنظيم على الارتباط بالفكرة الإسلامية، بنفس التصور العام في تحقيق الخلافة وتطبيق الشريعة الإسلامية، وبالتالي ينبغي الارتباط السلوكي بهذه الفكرة بشكل دائم، غير أن الواقع يبرز أنه في حالات كثيرة قد يكون الارتباط بالزعيم، أو القائد أو الإمام أو الشيخ، بشكل أكبر من الارتباط بالفكرة⁶⁹⁷. ورغم وجود محاولات قد توجي برفض شخصنة التنظيم على حساب الفكرة مع إمكانية تغيير الزعيم نظريا، كما حدث مع حزب العدالة والتنمية بعدم تزكية عودة عبد الإله بنكيران لقيادة التنظيم بعد استفاد ولايته القيادية التي حددها وثائق الحزب سنة 2017، غير أنه مع تغير تموقع التنظيم في المشهد العام بعد الفشل في انتخابات شتبر 2021، تمت العودة لفكرة الزعيم في شخص بنكيران بإجماع المقررين في هياكل الحزب. لذلك فإن من أبرز الملاحظات التي تثار بهذا الشأن هو صعوبة التخلي عن محورية الزعيم في كل عمليات الفعل الاجتماعي للتنظيم، بسبب مركزيته في إدارة عمليات الخطاب والتواصل الهادف إلى الاستقطاب السياسي لفائدة التنظيم مما قد يفترض، أن التنظيم كله مؤسس على تصور وتواصل الزعيم وليس على قوة الفكرة المرجعية التي على أساسها الفكري استقطبت النخب والأعضاء المؤسسين للفكرة السياسية للتنظيم. وتمهيدا لما سنناقشه فيما بعد من علاقات بين نخب حزب العدالة والتنمية ومرجعياته التقليدية في صناعة الخطاب، سنتناول في هذا المبحث تحليل

696 تقرير مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، (مؤسسة تابعة للأزهر الشريف بمصر)، تحت عنوان: "ادعاء امتلاك التفسير الصحيح للنص الديني أحد أبرز المشتركات بين التنظيمات المتطرفة"، مرجع سابق.
697 نفس المرجع السابق.

مفهوم الخطاب باعتباره رأسمالاتقافيا (الفقرة الأولى)، ثم تحليل الخطاب في علاقته بالأيديولوجيا (الفقرة الثانية). ومن تم مناقش علاقة نخب حزب العدالة والتنمية بصناعة الخطاب السياسي للحزب (الفقرة الثالثة).

الفقرة الأولى: الخطاب كرأسمال ثقافي

يعتبر إنتاج خطاب ديني ذو خصوصية أهم عنصر يميز التيارات الإسلامية ويميز حزب العدالة والتنمية عن باقي الأحزاب في المغرب. ويمكن اعتبار الخطاب الديني جزءا من مفهوم رأس المال الثقافي كامتداد لمفهوم رأس المال الرمزي، الذي يمكن إسقاطه على كل شيء غير مادي كما يرى بيير بورديو. وقد قسم بورديو رأس المال الثقافي إلى نوعين، رأس المال الثقافي الموروث، ويقصد به دور الأسرة في تزويد الأفراد بمهارات وآداب عامة، بوصفها ثقافة جمالية، وأسلوب حياة يومية للأسرة، تحافظ عليه، وتتوارثه عبر الأجيال⁶⁹⁸. والنوع الثاني رأسمال ثقافي مكتسب، ويقصد به دور المدرسة والجامعة في تزويد الأشخاص بشهادات معترف بها، مما يكسبها الشرعية في المجتمع⁶⁹⁹. وقد استخدم بورديو نوعين فرعيين منبثقين من رأس المال الثقافي الموروث، الأول هو رأس المال الثقافي المجدد، ويقصد به الاهتمامات الراقية، مثل اقتناء الكتب، والتصوير، وزيارة المتاحف، ورأس المال الثقافي اللغوي ويقصد به القدرة على التحدث بثقة ولباقة⁷⁰⁰. ولفهم ميكانيزمات اشتغال الخطاب وعناصره وأنواعه فإننا سنعالج موضوع تعريف الخطاب والخطاب الديني والسياسي وإلى العلاقة بينهما وبين النخب السياسية.

أولا- عناصر الخطاب الديني والسياسي

الخطاب عموما هو إنجاز ومنتج إنساني، يتأثر بالمكون المعرفي والحدسي والنفسي أيضا للمتكلم، في سياق زمني ومكاني محدد، مع ضرورة توفر عناصر مهمة هي المُخاطَب والمُخاطَب، باستعمال الأصوات والمفردات

698 عماري مصطفى، "رهانات الخطاب الديني بين الرسمي واللا رسمي في الحقل الديني بالجزائر الخطاب الديني المسجدي أنموذجا"، مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة، المجلد 03، العدد 09، 2022، منشورة في موقع المركز الديمقراطي العربي، بتاريخ 24 نونبر

2022، الرابط: <https://democraticac.de/?p=85964>

699 نفس المرجع السابق.

700 نفس المرجع السابق.

والتركيب والدلالة والتداول والإشارات والنصوص⁷⁰¹. وبذلك فإن للخطاب وجود فيزيائي مادي، لأن اللغة ظاهرة فيزيائية، إلى جانب كونها ظاهرة اجتماعية وتعبيرية وتواصلية، وهي بنية تحكمها علاقات تعلن عن انتمائها إلى كيان لغوي متماسك عبر نسيج من الكلمات مترابطة فيما بينها، وبهذا يكون الخطاب نظاما من العلامات الدالة ظاهرا وباطنا⁷⁰². وفي هذا الشأن يقول ابن منظور⁷⁰³: "الخطاب مراجعة الكلام، وقد خاطبه مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان". أما في اللسانيات فنجد أن الخطاب يساوي الكلام، وبهذا نستطيع القول بأنه عبارة عن نتاج فردي كامل يصدر عن وعي، وإرادة، ويتصف بالاختيار الحر، وحرية الفرد الناطق تتجلى في استخدامه انساقا للتعبير عن فكره الشخصي.

ومن خلال ما تقدم يعتبر الخطاب كلاما مباشرا أو غير مباشر شفوي أو مكتوب، ويلقى على المستمعين قصد التبليغ والتأثير، ويختلف نوع الخطاب باختلاف مضمونه والمواقف التي يلقي فيها. ونتيجة لذلك يتحدد نوع الخطاب، فنجد الخطاب السياسي، الاجتماعي، الديني، العلمي، التعليمي إلى غير ذلك من الأنواع⁷⁰⁴. وكثيرا ما نجد الخطاب السياسي في المغرب لاسيما لدى جماعة الإسلاميين، يتجه نحو خطاب تعليمي أو خطاب أستاذي، تتسحب فيه العلاقة التشاركية الضرورية لإنتاج خطاب ذو طابع ديمقراطي، بين أنا مقابل أنت وتسود فيه علاقة الأستاذ بالتلميذ أنا - أنت، مما يفقد الخطاب السياسي شفافيته وتوازنه في إعطاء الحرية للمتلقى كفاعل أساسي في عملية الخطاب، لإصدار أحكامه وتعقيباته المباشرة، على غرار خطباء المسجد الذين يتحدثون لوحدهم دون ممارسة حق التخاطب بالنسبة للمتلقى، الذي يفهم في سياقه الديني بالاحترام الواجب للإمام، غير أن هذا النموذج تم نقله إلى التخاطب في الفضاء العام دون مراعاة للسياق وقواعد التخاطب في الفضاء المشترك، كما سنبيين فيما بعد.

701 نفس المرجع السابق.

702 الخطيبي عبد الكبير، النقد المزدوج، مرجع سابق، ص: 188.

703 انظر معجم لسان العرب لابن منظور، النسخة الإلكترونية، دار المعارف، رابط النسخة على مكتبة نور الرقمية:

<https://urlz.fr/nb4F>

704 الخطيبي عبد الكبير، النقد المزدوج، منشورات عكاظ، مرجع سابق، ص: 183.

ويتميز الخطاب الشفاف بقلّة ورود ضميري المتكلم والمخاطب، وبكثرة الأفعال المنقضة، وبقلّة العلامات الدالة على المكان والزمان والأفعال الدالة على الحكم على الكلام، والصيغ التركيبية التي تتطوي على العلاقة الجدلية بين المتكلم والمخاطب (الاستفهام مثلا)⁷⁰⁵. وهناك الخطاب المعتم ذو الطبيعة السجالية، الذي يتميز بكثرة الضمائر التي تدل على نوع من التحدث عن الأنا، و بقلّة الأفعال، وكثرة العلامات الدالة على المكان والزمان، ويعتبر الخطاب المعتم أو السجالي على عكس الخطاب الشفاف، فهو خطاب معتم لأن العتمة والشفافية إنما تمثلان انفتاحا على لبس الرسالة. فالشفافية تطابق اللبس الأدنى والعتمة تلامس اللبس الأقصى⁷⁰⁶.

وهناك الخطاب العلمي ويمكن تعريفه بذلك الخطاب الذي يقوم على هيمنة لغة الإخبار، بعيدا عن الإيحاءات، فهو محدد الدلالة وغير قابل للاشتراك والترادف⁷⁰⁷. تراكيبه غير مكررة ولا تعيد نفسها، وهي تجنح إلى الدقة في استعمال المصطلح الخاص بالحقل الذي تخوض فيه⁷⁰⁸. كما أنه خطاب سمته البارزة الاعتماد على المنطق في ربط فقراته وفي عرض موضوعه ووصفه، بموضوعية ودقة ومنهجية في وصف الظواهر التي يتناولها مع تجنب كل ما يثير التأويل⁷⁰⁹. يتميز هذا الخطاب لغويا بنظام جملة لا تحيل على الضمير المتكلم أو المخاطب ولا تستعمل من الأزمنة إلا الحاضر، وهي مسألة قد نلاحظ أنها تغيب في خطاب قيادات حزب العدالة والتنمية، بعدم استعمال لغة عالمية دلالية محضة تبني التطابق الدقيق بين الدال والمدلول، ليصير الدال واضحا مرشدا بشكل سلس ومباشر إلى مدلوله، دون أن يلفت نظر المتلقي إلى ذات المخاطب.

ويعتبر الخطاب السياسي خطاب مضمونه السياسة وينتجه فاعلون سياسيون. وقد عرف المفهوم اهتماما كبيرا من لدن الباحثين في نهاية الستينيات من القرن الماضي مع ظهور نظرية تحليل الخطاب بفرنسا. يعرف فيليب

705 نفس المرجع السابق.

706 الخطيبي عبد الكبير، النقد المزدوج، مرجع سابق.

707 نفس المرجع السابق، ص: 188.

708 نفس المرجع السابق.

709 نفس المرجع السابق.

بروتون، Philippe Breton الخطاب السياسي بكونه "نشاطا إنسانيا يتخذ أوضاعا تواصلية متعددة، ووسائل متنوعة، ويهدف إلى إقناع شخص، أو مستمع، أو جمهور ما، بتبين موقف ما، أو المشاركة في رأي ما"⁷¹⁰.

وبذلك فإن الخطاب يشكل نسقا لفظيا مشروطا بالسياق والمقام، ويتوقف في تحققه على تواصل تفاعلي بين عناصره، فهو يمثل انساقا تفاعلية مفتوحة على مقامات لغوية وغير لغوية، ويحيل في تحديد مدلولاته على عناصر السياق الخارجي في تشكيله، لفهمه ومعرفة ظروف انتاجه. ويستوي مفهوم الخطاب بشقية عند الأصوليين المكتوب والشفهي، كما يستوي المتلقي الحاضر وغير الحاضر. وقد ذهب بيير بورديو إلى كون "الخطاب السياسي يعيد إنتاج البنيات الاجتماعية عن طريق السلطة التي تحكم وتوجه وتأمّر وتتهى وتتخذ ما شاء لها أن تتخذ من مواقف، بناء على موقعها في التصورات السياسية القابعة في الخطاب السياسي الذي تنبثق عنه"⁷¹¹.

وتعتبر اللغة أحد أهم الأدوات التي يوظفها الخطاب السياسي، وبذلك فإنها ليست حكرا فقط على السياسيين، وإنما أيضا يمكن أن يستعملها المواطن العادي عند قبوله أو دعوته أو اتخاذه لقرار منتج معين، أو استعمال وسائل نقل تشتغل بالطاقة الكهربائية حماية للبيئة مثلا وغيرها من الأمثلة. وينبغي الإشارة إلى أن الناس ليسوا متلقين سلبيين للفعل السياسي⁷¹² بما في ذلك استقبال الخطاب السياسي، وإنما هم أيضا يخرطون ويتفاعلون مع هذا الفعل بشكل قد يؤثر في مراكز الأطراف وفي مواقع السياسيين.

ويرى عماد عبد اللطيف⁷¹³ أن تحليل الخطاب السياسي هو حقل معرفي يهتم بدراسة التواصل السياسي في المجتمع، سواء بواسطة النصوص، أو الكلام، أو الصور، أو الإشارات، أو الرموز، أو غيرها من العلامات، وأن الهدف من تحليل الخطاب السياسي هو فهم "كيف يعمل الخطاب السياسي، وكيف ينجز وظائفه التي ترتبط غالبا

710 Philippe Breton, l'argumentation, Dans la communication, Editions du Casbah. Alger, Javier 1998, p. 03.

711 البدادي عبد اللطيف، الخطاب السياسي المغربي الحديث واستراتيجيات إنتاج السلطة، ضمن كتاب جماعي بعنوان قراءة في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، الطبعة الأولى 2016، ص: 68.

712 محمد خطابي، "ما الخطاب السياسي"، مداخلة ضمن قراءات في الخطاب السياسي، إعداد محمد خطابي ولحسن بوتكلاي، مختبر المجتمع واللغة والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، جامعة ابن زهر، أكادير، 2016، ص: 25-26.

713 عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة، السلطة، المقاومة، مرجع سابق.

بالحصول على السلطة، وإضفاء الشرعية عليها، والاحتفاظ بها. ومن بين ما يتضمنه تحليل الخطاب السياسي هو تحليل بنائه اللغوي و السيميوطيقي، وأدائه، وتوزيعه، وتلقيه، وتأثيره، والاستجابة له⁷¹⁴. ويعتبر تحليل الخطاب السياسي حقلاً بينياً، بمعنى تتقاطع فيه العلوم السياسية، ودراسات التواصل، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، واللسانيات، والبلاغة، والعلوم المعرفية، والأنثروبولوجيا، وغيرها. ويبدو هذا طبيعياً، في ضوء كون "الخطاب السياسي ظاهرة إنسانية متعددة الأبعاد، لا يمكن الإحاطة بها دون الإفادة من معارف متنوعة". وإن ما يميز تحليل الخطاب السياسي أنه يظهر اهتماماً بعناصر الصياغة، والشكل، وفنيات القول، وجمالياته، في نفس درجة الاهتمام بالأفكار، والأطروحات. يرجع ذلك بشكل أساسي إلى كون مضمون الكلام يتجلى في شكل القول وأدائه، وأن كفاءات القول، ومهارات الأداء تلعب دوراً حاسماً في إنجاز الكلام لأغراضه⁷¹⁵ وأفعاله.

يشبه بورديو الدين باللغة، فهو في نفس الوقت وسيلة للتواصل، ووسيلة للمعرفة، وتحديدًا هو وسيط رمزي مهيكّل ومنظم ومهيكّل للعلاقة بين المعنى والعلامة⁷¹⁶. ويمكن اعتبار الخطاب الديني جزءاً من مفهوم رأس المال الثقافي كامتداد لمفهوم رأس المال الرمزي، الذي يمكن إسقاطه على كل شيء غير مادي كما يرى بيير بورديو. وقد قسم بورديو رأس المال الثقافي إلى نوعين: رأس المال الثقافي الموروث، ويقصد به دور الأسرة في تزويد الأفراد بمهارات وآداب عامة، بوصفها ثقافة جمالية، وأسلوب حياة يومية للأسرة، تحافظ عليه، وتوارثه عبر الأجيال. والنوع الثاني رأس مال ثقافي مكتسب، ويقصد به دور المدرسة والجامعة في تزويد الأشخاص بشهادات معترف بها، مما يكسبها الشرعية في المجتمع. وقد استخدم بورديو نوعين فرعيين منبثقين من رأس المال الثقافي الموروث، الأول هو رأس المال

714 نفس المرجع السابق، ص: 31.

715 عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة، السلطة، المقاومة، مرجع سابق.

716 Fadil Mohamed, Un groupe religieux à l'épreuve du parti politique.. op.cit.P:123.

الثقافي المجدد، ويقصد به الاهتمامات الراقية، مثل اقتناء الكتب، والتصوير، وزيارة المتاحف، ورأس المال الثقافي اللغوي ويقصد به القدرة على التحدث بثقة ولباقة⁷¹⁷.

ثانياً - تاريخية علاقة الصراع بين الديني والسياسي

شهد التاريخ سجلات عديدة بين الحكام والعلماء، لاستمالتهم منذ الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والتابعي الشهير سعيد بن المسيّب، "الذي تمثّل في رفض ابن المسيب مصاهرة الخليفة عبد الملك بن مروان الذي رغب في أن يزوّج وليّ عهده من ابنة ابن المسيّب مستغلاً في ذلك مكانة هذا الأخير ونفوذه "العلمي" بين الناس، خصوصاً في مجتمع المدينة. فأبى ابن المسيّب هذا الجاه، بل وأسرع من يومه إلى تزويج ابنته لأحد تلامذته الفقراء، فحنق عليه الخليفة. وقد بلغ الأمر بالفقيه أن صار يستعيز بالله من هذا الاستغلال مفاضلاً بين سلطته المعرفيّة وبين صولة صاحب السلطة الفعلية والسياسية. وقد نجم عن ذلك الموقف الممتدّ عبر التاريخ أدبيّات خُصّصت للحديث عن مَحَن العلماء في رفضهم الرضوخ لأصحاب السلطان مثل "كتاب المحن" لأبي العرب التميمي، وكذلك الحديث عن العلماء الذين رفضوا تولّي منصب القضاء مخافة أن يتحوّلوا إلى أدوات في يد السلطة الحاكمة، مما جعل أبو عبد الله الخشني القيرواني يخصّص باباً في كتابه "قضاة قرطبة" عنوانه: "باب من عرض عليه القضاء فأبى". وكان من العلماء من يستعيز بالله من "مذهب لا ينتصر إلا بصولة، إنما المذهب ما نصره دليله، والدّين من خلص الدلالة من الدولة"⁷¹⁸.

اشتهر ابن عقيل الحنبلي، بمقولة تفسر إلى حد بعيد طبيعة العلاقة بين السلطة الدينية (صاحبة الدلالة) والسلطة السياسية (صاحبة الدولة). فالسلطة السياسية تريد حيازة "الدلالة" لتكسبها الشرعية والقبول لدى الجماهير، غير أنّ كثيراً من رجال الدين الواعين بسلطتهم المعرفية دافعوا عن "الدلالة" ضدّ "الدولة"، وآخرين قبلوا الصفقة وجعلوا "الدلالة" في خدمة "الدولة" داعمة لها، ما عرض أولئك المتعاونين مع السلطة إلى هجوم شديد وتشكيك في نزاهتهم العلمية والدينيّة

717 ورد هذا التقسيم لببير بورديو في دراسة ل: مصطفى عمّاري، "رهانات الخطاب الديني بين الرسمي واللازمي في الحقل الديني بالجزائر الخطاب الديني المسجدي أنموذجاً"، في مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة، المجلد 3، العدد 9، 2022، مرجع سابق.
718 الصغير عبد المحيد، المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية: قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010، ص: 210-211.

من قبل العلماء الراضين، وظهرت عبارات "علماء السلطان" و "فقهاء السلطان"⁷¹⁹، بل وصل الأمر إلى ما يمكن أن يكون "مقاطعة علمية" لأولئك العلماء، فلم يكن رواة الحديث يأخذون برواية أبي يوسف القاضي، من أصحاب أبي حنيفة، وذلك "لغلبة الرأي عليه مع صحبة السلطان، وتوليئه القضاء". ولعل هذه المواجهة بين هذين الاتجاهان (الراضين والمتعاونين) مستمر عبر التاريخ وإلى الزمن الراهن، بخلفيته التاريخية⁷²⁰ المتميزة بفترات صراعات وهدن حسب السياقات والظروف.

ثالثاً - الخطاب الديني كبضاعة تسويقية: نظرية السوق الدينية

استعمل بعض الباحثين مفهوم السوق الدينية في محاولة لفهم العلاقة بين الخطيب السياسي المتدين، وبين الجماهير أو مع باقي الفاعلين، "للتبضع الديني". وإذا كان التعريف اللغوي للسوق يعني ذلك الفضاء المكاني أو الافتراضي على الأنترنت، الذي تقدم فيه عروض سلع أو خدمات بين بائع ومشتري لا تربطهما بالضرورة علاقة تعارف مسبقة، مقابل أجر مادي، فإن دارن قد عرف السوق الدينية في كتابه السوق الدينية في الغرب: "بأنه مجموعة مبادلات للمكافآت المتمثلة في الوعود بالأجر في الحياة الآخرة"⁷²¹. ومن هذا التعريف تبدو العلاقة الوطيدة بين مفهوم رأس المال الديني ومفهوم السوق الدينية التي تعد ساحة لاستيعاب الخطاب الديني كرأس المال الديني. وحسب هذه النظرية فإن هذه السوق المتميزة بالمرونة، تعرض فيها السلع الثقافية والدينية كالفقهاء مثلًا والخدمات الدينية كالتفسيرات الدينية والمفاهيم الإسلامية والترويج لها، بغية الرفع من قيمتها الرمزية ودفع المخاطبين للاقتناع بها⁷²².

وبذلك فإنه يمكننا قراءة استعمال الخطاب الديني في المشهد السياسي، انطلاقاً من نظرية السوق الدينية، وكما يرى بورديو في مقالة له بعنوان "السوق اللغوية": "إن إعادة إقحام مدلول السوق، إذ يعني التذكير بهذه الواقعة البسيطة:

719 ضياء الدين محمد، قراءة في كتاب "سطوة النص لبسمة عبد العزيز"، مجلة بدايات، الرابط:

<https://bidayatmag.com/print/781>

720 نفس المرجع السابق.

721 دارن أ. شركات، كريستوفر.ج. إيسون، روناي ستارك، لورانس ر. إبانكوني، السوق الدينية في الغرب، ترجمة عز الدين عناية، الطبعة الأولى، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، 2012، ص: 49.

722 بيير بورديو، "السوق اللغوية"، ترجمة حسن أحجيج، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 20، يونيو 1999، ص: 142.

وهي ألا تكون للكفاءة قيمة إلا بوجود تعرض فيها، لذلك فإن الناس الذين يريدون اليوم الدفاع عن قيمهم كمالكين لرأس مال لاتيني يجدون أنفسهم ملزمين بالدفاع عن وجود سوق اللغة اللاتينية، أي ملزمون بأن يعيدوا إنتاج مستهلكي اللغة اللاتينية بواسطة النظام المدرسي".⁷²³ ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن الخطاب الذي لا سوق له يفقد القيمة، ويفقد القدرة على أن يكون رأسمالا خطابيا دينيا، ويتحول إلى مجرد ممارسة للتكلم بدون تأثير.

وانطلاقا من قراءة بورديو لمفهوم السوق، فإن السوق هي المحرك الأساسي للإنتاج والبيع و التبضع والاستهلاك، وبالتالي فإن رأس المال الديني المتمثل في هذه النازلة، في الخطاب الإسلامي لدى حزب العدالة والتنمية، لم يكن ليوجد أو لينتشر لمدة طويلة لو لم توجد سوق دينية مسبقة مبنية على عروض وطلبات في مجال المقدس، قد تكون الدولة وعلماؤها وإعلامها ساهموا في إنشائها عن طريق ترويج خطابهم الديني فيها، وقد يكون المجتمع مهياً بشكل كامل لتلقي العروض الدينية الأكثر قوة تواصلية.

رابعا- بروز علاقة الخطاب السياسي بالخطاب الديني

يصف بعض قياديي حزب العدالة والتنمية ممارسة العمل السياسي، وإنتاج الخطاب السياسي، بأنه يتأسس على قواعد ممارسة السياسة الشرعية، التي تضم الأحكام والقواعد التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة الإسلامية وهي التي بدأ العمل بها منذ قيام هذه الدولة في المدينة. ومن مميزات هذا الخطاب أن الحاكمية والطاعة المطلقة فيه لله ورسوله وجعل طاعة أولي الأمر تبعا وهي مقيدة بطاعة الله ورسوله وفي آية (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)⁷²⁴، يرى البعض أن جماعة الفقهاء والعلماء وهم أهل الحل والعقد يعود لهم اختصاص حل النزاعات بين الأمة وأولي الأمر وأن الحل فيه هو الرجوع إلى الشرع "الكتاب والسنة لا بد أن يكون أولي الأمر ممثلين عن الأمة منكم"⁷²⁵. ومن الأمور التي يهدف خطباء الدين الترويج لها، هي

723 نفس المرجع السابق.

724 القرآن الكريم، الآية 59 من سورة النساء.

725 انظر ما سبق مناقشته في الفقرات المتعلقة بالحاكمية والسيادة.

أن خطابهم "قدسي" وغائي وأنه يمتلك شرعية وسلطة دينية، و بذلك فإن التمرد على رجال الدين أو الفقهاء والمتدينين والدعاة يعتبر تمردا على الدين نفسه، من هنا جاء الارتباط بين الدين وبين السياسية عبر التواصل أو الاتصال لإيصال معاني وأهداف الدين في حياة الناس وفي حياة الدول.

وفيما يمكن اعتبار علاقة الثقافي بالسياسي وبالخطابي علاقة جدلية، بحيث أن الأمر يكاد يكون مرتبطا ارتباطا سريا، فلا يمكن إنتاج لغة أو خطاب سياسي مختلف عن التكوين الثقافي أو الفكري للمخاطب. وعموما يرتبط الخطاب السياسي بالسلطة، فهو "لا يشكل فضاء الصراع من أجل الحصول على السلطة فقط، إنه انعكاس للصراعات السياسية ذاتها، بل إنه هو المسرح الذي تتجسد فيه السلطة ويتم فيه الصراع"⁷²⁶. ويمكن تعريف الخطاب السياسي بكونه نظام لغوي يبرز خلاله مفهوم القوة والضعف في الآن نفسه.

الفقرة الثانية: الخطاب كامتداد ايدولوجي

عرفت حركة التوحيد والإصلاح تحولا تنظيميا عندما قررت تبني خيار المشاركة السياسية، وإنشاء حزب سياسي يمارس الانتخابات وينتج المواقف السياسية من داخل مؤسسات الدولة، في إطار الشرعية القانونية والوضوح النظري والفكري تجاه الدولة ومؤسساتها من جهة، وتجاه مجموعة من القضايا المجتمعية من جهة أخرى.

وبذلك فإن الحركة و قياديتها أكدوا بداية على ضرورة الفصل بين ما هو دعوي وفقهي وهوياتي حضاري وبين ما هو سياسي. فكان بذلك توزيع للأدوار، لتشمل مجالات نشاط الحركة كل ما هو مدني دعوي تربوي، في حين يتولى الحزب ما هو متعلق بالشأن العام عبر بوابة العمل السياسي. وفي هذا التوجه يرى محمد يتيم أن "من مصلحة الحزب أن يقلل من اشتغاله على قضايا الهوية، ويتفرغ أكثر للركي بالخطاب السياسي والتدبيري"⁷²⁷. ولوضع حدود واضحة بين عملها المدني وبين السياسة فقد منعت الحركة على بعض أعضائها الترشح للانتخابات، أو نزول قيادات الحركة

726 ميلود بلقاضي، الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، مكتبة دار السلام، الطبعة الأولى 2011، ص: 162

727 محمد لكموش، مرجع سابق، ص: 239

في الحملات الانتخابية للحزب، باعتبار أنهم يمثلون المرجعية الإسلامية التي يجب أن تظل ملكاً لجميع المغاربة. وعلى الرغم من محاولات الظهور بمظهر التمييز بين ما هو سياسي ومدني، فإنه يمكن القول أنه لا يمكن الجزم في مسألة فصل السياسي عن الدعوي بفصل الحزب عن الحركة لتحديد التوجه السياسي، ولعل هذه سمة تجمع جميع التيارات الإسلامية في المنطقة العربية تحديداً، التي لم تنشأ غالبيتها على المستوى القطري بمعزل عن تأثيرات حركات إسلامية في بلد آخر، بل على العكس من ذلك فإن الترابط بين تنظيمات إسلامية ناشئة وأخرى قائمة منذ زمن، واضح ويتجلى على مستوى الخطاب أو طريقة التنظيم.

وعلى هذا المستوى، فإن ارتباط حركة التوحيد والإصلاح وبالتالي ذراعها السياسي المنبثق عنها حزب العدالة والتنمية، بأنساق إسلامية حركية أخرى في بلدان عربية أخرى وارد، ويظهر من خلال صور التتابع أو التشابه بينها، كما لاحظنا ذلك سابقاً في مناقشة ارتباط الحركة بأنساق تنظيمية إسلامية أجنبية. سنناقش في هذه الفقرة علاقة الخطاب بالفكر وبالأيديولوجيا وبالنخب، كما سنتناول تأثيرات الخطاب على الجماهير من خلال فحص مفهوم المخيال الديني.

أولاً- في علاقة الخطاب بالأيديولوجي

يقول رشدي فكار أن الإيديولوجيات لم يعد لها "عرف قيمي إنساني بقدر ما هي مجرد تبرير لمصلحة ونفع استهلاكي أو ربح إنتاجي، وهكذا تتقلب الإيديولوجيات وتتلون ليس فقط في العام الواحد، وإنما في اليوم الواحد أيضاً تمشياً مع المصالح"⁷²⁸. وهناك من يعتقد في "صفاء" هذه الإيديولوجيات التبريرية المصلحية على أنها إيديولوجيات قيمية تعبر عن مبادئ إنسانية أصيلة، فيتبنونها ثم يصيروا ضحية لها، لأنه في نظر فكار تحولت الإيديولوجيات القيمية مع تقدم الآلة صناعياً والمعرفة التقنية والتطور العلمي، وزيادة متطلبات المجتمعات الصناعية، واستسلامها

728 رشدي فكار، تأملات إسلامية في قضايا الإنسان والمجتمع، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987، ص: 14-

استهلاكية إلى شعارات ترمز إلى تاريخ أكثر ما تعنى بواقع ملموس. ومنذ نهاية القرن العشرين تسعى هذه "الإيديولوجيات المصلحية النفعية المنطلقة من الحاجة إلى الاحتكار" بفضل شعارات تكتيكية تعتمد على فورية المواقف وتلقائية الاقتناع، لتحقيق استراتيجية شاملة لا يتعدى دور الإيديولوجيات فيها مجرد الوسيلة للتغلب على المتناقضات الناشئة عن تعدد المصالح⁷²⁹. فالإيديولوجيات في نظر فكار أصبحت تحت مسمياتها المستحدثة مثل التكتيك والاستراتيجية، وبفضل تعبيرات عارية عن كل محتوى محدد (فهي تعني كل شيء ولا تعني شيئاً بعينه)، لا تتنافى فقط مع منطلقها الأساسي وهدفها في حد ذاته، وإنما تتنافى أيضاً مع أبسط مظاهر السلوك المعنوي للإنسان وأبعاده الخلقية⁷³⁰، حتى "أصبح النفاق والغش والكذب والتذبذب وكلها صفات حذرت منها الأديان السماوية إلى جانب تنافيتها مع المثل الإنسانية التقدمية والمعنوية والفلسفية والخلقية، أصبحت هذه الصفات ضرباً من التكتيك المشروع في الإيديولوجيات المعاصرة"⁷³¹، ليس فقط على مستوى الفرد، وإنما على مستوى الجماعات، بل والمجتمع بأكمله⁷³².

وإذا اعتبرنا الإيديولوجيا "ممارسة لغوية تبريرية"، فإن ارتباطها بإنتاج الخطاب يعد ارتباطاً عضوياً بحكم الضرورة. فالإيديولوجيا وفق نظرية تحليل الخطاب، لا يمكن أن تكون خارج الأنساق التواصلية، فكل ما هو خطابي سياسي هو إيديولوجي، ذلك أن الخطاب هو الفضاء البنوي للإيديولوجيا. وبذلك فإن إنتاج خطاب ما داخل مجتمع ما، لا يمكن أن يمارس دون مفعول إيديولوجية ما أو توجه ثقافي معين أو نسق فكري ما، لأن الإيديولوجيا "ملازمة للغة". ووفقاً لبير بورديو لا يمكن تبرير أي سلطة أو شرعية إلا بوجود إيديولوجيا ما، فهي كائن في المادة اللغوية ذاتها قبل أن تصبح خطابات، لأن صياغة أو إنتاج أو تسويق خطاب ما لا يكون بريئاً ومحايداً، بل هو "بناء مؤدلج" ورهان إيديولوجي، وموقف تبريري⁷³³.

729 نفس المرجع السابق.

730 رشدي فكار، تأملات إسلامية في قضايا الإنسان والمجتمع، مرجع سابق.

731 نفس المرجع السابق.

732 نفس المرجع السابق.

733 بيري بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1986، ص: 15.

يرى باتريك شارودو Charaudeau Patrick أن الخطاب السياسي تتم صناعته على مستوى ثلاث حيزات، يصدر عنها ويراعيها وتتشكل من خلالها خاصيته الإقناعية، أولها حيز يتعلق بالحكم، وثانيها حيز خاص بالرأي العام، ثم حيز خاص بالأثر الإعلامي⁷³⁴. وفي اللسانيات يرى الفرنسي دومينيك مانكينو D. Maingueneau أن الخطاب يعمل على توظيف سبع استعمالات⁷³⁵:

- 1- الخطاب مرادف لمفهوم الكلام.
- 2- الخطاب وحدة تتجاوز الجملة.
- 3- الخطاب مرادف لمفهوم الملفوظ من وجهة نظر المقاربة التداولية التي تنظر إليه باعتباره معطى تداخل لعناصر ذاتية وسياقية معينة.
- 4- الخطاب مرادف لعملية تبادل الحوار داخل سياق تواصلية معين بالمعنى التلفظي.
- 5- الخطاب مفهوم معارض للسان.
- 6- الخطاب في الاستعمال السادس يرادف نظاما من المواقف التي تسمح بإنتاج مجموعة غير محددة من الأحاديث تتحكم فيها وضعية اجتماعية أو إيديولوجية.
- 7- الاستعمال السابع والأخير وهو الخطاب أثناء الاستعمال.

إن الحديث عن الخطاب يدفعنا إلى بحث الوظائف اللغوية التي يعبر بها منتج هذا الخطاب عن مقاصده وتحقيق أهدافه، وهو ما يتم من خلال العلاقة المتبادلة بين النظام اللغوي وسياقات الاستعمال. كما أن علاقة الخطاب بالسلطة أخذت حيزا كبيرا من النقاش منذ أفلاطون إلى ماكس فيبر وكانط وبورديو وهابرماس. وإذا كان الخطاب يرتبط بالإيديولوجيا، فهو يرتبط كذلك بالسلطة، وفق ما يذهب إليه الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault، الخطاب في نظره هو "وسيلة الوصول إليها، بل هو السلطة ذاتها، أفترض أن إنتاج الخطاب، في كل مجتمع، هو في

734 أحمد قادم وآخرون، التحليل الحجاجي للخطاب، دار الكنوز، الطبعة الأولى، الأردن، 2016، ص: 285.

735 ميلود بلقاضي، الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، مرجع سابق، ص: 10-11.

الوقت نفسه إنتاج مراقب، ومنتقى، ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته و مخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبية⁷³⁶. وهو ما يجعل إنتاج الخطاب خاضعا لقواعد المراقبة بعيدا عن أي ارتجالية أو عفوية. يقول فوكو: "إننا نعرف جيدا أنه ليس لدينا الحق في أن نقول كل شيء (الطابوهات)، وأننا لا يمكن أن نتحدث عن كل شيء في كل ظرف (السياق)، فلا أحد يمكنه أن يتحدث عن أي شيء. هناك الموضوع الذي لا يجوز الحديث عنه، وهناك الطقوس الخاصة بكل ظرف، وحق الامتياز أو الخصوصية الممنوحة للذات المتحدثة"⁷³⁷. فالخطاب هو السلطة نفسها، فكل من يريد الوصول إلى السلطة يسعى إلى تطبيق خطابه باستعمال مهارات من أجل الهيمنة⁷³⁸.

ثانيا - علاقة النخب السياسية بصناعة الخطاب

تتميز النخب السياسية بميزات خاصة على عموم الناس وعلى باقي فئات مجتمع ما. وفي عمق المفهوم النخب هي مجموعات بشرية تتمتع بامتلاك سلطة معينة بسبب نشاطها الاجتماعي بشكل عام، مما يؤهلها لممارسة نوع من التأثير على الجماهير وعلى عموم الناس، وعلى مؤسسات الدولة بشكل مباشر عن طريق التفاعل معها أو بشكل غير مباشر عن طريق عملها الذي يدفع الدولة إلى اتخاذ قرار معين كيفما كان نوعه سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي أو غيره. وهناك من يرى أن النخب نوعان، نوع يمتلك مساحة داخل الاقتصاد بامتلاكها للرأس المال المادي ولوسائل إنتاج الاقتصاد، مما يمنحها مكانة في التأثير وتوجيه القرارات عموما⁷³⁹. أما النوع الثاني فهي تلك الفئة التي

736 ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص: 8.

737 ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سيلا، مرجع سابق.

738 العماري عبد الرحيم، نسق التواصل السياسي بالمغرب خطاب الكتلة الديمقراطية من الميثاق إلى التناوب 17 ماي 1992 - 14 مارس

1998، منشورات زاوية للفن والثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2005، ص: 94.

739 معارف مغربية، "قراءة في كتاب نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر (الفصل الأول) للدكتور عبد الرحيم العماري"، بتاريخ

10 أبريل 2019، الرابط: https://maarifalma4rib.blogspot.com/2019/04/blog-post_89.html?m=1

تمتلك المعرفة وتمارسها عن طريق البلاغة والخطاب السياسي، ولها قدرات على الضغط والتأثير على توجيه الرأي العام والمجتمع والدولة⁷⁴⁰.

وفي مناقشة علاقة هذه النخب بالديمقراطية، فإن هناك من يصف نظريات النخبة، بأنها قامت على "أساس انفصال واستقلال النخبة السياسية عن شرائح المجتمع"⁷⁴¹، مما خلق نوعاً من الأوليغاريشة بسبب تعذر تطبيق ما يعرف بالديمقراطية الشعبية المباشرة لتدبير أمور الجماعة البشرية على تراب محدد⁷⁴².

والواضح أن رواد النظريات النخبوية (باريتو، وموسكا، وميلز)⁷⁴³ يؤكدون على وجود هذا الانفصال بين النخبة والجماهير، انطلاقاً من تصور للمجتمع يقسمه إلى ثلاث طبقات، سفلى تضم الجماهير، وطبقة عليا تضم طبقتين تشمل النخبة الحاكمة والنخبة غير الحاكمة. وضمن هذه الكتل من النخب هناك نوع من التراتبية أو الهرمية الداخلية بوجود درجات متفاوتة بينها بين قمة الهرم وقاعدته. فنجد نخب تملك درجات رئيسية عليا في التأثير والتوجيه والقيادة، وأخرى في درجات ثانوية وفرعية، بحسب القدرة على التأثير وعلى حيازة أدوار مؤثرة أو أجزاء من السلطة الفعلية أو الرمزية. هذه الأدوار التي يمارسها هؤلاء الأفراد داخل التنظيمات لها ارتباط مباشر بمفهوم دوران أو حركية النخب، أو تجديد النخب، لوصف عملية تغيير مواقع الأفراد أو المجموعات التي تشكل النخبة في مجتمع ما. ويتحدد هذا الدوران انطلاقاً من محددات وعوامل عدة منها التغيرات الاقتصادية، والثقافية، والسياسية التي تطرأ على مراكز الأفراد أو المجموعات أو على المؤسسات⁷⁴⁴.

وقسم باريتو النخبة إلى طبقتين: طبقة حاكمة وأخرى غير حاكمة. فالأولى تشمل الأفراد الذين لهم دور في الحكم أي ما يعرف بالنخبة، أما الثانية فهي تضم باقي الأفراد. فالنخبة الأقلية تحاول تكريس تفوقها على باقي الأفراد

740 معارف مغربية، "قراءة في كتاب نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر، مرجع سابق.

741 نفس المرجع السابق.

742 نفس المرجع السابق.

743 نفس المرجع السابق.

744 نفس المرجع السابق.

أو "اللانخبة". وهناك من يرجع ظهور مفهوم النخبة إلى فترة القرون الوسطى حيث كانت النخبة تتكون بشكل أساسي من النبلاء ورجال الكنيسة وكان لها أدوات التحكم في الثروة والسياسة. غير أن معظم الدراسات السياسية تقول بظهور النخبة كمفهوم، في القرن 19 حينما انتشر استخدامه في حقول علم السياسية وعلم الاجتماع، ولم يصبح المفهوم كذلك في بريطانيا وأمريكا إلا في سنة 1930، عندما انتشر عبر نظريات النخبة، وبشكل خاص عبر كتابات فيلفريدو دوباريتو⁷⁴⁵ V. Parito وغيتانو موسكا Gaetano Mosca ورايت ميلز Whright Mills وآخرين⁷⁴⁶.

كما أن السياق الذي تولد فيه مفهوم النخبة طبعه السياق السياسي والاجتماعي الذي عرفه العالم وخاصة في القارة الأوروبية. ويمكن القول بأن "نظرية النخبة تنبني على خلفيات معرفية ذات أبعاد إيديولوجية، جاءت لتضرب في العمق نظرية الصراع الطبقي التي تعد العماد المركزي للفكر الماركسي"⁷⁴⁷. فقد جاءت نظريات النخبة السياسية بهدف دراسة وفهم النظام السياسي الذي يقوم في جوهره على فكرة الصراع السياسي الذي يعكس الصراع الطبقي داخل المجتمع، بين فئة حاكمة وأخرى خاضعة لها. وبناء على هذا المعطى، فإن "نظرية النخبة تقارب النظام السياسي، من خلال معطى أساسي يتمثل في وجود دائم لقلّة حاكمة، ماسكة بزمام الأمور وأغلبية محكومة منصاعة للأولى"⁷⁴⁸.

لقد اهتم باريتو بالجوانب الاجتماعية والنفسية في التأسيس لمفهوم النخبة، فيما رأى باحثون آخرون أن هذه النظرية محدودة ولا تحيط بالمفهوم ككل، فذهبوا في اتجاهات أخرى وظيفية للنخبة، ومنها الاتجاهات التنظيمية، والنسقية، والإدارية والاقتصادية، وبذلك تم تجاوز نظرية باريتو في فهم النخبة بعدم التركيز فقط على الجوانب النفسية. ونجد عالم الاجتماع الأمريكي رايت ميلز Whright Mills الذي بسط لنظريته حول النخبة السياسية في كتابه المعروف بعنوان: "The Power Elite أي "نخبة القوة" أو "النخبة السياسية" الذي نشر في عام 1956، معتبرا أن

745 فيلفريدو دوباريتو V. Parito عالم اجتماع إيطالي ولد سنة 1848 وتوفي سنة 1923، وهو يعتبر من المنظرين الأوائل للنخبة.
746 رشيد كديرة، النخب الإدارية بالمغرب: مدراء الإدارات المركزية نموذجا - دراسة نظرية وميدانية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون، كلية الحقوق أكادال، جامعة محمد الخامس، الرباط، الموسم الجامعي 2004-2005، ص: 115.
747 بن أحمد، حوكا، إغواء المنصب وإعراض اللقب: طرح إبستيمولوجي في نقد النخبة المحلية، مجلة وجهة نظر، عدد 43، شتاء 2010، ص: 10.

748 Raymond Aron : Classe sociale, classe politique, classe dirigeante, in Archives Européennes de sociologie, N2, T1, 1960, p.260.

السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية تتركز في أيدي نخبة محدودة من الأشخاص يشغلون المواقع الرئيسية في الهياكل المؤسساتية.

ويرى ميلز أن هذه النخبة تتألف من ثلاثة قطاعات رئيسية وهي: القيادات السياسية مثل رؤساء الدول والزعماء، النخبة الاقتصادية أو الشركات وذوو الرأسمال، والمؤسسة العسكرية. وأن هؤلاء الأشخاص يتشاركون في قيم مشتركة ومصالح متقابلة وأنهم يعملون معاً لحفظ قوتهم ومصالحهم. في مقابل هؤلاء النخبة يبقى الأفراد العاديون دون تأثير يذكر في مسلسل صناعة القرارات السياسية والاقتصادية في المجتمع، وهو ما يعزز هيمنة النخبة السياسية. وبهذا المنطق فإن النخبة السياسية هي قوة نسقية ترتبط أصولها بطبيعة الأدوار والصلاحيات التي يمارسها الأفراد من خلال التنظيمات الكبيرة المتدرجة الحجم هرمياً.

كانت مساهمات رايون Raymond Aron في بلورة نظرية حول النخب، ذات مضمون إضافي بحيث أنه أثار الاهتمام حول متغيرات المال والسلطة والشهرة والرأسمال الديني والرمزي، في ارتباطها باستراتيجيات تتحكم في تدبير وسائل الإنتاج والإكراه، وتتحكم من خلالها السلطة ليس فقط في مجالها الخاص وإنما كذلك في الشؤون العامة⁷⁴⁹.

ويرى ميسل أن ما يجعل النخبة منفصلة ومستقلة عن الجماهير، هي الخبرة بقواعد السياسة و"الحنكة في إدماج المعارض أو إقصائه خارج النظام السياسي"⁷⁵⁰. وبذلك فإن تراكم الخبرة السياسية يمنح هذه النخب سلطة معرفية رمزية ومكانة مرموقة. وبذلك فإن التاريخ في نظر ميسل ما هو إلا صراع بين من يحكم وبين من يحاول أن يدخل دائرة الحكم باستعمال أداة الجماهير، عن طريق الوعود عبر البرامج الانتخابية والمصالح المتبادلة والخطابة السياسية، لكسب دعمهم وأصواتهم الانتخابية، مما قد يفضي إلى نوع من الزبونية⁷⁵¹ والمحسوبية السياسية. وقد حدد فيبر مفهوم

749 Raymond (A) et autres, Dictionnaire de sociologie, Larousse, Paris, 2001, p. 49.

750 معارف مغربية، "قراءة في كتاب نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر (الفصل الأول) للدكتور عبد الرحيم العمري"، مرجع سابق.

751 Myriam Catusse, Lamia Zaki, "Gestion communale et clientélisme moral au Maroc: les politiques du

الكفاءة السياسية بكونه اختصاص تتميز به النخبة السياسية ليصبح رجل سياسة. ويرى شومبتر أن احتراف العمل السياسي والتخصص فيه يجعل من السياسة مهنة أو حرفة لها مصالحها المستقلة⁷⁵². ولكي تصل هذه الفئات إلى أن تشكل نخبا سياسيا، فإن المؤهلات الشخصية كالوضعية الاجتماعية والتقدم في العمر والكفاءة والمعرفة والعلوم وأيضا الكاريزما والأخلاق أو القيم، التدرج في مناصب قيادية داخل التنظيم السياسي والكفاءة في ممارستها، الحصول على ثقة المواطنين في التمثيلية عن طريق الانتخابات المحلية أو التشريعية مثلا، التكوين العلمي العالي والمستوى الثقافي أو الأكاديمي، التكوين الحقوقي، القدرة على إنتاج البلاغة والخطابة، كلها عناصر تلعب دورا مهما في صعود الفرد وتساهم في "صناعة عضو النخبة السياسية"⁷⁵³. ويقول باترسون أن هذه النخب تستمد قدراتها التقنية والسياسية عن طريق التنشئة التي خضعت لها عبر مسير نشأتها، فيما يرى كورنبرغ أن ذلك راجع بالأساس إلى التأثير العائلي⁷⁵⁴.

الفقرة الثالثة: علاقة نخب حزب العدالة والتنمية بصناعة الخطاب

يمكن القول أن التنافر يبدو واضحا بين نخب حزب العدالة والتنمية منذ ظهورها في العمل السياسي الشرعي، والنخب الحالية لباقي الأحزاب المغربية. وقد يكون السبب في ذلك هو طريقة خطابة قيادات وأطر التنظيم الإسلامي المشبع باللغة التقليدية والدينية البلاغية، الشيء الذي يخلق نوعا من التضاد في الأزمنة الخطابية بين النخب الحزبية بالمغرب، لاسيما مع تقدم حزب العدالة والتنمية في المشهد السياسي خلال وبعد موجة الربيع العربي.

Parti de la justice et du développement", in Critique Internationale, Presses de sciences po, 2009, p:18.

Liens:

<https://www.cairn.info/revue-critique-internationale-2009-1-page-73.htm?ref=doi>

https://www.researchgate.net/publication/32224849_Gestion_communale_et_clientelisme_moral_au_Maroc_Les_politiques_du_Part_de_la_justice_et_du_developpement

<https://shs.hal.science/halshs-00354940>

752 معارف مغربية، مرجع سابق.

753 معارف مغربية، مرجع سابق.

754 نفس المرجع السابق.

يتضح من خلال الدراسات أن حزب العدالة والتنمية يوجد في موقع ما بين التقليد أو التراث والتحديث، فهو ليس حزب تقليدي، "لأن عرابيه ممن تلقوا تكويننا عصرياً، وليس حدثاً.. ثم إن الحداثة في فلسفتها قطيعة، وإسلاميو العدالة والتنمية لا يصرون من قطيعة، بل من وصل⁷⁵⁵". هذه الوضعية الهجينة للحزب انعكست على مناضليه أو لنقل من تربوا في كنفه، "لقد أبان مؤسسو التنظيم عن حس براغماتي كبير خلال مسارهم، بدأوا في رحم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وهو حزب ذو مرجعية اشتراكية وعروبية غداة هزيمة مصر سنة 1967، انخرطوا في تنظيم الشبيبة الإسلامية التي كانت معادية للنظام، وجعلوا من أدبيات سيد قطب ذات المنحى الراديكالي، مرجعية لهم، وكتابه معالم في الطريق شرعة لهم ومنهاجا"⁷⁵⁶.

وبالنظر في التراث العربي والإسلامي الذي يبدو أن نخب حزب العدالة والتنمية تحرص على الاستزادة منه، فلقد اشتهر العرب قبل مجيء الإسلام بالبلاغة وبالبراعة الخطابية وهي تعتبر "أحد أهم أنواع التواصل السياسي في العالم القديم"⁷⁵⁷، ثم ازدادت الحاجة إلى خطاب سياسي فعال يسهم في انتشار الدعوة مع مجيء الإسلام، لتدعيم "المصالح السياسية للإمبراطورية الناشئة. وقد استعمل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أنواعاً سياسية تقليدية مثل الخطابة، والمناظرة، والرسالة، والتعاليم، ومثلت خطب النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقصائد الشاعر حسان بن ثابت، الخط الأمامي في جبهة الدعاية السياسية". يرى عماد عبد اللطيف أن آيات من القرآن الكريم تشبه الخطاب السياسي، "خاصة الآيات التي تتعرض لبعض مسائل الحكم مثل العلاقة مع ولي الأمر، وأخلاقيات الحرب وقوانينها، والتعامل مع غير المسلمين. علاوة على ذلك، عرف المسلمون الأوائل أشكالاً من التفاوض السياسي؛ كما يظهر في حادثة

755 حسن أوريد، السياسة والدين في المغرب جدلية السلطان والفرقان، مرجع سابق، ص: 81

756 سليمان بونعمان، وظائف النخبة المحلية في النسق السياسي المغربي، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 44، خريف 2009، ص: 82

757 عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة، السلطة، المقاومة، مرجع سابق، ص: 33.

سقيفة بني ساعدة التي أعقبت وفاة الرسول، وشهدت جدلاً بين المهاجرين والأنصار حول أحقية كل منهم في حياة السلطة، ونتج عنها تولي أبي بكر الصديق (القرشي) السلطة⁷⁵⁸.

يقول عماد عبد اللطيف أن الخطاب السياسي في التراث العربي، تميز من بين ما تميز به من مقاربات، بالمقاربة الوصفية من خلال دراسة كتب الجاحظ، لاسيما "كتاب الحيوان"، "رسائل الجاحظ" و "البيان والتبيين"، التي نجد فيها وصفا للأحداث الخطابية السياسية⁷⁵⁹، و لهيئة الخطيب، والجمهور، وطرق الأداء، وأساليب الإقناع، وعيوب الجهاز النطقي للخطيب كالجلجلة والتمتمة وغيرها، وعيوب الكلام مثل حشو الكلام. كما اهتم الجاحظ بخصائص الأسلوب الخطابي مثل "الإفراط في الكلام وضرورات تكرار الكلام و محظوراته، والقول في الإيجاز وبلاغته، ودرس عيوب أساليب الكلام مثل التشديد، والتعكير، والثرثرة، والسلطة، والهذر، والتكلف، والإسهاب، ودواعي الاستشهاد، ومواضعه (مثل استحسان الاستشهاد بالقرآن في خطب الحفل)"⁷⁶⁰. وناقش الجاحظ أيضا العلاقة بين موضوع الخطبة ومناسبتها، وسمات الكلام الحسن، والاستعانة بالغريب من القصص، وتخير الألفاظ. كما تناول أيضا مسألة الارتجال، والبداهة، والصنعة، والتحبير، والإعداد المسبق للخطبة، وحال الخطيب أثناء الخطابة كرباطة الجأش، وسكون الجوارح، والنظر في عيون الناس، والنحنة، ومس اللحية مثلا، وباقي طقوس الخطابة في التراث العربي الإسلامي. وتعرض كذلك لجوانب أخرى من الخطابة ينبغي على الخطيب مراعاتها كحال السامع ومكانته في السلم الاجتماعي، ودرجة علمه، ومراقبة حاله من النشاط للاستماع أو الملل، ومراعاة المقام، وتقسيم مستويات الكلام والمعنى بحسب طبقات المستمعين الخاصة، والعامّة، وخاصة الخاصة. كما أشار إشارات عابرة إلى موضوع العلاقة بين الخطاب والمجتمع، "مثل كراهة البيان، بسبب فجوة المصادقية التي توجد بين القول والفعل، وارتباط الخطابة بحكم القيمة على الشخصية، وأثر الخطابة في تغيير إدراك البشر للواقع، وتأكيد انتشار الخطابة في كل الأمم، مع التعليل

758 عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة، السلطة، المقاومة، مرجع سابق.

759 نفس المرجع السابق، ص: 33-38.

760 نفس المرجع السابق.

لخصوصيات العرب المتعلقة بها. ويعلق عماد عبد اللطيف على ملاحظات الجاحظ لكونها "يهيمن عليها البعد المعياري في سبيل الوصول إلى «خطابة نموذجية». وتُعد أفكاره المتناثرة حول ما يجب على الخطيب عمله، أو قوله، في سياق خطبته نواة كتيبات إرشادية لاكتساب المهارات الخطابية"⁷⁶¹.

إلى جانب ذلك شكلت كتب الآداب السلطانية نموذجا لمساعدة الحاكم على الحفاظ على السلطة، من خلال تقديم نصائح تتعلق بأساليب تواصل سياسي أمثل، صيغت بعبارات معيارية في شكل أوامر ونواهي "مؤدبة"، وبتعبيرات مجازية، "أمثولاتية ملطفة"⁷⁶². وضمنها استشهاد بأحداث تاريخية، وأقوال مأثورة، وسير الحكام السابقين. كما تضم بعض هذه الكتب نصائح بشأن كيفية توظيف الرموز السياسية لتدعيم السلطة، والسياقات التي يجب على الحاكم فيها أن يخاطب رعيته، والصورة التي يجب عليه أن يحرص على بنائها في أذهانهم بواسطة خطابه وهيئته. وقد تركت هذه الكتابات "ذخيرة خطابية مهمة حول التواصل السياسي في المجتمعات التقليدية، كما أسهمت في تأسيس تقاليد راسخة لأساليب التخاطب مع النخب السياسية، سواء التواصل المكتوب أو الشفهي"⁷⁶³. وفي التاريخ الإسلامي عرفت المنطقة العربية، ظاهرة "الوعاظ القصاصون"، كنوع من فنون الوعظ والإرشاد الديني في حياة المسلمين. وقد وصفت هذه الظاهرة التي عرفت انتشارا كبيرا في الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم المشرق الإسلامي بامتلاكها عمقا سياسيا أحيانا كثيرة، وأنها تميزت بمهارات وتقنيات وخبرات في التوجيه النفسي والروحي، فكانت عروضها تتميز بإعداد "سيناريو مسبق"، وتدريب مكثف وُزعت فيه الأدوار الفردي منها والجماعي، ووظفت فيهما فنيات التشويق الأدائية والمقامات الالقاءية والمؤثرات النفسية، من أجل إدخال المتلقي في أجواء من الانفعالات الروحية العميقة، هدفها إثارة الرغبة في التوبة وتعميق إرادة التطهر الذاتي، وإشغال الخيال بصور موحية من أحوال الآخرة. فكانت عروض هؤلاء الوعاظ القصاصون مثيرة للدهشة والتأمل، لاسيما ما يتخللها من أحداث مذهشة كان أشدها عجا مشاهد الموت التي

761 عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة، السلطة، المقاومة، مرجع سابق.

762 نفس المرجع السابق، ص: 38-39.

763 نفس المرجع السابق.

كانت تحدث أثناء تلك الجلسات الوعظية⁷⁶⁴. ولا شك أن نخب وقيادات حزب ذات التكوين التقليدي، المستمد أساسا من التراث الإسلامي، قد تأثرت بأشكال التعبير التقليدي وبنفون الخطابة والتواصل مع الجماهير انطلاقا من طرق وبلاغة إلقاء الخطب والمواعظ الدينية.

وبفحص المسار السياسي لنخب حزب العدالة والتنمية، انطلاقا من بداياتهم في صفوف الحركة الإسلامية إلى اليوم، يبدو أنها تأخذ طابع الاستقرار الذي ميز هذه النخب الحزبية منذ سبعينيات القرن الماضي. ونقصد بالاستقرار المحافظة على الوجوه نفسها لأزيد من ثلاثة عقود، إلى أن تقلدوا مناصب المسؤولية السياسية سواء في الحكومة أو في البرلمان أو على مستوى الجماعات الترابية⁷⁶⁵، مما يفترض أيضا استقرارا على مستوى إنتاج الخطاب السياسي وعلى مستوى أسلوب التواصل.

شكلت الانتخابات التشريعية لسنة 1997 مرحلة جديدة سمحت بتواجد نخب إسلامية تنتمي لحركة التوحيد والإصلاح، عبر بوابة حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية، في المجال السياسي المغربي. فاز الحزب خلال هذه الانتخابات بتسعة مقاعد برلمانية بمجلس النواب وهم: سعد الدين العثماني، ومصطفى الرميد، وأحمد العماري، ورشيد المدور، والمقري أبو زيد، والأمين بوخبزة، وعبد العزيز افتاتي، ونورالدين قربال، عبد الله شبايو، ثم التحق بهم عبد الإله بنكيران، خلال الانتخابات الجزئية التي أجريت في 29 أبريل 1999 بدائرة سلا. بعد ذلك فاز نائبان آخران في انتخابات جزئية أجريت في 31 غشت 2000، ويتعلق الأمر بمصطفى الحيا ومحمد نهاري. كما تميزت هذه

764 إبراهيم الدويري، "حضر مجالسهم مئات الآلاف ومارس بعضهم الدعاية السياسية والمذهبية وسعوا للثراء العريض.. الوعاظ والفُصّاص في التاريخ الإسلامي"، بتاريخ 2 يونيو 2020، رابط المقال:

<https://www.aljazeera.net/turath/2020/6/%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%B8%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D9%8A%D8%AE%D8%B6%D8%B9%D9%86-%D9%84%D8%A5%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%81-%D9%86%D9%82%D8%A7%D8%A8%D8%A9>

765 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي بالمغرب، مرجع سابق، ص: 172.

الانتخابات بترشح عدد من أعضاء الحركة منهم لحسن الداودي وبسيدة الحقاوي، محمد باها، محمد يتيم ومصطفى الخلفي وغيرهم دون الفوز بأي منهم في هذه الانتخابات⁷⁶⁶.

عبرت هذه النخب إلى مجال المشاركة السياسية في الانتخابات بعد اختيارها للترشح وفق معايير منها التزكية من طرف قيادة الحزب، التي قال عنها محمد باها: "لقد حاولنا جهد الإمكان أن تكون المرجعية الإسلامية واضحة لدى المرشح، وأن يتوفر على حد أدنى من الالتزام، بالإضافة إلى الكفاءة والأهلية لمنصب النيابة"⁷⁶⁷، بذلك فإن شرط الانتماء والعمل تحت مظلة حركة التوحيد والإصلاح، كان أحد الشروط المهمة، لأن الحركة كانت هي أهم قناة لانتخاب أطر الحزب، الذي تؤكد أوراها التنظيمية على انطلاقه من المرجعية الإسلامية ويعتبر ذلك الوضع الطبيعي في مجتمع مغربي تجدر الإسلام في أعماقه، وفي ثقافته وتاريخه وحاضره⁷⁶⁸. تميزت هذه النواة الأولى من نخب الحزب بكونها تربت في رحم حركة التوحيد والإصلاح، وشغلت بها مناصب قيادية، مما منحهم تكويناً فكرياً ونظرياً تقليدياً لممارسة الخطابة، ومكنهم من القدرة على الانضباط للقرار الداخلي على مستوى التنظيم الحركي والحزبي.

إن الحديث عن نخب حزب العدالة والتنمية يدفعنا للبحث في الجذور الأولى لتشكلها كنواة خطابية وسياسية طوال مسار نشأة وتطور بنيات التنظيم، وفي منطلقات الحركة الإسلامية المغربية التي "تأثرت بأدبيات الإخوان المسلمين بمصر وسوريا، وهي أدبيات تتعلق بالمحنة والتعذيب والسجون، وهجرة المجتمع، وكل ما هو مؤسساتي ومتأثرة ببرامج تكوينية تستند على كتابات سيد قطب، وزينب الغزالي، وأبي الأعلى المودودي وفتحي يكن"⁷⁶⁹.

وفي سياق البحث عن جذور النخبة الحزبية للعدالة والتنمية يمكن الرجوع للشبيبة الإسلامية باعتبارها أول حركة إسلامية بالمغرب، والتي جاء سياق نشأتها سنة 1969، كرد فعل ضد ممارسات التيارات اليسارية خلال فترة السبعينيات، فرأت فيها الجماعة الإسلامية الناشئة أنها تقوت وأصبحت تشكل خطراً على النظام السياسي وعلى

766 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي بالمغرب، مرجع سابق.

767 محمد باها، حوار صحفي مع جريدة العصر، العدد الأول، 1997.

768 حزب العدالة والتنمية، الورقة المذهبية، البرنامج العام

769 البشير المتافي، الحركة الإسلامية والمشاركة السياسية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 30.

مشروعيته الدينية، فكانت الجماعة ذراعا موازيا وغير رسمي يشتغل في نفس أهداف النظام السياسي، في محاربتها لمظاهر الإلحاد داخل المجتمع والجامعات من خلال جمعياتها التربوية والدعوية التي أنشأتها لهذا الغرض⁷⁷⁰. وفي هذا السياق السياسي المشحون بالتقاطبات الأيديولوجية التي تتعارض فيما بينها، يمكن القول بأن أعضاء الشبيبة الإسلامية تشبعوا بهذه الأجواء لمناشدة التغيير السياسي، "لأنه أقصر الطرق ظاهريا لامتلاك القوة المادية في عالم القوة المادية"⁷⁷¹. تشبع أطر هذه الشبيبة الإسلامية إلى حد بعيد بأطروحات رفض الأنظمة والاشتغال على تغييرها ولو بممارسة العنف، وتبنوا العمل السري "لأنه أحسن طريقة للاتصال بالجمهير وتعبئتهم حسب الهدف المنشود، ولضمان أمن التنظيم وأمن أبناء الحركة وتحركاتهم"⁷⁷².

وقد عرفت حركة الشبيبة الإسلامية عدة تطورات بعد اغتيال "عمر بنجلون" في 18 دجنبر 1975 وفرار رئيسها عبد الكريم مطيع إلى الخارج، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور انقسامات داخل الحركة، أدت بدورها إلى تأسيس إطار جديد يقوم على التخلي عن السرية ويتأسس على العمل في إطار المشروعية، وهو ما سمي بـ "الجماعة الإسلامية" والتي سيقودها كل من عبد الإله بنكيران وعبد الله باها ومحمد يتييم وسعد الدين العثماني ومحمد عز الدين توفيق، لتبدأ "في عملية مراجعة عميقة همت أسلوبها في العمل بالتخلي عن السرية والعنف والتطرف، وعن مواقفها بالعمل في إطار القانون، واختياراتها التركيز على العمل الثقافي والإعلامي والاجتماعي"، كما تميز جل القياديين في صفوف هذا التيار الإسلامي بكونهم كانوا ينتمون مهنيا لمجال التربية والتكوين والتعليم⁷⁷³ مما أهلهم لامتلاك أسس الخطابة والتحكم في اللغة إلى حد ما.

770 محمد لعموش، مرجع سابق، ص: 208.
771 يراجع الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت، يونيو 1998، مجموعة من المؤلفين.
772 افتتاحية بجريدة الراية، العدد 15، شتنبر 1991، ص: 2.
773 البشير المتاقي، الحركة الإسلامية والمشاركة السياسية بالمغرب حركة التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية نموذجا، مرجع سابق ص: من 392 إلى 395.

وقد حرص التنظيم الإسلامي على الاستمرار في مواصلة العمل الدعوي في أفق المشاركة السياسية الشرعية الذي تجسد في تأسيس حزب العدالة والتنمية مما ساهم في تأطير وتأهيل واستقطاب المناضلين والمتعاطفين على المستويين الديني والتربوي وفق خطة الاعتدال والتدرج في الإصلاح، و ساهم في إحداث مدرسة تكوين سياسي لنخب الحزب.

تناوبت "النخب الدعوية" للجماعة الإسلامية، التي أسسها بنكيران على "ضبط" التنظيم بما يضمن الاستمرارية، وعلى رئاسة "الجماعة الإسلامية" وبعدها على رئاسة "حركة الإصلاح والتجديد"، على النحو التالي⁷⁷⁴:

1985.1981: محمد يتيم.

1989.1985: عبد الإله بنكيران.

1994.1989: عبد الإله بنكيران.

1996.1994: محمد يتيم.

ويبدو أن التكوين التقليدي الديني يلعب دورا حاسما في بلورة شخصية الخطيب السياسي لدى حزب العدالة والتنمية، بل يمكننا اعتباره أهم عامل في بناء نخب حزب العدالة والتنمية، فهو مجال سمح لهم بالتمرس على الخطابة في الجمهور انطلاقا من تجربتهم في الخطاب المسجدي الوعظي في منابر المساجد وحلقات الدرس، إلى جانب تجربتهم في تأطير الفعل المدني في الجمعيات المحسوبة عليه.

ولنأخذ أقرب مثال لهذا المعنى، وهو شخصية عبد الإله بنكيران المحورية داخل الحزب، لكونه يعتبر هو المفاوض الرئيسي مع السلطة من أجل الحصول على شرعية العمل السياسي العلني، ويعتبر شخصية محورية يصفها قياديو تنظيمه بالذكية، كما قال عنه يتيم في تقديمه لكتاب عبد الإله بنكيران (الحركة الإسلامية واشكالية المنهج)،

774 المعاشي ربيعة، حدود العلاقة بين المؤسسة الملكية والحركة الإسلامية بالمغرب، مطبعة الحمامة، تطوان، الطبعة الأولى 2021، ص

ص: 30. 31.

وقد تميز بقدرة تواصلية عالية وبأسلوب الصراحة، سواء في علاقاته مع أعضاء الحزب ومؤسسته، أو مع الرأي العام الوطني⁷⁷⁵.

تأسست شخصية بنكيران على تجاذبات و نزاعات تكوينية في بدايات مساره الدراسي، فقد كان له في بداية مساره الدراسي تكوين علمي (الفيزياء والميكانيك)⁷⁷⁶، ثم عرف تقلبات ايدلوجية متضادة إلى أن استقر على الانتماء إلى التيار الإسلامي، والخضوع لتكوين ديني وفقهي حركي اسلامي، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، لذلك ظلت تتحكم في خطابه تلك اللغة الدينية التقليدية وتلك المناهج الخطابية الوعظية، وندرج هنا ما قاله في خطابه بعد إعادة انتخابه أميناً عام للحزب سنة 2021، حينما قال: "حنا ماشي حزب سياسي ديال الانتخابات، ولا ديال الحكومات، ولا ديال البرلمانات، ولا حنا حزب سياسي ديال التنظيم، حنا حزب سياسي ديال المبادئ.. حنا جينا لله.."⁷⁷⁷.

أولاً- سؤال المستهدف في خطاب نخب حزب العدالة والتنمية

نلاحظ في خطاب وتواصل حزب العدالة والتنمية الذي يجسده أمينه العام عبد الإله بنكيران، نوعاً من الغموض في تحديد الفئة المستهدفة في تواصله الجماهيري أو في تصريحاته المتعددة. تضع الفئة المستهدفة أحيانا وهي تعد أحد أهم الأسس في التواصل عموماً⁷⁷⁸، فنجد أن منتج الخطاب عبد الإله بنكيران، يتأرجح في خطابه في توجه معين، فيذهب في مسارات متنوعة بدل التركيز على فئة معينة لتوجيه رسالة الخطاب، من تم نجده يستعمل لغة مرموزة، واستعارات لغوية كمقولته عن التماسيح والقفاريت، أو حكايات قصصية أو تاريخية أو نكت وغيرها فيجمع في نفس الخطاب فئات مستهدفة عديدة، فئة متدينة، فئة علمانية، سلطات عمومية، فاعلون سياسيون، رجال أعمال، شباب،

775 شقير محمد، السلوك الانتخابي بالمغرب بين الشفافية السياسي والمقاطعة الشعبية، منشورات دفاتر سياسية، 2014، ص: 195.

776 Jean-Michel Salgon, "Who's who dans le PJD?", In Les Cahiers de l'Orient 2008/2, N° 90, 2008/2, Éditions Centre d'études et de recherches sur le Proche-Orient, p:51-60. Lien:

<https://www.cairn.info/revue-les-cahiers-de-l-orient-2008-2-page-51.htm>

777 كلمة عبد الإله بنكيران في المؤتمر الوطني السادس لشبيبة العدالة والتنمية في فبراير 2018، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=o8UUzj1c'2A>

778 عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، مرجع سابق، ص: 184.

نساء إلى غير ذلك، مما يوحي بوجود استعجال وتسرع أحيانا في قول كميات كبيرة من الكلام في زمن قياسي، فيفتح بذلك أمامه جبهات عديدة قد يصعب التعامل معها مجتمعة.

فعندما يحس منتج الخطاب بنشوة النصر اللغوي وحماسة الجماهير، قد تضيع بوصلة الوجهة الحقيقية للخطاب السياسي وقد تدفعه إلى تجاوز بعض الأعراف السياسية والحدود المتفق عليها ضمنا في النقد مثلا، مما قد يجر عليه نوعا من الغضب من جهات أخرى قد تكون أكثر نفوذا في صناعة الفعل السياسي⁷⁷⁹. حينما تضيع بوصلة الخطاب يضيع معها المعنى الحقيقي للخطاب السياسي، وتضيع بذلك النتيجة المرجوة منه وهي كسب مزيد من المشروعية والتواجد.

يمكننا أن نصف الخطاب السياسي الهادف بكونه خطاب يتأسس على فعل سياسي يريد منتجه أن يصل به إلى هدف معين، فهو قد يكون فعل ثقافي مثلا وبالتالي يتم دمج اللغة والقيم الإسلامية في عقول المستهدفين، وقد يكون فعل اجتماعي يروم التعريف بمشروع الحزب المجتمعي، أو قد يكون فعل سياسي لدفع الجماهير إلى فهم أسس السلطة وطريقة التعامل معها ومع باقي الفاعلين، وهكذا تتعدد الأفعال المستهدفة من وراء الخطاب⁷⁸⁰.

غير أننا وبدون مجازفة، و بالنظر إلى طريقة تواصل حزب العدالة والتنمية في شخص أمينه العام عبد الإله بنكيران، نعتقد أن خطابه يسير في كثير من الأحيان في طريق "اللاجدوى"، فنجده لا يعير أهمية للأهداف الاستراتيجية الكبرى الطويلة المدى لخطاب حزبه، بقدر ما يتعامل مع اللحظة الانتخابية والسياسية، و لا تبدو عليه ملامح صناعة الأهداف البعيدة المدى، مما يدفع إلى افتراض وجود رغبة غي تصفية حسابات، عن طريق الخطاب، مع فاعلين حجبوا عنه طريق الاندماج الحقيقي في النظام السياسي في زمن مبكر، لذلك نجده يشدد في تصريحاته ويكرر معاتبة ومؤاخذة عدد من الشخصيات السياسية النافذة في الدولة.

779 مشبال محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي...، مرجع سابق، ص: 141.

780 عبد الكبير الخطيبي، النقد المزدوج، مرجع سابق، ص: 184.

ثانيا - استقبال الجماهير للخطاب الديني: بين التمثلات الذهنية والأثر الخطابي

من خلال المخيال الديني

تقتضي الضرورة العلمية لتقديم تفسيرات حول استعمال حزب العدالة والتنمية لخطاب سياسي بسمات خاصة، أن نسلط الضوء على جوهر الخطاب السياسي في المغرب عموما والذي يفنق إلى نوع من العقلانية في تفسيراته وتركيبته، مما يفرض على الباحثين في هذا الموضوع، الاستعانة بالنظريات اللغوية أو اللسانية، لفهم كينونته.

ويعد مفهوم المخيال من المفاهيم القديمة جدا التي أثارت اهتمام الفلاسفة والمفكرين. يعتبر أرسطو أول من تعرض للمفهوم واصفا إياه "بفانتازما". أخذ الفلاسفة العرب كالفارابي وابن سينا وابن رشد عن أرسطو هذا الوصف وعبروا عنه بكلمة "فانتازيا". ولازال هذا المفهوم مجالا للدراسة والبحث من قبل فلاسفة ومفكرين معاصرين نظرا لأهميته في ارتباطه بالخطاب عموما. وظهرت بحوثا عديدة حول المفهوم كتلك التي قام بها فيلسوف الوجودية جان بول سارتر و الفيلسوف جيلبار ديران، والمفكر اليوناني الفرنسي كورنيليوس كاستورياديس الذي أصدر كتابا بعنوان "تأسيس المجتمع تخيلياً"⁷⁸¹.

يقول ابن رشد شارحا وصف أرسطو: "محال أن يكون الخيال (المخيال) ظنا أو حسا أو علما أو عقلا وعموما أيا كانت من ملكات العقلانية. فهو ليس متركبا من الظن والحس كما يقول بعض القدماء. فجلي أن الخيال ليس ظنا مقترنا بحس ولا بملكة مركبة من الظن والحس. إذن الخيال ليس إحدى تلك القوى ولا مركبا منها"⁷⁸². ويقول أيضا: "إن المعاني الخيالية هي محركة العقل لا متحركة. فالخيالات هي ضروب من المحسوسات عند غياب المحسوسات.

781 قدار عبد الرحيم، المخيال الديني و الخطاب السياسي الحزبي في الجزائر نموذج : حزب جبهة التحرير الوطني و حركة مجتمع السلم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2011/2012، ص: 11.
782 ابن رشد، الكتاب الكبير للنفس لأرسطو، الترجمة من اللاتينية إلى اللغة العربية: إبراهيم الغربي، دار الحكمة، 1997، ص: 218-221.

إن فالإيجاب والسلب في غير الخيال. فالعقل يجرد التصور ويخلقه"، أي أنه يجعل من الصور التي تتخيلها النفس psyché معقولة وهذا بخلاف ما يفعله العقل القابل أو العقل المنفعل⁷⁸³.

ويقول بعض المفكرين في هذا الموضوع أن هناك المخيال الجذري: (imaginaire radical) الذي يتجاوز الجانب البيولوجي، الذي هو فيض ومنبع للتخيلات والإرادة والمهج وهذا ما يميز الكائن البشري عن الحيوان. وبذلك فإن المخيال الجذري للفرد لا يمكن اختزاله في الدلالات المخيالية الاجتماعية المهيمنة، فهو يتمثل الأشياء ويصورها ولكنه لا يتوقف على ما فيها من دلالات معهودة ومألوفة فهو يعين من جديد ومنه ينبثق الآخر والمغاير⁷⁸⁴.

بهذا المعنى فإن كل تفكير هو تمثّل وصياغة ولا وجود لعقل دون مخيال، أو كما يقول الفارابي لا وجود لعقل دون فانتهازيا التي لا تعرف الحدود ولا تستقر على أي تحديد عقلائي، و عليه فإن "الفانتازما لا تريد الحياة الوهمية بل إنها تخلق عالمها الحقيقي. فنحن نقول هذا تصرف إنساني، ولا نقول ذلك عن الحيوان مثلا، ومن تم فإن المسألة تتجاوز البلاغة أو اللعب على الألفاظ. إننا نخلق إنسانيتنا والعقل وحده (مختزل في عقلانية ومنطق صافيين) لا يكفيان ليجعلا منا بشرا، فالعقل والمخيال سيان ولا يمكن الفصل بينهما أو تمييز ما هو راجع إلى العقل الخالص وما هو مخيالي⁷⁸⁵.

ولقد أثبتت الدراسات العصبية البيولوجية المعاصرة neurobiology أن مراكز المنطق مرتبطة مباشرة بمراكز التخيل والإرادة والإحساس، لذلك لا يستقيم الحديث مثلا عن العقل السياسي كنفويض للمخيال السياسي، أو عن معقول عقلي كنفويض للامعقول العقلي كما يقول محمد عابد الجابري، لأن ذلك يفترض وجود عقل خالص شفاف وعقلانية مجردة من كل مخيال". هذا يجرنا للقول أنه "لا يمكن فصل العقل عن المخيال فهما وجهان لنفس العملة لكن الإنسان

783 ابن رشد، الكتاب الكبير للنفس لأرسطو، مرجع سابق.

784 Edward Bondi, "Quand les conditions ont la force de la réalité", in le monde, 2011, p27

785 Edward Bondi, Idem.

ينشئ الدلالات المخيالية والرموز، ولكنه يتوهم أن هذه الدلالات متعالية أو هي حصيلة قوانين موضوعية تاريخية. إنه ينشئ الدلالات المخيالية ويحيلها إلى قوى خارجة عن إرادته فيصبح أسيرا لها⁷⁸⁶.

يرتبط الحديث عن المخيال ودوره في تأسيس المجتمع والتاريخ⁷⁸⁷ بمسألة أخرى وهي المجتمعات التقليدية، التي تتأسس على قاعدة مرجعية مطلقة يستمد منها النظام السياسي - الاجتماعي شرعيته ويعتمدها كمصدر للتشريعات والأخلاق والعلاقات. يقول الباحثون أنه باستثناء المجتمعات اليونانية الغربية فإن المجتمعات تأسست على قاعدة الانغلاق ومبدأ السياج الكامل. يعتبر المجتمع المنغلق نظرتة للعالم هي الوحيدة الصحيحة ولها معنى، كل المواقف الأخرى تبدو غريبة، أقل قيمة، غير متماسكة، غير مقبولة، عديمة، وحتى وإن تمكن بعض أفراد هذا المجتمع من فهم بعض سمات المجتمعات الأخرى، فالسبب في هذه الكونية، والانفتاح على المجتمعات الأخرى لا يعود إلى العقلانية بل إلى قدرة الأفراد على التخيل الخلاق، أي على قدرتهم على تصور شيء مخالف ومغاير وغير معهود ومختلف عما عهدوه. فالمخيال الجذري للأفراد لا يكفي بالتقبل و الاندماج بل يتجاوز ذلك إلى تخيل وابتكار الجديد والمغاير⁷⁸⁸.

إن المخيال لا يقع بصفة آلية ووفق قانون تاريخي معين، فهو ليس بمادة بيولوجية قابلة للاهتراء والتفتت Biodegradable وأن ذلك ليس قدرها المحتوم، فكل تغيير للدلالات مرهون بتأسيس جديد وخلق بشري مغاير. وما دام هذا الخلق لم ير النور فإن هذه الدلالات المخيالية يمكن أن تستعاد وتستحضر في صيغ وصور مختلفة، ولأن اليونان ومن بعده الغرب تجاوزا عن وعي هذه المؤسسات التقليدية كالدين مثلا، ونفيا وجود مرجعية مطلقة يستمد منها الجهاز السياسي، الاجتماعي، الثقافي، سلطانه وشرعيته، كانت الديمقراطية وكانت المساءلة والعود إلى الذات ومراجعة المسلمات وكانت الفلسفة ونزعت عن المؤسسات الدينية قدسيتها⁷⁸⁹.

786 Edward Bondi, Idem.

787 Cornélius Castoriadis, L'institution: imaginaire de la société, Editions, seuil, 1975, p: 431.

788 Ibid.

789 قدار عبد الرحيم، المخيال الديني والخطاب السياسي، مرجع سابق، ص: 14.

يدعو محمد أركون إلى منهجية تعددية تستفيد من كل التراث الفلسفي والنقدي الحديث، ومن الأنثروبولوجيا الثقافية في دراسة التاريخ، وعلاقة ذلك بالمخيال. يرى أركون أنه لا يمكن إسقاط مفاهيم العصر الحاضر وإشكالياته على الماضي فعملية ربط الحاضر بالماضي عملية دقيقة تتطلب الكثير من ممارسة البحث التاريخي⁷⁹⁰. وهو يرى بضرورة العودة إلى روح الديانات وحقيقة مراميها فيمكن أن نجد أشياء كثيرة في التوراة والأنجيل ويمكن أن نبني عليها. فالعقل اللاهوتي المسيحي يحاول أن يسترجع مصداقيته في هذا الجو من الأزمة العامة للفكر، فهناك وحدة عميقة للأديان تتمثل في الحاجة الدينية والعامل الديني ذاته، وكما أن تقييم التاريخ العربي الإسلامي يستند إلى نظرة تبريرية تاريخانية وإلى منطق تاريخي لا يقبل المساءلة والنقاش، كما أن تقبل الحداثة والعولمة لا يخضع للنقد والتمحيص، كل ما في الأمر أننا مضطرون إلى ضمان "تواصل المشروع التاريخي للحداثة مع رفع للمظالم وإصلاح المسار"⁷⁹¹.

ولا يمكن تحديد مفهوم المخيال الديني إلا إذا قمنا بتفكيك هذين المفهومين: المخيال عموما والمخيال الديني تحديدا. يعرف المخيال بأنه يتشكل عبر الزمن و التاريخ في الذاكرة الجماعية، و هو يتجاوز نطاق الوعي لكي يمر عبر قنوات اللاوعي الاجتماعية و الدينية في مختلف تشكيلاته التزامنية التاريخية التي تتجلى في المخيال الديني الشعبي، و الأدبي و الثقافي وغيره للجماعات و للفئات الاجتماعية، أو لمجتمع معين، و هذا ما يفسر تلك التأملات و التخيلات، و التصورات التي هي كامنة في ثقافتنا الشعبية. و نجد المفهوم أنه، و بصورة واضحة، في شكله الفني و الإبداعي و الثقافي، و رصيده الشعبي الديني لا يكون إلا في إطار الذاكرة الجماعية، في حين المخيال يتميز عن الذاكرة في موقف الشعور، حيث يتميز بمساره نحو موضوعه، لا بوصفه حاضرا هنا، أي من خلال اختلاقه عبر تنظيم مخلفات الإدراك الحسي في الوعي بصورة جديدة. وتسمى الملكة التي تحفظ الفكرة بعد أن تكون إحساساتها قد

790 أركون محمد، قضايا في نقد العقل الديني، دار الطليعة، بيروت، 1988، ص 55-58.

791 Arkoun Mohamed, Islam et changement social, l'Islam actuel devant sa tradition et la mondialisation, Éditions, Payot, Lausanne, 1980, P: 60.

غابت عن الإدراك الحسي بالمخيلة⁷⁹². يتناول أركون أهمية مفهوم الصورة الذهنية التي وصفها بالمخيل، بحيث يرى أن التصورات المخيالية لا تمارس سلطتها في مجال التصور فقط، بل في ميدان الفعل الاجتماعي الذي تقوم به كل جماعة بشرية قائمة تميز نفسها من خلال مقارنتها وتميزها عن الآخرين⁷⁹³.

أما بخصوص مفهوم المخيال الديني، فلقد اختلفت الآراء حوله، فنجد مثلاً جورج بالاندييه ركز منذ البداية عند محاولته لتأسيس الأنثروبولوجيا السياسية داخل الفكر الفرنسي على أهمية المخيال الديني في استتباط و صياغة العمل السياسي، و الظاهرة السياسية ككل من خلال اعتباره يؤدي إلى اكتشاف علاقات متينة بين عامل التقديس من جهة وبين العامل السياسي من جهة أخرى، من خلال مقولته: "ينبغي أن تبقى الكنيسة مفصولة عن الدولة، و لكن يبقى هناك شيء من التقديس في السياسة هذا شيء محتوم، و إلا فإن السياسة لا تستمر ولا تشتغل"⁷⁹⁴.

وقد وضح بالاندييه المخيال الديني، في كتابه السلطة على المسرح، و مضمون هذا الكتاب أنه لا يوجد سياسة بدون إخراج مسرحي، و بدون طقوس و شعائر تثير الرهبة و الخشية، و هذا ما يقوم به الحاكم من أجل تشكيل صورة له لكي تتوافق مع رغبة الرعية و الجمهور. و بمعنى آخر يقوم المخيال بدور كبير في تشغيل آلية السلطة، و الممثل السياسي الكبير هو الذي يعرف كيف يقود الواقع بواسطة المخيال، أي أن للسلطة علاقة بالقدسي و بالعنصر الديني في كل المجتمعات البشرية. و من وجهة نظر سوسيولوجية تعتبر ظاهرة المخيال الديني موجودة ونجدها تدل على أن خلع المشروعية على الأشياء بواسطة التقديس و العامل الديني لا يزال فعالاً⁷⁹⁵.

مبحث ثاني: التواصل السياسي لحزب العدالة والتنمية: استهلاك يوفق بين الأدوات

التقليدية والحديثة

792 ليفي سترأوس كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص: 42.

793 موسى جواد الموسوي، الإعلام الجديد تطور الأداء و الوسيلة و الوظيفة، مكتبة الإعلام و المجتمع، بغداد، 2011، ص: 74.

794 بالاندييه جورج، "السلطة و الحدائنة"، ترجمة هاشم صالح، منشور في مجلة العلوم الإنسانية و الحضارية، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت، العدد 41، سنة 1986، ص: 34-35.

795 قدار عبد الرحيم، المخيال الديني والخطاب السياسي، مرجع سابق، ص: 19.

يعتبر الحزب السياسي "كيانا" أو "تنظيما" و إطارا منظما في شكل مؤسسة لها أدور محددة من بينها ممارسة التواصل المؤسساتاتي بمضمون سياسي أي ممارسة التواصل السياسي.

ويعرف الاتصال المؤسساتاتي بكونه "اتصال يتمحور حول المؤسسة نفسها، و يهدف إلى إنشاء و تسيير صورة المؤسسة والتعبير عن هويتها و التعريف بها، وتأكيد هذه الهوية وأهدافها، بمعنى أن تتحدث عن نفسها، وعن قيمها وعن فلسفتها وعن شرعيتها"⁷⁹⁶. ومع التطور الذي عرفته البيئة العامة وتطور وسائل الاتصال، أصبح التواصل ضرورة ملحة بالنسبة للأحزاب السياسية، لاسيما بعد موجة "الربيع العربي". تمارس الأحزاب السياسية المغربية وظيفة التواصل بدرجات متفاوتة، مستعينة بما يتوفر من وسائل الإعلام والتواصل التكنولوجي الحديث، نظرا لأهميته في صناعة القدرة على التعبئة.

ويعتبر حزب العدالة والتنمية من بين الأحزاب التي رأت في التواصل في شكله وتنظيمه الحديث، دورا أساسيا سواء داخليا في حدود الحزب وقيادته ومناضليه أو خارجيا موجها للجميع، بعيدا عن النمط التقليدي والقديم الذي تجسد الصحافة الحزبية أحد مكوناته.

الفقرة الأولى: الأدوات الحديثة في تواصل حزب العدالة والتنمية

طور حزب العدالة والتنمية آلياته المعنية بالتواصل المؤسساتاتي، و وضع لذلك استراتيجية وخططا وهايكل تواصلية حديثة ورسائل سياسية وجداول عمل غير عشوائية. منذ سنة 2011 تحديدا وضع الحزب تصورا جديدا وحديثا لتدبير طرق التعامل مع المعلومة داخليا وخارجيا، في أفق قصير الأمد متعلق بالانتخابات التشريعية⁷⁹⁷.

كان لسياق احتجاجات الربيع العربي سنة 2011، وللأوضاع التي تلتها في المغرب فيما يتعلق بالإعداد للانتخابات التشريعية ل 25 نونبر 2011، دورا دافعا لبناء الحزب لبياناته الإعلامية، خاصة وأن الرهان كان كبيرا

796 عطا الله أحمد شاكور، إدارة المؤسسات الإعلامية، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن، 2015، ص: 24.

797 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 128.

لتحقيق نتائج مهمة تخوله ممارسة السياسة والسلطة من داخل الحكومة. قام الحزب بإنشاء وتنظيم بنية للتواصل ضمن هيكله بواسطة قسم مركزي للإعلام والعلاقات العامة داخل التنظيم، وشكل بذلك نواة أولى لقيادة العملية التواصلية داخليا وخارجيا⁷⁹⁸.

اعتمد هذا القسم على أطر التنظيم الذين لهم تكوين وتجربة في التواصل والتسويق، وعلى مهنيين من قطاع الصحافة وعاملين إداريين، موزعين على هيئة للتحليل ورئاسة للتحليل، وقطب للسمعي البصري، وآخر للعلاقات العامة، والخلق والابتكار، وتدبير العلاقات مع الصحافة، بالإضافة إلى الإدارة المسؤولة عن كل ذلك⁷⁹⁹. وتم إحداث وتنظيم بنيات جهوية وإقليمية في فروع الحزب، وإحداث "مهمة جديدة" داخل كل إقليم تسمى "المراسل"، لتنسيق عملية التواصل محليا مع الإدارة المركزية للحزب. وصل عدد هؤلاء المراسلين إلى نحو 200 شخص خضعوا لتكوين سياسي حول مرجعية الحزب ووثائقه وتوجهاته إلى جانب تكوين مهني متعلق بقواعد ممارسة العمل الإعلامي والتواصل، وينسقون فيما بينهم عبر مجموعات أو منتديات في منصات التواصل الاجتماعي، تحت إشراف قيادة الحزب التي تدير طريقة العمل والمواقف والرسائل المراد إيصالها وغيرها من المواضيع. وقبل الخوض في وصف أسلوب تنظيم حزب العدالة والتنمية لتواصله داخليا وخارجيا، فإننا سنناقش بعض الأفكار والمفاهيم التي لها علاقة بممارسة الفعل التواصلية بشكل عام، نظرا لكونها ضرورية وأساسية في هذه الممارسة. سنناقش في فقرة أولى مفهوم الديمقراطية الرقمية، ثم بعدها نعالج علاقة حقوق الإنسان باستعمال شبكات التواصل الاجتماعي⁸⁰⁰.

أولا- مفهوم الديمقراطية الرقمية والاتصال السياسي واستجابات الجمهور

تعتبر التكنولوجيا التواصلية أحد الأدوات التي من شأنها أن تساهم في تحقيق ما يعرف بالديمقراطية الرقمية، من خلال استخدام الأنترنت كوسيلة مكملة للتواصل التقليدي أو ما يعرف بالإعلام الجماهيري، فهي توسع فضاء

798 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

799 نفس المرجع السابق.

800 نفس المرجع السابق، ص: 129.

التخاطب السياسي بانفتاحها على شرائح أوسع من المستهدفين. يقول بعض خبراء سوسيولوجيا وسائل الإعلام أن من بين الأهداف التي تتوخاها الأقليات جراء استعمال أنواع متعددة من وسائل الاعلام، هو الحصول على الاعتراف الهوياتي والدفاع عن هويتها بغية تعزيز اندماجها في الجماعة⁸⁰¹.

فالديمقراطية الرقمية تشكل نوعا من الديمقراطية التي تعتمد على التكنولوجيا الرقمية والإنترنت في عملية صنع القرار والتواصل بين الهيئات السياسية والمواطنين، وهي بذلك تعني توفير مزيد من الفرص للمواطنين للمشاركة في صنع القرارات، وتعزيز شفافية العملية السياسية وتوفير معلومات. غير أن الديمقراطية الرقمية تطرح بعض التحديات، كعدم تكافؤ الفرص في الوصول إلى الإنترنت بالنسبة لجميع المواطنين لاسيما أولئك الذين يعيشون في مناطق هامشية أو قروية أو نائية، وقد تكون هناك معوقات مادية لوجيستكية، أو معوقات ذهنية كالأمية وانعدام الوعي باستخدام الأنترنت عموما.

ويمكن اعتبار التكنولوجيا الرقمية فضاء جديدا للعمل السياسي، فهي تتيح المشاركة اليومية المباشرة في الحياة السياسية والاجتماعية وتمكن، عبر شبكات الاتصال المتطورة، من تكثيف العلاقات التفاعلية الحينية بين المواطنين من جهة، وهياكل الدولة من جهة أخرى، لحل الإشكاليات الظرفية، والاستجابة السريعة لطلبات المواطن، وتبرهن هذه التحولات العميقة على أن ممارسة الحياة السياسية تتأثر إلى حد كبير بتطور تكنولوجيات المعلومات والاتصال⁸⁰². وبذلك يمكن القول أن التكنولوجيا الرقمية أضحت أداة من أدوات التغيير السياسي، من خلال التعبئة في الفضاء الرقمي وحشد الدعم وتحقيق الضغط على الأنظمة السياسية، وقد لاحظنا حجم التأثير الذي أحدثته وسائل التواصل الحديثة و شبكات التواصل الاجتماعي على نشر الأفكار السياسية بين الجماهير في المنطقة العربية خلال فترة

801 Andy Bennett, Pour une réévaluation du concept de contre-culture ; Traduction de Jedediah Sklower, la revue des musiques populaires, volume 9-1 année 2012, pp. 19-31.

802 جوهر الجموسي، الافتراضي والثورة..، مرجع سابق، ص: 135.

احتجاجات الربيع العربي. و يرى مانويل كاستياس⁸⁰³ أن العلاقة بين شبكات التواصل الاجتماعي والاستقطاب الأيديولوجي كمتغيرين، هي علاقة تحدد كاستياس ها عمليات التفاعل بين هذين المتغيرين، وأن للعامل الاجتماعي و الاتصالي أهمية في عملية الاستقطاب. يرى أن شبكات التواصل الاجتماعي فرضت هيمنتها على فضاءات التواصل الجماهيري، وأن جذور الاستقطاب عميقة بحيث أنها تكمن في وجود أزمة ثقة وأزمة شرعية سياسية عبر العالم، وأن هذه الأزمة نفسها نتاج سمات السياسة الإعلامية والبيروقراطية وتعاضم الفساد⁸⁰⁴. وبذلك يفترض كاستياس مؤسس نظرية المجتمع الشبكي في عصر المعلومات، أن شبكات التواصل الاجتماعي تعزز دور الجهات المستقطبة في المجتمع، ولكنها ليست السبب الذي يدفع "لتطرفها". إن شبكات التواصل الاجتماعي تضخم الاستقطاب وتعززه من خلال فضح المواقف على نطاق واسع، وأيضاً بسبب سرعة انتشار الرسائل في بيئة الإنترنت. لذلك يرى كاستياس ضرورة تنظيم شبكات التواصل الاجتماعي، ومواجهة الاستقطاب، عن طريق إعادة ديمقراطية السياسات ورفع مستوى الشفافية في نظام الإعلام متعدد الوسائط لكل من الاتصال الجماهيري والتواصل الذاتي الجماعي⁸⁰⁵.

ولا شك أن ما يصطلح عليه بالثورة الرقمية ساهمت بشكل كبير في السماح للمواطن بالاطلاع على الأخبار ومن تم توفر إمكانية التعليق على الأحداث والمساهمة في النقاش العمومي الذي يساهم فيه المواطن والسياسي، وهو ما يمكن وصفه بـ "الديمقراطية الالكترونية" أو "الديمقراطية الافتراضية"، التي فتحت هامشاً جديداً لممارسة حرية التعبير في المنتديات الالكترونية، لإبداء المواطنين آراءهم حول تدبير المنتخبين لمسؤولياتهم، وحول أولويات السياسة في إطار ديمقراطية قوية، مباشرة، ومنتق عليها بالإجماع، حسب ما يتطلع إليه الباحث الأمريكي بنجامين باربر⁸⁰⁶.

803 مانويل كاستياس ، "شبكات التواصل الاجتماعي والاستقطاب السياسي"، محاضرة افتتاحية، منشور في مجلة الجزيرة لدراسات الاتصال والإعلام، مركز الجزيرة للدراسات، السنة الأولى، العدد 2، الدوحة، يوليو 2023، ص: 21-29.

804 مانويل كاستياس ، "شبكات التواصل الاجتماعي والاستقطاب السياسي"، مرجع سابق.

805 نفس المرجع السابق.

806 إريك ميغري، سوسيولوجيا الاتصال والميديا، ترجمة : نصر الدين لعياضي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، الطبعة الأولى، المنامة، 2018، ص: 574.575.

أصبحت الشبكة العنكبوتية فضاء واسعا بدون حدود جغرافية، تساهم بشكل أكبر في تسريع نشر المعلومات والنقاشات السياسية وتبادل الأفكار بشكل حر، فتحوّلت إلى وعاء كبير يحضن عملية الاتصال بين المناضلين والمتعاطفين أو من أجل إغراء الناخبين⁸⁰⁷.

في تقرير نشره مجلس الاستخبارات القومية الأمريكية⁸⁰⁸ NIC سنة 2009 تحت عنوان "اتجاهات عالمية 2030، عوالم بديلة"، جاء فيه أن "الفرد الرقمي المستخدم لوسائل التواصل الاجتماعي وشبكات الأنترنت سيتحول إلى عنصر فاعل ولاعب مؤثر في اللعبة السياسية المحلية، وإلى شريك في رسم القوى الجيوسياسية الدولية".

وقد أضحت مواقع التواصل الاجتماعي، إلى جانب كونها منتديات للتداول والنقاش، وسائل إعلام بديل وفضاءات إخبارية بامتياز تنقل الخبر حين وقوعه بالصوت والصورة إلى قواعد المستخدمين، فظهرت بذلك صحافة المواطن التي تلعب فيها وسائل الإعلام الاجتماعي دورا رئيسيا في توسيع آفاق التعبير لدى المواطن وتقديم مصادر معلومات بديلة للإعلام التقليدي⁸⁰⁹. لقد تحول الأنترنت إلى فاعل تكنولوجي جديد في مجال الفعل السياسي، وعاملا مهما في العمليات الانتخابية.

ويؤكد يورغن هابرماس على أن "وسائل الإعلام الالكترونية تخلق حالة من الجدل بين الجمهور، تتيح تأثيرا كبيرا في القضايا العامة، وتؤثر في النخبة الحاكمة والجمهور"⁸¹⁰. فالأنترنت أداة ربط بين المواطنين والسياسة، ويرى تييري فيديل⁸¹¹ Thierry Vedel أن الأنترنت يوفر المعلومة بكل وضوح وشفافية، ويمكن المواطن من التواصل المباشر مع مصادر المعلومات السياسية والمشاركة بسهولة في المنتديات السياسية.

807 Rémy RIEFFEL, Sociologie des médias, édition Ellips, 3 ème édition, France, 2010, p: 10.

808 انظر التقرير باللغة الانجليزية متوفر على موقع مجلس الاستخبارات القومية <http://www.dni.gov/files/documents>

809

810 Jürgen Habermas , l'Espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, traduit de l'allemand par Marc B. De Launay, critique de la politique, Paris, Payot, 1978.

811 Thierry Vedel, Internet et les pratiques politiques, In « la communication politique : Etat des avoirs, enjeux et perspectives », Dir, Gingras Anne Marie, Edition PUF, 2003, p. 191.

وفي محاولة لفهم "استجابات الجماهير"⁸¹² فإن الجمهور "الغفير" لم يعد مجرد مستقبل للخطاب عبر وسائل الإعلام أو شبكات التواصل الاجتماعي، ولم "يعد مستمع الإذاعة أو قارئ الجريدة أو مشاهد التلفزيون أو متصفح الإنترنت يتلقى ما يلقي إلى سمعه أو يمر أمام عينيه فيعمل فيه فكره، ويستخرج معناه فحسب، بل أصبح هذا المتلقي يستطيع نشر رأيه وموقفه مما قرأه أو سمعه أو شاهده، في شكل استجابات خطابية مباشرة آنية، قد تكون مواجهة لما تلقاه فتؤيده أو تقنده، تستحسنه أو تستهجنه، تؤكد مصداقيته أو تنزعها عنه، أو تكون موازية له فتضيف إليه أو تستبدله، أو تكون على هامشه فتقدم خطابها الخاص الذي قد لا يمت للخطاب الأصلي بصلة. وهكذا ظهر إلى الوجود ما أطلق عليه "عصر استجابات الجمهور". فبفضل التكنولوجيا التفاعلية أصبح الجمهور العادي قادرًا للمرة الأولى في تاريخ البشرية على إنتاج استجابات للرسائل التي يتلقاها، لها نفس انتشار الرسائل الأصلية التي يستجيب لها، ودرجة لا تقل كثيرًا من قوتها الرمزية⁸¹³.

ويرى عماد عبد اللطيف كمختص في تحليل الخطاب أن الاستجابات الجديدة تتسم بعدة خصائص تميزها عن أشكال الاستجابات الأخرى، التي كانت متاحة للجمهور فيما مضى. هذه الخصائص هي⁸¹⁴:

1 - الآنية: بحيث أنها ميزة جديدة تفصل الاستجابات الجديدة عن السابقة التي تميزت بكونها ردود لاحقة على الرسالة الأصلية، وكانت عبارة عن نشر بعض استجابات القراء مثلًا في الصحف الورقية. فاستجابات الجمهور الجديدة توزع وتستهلك تقريبًا في نفس زمن توزيع الرسالة الأصلية واستهلاكها، وذلك بفضل الوسائط مثل صفحات الإنترنت التي تنشر الاستجابات بدون قيود مشابهة لتلك التي تقيد الوسائط القديمة مثل الصحف الورقية أو البث الإذاعي.

812 عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، دار العين للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015، ص: 43-65.

813 عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، مرجع سابق.

814 نفس المرجع السابق، ص: 64-67.

2 - **تفادي الخضوع للرقابة أو لإعادة المعالجة:** فإذا كانت استجابات الجمهور سابقا تخضع لأشكال عديدة من الرقابة قبل نشرها، وقد يتم استبعادها إذا كانت غير مرغوب فيها أو يمكن إعادة تحريرها، فإن الاستجابات الراهنة تتمتع بمساحة أكبر من الحرية والنفاذ.

3 - **ضخامة حجم الاستجابات وتعدد أنواعها:** خلافا للسابق فإن استجابات الجمهور حاليا لا تواجه قاعدة التقيد بحجم معين كعدد الصفحات أو الكلمات وغيرها، بل غالبا ما يتجاوز حجم بعض الاستجابات حجم الرسالة الأصلية في الوقت الراهن، إضافة إلى كونها قد تأخذ أشكالا متعددة كالنصوص المكتوبة أو التسجيلات والصور وغيرها.

4 - **إمكانية إخفاء المصدر وصعوبة التتبع:** لقد أتاحت وسائل الاتصال الإلكترونية والتكنولوجية الحديثة إمكانات لا حصر لها لإخفاء مصدر استجابات الجمهور، عن طريق الأسماء المستعارة أو الرموز واستخدام الحواسيب العامة أو الهواتف النقالة، كلها وسائل تتيح "تجهيل مصدر الاستجابة". ومن تم، يمكن معرفة القليل للغاية عن هوية منتج الاستجابة سواء من ناحية العمر أو النوع أو الجنسية وغيرها.

5 - **سهولة القابلية للحصر والقياس:** يمكن قياس وحصر وإحصاء كل الاستجابات على الفضاء الافتراضي، فتعليقات الجمهور على الخطاب الأصلي، وإعادة إرساله، ووضعه أو حذفه من دائرة التفضيلات، وغيرها من الأفعال، يمكن قياسها وحصرها وتفسير العلاقة بينها وبين الخطاب الأصلي. وبذلك فإنه يمكن القول أننا نعيش انتقالا "بلاغيا" من بلاغة السلطة إلى بلاغة الجمهور، ذلك أنه منذ قرون عديدة كانت البلاغة أداة يستطيع من يتقن استخدامها أن يسيطر إلى درجة ما على الآخرين، وقد ذكر "جورجياس أن هؤلاء الذين يعرفون كيف يتكلمون، وكيف يقنعون الجمهور يتمكنون من تسخير الجمهور لخدمتهم، ويمكنهم بسهولة سلب هذا الجمهور ما يمتلكه"⁸¹⁵.

815 عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، مرجع سابق.

ومع تعدد الفاعلين الاجتماعيين وما يقومون به في الوقت الراهن من مهام كان يقوم بها "الخطيب قديما (أي إخضاع الناس لإرادته تمهيدا لاستغلالهم)، مثل محرري الخطاب the ghost writers، وأخصائيي التضليل الإعلامي spin-doctors، وخبراء الدعاية، والمتحدثين بالإنبابة spokes-men، وبعض رجال الدين فإن المستفيدين الأساسيين من هذا الإخضاع ليسوا هؤلاء التقنيين، وإنما من يعملون لحسابهم. ومع ذلك فإن الارتباط بين البلاغة والسلطة ما زال قائما وفاعلا. ويرى عماد عبد اللطيف لمواجهة هذه الهيمنة التي تمارسها بلاغة السلطة، ولإفادة المثلى من عصر استجابات الجمهور، لا مفر من تأسيس بلاغة للجمهور تسعى لتخليص علم البلاغة من جزء من تاريخه السلبي الطويل في خدمة السلطة على حساب الجمهور. هذه البلاغة الجديدة غايتها إمداد الإنسان العادي، الذي يشكل اللبنة الأساسية للجمهور، بمعرفة تمكنه، في حال تعرضه لخطاب ما، من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب، ومبالغاته، ومغالطاته، ومفارقاته للواقع، وتناقضاته الداخلية والأغراض التي يسعى لإنجازها، وذلك حتى يتمكن من التمييز بين خطاب سلطوي يسعى للسيطرة عليه، وخطاب يسعى لتحريره. ويمكن ل "بلاغة الجمهور" أن توجد غاية جديدة للبلاغة، تتمثل في نقويض إمكانيات استخدام اللغة للتلاعب بالجمهور من قبل هؤلاء "غير المخلصين"، وتمكين الأفراد العاديين من التوظيف الأمثل لاستجاباتهم. وهي تجعل بذلك علم البلاغة في خدمة الطرف الأضعف في عملية الاتصال الجماهيري أي الجمهور، بغية "زعزعة هيمنة سلطة الخطاب وخطاب السلطة؛ بحيث يصبح الجمهور ممتلكا بشكل فعلي لحرية الإرادة والفعل بما يحول دون وقوعه ضحية الخداع أو التضليل"⁸¹⁶.

وفيما يتعلق بعلاقة استعمال شبكات التواصل الاجتماعي بحقوق الإنسان في المغرب، فإن المجلس الوطني لحقوق الإنسان يشير في تقرير أعده بمناسبة ملاحظة الحملة الانتخابية لسنة 2021⁸¹⁷ إلى كون شبكات التواصل

816 عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص: 67-70.
817 تقرير المجلس الوطني لحقوق الإنسان بخصوص ملاحظة الانتخابات الجماعية والجهوية والتشريعية لسنة 2021، المتوفر على الرابط التالي: https://www.cndh.org.ma/sites/default/files/mlhzt_wly_ilmjls_intkhbt_2021_p.pdf

الاجتماعي شكلت حاضنة أساسية للدعاية الانتخابية والإعلان عن الترشيحات وتقديم برامج الأحزاب، وحشد الدعم والتواصل مع المواطنين والمواطنات بشكل عام. كما وقف التقرير على كون هذه المنصات كانت أداة مهمة لتعبير المواطنين والمواطنات عن آرائهم المتعلقة بالمشاركة في الانتخابات التشريعية والجهوية والمحلية ليوم 8 شتنبر 2021. يطرح التواصل على شبكات التواصل الاجتماعي على الأقل إشكاليتين أساسيتين في علاقته بالانتخابات، وخاصة ما تعلق بالتصويت أو عدم التصويت يوم الاقتراع. لا تتجاوز الفئة العمرية التي تمثل 73% بالنسبة للمسجلين في اللوائح الانتخابية، المؤهلين بالتالي للتصويت (35 سنة فما فوق)، 23% من مجموع الحسابات (وليس حتى الأشخاص) المفتوحة بشبكة التواصل الاجتماعي الأكثر استعمالا بالمغرب. كما رصد المجلس أن ثلث الأحزاب السياسية المشاركة في الاستحقاقات الانتخابية (على المستوى الوطني) لم تنشر أي محتوى على شبكات التواصل الاجتماعي، في حين لم يتجاوز عدد الأحزاب التي وصل عدد نشراتها 100 قطعة طيلة 9 أيام (ما بين 26 غشت و3 شتنبر 2021)، على جميع شبكات التواصل الاجتماعي موضوع الملاحظة 9 أحزاب سياسية. وقد سجل المجلس الوطني لحقوق الإنسان، نشر عدد من الأحزاب ملصقاتها الانتخابية بحجب صور النساء المرشحات، منها ما حجب صور جميع النساء المترشحات ضمن اللوائح/الملصقات، بنسبة 26% من مجموع الحالات المرصودة في هذا السياق (أكثر من 500 دعامة تواصلية). وأكد المجلس على وجود منشورات عديدة وصفها بالنتمر ضد مترشحات، بسبب المهنة أو اللباس أو شكل الصور في الملصقات الانتخابية، كما وصلت بعض الحالات إلى حد التحرش والإيحاءات ذات الطبيعة الجنسية أو مهاجمة المعنيات انطلاقا من لباسهن (جرى رصد أكثر من 500 منشور بخصوص إحدى الحالات في هذا السياق).

وفيما يتعلق بحماية المعطيات ذات الطابع الشخصي، سجل المجلس خرق عدد من المنشورات للحماية الواجبة للمعطيات ذات الطابع الشخصي وللإستعمال غير القانوني لهذه المعطيات. تجلى ذلك في منشورات تضمنت مثلا

نشر أسماء وأرقام بطائق التعريف الوطنية لمرشحات ومرشحين. كما رصد المجلس منشورات لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي يشكون فيها توصلهم بإعلانات سياسية في إطار الحملات الدعائية للانتخابات عبر رسائل نصية قصيرة. وقد دعت اللجنة الوطنية لمراقبة حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي، بمناسبة هذه الانتخابات، جميع الأطراف إلى احترام مقتضيات القانون رقم 08.09 المتعلق بحماية الأشخاص الذاتيين تجاه معالجة المعطيات ذات الطابع الشخصي، خلال الحملة الانتخابية، والإيقاف الفوري للمعالجات التي لم يتم التصريح بها لدى مصالحها.

وتتميز أيضا استعمال وسائل التواصل الاجتماعي خلال الحملة الانتخابية لسنة 2021 حسب تقرير المجلس الوطني لحقوق الإنسان، بانتشار ما وصفه التقرير المذكور بالعنف الرقمي، مثال ذلك ما نشره أحد المترشحين على صفحته في منصة فيسبوك تحمل دعوة إلى الكراهية والعنف و "الجهاد" ضد "الكفار"، قبل أن يعدلها بعدما تم تنبيهه من قبل أعضاء من الهيئة السياسية الذي ترشح باسمها. سجل المجلس كذلك وجود منشورات تتعلق بشعارات عنف في وقفة داعية لمقاطعة الانتخابات بمدينة الدار البيضاء، إلى جانب مواد لمعتقل سابق على خلفية السلفية الجهادية، فيه تكفير لبعض الهيئات السياسية.

ثانيا - التواصل الداخلي و الخارجي لحزب العدالة والتنمية من أجل تعبئة جماهيرية

يعرف التواصل الداخلي بكونه عملية "إنتاج وتوفير وتجميع البيانات والمعلومات الضرورية لإنجاز الأعمال داخل التنظيم ونقلها وتبادلها أو إذاعتها في كل مستوياته، وذلك بهدف إحاطة الآخرين بأمور وأخبار أو معلومات جديدة أو التأثير في سلوكهم أو التغيير أو التعديل من هذا السلوك أو توجيهه وجهة معينة"⁸¹⁸. وينبغي هذا النوع من التواصل في مسارين أساسيين، تواصل "صاعد" أو تواصل "نازل"

تميز فريق العمل داخل قسم الإعلام والعلاقات العامة بتدعيمه بأعضاء جدد من داخل الحزب في إطار ما يسمى "إعادة الانتشار" أي تغيير المهام، كما تم تقسيم العمل فيما بين الفريق، أخذا بعين الاعتبار أهمية التواصل

818 مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 2000، ص: 19.

الداخلي "الصاعد"، الذي يقصد به "نقل الرسائل والمعاني بأشكالها وأنواعها المختلفة من قاعدة الهرم أو السلم الإداري إلى القمة ضمن الهيكل التنظيمي المفتوح والمرن، والذي يتيح للمستويات الإدارية الأدنى حرية الاتصال والتواصل مع المستويات الإدارية العليا"⁸¹⁹، وذلك بهدف إيصال معلومة معينة قصد اتخاذ القرار بشأنها أو إخبار قمة الهرم بها لأهميتها.

وهناك التواصل "النازل"، الذي يعمل على إيصال المعلومات المتعينة من قمة الهرم إلى أسفله، بناء على تراتبية إدارية معينة، وعبر وسائل اتصال حديثة كالبريد الإلكتروني أو منصات التخاطب والتراسل الفوري، لإخبار المناضلين مثلا بوجود بلاغ حزبي جديد أو حدث ما أو موقف أو قرار أو توجه جديد أو إخبارهم بمكاسب على سبيل المثال. ومن بين أهم أهداف هذا التواصل هو ضمان وفاء المناضلين واستمرار التعبئة الداخلية، والتحضير لأي مواجهات خارجية أو الرد على مواقف الخصوم وتفسير المواقف.

أحدث الحزب، لهذا الغرض، نشرة إخبارية داخلية تعد وتوزع أسبوعيا، تعنى برصد أهم الأخبار التي تهتم أعضاء الحزب وقيادته. ومن مهام قسم التواصل أيضا، الحرص على إعداد "العدة"⁸²⁰ الحزبية، وهي عبارة عن محفظة يتم توزيعها على المناضلين تتوفر على دلائل مختلفة خاصة بكل مناسبة (لقاءات، مؤتمرات، أنشطة أخرى..)، وكان يتم تتبع مختلف مضامين وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي وإعداد "قراءة في الصحف" و وضعها رهم إشارة الأمانة العامة للحزب من أجل التتبع اليومي لمجريات الأحداث السياسية، بما في ذلك الأخبار التي تتعلق بالمنافسين السياسيين⁸²¹.

ويعتبر تواصل الخارجي ذا أهمية كبرى في إظهار الحزب للمجتمع وإبراز مواقفه ورؤاه. يقصد به "حلقة الوصل بين المؤسسة (المنظمة) والمجتمع المحيط بها، ففي كل مجتمع لابد من وجود مؤسسات وهيئات مختلفة، قائمة لتحقيق

819 إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص:137

820 المنور عبد الحفيظ، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص:130.

821 نفس المرجع.

غايات ووظائف معينة ولها صلات مع أفراد ذلك المجتمع⁸²². وبذلك فإنه لا يمكن للحزب أو لأي تنظيم عموماً، القيام بأدواره ومهامه ما لم يتمكن من خلق الثقة المتبادلة بينه وبين الجماهير. وهذه الثقة ليست وليدة الصدفة، وإنما هي صناعة تؤسس على مدة زمنية معينة وتؤسس على خطط تواصل، تضمن بناء الثقة والحفاظ عليها.

ولبلوغ هذه الغاية فقد وضع حزب العدالة والتنمية استراتيجية للتواصل، على المدى القريب والمتوسط والبعيد، تجعل من الانفتاح على المحيط أولوية. تتميز البيئة العامة للحزب بوجود فاعلين متعددين، وفكر الحزب في كيفية مواجهتهم أو التمييز عنهم أو الدفاع عن بعضهم إن اقتضى الأمر ذلك.

من الأمور التي لاحظها الباحثون⁸²³ أنه في فترة قيادة عبد الإله بنكيران للحكومة وللحزب في نفس الوقت، هي ارتفاع حدة الاشتباكات والتراشق الإعلامي الخارجي واسع الانتشار، وتميز هذا الوضع بدينامية كبيرة في نشر مضامين رسائل الحزب وخطب وتصريحات أمينه العام. وكانت الصراعات بينه وبين الخصوم وعلى وجه الخصوص مع حزب الأصالة والمعاصرة، تكاد تكون يومية، بمناسبة كل خروج إعلامي أو تواصل لقيادة الحزب أو لمناضليه في شبكات التواصل الاجتماعي تحديداً. هناك بعض الدراسات اعتبرت شبكات التواصل الاجتماعي "فضاء استراتيجياً" من أجل الهيمنة السردية بين المتنافسين والمتصارعين، في إدارة الصراعات والنزاعات، الأمر الذي أنشأ حالة من الاستقطاب الأيديولوجي والسياسي بين المتنافسين والمتصارعين ليس فقط دولياً بل وداخل الدولة الواحدة⁸²⁴.

ومن بين المواضيع الكثيرة التي شكلت محور تواصل سياسي وتراشق إعلامي بين مناضلي حزب العدالة وبين خصومهم نجد الأفكار التي روجت إعلامياً عن وجود مشروع تعديل القانون الجنائي، الذي اعتبره القيادي مصطفى

822 مصطفى حجازي، مرجع سابق، ص:52.

823 المنور عبد الحفيظ، التواصل السياسي بالمغرب...، مرجع سابق، ص: 132-136.

824 نور الدين الميلادي و أنوار العرفي، "الحرب على السردية الفلسطينية: محاصرة المحتوى الفلسطيني على شبكات التواصل الاجتماعي"، منشور في مجلة الجزيرة لدراسات الاتصال والإعلام، مركز الجزيرة للدراسات، السنة الأولى، العدد 2، الدوحة، يوليو 2023، ص: 47-71.

الرميد بأنه نقاش ايديولوجي وليس فقط قانوني⁸²⁵، بخصوص تضمنه لعدد المقترحات التي اعتبرها مناضلو وقيادة حزب العدالة والتنمية مخالفة للمرجعية الإسلامية بعضها متعلق بعدم تجريم الإجهاض والعلاقات الجنسية الرضائية. وقعت المواجهات أيضا حول مشاريع نصوص قانونية أخرى تهم تجريم الإثراء غير المشروع، بعض ما سمي بالحقوق الفردية، على غرار "المثلية" والإفطار العلني في رمضان، كما شكل موضوع تقنين زراعة القنب الهندي مثار جدل كبير بين الحزبين، ومادة تواصلية وخطابية تم استغلالها لمهاجمة الخصوم ولإظهار عامل التميز الخطابى والسياسى ولكسب تعاطف الجماهير. وشكل موضوع مناقشة مشروع قانون استعمالات القنب الهندي، مادة جدال داخل حزب العدالة والتنمية نفسه، منطلقين من قاموس الحلال والحرام، ووصل الأمر إلى درجة تهديد عبد الإله بنكيران بالانسحاب من الحزب، إذا صادق نواب الحزب على مشروع القانون هذا، في رسالة وجهها للأمين العام لحزبه ورئيس الحكومة، آنذاك، سعد الدين العثماني، بتاريخ 2021/03/01، جاء فيها "أنا الموقع أسفله عبد الإله بن كيران، بصفتي عضوا في المجلس الوطنى لحزب العدالة والتنمية، أعلن أنه في حالة ما إذا وافقت الأمانة العامة للحزب على تبني القانون المتعلق بالقنب الهندي (الكيف) المعروض على الحكومة، فإنني أجمد عضويتي في الحزب المذكور، وفي حال ما إذا صادق ممثلو الحزب في البرلمان على القانون المذكور فسأنسحب من هذا الحزب نهائيا"⁸²⁶، وهو النص الذي وافق عليه مجلس النواب بالأغلبية، بموافقة 119، ومعارضة 48، فيما لم يسجل أي أحد امتناعه، و صدر هذا النص التشريعي في الجريدة الرسمية عدد 7006 بتاريخ 22 يوليوز 2021.

ثالثا - تواصل جماهيري متعدد الأوعية والتقنيات

إن الاستعمال والاستهلاك المتزايد للأنترنيت وسرعة انتشار المنصات الرقمية وعلى رأسها فيسبوك، تويتر، يوتيوب، واتساب انستغرام، كأوعية إلكترونية تسمح بنشر وترويج مواد مصورة أو سمعية بصرية أو بث مواد مباشرة،

825 انظر تصريح مصطفى الرميد وزير حقوق الإنسان والعلاقة مع البرلمان بالجلسة العامة بمجلس النواب بتاريخ 5 ماي 2015، على

الرابط التالي: [https://www.youtube.com/watch?v=Oa1"GAqrizo](https://www.youtube.com/watch?v=Oa1)

826 انظر تصريح بنكيران على رابط المقال بتاريخ 21 مارس 2021، تحت عنوان "بعنوان: بنكيران يلوح بالانسحاب من "البيجيدي"

بسبب القنب الهندي"، الرابط: <https://urlz.fr/mIQ1>

أضحى واسعاً مع تطور المعدات المستعملة خصوصاً الهاتف المحمول وتملكها من قبل جمهور واسع من مختلف فئات المجتمع. تعد هذه المنصات أداة فعالة ومغرية للاستعمال السياسي لإيصال الخطاب، والتأثير على الناس لاسيما فئة الشباب التي تستعمل هذه الأدوات بشكل يومي ومتزايد. فهؤلاء الشباب يعتبرون هذه الوسائل، التي عوضت المناشير المكتوبة على الورق بمناشير إلكترونية، أكثر فعالية، فهي فضاءات للتعبير والبحث والتعارف وأيضاً للاحتجاج والرفض، "إن الجيل الجديد من الثوار قد سئم من الخطب والتنظير، ولم تعد المناشير السرية أسلوباً ناجحاً للتواصل. في العصر الميديولوجي الرابع، أصبح للمجتمعات الافتراضية كلمتها، وهنا لا نقرأ كلاماً إيديولوجياً بل كلاماً فيسبوكياً، أي تعليقات من الشباب من مختلف الفئات العمرية، يشوبها الكثير من السخرية والضحك، لكن يرافقها أيضاً الكثير من الوعي والمثابرة، وبذلك فهم يحرصون على استقطاب بعضهم البعض، لذا هم مجتمع متفاعل تجمعهم قضية مشتركة"⁸²⁷.

وأمام هذا الوعي المتزايد بأهمية هذه المنصات لترويج الخطاب السياسي، فقد كان لافتاً الاستعمال الواسع لها من قبل أعضاء حزب العدالة والتنمية، في ثلاثة أهداف: الإخبار بكل مستجد أو جديد، التفاعل مع الأحداث والوقائع والتعليقات والآراء والمواقف ثم تعبئة الجماهير. مع تطور تكنولوجيا الاتصال تطورت معها أشكال الحملات الانتخابية، "فالجيل الثالث للاتصال يتميز بدعاية دائمة مع ظهور وسائل الإعلام الجديدة التي تسمح للأطراف السياسية باستهداف رسائلهم لقطاعات معينة من السكان، ويتم استثمار أشكال جديدة من المشاركات السياسية التفاعلية المبنية على توقعات الناخبين"⁸²⁸. في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً استخدم الأنترنت لأول مرة كفترة تجريبية استكشافية في الانتخابات الرئاسية لسنة 1992 وامتدت عملية التجريب والاستكشاف إلى غاية عام 2000. تمثل الهدف حينها

827 Machado Da Silva Juremir, « La télévision et Internet dans les élections Brésiliennes de 2010 », Hermes, La Revue, 2011/1, Numéro 59, P. 179.183.

828 Bastien Frédéric, Greffet Fabienne, les compagnes électorales sur internet : une comparaison entre France et Québec, Hermès, La Revue, 2009/2 (n 54), p. 211.

في استعمال التراسل عن طريق البريد الإلكتروني، وكانت هناك محاولة سنة 1998 حين قام بعض السياسيين والمرشحين بعرض محتويات سياسية على شبكة الأنترنت⁸²⁹.

وقع تحول نوعي خلال الانتخابات الرئاسية سنة 2004،⁸³⁰ حيث كان من بين المترشحين هوارد دين وهو أحد الرواد في استخدام المدونات على الأنترنت مع البريد الإلكتروني، وهو ما انتبه له جميع المرشحين بعد ذلك، فسعوا إلى استخدام إمكانات الأنترنت لجمع تمويل الحملات الانتخابية وللوصول إلى الناخبين. لكن أهم فترة لاستعمال الأنترنت في الانتخابات كانت فترة المترشح باراك أوباما خلال حملته الانتخابية لعام 2008، حيث أصبح الأنترنت، منذ تلك الفترة، موطنا رئيسيا للحملات الانتخابية، بدلا من كونها مواقع مساعدة، فأصبحت الوسائط الاجتماعية أداة رئيسية في الانتخابات ولتقديم الدعم للأنشطة الواقعية على الأرض للحزب وقادته ومرشحيه.

يشير التقرير السنوي⁸³¹ للوكالة الوطنية لتقنين المواصلات، إلى أن المغرب يتجاوز المعدل العالمي لولوج الأنترنت بثمان نقط، وأن نصف عدد المغاربة المرتبطين بالأنترنت يفضلون استخدام الهاتف المحمول للربط بالشبكة، ويقضي نصف العدد أكثر من ساعة على شبكة الأنترنت على الهاتف المحمول. يشير التقرير أيضا إلى أن 94,3% يفوق سنهم 5 سنوات وأكثر يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي خلال الثلاثة أشهر الأخيرة من 2017، وأن 98,4% بين 15 و 24 سنة يشاركون في وسائط التواصل الاجتماعي. وأظهر بحث قامت به إذاعة هولندا "هنا أمستردام" بداية 2013 حول استعمال الأحزاب السياسية المغربية للفضاء الرقمي، هيمنة حزب العدالة والتنمية على الأحزاب الأخرى في فضاء الأنترنت.

تقدم حزب العدالة والتنمية على الأحزاب الأخرى في العالم الرقمي ليس بالمستغرب، نظرا لتقدمه في الانتخابات خلال سنوات 2011 و 2016، وكان يتراأس الحكومة وله عدد كبير من المنتخبين في كل جهات وأقاليم المملكة.

829 أحمد حسن السمان، الإعلام والسياسة، التسويق السياسي في القرن 21، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2018، ص: 70.

830 كتاب شبكات التواصل الاجتماعي، مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2016، ص: 23 و 24.

831 التقرير السنوي للوكالة الوطنية لتقنين المواصلات لسنة 2017، ص: 17 و 18.

الرابط: <https://www.anrt.ma/ar/publications/rapport-annuel>

ولكن المثير للدهشة هو التوقع الذي حصل عليه منافسوه السياسيون في هذا الاستعمال الرقمي، بحيث أن الفارق بين حزب العدالة والتنمية وبينهم يمكن وصفه بالشاسع والكبير.

لقد تحول الأنترنت إلى فضاء إلكتروني جديد لممارسة الحملات الانتخابية الافتراضية، حتى أصبح البعض يتحدث عن "السياسي الإلكتروني" أو "المناضل السياسي الإلكتروني"، الذي يتحرك ضمن فضاء سياسي مستجد تحكمه تكنولوجيات المعلومات والاتصال⁸³².

حرص حزب العدالة والتنمية على بناء ترسانة إعلامية في منصات التواصل الاجتماعي، للترويج لمضامين خطابه السياسي وعمل على نشره على نطاق واسع، من خلال احتمال إحداثه لما يسمى بـ "الجيش الإلكتروني". وهو مفهوم يحيل على تنظيم محكم لمجموعة من النشطاء في منصات التواصل الاجتماعي لإدارة حسابات على المنصات سواء حسابات حقيقية أو وهمية، تحت إشراف قيادة تصدر التوجيهات والأوامر لتنفيذ هجومات إعلامية أو إصدار تعليقات أو إغراق صفحات المنصات بالدعاية وغيرها.

ظل المنتسبون لحزب العدالة والتنمية ينفون هذا التنظيم الإلكتروني، ومنهم المسؤول الأول عن شبينة الحزب، خالد البوقري، الذي نفى وجود أي جيش إلكتروني تابع للحزب أو الشبينة، معتبرا "أن اتهام شبينته والحزب الذي ينتمي إليه بالتوفر على جيش إلكتروني هو اتهام لا أساس له من الصحة". كما وصف الحديث عن جيش إلكتروني، "محاولة لتوهيم الرأي العام أن السمعة السيئة للمعارضة لدى شرائح عديدة من المجتمع المغربي سببها هجوم منظم من طرف شباب مدفوع لأداء هذه المهمة"⁸³³. ويظل احتمال وجود هذا "الجيش الإلكتروني" قائما بالنظر إلى الملاحظات التي ظهرت في ميدان التواصل السياسي الرقمي حول كمية وحجم وأعداد حسابات في منصات التواصل الاجتماعي، تدافع عن الحزب وقياداته وتهاجم خصومه، وقد يكون هذا الجيش الإعلامي هو فقط مجموعة من المناضلين تطوعوا

832 الجموسي جوهري، الافتراضي والثورة مكانة الأنترنت في نشأة مجتمع مدني عربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، مارس 2017، ص: 161.

833 تصريح لخالد البوقري المسؤول عن شبينة حزب العدالة والتنمية على جريدة هسبريس، 17 ماي 2015، رابط: <https://urlz.fr/mIOH>

لمواجهة الآراء والمواقف المخالفة لتوجه حزب العدالة والتنمية، وربما كانوا يستفيدون من دورات تكوينية في المجال الرقمي لإدارة الدفاع عن الحزب⁸³⁴.

وقد أطلق حزب العدالة والتنمية موقعه الإلكتروني كمنصة رسمية إخبارية ومؤسسية www.pjd.ma و كبوابة إلكترونية وفضاء افتراضي على الأنترنت، يوفر للمستخدم إمكانيات كبيرة للاطلاع على عدد أكبر من المعلومات، من قبل قسم الإعلام والعلاقات العامة والنشر⁸³⁵، واهتم بشكل مترابط مع تكوين العاملين به وبمراسليه، بشكل منتظم. وفي كلمة بمناسبة تجديد موقع الحزب أكد بنكيران على أهمية التواصل الرقمي في التعبئة قائلًا: "علينا الاستمرار في معركتنا لأنها غير مرتبطة بيوم 25 نونبر (سنة 2011) أو ما بعده"، مضيفًا "إن أمتنا تميزت بمرجعيتها الإسلامية، ورغم ما يبذل من جهود لمحاربتها ما فتئت تتقدم لسبب واحد هو أنها أفضل ما يوجد في الأرض"⁸³⁶. جاء هذا التصريح قبيل الاستحقاقات التشريعية التي عرفتها البلاد سنة 2011، ويتضح منها الأهمية الاستراتيجية للتواصل بالنسبة للحزب، والتي يراهن عليها لإثبات ذاته في المشهد السياسي. إلى جانب ذلك تم إحداث صفحات على منصات التواصل الاجتماعي وتحديدًا في فيسبوك وتويتر وانستغرام ويوتيوب، وتم إحداثها بشكل متفاوت خلال سنة 2011، كأدوات تواصلية يدخل بها الحزب "المرحلة الجديدة"⁸³⁷. كانت تتم إدارتها من طرف مسؤول واحد [admin](https://www.facebook.com/PJD.central) لحزب العدالة والتنمية على فيسبوك <https://www.facebook.com/PJD.central> PJD MAROC في 9 غشت 2011 حصلت على أزيد من مليون و200 ألف مشترك⁸³⁹، وتحمل الشارة الزرقاء التي تضيفي

834 المنور عبد الحفيظ، التواصل السياسي بالمغرب، مرجع سابق، ص: 119.

835 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، مرجع سابق، ص: 107-

836 انظر التصريح على رابط موقع حزب العدالة والتنمية: <https://www.pjd.ma/node/1940>

837 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 111-118.

838 نفس المرجع السابق.

839 نفس المرجع السابق.

عليها الطابع الرسمي حسب قوانين الاشتراك بمواقع التواصل الاجتماعي. ثم أحدثت الصفحة الرسمية للحزب على تويتر PJD OFFIEL <http://www.twitter.com/pjdofficiel> في نونبر 2011 تتوفر على 125.1 ألف متابع. وبخصوص انستغرام⁸⁴⁰، فقد أنشأ الحزب حسابا به في نفس السنة 2011 ويتوفر بدوره على الشارة الزرقاء، تقاديا لأي تقليد أو تشبيه أو ادعاء خارج هذه الصفحة. وقد وصل فيها عدد المشتركين إلى 30 ألف و700 مشترك كما تضمن 1551 منشورا. وقد أنشأ الحزب أيضا قناة تلفزيونية إلكترونية⁸⁴¹، <https://www.pjd.ma/category/pjdtv> والتي كانت من أهم أسلحة المواجهة مع الخصوم لاسيما من خلال التصريحات المصورة لعبد الإله بنكيران التي كانت تحظى بمتابعات كبيرة. وقد تم إحداث استوديو خاص لتسجيل المواد التي يفترض أن تبث في قناة الحزب سنة 2013، وتم تجهيزه بأحدث التقنيات⁸⁴². كانت هذه القناة متخصصة في بث كل الأنشطة الحزبية المصورة مركزيا وعلى مستوى الجهات والأقاليم، كما كانت تطعم بفيديوهات تدخل الأمين العام للحزب، بصفته رئيسا لحكومة، في البرلمان بمجلسيه في إطار الجلسة الشهرية المخصصة للأسئلة الشفهية، وكان يتم اختيار (توضيب) المقاطع ذات المضامين القوية والتي تتضمن الإنجازات والمشاريع التي يباشرها أعضاء الحكومة خاصة المنتمين للحزب، إلى جانب إحداث قناة على يوتيوب⁸⁴³ <https://www.youtube.com/@PjdTv> في 29 فبراير 2016 وتضمنت ما يفوق 61 ألفا و 300 مشترك، وسجلت ما يقارب من 17 مليون ونصف المليون مشاهدة (17 479 944)، وتم بها نشر 4600 فيديو. وكان يتم فيها بث المواد الإعلامية التي تبث على قناة الموقع⁸⁴⁴.

840 عبد الحفيظ المنوار، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

841 نفس المرجع السابق.

842 نفس المرجع السابق.

843 نفس المرجع السابق.

844 نفس المرجع السابق.

أنشأ الحزب أيضا إذاعة إلكترونية في 23 ماي 2016 خاصة ببيت برامج مختلفة ونشرات للأخبار، بمعدل نشرة إخبارية في اليوم لمدة ساعتين في اليوم من الإثنين إلى السبت، تم إطلاقها في سياق الإعداد للانتخابات التشريعية التي جرت في 7 أكتوبر 2016⁸⁴⁵. وبذلك يعد حزب العدالة والتنمية أول حزب مغربي يطلق إذاعة وقناة على شبكة الأنترنت، من أجل تصحيح المعلومات والأخبار غير الصحيحة وغير الدقيقة التي يطلقها خصوم الحزب حسب مسؤولي الإعلام والتواصل والنشر بالحزب⁸⁴⁶.

إلى جانب الحسابات والصفحات الرسمية باسم الحزب، نجد إحداث عدد كبير من الصفحات باسم التنظيمات الموازية وكذا زعماء الحزب، نتوقف عند بعضها كما يلي⁸⁴⁷:

منظمة شببية العدالة والتنمية والتي تتوفر على موقع إلكتروني خاص بها وهو <https://jzd.ma/>، وحساب رسمي على فيسبوك يحمل الشارة الزرقاء، وهو @JzdMaroc، أحدثت في 11 فبراير 2011، بها 85 ألف مشترك. كما تتوفر على حسابات أخرى على كل من تويتر الذي تتوفر فيها على حساب غير حاصل على الشارة الزرقاء، يحمل اسم شببية العدالة والتنمية @JzdMaroc، أما صفحتها على انستغرام فهي: Jzdmrocl، حاصلة على الشارة الزرقاء، بها 2292 مشترك. وتتوفر المنظمة على قناة على يوتيوب هي @jzdcommunication، أحدثت في 26 مارس 2013، بها 8,07 kمشتركا، وتتضمن 409 فيديو.

صفحة فيسبوكية في اسم عبد الإله بنكيران أحدثت في 14 ماي 2015 تضم 418 ألف مشترك وتحمل الشارة الزرقاء، في المقابل لم يهتم الحزب بإنشاء حساب رسمي لبكيران على تويتر عكس سعد الدين العثماني الذي يتوفر على حساب رسمي به.

845 عبد الحفيظ المنوار، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

846 نفس المرجع السابق.

847 نفس المرجع السابق.

حساب سعد الدين العثماني على تويتر أحدث في 17 دجنبر 2012 ويضم 603 ألف مشترك ويحمل الشارة

الزرقاء سعد الدين العثماني EL OTMANI Saaddine@Elotmanisaad

ومقارنة مع ما يتوفر عليه خصوم العدالة والتنمية، فإن أهم خصم له وهو حزب الأصالة والمعاصرة، يتوفر بدوره على صفحات وحسابات على منصات التواصل الاجتماعي، لكنها تظل أقل عددا من حيث المشتركين والتفاعل أيضا. للحزب صفحة رسمية على فيسبوك اسمها PAM حزب الأصالة والمعاصرة أحدثت في 10 يوليوز 2012 تتوفر على أزيد من 540 ألف مشترك وتحمل على الشارة الزرقاء⁸⁴⁸. كما يتوفر على حساب رسمي على تويتر يحمل اسم PAM حزب الأصالة والمعاصرة @commPA. أحدثت في دجنبر 2012 وتتضمن 11 ألف متابع وليست حاصلة على العلامة الزرقاء، وأيضاً على حساب رسمي على انستغرام يحمل الشارة الزرقاء، عدد المشتركين فيه وصل إلى 6 الاف و459 مشترك كما تضمن 3770 منشورا. وفيما يتعلق بقناة الحزب على يوتيوب فهي تحمل اسم حزب الأصالة والمعاصرة @CommunicationPAM PAM وتم إنشاؤها منذ 27 أكتوبر 2012، وتتوفر على 39,4 k مشتركاً وسجلت 11 641 205 مشاهدة وتم بها نشر 7200 فيديو. بالإضافة إلى حسابات الحزب على مواقع التواصل الاجتماعي نجد حساب الأمين العام للحزب للفترة ما بين 2016 و2018، إلياس العماري، وهي صفحة حاصلة على الشارة الزرقاء تحظى بمتابعة أزيد من 983 ألف شخص⁸⁴⁹.

في مقابل ذلك يتوفر أيضا حزب الأصالة والمعاصرة على بوابة إلكترونية <https://www.pam.ma/> أطلقها سنة 2013 وتعتمد اللغتين العربية والفرنسية لتغطية أنشطة الحزب وتقديم كل الأخبار المرتبطة به، وقد جرى تحديث هذه البوابة الإلكترونية بمناسبة الانتخابات التشريعية لسنة 2016 من خلال إضافة إذاعة خاصة على الأنترنت وقناة على الأنترنت.

848 عبد الحفيظ المنوار، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

849 نفس المرجع السابق.

وفي نهاية 2018 جرى تسريح عدد من الصحفيين العاملين في الموقع الرسمي لحزب "الأصالة والمعاصرة"، بينما دخل الباقي في اعتصام مفتوح داخل مقر العمل، ويعود هذا التحرك وفق رسالة من الصحفيين المحتجين، إلى "قرار الطرد التعسفي غير المبرر دون تعويض في حق الصحفيين الذين اشتغلوا طوال ثلاث سنوات مع الحزب". كما أن المؤسسة "لم تلتزم بتأدية أدنى الحقوق التي يحفظها قانون الشغل من صندوق الضمان الاجتماعي والتأمين، إضافة إلى صندوق التقاعد التكميلي". ويكشف هذا الوضع إمكانية وجود أزمة داخلية عميقة تتعارض وتوجه الحزب نحو تعزيز حضوره بالإعلام الرقمي⁸⁵⁰.

وترتبط عدد من عمليات التواصل السياسي بفترات الحملات الانتخابية باعتبارها مجموعة من الأعمال التي يقوم بها الحزب أو المرشح بغرض استمالة الناخبين والتأثير فيهم بكل الوسائل والإمكانيات المتاحة، من خلال وسائل التواصل الجماهيري بقصد الفوز بالانتخابات. وهناك من عرف الحملة الانتخابية بأنها الأنساق الاتصالية السياسية المخططة والمنظمة الخاضعة للمتابعة والتقويم، يمارسها مرشح أو حزب بصدد حالة انتخابية معينة، وتمتد بمدة زمنية محددة تسبق موعد الانتخابات المحدد رسمياً بهدف تحقيق الفوز بالانتخابات، عن طريق الحصول على أكبر عدد من الأصوات، باستخدام وسائل الاتصال المختلفة وأساليب استمالة مؤثرة تستهدف جمهور الناخبين.⁸⁵¹

وقد أظهرت البحوث⁸⁵² أن التعامل بين المترشحين و المواطنين خلال الحملات الانتخابية، يكون على أساس علاقات شخصية وليس على أساس أفكار وبرامج، كما ظهرت أيضاً محدودية الأحزاب السياسية في تأطير وضبط مرشحيها في الانتخابات، ويظهر ذلك في التباين في خطابات مرشحيها من نفس الحزب وغياب الالتزام الحزبي، وانعدام التنسيق والتواصل بين القيادة المركزية للحزب والقيادات المحلية، في حالات كثيرة. كما لاحظ الباحثون أن عدداً من الناخبين يصوتون للشخص وليس للأحزاب السياسية، حيث إن هناك أشخاصاً، رغم تغييرهم للونهم السياسي

850 عبد الحفيظ المنوار، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

851 زكريا بن صغير، الحملات الانتخابية مفهومها ووسائلها وأساليبها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص: 15.

852 سعيد نكاوي، المشهد الحزبي بالمغرب بين التحالف والانشقاق، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الأولى، 2003، ص: 79.

استطاعوا الوصول إلى البرلمان مثلا، بالإضافة إلى وجود توجه متعلق بظهور لوائح انتخابية يمكن وصفها بالعائلية⁸⁵³.

وللحملة الانتخابية دور مهم العملية الانتخابية برمتها، فهي تعد "جوهر التواصل السياسي، حيث تشير العديد من البحوث أن أحد العوامل الأساسية في نجاح العملية الاتصالية لوسائل الإعلام في الحملة الانتخابية يتوقف عند دقة اختيار الرسالة الإعلامية وصياغتها وأسلوب عرضها على الجمهور في الوقت المناسب وطريقة إدارتها. كما يتوقف نجاح ذلك على اللجوء إلى استشارات خبراء الدعاية والعلاقات العامة من جهة وعلى الانتشار الواسع لوسائل الإعلام"⁸⁵⁴. وهناك علاقة بين الحملة الانتخابية ومفهوم الدعاية السياسية، باعتبارها "محاولة للتأثير على اتجاهات الناس وآرائهم وسلوكهم، ووسيلتها نشر معلومات وحقائق أو أنصاف حقائق أو حتى أكاذيب في محاولة منظمة للتأثير على الرأي العام. فهي عملية تلاعب بالعواطف والمشاعر يقصد فيها الوصول لخلق حالة من حالات التوتر الفكري، والشحن العاطفي لغرض استراتيجي أو تكتيكي".⁸⁵⁵

وقد استخدم مفهوم الدعاية لأول مرة لدى الكنيسة الكاثوليكية، عندما أعلن البابا روما جريجورس الخامس عشر في سنة 1622 عن إحداث لجنة خاصة بنشر الديانة المسيحية أطلق عليها اسم لجنة نشر الإيمان⁸⁵⁶ *Congrégation pour la propagation de la foi*، وفي الآن نفسه الدفاع عن المذهب الكاثوليكي في مواجهة المذهب البروتستانتي. وهذا يظهر أن المفهوم جاء بحمولة دينية من أجل نشر معتقد والترويج له على نطاق واسع. ويقصد بالدعاية كل "محاولة لتعديل الشخصيات ومراقبة سلوك الأفراد تبعا لغايات تعتبر غير علمية أو قيمة مشكوك

853 المختار مطيع، وضعية النائبة البرلماني في المغرب، انتخابه، أحوال التنافس، حصانته، الضمان الاجتماعي، مجلة دراسات ووقائع دستورية وسياسية، ع 1، 2008، ص: 83.

854 راندة عاشور، عبد العزيز بسيوني، الحملات الانتخابية عبر الإعلام الجديد، المكتب العربي للمعارف، القاهرة جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 2017، ص: 74.

855 عبد الرزاق الدليمي، الإعلام في ظل التطورات العالمية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة العربية 2017، ص: 250.

856 Gourevitch Jean Paul, La propagande dans tous ses états, éd. Flammarion, 1981, France, p.7.

فيها، في مجتمع وزمن محددين".⁸⁵⁷ فهي عملية منظمة ومضبوطة تهدف إلى التحكم في الأفراد والجماعات. كما تعتمد على الجوانب النفسية وعلى ما سمي بغسل الدماغ، وبذلك تلعب وسائل الإعلام دورا حاسما في توجيه المتلقي والسيطرة عليه متجاوزة بذلك الوظائف التقليدية إلى أخرى مضللة، و "القول بلا حيادية النشاط الإعلامي، في الديمقراطيات العريقة كما في الحديثة، يجعل منه أداة دعائية في كثير من الأحيان، تتوارى أهدافها ومصادرها خلف المعن في جل أنماط الفعل الدعائي، ليبدو ظاهريا وبشكل ناعم في ثوب الموضوعية والمصداقية. أما ضمن الأنظمة الشمولية فقد تتلاشى الحدود بين الممارستين، بل يتحول الفعل الإعلامي إلى خطاب دعائي بشكل صريح ومباشر"⁸⁵⁸.

يقابل كلمة "دعاية" بالعربية لفظ " Propaganda" باللغة اللاتينية ومشتقاتها، ويقصد به منهج إعلامي يسعى، عبر نشر معلومات وحقائق أو أنصاف حقائق أو حتى أكاذيب، إلى التأثير في اتجاهات الرأي العام وآرائه وسلوكه. ويحدد أنتوني لاينبرغر Anthony Linebarger في كتابه "الحرب النفسية"، الدعاية بأنها "حملة تقوم على استخدام مخطط لأي شكل من أشكال الاتصال الجماهيري بهدف التأثير في عقول ومشاعر مجموعة بشرية معينة، ولتحقيق غرض محدد، سواء كان عسكريا أو اقتصاديا، أو سياسيا"⁸⁵⁹.

ويتفق دوغلاس وولتون (Douglas Walton) مع هذا الرأي مُعرفا الدعاية بأنها "قيام مجموعة أو منظمة ضغط بفرض وجهة نظر ما، وتقديمها وترويجها لجمهور عريض"⁸⁶⁰، فيما يرى الفرنسي جاك إيلول Jacques Ellul، في كتابه المسمى "الدعاية -تشكيل مواقف الرجال- (1973)" الدعاية بأنها "الأساليب التي تمارسها مجموعة منظمة على شريحة واسعة من الأفراد المتشابهين بهدف تحقيق مشاركة إيجابية نشطة أو سلبية في سلوكهم ومواقفهم،

857 Ellul Jacques, Propagande, édition Economica, Paris, 1982, p 8.

858 هشام بن زروال، الدعاية السياسية: المفهوم والخطاب، قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، الطبعة الأولى، 2016، ص: 100

859 Linebarger, P. M. Anthony, Psychological Warfare, Combat Forces Press. Washington, 1954.

860 Walton, Douglas, "What is propaganda, and what exactly is wrong with it?", Public affairs quarterly, volume 11, number 4, (October 1997), p. 387.

وذلك عن طريق مراوغات نفسية تتم في نطاق منظم⁸⁶¹. أما جوزيف غوبلز Joseph Goebbels وزير الدعاية النازية في عهد أدولف هتلر فلا يجد طريقة سياسية محددة للدعاية، بل يرى أن لها هدفا محددًا يتمثل في إخضاع الجمهور، و "تعتبر كل الوسائل التي تخدم هذا الهدف وسائل جيدة، لأن الغاية تبرر الوسيلة"⁸⁶². وفي عموم الدراسات والأبحاث التي اشتغل أصحابها على تحديد مفهوم الدعاية منذ الحرب العالمية الثانية، استطاعت أن تميز بين ثلاثة أشكال رئيسية من الدعاية السياسية على أساس مصدر الدعاية ومضمونها: الدعاية البيضاء، والدعاية السوداء، والدعاية الرمادية⁸⁶³.

الفقرة الثانية: الأدوات التقليدية في تواصل حزب العدالة والتنمية

انطلقت حركة التوحيد والإصلاح وأغلب كوادر حزب العدالة والتنمية من تكوين تقليدي ديني، ذو منبع "مسجدي"، بمعنى من المسجد كبنية منظمة للتنشئة الاجتماعية من خلال أداء الشعائر التعبدية وتعلم طرق النظر في المسائل العقدية والشرعية عن طريق حلقات الدرس والوعظ وإلقاء الخطب الفقهية، فهو بذلك يمكن اعتباره نموذج لمدرسة تقليدية للتكوين على ممارسة الخطاب ولنقل القيم الدينية، وفي نفس الوقت نموذج لتنظيم عمليات التواصل مع "الجماهير"، بأسلوب بلاغي يستمد قواعده من التراث الإسلامي. ويمكن اعتبار النموذج المسجدي في التواصل نموذجًا لا يمارس فقط داخل المساجد، بل هو نموذج قد يتم الاستلهام منه وتحويله إلى ممارسة في فضاءات عمومية أخرى بما في ذلك في لقاءات التواصل الحزبي. فتكوين شخصية الخطيب المتأثر بالنموذج الوعظي المسجدي مع ما يفترضه ذلك من تعود على نمط الإلقاء الخطابي ضمنه في لقاء الناس، قد يمتد إلى جميع ممارساته التواصلية وتحديداً تلك المتعلقة بملاقة الجماهير في الساحات العمومية. لذلك فإن قادة حزب العدالة والتنمية يبدو عليهم التأثير الواضح من

861 Ellul, J. Propaganda – the formation of men's attitudes, Vintage books, NY, 1973.

862 Doob, W. Leonard, "Goebbels' Principles of Propaganda", The Public Opinion Quarterly, Vol. 14, No. 3, (Oxford University Press. Oxford, 1950), p. 419-442.

863 Cunningham, B. S. The Idea of Propaganda: A Reconstruction, (Praeger Publishers, Westport, USA, 2002), p. 67-71.

خلال هذا النمط الخطابي المستند على نموذج الوعظ في المساجد وحلقات الدرس الفقهي، مع مزاجته مع أنماط التواصل التقليدية عبر وسائل الإعلام والصحافة أو عبر الأوعية السمعية البصرية الحديثة. سناقش في هذه الفقرة هذه الاستعمالات لهذه الوسائل وكيفية تدبير العلاقة مع المتلقي.

أولاً- من التواصل "المسجدي" إلى التواصل الصحفي

بعدها كانت تشكل حلقات الدرس في المساجد وفي اللقاءات المنزلية الخاصة أهم وسيلة لاستقطاب المنخرطين في المشروع الإسلامي، خصوصاً في فترة العمل السري قبل الحصول على الشرعية القانونية لممارسة العمل السياسي، تحولت جماعة الإسلاميين الذين أسسوا حركة التوحيد والإصلاح، إلى التركيز على استعمال وسائل الإعلام كأداة تقليدية مناسبة للتواصل. وتعتبر هذه الأداة وسيلة مهمة في تبليغ الأحزاب السياسية لخطابها السياسي. ويسعى حزب العدالة والتنمية لوضع استراتيجيات تواصلية من أجل استغلال الفرص الممكنة في وسائل الإعلام، لممارسة فعل تواصل يوفق ما بين التأثير والإثارة، وكما يقول الفيلسوف الكندي مارشال ماكلوهان أن "الرسالة هي الوسيلة"⁸⁶⁴، لأن نجاح الرسالة يبقى رهينا بقوة الوسيلة التي تستخدم في التبليغ.

تشكل الصحافة، كوسيلة إعلام تقليدية جماهيرية وواسعة الانتشار، مسرحاً للتفنيس السياسي⁸⁶⁵، وقد عمل حزب الإسلاميين على الاستثمار في الإعلام الحزبي المكتوب والانفتاح على الصحافة المكتوبة الخاصة غير الحزبية، كما عمل على استغلال فضاء التواصل الذي توفره وسائل الاتصال السمعي البصري، سواء خلال فترات الحملات الانتخابية أو خارجها، على ممارسة نوع من الصراع والتنافس مع باقي الفاعلين السياسيين.

توظف الصحافة الحزبية كأداة لتحقيق أهداف الحزب الخطابية والتواصلية بغية التأثير في الرأي العام، لتوجيهه نحو دعم الحزب وتأييد مواقفه. إلى جانب ذلك فهي تستعمل للرفع من الوعي السياسي لدى أعضاء الحزب ومؤيديه،

864 نقلاً عن عبد الرحمان عزي، علم الاجتماع الإعلامي، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2010، ص: 75، الذي أورد جملة للفيلسوف الكندي مارشال ماكلوهان وهي كانت عبارة عن عنوان لأحد منتوجاته الفكرية المكتوبة، في صيغتها باللغة الإنجليزية وترجمتها للعربية: The Medium is the Message وتم ترجمة الجملة للفرنسية كالآتي: le message c'est le message
865 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 91.

حيث تمكنهم من الحصول على معلومات دقيقة ومفصلة عن مواقف الحزب وأنشطته وعن تفسيراته للوضع العام أو لقضايا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية معينة وغيرها من القضايا. تقوم وسائل الإعلام بالنسبة للأحزاب السياسية بتأكيد وتنشيط الآراء المكتسبة مسبقا، كما تقوم بتشكيل تمثيلات مشتركة للسياسة من خلال انتقاء ومعالجة أخبار الأحزاب السياسية، لأن وسائل الإعلام أصبحت تقترح علينا ماذا ن فكر إن لم يكن فيما يجب أن ن فكر فيه⁸⁶⁶. تعد وسائل الإعلام عموما ذات أهمية بالغة بالنسبة للأحزاب السياسية لكونها تعمل على تشكيل صورة ذهنية للحزب السياسي لدى المواطنين، وهي تلعب بذلك دورا سياسيا حدده جانowitz على أنها تضيي الشرعية، أو القبول الاجتماعي لأفكار ومفاهيم معينة، واستبعاد أفكار ومفاهيم أخرى من الجدل والنقاش السياسي، أي أنها تعمل على ترتيب قائمة الاهتمامات السياسية في شكل يتوافق مع سياستها الإعلامية والصورة الذهنية للواقع السياسي التي تريد تكوينها وإيصالها إلى الرأي العام⁸⁶⁷.

عمل حزب العدالة والتنمية على تأسيس صحافة حزبية وعلى الاعتماد على الصحافة الخاصة وغير الحزبية، فاختلف حجم الاستعمال وقوته حسب مراحل تطور بنية الحزب. فقبل تأسيس الحزب، عرف التيار الإسلامي الذي أسس الحزب، إحداث عدة منابر صحفية ورقية، كان من بين أهدافها مناقشة الأطروحات الكبرى لهذا التيار، ولأسسه الفكرية وأيضا لتوجيه رسائل سياسية للسلطة تمهيدا للسماح لهم بالمشاركة السياسية الشرعية.

من بين هذه النشرات الورقية التي تم تأسيسها قبل المشاركة السياسية الشرعية، نجد جريدة السبيل ثم جريدة الصحة بعدها، التي ترأس تحريرهما قياديين من هذه الحركة الإسلامية، وهم عبد الرزاق المروري الذي تميز بقربه من الدكتور الخطيب ومن اليسار المغربي، ثم بعد وفاته استلم التحرير المصطفى الرميد. تميز الخط التحريري لجريدة الصحة بالتعبير عن ما سمي بأطروحة التمايز التي تبناها معظم أعضاء رابطة المستقبل الإسلامي بقيادة أحمد الريسوني،

866 Philippe Guillot, Introduction à la Sociologie Politique, Armand Colin, Paris, 1998, p. 84.

867 Henry H. Schulte et Marcel P. Dufresne, Pratique du Journalisme, Nouveaux Horizons, Paris, 2007, p. 115.

الذي حدد معيار القرب أو البعد من المؤسسة الملكية على أساس مدى عمل هذه المؤسسة على الإصلاح وعلى محاربة الفساد والاستبداد، وعلى تحقيق العدالة، "باعتبار أن المؤسسة الملكية لها إكراهاتها الخاصة، تتعلق ببنيتها وتعاقباتها الداخلية والخارجية، وبالتالي فعلى أصحاب المشروع أن يحدثوا معها نوعا من التوازن السياسي، يجعل من تحقق الإصلاح والعدالة أمرا ممكنا"⁸⁶⁸. لذلك اختار فكرة التمايز عن المؤسسة الملكية، وعليه سيصطلح على هذا التيار اسم: تيار التمايز⁸⁶⁹. السؤال الذي طرحه البعض هو إلى أي حد توافق فعلا الدكتور الخطيب مع تيار التمايز هذا الذي أصبح جزءا من حزبه فيما بعد؟ قد يكون قبول الخطيب لهذا التيار مؤسس على سابقة في تاريخ حزبه الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية، عندما أسس حزبه في نوفمبر 1967، كرد فعل على إقرار الملك الراحل الحسن الثاني حالة الاستثناء سنة 1965، وعلى توجيه الخطيب لمذكرة 16 أكتوبر 1972 للملك، أكد فيها على رفضه استمرار حالة الاستثناء، ومحدرا من إدخال البلاد في أفق مجهول، كما عبر عن هذا التوجه خلال دعوة حزبه لمقاطعة الاستفتاء على دستور 1996، بحجة أنه لم تتم صياغته من قبل هيئة مستقلة، مما خلق نوعا من الخلاف داخل الحزب بين الخطيب وتيار المقاطعة وبين عبد الإله بنكيران متزعم تيار التماهي مع الملكية⁸⁷⁰.

تيار التماهي هذا أو أطروحة التماهي⁸⁷¹ كما يصطلح عليه داخل أديبات حزب العدالة والتنمية، هو تيار تبنته حركة الإصلاح والتجديد، بزعامة عبد الإله بنكيران وعبد الله بها. الخلاصة الكبرى لهذه الأطروحة هو التماهي أو التطابق التام مع المؤسسة الملكية، في اتخاذ ما تراه مناسبا لمحاربة الفساد والاستبداد، انطلاقا من كون المؤسسة الملكية تتمتع بشرعية دينية، ولا يمكنها بذلك إلا أن تكون مع العدالة والإصلاح، وفق الرؤية الدينية التي تتبناها أي حركة إسلامية معتدلة. وقد بدأ هذا التيار في التشكل والظهور، بعد فترة اعتقال وإيقاف قصيرة لعبد الإله بنكيران لمدة

868 ماهر الملاح، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3) جاء وقت الحديث"، مرجع سابق.

869 نفس المرجع السابق.

870 نفس المرجع السابق.

871 ماهر الملاح، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع تجربة العدالة والتنمية(2): في البدء كانت أطروحتان"، بتاريخ 18 شتنبر 2021، في جريدة العمق المغربي الإلكترونية، انظر الرابط:

<https://al3omk.com/681337.html>

أسبوعين سنة 1982 حينما كان عضوا في الشبيبة الإسلامية ومعارضاً للنظام السياسي برمته، ثم لينشق عنها وعن مؤسسها عبد الكريم مطيع ويؤسس جماعته الخاصة تحت مسمى جمعية الجماعة الإسلامية⁸⁷².

أصدر بنكيران حينها شريطاً سمعياً تحت عنوان: "التوجه الجديد"⁸⁷³ دعا فيه إلى رؤيته المتماهية مع التوجهات الملكية، ثم شرع يروج لهذا التوجه الجديد عن طريق الصحافة الورقية لاسيما من خلال جريدتي الإصلاح ثم الراية، ومن خلال إلقاء المواعظ والدروس في مساجد الرباط، واللقاءات الخاصة. فانقسمت جرائد هذه التيارات الإسلامية التي أسست حزب العدالة والتنمية، إلى فريقين، فريق دافع باستمرار عن مشروع "الملكىة البرلمانية" وما يقتضى ذلك من تعديل للدستور، من خلال جريدتي السبيل والصحة، في افتتاحياتها وبقلم رئيس تحريرها، أو من خلال مقالاتها المتعددة حتى من خارج التيار الإسلامى والتي تتبنى نفس طرح الملكىة البرلمانية⁸⁷⁴.

في الفريق الثانى الذى جسده جريدة الراية، برئاسة بنكيران ثم محمد يتيم، عملوا على ترويج أطروحة التماهى التى ترفض المس بأى صلاحيات ملكية أو أى تعديل للدستور فى هذا التوجه، وعمل بنكيران منذ تغيير توجهه سنة 1982، على إيصال صورة جديدة عنه عبر جريدتي الراية والتجديد، اللتان كانتا تنشران فى مناسبات وطنية عدة تهانى للملك الراحل الحسن الثانى، مما كان حينها يعرض بنكيران لانتقادات شديدة من باقى رفاقه الإسلاميين فى التيارات الأخرى⁸⁷⁵.

لقد جسدت مرحلة المواجهة هاته معالم صراع فكرى داخلى قوى، ورغم أن هذا الصراع ظل كامناً لزمناً طويلاً بسبب اتخاذ حركة التوحيد والإصلاح فيما بعد، قرار توقيف صدور الجريدتين، واعتماد منبر واحد وهو الذى أصبح يعرف بـ: جريدة التجديد، وذلك فى نوفمبر 2001، إلا أن الخلافات التى كانت تظهر من حين لآخر خصوصاً بعد

872 ماهر الملاح، مرجع سابق.

873 نفس المرجع السابق.

874 نفس المرجع السابق.

875 نفس المرجع السابق.

فترة بنكيران وعودة العثماني إلى واجهة الحزب وفشله في تدبير انتخابات 2021، أعادت إلى منتسبي التنظيم تلك الاشتباكات النظرية حول توجه الحزب ككل⁸⁷⁶.

ويؤكد بعض المنتسبين للحزب الذين عاشوا تجربته في المشاركة السياسية، أن "توحيد المنبر الإعلامي سيكون له دور المموه على حقيقة استمرار تصارع الأطروحتين، على مستوى مواقع الحزب والحركة وبقية الهيئات الموازية لهما. لكن ذلك التمويه لن يدوم لأكثر من سنتين، لتظهر حقيقته بقوة على السطح"⁸⁷⁷، أي خلال سنة 2003 السنة التي وقعت فيها الأحداث الإرهابية بالدار البيضاء، ثم عودة رواد تيار التماهي إلى مواجهة أطروحة التمايز واستقالة الريسوني زعيم تيار التمايز من رئاسة حركة التوحيد والإصلاح.

والمقصود بالصحافة المكتوبة هي تلك التي أنشأها الحزب منذ تأسيسه للتعبير عن مواقفه السياسية، وللتواصل مع المنتسبين إليه عبر ربوع البلاد ومع الجمهور المتتبع لمواقفه. وهي تضم أيضا جميع الصحف الورقية التي أنشأتها حركة التوحيد والإصلاح وقبلها حركة الإصلاح والتجديد و المنظمات الموازية للتنظيم السياسي، وهي كالاتي⁸⁷⁸:

أ- صحيفة التجديد

أنشأت هذه الورقية كأسبوعية سنة 1996 من طرف حركة التوحيد والإصلاح، لتعبر عن أفكارها كامتداد لجرائد "الإصلاح" التي كانت ناطقة باللغة العربية التي تأسست سنة 1987 و " الراية " و "الصحوة" و "السبيل" التي كانت تصدر منتصف الثمانينيات، والتي أدمجت رسميا مع إعادة انتخاب أحمد الريسوني رئيسا للحركة في سنة 1998. مع بداية سنة 1999 تحولت التجديد إلى شركة محدودة المسؤولية، وفي 20 نونبر 2001 بدأت تصدر بشكل يومي بعد 18 سنة من الإصدار الأسبوعي. وفي 15 أبريل 2016 أعلنت جريدة التجديد انتقالها من الإصدار اليومي إلى الإصدار الأسبوعي، وذلك ابتداء من 2 يونيو الموالي.

876 ماهر الملاح، مرجع سابق.

877 نفس المرجع السابق.

878 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 92-94.

ب- جريدة العصر

وهي أسبوعية، صدرت بالتزامن مع التجديد اليومية أي سنة 2001.

ت- جريدة العدالة والتنمية

وهي جريدة أصدرها الحزب خلال الانتخابات التشريعية لسنة 1997.

ث- مجلة العدالة والتنمية

هي عبارة عن مجلة شهرية، صدر عددها الأول في شهر دجنبر 2019.

ثانيا- صورة عن صحافة خصوم حزب العدالة والتنمية

ونظرا لما أبانت عنه تجربة الصحافة المكتوبة من تأثير ومن تجاذب سياسي، فإن هذه الصحافة كانت إحدى ساحات المعارك السياسية بين العدالة والتنمية وخصومه، الذي هم بدورهم لجأوا إلى تأسيس صحافتهم الخاصة لنشر أفكارهم ومهاجمة حزب الإسلاميين. ومن أهم المواجهات الصحفية كانت مع حزب الأصالة والمعاصرة، الذي سعى أمينه العام الأسبق إلياس العماري في 10 دجنبر 2015 إلى إطلاق مجموعة إعلامية سميت "آخر ساعة"، وتكونت من 6 منابر إعلامية، وهي جريدة "آخر ساعة"، وموقع "كشك" الإلكتروني الإخباري، وجريدة "لاديبيش"، ومجلات "أفكار"، و "كل النساء"، و"تافوكت" الصادرة باللغة الأمازيغية⁸⁷⁹.

تم إطلاق هذه المجموعة الإعلامية بعد الانتخابات الجماعية والجهوية التي عرفها المغرب في 4 شتبر 2015، والتي عرفت ارتفاعا في نتائج حزب العدالة والتنمية، وجاءت أيضا في سبيل الإعداد المبكر لحزب الأصالة والمعاصرة للانتخابات التشريعية لسنة 2016⁸⁸⁰. توقفت هذه المجموعة الإعلامية عن الصدور في دجنبر 2018 بعد ثلاث سنوات فقط على إطلاقها. جاء هذا التوقف بعد أن خسر حزب الأصالة والمعاصرة رهان معركته السياسية في

879 عبد الحفيظ المنوار، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

880 نفس المرجع السابق.

انتخابات 7 أكتوبر 2016 التشريعية، والتي حل فيها ثانيا، خلف حزب العدالة والتنمية، بعدما كان قد عبأ موارد إعلامية مهمة مراهنًا على تصدر هذه الانتخابات⁸⁸¹.

بعد ذلك وفي نونبر 2020، في ظل قيادة الأمين العام الحالي للحزب عبد اللطيف وهبي، أصدر حزب الأصالة والمعاصرة، النسخة التجريبية من الصحيفة الورقية الجديدة التي تحمل اسم "التركتور"⁸⁸²، أي الجرار وهو الرمز السياسي والانتخابي للحزب، باللغتين العربية والفرنسية، وتم إصدار العدد الأول منها بداية يناير 2021. اعتبر عبد اللطيف وهبي في افتتاحية العدد الأول منها، أن "هذه الخطوة تتدرج في إطار إرادة "البام" (أي حزب الأصالة والمعاصرة)، القوة السياسية الثانية في البلاد، في تقديم "مساهمة حاسمة وعلى نطاق واسع لعمل واشتغال المملكة".

الفقرة الثالثة: استعمال وسائل الإعلام السمعية البصرية

لقد اعتمد حزب العدالة والتنمية أيضا على وسائل الاتصال السمعي البصري العمومي والخاص، للترويج لخطابه السياسي لاسيما خلال فترات الحملات الانتخابية. وإذا كان الخطاب السياسي في وسائل الإعلام كظاهرة معقدة تعمل على التأسيس للعمل السياسي، مختلف عن المحادثة اليومية في كونه خاضعا لأهداف وإجراءات مؤسسية، فإنه خطاب يمارس في وسائل الإعلام، باعتباره خطابا عاما موجها إلى جمهور وسائل إعلام جماهيرية. وقد يشير الخطاب السياسي في وسائل الإعلام إلى خطاب السياسيين في وسائل الإعلام، أو إلى خطاب الصحفيين مع السياسيين في وسائل الإعلام، أو إلى خطاب الصحفيين حول السياسة والممثلين للسياسة في وسائل الإعلام⁸⁸³.

لقد ارتبط التلفزيون بالتواصل السياسي لكونه يثير العديد من ردود الفعل. يشير كارل بوبر⁸⁸⁴ إلى خطورة التلفزيون في التأثير على الديمقراطية بقوله: "إن الديمقراطية تعني إخضاع السلطة السياسية الى المراقبة ولا يجب

881 عبد الحفيظ المنوار، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

882 العدد الأول من "التركتور" صدر بداية يناير 2021.

883 أنيتا فينزر و جيردا إيفا لورباخ، الخطاب السياسي في وسائل الإعلام منظورات عبر الثقافات، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 2016، ص 45 و 46.

884 كارل بوبر، التلفزيون خطر على الديمقراطية، ذكره فتاح الله عبد الناصر، الاتصال السياسي بالمغرب، جريدة العلم 16 يناير 2002.

ديمقراطيا أن تبقى أي سلطة سياسية بدون مراقبة، إلا أن التلفزيون قد أصبح اليوم قوة عظمى، بل يمكن اعتباره أكبر قوة على الإطلاق، وسيبقى كذلك إذا تمادينا في قبول تجاوزاته. وقد كسب التلفزيون هذه القوة في إطار الديمقراطية، ولا يمكن لأية ديمقراطية أن تستمر إذا لم يوضع حد لهذه القوة". وذهب عالم السوسولوجيا الفرنسي جاك إيليل Jacques Ellul إلى اعتبار التلفزيون بمثابة شاشة فاصلة بين الناس والواقع عوض أن تكون عارضة لهذا الواقع⁸⁸⁵.

أولا- الولوج إلى وسائل الإعلام السمعية البصرية كتعبير عن التعددية السياسية

سطر المجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري مجموعة من القواعد والضوابط الخاصة بتأطير مختلف العمليات الانتخابية، ومنها عملية إجراء القرعة الخاصة بتوزيع تدخلات الأحزاب السياسية في وسائل الإعلام العمومية⁸⁸⁶. ولفهم طبيعة تدخلات الأحزاب السياسية في الإعلام السمعي البصري العمومي والخاص خلال الحملة الانتخابية، لا بد من التوقف عند بعض المفاهيم التي تضعها الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري⁸⁸⁷.

خدمات الاتصال السمعي البصري: الخدمات التي يقدمها متعهدو الاتصال السمعي البصري

العموميون والخواص خلال الحملة الانتخابية الرسمية.

برامج الحملة الانتخابية الرسمية: فقرات التعبير المباشر للأحزاب السياسية وضيوف النشرات

الإخبارية وتغطية التجمعات الخطابية، حسب الترتيب والتوزيع الوارد في نتائج القرعة التي أجريت بهذا الخصوص.

885 "La télévision joue avec le réel et met entre la vie et nous un écran sur lequel ne s'agitent que des ombres.", journal le Figaro, France, le lien : <http://evene.lefigaro.fr/citation/television-joue-reel-met-vie-ecran-lequel-agitent-ombres-66909.php>

886 انظر مجموعة النصوص القانونية المرتبطة بالاتصال السمعي البصري في الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري على الرابط: <https://www.haca.ma/ar/%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B5-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86%D9%A%D8%A9-%D9%85%D8%B1%D8%AA%D8%A8%D8%B7%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B9%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B5%D8%B1%D9%8A>

887 نفس المرجع السابق.

مدة تناول الكلمة: المدة الزمنية التي تناول خلالها الكلمة ممثل أو ممثلة حزب سياسي في خدمات

الاتصال السمعي البصري.

مدة البث: المدة الزمنية التي تمثل مجموع مدة تناول الكلمة، من قبل حزب سياسي وكل أشكال

الحديث عن ذلك الحزب السياسي.

ثانيا- تعددية التعبير السياسي في خدمات الاتصال السمعي البصري خلال الفترات الانتخابية

لسنة 2016 وسنة 2021.

بدأت الفترة الانتخابية الخاصة بهذا الموعد الانتخابي في الساعات الأولى من يوم الأحد فاتح غشت 2021،

وانتهت في الساعة الثانية عشرة ليلا من يوم الثلاثاء 7 شتنبر 2021، أي أنها استمرت لمدة 38 يوما. أما فترة الحملة

الانتخابية الرسمية فابتدأت من الساعة الأولى ليوم الخميس 08 غشت 2021 وانتهت في الساعة الثانية عشرة ليلا ليوم

الثلاثاء 7 شتنبر 2021 وهمت ست خدمات عمومية ذات برمجة عامة⁸⁸⁸.

تميزت الانتخابات الجماعية والجهوية والتشريعية التي عرفها المغرب في الثامن من شتنبر 2021 بكونها جاءت

في ظل الظروف التي فرضتها جائحة كورونا، وقد انعكس ذلك على تدبير الفترة الانتخابية في بعدها التواصلي، وأدى

ذلك إلى تراجع بعض الأساليب المعهودة في الحملات الانتخابية، والتحول من الفعل الميداني الذي كان يتميز

بالتواصل المباشر بين المرشحين والناخبين عبر تنظيم تجمعات جماهيرية للتعبئة والتحسيس لاستمالة الناخبين، إلى

الاستعمال المكثف للفضاءات الافتراضية والتواصل الرقمي⁸⁸⁹.

في خضم هذه التحولات كانت الحاجة ماسة لدور الاتصال السمعي البصري كوسيط ذي مصداقية وجماهيرية،

يقدم خدمة عمومية لفائدة المواطن. واستفادت الأحزاب السياسية المشاركة في الانتخابات خلال الحملات الانتخابية من

888 تقرير الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري بشأن تعددية التعبير السياسي في خدمات الاتصال السمعي البصري خلال الفترة الانتخابية (من فاتح غشت إلى 08 شتنبر 2021)، منشور في الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري على الرابط:

<https://www.haca.ma/sites/default/files/upload/Rapport%20Elections%202021%20VA.pdf>

889 تقرير الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري بشأن تعددية التعبير السياسي، مرجع سابق.

حصص زمنية، تشمل التدخلات المذاعة والمتفزة، وضيف النشرات الإخبارية وتغطية التجمعات الانتخابية. وبناء على نتائج القرعة المجرة، فقد خصص لكل حزب من الأحزاب السياسية التي تتوفر على فريق خاص بها بأحد مجلسي البرلمان أو تتوفر على عدد من الأعضاء لا يقل عن العدد المطلوب، لتكوين فريق برلماني، داخل المجلس المعني مدة بث من 21 دقيقة على أساس ثلاث حصص من 7 دقائق.

وفيما يخص الانتخابات التشريعية لسنة 2016، فإنه قد تم إجراء القرعة الخاصة بتوزيع تدخلات الأحزاب السياسية في وسائل الإعلام العمومية خلال الحملة الانتخابية الخاصة بهذه الانتخابات التشريعية، وذلك بحضور ممثلين عن الأحزاب المشاركة في المنافسة الانتخابية وعن وسائل الاتصال السمعي البصري العمومية⁸⁹⁰.

وتم توزيع الأحزاب السياسية المشاركة في الانتخابات (32 حزبا) إلى ثلاث مجموعات. تضم أولها الأحزاب التي تتوفر على فريق برلماني بأحد مجلسي البرلمان أو على عدد الأعضاء المطلوب لتكوين فريق برلماني داخل المجلس المعني، حيث خصصت لهذه الفئة من التنظيمات السياسية مدة بث من واحد وعشرين دقيقة، على أساس ثلاث حصص من سبع دقائق لكل حصة. أما المجموعة الثانية، فتضم الأحزاب الممثلة في البرلمان دون فريق بالغرفتين، حيث استفاد كل حزب منها من مدة بث من خمسة عشر دقيقة على أساس ثلاث حصص من خمس دقائق لكل حصة، بينما ضمت المجموعة الثالثة الأحزاب غير الممثلة في البرلمان والتي تم تخصيص مدة بث من تسع دقائق، لكل منها، على أساس ثلاث حصص من ثلاث دقائق لكل حصة. استفادت الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان من حصة فريدة تخصص لها في إطار ضيف النشرات الإخبارية (خمس دقائق لأحزاب المجموعة الأولى وثلاث دقائق لأحزاب المجموعة الثانية)⁸⁹¹.

890 تقرير الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري بشأن تعددية التعبير السياسي في خدمات الاتصال السمعي البصري خلال تشريعات 2016 ، منشور في الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري على الرابط: https://www.haca.ma/sites/default/files/u'load/images/Legislatives%202016%204-2-2017_1.pdf

891 تقرير الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري بشأن تعددية التعبير السياسي، مرجع سابق.

أما بالنسبة لتغطية التجمعات الانتخابية، فقد غطت وسائل الإعلام العمومية تجمعا انتخابيا واحدا لكل حزب سياسي على أساس ثلاث دقائق لأحزاب المجموعة الأولى ودقيقتين ونصف لأحزاب المجموعة الثانية ودقيقتين لأحزاب المجموعة الثالثة. وبذلك فقد لاحظنا أن حزب العدالة والتنمية استفاد من الإمكانيات التي توفرها وسائل الإعلام سواء المكتوبة أو السمعية البصرية، للترويج لخطابه وأفكاره بدون أي إقصاء أو منع، فكان الشرط الوحيد لذلك هو ممارسة هذا النوع من التواصل طبقا لما تفرضه القوانين والنصوص التنظيمية في هذا الباب، وتحديد القوانين الانتخابية والنصوص التي تمنع استعمال الرموز الوطنية أو استعمال خطاب عنصرية أو كراهية وغيرها من النصوص⁸⁹².

892 تقرير الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري بشأن تعددية التعبير السياسي، مرجع سابق.

الفصل الثاني

حزب العدالة والتنمية فعل تواصل سياسي

مؤثر ذو نزعة إقصائية مضمرة

يعتبر التواصل السياسي مجالاً مهماً لتدبير المعلومة أو الخبر، باعتبارها تتحول أحياناً إلى أدوات حرب نفسية ضد الخصوم، تكشف معطيات قد تكون حاسمة في المعارك السياسية، باستعمال إعلام يضحك ويهول وقد يضلل الفهم بهدف ربح المنافسات والمعارك. وقد جاء في كتاب "فن الحرب" الصيني لمؤلفه صن تزو، مقولات كثيرة ما تستعمل خلاصاتها في هذه الحروب النفسية⁸⁹³ كمقولة أن "النصر الأعظم هو ذلك الذي لا يتطلب قتالاً"، ومقولة "من يرغب في الانتصار، عليه أن يحسب أولاً التكلفة"، "تأمل وتدبر قبل إقدامك على أية خطوة"، "ذروة فن الحرب هي إخضاع العدو من دون قتال"، وأن "من يود القتال، عليه حساب النتائج"، "أن تكسب مئة معركة ليس ذروة المهارة، أن تخضع العدو دون قتال هو ذروة المهارة"⁸⁹⁴.

وعموماً من أهم أهداف التواصل السياسي هو إقناع المرسل إليه بخطابه السياسي الشفهي أو المكتوب أو الرمزي كالتمثلات الذهنية أو الصور أو استعمال الأفكار والاستدلال العقلاني والبرهان واللغة العاطفية أو القيمة أو الدينية، وكل الأشياء التي تفهمها الجماعة الموجه إليها الخطاب، من أجل كسب مشروعية ما أو نزعها عن الخصم، أو توجيهه أو تأثير أو تغيير رأي معين. لذلك فإن اختيار وسيلة التواصل تكون لها أهمية استراتيجية، من حيث النتائج المتوخاة منها.

ومن الواضح أن عبد الإله بنكيران عندما كان رئيساً للحكومة، تمكن من تحقيق نسب متابعة شعبية ليست بالقليلة وتكاد تكون غير مسبوقه بالنظر إلى أرقام المشاهدات التي حازتها المقاطع السمعية البصرية لتصريحاته على شبكات التواصل الاجتماعي، وكذلك لأعداد الحشود التي كانت تحضر لقاءاته الجماهيرية في الفضاءات العمومية وتحديداً خلال فترات الحملات الانتخابية، إلى درجة يمكن وصفها بما أسماه فريد الأنصاري "باستصنام" الشخصية

893 رياض عصمت، "فن الحرب هو السلام (2)" (قراءة في مقولات الكاتب الصيني صن تزو)، بتاريخ 2 شتنبر 2018، جريدة الحرة الإلكترونية على الرابط: <https://www.alhurra.com/p/536.html>
894 نفس المرجع السابق.

"المزاجية" في الحركة الإسلامية، معتبرا سيطرة شخصية المُتقف أو (التكنوقراطي) على قيادة الحركة الإسلامية في المستويات العالية والمتوسطة من تلك الحركة، وتلك الشخصية تتسم باللاعلمية، وبالعُجب وتضخم الأنا الفردية، مما أدى إلى أن تكون قراراتها خاضعة لشخصانية مزاجية، فكانت ألصق بالهوى وأبعد عن الشريعة، مما قد ينتج عن تصدر مثل هذه الشخصيات وقوع الحركات في الانحرافات السلوكية، والانجراف وراء الأهواء والبدع في العقائد والعبادات⁸⁹⁵. وبذلك فإن غياب "العالمية الربانية" من قيادة العمل الدعوي تؤدي إلى عدم القدرة على الاحتضان التربوي الشامل للحركة وأبنائها⁸⁹⁶.

ويبدو أن شخصية بنكيران وطريقة خطابه التي تشبه إلى حد ما طريقة خطابة الوعاظ على منابر المساجد عندما يتحدث بلغة الدين والتراث، إضافة إلى نوع من الصدام والعند اللغوي الذي يمارسه أثناء إلقاء خطابه ضد خصومه، شكلت عناصر وسعت قاعدة المتابعين والمتعاطفين معه، الشيء الذي افتقده سعد الدين العثماني مقارنة مع بنكيران الذي تميزت لقاءاته مع الجماهير بإعداد خشبات لإلقاء خطبه وتصريحاته، تشبه إلى حد ما خشبات المسرح "الاحتفالي"، يتحدث فيها عن نفسه وعن الآخرين بنوع من الفرجة والتشويق والإثارة. سنناقش هذه الاستراتيجية التواصلية في (مبحث أول)، وفي مبحث ثاني سنتناول فشل حزب العدالة والتنمية في انتخابات شتبر 2021، متساقلين إذا ما كان لخطاب وتواصل حزب العدالة والتنمية دور في هذا الفشل.

مبحث أول: استراتيجية تواصلية من أجل كسب المشروعية الشعبية

شكلت الانتخابات التشريعية بتاريخ 14 نوفمبر 1997، منعرجا فاصلا في تتويج مسار دمج جزء من التيارات الإسلامية المغربية في دائرة الفعل داخل النظام السياسي المغربي، وأمكن القول أن هذا الإدماج كان ثمرة توافق بين قيادة التيار الإسلامي المعني وبين سلطة الدولة، بعدما توجه هذا التيار بطلب تأسيس حزب سياسي الذي سيصير فيما

895 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 62.

896 نفس المرجع السابق، ص: 71.

بعد حزب العدالة والتنمية، ومن تم بداية مرحلة العمل السياسي الشرعي بدخول مجال المنافسة السياسية عبر الانتخابات، بناء على القواعد المعيارية، الدستورية والقانونية والتنظيمية والعرفية، لممارسة العمل الحزبي والسياسي بالمغرب. تجسد هذا التوجه الاندماجي في العمل السياسي الشرعي في أول خطوة عن طريق الانتماء العضوي إلى حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية لمؤسسه عبد الكريم الخطيب⁸⁹⁷. ومن دون أي مجازفة نظرية يمكن القول أن أبرز الخلاصات المركزية في مسار الاندماج هذا، أن عملية المشاركة في الحياة السياسية والحزبية المغربية لهذا التيار الإسلامي، واجهته في البداية عدة أسئلة مستشكلة على مستويات الممارسة، بالنظر إلى تحديات تدبير العلاقة بين هذا التيار الإسلامي، الذي اشتغل لسنوات خارج إطار الشرعية والذي تحول إلى مؤسسة حزبية منظمة بحكم القانون، وبين مركز السلطة في البلاد، وبينه وبين باقي الفاعلين السياسيين والقوى المؤثرة. لذلك تميزت هذه المشاركة بالتدرج تحت مراقبة سياسية تمثلت في التوافق على الخريطة الانتخابية، وواكبتها قيادة سياسية انتقالية لم تكن تنتمي لنفس المرجعية التنظيمية الإسلامية تجلت في عبد الكريم الخطيب. غير أن فترة الربيع العربي سنة 2011، شكلت منعطفًا حاسمًا في موقع الحزب في الخريطة السياسية بالمغرب⁸⁹⁸، وظهر على خطاب وتواصل قادة حزب العدالة والتنمية نوعًا من العودة إلى خطابات ما قبل المشاركة السياسية، التي كانت تتميز بارتباطها بالدين بشكل كبير وترى أنه هو والدولة لا ينفصلان. بمعنى أن الحزب، خلال فترة الربيع العربي، افترض أنه دخل مرحلة قوة دعمها سياق الاحتجاجات ونتائجها في المنطقة العربية، فحاول بذلك الخروج من منطق التنازلات والضعف إلى الكشف عن ما يمكن أن نسميه "مراجعة المراجعات السابقة". سنحاول في هذا المبحث مناقشة أسلوب تواصل حزب العدالة والتنمية الذي كان أسلوب مواجهة حادة من خلال استعمال أسلوب "الفرجة" الجماهيرية (الفقرة الأولى)، وسنقارن ذلك مع

897 الزهراوي محمد، الإسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

898 انظر كتاب بلال التليدي، "الإسلاميون والربيع العربي، الصعود، التحديات، تدبير الحكم" (تونس، مصر، المغرب، اليمن)، مركز

نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى 2012.

تواصل حزب الأصالة والمعاصرة بفحص الأدوات التي يوظفها هذا الحزب (الفقرة الثانية)، ثم ناقش اللجوء إلى خطاب المواجهة عن طريق الاختباء وراء الغموض و وراء ترميز لغوي كثيف (الفقرة الثالثة).

الفقرة الأولى: تواصل العدالة والتنمية : المواجهة من خلال الفرجة

تهدف اللقاءات الجماهيرية "الحاشدة" في الفضاءات العامة المفتوحة عموما إلى بناء رسالة رمزية وخلق انطباع بامتلاك القوة والعظمة⁸⁹⁹. و يتطلب البعد "المسرحي" لهذه اللقاءات الجماهيرية حضور المتفرجين، لأنهم يتحولون إلى مشاركين في الفعل التواصلية⁹⁰⁰ وهم بذلك "المرآة" التي تعكس للجميع مدى قوة الحزب، سواء كانت مسألة حضور حشد كبير لاجتماعات الحزب، أو الافتتاحيات التي يرأسها "الزعيم"، أي الأمين العام للحزب. وبذلك يثبت الموقف "الاحتفالي"، أنه ملائم للاستقبال الجيد للرسائل التي تنبعث من قيادة الحزب، وأثناء "الحفل/اللقاء الخطابية"، لا يُسمح للحاضرين بالتعبير عن آرائهم المخالفة، و يبدو لنا أن انتهاك هذه اللقاءات يعد "تدنيسا لطهر المقام الخطابية". إضافة إلى ذلك فإن التواصل السياسي في هذه اللقاءات عاطفية أكثر منه عقلانية، بحيث تسيطر عليها القوة المطلقة للرموز التي تتحدث إلى مشاعر الحاضرين. فاختيار الأماكن، وطريقة التنظيم وطقوسه الفرجوية للاحتفال باستعمال أناشيد وأمداح دينية مثلا، ايماءات الجسد كالرقص والغناء وتحريك الأيدي للتعبير عن شعارات أو عن رمزية القوة أو لتحريك الرأس وغيرها من إشارات الجسد، ثم فصول الضحك الذي تتخلله إضافة إلى شكل ولغة الخطاب، كلها عناصر تساهم في دعم فعالية الرسالة الرمزية. وتهدف الرموز السياسية، كما سنرى لاحقا، إلى عرض نظام مثالي للأفكار وللتنظيم السياسي، يتوافق إلى حد ما مع الشخص الذي يخطب، لاسيما عند انتقاد الخصوم وتشبيهم بحيوانات مفترسة لا ترحم ضحاياها. كما أن البروتوكول المتبع في هذه اللقاءات يضاعف إلى حد ما "حظوظ" تلقي الرسالة أو الرسائل الخطابية السياسية، كطريقة الحضور إلى لقاءات بنكيران،

899 Philippe Braud, Sociologie politique, op. Cité, p: 49-50.

900 Ibidem.

والهالة التي يخلقها منتسبو الحزب برفع الشعارات عند حضوره على متن سيارته الخاصة أو على سيارة الدولة، رفقة حراس أمنيون، مع ترك الجماهير تجتمع وتنتظر إلى حين حضوره، وطريقة الاستقبال وغيرها، بمعنى أن الحزب يفرض نظاما رمزيا يحكم بشكل خاص توزيع الشخصيات والمهام في "الفضاء الاحتفالي". ويبدو أن إظهار هذا النوع من التنظيم الذي يشبه الاستقبالات الرسمية لكبار مسؤولي الدولة، هو من أجل إظهار التناغم والانسجام على مستوى قمة الحزب، وهو في نظرنا عنصر من عناصر إضفاء الشرعية على سلطة "زعيم" التنظيم. ومنذ عدة عقود، تحول الخطاب السياسي نحو خطاب فرجوي إلى حد كبير، بل إن هذا الوضع كما يرى عدد من الباحثين في تزايد مستمر، مما حدا بهم إلى اعتبار هذه الرغبة الكبيرة في الظهور تهديدا للديمقراطية⁹⁰¹.

أولاً- الحلقات الخطابية الجماهيرية: تقنيات مصورة ومؤثرات تكنولوجية مواكبة

لقد أضحت الأحزاب السياسية تبحث عن الكثرة العددية للتعبير عن امتلاك القوة والقدرة على الفعل السياسي، وعن "اصطياد" الجماهير، الذي قد يكون من أجل الضغط على الفئات غير المتحيزة، أو على الفئات المشتتة والمتفرقة⁹⁰² والمتردة أيضا.

وفي هذا المسعى للبحث عن التضخم الجماهيري، أثارت الحلقات الخطابية الجماهيرية لحزب العدالة والتنمية، سواء في القاعات المغلقة أو في الساحات العمومية، الكثير من التعليق الإعلامي والجدل السياسي وأيضا الكثير من المتابعات. فهي تبدو كمسارح مجهزة بخشبة للإلقاء مجهزة بتقنيات تكنولوجية لالتقاط وتوزيع الصوت والصورة تشبه إلى حد ما خشبات عروض المسرحيات أو تقنيات التصوير السينمائي، لاسيما وأنها تمارس نوعا من الإخراج التلفزيوني أو السينمائي لإعداد وتوضيب المشاهد واللقطات وتحديد كوادرات الصورة انطلاقا من قواعد مهنية متعارف عليها في الوسط السينمائي. ولا يخفى على أحد الدور الذي تلعبه الصورة في نقل مظاهر القوة أو الضعف وفي إرسال رسائل

901 Schwartzberg Roger-Gérard, L'État spectacle 2, politique, casting et médias, édition Plon, Paris, 2009, P: 7.

902 Michels Robert, Sociologie du parti.. ,op, cité, P: 57-64

معينة. وهناك تقارب وأحيانا "تداخل" بين مهنة التمثيل السينمائي وبين السياسي، باعتبارها تتعلق بشخصيات تواجه الجمهور ولها نفس الاهتمام بشكلها العام وبطريقة كلامها لمحاولة إيصال تمثلات خاصة عنها⁹⁰³. وقد استعمل حزب العدالة والتنمية تقنيات التصوير والمونتاج والبث وفق منظور التصوير السينمائي، يبدو ذلك من خلال حركات الكاميرات وزوايا اللقطات ومن خلال الفريق التقني الذي كان يرافق القيادة الحزبية وعلى رأسهم عبد الإله بنكيران، وظهر هذا الفريق من خلال الصور كفريق مهني بالنظر إلى المعدات التي يستعملها أثناء العمل على تصوير "خشبات"، بنكيران⁹⁰⁴.

كتبت أهم قواعد اللغة التصويرية في السينما، أواخر الثلاثينيات ثم في الأربعينيات من القرن الماضي، واعتمدت على بلاغة الصورة باستعمال الاستعارة مثلا في اللغة السينمائية⁹⁰⁵. ومن أهم كتب "قواعد الفيلم" لـ رايموند سبوتيسون، المنشور عام 1935 وكتاب "قواعد سينمائية" لـ روبرت باتيل 1947. غير أنه في الستينيات في مرحلة نشوء البنيوية والسيمائية حاول مجموعة من المنظرين السينمائيين التعمق في تحليل طبيعة اللغة السينمائية، ومن أهم هؤلاء المنظرين نجد أومبرتو إيكو، بيير باولو بازوليني، وعلى رأسهم كريستيان ميتز الذي كان أكثر تعمقا في مفاهيم لغة الصورة⁹⁰⁶.

ويرى جان ميتري أن اللغة الفيلمية (المصورة) مختلفة عن اللغة المحكية، "فالسيميائي مختلف عن اللغوي". ويرى ميتز الذي تأثر بالسيمائية و بعلم الدلالات، أن للسينما لغة، بصورها ولقطاتها وإنارتها وغيرها، يجب أن تدرس

903 Schwartzberg Roger-Gérard, L'État spectacle 2, op, cité, P: 225-226.

904 انظر رابط فيديو خطاب بنكيران في المؤتمر الاستثنائي لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 28 مايو 2016، (الدقيقة الثامنة من الفيديو حيث يظهر فريق إدارة التصوير: la régie، على الرابط: <https://youtu.be/YEvhEuXgFnc>

905 فران فينتورا، الخطاب السينمائي لغة الصورة، ترجمة: علاء شنانة، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، سوريا، دمشق، 2012، ص: 6-7.

906 نفس المرجع السابق، ص: 7.

قواعديا كما تدرس لغة الخطاب المحكي العادية⁹⁰⁷، وبذلك فإن السينما تشكلت كخطاب عند تنظيمها في شكل سردي ولتنتج أفعال ذات معنى⁹⁰⁸.

إن اللقطات لا منتهية بعكس الكلمات التي هي محدودة، وهي من إبداع من ينتجها وليس كالكلمات الموجودة معجميا، بشكل افتراضي و تتشكل حسب ما يستخدمها المتكلم، وبالتالي الإبداع في أخذ لقطات مصورة يضيف معنى آخر لخطاب الكلمات والألفاظ. تنتج اللقطة shot عدداً غير محدود من المعلومات غير المرتبة، بينما الكلمة أغلب الحالات لها معنى واحد أو متعددة المعاني، لكن المعلومات هي وحيدة ومنظمة⁹⁰⁹.

فالكلمة تشير إلى صورة ذهنية لشيء ما ينتج في ذهننا، في حين أن لقطة مأخوذة لهذا الشيء هي دائماً أكثر تحديداً في العقل من صورة ذهنية بحاجة لصفات لتحديد الشيء المتعامل معه⁹¹⁰، وبالتالي هنا يكمن خطاب الصورة وطريقة تناولها والزاوية التي أخذت منها وبأي أسلوب أو تقنية إبداعية، لتدعم خطاب الكلمات الموزع فوق الخشبة أو في المشهد.

فاللقطات التصويرية⁹¹¹ استلهمت من نظريات الفيلم⁹¹² ومن السينما لتحمل وتعبر عن رسائل مهمة، يبينها المؤلف والمخرج والممثل أساسا. فعندما تأخذ اللقطة القريبة close shot أو اللقطة القريبة جدا close up shot فهي في السينما تؤخذ للتعبير عن المشاعر والأحاسيس للتأثير على المشاهد وشده إلى الشاشة. ومثلا عندما تؤخذ اللقطات الواسعة long shot فهي غالبا ما تؤخذ لإبراز المكان والحشود المتواجدة فيه، خصوصا باستعمال الكاميرات ذات الجودة العالية على رافعات عالية grue أو محمولة على الدرون، أو أخذ لقطات بانورامية panoramic أو ترافلينغ travelling أو لقطات من وراء الكتف over shoulder shot وغيرها، التي تصنع المشهد الواحد الذي

907 فران فينتورا، الخطاب السينمائي لغة الصورة، مرجع سابق، ص: 8

908 نفس المرجع السابق، ص: 9.

909 فران فينتورا، الخطاب السينمائي لغة الصورة، مرجع سابق، ص: 8.

910 نفس المرجع السابق، ص: 8.

911 ماري تيريز جورنو، (جامعة باريس III، السوربون الجديدة)، معجم المصطلحات السينمائية، تحت إدارة: ميشيل ماري، ترجمة: فائز بشور، نسخة الكترونية على رابط مكتبة نور، سنة 2009، الرابط: <https://urlz.fr/mMgh>

912 فران فينتورا، الخطاب السينمائي، مرجع سابق، ص: 22-67.

هو مجموعة لقطات متكاملة، بمؤثرات صوتية وديكور على الخشبة تؤنثتها أحيانا فرق موسيقية شعبية وغيرها، إضافة إلى هتافات الجماهير ورفع الشعارات والتكبيرات، التي تعطي في آخر المطاف مشهدا scenes يوفق ما بين اللقطة والخطاب مما يجعل المعلقين والمتعاطفين يصفونه مثلا بالمشهد المهيب الذي يثير الدهشة والتشويق والذي يعمل على خلق الرغبة لدى الجماهير لاسيما الفئات البسيطة التكوين والتعليم، في التلقي.

ويعرف السينمائيون اللقطة بكونها أصغر وحدة في الحدث الدرامي في الفيلم السينمائي⁹¹³، وهي الوحدة التي يتم على أساسها بناء المشهد. وكل لقطة يجب أن يكون لها هدف داخل المشهد، وإلا يصبح من المفروض الاستغناء عنها. وبمجرد أن يتحقق الهدف من اللقطة، يجب الانتقال فوراً للّقطة التالية، عبر تقنيات انتقال transitions ويجب أن تتطابق اللقطات مع الحالة العامة للفيلم أو للعمل المراد تصويره، بل ويمكن أن تحتوى على عناصر ذات دلالات خاصة، تعطي بعداً أوسع من الفكرة الرئيسية للّقطة، ولكنها في نفس الوقت لا يمكن أن تأتي بمفردها. لذلك فإن تصميم اللقطة يعتبر جزءاً مهماً، وأساسياً من وظيفة المخرج أو فريق التصوير الذي يسهر على إنجاز العمل وتقديمه للناس.

ثانياً - خشبات "مسرّحية" مشوقة: في الحاجة إلى "البطل" بنكيران

يلعب بنكيران على هذه الخشبات دور البطل الرئيسي والزعيم، وعلى ما يبدو فإن ظهوره في الفضاءات المفتوحة لإلقاء خطبه، ولاستعارة الوصف الذي وضعه الفرنسي روجي جيرار -Schwartzberg Roger- Gérard⁹¹⁴، في وصف مشهد بعض السياسيين في فرنسا، أصبحت لقاءات بنكيران استقبالات للزعيم الروحي، الشخصية الاستثنائية، و"الرفيعة"، وربما القائد "العبقري الملهم الذي لا يخطئ"، لاسيما منذ أن أصبح رئيساً للحكومة المغربية. مارس بنكيران على هذه الخشبات أو في باقي منصات الخطاب كالبرلمان مثلاً خلال جلسات المساءلة

913 فران فينتورا، الخطاب السينمائي لغة الصورة، نفس المرجع السابق.

914 Schwartzberg Roger-Gérard, L'État spectacle 2, op, cité, P: 23.

الشهرية، شخصية المبارز المتناقض، في لعب دور المسؤول الحكومي ثم دور المعارض السياسي ثم دور الخطيب الديني المفوه، ثم شخصية الكوميدي الساخر وغيرها من الوجوه والأدوار التي لعبها على هذه الخشبات، جلبت له متابعات كبيرة واهتماما واسعا وفي نفس الوقت، جرت عليه غضبا من دوائر السلطة وباقي الفاعلين خصوصا عندما كان يتجاوز بعض واجب التحفظ تجاه شخص الملك، أو عندما كان يرفض تحمل مسؤولية تدبير بعض المشاكل الاجتماعية ويلقيها على خصومه أو حتى على حلفائه داخل الحكومة.

لقد أصبح التواصل الدائم مع الناس في حد ذاته مشروعا حزبيا بديلا للإصلاح، وأضحى هو برنامج الحزب⁹¹⁵. ورغم أن الحزب استعمل مصطلحات من قبيل: التوحيد، والتجديد، والإصلاح، والتنمية، والعدالة، المفاتيح التي تأسس عليها حزب العدالة والتنمية، وأنه من "المفترض أن تشكل هذه المفاتيح برنامجه السياسي، وأن تنعكس في قراراته الحكومية، لكن بعد سنتين من حصول الحزب على كرسي رئاسة الحكومة، سيعلم أمينه العام أن: الإصلاح صعب، وطويل، وتوجد مقاومات في المجتمع، فالكل كان يستفيد من المنطق القديم، لهذا فهؤلاء يرفضون القبول بالمنطق الجديد، وإذا كنا نرغب في تحقيق أهدافنا، علينا الحصول على السلطة، فاكتساب هذه الأخيرة يتطلب عملاً طويلاً وشاقاً، وفي انتظار ذلك ينبغي الحفاظ على التواصل الدائم مع الناس، وتبرير القرارات التي اتخذتها الحكومة وتبناها الحزب، دون نسيان هدف الحزب؛ وهو تطبيق منظومتنا الدينية، في ما ينسجم مع مرجعيتنا. أما صناديق الاقتراع، فليست إلا مناسبة للتواصل مع الناس، فلا ينبغي، بأية حال، عدها مكسباً؛ لأن هدفنا هو السلطة، والسلطة كالعصا إن لم نأخذها فسنضرب بها، سنحقق التقدم من خلال وصولنا إلى مواقع المسؤولية، أو ترسيخ مرجعيتنا الإسلامية، رغم أننا حزب في الحكومة ونترأسها، فإننا نعارض الفساد والاستبداد، وسبب تأخيرنا في القيام بذلك، منذ البداية، هو وجود الفساد في أي مكان، وهو ما جعل الحزب يختار التركيز على الأولويات بدل الاصطدام مع الجميع"⁹¹⁶. لذلك هناك

915 حمداني عمر، "عناصر الشعبوية في الخطاب السياسي المغربي"، في صحيفة حفريات www.hafryat.com مركز دال، جمهورية مصر العربية، حفريات، 2017.
916 نفس المرجع السابق.

من اعتبر أن لدى حزب العدالة والتنمية "زدواجية في مواقفه، فهو حزب مشارك في الحكومة، وفي نفس الوقت يحمل خطاباً معارضاً لها، و أنه "لا يجد أي حرج في الدفاع عن الدولة والمقاولة، والشعب، والمجتمع، وعن الفئات الهشة أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، بينما يعارض الفساد، ويقف ضد الاستبداد أيام السبت والأحد"⁹¹⁷، في لقاءات بنكيران التي يعدها له حزبه مع المنتسبين للحزب أو مع عموم المغاربة.

كان بنكيران يدرك عيوب خصومه وثغراتهم ومستواهم الخطابي، لذلك كان يستغل خرجاته الجماهيرية أو في البرلمان باستعمال لغة شعبية مغربية بسيطة تشبه التخاطب اليومي لكل المغاربة، كل ذلك من أجل توظيف لهذه الملتقيات لتجديد تعاطف المواطنين معه، وإضعاف خصومه السياسيين. لقد كان يتشبث بلغة للتخاطب سهلة وبقاموس العامية المغربية الذي هو في متناول جميع الشرائح المجتمعية. ومع ذلك فإنه يمكن القول أن بنكيران كان يتهرب أحيانا كثيرة من التفاعل ومن الأجوبة على أسئلة أو تعليقات بعض الأفراد أو المعارضين، وكان يحيل أحيانا تديير بعض المطالب أو الانتظارات التي لم يكن يملك أجوبة عليها إلا بالإحالة على المشيئة الإلهية. هذا الوضع الخطابي لبنكيران خلق نوعا من الارتباك وعدم التوازن بل وعدم القدرة على المسايرة بالنسبة للأحزاب التي كانت تعارضه أو تعارض حكومته، وبذلك فهو رفع ايقاع السجال الخطابي، وخلق نوعا من التعبئة في صفوف حزبه أو في صفوف باقي الفاعلين.

بالمقابل، يوجد اتجاه آخر يرى أن إمكانية وجود غضب المحيط الملكي من بنكيران⁹¹⁸ لا يرتبط فقط بالخرجات والتصريحات غير المحسوبة، بقدر ما أن الأمر يرتبط بطبيعة النظام السياسي المغربي الذي لا يقبل بوجود شخصية تنافس الملك على مستوى الشعبية والتواجد في الفضاء العمومي، بحيث تحظى المؤسسة الملكية في المغرب بسلطة دستورية قوية، ويُعرف الملك دستورياً بأنه: "رئيس الدولة وممثلها الأسمى، ورمز وحدة الأمة، وضامن دوام الدولة

917 حمداني عمر، "عناصر الشعبية في الخطاب السياسي المغربي"، مرجع سابق.

918 الزهراوي محمد، "هذه أبرز رسائل خطاب العرش"، بتاريخ 30 يوليوز 2016، في موقع هسبريس على الرابط التالي:

<http://www.hespress.com/orbites/316%25.html>

واستمرارها، والحكم الأسمى بين مؤسساتها، يسهر على احترام الدستور، وحسن سير المؤسسات الدستورية"، وهو قبل ذلك "أمير المؤمنين وحامي الملة والدين"، مثلما تقر بذلك المادة 41 و42 من الدستور المغربي لعام 2011⁹¹⁹. وما قد يبهر خرجات بنكيران التي يبدو أنها لم تكن تراعي أحيانا مركزية الملك في النظام السياسي المغربي، من خلال تعامله معها خطابيا أحيانا بشكل غير بريء سياسيا، منها عندما قال في أحد تصريحاته بأنه "مجرد موظف لدى حكومة الملك، يقوم بما يأمر به"، فهو نفسه ما أتت به مجلة فورين أفيرز *affairs foreign* الأمريكية في تقرير لها، أن بنكيران ليست له الرغبة في لعب دور كبش الفداء، وتحمل الفشل السياسي وحده، وبذلك فإنه يريد أن يظهر للجماهير وللعمامة أن المسؤول الأول هو القصر⁹²⁰.

ومجمل القول أن خرجات بنكيران وطريقته التواصلية، التي ساهمت في ارتفاع الشعبية الانتخابية لحزب العدالة والتنمية، بالإضافة لتصريحاته المزدوجة بتخلله تارة من مسؤوليته الحكومية ليصبح معارضا للدولة وتارة يلبس شخصية رجل الدولة لتبرير قرارات عمومية، كانت محط انتقادات شعبية منها ما تعلق بإصلاحات صندوق المقاصة أو نظام التقاعد. كلها عوامل تكون قد لعبت دورا ما في فشله في تشكيل حكومته الثانية سنة 2016، وجعلته غير مرغوب للتحالف معه من باقي الأحزاب السياسية.

ثالثا - تأثيرات البيئة الثقافية الشعبية: بنكيران وممارسة المسرح السياسي الاحتفالي

لقد طرحت طريقة إعداد حزب العدالة والتنمية لمنصات الخطابة مع الجماهير، ولصناعة أسلوبه التواصلية المميز عن باقي الفاعلين السياسيين، عدة أسئلة مرتبطة بشكل "خشبة" العرض الخطابي المسرح، التي تشبه المسرح أو المسرح الشعبي في شكل "الحلقة"، ومتعلقة بطريقة إلقاء الخطاب وتفاعل الجماهير في شكل يمكن أن نقول عنه أنه

919 الزهراوي محمد، الإسلاميون المغاربة...، مرجع سابق.

920 انظر تقرير مجلة فورين أفيرز بتاريخ 23 أكتوبر 2014، على الرابط:

<https://www.foreignaffairs.com/articles/morocco/2014-10-23/rabats-undoing>

شكل احتفالي فرجوي يخضع لعدد كبير من قواعد نظرية المسرح الاحتفالي كما أسسها عبد الكريم برشيد، ونظر لها عدد آخر من المغاربة وطبقها مسرحيون أمثال المسرحي الطيب الصديقي.

يعتبر هذا الشكل من العرض أقرب إلى وجدان المغاربة، لكونه يستند على الذاكرة الشعبية وعلى التراث والوجدان الشعبي وعلى التواصل الجماعي عبر فضاءات مفتوحة كالأسواق والساحات، وأقرب أيضا إلى عواطفهم مقارنة مع أنواع المسرح الأخرى التي غالبا ما تحدث نوعا من "الطبقة" ضمن المشاهدين، وتمنعهم من المشاركة مع الممثل صاحب الدور على الخشبة.

قد يكون اختيار أسلوب التواصل المسرح هذا لدى حزب العدالة والتنمية منهجا مدروسا نظريا، وقد يكون أيضا ناتج عن تأثيرات الانتماء إلى بيئة اجتماعية تعرفت على مسرح "الحلقة" الشعبي كمتنافس وكأسلوب فرجة، وقد يكون عفويا بدون اللجوء إلى نظرية المسرح الاحتفالي ومنهجيتها وأهدافها. غير أننا نرى أن أسلوب التواصل السياسي لبنكيران يتقاطع مع "الاحتفالية"⁹²¹ ومع أسسها ومنهجيتها في خلق التفاعل بين النص والممثل والجمهور والزمن والمكان. لذلك فإننا نرى، أن ممارسة التواصل السياسي مع الجماهير بهذه الطريقة قد يعطي أفضلية للتواصل على منافسيه، ليس لكونه يمتلك رؤية وتصور لسياسات عمومية دقيقة، وإنما لكونه أحسن توظيف قوالب تواصلية متنوعة وحول تراكم التواصل الشعبي وبعض قواعد المسرح إلى قالب صنع وسيلة فعالة لاستمالة الجماهير.

رابعا - درجة انطباق نظرية الاحتفالية على لقاءات بنكيران: بين الفن والسياسة

يعتبر عبد الكريم برشيد المسرح بالأساس بأنه موعد عام، يجمع في مكان واحد وزمن واحد بين فئات مختلفة ومتباينة من الناس، انطلاقاً من وجود قاسم مشترك يوحد بين الناس ويجمع بينهم داخل فضاء وزمان موحد. وهذا القاسم المشترك لا يمكن أن يتجسد إلا داخل إحساس جماعي أو قضية عامة، قضية تهم الجميع، وتعني كل الفئات المختلفة. ومن هنا كانت أهمية هذا الموعد الذي يقوم أساساً على اتساع هذه القضايا ومدى رحابتها وشموليتها.

921 انظر كتاب عبد الكريم برشيد، حدود الكائن والممكن، سلسلة الدراسات النقدية، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1985.

والاحتفال بالأساس هو لغة، "لغة أوسع وأشمل وأعمق من لغة اللفظ (الشعر- القصة)، ومن لغة اللحن (الغناء- الموسيقى)، ولغة الإشارات والحركات (الإيماء)، وهي لغة جماعية تقوم على المشاركة الوجدانية والفعلية، وتعتبر المظاهرة في الشارع العام احتفالاً، لأنها تعبير جماعي آني يتم من خلال الفعل⁹²².

ويعتبر رواد نظرية المسرح الاحتفالي، أن المسرح هو حفل واحتفال غني باللغات اللفظية والحركية، توظف فيه الذاكرة الشعبية أو الأشكال ما قبل المسرحية بلغة إنسانية، ويستبدل فيه الممثل بالمحتفل مع المزوجة بين الأصالة والمعاصرة، ويستعمل أسلوب الإدهاش والتلقائية والتحدي وعفوية الحوار والسخرية في وصف الواقع وتفسيره وتغييره. ويعتمد هذا المسرح على تعرية الواقع قصد تشخيص عيوبه وإيجاد الحلول المناسبة له، وعلى استخدام لغة تواصلية لفظية وغير لفظية بالاعتماد على قدرات الممثل وعلى طاقته الجسدية باعتبارها هي الأساس في التواصل، بتوظيف قوالب الذاكرة الشعبية كتمص شخصية الراوي واستعمال تقنيات خيال الظل والحلقة وغيرها، داخل الفضاء المفتوح المتحرر من العلبة/الصالة الإيطالية المغلقة⁹²³. لقد كان من أكبر أهداف هذه النظرية التي أسسها المسرحي عبد الكريم برشيد، أنها جاءت من أجل بناء سند فكري وجمالي تساعد المسرح العربي على صياغة مقوماته وأسسه المسرحية بغاية بنائه هويته المسرحية العربية، ولتأسيس خطوات صوب المصادقية والشرعية المسرحية.

وقد وضع الباحثون "الاحتفاليون"، الذين فحصوا وطوروا نظرية الاحتفالية لعبد الكريم برشيد، عدة قواعد وأسس تعطي لهذا المسرح شرعية ومصادقية. ومن أهم هذه القواعد أنه يتأسس في شكل مسرح "الحلقة" المستمد من أشكال السمر الشعبية المختلفة. كما أن هذا المسرح يعتمد على الجمع بين الرواية والتمثيل أو الملحمة والمسرح، وعلى كسر الحواجز بين الجمهور والممثلين واعتبار الطرفين مشاركين في خلق العمل المسرحي الذي لا يهتم فقط بتأليف النص المسرحي وحده، بل يهتم أيضاً بأساليب التمثيل والإخراج والعرض من خلال بناء شكل قريب من التجمعات التي ينظمها الإنسان العربي في احتفالاته وغيرها. وهو مسرح يتجه إلى تبسيط الديكور والأزياء، كما أنه مسرح مفتوح، فلا

922 برشيد عبد الكريم، المسرح الاحتفالي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، 1989، ص: 13.

923 رمضاني مصطفى، قضايا المسرح الاحتفالي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية بدمشق، الطبعة الأولى، 1993، ص: 83.

ستائر ولا حواجز ولا تلك الدقات الثلاث التقليدية، فكل شيء يركب أمام الجمهور وبمشاركته. إن الاندماج عملية لا تتم في الكواليس، لأن الكواليس لا وجود لها في المسرح الاحتفالي وإنما هي مكشوفة في حضرة الجمهور. ويعتبر الديكور مثله مثل اللباس يمكن أن يلبس أمام أعين الكل. ومن هنا كان الاحتفاليون مضطرين إلى تحديد علاقة الممثل بالزمن، هذا التحديد يقوم على مبادئ جديدة بعيدة عن التصور الدرامي أو اللحمي فالناس الوجديين ثلاثة: رجل جمال، رجل أخلاق ورجل دين⁹²⁴.

وبذلك فإن هذه الأسس شكلت تصورا نظريا تقدمت به الاحتفالية في ميدان المسرح، كبديل أو كرفض وتمرد على القواعد التقليدية في المسرح، باعتبار هذه القواعد ستأثر في مشروع تكوين المسرحية كنص منذ البداية، ثم في طريقة الإخراج والتمثيل وفي خلق الفرجة باعتماد لغة مؤسسة على العلاقة السببية في ترابط الأحداث والوقائع. وهكذا يقول عبد الرحمان بن زيدان: "إن الاحتفال تمرد على القواعد التقليدية وزلزلة فروع المسرح الأرسطي، ولا يتمثل تأثير هذه الخطوات في تكوين المسرحية كنص فقط وإنما في الإخراج والتمثيل وفي فن الفرجة أيضا من حيث التركيبية والمونتاجية والاعتماد على العقل والسببية"⁹²⁵.

لقد ظهر هذا المسرح الاحتفالي في السبعينيات من القرن الماضي في المغرب، كرفض لاعتماد الأشكال الغربية في المسرح، وكبديل له. يقول الكاتب يوسف إدريس: "إننا نقصد حين نتكلم عن المسرح ذلك المكان العالي ذو القبوة والخشبة والممثلين والروايات وهذا مسرح صحيح، ولكنه ليس كل المسرح، فالمسرح أشكال كثيرة متعددة ليس هذا النوع سوى أحد فقط، ومجرد شكل واحد تطور على يد الإغريق"⁹²⁶. وفي نفس التوجه يقول الكاتب التونسي عز الدين المدني: "لقد كان خليقا بالعرب المعاصرين ألا يتبنوا من الفن المسرحي إلا النوع وحسب، لأنهم بتقليدهم التقنيات

924 برشيد عبد الكريم، المسرح الاحتفالي، مرجع سابق، ص: 89-90.

925 بن زيدان عبد الرحمان، من قضايا المسرح الغربي، مطبعة صوت مكناس، المغرب، 1979، ص: 23.

926 يوسف إدريس، نحو مسرح عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت، 1974، ص: 467.

الغربية ومجاراتهم الأشكال الفرنسية مثلا، قد جعلوا من الفن المسرحي فنا مقصورا على الحضارة الأوروبية في حين أن الشرق القديم قد عرف حق المعرفة بتقنيات وأشكال أخرى لا تماثل تقنيات المسرح الغربي المعاصر⁹²⁷.

ويؤكد الكاتب الجزائري قدور انعمي: "إن المسرح ذاته ليس صيغة واحدة بل هي الصيغة التي استوردتها العرب من الغرب في أواسط القرن الماضي، هناك مثلا مسرح الكابوكي والتنو اليابانيان وهناك الأولبرا الصينية، والمأساة الإغريقية والكوميديا، ديالارتي الإيطالية والمسرح الغيني والفيتنامي فلماذا لا يكون للعرب، بدورهم، شكلهم الروحي الخاص؟"⁹²⁸. إن المسرح التقليدي في نظر الاحتفاليين لا يتجاوز حدود الشكل المسرحي المرتبط باستهلاك الفن من أجل الفرجة، وإنما للمسرح رسالة عظيمة خلق من أجل تأديتها.

يرى الاحتفاليون أن المسرح الاحتفالي هو التحام مباشر بالناس وقضاياهم وتصوراتهم وفكرهم وواقعهم، ومن بين أهدافه إحداث انقلاب جذري⁹²⁹، ابتداء من التمثيل والنص والإخراج والمعمار المسرحي والمؤسسة، وبذلك فإن طريقة أداء الممثل لدوره ينبغي أن تراجع ويعاد بناءها وفق هذا النوع من المسرح، باعتبار أن "التمثيل هو أساس الظاهرة المسرحية"⁹³⁰. ولأن لكل نوع من المسرح أهداف وطريقة تمثيل معينة، فمثلا نجد المسرح الدرامي يحاكي أفعال وسلوكيات أو حوادث إنسانية، أي أنه يحيي ما كان كما كان، ونجد ما يسمى بالمسرح الملحمي الذي يعتمد على رواية الفعل الإنساني، أي أنه يحكي ما هو كائن أو كما كان، فإن المسرح الاحتفالي يعمل على إحياء فعل ما، إنه يخلق تظاهرة آنية، تظاهرة تتم في حضور الجميع وبمشاركة الجميع⁹³¹. وبذلك يرى الاحتفاليون أن المسرح الدرامي يحيي حدثا وقع في الماضي ولم يعد له وجود الشيء الذي يحول العملية المسرحية إلى جلسة لتحضير الأرواح والأشباح، أما المسرح الملحمي فيحكي عن شيء وقع أو يقع بعيدا عن الجمهور، الشيء الذي يحول الفعل المسرحي إلى مجرد

927 الراعي علي، المسرح في الوطن العربي، سلسلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الطبعة الثانية، الكويت، 1999، ص: 14.

928 يوسف إدريس، نحو مسرح عربي، مرجع سابق، ص: 34.

929 الغزيوي أبو علي، بن المداني ليلة، "أسس ومقومات المسرح الاحتفالي عند عبد الكريم برشيد"، منشور في مجلة عالم الثقافة، 5

يوليو 2022، الرابط: <https://worldofculture2020.com/?p=80661>

930 نفس المرجع السابق.

931 نفس المرجع السابق.

حكاية تبقى غريبة عنا وعن واقعنا واهتماماتنا، مما يجعلها في ختام الأمر ومهما تكن رموزها ودلالاتها أو إحياءاتها، تبقى مجرد حكاية فقط، أما المسرح الاحتفالي فيقوم على أساس رفع الحواجز والمسافات بين الواقع والوهم⁹³².

وفيما يتعلق بالزمن الاحتفالي فيرى الاحتفاليون أنه زمن أسطوري بالضرورة، وذلك لأنه يتخذ له خطة دائرية تنتهي فيه نقطة البدء والختام. إن الاحتفال يعود دائما سواء بعودة الخصب إلى الطبيعة أو عودة القمر، فهو إذن بهذا متكرر وفي تكراره يتجدد ومن هنا كان الممثل هو هذا الكائن الذي يعيش الزمن المتجدد باستمرار، فهو يعيش أكثر من مرة ويولد أكثر من مرة، ويموت أكثر من مرة، إنه ليس عمرا واحدا، وإنما هو حزمة أعمار⁹³³.

ويزاوج المسرح الاحتفالي بين الماضي كشيء معلوم وبين المستقبل كشيء مجهول، فقد كان من الطبيعي أن يعتمد على عنصر المصادفة، لأن هذه الأخيرة تثبت الحياة والتجدد والتلقائية والآنية وذلك بمساعدة المفاجأة، الشيء الذي يبعد الفعل المسرحي عن الآلية ويجعل منه احتفالا حيا مباشرا، مما يبيح للممثل أن يخطئ، وأن يضيع منه الحوار وأن يضيف بذكاء وأن يتوقف عن التمثيل أيضا، وأن يدخل بعض الكلمات الشائعة أو بعض قضايا الساعة، كل هذه الفواصل تشعر الجمهور أنه أمام احتفال يقام الآن وليس أمام حدث جاهز ومطبوع، إنه أمام مجموعة من الناس الأحياء وليس أمام شاشة سينمائية تنعكس عليها الصور المسجلة من قبل. ولما كانت الذاكرة عماد الممثل وعدوه في نفس الوقت، فقد كان لا بد له أن يتذكر وأن ينسى في نفس الوقت، ينسى المسرحية ككل، ويذكر أجزائها، هذه الأجزاء هي التي تجعل عملية البناء تتم الآن وفي حضور الجميع⁹³⁴.

فالمسرح الاحتفالي يرفض كيفية عرض الأحداث في المسرح التقليدي، داخل قاعات تخلق المسافات مع الجمهور، ذلك لأن المسرح الاحتفالي يتمتع بوجود حافز مكاني، فالخشبة الاحتفالية تختلف عن الصالة أو القاعة، بينهما مسافات مكانية وزمانية كبيرة، إنهما عالمان متوازيان، ولكنهما لا يلتقيان، أما بالنسبة للمسرح الاحتفالي فليس

932 نفس المرجع السابق.

933 الغزوي أبو علي، بن المداني ليلة، مرجع سابق.

934 نفس المرجع السابق.

هناك غير عالم واحد، وهو (الآن) ومكان واحد هو (هنا)، إن ما نشاهده لا يمكنه أن ينفصل عنا، إنه صورتنا كما تظهر في المرآة. "وهل يعقل أن يتفرج الإنسان على حياته من غير أن يفعل أي شيء؟ من هنا تتبع ضرورة القول بمعايشة الإبداع، وذلك عوض (التفرج على الإبداع) وعندما نقول بالصمت كتعبير هو الآخر، فالمقصود من صمتنا هذا هو: السكون بل حوارا وحركة"⁹³⁵.

فالمسرح في النظرية الاحتفالية غير مرتبط بمكان له شكل معين، لأنه في نظرها أوسع وأرحب من أن تحده جدران، كما أن قضاياها أيضا، أعقد وأكبر من أن تعبر عنها لغة واحدة هي لغة اللفظ وحده، إن المسرح وهو الحياة في اتساعها وعظمتها لا يمكن أن يكون إلا شاملا وغنيا ومركبا وغامضا مثلها تماما⁹³⁶.

وفيما يتعلق برؤية النظرية للممثل فإنها ترفض أن يصبح لعبة في يد الدور، إذ كلما تخلص الممثل من سلطة الدور والنص إلا وأصبح يدخل اللعبة فيلعبها دون أن تلعب به، وكلما تحقق له ذلك إلا وحصل تجاوب وتواصل بينه وبين الجمهور، والشيء الذي يزيد من قوة هذا التجاوب والتواصل، هو أن هذا الممثل أثناء احتفاله لا ينقل الأحاسيس كما في المسرح الدرامي ولا ينقل الأفكار والأوامر كما في المسرح الملحمي بل يحيي بحضور الآخرين ومشاركتهم تظاهرة شعبية، وذلك من أجل إعادة النظر إلى الواقع، بواسطة عيون جماعية وإحساس جماعي⁹³⁷. ويرى عبد الكريم برشيد أن الممثل الاحتفالي ليس مطالباً باستنساخ ملاحظات المخرج، لأنه لو فعل ذلك، لتحول المسرح إلى "سيرك"⁹³⁸ وأصبح المخرج بالتالي "مروضا لنوع آخر من الحيوانات"⁹³⁹. إن الممثل في المسرح الاحتفالي وجدان و فكر وعضلات، إنه شاعر وعالم وعامل، يشغل وجدانيا وفكريا وعضليا، لهذا وجب إحداث تغييرات أساسية في العلاقة بين الممثل والديكور، هذه العلاقة التي ظلت في المسرح التقليدي متصفة بالسكون والثبات، وجعلت من الممثل والديكور

935 برشيد عبد الكريم، المسرح الاحتفالي، مرجع سابق، ص: 17.

936 برشيد عبد الكريم، المسرح الاحتفالي، مرجع سابق، ص: 89-90.

937 نفس المرجع السابق، ص: 62.

938 نفس المرجع السابق، ص: 120.

939 نفس المرجع السابق.

عالمين منفصلين عن بعضهما يتجاوزان ولا يتجاوزان، ويؤدي كل منهما دورا مميزا، الديكور يعني شيئا أو أشياء والممثل يعرب عن إحساس وقضايا⁹⁴⁰.

إن الشخصية في المنظور الاحتفالي مبنية على أساسين: الاتصال / والانفصال /: الاتصال بالماضي، أي بما هو عام ومشترك، والانفصال في ذات الوقت عن هذا العالم المشترك للبحث عن التميز والتفرد لتجاوز المعطيات الأولية والإفلات من جاذبية القطيع. كما أن النص المسرحي ليس هو المسرحية، بل على العكس من ذلك، إنه مشروع مسرحية أو مسرحية أو مسرحيات متعددة، وقابلة للتطوير والملاءمة باستمرار⁹⁴¹.

ومن أهم النقاط التي تركز عليها الاحتفالية هي ألا يتم الاحتفاظ بالجمهور طوال العرض الاحتفالي على إحساس واحد، أي أن يظل سجين نفسية واحدة، لحالة تبتدئ بسيطة ثم تنتهي مركبة، أو لحالة تنتهي بالفاجعة المرتقبة أو بالحل السعيد، ذلك أن "الخط الذي يسير فيه الحدث في المسرح الاحتفالي هو خط منكسر، الشيء الذي يحرر العمل الإبداعي من الجبرية المزدوجة، جبرية السقوط الفاجع وجبرية الحل السعيد، فلا حل ولا نهاية في المسرح الاحتفالي فالحفل ينتهي وهذا شيء طبيعي ولكن ما يمثله هذا الحفل لا يمكن أن ينتهي"⁹⁴².

وإذا كان في المسرح التقليدي يقال للممثل بشكل جاف اشتغل حتى ولو كان الجمهور أمامك غير موجود، فإن الاحتفالية تقول له: اشتغل دائما وفي ذهنك أنك أمام الجمهور، وأن كل الأزمات مهما اختلفت وتباعدت فلا بد أن النصوص كلها في (الأنا) وأن كل الأمكنة لا بد أن تكون مختصرة (هنا)⁹⁴³.

الفقرة الثانية: تواصل باقي الفاعلين السياسيين

يمكن القول أن التفوق الخطابي لحزب العدالة والتنمية، بسبب ما لاحظناه من متابعات جماهيرية كبيرة لخطب قيادات الحزب خصوصا للأمين العام عبد الإله بنكيران وتحديدًا خلال فترة ولايته الحكومية أو أثناء الحملات

940 نفس المرجع السابق.

941 برشيد عبد الكريم، المسرح الاحتفالي، مرجع سابق، ص: 109-113.

942 نفس المرجع السابق، ص: 71.

943 نفس المرجع السابق.

الانتخابية لسنة 2016، يعود في جزء مهم منه إلى عدم فهم باقي الفاعلين السياسيين وعلى رأسهم الخصوم الحزبيين، لذهنية المتلقي المغربي في تفاعله مع خطاب الفرجة والتشويق بلغة شعبية ودينية.

وفي هذا الصدد اخترنا تحليل عمل نخب حزب الأصالة والمعاصرة، الذي اعتبر الخصم الرئيسي لمشروع وخطاب حزب العدالة والتنمية وللخطاب الإسلامي بشكل واضح. كما أن هذا الاختيار يحكمه حجم الندية السياسية والانتخابية والاعلامية التي رصدها الباحثون في مواجهات الحزبين منذ ترؤس بنكيران للحكومة.

أولاً- حول نشأة ومرجعيات حزب الأصالة والمعاصرة

أنشأ حزب الأصالة والمعاصرة رسمياً بتاريخ 9 غشت 2008 من لدن شخصيات تنتمي إلى "حركة لكل الديمقراطيين"، التي أسسها فؤاد عالي الهمة، سنة 2007، إلى جانب خمسة أحزاب صغيرة وهي الحزب الوطني الديمقراطي، حزب العهد، حزب البيئة والتنمية، رابطة الحريات، وحزب مبادرة المواطنة والتنمية، والتي حلت نفسها بعد قرارها الاندماج في حزب واحد هو الأصالة والمعاصرة⁹⁴⁴، والتي انسحب بعضها منه وأعاد تأسيس ذاته الحزبية من جديد في أسماء مشابهة لأسمائها الأولى. بعدها شارك الحزب في الانتخابات الجماعية لسنة 2009، أي بعد سنة على تأسيسه، و حصل على المرتبة الأولى في هذه الانتخابات ب 6032 مقعداً بنسبة تفوق 21%. وقد تصدر حزب الأصالة والمعاصرة نتائج الانتخابات الجماعية برسم اقتراع رابع شتبر 2015، بحصوله على 6655 مقعداً (بنسبة 21,12 بالمائة)، وشارك في الانتخابات التشريعية لسنة 2011 وحصل على 48 مقعداً ثم في الانتخابات التشريعية لسنة 2016 فحصل على 100 مقعد وجاء في الرتبة الثانية بعد حزب العدالة والتنمية.

تشير الوثيقة المرجعية الفكرية والسياسية للحزب، إلى أنه جاء كاستجابة موضوعية في سياق التحولات التي عرفها المغرب في العشرية الأولى من الألفية الثالثة، والمتمثلة في ضرورة خلق دينامية سياسية مواكبة لمتطلبات وشروط الإصلاحات المهيكلة التي عرفتها البلاد، وبناء على قناعة مشتركة تقاسمها العديد من الفاعلين المنتمين

944 محمد أديب السلاوي، الأحزاب السياسية المغربية 1934. 2014، مطابع الرباط نت المغرب، 2015، ص: 85.

لتجارب وحساسيات مختلفة، بكون النسق السياسي بالمغرب أصبح يشكو من التشتت وضعف الانسجام والفاعلية، والعزوف عن المشاركة السياسية، وبالتالي ضرورة تقديم عرض سياسي مغاير يستجيب في منطلقاته ومراميه إلى طبيعة المرحلة الراهنة، مع ما تحملها من رهانات وتحديات مختلفة⁹⁴⁵.

كان واضحا أن حزب الأصالة والمعاصرة في مرجعيته السياسية والمذهبية، انطلق من مرجعيات رسمية أسستها الدولة ولم تأت من سياق سياسي أو نظري خارج الدولة، ومن أهم هذه المرجعيات تقرير الخمسينية وتوصيات هيئة الإنصاف والمصالحة. كما كان واضحا تأكيد أوراق الحزب وقياداته على التوجه التقدمي والحداثي كعنوان كبير غير مفصل، وأنه يضع نفسه في صف المدافعين على هذه الأفكار، معلنا "انضمامه إلى قيم الحداثة وحقوق الإنسان كما هي متعارف عليها، وقيم المساواة والمواطنة والعدالة الاجتماعية، وتشبثه بأصالة المجتمع المغربي وثقافته المتعددة"⁹⁴⁶. كان من بين أهداف الحزب التي أعلن عنها، هي العمل على عصرنه الدولة ونشر الحريات، وقد صرح فؤاد عالي الهمة، أحد مؤسسي حركة لكل الديمقراطيين وحزب الأصالة والمعاصرة، في حوار صحفي سابق: "ليس هناك سوى مشروعين في الميزان، المشروع الإسلامي بمنطقه وانسجامه ومرجعياته، ثم المشروع الديمقراطي الحداثي، وهذا المشروع لا يمكن أن يحمل من قبل 33 حزبا، لسوف يتشتت (أي المشروع)، ومن ثمة يتعرض للضعف، من هذا المنطلق نحن مع عقلنة المشهد السياسي"⁹⁴⁷.

ولم يخف حزب الأصالة والمعاصرة رغبته في تقليص هوامش تدخل الدين، وما قد يحمله ذلك من معنى يمس أيضا إمامة المؤمنين أو دور العلماء والفقهاء. وبما أن خطاب قيادي حزبي الأصالة والمعاصرة جاء حاملا لقيم الحداثة والتقدمية، فإن قيادات الحزب عبرت بشكل واضح ومتكرر على أن حزبهم جاء لمواجهة الإسلاميين. ومن بين القياديين البارزين الذين أكدوا ذلك هو الأمين العام الأسبق للحزب إلياس العماري، حينما قال إثر انتخابه على رأس

945 الوثيقة المرجعية والفكرية صادق عليها الحزب في مؤتمره الوطني الثالث المنعقد بتاريخ يناير 2016، للاطلاع على الوثيقة على

الرابط: <https://urlz.fr/mIQp>

946 ديباجة النظام الأساسي لحزب الأصالة والمعاصرة الصادر بعد مؤتمرة التأسيسي أيام 20 و21 و22 فبراير 2009

947 حوار أجرته معه مجلة تيل كيل، بالفرنسية، بتاريخ 12 شتنبر 2006.

الحزب: " قلنا مرارا ويقال عنا كذلك أننا جننا لنسهم في مواجهة الإسلاميين ودفاعا عن المسلمين، المغرب بلد مسلم ماشي بلد إسلامي، حنا كندافعوا على الدين ماشي عن الفكر الديني"⁹⁴⁸.

وبذلك تبني حزب الأصالة والمعاصرة موقفا واضحا من التوظيف السياسي للدين، الشيء الذي أكده العماري مرارا في حواراته الصحفية، "انطلاقا من كون الحزب يتخندق في الصف الحداثي الديمقراطي، نسعى إلى تطوير المجتمع في تنافسنا مع المد المحافظ، وهذا المد موجود داخل الدولة وخارج الدولة. وإذا ما أردنا أن نكون حداثيين يجب أن نواجه حتى التيار المحافظ داخل الدولة وليس فقط خارجها، مشكلة العدالة والتنمية متمثلة في مشروع هذا الحزب الذي ما يزال لحدود الآن متشبثا بمواقفه الإيديولوجية"⁹⁴⁹.

وفي نظر العماري الحداثة تقتضي مواجهة الفكر المحافظ أينما وجد، "الإسلاميين لي جينا في مواجهتهم هم الذين لا يؤمنون بالوطن المشترك، وما أكثرهم اليوم، هم لي كيعتبروا راسهم أحسن أمة أخرجت للناس، وما تبقى فهادوك فاسدين زنادقة، هم الناس لي كيفيقوا يوميا وكيكفروا في عباد الله، هم الناس لي كيخرجوا يوميا الفتاوي بشتى الطرق، هم الناس لي عندهم تأسيس مشروع دولة الخلافة إلى غير ذلك من الاجتهادات.. كفاعل سياسي ضد هؤلاء" مضيفا أنهم "ماشي أشباح، التفجيرات لي كتوقع ماشي أشباح، آلاف المغاربة لي في صفوف داعش ماشي أشباح، ولادنا مشاو من هنا شكون لي قراهم؟ شكون لي فتح ليهم عينهم؟ شكون لي مسيفطهم؟ أشمن مدارس فين قراو؟ اشمن كتب لي كانوا كيقراو؟ شكون هي المراجع ديال التطرف؟ واش هادوك المراجع نمشو نقلبو في الأدبيات، واش داعش كتقرا السيد قطب؟ نعم كتقرا السيد قطب.. من يقتسم هذه الإيديولوجيا؟ ماشي مشكلي نبحت عليه، أنا مشكلي نقول Attention حذار، أنا نحاربوا فكريا، أنا نصارعوا سياسيا"⁹⁵⁰.

948 حوار أجرته معه الجريدة الإلكترونية كيفاش تي في التابعة للمجموعة الإعلامية التي تضم كلا من يومية الأحداث المغربية وميد راديو الإذاعة الخاصة، بتاريخ 2016/03/04، للاطلاع على الحوار على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=Qb6Tc4HK'Ek>

949 مقابلة مع وكالة فرانس بريس بتاريخ 23 شتنبر 2016، الرابط: <https://urlz.fr/miQt>

950 حوار على موقع كيفاش تي في التابعة للمجموعة الإعلامية التي تضم كلا من يومية الأحداث المغربية وميد راديو الإذاعة الخاصة، بتاريخ 2016/03/04، انظر المقابلة على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=Qb6'c4HKyEk>

وأكد العماري على أن الحزب واعي بخطورة المشروع الذي يجب التصدي له، من خلال إحداث مؤسسة لتكوين المناضلات والمناضلين، كما أن مواجهة هذا المشروع ينبغي أن يكون من خلال دعم الجانب التشريعي ضد التطرف. وقد تفادى العماري الإشارة بشكل مباشر إلى حزب العدالة والتنمية رغم توجيه الصحفيين الذي يحاورونه في البرنامج. ويبدو أن إلياس العماري وغيره من قيادات الأصالة والمعاصرة تبنوا إلى حد ما نفس لغة المواجهة مع الإسلاميين التي كانت سائدة ما بعد فترة الربيع العربي، لاسيما في مصر وفي تونس وفي إعلام دول خليجية، تنتظر إلى الأحزاب الإسلامية كتكتلة واحدة تنتمي إلى "التنظيم العالمي للإخوان المسلمين" كما قال العماري في أحد تصريحاته، مما يطرح التساؤل عن مدى فهم الأصالة والمعاصرة للتيارات الإسلامية في نسختها المغربية بدون أن يلجأ إلى توصيفات تسود في المشرق العربي، لا يتقاسم معها المغرب سياقات ومنطلقات ومآلات الصراع مع الحركات الإسلامية.

ثانيا- حول نخب حزب الأصالة والمعاصرة

يمكن التمييز بين أربعة أنواع من المنتسبين للحزب⁹⁵¹. النوع الأول هو فئة من منتسبي أحزاب أخرى سابقا، خصوصا في أحزاب يسارية أو تقدمية كما يصفون أنفسهم، والذين يملكون قدرات معرفية لفهم الظواهر السياسية عموما، وهم الذين شكلوا النواة الأولى لحركة لكل الديمقراطيين ومنهم الأمناء العامون السابقون لحزب الأصالة والمعاصرة من بينهم حسن بنعدي، وحكيم بنشماش، وعبد اللطيف وهبي، وإلياس العماري، الذين كان لهم ميول سياسي يساري بقيم اشتراكية تقدمية وحداثية، حسب تقديمهم لأنفسهم، ومنهم من مارس العمل السياسي في أحزاب اليسار الاشتراكي الموحد، والطلبة الديمقراطي الاشتراكي، وعدد منهم كان له مسار وتجربة في العمل النقابي، ومنهم من اشتغل في مجال حقوق الإنسان كالحبيب بلكوش، خديجة الرويسي، وصالح الوديع وغيرهم، والذين عمل الحزب من

951 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي...، مرجع سابق، ص: 178.

خلالهم على محاولة إعطاء صورة إيجابية عن طبيعة وشخصية وتكوين مناضليه، وعن طبيعة عمله المرتبط أيضا بالدفاع عن قضايا حقوق الإنسان.

ثم النوع الثاني المكون من الأعيان الاجتماعيين والاقتصاديين. النوع الثالث يتكون من أطر إدارية وتقنية في القطاع العام أو الخاص تقتقد للتجربة السياسية جاءت بها للحزب نزعات وإغراءات التنخيب الإداري في أعلى مستويات ممارسة المسؤولية داخل المؤسسات والقطاعات العمومية، كمصطفى باكوري الذي كان ضمن أوائل الأطر التكنوقراطيين الذين التحقوا بحركة لكل الديمقراطيين قادمًا من التسيير الإداري الصرف على رأس عدد من المؤسسات الاستراتيجية بالمغرب بعد حصوله على دبلوم الهندسة من إحدى المدارس المتخصصة في تكوين النخب الإدارية في العالم، وهي مدرسة باريس للقناطر والطرق، ليصبح فيما بعد أمينًا عامًا للحزب لولاية واحدة⁹⁵².

الصف الرابع مكون من فئة الشباب الذين كان عدد منهم ضمن احتجاجات 20 فبراير 2011، يبدو أنهم جاؤوا لممارسة الفعل السياسي والارتقاء المجتمعي. وقد يكون هذا الخليط غير المنسجم من نخب الحزب، أحد أسباب أزمة الولادة والهوية التنظيمية والفكرية للتنظيم، وربما أحد أسباب الاختلافات في وجهات النظر وفي طريقة التعامل مع الظاهرة الإسلامية، بشكل موحد ومنسجم ومن منطلق فكري واحد. ويعد تواجد فؤاد عالي الهمة المقرب من القصر، في الحزب عاملاً محددًا ومهماً لالتحاق عدد كبير من الأطر والأعيان بالتنظيم⁹⁵³.

في أحد حواراته التلفزيونية متحدثًا بالعامية المغربية، يقول إلياس العماري أحد أبرز القيايين حينها لحزب الأصالة والمعاصرة والذي تولى سنة 2016 الأمانة العامة للحزب أنه: " في 2009 الحزب رشح كذا وستين ما عمرهم دارو السياسة ونسبة النساء والشباب كانت عالية جدا، الآن (أي خلال الولاية التشريعية الأولى بعد دستور 2011) على 48 برلماني وبرلمانية 38 لم يسبق لهم أن ترشحوا في الانتخابات"⁹⁵⁴.

952 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي...، مرجع سابق.

953 نفس المرجع السابق.

954 حوار لإلياس العماري في برنامج "90 دقيقة للإقناع" على القناة التلفزيونية ميدي1 تي في بتاريخ 2015/10/02، رابط الحلقة على

منصة يوتيوب: [https://m.youtube.com/watch?v=a7lhO"je-B4](https://m.youtube.com/watch?v=a7lhO)

لقد بدا واضحا أن الحزب في بداياته، كان يبحث عن هوية سياسية قوية ومرجعية نظرية يستند إليها، لكن بحثه عن شخصيات لتلعب دور الآلة الانتخابية من أجل الحصول على اقلية عددية برلمانية ومن تم محاصرة حزب الإسلاميين في الساحة الانتخابية، جعله يتخبط إلى حد ما في اختياراته الفكرية، فمرة يصرح قياديه بأن لهم مشروع حدائهم ديمقراطي بدون الكشف عن عمقه الفلسفي، هل هو توجه علماني أم توجه نحو مفهوم الدولة المدنية، وتارة يقولون بأن دورهم هو محاصرة المد الإسلامي في المغرب. بذلك يمكن القول أن الحزب ركز على أداء مهام محددة وهي مواجهة الإسلاميين انتخابيا، ولم يحدد لنفسه أي دور فلسفي عميق.

وانطلاقا من نظرية الدور التي ناقشناها سابقا والفرق بين الدور والمهمة، فإنه في نظرنا حزب "المهام" لا يهتم كثيرا بصناعة مناضلين بنفس سياسي كبير في المواجهات الكبرى، وإنما اهتمامه يكون منصبا على البحث عن منتخبين يشبهون الزبائن إلى حد ما. من هنا يمكن أن نقسم التعامل الحزبي في المغرب إلى قسمين، أحزاب الأدوار الفلسفية والوجودية التي تصنع بالضرورة مناضلين لهم قدرة على الاشتباك والمواجهة والاحتجاج ولهم استعداد للتضحية، يدافعون عن الفكرة كما هو الشأن بالأحزاب اليسارية وتحديدا في فترة الستينيات والسبعينيات حينما حددت لنفسها هدفا وجوديا وأهداف نظرية إنسانية كبيرة، وأحزاب المهام أو الأحزاب التي يسميها البعض أحزاب الدولة أو الأحزاب الإدارية التي ليس لها بعد فلسفي في ممارسة السياسة، وبالتالي هي تتعامل مع الطرف الزمني، لاسيما ببرمجة نفسها على الانتخابات، ومن تم فهي لا تبحث عن مناضلين أقوياء بقدر ما تبحث عما يشبه الزبائن الانتخابية الذين ليس لهم الإيمان الكافي بفكرة الحزب ولا رغبة في تقديم أي تضحيات أو اشتباك اجتماعي مع الخصم، بل إنهم مستعدون للترحال السياسي إلى الحزب الأقوى أو الذي يقدم أحسن عرض في أي انتخابات مستقبلية، فيما يشبه عمليات استقطاب الأعيان إلى السياسة بدون تكوين سياسي أو تدريب على النضال مثلا.

وإذا كانت "ظاهرة استقطاب الأعيان إلى السياسة، وبالضبط إلى الانتخابات، قد بقيت محدودة، فإنها ستأخذ في الاتساع مع انتخابات 1976 المحلية وانتخابات 1977 البرلمانية، غير أن مختلف التحولات التي عرفت الحياة

السياسية، منذ سنة 2011، فتحت الباب على مصراعيه أمام الأعيان لولوج عالم الانتخابات، إذ بقدر ما يستطيعون الفوز في الانتخابات وضمان المقعد الانتخابي، إلا أن علاقتهم بالمنظومة الفكرية للحزب تكون ضعيفة، حيث يسود لديهم في الغالب شعور بأن الحزب هو المدين لهم وليس العكس⁹⁵⁵. ويمكن القول أن حزب الأصالة والمعاصرة وإن كان عمل على استقطاب الأتباع والمتعاطفين، فإنه ظل يفقد لنخب حزبية ذات تجربة سياسية كبيرة، ذلك أن الأعضاء الذين شكلوا النواة الأولى للحزب يبقى عددهم محدودا بالنظر لطبيعة باقي المناضلين الذي يحتاج الحزب عددا كبير منهم لمقارعة أفكار الخصم. في الجهة المقابلة فإن حزب العدالة والتنمية يقول بأنه بنى رصيده من المناضلين من خلال التراكم في الخبرة النضالية المكتسبة من العمل الدعوي والممتدة إلى الفعل السياسي الحزبي، وما رسخته من كاريزما في صفوف قاداته ومناضليه والمتعاطفين معه.

ولعل قادة حزب الأصالة والمعاصرة تنبهوا إلى هذه الثغرات في صفوف المناضلين إذا اعتبرنا أنهم فعلا جاؤوا للنضال من أجل مشروع فكري وسياسي، لأن هذا المزج "الهجين" كما قلنا بين فئات غير منسجمة انعكس بشكل واضح على الأداء السياسي وعلى طبيعة الخطاب السياسي ومضامينه، مما دفع بالحزب إلى تأسيس "أكاديمية حزب الأصالة والمعاصرة" للتكوين والتأهيل السياسي لمناضليه، وفي هذا السياق كان يتم تنظيم دورات تكوينية خاصة للنساء وللشباب، وللمنتخبين، لتأهيلهم على ممارسة العمل السياسي.

الفقرة الثالثة: تواصل قيادة حزب العدالة والتنمية: استراتيجية الاختباء وراء غموض الرموز

كان من اللافت للانتباه لجوء قادة حزب العدالة والتنمية، منذ دخولهم إلى مجال العمل السياسي الشرعي، إلى التراث وإلى التاريخ الإسلاميين وأيضا إلى القرآن والسنة النبوية، لتبرير مواقف سياسية خاصة أثناء الأزمات سواء الداخلية أو الخارجية، في محاولة مزدوجة لتهدئة الداخل الحزبي باستعمال لغة دينية ذات سلطة معنوية على المنتسبين

955 عبد العزيز قراقي، أستاذ العلوم السياسية بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، في حوار صحفي مع وكالة المغرب العربي للأنباء بتاريخ 2021/08/17.

للتنظيم بالنظر إلى تكوينهم الفقهي من جهة، ثم من أجل التبرير لعموم المغاربة أن القيادة لاتزال متشبثة بالمرجعية الإسلامية كسند وحيد لتفسير القرار السياسي. مما يطرح التساؤل حول معايير استدعاء التاريخ الإسلامي واستعمال سيرة الرسول بهذا الشكل، هل من أجل تبرير ضعف سياسي في سبيل تحقيق مكاسب سياسية آنية وصرفة؟ هل من أجل ممارسة وصاية سياسية على أعضاء الحزب وإسكات كل الأصوات المعارضة وبالتالي استعمال لغة دينية ذات حمولة سلطوية؟ إلى جانب هذا اللجوء إلى اللغة الدينية فإن قادة الحزب يستهلكون بشكل ملحوظ نشاطا "ترميزيا" في خطابهم، وذلك من أجل كسب مشروعية سياسية ونزعها عن خصومهم. سنحاول في الفقرات الموالية إظهار كثافة الترميز في خطاب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية عبد الإله بنكيران، وقبل ذلك سنحاول التعريف بالخطاب الرمزي وبأدائه السياسي.

أولا- موقع الرموز في الصراعات السياسية

يلجأ السياسيون إلى الاستثمار في الإيماءات والخطابات وبتبني سياسة رمزية لإرضاء الجماهير، في الصراع حول اختيار الحقيقي أو الرمزي. فجوهر نشاط السياسي يكمن بالأساس في التواصل، في التحدث وإرسال الرسائل لكن "هل للكلمات نفس الواقع مثل الحقائق الاقتصادية أو الاجتماعية؟"⁹⁵⁶. فاللغة المستعملة قد تحمل تعارضا بين الكلمات وبين الأفعال ومن تم يخلق التمييز بين الفعل الحقيقي والفعل الرمزي. فالفعل الرمزي "مرتبط بشكل غامض بفكرة الظهور دون تناسق حقيقي"، وبالتالي فقد يتم الزج بالرمزي في سياقات الهامشي أو التافه⁹⁵⁷ insignificant.

وبخصوص الرمز فإنه لا يمكن تعريفه بسهولة ودقة، وإن كانت الاستخدامات سهلة إلى حد ما فهي خالية من الدقة العلمية، وينبغي أن نأخذ في الاعتبار حقيقة أن مصطلح رمزية، له معاني مختلفة حسب الحقل المعرفي،

956 Philippe Braud, Sociologie politique, Op. Cité. P: 42:59.

957 Ibidem.

يستخدمه تاريخ الفن والتحليل النفسي واللغويات وعلم اللغة بمعان لا تنتمي إلى الأنثروبولوجيا أو علم الاجتماع أو العلوم السياسية، لذلك من الضروري تحديد تعريف يثبت فعاليته في العلوم الاجتماعية⁹⁵⁸.

ويبدو أن النشاط الرمزي، هو خاصية بشرية مرتبطة بشكل وثيق بالاتصال بين الأفراد، وبالتالي بتبادل الإشارات. من وجهة نظر لغوية بحتة، عرّف فرديناند دو سوسير العلامة على أنها ارتباط "تعسفي" للدال والمدلول. إن ما يميز العلامة عن الرمز على الفور، من منظور سوسوري، هو أن هذا الأخير لم يتم اختياره بطريقة عشوائية تمامًا: هناك "بدائية لعلاقة طبيعية بين الدال والمدلول. فالشمس مثلًا ترمز إلى عظمة القوة، ويرمز السيف والميزان إلى العدل أو قوة القانون"⁹⁵⁹.

مع إدوارد سابير، يتم التمييز بين الرمز المرجعي ورمز الكثافة condensation، الذي يكشف عن نفسه من خلال إضافة حمولة زائدة من المعنى إلى العلاقة الدالة / المدللة. وبهذا، فهو يقصد أنظمة المعاني المكتسبة التي تتجذر في اللاوعي وتشحن بأنواع السلوك العاطفية، المواقف التي لا يبدو أنها تحافظ على أدنى علاقة بالمعنى". فيتأثر الرمز الأصلي بالحمولة الزائدة للمعنى التي تتكشف في اتجاه مزدوج. على المستوى المعرفي إنه يستجيب للحاجة إلى تسهيل التواصل الاجتماعي من خلال تكثيف وتجميع معاني متعددة، في دال لا يمكن فهمه إلا بالتعلم والتدريب. إن المعرفة والمعتقدات المشتركة هي التي تسمح للرموز بأن تكون بمثابة أدوات للتواصل داخل نفس المجموعة، أو علامات الهوية بين المجموعات ذات الرموز المختلفة. وهكذا يستحضر الصليب، بالنسبة للمسيحيين، تاريخًا وذاكرة خاصة بهم، بينما يُنظر إليه على أنه شعار جماعة أجنبية عن الدين من قبل المسلمين أو اليهود مثلًا، ومع ذلك فإن تكثيف المعاني والمعلومات حول أي رمز لا يُنظر إليه على أنه رأس مال / معرفة غامضة يمكن دمجها فيه: إنه يملك معنى فقط في العلاقة مع المتلقين له⁹⁶⁰.

958 Philippe Braud, Sociologie politique, Op. Cité.

959 Ibidem.

960 Ibidem.

تتميز الرموز المؤثرة اجتماعيًا بخاصية حشد الانتباه بغية خلق سلوك سياسي عاطفي، وإثارة الآراء والمواقف والسلوكيات المتعلقة بالمشاعر كالمحبة أو الكراهية أو الإغواء أو النفور. لذلك تكون هناك رمزية حيث توجد القدرة على إثارة توقعات عاطفية إيجابية أو سلبية يمكن تحديدها في الوسطاء الاجتماعيين⁹⁶¹.

ويمكن للرموز أن تكون متنوعة في طبيعتها فيتم استثمار الأسماء والأشياء عاطفيًا بارتباط بالذاكرة. و يمكن أن تكون هذه الرموز أيضًا مفاهيم وكلمات رئيسية وروايات تنتج أنظمة معقدة من التمثيلات الذهنية التي تؤسس "قناعات مشتركة" في العقلية. وقد يتم اللجوء إلى رموز من التراث ومن الماضي باعتبارها حاملة رسائل للحاضر، وأن استدعاء دائم للذاكرة هو انعكاس لصدى المواجهات السياسية الحالية. من الواضح أنه ليس من الحياد أن يلجأ بنكيران مثلاً إلى قصص من الماضي أو حكايات لوقائع تاريخية أو إلى أسماء حيوانات معينة وغيرها⁹⁶²، وإنما يفترض أن له غاية سياسية معينة من وراء ذلك.

وتعتبر الرموز الأكثر فعالية هي تلك التي تنجح في تشكيل الهويات الجماعية التي تعتبر ثابتة، فإنها بذلك تساهم في تعبئة فعالة بشكل خاص لتنفيذ التضامن النشط. هذا هو الحال في كثير من الأحيان مع الشعور بالانتماء الديني، عندما يتم استثماره بشكل مفرط بفضل تفاقم الخطب السياسية ذات العمق الديني. ويرى فيليب برود أن "ظهور جيوش المواطنين في نهاية القرن التاسع عشر افترض أيضًا عملاً رمزيًا مكثفًا حول هذا الشكل من تدهور الهوية، من أجل تحويل المواطنين إلى جنود مستعدين للتضحية العظمى"⁹⁶³. و يتمثل أحد الأبعاد الأساسية للفعالية الرمزية هي القدرة على فرض التصنيفات وتحديد القضايا التي تشكل حدود التجمعات السياسية، فهي تسمح بصياغة "القضايا

961 Philippe Braud, Sociologie politique, Op. Cité..

962 Ibidem.

963 Ibidem.

الكبرى" التي يمكن للناشطين والمتعاطفين التعرف عليها، إلى التمييز في العصور الوسطى بين رجال الدين والعلمانيين، وفي داخلهم بين النبلاء والعامّة، الذين يتوافقون مع تعريف القضايا الرئيسية للنضالات السياسية⁹⁶⁴. ويتم اللجوء إلى الرموز ضد الجهات التي يعتبرها حزب العدالة والتنمية مسؤولة عن وضعه كضحية "للتحكم والسلطوية"، ومسؤولة عن مواقف سياسية أقصته أو تحاول اقصاءه من تشارك السلطة والقرار العمومي، ومن هذا التحديد للجهات المسؤولة "تأتي النضالات الرمزية من أجل إخفاء أو على العكس من ذلك الحفاظ على الذاكرة"، وأيضاً من أجل تفادي "قراغات" التاريخ بغية رفض نسيان الأحداث التي وقعت لقياديي الحزب في الماضي، بغية هيكله الذاكرة للحفاظ على الصلة بين الماضي والحاضر وبين أحكام القيمة بشأن ما يجب أن يظل موضع احترام أو موضع رفض وانتقاد. ومن بين أبعاد الرمزية في النشاط السياسي هو ممارسة بعض "الخدع الثانوية" أو أقل مهارة، مما يخلق "أوهاماً" أكثر أو أقل، تم تشكيلها لتحقيق الأهداف الأكثر واقعية لممارسة الهيمنة والقوة⁹⁶⁵.

ثانياً - البنية اللغوية للخطاب الديني لقياديي حزب العدالة والتنمية: لغة سلطوية مضمرة

يقول جاسم سلطان أنه "حين يدور الحديث عن الدولة المدنية والمساواة المشروطة بين المواطنين كاستحقاق إنساني أكدته ثقافة العصر التي ولدتها رحلة الإنسان وارتقاؤه عبر العصور، تثور قضية الهوية، أين نحن، أين ديننا، أين عربتنا، أين شريعتنا.."⁹⁶⁶ ويرى سلطان أن مبرر "المسلم المعاصر الخائف" من دولة المواطنة لا يتأسس على فكرة مراعاة خصوصيته الثقافية والدينية وإيجاد آلية تحفظ له ذلك مساواة مع بقية الهويات، ولكنه لا ينطلق من فكرة التعاقد مع المجتمع أو من منطلق مبدأ المساواة بل يبني تصوره على التمييز على الآخرين، لأنه مسلم، وبالتالي فهو لا

964 Philippe Braud, Sociologie politique, Op. Cité..

965 Ibidem.

966 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 107.

ينطلق من فكرة المحافظة على الهوية وإنما من فكرة هيمنة الهوية⁹⁶⁷، مما ينتج عنه توجهها متطرفا بين المنتسبين للفكرة.

يقول سعيد بنكراد⁹⁶⁸ أن المحددات التي تحكمت في الحملات الانتخابية لحزب العدالة والتنمية، تتجلى في ممارسة خطاب سياسي مبني على الانفعالات كأداء للإغراء والتضليل، لدفع المتلقي إلى الانخراط في "حقيقة" تُبنى ضمن قناعات المتكلم وليس استنادا إلى واقع فعلي. فالسياسي في نظر بنكراد غير معني دائما بالحقيقة في ذاتها، بل يهتم بما يمكن أن يقود إلى انخراط المتلقي في المنطق الذي يتحكم في سيرورة تشكيلها". وهذا معناه حسب بنكراد "أن الحقائق" في الخطاب السياسي تتأسس ضمن دائرة انفعالية تتضمن كل ما "يُحمّس" و"يُحرض" و"يعبئ" و"يُحسس" و"يشجب" و"يُدين". وبذلك فالحزب يوجه الحقيقة ضمن الخطاب السياسي إلى عوالم قيمية ليست من السياسة ولا تُصنف ضمن دوائرها. فقد استعمل حزب العدالة والتنمية لغة "جديدة" لا تهتم بوصف المشهد السياسي، وإنما تتأسس على حكم ديني مسبق مستوحى من مفاهيم "العقيدة" و "الإيمان" و "الكفر" و "الهوية"، أي ما يرتبط ب "الأخلاق العامة" التي تشمل تفاصيل حياة الناس من سلوك ولباس ومراقبة المقررات والأفلام والمهرجانات والبرامج التلفزيونية⁹⁶⁹.

يقول بنكراد أن الحزب اعتمد على استراتيجية تواصلية على تربط عملية الإقناع "بكمّ انفعالي" داخل الخطاب السياسي باستعمال لغة ذات قصد محدد مثل كلمات الامتحان والبلاء والخوف وطريقة تصنيف فئات الشعب، والاستعداد للموت في سبيل الله، الشهادة وغيرها. كنا ترافق هذه اللغة واجهة خارجية تمثلها حركات الذات المتكلمة وجسدها كلجوء عبد الإله بنكيران مثلا إلى البكاء أو إلى الضحك و القهقهة بغية خلف صورة متوازنة موازنة بين شخصية الخطيب الواعظ بخلفيته القيمية، وبين شخصية الفرد العادي. وقد حددت هذه اللغة حسب بنكراد "طبيعة فعله

967 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 108.

968 سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران. "أخبار اليوم" عدد 21116- بتاريخ 23 أكتوبر 2016.

969 نفس المرجع السابق.

السياسي، كما حددت جزءا من طريقة إدارته لكل أشكال تواصله مع "الشعب". سعى بنكيران إلى عدم تقييد خطابه بالمفاهيم السياسية واهتم بما يقود إلى بناء تواصله على المرجعية التي يعيشها الناس أي المرجعية الإسلامية، واستبدل هذه المفاهيم بقاموس سياسي مستحدث استطاع من خلاله أن يستوعب "الحالة السياسية" ضمن "حدود" جديدة غير تلك المتعارف عليها في الأدبيات السياسية والتصنيفات الاجتماعية⁹⁷⁰.

يقول بنكراد إن حزب العدالة والتنمية "جاء إلى السياسة من خارج الإيديولوجيا بمفهومها السياسي المباشر، وجاءها من خارج التاريخ السياسي للمغرب أيضا. وكان بذلك شبيها بكل الكيانات التي لم تُقرزها حاجات الشعب الوطنية أو الطبقية، ومع ذلك استطاع أن يثبت هويته ضمن سياقات أخرى تستمد مضمونها من المرجعية العامة التي يعلن أنه التعبير عنها. فضمن التقاطبية الجديدة كان كل شيء يميل لصالح العدالة والتنمية: فالأصالة والمعاصرة "حدثي" في اللغة وحدها، ولكن لا هوية له في السياسة: أما العدالة والتنمية فحافظ في اللغة، ولكنه "شعبي" في السياسة⁹⁷¹.

يعتبر بنكراد أن حزب الأصالة والمعاصرة لا تاريخ له، فحاول أن يصنع تاريخا ضمن تاريخ السلطة نفسها، وأيضا حزب العدالة والتنمية لا تاريخ له، غير أنه بإعلان انتماءه إلى المرجعية الإسلامية فقد تجاوز بذلك امتدادات التاريخ الوطني للشعب، ووضع هذا التاريخ الوطني ضمن تاريخ "الأمة" كله، بما يعني ذلك من لجوء لكل رمزية في هذا التاريخ في الأسماء والوقائع والبعد السردي. وفي هذا المستوى الرمزي لفظ وصورة "الجرار" الذي اختاره حزب الأصالة والمعاصرة كرمز انتخابي وسياسي لا تعني عند الناس أي شيء، فالمحراث التقليدي أقوى رمزية من الجرار في ذاكرة الناس. فالأول إفران للجهد البشري من أجل ترويض الطبيعة، وبذلك فإنه يشير إلى ارتباط الإنسان المباشر بالأرض؛ أما الثاني فكيان مستحدث ومستورد ويشير إلى الهوية التي تفصل العامل في الأرض عن الفلاح الحقيقي⁹⁷².

970 سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران، مرجع سابق.

971 نفس المرجع السابق.

972 نفس المرجع السابق.

كما استعمل حزب العدالة والتنمية رمز المصباح الذي يشير لفظا وصورة، في الذاكرة الإنسانية إلى معاني الإيمان والهداية والدعوة إلى اتباع الطريق القويم، فهو منبع للنور نقيض الظلمة والعممة والجهل، كما يقول بنكراد، وأن الحزب يحمل هذا النور الذي يهدي مجتمعا يعيش في " ظلام الظلم والفساد"، وجاء لينشر العدل.⁹⁷³

وتميزت التجمعات التي كان يخطب فيها بنكيران بعدم عرض أو تقديم برنامج سياسات عمومية، بل كانت تشكل فضاءً سياسيا يجمع بينه وبين "حشود" ولحظة تواصلية تنتظر ما سيصدر عن "الزعيم"، فأشركها في نظرتة الخاصة لمفهوم "التحكم"، وفي صراعه مع خصومه السياسيين، وكان "يُصر على إدراج معتقداته وأفكاره وتصوراتة ضمن قصة يستمدّها من معاناة فئات بعينها، أو من الموروث الديني، فتصبح هذه القصة، بمنطق المُحتمل السردى وحده، جزءا من التاريخ العام للأمة، ويصبح هو بطلها الرئيس"⁹⁷⁴. لذلك تفادى بنكيران في خطبه الحديث عن تاريخ مشاركات حزبه الفعلية، في المعارك التي خاضها الشعب المغربي دفاعا عن كرامته وحقوقه السياسية التي عرفت مواجهات دامية مع السلطة خلال مظاهرات الثمانينيات مثلا، وكان يحول الأنظار عن ذلك إلى استحضار زما دينيا قادرا على استيعاب كل التواريخ الممكنة. لقد وضع بنكيران مشهدا يعطي انطباع بوجود حالة تماهٍ كلي بينه وبين الحزب ذو المرجعية الإسلامية، واستعمال في خطبه ما يكفي من الكلمات والإحالات الضمنية لتوجيه العواطف إلى الذاكرة الدينية الجماعية، وقدم نفسه للناس باعتباره زعيما "معزولا" يواجه كل الناس وحيدا: "خوكم هذي خمس سنين وهما يحاربوني يمينا وشمالا ولكن الله معاوونى عليهم"، "عطيووني صوتكم وخليووني معهم"، بذلك يختار بنكيران الفئة المستهدفة لدعمه والتصويت عليه وعلى حزبه بلغة يمكن أن يكون لها وقع عند "الفقراء" والبسطاء⁹⁷⁵. فأن يكون "الله مُعَاوَنُو عُليهم" معناه أن الله معه وحده، وبالتالي سيكون ضد الآخرين جميعا. وأن يكون كل السياسيين يمينا ويسارا ضده، معناه أنه يملك حقيقة يخاف منها هؤلاء جميعا⁹⁷⁶.

973 سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران، مرجع سابق.

974 نفس المرجع السابق.

975 نفس المرجع السابق.

976 نفس المرجع السابق.

اعتمد بنكيران في هذه الاستراتيجية على مخاطبة جمهوره من الفقراء: "اليتامى" و"الأرامل" و"المطلقات" و"اللي ما فحالوش"، ومن خلال هؤلاء يوجه رسالته إلى كل المهمشين بأنهم معنيون ببرنامجهم أو بأثارة على أنفسهم، وأن المتحدث يعرفهم وهو واحد منهم: "يدنا نظيفة، حُنيْنَا على المساكين والفقراء، وساعدنا المقاول، وأنقذنا ميزانية البلاد"⁹⁷⁷. لكن السؤال الذي يطرحه بعض الباحثين في الظاهرة الإسلامية، هو أنه كيف يمكن فهم وقبول التوفيق بين خطاب اقتصادي نيو ليبرالي ينتج بعض الإسلاميين وبين الدفاع عن الطبقات الاجتماعية الشعبية البسيطة؟⁹⁷⁸ فهي قواميس اقتصادية واجتماعية تبدو إلى حد بعيد متناقضة، فيتم تطويعها من خلال النص التراثي والخطاب الديني بالحديث عن المستضعفين مثلاً أو من خلال العمل على المتغير الهوياتي⁹⁷⁹، لكن بدون خيط فكري ناظم بينها. يقول بنكراد أن هذه هي أهم عناصر قوة بنكيران "الضاربة" في الخطاب، لأن ما تحيل عليه وظائف "العامل" و"الفلاح" و"الأستاذ" و"المعلم" و"الطبيب" و"الممرض"، هي وظائف "محايدة" في الدولة تحدد مواقع ضمن شبكة تبادل اجتماعي، ولا يثير عند المتلقي أي إحساس، في حين لا تحسب مصطلحات الفقير والمهمش والضعيف والمستضعف على وظيفة، وإنما على "إحساس"، وعلى "حالة اجتماعية" فيها الكثير من المآسي والغبن والعوز، وتتضمن شحنات انفعالية مضافة، وهي الأحاسيس ذاتها التي تحرك الكثير من الناس. فبنكيران لا يتحدث عن طبقة أو فئة اجتماعية لها مطالب اجتماعية معينة، بل يتوجه إلى الفئات المستهدفة فمجموعات "طردت" من التطور ومن قيم التوزيع العادل للثروات، فولد عندهم الشعور بالغبن والقهر والحكرة⁹⁸⁰. غير أن مقابل أصواتهم لا يقدم بنكيران أي مقترحات حلول اجتماعية واقتصادية لمشاكلهم، وكأنه يعتبرهم فقط حشوداً للتصويت عندما يؤكد بنكيران: "عطيوني صوتكم وخليوني ليهم"، "وأنا متأثر ما تزيدونيش". يقول بنكراد إن الحزب لا يناضل من أجل مشروع سياسي، فهو بحكم الانتماء

977 سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران، مرجع سابق.

978 Nicolas Dot-Pouillard, "L'islamisme et les insurrections arabes au prisme de la variable identitaire", in La Dispute, 2013, pp.422. Lien: <https://shs.hal.science/halshs-00911643/document>

979 Ibid.

980 سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران، مرجع سابق.

العقدي، يسعى إلى استعادة حقيقة في التاريخ ضيعها الضالون أو يريدون تضييعها. لذلك فهو لا يطلب منهم وعيا سياسيا، ولا يطلب منهم نمو في الحس الحضاري، ولا يقترح عليهم مشروعا تربويا، ولا يطلب منهم الانخراط في معركة تعيد توزيع الفضاء الاجتماعي ضمن وظائف في المجتمع المنتج لا الهامشي؛ إنه يطلب منهم فقط أن يعطوه صوتهم، وقال: "أيها المغاربة أنتم في امتحان، اعطوني أصواتكم وخليوني مني ليهم"، "إياكم ثم إياكم تقاوا جالسين فديورك يوم سابع أكتوبر دافعوا عن أنفسكم وعن بلادكم، بغيت نشوف في مكاتب التصويت الصف والناس ما خايفاش عطوني صوتكم وخليوني ليهم أحزاب المعقول معروفة والعدالة والتنمية يمثل أمل المجتمع". من جهة أخرى لا تمثل هذه الحشود نفسها، فهم مازالوا خائفين ويبحثون عن من يمثلهم: "من ذا الذي يخيف المغاربة ويمنعهم من التصويت؟". ويقول بنكيران أنه في بلاء، "كل يوم خلال عمر هذه الحكومة كان ابتلاء"، مرددا ما قاله الخليفة عمر بن عبد العزيز حين "اعتبر الخلافة بلاء". يقدم بنكيران نفسه زاهدت في السلطة، بل هي التي أتت إليه، إنها ليست ممارسة في الواقع، بل حمل ثقيل في التاريخ والعقيدة⁹⁸¹.

ويرى بنكراد أن هذه الاستراتيجية لا يوجد فيها رابط ممكن وعقلاني بين "سبب" و"نتيجة": "أحفزكم على الفعل فتفعلون، بل يوجد في السياق التواصلية كله، أي في قدرة الكلمات على استثارة حقائق من التاريخ قد يكون العقل نسيها أو تناسها، ولكن الوجدان لا يزال يرى فيها خلاصا ممكنا من كل شرور الدنيا. وبذلك، فإن الحزب يتوفر على ما يكفي من هذه السياقات الكامنة، ونجاحه في الانتخابات يعود، في جزء منه على الأقل، إلى أنه عرف كيف يضمناها حاجات من الواقع"⁹⁸².

إن الحركات الإسلامية عموما ليست مجرد أطراف سياسية فاعلة، وإنما هي تنظيمات دينية ألزمت نفسها بنشر مجموعة من المعتقدات والممارسات في جانب التدين والسلوك الديني عن طريق الدعوة. وكونها منظمات دينية، فهي تميل أكثر إلى استخدام اللغة المتسلطة الجامدة للخطيب، وتركز على القضايا الأخلاقية الخاصة بالخير والشر والتي

981 سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران، مرجع سابق.

982 نفس المرجع السابق.

لا تقبل الخلط أو المزايدات الديمقراطية⁹⁸³. وقد أثبتت شعارات مثل "الإسلام هو الحل" و"القرآن دستورنا" فعاليتها في تعبئة شرائح واسعة من الشعوب العربية. ويضع ذلك الحركات الإسلامية في مأزق، فحتى تصبح هذه الحركات من الأطراف السياسية المؤثرة، فهي تحتاج إلى التحلي بالمرونة والبراغماتية، كما يشدد المعتدلون داخلها. إلا أن البراغماتية قد تعزل هذه الحركات عن قواعدها الشعبية التي تستجيب لرسالة النقاء الديني والأخلاق، فتعمد استعمال الغموض يقدم لهذه الحركات مخرجا من تلك المعضلة⁹⁸⁴.

ثالثا - استعمال النكتة والطرفة والرموز: الخطاب المضمّر في تواصل قادة العدالة والتنمية

تعرف الطرفة أو الحكاية عموما بكونها نوع شائع من القصص التي لم تلفت الانتباه البحثي كثيرا إليها، ربما بسبب الافتقار إلى المصدقية. وكثيرا ما نقول "إنها فقط قصة"، أو "إنها حكاية فقط"، للتعبير عن عدم جدية خلاصتها أو مضمونها في سياق التخاطب⁹⁸⁵.

النكتة "بنت منتجها ونتاج ثقافته وحصيلة معارفه ودرجة وعيه وهي موقف حياتي ذو صبغة لغوية جمالية محببة وعمل فكري متطور يركز على المنطق باستدلالاته واستقراءاته واستنتاجاته مع الأخذ بعين الاعتبار متطلبات المتلقي ورغباته". وهناك من الباحثين من رأى أن النكتة هي أسطورة مكتملة الأركان بما لها من مناسبة مرتبطة بعصرها ومسايرة لأحداثه، وبقدرتها على استثمار تكنولوجيا العصر وتقنياته. والأسطورة في أحد تعريفاتها البسيطة هي: "حكاية مجهولة المؤلف، تتحدث عن الأصل والعلة والقدر، يفسر بها المجتمع ظواهر الكون والإنسان تفسيراً لا يخلو من نزعة تربوية تعليمية، وهي الجزء الكلامي المصاحب للطقوس البدائية"⁹⁸⁶

983 نيثان. ج. براون، عمرو حمزاوي، ومارينا أوتاوي، الحركات الإسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي: استكشاف المناطق الرمادية، أوراق كارنجي، مرجع سابق.
984 نفس المرجع السابق.

985 Karine Abiven, "Un genre de discours miniature : pour un modèle de l'anecdote", in Pratiques linguistique, littérature, didactique, Centre de recherche sur les médiations (CREM), OpenEdition Journals, 1 juin 2013, P: 119-132. Lien: <https://journals.openedition.org/pratiques/3744> ; <https://doi.org/10.4000/pratiques.3744>

986 كمال راغب الجابي، "النكتة صناعة، ورواية، ورسالة"، مجلة المعرفة، العدد 468، دمشق، شتنبر 2002، ص: 274.

وترتبط النكتة بالضحك وهو "ضرب من المناعة النفسية التي تحول بيننا وبين التأثر بما يعرض للغير من نكات بسيطة، مما نشهده حولنا باستمرار، فنجد أنفسنا مضطرين (باعتبارنا كائنات اجتماعية) إلى ان نأخذ بقسط منه، ومعنى هذا أن الضحك استجابة للألم لا للسرور، نظرا لأن مفتاحه هو المواقف التي تسبب لنا الضيق أو الكرب أو الألم إن لم نضحك".

والنكتة من حيث وظيفتها هي: "خطاب موجه من المرسل إلى مرسل إليه في مقام معين، والغاية منها حمل المتلقي على الضحك وتنشيط الذهن إذا مل الجد وإطلاق الفرح الذي يدفع إلى التشويق وغسل النفس من الملل وربما تتطوي ضمنا على حكم معني له غاية تستشف من المقام"⁹⁸⁷.

تتميز النكتة بكونها مجهولة المؤلف كالأسطورة⁹⁸⁸ وبالتالي فهي بلا حقوق ملكية فكرية، لأنها في حالة إنتاج دائم، وتغيير لفظي متعدد ومستمر فالمرويات قابلة لصيغ متعددة حسب السياقات الزمانية و المكانية⁹⁸⁹. وتمارس النكتة وظيفة أساسية متعلقة بجانب التسلية والإمتاع⁹⁹⁰ وهو الظاهر من النكتة حين يتلقاها الإنسان للوهلة الأولى، دون النظر لمضمونها وما تطرحه من عناصر بناء، وهنا يكمن الغشاء الأول على الخطاب المضمرة والفكرة الأعمق فيها، التي ستكشف بعد التأمل في المساحات المظلمة وراء الكلمات والشخصيات، وبذلك فهناك معنى خفي مقصود بعيد داخل عمق النكتة.

تتعلق كثير من النكت من مثير حكائي يكاد يمثل لازمة فنية من لوازم النكتة⁹⁹¹، بمثابة فواتح للسرد واستهلالات للحكاية، وفيما يتسع نطاق الحكي في الأسطورة تضيق المساحة في النكتة مستجيبة لمتطلباتها الفنية ومقوماتها الجمالية إضافة إلى الفارق الزمني والعصري بين الاثنين. فزمن الأسطورة ممتد متسع لم تكن مشاغل الناس

987 منال محمد هشام نجار، "النكتة قراءة مقامية براجماتية"، مجلة أفنان، النادي الأدبي، تبوك، العدد 21، أبريل 2013، ص: 48.

988 عبد الله الشاهر، "ماهية الأسطورة وطبيعتها"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، مجلد 43، عدد 517، ص: 17.

989 الضبع مصطفى، النكتة: "أسطورة العصر الحديث، دراسة في الجينات والتشكل والدلالة"، مجلة الانطولوجيا، بتاريخ 10 يونيو

2020، رابط الدراسة: <https://alantologia.com/blogs/31188/>

990 ولد القابلة إدريس، "في النكتة السياسية"، ديوان العرب، بتاريخ 28 شتنبر 2008، الرابط: <https://urlz.fr/mPHm>

991 الضبع مصطفى، النكتة: "أسطورة العصر الحديث، مرجع سابق.

قد اتسعت فيه كما تفرضه ظروف العصر الآن، فيما تأتي النكتة استجابة لزمناها الموسوم بالسرعة، وهو ما ينعكس على مساحات السرد. يتعدد الأشخاص في الأسطورة القديمة في مقابل تأثير عصر السرعة على الأسطورة الحديثة (النكتة) لتصبح نصا سريع الإيقاع ممتد التأثير بما يقارب به لحظة عصرية لها ظروفها ولها ملايسات أحداثها، وهو ما يمنح النكتة قدرتها على الانتشار عبر اختزال جوانبها الأسطورية في نص صغير الحجم هو في حد ذاته أسطورة شكلية الطابع⁹⁹².

تقوم النكتة على مسألة التناص مع أحداث الواقع ووقائع الحياة المعيشة تفاعلا مع النشاط اليومي للمجتمع، وتعليقا على مرئيات اللحظة التاريخية، فكل الأحداث قابلة لأن تندرج في سياق النكتة، وكل الوقائع تجد صداها في نكتة لها طبيعتها الإعلامية. ويرى بعض الباحثين أن للنكتة خمس وظائف أساسية⁹⁹³ وهي:

- 1- الوظيفة التفسيرية: أي تفسير الواقع وأحداثه من منظور المنتج.
- 2- الوظيفة التعبيرية: تعبر النكتة عن رأي جماعة بشرية تجاه شخص ما أو نظام ما أو حدث ما مما يجعلها وسيلة دامغة لتفسير الوقائع وفق رؤية من يمتلك رؤية ليست متاحة للجميع، ويجعلها بمثابة الخطاب الأكثر وعيا من وعي الخطاب السياسي التي تكون تعليقا عليه أو تفسيراً له.
- 2- الوظيفة الدفاعية: النكتة وسيلة دفاعية تعتمد على الشعوب لتدفع عن نفسها الجهل ولادعاء المعرفة.

- 4- وظيفة جلد الذات: قد تستعمل الشعوب النكتة لمعاينة نفسها والسخرية منها، أو لمعاينة حكامها، فالجماعات البشرية "التي تعيش في بجموحة تمارس الضحك كفعل، أما المجموعات التي تعيش في

992 الضبع مصطفى، النكتة: "أسطورة العصر الحديث، مرجع سابق.

993 نفس المرجع السابق.

عوز فإنها تمارسه كرد فعل، والبجوحة لا تعني الكفاية المادية فقط وإنما تعني إضافة إليها توفير حد مقبول من مستلزمات الكرامة الإنسانية⁹⁹⁴.

5- **وظيفة الانتشار:** تنتج النكتة بغاية اختراق الدوائر المختلفة للثقافة الإنسانية، ولقد نجحت الأسطورة قديما في الانتشار محققة البقاء، ونجحت النكتة حديثا في الانتشار الأسرع والأوسع محققة الهدف نفسه.

للنكتة بنية لغوية معقدة وأحيانا متناقضة لبناء قول يثير الدهشة والتعجب والضحك، ولها عدة مسميات كالطرافة، وجاء في لسان العرب: "شيء طريف: طيب غريب.. واستطرف الشيء، أي: عدّه طريفاً، والنادرة هي: الخبر القصير أو الأقصوصة التي لا تطول إلى درجة الحكاية الهزلية ولا تقصر إلى النكتة والتي تضحك".

ظلت النكتة حاضرة عبر الأزمنة في حياة الشعوب، وقد تكون أحيانا تعبيراً فنياً ساخرًا عن الظروف الاجتماعية والسياسية، لتلبية الحاجة إلى التنفيس عن الهموم، وتكاثرت فصار لها مكانة في الأدب وفي المجتمع، وفي حياة الفرد يطل منها الإنسان على فضاء رحب من بهجة النفس، حيث أشكال الضحك ودرجاته هي الاستجابة المباشرة ودون عناء فكر لما يرويه هذا الأدب: أدب النكتة⁹⁹⁵.

والنكتة في الأدب يقابلها الرسم الكاريكاتيري⁹⁹⁶ الذي يحمل رسائل مختلفة، منها الساخرة وغير الساخرة. والصورة المرسومة تكون بألف كلمة للتعبير عن فكرة سياسية معينة. ويتميز أدب النكتة عن بقية أشكال الأدب أن كلماتها بحد ذاتها لا تحمل المعنى أو المغزى المقصود، بل إن تلك الكلمات تحفز الذهن لاستقراء المعنى المقصود من صاحب النكتة، وهكذا يوصل أديب النكتة، المُنكِّت، الرسالة التي يقصدها إلى ذهن القارئ أو المستمع.

994 الضبع مصطفى، النكتة: "أسطورة العصر الحديث، مرجع سابق.

995 ولد القابلة إدريس، "في النكتة السياسية"، مرجع سابق.

996 عبد السلام حيدر، "أدب النكتة.. إبداع فني يعكس أوجاع المجتمعات"، 13 دجنبر 2017، منشور في عربي بوسط، الرابط:

<https://urlz.fr/mPHC>

يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون: "لا مضحك إلا ما هو إنساني، والنكتة هي محاولة قهر القهر.. وهتاف الصامتين.. إنها نزهة في المقهور والمكبوت والمسكوت عنه.. فهي سلاح المهموم يحملها معه بين الطرق المزدوجة بالاكتئاب والمكتظة بالشعور بالحرمان، والشعور بالمعاناة ناهيك عن قلق ضغوط الحياة الناتج عن مختلف تجليات الواقع المر والزمن الرديء"⁹⁹⁷. ويرى علماء الاجتماع أن النكتة تعتبر دليلاً على حيوية الشعب واهتماماته ورغبته في تجاوز الأمر الواقع وعدم الاستسلام له، وفسرت المدرسة الفرويدية النكتة على أنها نوع من أنواع التعبير عن اللاشعور والأفكار غير المعلنة، وأسلوب لتمير الأفكار بطريقة يتقبلها الآخر بسهولة أكبر وبدون كثير نقاش، وأن قوة النكتة تكمن في هدفها. وعادة تكون الأفكار غير المعلنة مؤلمة ومستفزة تؤدي إلى صراع نفسي كبير لدى الفرد، وتعتبر النكتة عن نقد لواقع يصعب نقده بشكل مباشر وصريح، إنها تستمد أشكالها ومضامينها مما هو مكبوت في المجتمعات، لذلك يلجأ الناس عادة إلى النقد عن طريق النكت⁹⁹⁸.

وهناك فرق كبير بين الأدب الساخر والأدب الضاحك⁹⁹⁹ والمتمثل في النكات الشفوية. وقد عرف الأديب الفلسطيني غسان كنفاني السخرية وهو ممن كتبوا المقالات الساخرة، إنها "ليست تنكيتاً ساذجاً على مظاهر الأشياء، ولكنها تشبه نوعاً خاصاً من التحليل العميق، إن الفارق بين "صاحب النكتة" والكاتب الساخر يشابه الفارق بين الحنطور والطائرة، وإذا لم يكن للكاتب الساخر نظرية فكرية فإنه يضحى مهرجاً..¹⁰⁰⁰.

وفي نظر الأدباء والصحفيين السخرية ليست هدفاً بقدر ما هي شكل من أشكال التعبير عن الآلام والأحلام والأحداث، وأمور الحياة اليومية، والسخرية السياسية هي أحد أشكال الإبداع، وقد برز كتاب وفنانون ساخرون على

997 هنري برغسون، الضحك، ترجمة: سامي الدروبي و عبد الله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1998، 16-63.

998 عبد السلام حيدر، "أدب النكتة.. إبداع فني يعكس أوجاع المجتمعات"، مرجع سابق.

999 نفس المرجع السابق.

1000 نفس المرجع السابق.

مدار التاريخ، وليس بعيداً عن الثقافة العربية، الجاحظ والمنتبي والتوحيدى وابن الرومى وابن المقفع وآخرون، وعن الثقافة العالمية سقراط وشكسبير وبريخت وغيرهم¹⁰⁰¹.

وقد تحمل للنكتة هدفاً أيديولوجياً، فهي ليست بعيدة عن الصراعات التي تعيشها المجتمعات. ويمكننا أن نعرف النكتة بأنها "كاريكاتير الحياة الإنسانية مصوغة بكلمات وفي إطار زمني وظروف اجتماعية محددة تهدف إلى غايات إنسانية، يستلزم لإضفاء روح المرح والسعادة في الإنسان بشكل مباشر وتعزيز وعيه الاجتماعي بشكل غير مباشر"، إنها وظيفة اجتماعية للتواصل مع الناس ولتحقيق التفاعل بين الأفراد والجماعات، وللتحكم في سلوك الآخرين بالسخرية أو إزالة الخوف، ولمهاجمة السلطة السياسية والدينية والاجتماعية، وفي نقل المعلومات باتجاه تحذير الناس، والكشف عن العيوب الاجتماعية، وتعديل القرارات الخاطئة وتحسين الظروف السيئة¹⁰⁰².

يصنف بعض الكتاب¹⁰⁰³ النكتة كأدب شعبي أي ما تنتجه الشعوب كأدب حركي يتمتع بمرونة كبيرة، فكل من ينقله يضيف إليه شيئاً ويحذف أشياء. ولكن بعض دارسي نظرية الأدب لا يصنفونه من الأدب، ونرى أن بعض الجامعات لا تقبل دراسة النصوص المجهولة المؤلف كما هي الحال بالنسبة للنكات، إلا أن الأديب المصري طه حسين كسر هذه الأعراف الأكاديمية عندما أشرف على رسالة ماجستير عن (ألف ليلة وليلة) لـ سهير القلماوي، وبعد ذلك دخل الأدب الشعبي الجامعات بصورة محدودة. واللافت أن النكات تصنع شخصيات خيالية لتروى من خلالها، وفي الثقافة العربية هناك "جا" يقابله "نصر الدين هوجا" في الثقافة التركية، وكلاهما يدعيان الجنون ليمررا الحقائق عبر هذا الجنون المدعى. النكتة "لقطة" ولا يعرف لها أب شرعي، ولا مسقط رأس ولا تاريخ ميلاد، لذلك نجدها

1001 عبد السلام حيدر، "أدب النكتة.. إبداع فني يعكس أوجاع المجتمعات"، مرجع سابق.

1002 نفس المرجع السابق.

1003 عبد الحميد يونس (أديب مصري)، "الفكاهة طب نفسي"، مجلة العربي، الكويت، عدد 357، بتاريخ 1 غشت 1988، ص: 30-34. الرابط الإلكتروني:

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/AL_Arabi/AL_Arabi_1988/Issue_357/index.html

كالرصاصة الطائشة لا تخاف ناقداً، فقد بقيت النكات لعصور طويلة عصية على النقد وترفض أن تتأطر بقواعد وأسس¹⁰⁰⁴.

وقد تكون بعض النكات مسيّسة يستخدمها الشعب أو المعارضين ضد السلطة، وقد تكون جواباً على ضيق هوامش حرية التعبير أو الخوف من التعبير، حتى ضاقت حرية التعبير لتتحول النكتة إلى "الثأر السلمي العادل لجماعة الضعفاء" كما يقول إبراهيم عبد الله غلوم¹⁰⁰⁵. ويرى الباحث كارين أبيفين أن من أهم خصائص الطرافة أنها تتميز بعدد من وظائف السرد، كالتعبير عن نموذج أخلاقي قيمى أو من أجل الاستخدام التربوي للأمثلة، أو في العمليات الاستقرائية للأفعال أو لإثباتها في الجدل، وما إلى ذلك. إنها تلك الحكاية البسيطة التي تهدف إلى إثارة التأثير في المتلقي، خصوصاً في قلبها الساخر والمضحك¹⁰⁰⁶. ويرى دانييل فورجي أن هذه السخرية تتجلى: "من خلال العبثية التي تم بها تكوين العالم، وعبر القيم التي لا يمكننا تقاسمها، وللإجراءات التي تمنح أهمية لأشياء لا تكتسي أهمية في العلاقات ما بين الناس... إلخ. فالنموذج المجتمعي يتم بناؤه وتسفيهه في نفس الآن. كما أن قوتها الإقناعية كبيرة لدرجة أنها لا تفرض خلاصاتها، بل تجعل الآخر يستخلصها من تلقاء نفسه في سياق يأخذ من المونتاج بحيث يصبح العبث جلياً"¹⁰⁰⁷.

وللإجابة على سؤال المؤشرات المحددة التي تجعل من الطرافة أو النكتة المضحكة أو النوادر نوعاً محدداً من الخطاب السياسي، فإن الأمر يبقى مرتبطاً بالدور الذي تلعبه هذه الحكاية القصيرة كخطاب قصير في سياقات مختلفة، لاسيما على هامش نص خطابي كبير، بهدف جذب انتباه المتلقي أولاً ثم بهدف توجيه رسائل سياسية مضمرة لجهة معينة.

1004 نعيد الحميد يونس (أديب مصري)، "الفكاهة طب نفسي"، مرجع سابق.

1005 إبراهيم عبد الله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية، دار الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2012، ص: 96.

1006 Karine Abiven, "Un genre de discours miniature : pour un modèle de l'anecdote", in Pratiques..., Op. Cit.

1007 Danielle Forget, L'ironie stratégie de discours et pouvoir argumentatif, Etudes littéraires. Volume 33 n°1. Automne 2000- Hiver 2001. P. 50- 52.

يعتبر الجرجاني في كتابه التعريفات: "النكتة: هي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان، من: نكتَ رمحه بأرض، إذا أثر فيها. وسميت المسألة الدقيقة: نكتة، لتأثير الخواطر في استنباطها".¹⁰⁰⁸ وتعرف النكتة أيضا باعتبارها "تقنية لغوية بالغة التكثيف والسخرية، شديدة النفاذ بمضامينها المركزة التي تغني الواحدة منها عن مقال كامل أو حديث مسهب"¹⁰⁰⁹ وهي لا تتمتع بشكل تام ودائم بالموضوعية أو التجرد أو البراءة في القصد، كونها تعتمد على السخرية والشماتة والتشفي أو تحقير مشاعر وأفكار الآخرين أو حتى الذات. كما تتضمن بعض النكات تطاولا على القيم أو جانبا عنصريا. وقد لوحظ أن الشعوب تستهدف في نكاتها فئات معينة على أساس عرقي أو ديني أو مناطقي يتم نسج النكات عليها بشكل ثابت.

يعرفها الفيلسوف الألماني "آرتور شوبنهاور"¹⁰¹⁰ Schopenhauer Arthur بأنها محاولة إثارة الضحك على نحو قصدي، من خلال إحداث التفاوت بين تصورات الناس والواقع المدرك، ومن خلال إبدال هذه التصورات على نحو مفاجئ، في حين تظل عملية تكوين الواقع الجاد مستمرة. ويمكن الوقوف على أهمية النكتة السياسية من خلال استحضارها بوصفها نصا معارضا للسلطة القائمة، يحمل مجموعة من المواقف المضادة لها، لكن في أسلوب هزلي، فحسب برغسون "النكتة نص إنذاري يوجهه المجتمع، بالكلمة أو بالحركة أو بالإشارة، ضد سلطة مستبدة"¹⁰¹¹.

وبخصوص استعمالها ضمن تواصل قادة حزب العدالة والتنمية لاسيما في شخص أمينه العام سواء أمام الجماهير، أو في لقاءاته أمام المؤسسات الدستورية، ومنها البرلمان خلال جلسات المسائلة الشهرية أمام مجلس النواب

1008 محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، ص: 246.

1009 عبد الله الهاشمي، مقال النكتة أصلها وحقيقتها، مجلة القافلة - الثقافة والأدب، أرامكو السعودية.

1010 شاكر عبد الحميد وعبد الله معتز سيد وعشماوي سيد، تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب السابع عشر، الفكاهة واليات النقد الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كتب دوت كوم، 2004، ص: 33. الرابط: [https://research-](https://research-solution.com/uplode/book/book-11737.pdf)

[solution.com/uplode/book/book-11737.pdf](https://research-solution.com/uplode/book/book-11737.pdf)

1011 هنري برغسون، الضحك: بحث في دلالة المضحك، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص: 24.

ومجلس المستشارين، فإنه غالباً ما يقحم النكت باستعمال نبرة صوت فيها نوع من التهكم وتوظيف للعبارات

التالية¹⁰¹²:

- نعاود ليكم واحد النكتة حامضة شي شوية... (لقاء حزبي).
- واحد السيد حكى لي واحد القصة واحد المستملحة لطيفة... (جلسة بالبرلمان).
- كتعرفو قصة داك القاضي لي بلغ السلطان أنه كيعض عباد الله من وذنهم... (مجلس النواب).
- عندنا مثال، نكتة يعني... (حوار صحفي مع إحدى القنوات الأجنبية).
- كان عندنا في فاس واحد السيد ميسور...
- هادي نكتة واقعية واقعة لي أنا لما تزوجت... (في لقاء لوزارة التضامن والمرأة والأسرة).

يوظف عبد الإله بنكيران النكتة بشكل ثابت في كل المقامات ولا يميز بين اللقاء الحزبي ولا اللقاء الدستوري الرسمي المنقول عبر وسائل الإعلام ولا اللقاءات الصحفية، فهي طريقته لخلق جو من المرح ولشد الانتباه وكسر الرتابة التي قد تتسرب لخطابه، وفي بعض الأوقات يعمل على استحضار بعض النكت للسخرية من الخصوم السياسيين، كما تكون وسيلة لتصريف بعض المواقف السياسية. ويبدو أنه يوظف النكتة من أجل تمرير رسائله الخفية في النص، فالنكتة "نص مراوغ ومخاتل وزئبقي. وتزداد هذا المخاتلة والمراوغة في نص النكتة السياسية التي تتجاوز سقف الإضحاك، لتتحول إلى هزل يراد به جد، ومن نص بريء إلى فعل من أفعال الكلام الذي يصبح فيه الرأي

صنعة"¹⁰¹³.

1012 بعض النكت التي وظيفها عبد الإله بنكيران في مناسبات مختلفة، تم توضيحها في فيديو على يوتيوب وربطه هو:

<https://urlz.fr/m19z>

1013 هشام جابر، النكتة السياسية عند العرب بين السخرية البرينة والحرب النفسية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 2009، ص: 179.

يعمل عبد الإله بنكيران على توظيف مجموعة من الألفاظ والعبارات والمواقف الفكاهية التي توظف السخرية كأداة حجاجية لا تخلو من فعالية سياسية وتواصلية، مما يتيح له خلق نوع من التواطؤ مع الجمهور وكسبه، وإشراكه في تلقي الرسالة المقصودة علاوة على شد انتباهه وتجنبيه الملل كما هو الشأن في الخطب السياسية النمطية.¹⁰¹⁴

ويدافع المؤرخ إبراهيم القادري بوتشيش عن النكتة عامة، والنكتة السياسية خاصة، بوصفها مصدرا لكتابة تاريخ العالم العربي، مبرزا ما تتيح من "إمكانيات الكشف عن البنية النفسية المخبأة، والمشاعر والمواقف، لمكونات المجتمع وقيمه"، واستيعاب تمثلات "الذاكرة الجماعية".¹⁰¹⁵

ويبرز بوتشيش¹⁰¹⁶ أهمية النكتة التي "تزيل عن المجتمع القشرة السطحية، وتغوص في ترسباته الذهنية وتاريخه وعمقه الحضاري، بأسلوب هزلي وممتع، عبر كتلة نصية صغيرة، تستطيع بفضل حركة التمويه والتورية، أن تجعله يبوح بما لا يمكن البوح به في ظل الثوابت والطابوهات واحتباسات حرية التعبير، وتبعده عن مقص الرقابة"، معتبرا النكتة مادة تؤرخ للذاكرة الجماعية، كما تناقشها بوصفها جنسا أدبيا شفاهايا يسعى إلى توليد إضافات جديدة، وتقديم إجابات عن أسئلة يطرحها البحث التاريخي، لأن ظاهرها "نشاط هزلي يروم إضحاك المتلقي"، ولكنها في العمق "رسالة جدية، وطرح لقضايا مجتمعية وسياسية واقتصادية وذهنية شائكة، وأداة لفهم العقليات وتحليل النظم والقيم الثقافية التي تندرج في قلب اهتمامات المؤرخ"¹⁰¹⁷.

ويعرف بوتشيش النكتة السياسية، بكونها شكلا "من أشكال التعبير الجماعي عن قضايا المجتمع، بطريقة مجازية ساخرة، فيها نوع من النقد للوضع السياسي والاجتماعي القائم"، وبأنها "رسالة خفية تتضمن الانتقاد الساخر الموجه إلى طرف معين، ومحاولة لتجاوز ظروف القهر والكتب، والتعبير عن موقف الفئات المظلومة، والأقلية ضد الأغلبية،

1014 محمد الأمين مشبال، بلاغة الخطاب السياسي السجالي عند عبد الإله بنكيران، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب، جامعة عبد المالك السعدي، السنة الجامعية: 2019 – 2020.

1015 إبراهيم القادري بوتشيش، النكتة مصدرا تاريخيا، هل يساهم النص المضحك في كتابة التاريخ العربي؟، مجلة أسطور، العدد 13، يناير 2021.

1016 نفس المرجع السابق.

1017 نفس المرجع السابق.

وإبراز المواقف والتطلعات التي تخترنها الشعوب، ولا تقدر على الجهر بها علنا"، و أنها "غالبا ما تُنتج في الأوساط الشعبية وفئات المهمشين"¹⁰¹⁸.

ويرى بوتشيش أن ما يميز الحقيقة في النكتة هو أنها ليست خبرا مباشرا أو نقدا مباشرا فحسب، بل هي تلميح إلى شيء خفي، وخداع وتلون، وظهور في مشاهد مجازية وتخيلية. ومن ثمّ، لا تقدم نفسها جاهزة للمتلقّي، بل عليه أن يبحث عنها في طيات عباؤها الساخرة¹⁰¹⁹. وبذلك فإن النكتة هي "نص تاريخي يُجيب عما تعذر الإجابة عنه في الواقع التاريخي، فرغم اختراع بعض شخصياتها ومشاهدها، إلا أن مؤلف النكتة يسعى إلى مطابقة إبداعه النصي بالواقع، وربطه بمجريات الأحداث التاريخية"¹⁰²⁰. وللنكتة السياسية عمقا توصليا على شكل حوار "غير مباشر بين السلطة والمجتمع". ومن أهم خلاصات الدراسة التي قام بها بوتشيش عن النكتة، أن هناك صلة بين النكتة وذاكرة المجتمع، لكونها لا تُحقق ذاتها إلا في سياق جماعي، ويشاركها الفرد الجماعة، وتُستقى مواضيعها من مرجعيات القيم الاجتماعية والثقافية السائدة في مجتمع ما، ولذا فهي "لا تعكس ثقافة الفرد، بل هي جزء من مخزون الذاكرة الجماعية"، والحس الفكاهي "ليس مجرد مظهر من مظاهر التفاعل فحسب، بل هو صدى لصوت الجماعة، وتجلّ للبنى الاجتماعية والثقافية"¹⁰²¹.

وتملك النكتة قوة بيانية تخترق معايير المجتمع وقيمه، وتتجاوز حدود اللياقة والمُثل والثوابت والمقدسات، وتحدث ثقباً في المجال السياسي، ليصل الاختراق إلى أعلى قمة الهرم السياسي والنخب السياسية، وبالتالي تسقط هيبة هذه النخب أمام الرأي العام، وتظهر في صورة فاضحة تعريها، وتنفّر الجمهور منها¹⁰²².

1018 إبراهيم القادري بوتشيش، النكتة مصدرا تاريخيا، مرجع سابق.

1019 نفس المرجع السابق.

1020 نفس المرجع السابق.

1021 نفس المرجع السابق.

1022 نفس المرجع السابق.

هذه "الحرب غير المعلنة"¹⁰²³ بواسطة النكتة تعاقب الخصم، حسب دراسة بوتشيش، وتنتصر عليه معنويا، دون أن يتحمل مؤلفها مسؤولية كلامه، لأن الهزل يمنحه هامشا من الحرية والمناورة لتمرير خطابه في موضوعات ممنوعة من التداول داخل المجتمع، متحصنا بغموض اللغة الواصفة، وتعدد الدلالات، وهذا من بين ما يجعل نص النكتة السياسية "مصدرا مهما للكشف عن موقف الرأي العام من الدولة والقضايا السياسية عبر التاريخ، ومصدرا يكشف عقلية المعارضة التي كثيرا ما همشتها الكتابات التاريخية المنشدة إلى مراكز الحكم والنفوذ"¹⁰²⁴.

يقول بعض الباحثين أن المتلقي يملك حق قراءة أفكار المرسل المبطنة والكشف عن المضمونات "المزروعة" في أقواله، وأن ذلك ينبغي أن "يتم ذلك ضمن نطاق حدود معينة، قد يتهم المتلقي إن تجاوزها بأنه يمعن في الذهان التأويلي psychose (وهو مرض نفسي يشبه الفصام)، وألا يصل إلى مستوى "تصرف المناضلين الثوريين الذين ينكبون على التنقيب في أقوال غريمهم اللدود عن الآثار الشائنة التي يتصف بها فعل قول هذه الأقوال"¹⁰²⁵. لذلك فإن عملية تأويل الرموز وفق استعمالاتها يتعين أن يكون عقلانيا ومنطقيا بشكل يقبله العقل البشري السوي.

إن توظيف لغة الترميز في الخطاب السياسي من خلال الإحالة على كائن حيواني أو قوى غيبية خفية، الجنية الشريرة، لا يخلو من وجود نوع من التبرم والتذمر من الضعف على مزاوله مهام السياسية والتدبير العمومي، يجعلها خارج إرادة المتكلم وإخضاعها لقوى خفية تتحكم فيها¹⁰²⁶. كما أن هذا التوظيف يعبر عن حجم الصراعات الحزبية وجنوح بعضها إلى ممارسة الخطاب الشعبوي، بهدف التغطية على فشل في التسيير¹⁰²⁷، ومم تم الاختباء وراء الزعم بوجود جهات تعرقل عمل الحكومة. وبذلك فهي لغة تحمل في طياتها أبعادا لا يمكن للمتكلم أن يبررها بلغة الصراع السياسي، أو بنقد المعارضة المعهود والواضح، فيلجأ إلى هذه الاستعارات.

1023 إبراهيم القادري بوتشيش، النكتة مصدرا تاريخيا، مرجع سابق.

1024 نفس المرجع السابق.

1025 كاترين كيربرا-أوريكيوني، المضمير، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص: 620.

1026 إبراهيم القادري بوتشيش، "الدولة العميقة وتوظيف الرمز الحيواني في خطاب الأحزاب والتنظيمات السياسية بالمغرب"، في جريدة بانصا، المغرب، بتاريخ 12 نونبر 2021، الرابط: <https://banassa.com/orbites/116651.html>

1027 بول ريكور، نظرة التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ببيروت، 2003، ص: 87-88.

وقد استعمل الباحثون مفهوم الدولة العميقة الذي ظهر في سياق الحديث عن دولة تركيا، والذي يحيل على معنى مجموعة من القوى المهيمنة الغامضة التي تسيّر دواليب هذه الدولة في الخفاء والسرية، بعيدا عن الضوابط القانونية والدستورية¹⁰²⁸.

وتأسيسا عليه أنتج الباحثون عدة مصطلحات من قبيل الدولة الموازية، الدولة الخفية، الدولة غير المرئية، الدولة المزدوجة، الدولة غير المنسجمة، دولة داخل دولة، دولة فوق دولة، والدولة المتوحشة، ثم حكومة الظل التي جعلها "مايك لوفجرين" عنوانا لكتابه، وسماها بعض الكتاب والصحفيين بمصطلحات محملة بالدلالات من قبيل الدولة الثانية، دولة القلّة، دولة المخزن، وما فوق الحكومة *Supra-gouvernementale*، وغيرها، والتي تشترك جميعها في مشترك مفهومي واحد هو أن الدولة العميقة تُنصّب نفسها دولة موازية مع الدولة القائمة، من دون أن تظهر للعيان، فتوجّه سياساتها العامة، من خلال تسريب أعضائها الى داخل أجهزة الحكومة المنتخبة، بهدف التأثير والتحكّم في قراراتها¹⁰²⁹. وطبقا لهذا المفهوم، فإن هؤلاء لا يخضعون للمحاسبة أو المساءلة، ويتسترون تحت المظهر السطحي للنظام الديمقراطي القائم على أسس دستورية وقانونية، بحكم ما يتمتعون به من سلطة نافذة على كافة أجهزة الدولة، مما يتيح لهم تقويض قرارات الرؤساء المنتخبين وأعضاء البرلمان. وبذلك تتحول آلية اللعبة السياسية من المنتخبين إلى غير المنتخبين الذين يصبحون القوى المتحكّمة في صنع القرار، وتسييره وفق أجندتهم الخاصة، المتماشية مع مصالحهم. وبذلك فإن الدولة العميقة تتمثل في وجودها كدولة "ثانية" غير مرئية وغير منتخبة. وقد يكون استعمال بنكيران لهذه الصيغ التعبيرية واستثمار دلالاتها الرمزية، بهدف التعبير عن القوى الخفية المحركة للسياسة من وراء حجاب، مضيفا إليها تعبير "الحزب السري"¹⁰³⁰.

1028 إبراهيم القادري بوتشيش، "الدولة العميقة وتوظيف الرمز الحيواني في خطاب الأحزاب والتنظيمات السياسية بالمغرب"، مرجع سابق.

1029 نفس المرجع السابق.

1030 نفس المرجع السابق.

وبفحص الدلالات الخفية خلف مصطلح التماسح مثلا، تبدو بعض ملامح الحديث عن مفهوم الدولة العميقة. فالتمساح يشكل في خيال الإنسان ذلك الكائن الحيواني المخادع القوي الشرس والعدواني، الذي يجيد الاختباء وجس النبض قبل الانقضاض على الفريسة، فهو يتميز بالسرية والتمويه في عملية التحضير لعدوانه، وبإحداث المفاجأة غير المتوقعة، الأكل للحوم والذي لا يرحم ضحيته وقد يلتهمها حية تتوجع¹⁰³¹.

قد تكون أحد رسائل بنكيران من خلال هذا التوظيف والاستعارة اللغوية، إلى أن هناك قوى تلعب دورا خفيا في اتخاذ القرارات التنفيذية للحكومة المنتخبة، وأن هذه الحكومة تشبه دمية "الماريونيت"¹⁰³² التي تتحرك من دون أن يظهر من يحركها حقيقة خلف الستار. وقد فسّر بنكيران في بعض تصريحاته¹⁰³³ الدلالة العميقة المسكوت عنها في تعبير "التماسيح والقفاريت" بالقول أن من عادة التماسح أن يختبئ في قاع المستنقعات، قبل أن ينقضّ بشكل مفاجئ على فريسته ويعود للاختباء، من دون أن يظهر على السطح. في حين فسّر رمز مصطلح القفاريت بالإحالة على قوى خفية تنقذ مخططاتها من دون أن يعرف أفرادها من هم ومن أين أتوا، وغالبا ما يشتغلون خارج القانون، وهو ما يتطابق مع خصائص الدولة العميقة كما تمّ تحديدها من قبل. وفي نفس اللقاء قال بنكيران بعدما طالب الحاضرون في اللقاء بشرحه: "القفاريت هادوك لي كبحركوا دوك البيادق، معرفتي شكون مورايم"، أي أن القفاريت هم من يحركون البيادق لتنفيذ خططهم دون التعرف على هويتهم وطبيعتهم ومن هم أو من أين أتوا.

وربما يشبه بنكيران من سبقوه في ممارسة هذا النوع من الاستعارات، كتوصيف عبد السلام ياسين، زعيم جماعة العدل والإحسان في "مذكرة إلى من يهمه الأمر" للقوى الخفية المحركة للدولة العميقة المغربية ب "الأفاعي الحربائية" للإشارة إلى تلك القوى المندسة خلف الدولة الظاهرة. فالأفعى التي هي من الزواحف السامة المهتدة لحياة الإنسان، غالبا ما تحيل على اللدغ والسّم، والاختفاء قبل الانقضاض على الضحية، وتتميز بحركاتها الملتوية التي تسمح

1031 نفس المرجع السابق.

1032 نفس المرجع السابق.

1033 انظر كلمة عبد الإله بنكيران بتاريخ فاتح ماي 2014 على الفيديو التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=vLRefRvxy4>

بالالتفاف حول خصمها حتى تخنقه. أما الحرباء فترمز في المخيال الاجتماعي أيضا إلى الاختفاء والتستر، والتمويه بتغيير ألوانها، وتتميز بعيونها البارزة وإمكانية تحريكهما في كافة الاتجاهات بنطاق رؤية ب 360 درجة للرصد والمراقبة قبل الانقضاض على الفريسة. كما ترمز في المجال السياسي والاجتماعي إلى الانتهازية وتغيير المواقف حسب المصلحة¹⁰³⁴. على سبيل المثال وظف عبد الرحمن اليوسفي نوعا آخر من القواميس مستعملا مصطلحي "حيوب المقاومة"، و "الإكراهات" للتعبير عن أن أياد ما، تقف حاجزا أمام انسياب برامج الحكومة وتفعيل استراتيجيتها المسطرة، وفرض توجهات لا تقبل بها¹⁰³⁵.

في المنافسة السياسية غالبا ما يميل المتكلم إلى القيام باستعارات أو استعمال الصور، من أجل تقديم ذاته بشكل ايجابي وتقديم الخصوم بشكل سلبي. ويرى فان ديك¹⁰³⁶، أننا بهذه الاستعمالات نميل إلى وصف ذواتنا وأفعالنا باستعارات تصويرية ذات ارتباطات إيجابية، في حين أننا نصف الخصوم السياسيين بصفات سلبية. يقدم السياسي ذاته بصفات جيدة مثل القوة والشجاعة والبرسالة، وقد يشبه نفسه بالحيوانات الجريئة والنبيلة كالأسود والأفراس والدببة والنمور، في حين يقدم خصمه بالمكر والخداع والاتساح كالفئران والكلاب والحشرات والصراصير. إن استعارة القاموس الحيواني كانت ومازالت تحظى بالاهتمام بالغ ليس فقط في لغة السياسة، وإنما أيضا في التراث العربي، وقد كانت مقرونة بإضفاء الصفات الإيجابية والسلبية واستعارتها وإسقاطها على الإنسان. وقد نجحت محاولات الجاحظ وابن المقفع في كتاب "كليلة ودمنة" إلى حد كبير في هذا الصدد. وتبقى رواية جورج أرويل "حديقة الحيوان"، والتي تصنف

1034 إبراهيم القادري بوتشيش، "الدولة العميقة وتوظيف الرمز الحيواني في خطاب الأحزاب والتنظيمات السياسية بالمغرب"، مرجع سابق.

1035 نفس المرجع السابق.

1036 Van Dijk's, T. (1997), What is o Political Discourse Analysis. In Jean Blommaert and Chris Bulicaen (Eds), Political Linguistics, Amsterdam : Benjamin, pp. 11-52.

ضمن الرواية السياسية، رائدة في هذا المجال بتوظيفها التعابير الاصطلاحية الحيوانية التي نالت الحظوة ونجحت في تشخيص مآلات الثورة¹⁰³⁷.

يشير عبد الإله بنكيران أحيانا بشكل مباشر إلى هوية هؤلاء الذين يشبههم بالتماسيح وبالغفاريات، وغالبا ما كان يوظف المصطلحين خلال الحديث عن القضايا المرتبطة بالاقتصاد والتجارة وبالعالم المال والأعمال. وقد هاجم في لقاء جماهيري سنة 2013 بمناسبة افتتاح المؤتمر الخامس لشبيبة العدالة والتنمية، القناة المغربية الثانية¹⁰³⁸ بنفس اللغة قائلا: "وهديك دوزيم فيها شي تماسيح"، مدققا في الوصف: "تماسيح الاعلام في القناة الثانية... في كل مرة يظهر سلاح من أسلحة التشويش على هذه الحكومة وعلى نيتها في الإصلاح". وأضاف قائلا: "تريد أن تفقد ثقة الشعب المغربي في اقتصاده الوطني، من خلال البرامج المخدومة والمعدة سلفا، التي لجأ إليها المشوشون لخدمة أجندتهم"، في إشارة إلى القناة الثانية والتي أعاد مهاجمتها من داخل قبة البرلمان¹⁰³⁹ سنة 2016، وتحديدًا مهاجمة نائبة المدير العام للقناة المكلفة بالأخبار قائلا: "كتولي موظفة كتعرض لرئيس الحكومة بالعلالي ومكتلقاش لي يردها للمكان ديالها، أي شيء نضنا لو نضنا للمأذونيات لكريمات تغلب العالم، نضنا للمقال كيتقلب العالم، نضنا لدفاتر التحملات كيتقلب العالم، كيولي أي كان عندو سلطة معندوش، كتولي موظفة كتعرض لرئيس الحكومة بالعلالي ومكتلقاش لي يردها للمكان ديالها".

كان أهم ملجأ لبنكيران للتعبير عن التظلم والتشكي من هؤلاء الذين يصفهم بالتماسيح والغفاريات، هو اللقاءات الجماهيرية الشعبية التي كانت أيضا تبتث مباشرة عبر منصات التواصل الاجتماعي لتصل إلى أكبر عدد من المغاربة، فيتهم خصومه في هذه اللقاءات بعرقلة عمل الحكومة التي يقودها، زاعما أن أشخاصا نافذين لا يريدون لحكومته أن

1037 عثمان الزياني، الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان، منشورات مجلة الحقوق، دار نشر المعرفة الرباط، الإصدار 46، 2017، ص: 139.

1038 انظر كلمة بنكيران في افتتاح المؤتمر الخامس لشبيبة حزبه أبريل 2013 على قناة الحزب على منصة يوتيوب على الرابط:

<https://youtu.be/-Lm6Sw-CU48>

1039 حدث ذلك خلال جلسة المساءلة الشهرية بمجلس المستشارين سنة 2016 رابط تصريحه على اليوتيوب:

<https://www.youtube.com/watch?v=v7q'Rl9G'kM>

تشتغل أو تتجح، ويصفهم بأنهم يسعون إلى إضعافها والتقليل من منجزاتها، وقد قال في مهرجان خطابي بطنجة بتاريخ 4 أكتوبر 2016: "العفاريات والتماسيح لا يريدون وجود الحزب في الحكومة القادمة... العفاريات والتماسيح قالوا ما يمكنش العدالة والتنمية لي دوزات 5 سنين تصدع لنا راسنا 5 أخرى"، وهو مهرجان خطابي يأتي خلال الحملة الانتخابية المتعلقة بالانتخابات التشريعية لسنة 2016¹⁰⁴⁰.

يقول الباحثون إن مصير الاستعارات في الخطاب السياسي يختلف حسب الحالات، فقد تشيع وتتداول إلى حد نسيان مجازيتها فتنتقل من الخطاب إلى اللغة، أي تصير جزءا من النسق اللغوي ولا يكون للمتكلمين وعي بها. بيد أن الاستعارة تتحول إلى أداة للتضليل والتلاعب عندما يتم توظيفها في الخطاب السياسي، الذي ينتهز طبيعتها المجازية البلاغية. إن استعمال كلمة مجازية يعكس رغبة الخطيب في إدخال السرور أو الفتنة في قلوب المستمعين، وتعكس هذه العملية البلاغية جانبا من الجوانب المركزية للوظيفة العامة للبلاغة وهي تحديدا الإقناع¹⁰⁴¹.

إن توظيف عبد الإله بنكيران لمصطلحي العفاريات والتماسيح، الذين يوردهما مقترنين، لم يكن القصد منهما دائما جيوب المقاومة التي تحاول الحد من إنجازات فريقه الحكومي "المصلح"، ولكنه ربما أيضا كان لاستعمالهما بهدف خطابي آخر وهو قد يكون تحويل الانتباه عن بعض الإخفاقات أو بعض المشاريع الحكومية التي ليست في صالح فئات شعبية بسيطة، كإصلاحات صندوق المقاصة وقانون التقاعد، "إن تكثيف الاستعارة من المعجم الحيواني ليس فقط محاولات إفحام الخصم والتفقيص منه والحط من قيمته، وإنما أيضا إضمار الحقائق واعتماد استراتيجية التستر على جملة من القضايا في المتن الخطابي، حيث يحتل التشبيه والاستعارة هاهنا القضية المركزية في الخطاب بمعنى تحتل مركز المنبهات البلاغية وتتحول باقي المتون الأخرى للخطاب إلى ضفاف من الحواشي والهوامش... فالقاموس

1040 انظر فيديو كلمة بنكيران بطنجة خلال الحملة الانتخابية البرلمانية بتاريخ 4 أكتوبر 2016 على قناة الحزب على منصة يوتيوب على الرابط: <https://www.youtube.com/live/4EUQRfcqpek?feature=share>

1041 بول ريكور، نظرة التأويل، مرجع سابق، ص: 87-88.

الحيواني ليس الغرض منه إضفاء نوع من الجمالية على القول من التشبيهات والمجازات والاستعارات، وإنما هدفه بالأساس هو التغليف والتضليل والخداع والتسويق أيضا¹⁰⁴².

لم يقتصر الأمر على بنكيران في هذه الاستعارات وإنما أيضا استعمالها سعد الدين العثماني، بعدما خلف بنكيران على رأس الحزب وفي منصب رئيس الحكومة في سنة 2017. وظف العثماني مصطلحات "العفاريت" و "التماسيح" في أول خروج له للتشكي أمام الجماهير من عرقلة عمل فريقه الحكومة والأوراش الإصلاحية الكبرى التي باشرها. خاطب العثماني أنصاره في لقاء تواصلتي بالجماعة القروية السويهلة¹⁰⁴³ في نونبر 2019، قائلا: "هناك من يريد أن يهرب الناس من السياسة، ويبقاو غير لي كيجو بمية وميتين درهم لأن هادو كيتحكمو فيهم... التماسيح والعفاريت كانت تقود حملة ضد حزب العدالة والتنمية في 2016".

ولم يتوقف قاموس بنكيران عند هذين المصطلحين فقط، وإنما وظف مصطلحات كثيرة تنهل من قاموس الحيوان ومنها الذئب والثعلب للإحالة على المكر والخديعة والنسر للقوة والشراسة، واستعمل الجمل كمرادف للصبر، في مهاجمة عزيز أخنوش أثناء فترة تشكيل حكومته الثانية في سياق ما عرف إعلاميا بالبلوكاج الحكومي. واستعمل أيضا مصطلح النسر، خلال كلمته في المهرجان الخطابي بسيدي البرنوصي¹⁰⁴⁴ يوم الجمعة 28 غشت 2015 بمناسبة الحملة الانتخابية للاستحقاقات الجماعية والجهوية لشتنبر 2015، قائلا: "إلى عاش النسر عاشوا ولادو" وهي رسالة مشفرة للخصوم السياسيين لحزب العدالة والتنمية من خلال وصف نفسه بالنسر والمواطنين بأبنائه الذين يرتبط مصيرهم بمصيره، وفي توظيفه لهذا الطائر الكاسر المحلق بعيدا عن باقي الطيور، والذي يرى كل شيء من فوق، يؤكد بنكيران أنه من الصعب التغلب عليه وحتى وإن حدث، ففي ذلك هلاك للمواطنين. كما نجد عبد الاله بنكيران وظف مصطلح "بوعو" أو البعبع الذي يقصد به الجني المخيف الذي غالبا يستعمل لإخافة الأطفال الصغار. وفي معرض

1042 عثمان الزباني، مرجع سابق، ص: 146.

1043 أنظر رابط فيديو كلمة سعد الدين العثماني على قناة الحزب على يوتيوب على الرابط: <https://youtu.be/kYAS9NzOBoo>

1044 انظر رابط فيديو كلمة بنكيران على يوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=sw-QRQDe4HQ>

تساؤله عن دواعي تغيير قيادة "حزب الأصالة والمعاصرة" واستبدال الباكوري بالعماري، وجه سؤالاً مباشراً لقيادة الحزب الخصم: "ودابا شكون نتوما"؟ "حيدتو الماسك الأول والثاني والثالث، وجيبنتو لينا هاد بوعو ديالكم"، في إشارة إلى إلياس العماري. وفي تجمع خطابي بمدينة فاس¹⁰⁴⁵ قبيل الانتخابات التشريعية لـ 7 أكتوبر 2016، أطلق بنكيران على خصمه السياسي إلياس العماري صفة "الحنش" لأنه في نظره يمسك بكل تفاصيل الحزب وله القدرة الكبيرة على التحكم فيه سواء ظاهراً أو متخفياً كالثعبان: "كان يتحكم فرجالات الدولة وكيلعلمهم. اليوم اضطررناه يخرج بحال شي حنش من الغار ويمشي يترشح في الحسيمة".

ويكاد لا يخلو الخطاب السياسي عند عبد الإله بنكيران من توظيف للقاموس الحيواني، كأسلوب مضمحل لوصف واقع لا يحتاج إلى هذا الإضمار بقدر ما يحتاج إلى لغة بينة واضحة نظراً لأن المعنى بين وواضح، خصوصاً وأنه كان يمارس مهام رئيس الحكومة ولا يحتاج إلى كل هذه الاستعارات المبهمة لإيصال رسالة بينة واضحة. فهو بذلك في تقديرنا يعبر عن نقص في الجرأة السياسية المطلوبة لتسمية الأمور بمسمياتها، بدل إطلاق مصطلحات (التماسيح والعماريات..). يراد أن يفهم منها وضعيات معينة (فساد، خلل تدبيري..)، وهو في ذلك يعمل على توظيف استراتيجية إشراك المجتمع والجمهور في ممارسة التأويل ومن تم التكتل ضد جهات معينة. فالخطاب سلطة مادية، "تملك القوة والقدرة، وتتضمن مخاطر ومخاوف وتحمل صراعات وما تسفر عنه من انتصارات وهزائم، من تحرير واستعبادات، سلطة تعبر الذات والمؤسسة على السواء، وتؤسس وجودها المستقل، هذا الوجود الذي يخيف الذوات، والمؤسسات، والمجتمعات"¹⁰⁴⁶.

مبحث ثاني: علاقة خطاب وأسلوب تواصل حزب العدالة والتنمية بالفشل في انتخابات شتنبر

.2021

1045 انظر فيديو كلمة بنكيران خلال الحملة الانتخابية لانتخاب أعضاء مجلس النواب أكتوبر 2016 بمدينة فاس على قناة الحزب على منصة يوتيوب: [https://www.youtube.com/live/zSF25X""G w?feature=share](https://www.youtube.com/live/zSF25X)

1046 Foucault, Michel : L'ordre du discours. – Paris, Ed. Gallimard, 1971, p. 11.

تقوم الدول الحديثة على ثلاثة متطلبات على الأقل بديهية وأساسية. أولها متطلب الوجود المادي المتمثل في وجود أرض وشعب، وأيضا وجود سياسي تجسده السلطة والحكومة ووجود قانوني دولي يمثله الاعتراف الدولي. ثاني هذه المتطلبات هو خلق الاستقرار بواسطة وجود القدرة والتعاقد بشأنها لخلق الأمن والأمان الذي يساهم في دوران حركة الاقتصاد والإنتاج. المتطلب الثالث هو وجود تصور لخلق التنمية واستغلال الموارد بأفضل الطرق لصالح الجميع وتوفير رؤوس الأموال وتشجيع الاستثمار. من هنا يمكن النظر إلى أي فكر سياسي لجماعة أو لحزب بمعايير موضوعية، لفحص مدى قدرته على تحقيق النجاح في معالجة الواقع أو مدى وجود احتمالات فشله في كل ذلك.

من خلال قراءة نتائج انتخابات 8 شتنبر 2021، لاسيما نتائج انتخابات مجلس النواب، والتي أعطت تصدرا لحزب التجمع الوطني للأحرار ب 102 مقعدا برلمانيا، حاصلا بذلك على 25,82% من الأصوات المعبر عنها، متبوعا لحزب الأصالة والمعاصرة في الرتبة الثانية بعدد مقاعد بلغ 87 مقعدا بنسبة 22,03% من مجموع الأصوات المعبر عنها، ثم في الرتبة الثالثة حزب الاستقلال ب 81 مقعدا بنسبة 20,51% من الأصوات، بينما حل حزب العدالة والتنمية في الرتبة الثامنة بعدد 13 مقعدا وبنسبة أصوات في حدود 3,29%. فبعدما كان حزب العدالة والتنمية متصدرا المشهد الانتخابي النيابي لولايتين تشريعتين متتاليتين، بعدد مقاعد تفوق المائة تحول إلى حزب صغير من حيث عدد المقاعد المحصل عليها ومن حيث عدد الأصوات المعبر عنها لفائدته¹⁰⁴⁷.

وبذلك فقد صار المشهد السياسي أمام واقع وترتيب جديد لمواقع الفاعلين السياسيين، ولميزان القوة. وقد تكون هذه الانتخابات بنتائجها التي جعلت حزبا إسلاميا متصدرا يتراجع إلى مراتب دنيا، في مشهد "دراماتيكي"، غير مسبوق في تاريخ المغرب منذ الاستقلال، وهي نتائج تحتاج إلى أكثر من منهج علمي لتحليلها، بالنظر إلى كونها تميزت بمواجهة بين خصوم سياسيين بعضهم يمثل فئة، يمكننا القول عنها، "بالبورجوازية الاجتماعية الناشئة" في المغرب، و

1047 انظر نتائج انتخابات شتنبر 2021، على الموقع الرسمي للانتخابات على الرابط:

<http://www.elections.ma/elections/legislatives/resultats.aspx?Id=T1uzm+f7U%2fWFF+rn+x03Zg%3d%3d&IE=1#>

وعلى بلاغ وزير الداخلية في رابط وكالة المغرب العربي للأنباء: <https://urlz.fr/mMEB>

التي تملك عناصر البورجوازية المكونة أساسا من الثروة المادية وبقدرات إنتاج الاقتصاد، وأيضا تتميز بوجود نزعة نحو خلق علاقات مع المجتمع عبر الثقافة والإعلام والعلاقات العامة¹⁰⁴⁸.

الخلاصات الكبرى لنتائج هذه الانتخابات هي أن لغة ومحددات الخطاب الانتخابي؛ عناصر البيئة الداخلية اقتصاديا واجتماعيا؛ تغير قواعد الخصومة السياسية، وجود عناصر ضاغطة في البيئة الدولية والإقليمية؛ ارتفاع حدة الصراعات الداخلية في حزب العدالة والتنمية؛ ارتفاع حجم الأخطاء التواصلية والتدبيرية والمحاکمات الأخلاقية والسياسية لبعض قياداته بشكل غير مسبوق، وظهور فئات "تفعية" داخله، كلها عوامل تكون قد كانت وراء هذا التراجع الانتخابي للتنظيم الإسلامي.

هذه الانتخابات يمكن اعتبارها تجربة مغربية متميزة فيما يتعلق بالتعامل مع التنظيمات السياسية الإسلامية، بحيث أن فهمها فهما عميقا وفهم محدودية قدراتها التأطيرية والتواصلية، خصوصا في فترات أزمت اقتصادية واجتماعية كالتى نتجت عن انتشار وباء كوفيد 19، قد يفسر أن تواجد هذه التنظيمات ظرفي في المشهد السياسي وبذلك يمكن لخصومها السياسيين أن يتغلبوا عليها سياسيا عبر الانتخابات وبدون أي اشتباكات عنيفة أو انقلابات على الدستور، كما حصل في تجارب عربية بعد فترة الربيع العربي كتونس ومصر. بل إن التعامل العقلاني مع مختلف المتغيرات في البيئة العامة قد يمكن من منافستها بشكل طبيعي داخل سيرورة طبيعية للصراع السياسي والاجتماعي. سنناقش أهم ملامح خطاب وتواصل حزب العدالة والتنمية الذي يبدو أنه يحمل في "جينات" تشكله، عناصر يمكن أن نصفها متناقضة مع السياق السياسي المغربي وبالتالي قد تحمل عناصر تدمير ذاتي للصورة لاسيما مع وجود نزعة اقصائية واحتكارية للمعيار القيمي في خطابه (الفقرة الأولى). كما سنحلل مدى تطابق نظرية المثلث الدرامي أو مثلث الضحية مع خطاب قيادة حزب العدالة والتنمية في شخص أمينه العام عبد الإله بنكيران (الفقرة الثانية).

1048 Michel Pinçon et Monique Pinçon-Charlot, Sociologie de la bourgeoisie, Collection Repères, Éditions La Découverte, Quatrième Édition, 2016, Paris.

ثم سنتناول بالتحليل والنظر في المحددات الكبرى لخطاب وتواصل حزب العدالة والتنمية، من منطلق أننا نعتبره نتاج عقليات عاشت أزمت متعددة فترسخ في أسلوب تواصلها خطاب الأزمة والخصومة، بل يمكن أن نقول أن الأزمت التي عاشتها قيادات الحزب منذ تجربة الشبيبة الإسلامية، ظلت تحكم تواصلها إلى اليوم وأنها تسقط باستمرار هذا التواصل على أجيال جديدة انتسبت حديثاً للحزب أو للسياسة، فأصبح تواصل حزب العدالة والتنمية تواصل أزمة دائم مبني على وجود خصومة سياسية مؤقتة، مما يفسر فقدان القدرة على التأثير في غياب الخصم (الفقرة الثالثة).

الفقرة الأولى: تواصل حزب العدالة والتنمية والاشتغال بمنطق الإقصاء والاحتكار لقوة التمثيل

الديني

يقول جاسم سلطان في كتابه عن أزمة التنظيمات الإسلامية، أنه "من المفهوم بالنسبة إلى أي حركة دعوية أن تربي أفرادها، وتدعو المجتمع إلى سد ثغراته والمساهمة في تطويره وبناءه، ولكن أن تأخذ على عاتقها أنها من سيقوم بالمهمة عن المجتمع فذلك كان يجب أن يستدعي نقاشاً مطولاً، فمن الذي يعطي أي فرد في المجتمع المسلم الحق في أن ينصب نفسه بديلاً عن المجتمع، يخطط عنه، ويفرض عليه رؤيته، ويبني تنظيمًا بديلاً عنه؟"¹⁰⁴⁹. في المغرب، توسعت المنافسة السياسية بين مختلف الفاعلين، منذ أن أصبح الإسلاميون يمارسون أدواراً سياسية تنافسية قد تشكك في البناء الديني للملكية¹⁰⁵⁰ ككل، وسنبرز فيما سيأتي من فقرات، أهم حلقات منافسة الإسلاميين لسلطة التمثيل الديني للملك وللمؤسسات الدينية.

وتكاد تكون هذه الصفة لصيقة بكل التيارات الإسلامية الحركية، في توجهاتها الدعوية وفي التعامل مع قضايا المجتمع، مما يوحي بوجود رغبة في منافسة الدولة على مسألة التمثيل الديني فتتجاوز هذه التنظيمات بذلك "مهمة"

1049 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، مرجع سابق، ص: 65.

1050 Zeghal Malika, Religion et politique au Maroc aujourd'hui, Définir le religieux et le politique, in Religion et politique
Au Maghreb: les exemples tunisien et marocain, Policy Paper 11, Institut Français des relations internationales (IFRI), Paris, 2005, p: 34-35.

التكامل مع الدولة في تصريف الأمور العقديّة. ولقد أحالت مقتضيات دستور فاتح يوليو 2011، على الدين الإسلامي أكثر من الدساتير السابقة¹⁰⁵¹، فقد وطدت هذه الوثيقة "مكانة مؤسسة إمارة المؤمنين، من خلال التمييز بين الصلاحيات والاختصاصات الدينية للملك، والاختصاصات السياسية المرتبطة بتدبير السياسات العامة"، إذ نص الفصل 41 من الدستور على ما يلي: "الملك، أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية. يرأس الملك، أمير المؤمنين، المجلس العلمي الأعلى الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه، ويعتبر المجلس الجهة الوحيدة المؤهلة لإصدار الفتاوى المعتمدة رسمياً، في شأن المسائل المحالة عليه، استناداً إلى مبادئ وأحكام الدين الإسلامي الحنيف، ومقاصده السمحة. تحدد اختصاصات المجلس وتأليفه وكيفية سيره بظهير. يمارس الملك الصلاحيات الدينية المتعلقة بإمارة المؤمنين، والمخولة له حصرياً، بمقتضى هذا الفصل، بواسطة ظهائره". وذلك على خلاف ما كان واضحاً في متن الفصل التاسع عشر من دستور 1996 والدساتير السابقة¹⁰⁵² التي اقتصرّت على التنصيب على أن الملك أمير المؤمنين والممثل الأسمى للأمة، ورمز وحدتها، وحامي حمى الملة والدين". وبذلك فإن الفصل 41 من دستور 2011 "أعطى مكانة أكثر أهمية للحقل الديني من خلال تخصيص إمارة المؤمنين بفصل خاص، جعل أمير المؤمنين رئيساً لمؤسسة دينية، هي المجلس العلمي الأعلى الذي يتولى النظر في القضايا الدينية والقضايا المعروضة عليه كلها، ويتولى الملك تحديد اختصاصاته، وطريقة تشكيله، وطريقة اشتغاله". يقول محمد الغالي في مسألة نتائج المنافسة في التمثيل الديني بين التيارات الإسلامية ومؤسسة الملكية، أنه فيما كان ينظر البعض إلى "بزوغ منظمات الإسلام السياسي التي تستلهم خطابها من الحقل الديني، كحقل مرجعي بامتياز بالنسبة إلى المؤسسة الملكية، من شأنه أن يفضي إلى تآكل المشروع الدينية للنظام الملكي واهتلاكها، عزز سلوك الإسلام السلفي الجهادي، حقل المشروع الدينية للملك، بالنظر إليه كصمام أمان أمام الفتن السياسية ذات الخلفية

1051 أعبوشي الحسين، "جدلية الصراع في شأن الطبيعة الدينية والمدنية للدولة في المغرب"، مرجع سابق، ص: 56.

1052 نفس المرجع السابق.

المرجعية الدينية¹⁰⁵³. فتعزز بذلك دور الملك "ليقوم لا بدور الحكم بين المكونات السياسية العلمانية من جهة، والمكونات السياسية الإسلامية من جهة ثانية فحسب، بل ليتمكن من أن يضطلع بهذا الدور التحكيمي حتى بين مكونات الإسلام السياسي نفسها"¹⁰⁵⁴. وتظهر كثافة استعمال المشروع الدينية في النظام السياسي المغربي، كمحدد استراتيجي¹⁰⁵⁵ للتأثير في ميزان القوة المؤسساتي الدستوري وتحديد العلاقة بين السلطات، من خلال الخطاب الملكية التي "تترجم الفعل والسلوك الملكي واقعا، حيث لوحظ على هذه الخطب الاستعمال المكثف للنصوص القرآنية والأحاديث الشريفة عند مخاطبة الأمة أو نوابها في البرلمان"¹⁰⁵⁶.

من جانب آخر يكاد يكون ثابتا في الممارسة التواصلية لقادة حزب العدالة والتنمية سواء بصفتهم الشخصية أو من خلال بلاغات هياكل الحزب التقريرية، توظيف خطاب شعبي حول مركزية الضحية، خطاب المظلومية أي التعرض للظلم والمحنة، خطاب من أجل ممارسة تواصل أزمة مؤقت/دائم، مع التذكير المستمر بالمرجعية الأخلاقية والإسلامية، خطاب يمكن وصفه بالعنيف لفظيا يضم نوعا من الإقصاء وعدم الاعتراف بالآخرين، بدل ممارسة خطاب الإصلاح وبناء السياسات العمومية، وذلك في سبيل استمالة الجماهير أو تخوين الخصوم الذين يصفهم قادة العدالة والتنمية بالخصوم المفسدين الذين لا أخلاق لهم. يرى فريد الأنصاري أن قادة التنظيم الإسلامي أنفسهم أصبحوا يستبيحون كل شيء من أجل الوصول إلى السلطة، بالاعتماد على الأسلوب الميكيافيلي أو على "ضرب من الميكيافيلية التيارية"¹⁰⁵⁷ بمعنى الغاية تبرر الوسيلة، فصاروا يحاولون التحكم في الدولة وفي كل الفاعلين. سنناقش في عناصر هذه الفقرة مكونات الخطاب الشعبي في تواصل حزب العدالة والتنمية، مع إبراز أهم ملامح استعمال اللغة الدينية والأخلاقية لمحاولة منافسة الدولة على التمثيل الديني.

1053 الغالي محمد، "بناء الدولة الحديثة بين نظرية إمارة المؤمنين وأطروحات الإسلام السياسي في المغرب قراءة في فرص التعايش والاندماج ومخاطر التنازع"، في الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (مؤلف جماعي)، الجزء الثاني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2017، ص: 558.

1054 نفس المرجع السابق.

1055 نفس المرجع السابق، ص: 548.

1056 نفس المرجع السابق.

1057 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة، مرجع سابق، ص: 109.

أولاً- تواصل حزب العدالة والتنمية: الشعبوية والإخلال بقواعد التنافس السياسي

هناك تراكم من البحوث والدراسات الأكاديمية، حاولت دراسة العناصر والشروط التي تساهم في انتشار هذه الظاهرة الخطابية ذات المنحى الشعبي، من خلال فهم المعطيات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي فتحت الباب لولوج خطباء شعبيون إلى الحقل السياسي. ويمكن القول أن وجود أزمات في طريقة تدبير الدولة وطريقة اشتغال باقي الأحزاب السياسية وفعاليتهم، هي أحد الأسباب التي ساهمت في ظهور أحزاب ذات توجه شعبي.

وقد اختلفت الدراسات التي تفسر الإقبال الجماهيري¹⁰⁵⁸ على دعم الأحزاب التي تتبنى هذا النوع من الخطاب. و حاول الباحثون الجواب على سؤال الإقبال، من خلال فحص تصورات الناس حول مدى فعالية النظام السياسي ككل. وبذلك ينقسم تصور الناس إلى هذه الفعالية إلى صنفين¹⁰⁵⁹، صنف أول يقر "بالفعالية الخارجية للنظام السياسي، أما الصنف الثاني، فيعتبر أن النظام السياسي يتميز بالفعالية الداخلية. يعتبر الصنف الأول الذي يقر بوجود فعالية خارجية للنظام السياسي، بأن لا تأثير له على قرارات الزعماء السياسيين وعلى الاختيارات الحكومية، سواء تعلق الأمر بالمجال السياسي أو ما يترتب عنه في المجالين الاجتماعي والاقتصادي. أما الصنف الثاني الذي ينظر إلى وجود فعالية داخلية للنظام السياسي، فيعتبر أن مشاركته في العملية السياسية مؤثرة على قرارات الزعماء الحزبيين، ولها نفع على حياته الاجتماعية والاقتصادية"¹⁰⁶⁰.

من الواضح للباحث أن حزب العدالة والتنمية ولاسيما من خلال أمينه العام عبد الإله بنكيران، اعتمد استراتيجية تواصلية، تنطلق من مخاطبة الجماهير بشكل مباشر بلغة شعبية بسيطة، بدون حواجز لغوية أو شكلية طبقية أو فئوية تحيل على الانتماء إلى فئات من المجتمع غير منسجمة كثيرا مع الفئات الشعبية على مستوى المعيشة أو على مستوى

1058 Joshua J. Dyck, Edward L Lascher, Direct Democracy and Political Efficacy Reconsidered, in political behaviour, September 2009, link: <http://dx.doi.org/10.1007/s11109-008-9081-x>

1059 Ibid.

1060 Ibid.

الشكل بما في ذلك الهدام وطريقة الكلام وغيرها. غير أن هناك من الباحثين¹⁰⁶¹ من خلص إلى أن بنكيران مارس نوعا من الشعبوية السياسية لمهاجمة خصومه ولانتقاد الأوضاع والمواقف والقرارات. ومن أهداف السياسي الشعبوي هو السعي إلى تحقيق غاية محورية تتمثل في الظفر بالسلطة والسيطرة على الدولة، فالشعبوية تختلف مع الحركات الجماهيرية الأخرى، فهي لا تعبر عن طبقة اجتماعية تريد تعويض أخرى، بل مجموع أفراد ينحدرون من مناطق جغرافية وأصول اجتماعية مختلفة توحدتهم مثل مشتركة وإن كان الأفق غير واضح¹⁰⁶². يكمن القاسم الإيديولوجي المشترك *matrice* في "التقاليد، الأمر الذي يساعد على تفسير القدرة العاطفية الهائلة التي يولدها الخطاب الشعبوي في فترات الأزمات، خصوصا وأنه يستند على خطابات جماعات وطبقات مختلفة"¹⁰⁶³. فالشعبوية تقوم على "تركيبية من عواطف وإرادات تبحث عن اندماج ضمن فورة أخلاقية، لذا يكون الإسمنت الذي يلحم تلك التركيبية ذا طبيعة نفسية وليس سوسولوجية"¹⁰⁶⁴. وتتركز المؤشرات التي تسمح بتقديم صورة تقريبية عامة للشعبوية، في العناصر التالية¹⁰⁶⁵:

- شخصنة الحركة والالتفاف حول رجل،
- دعوة الزعيم للشعب بحماس بحيث يتجلى الجانب العاطفي وعلاقة القرب،
- الموقف اللانخبوي المتمثل في إدانة النخب، باعتبار هؤلاء مرتشين وفسادين،
- حركة جماهيرية تستلهم مفهوم الدولة - الأمة والتاريخ الأسطوري للبلاد،
- تموقع يحدث قطيعة مع النظام القائم،
- المناورة عبر الحديث عن الفضائل الطبيعية للشعب والتي تجعل كل الوساطات غير

ذات جدوى.

1061 محمد الأمين مشبال، بلاغة الخطاب السياسي السجالي عند عبد الإله بنكيران، مرجع سابق، ص: 179-181.

1062 -Alexandre Dorna, le populisme, Presses universitaires de France P.U.F,1999, p: 3

1063 محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي السجالي عند عبد الإله بنكيران، مرجع سابق، ص: 54-55

1064 نفس المرجع السابق.

1065 نفس المرجع السابق.

فالظاهرة الكاريزمية تبلغ ذروة أزمتهما عندما يصل الإحساس بضرورة التغيير درجة قوية مقابل تراجع قيمة النخبة.

ويوظف الخطاب الشعبي نفس تقنيات وآليات الخطاب السياسي مع نوع من الحدة والمبالغة، بحيث يقوم على العواطف بدلا من المنطق السياسي، ويدفع بالسيناريو إلى حده الأقصى: احتداد الأزمة، إدانة المذنبين، مدح القيم، وبروز المنقذ¹⁰⁶⁶.

وفي البحث في مسألة الشعبوية، يرى الباحث جيرماني أنها حدث سوسيو نفسي، لا يمكن دراسته وفحص أبعاده بدون دراسة اختلالات البنية الاجتماعية ونواقص النخب الحاكمة التي أدت إلى ظهور الشعبوية، خلال محاولات الانتقال من مجتمع تقليدي إلى آخر عصري¹⁰⁶⁷. وهو يرى أن الشعبوية هي تعبير عن فشل المؤسسات المكلفة بإدماج الساكنة بالتكيف مع الحاجيات الاقتصادية والتقنية لتحديث صناعي متسارع. وحسب هذا التوجه النظري فإن الوظيفة الأساسية للشعبوية تتمثل في "تسهيل إعادة النظر في الوضع القائم، من أجل تسريع تدبير الأزمة والبحث عن توازن سياسي واجتماعي جديدين"¹⁰⁶⁸. وخلص عدد من الباحثين إلى أن غياب فعالية النظام السياسي تفسر أكثر من النصف بالمقارنة مع العوامل الأخرى¹⁰⁶⁹ مدى إقبال الناس على تبني مواقف شعبية وتجسيدها في الممارسات السياسية المعتادة كالتصويت على أحزاب اليمين التي غالباً ما تتبنى خطاباً متمركزاً على الهوية ومعادياً للآخر¹⁰⁷⁰.

1066 Patrick Charaudeau, "Réflexions pour l'analyse du discours populiste", in Mots les s du politique, n°97, novembre 2011, p: 106, lien de la version électronique: <https://journals.openedition.org/mots/20534>

1067 Alexandre Dorna, le populisme. Presses universitaires de France, 1999, p.107.

1068 Alexandre Dorna. Faut t'il avoir peur du populisme ? Le Monde diplomatique, Novembre 2003 p.8-9.

1069 Ibid.

1070 Bram Spruyt, Gil Keppens, Filip Van Droogenbroeck, "Who Supports Populism and What Attracts People to It?" in Political Research Quarterly, University of Utah, 2016, link:

<http://dx.doi.org/10.1177/1065912916639138> P: 1-12

ويقول برام سبروت، أن كلاً من طبيعة الظروف الاجتماعية، وضعف الثقة في النظام السياسي هي إحدى أهم العناصر التي تجعل الناس يقبلون على دعم واستهلاك الخطاب الشعبوي¹⁰⁷¹.

ويرى الباحث امحمد جبرون، في قراءته ل روجي بروباكر،¹⁰⁷² Rogers brubaker أن الشعبوية هي إحدى نتائج تحولات ثقافية بسبب الأزمة القيمية الديمقراطية في الغرب. إن ظاهرة الشعبوية، وهي كظاهرة سياسية، تعبر عن أهم خصائص هذا التحول القيمي الذي طال الأساس الثقافي والسوسيولوجي للديموقراطية، فالشعبوية السياسية التي تتسع رقعتها في الغرب اليوم، سواء كانت يمينية أو يسارية، لا تعكس خلافاً في توزيع الموارد المادية والاقتصادية وتكافؤ الفرص بالدرجة الأولى، بقدر ما تعكس في نظر الشعبويين خلافاً قيمياً وثقافياً، يتمثل في سوء توزيع الشرف، والاحترام، والتقدير.. داخل المجتمع، الذي يتمثل في الظلم، وضعف التقدير.. الذي يلحق أغلب المواطنين العاديين، وبالمقابل يستفيد الذين لا يستحقون هذا التقدير¹⁰⁷³. وبذلك إن الديمقراطية اليوم كنظام سياسي، ومع هذا التحلل التدريجي لقيمها المرجعية، وفي طبيعتها قيم الفردانية والمواطنة والكرامة.. بدأت تتباعد تدريجياً عن المعنى التقليدي لها باعتبارها «حكم الشعب بواسطة الشعب ولأجل الشعب»، وتقترب أكثر مما يمكن أن نسميه بإيدوننقراطية (Identocracy)، أي «حكم هوية، بواسطة هوية، لأجل هوية»¹⁰⁷⁴.

وفيما يتعلق بأسلوب خطابة الزعيم الشعبوي، فإن جيرماني يرى أنه يتميز بكونه خطاب يحمل بلاغة لغوية تسهل عليه عملية نشاطه السياسي، فهي لغة بسيطة وسهلة الفهم، ممزوجة بنوع من السخرية خصوصاً من خصومه

1071 Spruyt, Bram, "An Asymmetric Group Relation? An Investigation into Public Perceptions of Education-Based Groups and the Support for Populism," Acta Politica, 2014, Vol. 49, P: 123-43 link:

<http://dx.doi.org/10.1057/ap.2013.9>

1072 Rogers Brubaker, why populisme, in populisme and the crisis of democracy, vol 1. P: 31. 2020. Link:

<https://doi.org/10.1002/9781119430452.ch5>

1073 جبرون امحمد، الملكية في أفق جديد، أسئلة الدين والديمقراطية والنموذج التنموي، دار الإحياء للنشر والتوزيع، طنجة، الطبعة الأولى، 2023، 21-23.

1074 نفس المصدر السابق، ص: 24

السياسيين قد تصل إلى حد الشتم. بالإضافة إلى كل ذلك، فإن خطاب الزعيم الشعبي يتسم بمنطق تبسيطي في تفسيره للظواهر، بمعنى تبسيط العلاقة السببية بين النتيجة والسبب¹⁰⁷⁵.

ومن أهم الدارسين للسلطة وللظاهرة الإسلامية في منطقة شمال إفريقيا وفي المغرب هو الفرنسي ريمي لوفو Rémy Leveau، الذي وصف الظاهرة الإسلامية في العالم العربي¹⁰⁷⁶ بأنها تمثل الوجه الآخر للشعبوية، ولدت مشاعر الإحباط الناجم عن عولمة الاقتصاد وإكراهات سياسات إعادة الهيكلة المفروضة من لدن المؤسسات المالية الدولية مثل صندوق النقد الدولي وغيره. أما كريسا دويكس¹⁰⁷⁷، فتتظر إلى ظهور وتنامي الخطاب الشعبي بالحقل السياسي مرتبطة بشروط ثلاثة، وهي الظروف السوسيو اقتصادية بالبلد، وتعاقب الأزمات، والتوفر على زعماء سياسيين ذوي كاريزما خاصة.

وخلاصة القول أن الخطاب الشعبي ينبني على شروط متعددة، تمتد مما له علاقة بالأوضاع السوسيو اقتصادية للكتلة الناخبة، إلى ما يرتبط بطبيعة النظام السياسي القائم، إلى ما هو مرتبط بقيود المنظومة القانونية والدستورية على الخطابات التي لا تتماشى مع منظور الدولة والسلطة والتي تحد من دينامية وصلاحيات الأحزاب السياسية القائمة.

وهناك عدد من السياسيين المغاربة الذين ناقشوا مفهوم الشعبوية، من بينهم لحسن حداد¹⁰⁷⁸ ذو الخلفية الأكاديمية الجامعية، والذي كان وزيرا للسياحة في حكومة عبد الإله بنكيران، فاعتبرها "عدوا" للديمقراطية و "لأي إجماع مجتمعي في زمن الأزمة مثلما وقع في زمن كوفيد 19 وما يقع الآن مع أزمة الأسعار والتضخم". ويرى حداد

1075 محمد الأمين مشبال، بلاغة الخطاب السجالي السياسي عند عبد الإله بنكيران، مرجع سابق.

1076 Rémy Leveau, "Islamisme et populisme" in vingtième siècle , revue d'Histoire , N56 ,Octobre-Décembre, 1997, Dossier: les Populismes, P: 214-223.

1077 Deiwiks Christa, "Populism," Living Reviews in Democracy, 2009, Vol. 1, P: 1-9. Link:

[https://www.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/cis-](https://www.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/cis-dam/CIS_DAM_2015/WorkingPapers/Living_Reviews_Democracy/Deiwiks.PDF)

[dam/CIS_DAM_2015/WorkingPapers/Living_Reviews_Democracy/Deiwiks.PDF](https://www.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/cis-dam/CIS_DAM_2015/WorkingPapers/Living_Reviews_Democracy/Deiwiks.PDF)

1078 حداد لحسن، "الخطاب الشعبي" .. ثقافة هجينة وجلد جماعي للذات"، في جريدة هسبريس الإلكترونية، بتاريخ 29 يوليوز 2023، انظر الرابط: <https://urlz.fr/ozcz>

أن الشعبوية هي مزاج جماعي نابع من سخط مجتمعي خلق "إحباطا لدى فئات عريضة من المجتمع"، فتم استغلاله "للدفع بحلول غير واقعية"، وبذلك تم تكريس نفس الإحباط واليأس، من قبل الذين يفترض فيهم أنهم جاؤوا لإزالتها. هو يرى أنها تعبير عن "قلق جماعي غير عقلاني تتحكم فيه العاطفة والأحكام الجاهزة والمقاربة المؤامراتية للواقع و"تحمل سردًا يكون بموجبه الوطن والأمة ضحيتين لخطط "شيطانية" مدبرة من طرف أناس يحملون أفكارا مضرة بالمصلحة العامة وقضايا الشعب"¹⁰⁷⁹.

ويرى حداد أن "الشعبوية صارت شبه إيديولوجيا تحكم سياسات ومقاربات الشأن العام، مؤكدا أنها لم تعد حركة هامشية كما كانت في السابق، ولا تقتصر على دولة دون غيرها أو على منطقة دون غيرها". وربط حداد الشعبوية ب"الفايك نيوز والحلول السهلة ومعاداة النخب التي صارت متداولة بشكل مهول ويومي من طرف شرائح عريضة من الناس". لذلك فإنه يرى أن "الموقف الشعبي صار أكثر إغراء من عملية قول الحقيقة، والحلول السهلة السحرية أكثر قدرة على التعبئة من العمل الديمقراطي المتأني المتميز بالنقاش والتفاوض واتخاذ القرارات بصفة جماعية، ومهاجمة الأشخاص وشيطنتهم أكثر تداولًا من النقد البناء". وأنه بذلك يتعين على المثقفين والساسة والمجتمع المدني ورجال ونساء الإعلام بلورة رد فكري وتحليلي على تنامي هذا الخطاب وتجذره وسط المجتمعات الغربية ودول الجنوب على حد سواء، واعتماد مقاربات تاريخية لفهم نشأته ومقاربة سوسيولوجية تتبنى المنهج النقدي/ الثقافي، الذي يرى في "الفعل السياسي امتدادًا وتعبيرًا، أحيانًا معكوسًا وأحيانًا مباشرًا، لقيم ومنظومات ملتصقة بمجموعات ذات مصالح إيديولوجية واقتصادية معينة"، كما يتعين حسب ما يراه حداد "إعادة النظر في الديمقراطية لتتجاوز بطريقة أكثر نجاعة مع هموم المواطنين"، ذلك أنه في عصر الرقمنة "يمكن المرور إلى طرق جديدة في أخذ القرارات تضمن مشاركة المواطن وتتبعه للمشاريع وإسماع صوته. فكلما كان المواطن شريكا في التنمية كلما قل لجوؤه إلى استهلاك الأخبار الزائفة"¹⁰⁸⁰.

1079 حداد لحسن، "الخطاب الشعبي"، مرجع سابق.

1080 حداد لحسن، "الخطاب الشعبي"، مرجع سابق.

يعرف قادة حزب العدالة والتنمية حزبهم، بكونه حزبا سياسيا وطنيا مغربيا مدنيا ينطلق من المرجعية الإسلامية¹⁰⁸¹ التي هي مرجعية الشعب المغربي، مع أن المفترض حسب روح القوانين والأعراف ألا يدعي أحد تبني هذه المرجعية بشكل مطلق. وتتميز الحركات الإسلامية بتبني مذاهب إسلامية كثيرة تتنازع تفسير النصوص، فهناك شيعة وسلفيات مختلفة وتصوف وغيره، يدعي كل طرف تبني المرجعية الإسلامية، ويرفض تفسيرات التوجهات الإسلامية الأخرى، بل وهناك حركات إسلامية داخل البلد الواحد تختلف تفسيراتها للمرجعية الإسلامية، فأى مرجعية يقصد إسلاميو حزب العدالة والتنمية، أو بالأحرى أي قراءة فقهية أو تدينية يقصدون أو يملكون؟

يرى العثماني أن الفصل بين الديني والسياسي غير متصور وغير ديمقراطي وغير واقعي. غير متصور نظريا لأن الإنسان عندما يمارس حقوقه السياسية يفعل ذلك انطلاقا من المبادئ والأفكار التي يحملها، وتتبع ممارسته السياسية بذلك، ولا يمكنه أن يتخلى عن أفكاره، و غير ديمقراطي لأنه معارض لحقوق الإنسان، فجميع المواثيق الدولية تؤكد على حق الإنسان في الدفاع عن أفكاره، وهو غير واقعي لأن هناك اليوم، وفي مختلف الثقافات والديانات عودة الدين إلى عمق الاحتجاجات والنضال السياسي¹⁰⁸².

يشير النظام الأساسي لحزب العدالة والتنمية إلى أن "حزب العدالة والتنمية حزب سياسي وطني يسعى، انطلاقا من مرجعيته الإسلامية وثوابت الأمة الجامعة، في إطار نظام المملكة القائم على الملكية الدستورية الديمقراطية البرلمانية الاجتماعية، وفي نطاق مؤسساتها الدستورية، إلى الإسهام في بناء مغرب حديث وديمقراطي، ومزدهر ومتكافل، مغرب معتر بأصالته التاريخية ومساهم إيجابيا في مسيرة الحضارة الإنسانية"¹⁰⁸³.

1081 سعد الدين العثماني، حوار على مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، 2008، الرابط :

[https://carnegieendowment.org/sada/"1686](https://carnegieendowment.org/sada/)

1082 كلمة وجهها سعد الدين العثماني للمؤتمر السنوي الخامس لمركز دراسات الإسلام والديمقراطية والذي شارك فيه طيلة يومي 5 و6 ماي 2006.

1083 النظام الأساسي لحزب العدالة والتنمية المصادق عليه في المؤتمر الوطني السابع بتاريخ 14 يوليوز 2012.

ويؤكد عبد الإله بنكيران الأمين العام للحزب على نفس التوجه والمرجعية، حينما قال في مهرجان خطابي لشبيبة حزبه في أواخر صيف 2016 بمدينة أكادير مستشهدا بآبن تيمية: "يا معشر القوم أنتم لا تفهمون مرجعيتنا، مرجعيتنا هي مرجعية ابن تيمية، وهو الذي علمنا أن نقول أنا جنتي في صدري، أحملها معي أينما ذهبت فسجني خلوة، ونفسي سياحة، وقتلي شهادة"¹⁰⁸⁴. وقد أثارت هذه المقولة الجدل واستغلها كثيرا غريمه السياسي حزب الأصالة والمعاصرة وربطها بالحركات الإسلامية المتطرفة، خاصة وأن ابن تيمية يعتبره البعض أحد مراجع الحركات الإسلامية الحركية الداعية إلى الحاكمية، والتي تأخذ منه كل ما يتعلق بالتأصيل في الإسلام. وقد صرح إلياس العماري ردا على موقف الأمين العام لحزب العدالة والتنمية ورئيس الحكومة عبد الإله بنكيران بتبنيه منهاج ابن تيمية، قائلا: "نحن نعرف من يتبنى مذهب ابن تيمية، هذا المذهب الذي أخذ عن الإمام أحمد تبناه محمد عبد الوهاب، واتبعه سيد قطب في ما بعد كمرجعية لدعوته إلى الجهاد وتكفير المجتمع"، مضيفا: "هو أيضا المذهب الذي تتبعه الحركات الدينية، التي تستعمل جميع الوسائل من أجل التمكين"¹⁰⁸⁵.

ويتأسس الخطاب السياسي، سواء لعبد الإله بنكيران أو لعدد من القيادات السياسية للحزب، على المرجعية الدينية بقراءة إسلامية وفقهية يبدو أنها غير مغربية، بمعنى قد تكون تأسست على قراءات تدين وممارسة سياسية مشرقية. وعموما يرتكز هذا الخطاب السياسي على توظيف بعض الآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة لعلماء الدين، حسب السياق وحسب الحاجة إليها. غير أن تفسير معنى اللجوء إلى المرجعية الإسلامية ظل إلى حد ما غامضا وغير واضح بالنسبة لقياديين الحزب، هل يعني ذلك استعمال قاموس الحلال والحرام مثلا أم هو تبني قواعد الشريعة والفقهاء الإسلامي أم هو العقيدة والإيمان، لذلك يضطر هؤلاء القيايين إلى الاستمرار في شرح مرادهم من ذلك في عدد من اللقاءات والكتابات، مما يوحي بعدم الوضوح. ومن بين ما قال العثماني عن ذلك:

1084 مهرجان خطابي بأكادير بتاريخ 30 غشت 2015، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=LwVMY5WH's0>

1085 مقابلة لإلياس العماري مع فرنس بريس بتاريخ 23 شتنبر 2016، الرابط: <https://urlz.fr/mIQt>

"المرجعية الإسلامية، أيها الإخوان، كما قلت لكم مرارا وتكرار، لا أنفي المرجعية الإسلامية التركيز على العقيدة، لا أنفي المرجعية الإسلامية التركيز على العبادات، لا أنفي المرجعية الإسلامية المعاملات، لكن كنتكم معكم دائما عن معنى كبير لي هو المرجعية الإسلامية التي آمن عليها الناس التي دخلت إلى القلوب، التي تقشعر منها الأبدان والجلود"¹⁰⁸⁶ ويقول العثماني بأن الحزب "ليس مواقع مسؤولية، وإنما حزب العدالة والتنمية نساء ورجالا يعملون لله لتحقيق الأهداف التي انطلقنا منها لأول مرة وهي هدف الإصلاح، أهداف إصلاحية انطلقا من مرجعية إسلامية، هذا سنستمر عليه إلى أن نلقى الله، نحن نراقب علاقتنا مع الله قبل أن نراقب علاقاتنا مع الناس."¹⁰⁸⁷.

وتعد الحملات الانتخابية الفترة القانونية التي يسمح فيها للأحزاب السياسية بالتنافس للإقناع ببرامجها المختلفة، ولاستمالة الناخبين للتصويت على مرشحهم. ويعمل المشرع على ضبط الفضاء العمومي التقليدي من خلال ترسانة قانونية يتم تحينها حسب المستجدات الخاصة بكل محطة انتخابية. وانطلاقا من التعددية الحزبية التي تعد أحد أهم الأسس التي قام عليها النظام السياسي المغربي والتي يضمنها دستور المغرب ونظمتها القوانين والمراسيم، فإن الأحزاب السياسية تعمل على القيام بوظائفها المختلفة، سواء خلال العمليات الانتخابية أو خارجها. وتتوجه هذا الهيئات السياسية للمواطنين عبر أشكال تواصلية متنوعة تحمل الخطاب السياسي للحزب، والذي يشكل أحد أهم العناصر في المنافسة الانتخابية، التي يفترض أن تكون نزيهة وغير مشوبة بأي استعمال لأي أداة من شأنها التدليس على المصوتين أو الخصوم، أو يمكنها أن تكون وسيلة غير شريفة في التنافس قد تعطي أفضلية غير مشروعة لخصم على آخر في استمالة المصوتين.

ويشكل التنافس السياسي الأساس الوجودي للأحزاب السياسية في المنظومة الديمقراطية، إذ لا يمكن أن نتحدث عن تعددية حزبية دون منافسة سياسية عبر آلية العمليات الانتخابية، كترجمة عملية لقواعد الديمقراطية و المواطنة

1086 كلمة عبد الإله بنكيران في المؤتمر الوطني السادس لشبيبة العدالة والتنمية في فبراير 2018، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=o8UUzj1c'2A>

1087 كلمة سعد الدين العثماني خلال أشغال المجلس الوطني للحزب مباشرة بعد انتخاب عبد الإله بنكيران أمينا عاما للحزب في 31

أكتوبر 2021، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=VDqKj7IW'y0>

والمشاركة السياسية، و باحترام لقيمة تمثيل الشعب وللنصوص التشريعية ولمبادئ المنافسة النزيهة، والابتعاد عن المنافسة غير المشروعة أو غير الشريفة.

ويمكننا اللجوء إلى منطق القانون المدني باعتباره الشريعة العامة لقواعد ومبادئ المعاملات بين الناس، ومصدرا سابقا ملهما لاستنباط قواعد قد تسري على المعاملات السياسية. فإذا كان فقهاء القانون المدني والتجاري يعرفون المنافسة التجارية غير المشروعة بأنها "استخدام التاجر لوسائل منافية لمبادئ الشرف والاستقامة التجارية في مزاحمته لغيره من التجار على اجتذاب الزبائن على نحو يؤدي الى الحاق ضرر بأحدهم أو ببعضهم"¹⁰⁸⁸، وإذا كان القضاء يؤكد بشكل راسخ وثابت بأن المنافسة تكون غير مشروعة عندما تشكل "كل فعل يرتكبه التاجر عن سوء نية يهدف إلى تحويل أو محاولة تحويل الحرفاء أو الزبناء أو الإضرار أو محاولة الإضرار بمصالح منافس له عن طريق استخدام وسائل منافية للقانون أو الأعراف أو العادات أو الشرف المهني أو الاستقامة"¹⁰⁸⁹، فإن هناك نوع آخر من المنافسة هو المنافسة الممنوعة، التي تقتض وجود حظر قانوني على القيام بنشاط معين، حيث تمنع عندئذ المنافسة نهائيا سواء أكانت الوسائل المستعملة مشروعة أو غير مشروعة، كحماية ممارسة مهن حرة معينة¹⁰⁹⁰ كالصيدلي والطبيب والمحامي إلا بالتوفر على شروط معينة ورخص محددة¹⁰⁹¹. والمنافسة غير القانونية، هي تلك الأفعال التي يأتيها التاجر وتكون مخالفة للقوانين، مما يدفع بالمشرع بإصدار مقتضيات قانونية أو تنظيمية تتعلق بحماية مهنة التجارة، تعتمد على مبادئ وأخلاق أساسية وأعراف خاصة بما يتعلق بالمنافسة والقيود المتعلقة بها لغرض منع الغش وتضليل المستهلكين¹⁰⁹².

1088 فؤاد معلال، شرح القانون التجاري الجديد، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الرابعة، 2012، ص: 280.
1089 حكم صادر عن المحكمة الابتدائية بالدار البيضاء بتاريخ 7 يناير 1963، ورد في: بحث نهاية التمرين، "المنافسة الغير مشروعة في إطار العلامة التجارية من خلال التشريع المغربي، دراسة عملية"، الفوج 34 للمحققين القضائيين، المعهد العالي للقضاء أنجز من قبل: إسماعيل أدروج وعزيز تعليت، 2009/2007، ص: 20.

1090 أحمد شكري السباعي، الوسيط في الأصل التجاري، الجزء الثاني، مطبعة المعارف الجديدة لرباط، 2008، ص: 422.
1091 مضي خديجة، محاضرات في القانون التجاري، جامعة ابن زهر، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكادير، 2010-2011، ص: 64.

1092 نفس المرجع السابق.

وعموما وبعد الوقوف على جل التعاريف الفقهية للمنافسة غير المشروعة في المادة المدنية والتجارية، يتضح على أن معظمها استعملت عبارات العادات والأعراف التجارية وكذا مفهوم الشرف ذا البعد الأخلاقي الديني، والاستقامة وهي كلها عبارات أوردها المشرع المغربي في المادة 184 من القانون المتعلق بحماية الملكية الصناعية¹⁰⁹³ عدد 17.97 الصادر في 15 فبراير 2000 المعدل و المتمم بالقانون 23.13 سنة 2014 .

ومن القواعد الأساسية في مجال المنافسة التجارية والمدنية أو الاقتصادية، فإن المشرع المغربي جرم التقليد واعتبره أكثر من المنافسة غير المشروعة، لكونه يشكل فعلا جنائيا أساسيا يخضع للعقاب الجنائي ودعواه تعد دعوى جنائية تنقرر لحماية الملكية الصناعية أو بعض العناصر المعنوية المكونة للمتجر أو للملك التجاري كبراءة الاختراع مثلا¹⁰⁹⁴. كما أن دعوى التقليد تفترض أساسا بأن هناك حقا قد تم الاعتداء عليه، (اعتداء مس بحق المدعي)، بينما في دعوى المنافسة غير المشروعة فإن المدعي ينتقد موقف أو تصرف المدعى عليه غير اللائق¹⁰⁹⁵، وإذا حاولنا إسقاط هذه المفاهيم القانونية المدنية على الفضاء السياسي، بغية استنباط مبادئ عامة تضبط "المعاملات السياسية"، واعتبرنا قياسا على ذلك أن صاحب الحق الأصلي في ممارسة خطاب ديني أو تواصلية لفائدة عموم المواطنين هو الدولة، أو اذا اعتبرنا أن الدولة تحتكر اللغة الدينية السياسية بواسطة مؤسسات تاريخية تنظمها إلى جانب الدستور، الأعراف الراسخة، المتمثلة في المؤسسة الملكية حصرا، فإن أي توظيف للخطاب الديني من قبل أي فاعل قد يمكن اعتباره تنافسا أو تقليدا غير مشروع وقد يستوجب المنع.

ومن خلال نظرية المنافسة والشروط الواجب توفرها في المتنافسين وفي أدوات عملهم، فإنه يمكن القول بأن فلسفة المبادئ العامة للقانون وللممارسة السياسية، تسير في توجه ضرورة احترام مبدأ المنافسة النزيهة في الانتخابات

1093 تنص المادة 184 من القانون 17.97 المعدل والمتمم بالقانون 23.13 في الفقرة الأولى على تعريف للمنافسة غير المشروعة بأنها: "كل عمل منافسة يتنافى وأعراف الشرف في الميدان الصناعي أو التجاري...."، من خلال هذا التعريف يتضح أن المشرع المغربي يعتبر عمل منافسة غير مشروع كل عمل يتنافى وأعراف الشرف سواء في الميدان الصناعي أو التجاري.

1094 أحمد شكري السباعي، مرجع سابق، ص: 434.

1095 نفس المرجع، ص: 417.

بعدم استعمال الدين والخطاب الديني المباشر، من عدة مقتضيات دستورية وقانونية وتنظيمية. ومن مخاطر هذا الاستعمال للدين في الخطاب السياسي وخصوصا خلال فترات الحملات الانتخابية، أنه يخلق نوعا من الاخلال بقواعد التنافس الانتخابي، لاسيما وأن حزب العدالة يتهم خصومه دائما بعدم نزاهتهم في الحملات الانتخابية، تارة مستعملا اتهام استعمال المال في شراء الذمم، كما كان الأمر مع المواجهة الانتخابية مع حزب الأصالة والمعاصرة أو مع حزب التجمع الوطني للأحرار برئاسة عزيز أخنوش، وتارة مستعملا تهمة قريهم من شخصيات سياسية ومن دوائر التحكم، أي القرب من الدوائر الملكية كما كان الأمر مع حزب الأصالة والمعاصرة. يقول بنكيران فيما يتعلق بتغيير وجهة بعض المنتخبين لتشكيل مجلس منتخبة: "وعلاش هاد الناس غادي يغيروا الرأي ديالهم بالسلامة؟ أش عجبهم فيكم؟ هادو يإما خوفتيهوم، يإما شريتوهم، هاد الشي اللي كاين"¹⁰⁹⁶.

وتكمن هذه المخاطر أساسا في إحالة خطاب تبني المرجعية الإسلامية بشكل مباشر من قبل حزب العدالة والتنمية، على خطاب شبيه بخطاب قيادات الشبيبة الإسلامية سابقا، وقد أبرزنا ذلك آنفا في هذه الأطروحة، فهؤلاء كانوا يعتبرون غير المنتسبين قولا وفعلا جهازا لمرجعيتهم بمثابة خارجون عن الإسلام، وهو الخطاب الذي ظل سائدا بشكل كبير عند تيارات الحركات الإسلامية خلال القرن العشرين. فلهذا الادعاء خطر لفظي واضح تمييزي بين فئتين، فئة تعلن تبني المرجعية الإسلامية، وفئة لا تعلن ذلك مما يعني عدم امتثال باقي الأحزاب السياسية للدين الإسلامي أو أنه امتثال شكلي، وهو المعنى الذي يشير بشكل عميق إلى نوع من التكفير السياسي للخصوم لأنهم غير ملتزمون بالمرجعية الإسلامية.

1096 خطاب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية عيد الإله بنكيران في المؤتمر الاستثنائي للحزب في 28 مايو، 2016، رابط الفيديو على قناة يوتيوب الخاصة بالحزب: www.youtube.com/TWUVnmroJBA

وهناك من اعتبر¹⁰⁹⁷ أن ترديد عبارات مثل "الله أكبر"، أو "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، أو عندما يقول عبد الإله بنكيران، في المهرجانات الخطابية لحزب العدالة والتنمية، إن حزبه نعمة من الله للمغاربة، هو "استعمال للدين في الحملات الانتخابية، (...)", حين يسمع أي مغربي مثل هذه العبارات فهو أيضا سيردها، وهذا فيه استغلال للدين لاستمالة أصوات الناخبين"، مما قد يعتبر نوعا من التخويف لباقي الفاعلين السياسيين الذين لا يُقحمون الدين في المجال السياسي¹⁰⁹⁸.

ثانيا - القانون المغربي: تقييد محدود لاستعمال الدين في السياسة

ومن أهم المقتضيات القانونية التي تشير إلى أن استعمال الدين الإسلامي في خطاب السياسة قد يشكل مخالفة، لقواعد المنافسة السياسية، وخروجا عن ثوابت وأسس النظام السياسي المغربي، هي كالاتي:

- دستور المملكة¹⁰⁹⁹: نص الفصل الثالث من دستور 2011 على أن الإسلام هو دين الدولة والدولة تضمن لجميع ممارسة شؤونه الدينية، وبالتالي الدولة هي الوصي الأوحد عبر مؤسساته المختصة لممارسة الخطاب الديني، تقاديا لأي صدمات أو فوضى في الإفتاء وغيره. وجاء في الفصل السابع من الدستور: "تعمل الأحزاب السياسية على تأطير المواطنين والمواطنات وتكوينهم السياسي، وتعزيز انخراطهم في الحياة الوطنية، وفي تدبير الشأن العام، وتساهم في التعبير عن إرادة الناخبين، والمشاركة في ممارسة السلطة، على أساس التعددية والتناوب، بالوسائل الديمقراطية، وفي نطاق المؤسسات الدستورية. تؤسس الأحزاب وتُمارس أنشطتها بحرية، في نطاق احترام الدستور والقانون. نظام الحزب الوحيد نظام غير مشروع. لا يجوز أن تؤسس الأحزاب السياسية على أساس ديني أو لغوي أو عرقي أو جهوي، وبصفة عامة، على أي أساس من التمييز أو المخالفة لحقوق الإنسان. ولا يجوز أن يكون هدفها المساس بالدين الإسلامي، أو بالنظام الملكي،

1097 بلاغ المركز المغربي من أجل ديمقراطية الانتخابات، (جمعية غير حكومية تأسست سنة 2002، من باحثين وحقوقيين ونشطاء مجتمع مدني)، صادر في يوليوز 2016، منشور على عدد من الجرائد المغربية من بينها على الرابط: <https://urlz.fr/mN2J>
1098 نفس المرجع السابق.

1099 دستور المملكة المغربية، صادر بتاريخ 29 يوليوز 2011، نشر بالجريدة الرسمية عدد: 5964bis، بتاريخ 30 يوليوز 2011.

أو المبادئ الدستورية، أو الأسس الديمقراطية، أو الوحدة الوطنية أو الترابية للمملكة. يجب أن يكون تنظيم الأحزاب السياسية وتسييرها مطابقا للمبادئ الديمقراطية. يحدد قانون تنظيمي، في إطار المبادئ المشار إليها في هذا الفصل، القواعد المتعلقة، بصفة خاصة، بتأسيس الأحزاب السياسية، وأنشطتها ومعايير تخويلها الدعم المالي للدولة، وكذا كفاءات مراقبة تمويلها".

- **قانون الأحزاب السياسية¹¹⁰⁰**: في نفس توجه منع تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني، أي عدم تبني المرجعية الإسلامية على مستوى مؤتمراتها التأسيسية، ونستخلص بذلك أنه لا ينبغي لهذه الأحزاب لها أن تؤسس جميع ممارستها عليه، ومن تم يمكننا أن نقول أنه لا ينبغي أن تؤسس خطابها وبرامجها على أساس منعت من تأسيس الحزب عليه أصلا أي الأساس الديني، الشيء الذي أكدت عليه المادة الرابعة من قانون الأحزاب السياسية: "يعتبر باطلا كل تأسيس لحزب سياسي يرتكز على أساس ديني أو لغوي أو عرقي أو جهوي، أو بصفة عامة على أي أساس من التمييز أو المخالفة لحقوق الإنسان. يعتبر أيضا باطلا كل تأسيس لحزب سياسي يهدف إلى المساس بالدين الإسلامي أو بالنظام الملكي أو المبادئ الدستورية أو الأسس الديمقراطية أو الوحدة الوطنية أو الترابية للمملكة".

- **المادة السابعة من الظهير الشريف رقم 1.14.104 صادر في 20 من رجب 1435هـ (20**

ماي 2014) في شأن تنظيم مهام القيمين الدينيين وتحديد وضعياتهم¹¹⁰¹، التي تؤكد ما يلي: "يتعين على كل قيم ديني، في جميع الأحوال وطيلة مدة مزاولته لمهامه، التحلي بصفات الوقار والاستقامة والمروءة التي تقتضيها المهام الموكولة إليه. ويمنع عليه، خلال هذه المدة، ممارسة أي نشاط سياسي أو نقابي، أو اتخاذ أي موقف يكتسي صبغة سياسية أو نقابية، أو القيام بأي عمل من شأنه وقف أو عرقلة أداء الشعائر الدينية، أو

1100 انظر القانون التنظيمي رقم 29.11، صادر بتاريخ 22 أكتوبر، 2011 جريدة رسمية عدد 5989، بتاريخ 24 أكتوبر 2011 المتعلق بالأحزاب السياسية.

1101 انظر الجريدة الرسمية عدد 6268، بتاريخ 26 يونيو 2014.

الإخلال بشروط الطمأنينة والسكينة والتسامح والإخاء، الواجب توافرها في الأماكن المخصصة لإقامة شعائر الدين الإسلامي".

ولاشك أن عددا من منتسبي حزب العدالة والتنمية، وذراعه الدعوي/السياسي حركة التوحيد والإصلاح، يمارسون الوعظ في عدد من أماكن العبادة أو حتى في المساجد أو تقديم دروس دينية، وبذلك فإن هذا التداخل في الوظائف الدينية والسياسية قد يخلق لدى المتلقي نوعا من الميول والتعاطف مع من يمارسون سياسيا نفس خطاب الوعظ أمامهم.

- المرسوم رقم 2.15.578 الصادر في 7 شوال 1436 (24 يوليو 2015) المتعلق بتحديد

الأماكن الخاصة بتعليق الإعلانات الانتخابية¹¹⁰²، بمناسبة انتخاب أعضاء مجالس الجماعات والمقاطعات وانتخاب أعضاء مجالس الجهات، تطبيقا للأحكام المادة 35 من القانون التنظيمي¹¹⁰³ رقم 59.11، فإنه قد منع تعليق الإعلانات الانتخابية بمناسبة انتخاب أعضاء مجالس الجماعات والمقاطعات وأعضاء مجالس الجهات في الأماكن التالية: "أماكن العبادة وملحقاتها؛ الأضرحة والزوايا وأسوار المقابر..."، وهي أماكن ذات معنى ديني روحي، وأن إعلانات الحملات الانتخابية هي بمثابة خطاب سياسي يروج لأفكار حزبية سياسية، يجب أن تظل بعيدة عن هذه الأماكن حتى لا تؤثر على مرتاديه وتتحول إلى فضاءات نقاش سياسي.

ويبدو من قراءة هذا الجانب القانوني فيما يتعلق باستعمال الخطاب الديني في العمل السياسي، أن هناك محدودية تشريعية ونقص في النصوص القانونية والتنظيمية التي تضبط هذا الاستعمال، غير أنه يمكننا القول أن هناك جوانب عرفية بوجود تقاليد وأعراف سياسية مغربية، كما أبرزنا ذلك سابقا، تعطي أسبقية مطلقة وحصرية لمؤسسة إمارة

1102 انظر الجريدة الرسمية عدد 6381، صادرة بتاريخ 27 يوليوز 2015.

1103 انظر القانون التنظيمي رقم 59.11 المتعلق بانتخاب أعضاء مجالس الجماعات الترابية، كما تم تعديله بالقانون التنظيمي رقم

34.15 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.90 بتاريخ يوليو 2015، جريدة رسمية عدد 6380، 23 يوليو 2015، ص: 6713.

المؤمنين في هذا الاستعمال وللمؤسسات التي تشغل باسمها رسميا في المجال الديني، حتى لا يكون هناك تنافس في التمثيلية الدينية وبالتالي تفادي إمكانية ظهور أي تنافس أو صراع مع خطاب الدولة في المجال الديني. ورغم وجود هذه الأعراف الراسخة تاريخيا، فإن هناك من قد لا يتوافق معها في إنشاء خطاب ديني مستقل عن بنيات الدولة، مما يفترض في نظرنا خلق منظومة معيارية لضبط استعمال خطابات الديني في العمليات السياسية، وإحداث مؤسسة ضبطية تراقب ذلك على غرار الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري.

لذلك فإن الاستعمال المفرط للخطاب الديني بتوظيف الانتماء السياسي إلى المرجعية الإسلامية، من قبل حزب العدالة والتنمية وقياداته في تواصله مع الجماهير، يمكن اعتباره استعمالا وتوصلا مخلا بقواعد المنافسة الشرعية والقانونية، باعتبار الإسلامي من ثوابت الدولة التي توحد المغاربة ولا يمكن استعماله من قبل فاعل سياسي قصد استمالة أصوات الناخبين قد لا يتفق الناس مع قراءته للدين لاسيما أنها في أساسها غير مالكية. وبذلك فإنه ربما يتعين تنظيم هذا الاستعمال بنصوص قانونية خاصة، على غرار النصوص التي منعت القيميين الدينيين من الخلط بين السياسية والخطاب الديني، أو بنصوص تفسر المواد التي منعت تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني.

وتجدر الإشارة إلى التغيير الذي أقرته وزارة الداخلية، في استبدال يوم الاقتراع من يوم الجمعة لما يحمله من حمولة دينية لكونه يوم استثنائي ذو قيمة ورمزية إسلامية بالغة، إلى يوم الأربعاء 8 شتنبر¹¹⁰⁴، يوجي بأن هناك توجه واعي لدى السلطة بفصل كل ما هو تنافس سياسي انتخابي عن ما هو ديني، بغية قطع الطريق عن احتمالية وجود لقاءات انتخابية في صلاة الجمعة وتمييز اللحظة الانتخابية عن لحظة العبادة المرتبطة في المخيال الديني وفي تمثلات المتعبدين بقيم الصدق والأمانة وعدم شهادة الزور، إضافة إلى عدم إعطاء الفرصة لبعض الخطباء والوعاظ بتوجيه الناخبين بطريقة غير مباشرة من خلال خطب ودروس يوم الجمعة.

ثالثا - التواصل الديني للحزب والتنافس من أجل التمثيل الديني

¹¹⁰⁴ انظر قرار وزارة الداخلية المتعلق بتحديد تاريخ اقتراع أعضاء مجلس النواب على الرابط الرسمي المتعلق بالانتخابات: <http://www.elections.ma/calendrier-electoral.aspx>

بالرغم من أن قادة حزب العدالة والتنمية لا ينازعون المؤسسة الملكية سلطة "التمثيل الديني" أو من يتحدث باسم الدين¹¹⁰⁵، إلا أن هناك عددا من المؤشرات سواء في إصدار بعض المواقف/الفتاوى من قبل بعض القيادات وبعض "مشايخ"، حركة التوحيد والإصلاح، أو من خلال بعض التصريحات التي تحيل على الشريعة الإسلامية وقاموس الحلال والحرام، توحى بوجود رغبة في منافسة السلطة الدينية للملك وللدولة في التمثيل الديني، وفي خلق تمثيل ديني بديل، وفي عدم الامتثال المطلق لمذهب الدولة المالكي.

ورغم صدور الظهير الشريف رقم 1.14.104 صادر في 20 من رجب 1435 هـ (20 ماي 2014) في شأن تنظيم مهام القيميين الدينيين وتحديد وضعياتهم¹¹⁰⁶، في سياق التصدر السياسي لحزب العدالة بما يعنيه ذلك من تأكيد متكرر على مرجعية الحزب الإسلامية، والذي يؤكد في مادته السابعة ما يلي: "يتعين على كل قيم ديني، في جميع الأحوال وطيلة مدة مزاولته لمهامه، التحلي بصفات الوقار والاستقامة والمرورة التي تقتضيها المهام الموكولة إليه. ويمنع عليه، خلال هذه المدة، ممارسة أي نشاط سياسي أو نقابي، أو اتخاذ أي موقف يكتسي صبغة سياسية أو نقابية"، فإننا يمكن أن نعتبر هذا النص التشريعي رسالة سياسية مضمرة حول مركزية الملك باعتباره صاحب "سلطة النفاذ"¹¹⁰⁷ الحصري من الخطاب الديني إلى المجال السياسي، أي في استعمال الخطاب الديني، و "تنظيم الحق في الكلام"¹¹⁰⁸ الديني في الفضاء السياسي، ومنع جميع الأطراف من استعمال الدين سياسيا بما في ذلك العلماء والأئمة، فإن قيادة حزب العدالة والتنمية استمرت بشكل تصاعدي في توظيف اللغة الدينية في السياسة، مما يرجح فرضية وجود رغبة تنافسية في التمثيل الديني.

1105 بسمة عبد العزيز، سطوة النص، خطاب الأزهر وأزمة الحكم، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، مصر، الطبعة الأولى، 2016، ص: 133-134.

1106 انظر الجريدة الرسمية عدد 6268، بتاريخ 26 يونيو 2014.

1107 عماد عبد اللطيف، مقدمة كتاب سطوة النص خطاب الأزهر وأزمة الحكم، لبسمة عبد العزيز، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، مصر، الطبعة الأولى، 2016، ص: 15.

1108 نفس المرجع السابق، ص: 13.

من خلال النص التشريعي المذكور، يبدو أن المؤسسة الملكية، تعمل على الدفاع عن تمثيليتها المطلقة للدين، باعتبارها الموجه الرسمي والتاريخي والعرفي للمجال الديني في البلاد. في حين يبدو أن جماعات دينية أخرى في المغرب من بينها حزب العدالة والتنمية وذراعه حركة التوحيد والإصلاح، ترى نفسها صاحبة مشروعية وأحقية في ممارسة الخطاب الديني من خلال إنشاء هويتها الدينية في الفضاء السياسي، وربما تقترح نفسها أن يفوض لها بعض جزئيات التعامل مع المجتمع في هذا الباب، باستخدام الحجة الدينية تارة في الافتاء وتارة من خلال التعاون مع مؤسسات الدولة في محاربة التطرف والاستقطاب الجهادي¹¹⁰⁹.

ثمة معطيات يمكننا وصفها بالشواهد على وجود إصرار "واعي" على التمثيل الديني من قبل كوادر التيار الإسلامي، المنتمي إلى حركة التوحيد والإصلاح بما في ذلك قيادات في حزب العدالة والتنمية. يتعلق الأمر في نظرنا بالرؤية الدينية تجاه النظام السياسي وارتباطه بمفهوم الخلافة. فقد ذكرت الوثيقة السياسية لحركة التوحيد والإصلاح أن الخلافة على مناهج النبوة¹¹¹⁰، تقتضي ما يلي:

- قيامها على أساس حاكمية الكتاب وقانون الشريعة.
- أن تكون خلافة رسالية.
- أن تكون خلافة انتخابية، فقد كان الخلفاء الراشدون وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون الخلافة منصبا انتخابيا، يرجع الأمر فيه إلى رضا المسلمين ومشورتهم، ولم يكن الحكم عندهم قائما على اغتصاب أو تغلب أو إكراه، كما أنهم لم يدعوها لأنفسهم، ولم يعهدوا بها لأقارب.
- أن تكون خلافة شورية.
- أن تضمن إقامة العدل وحماية الحقوق.

1109 لشهب نور الدين لشهب، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، السنة الجامعية 2020-2021، ص: 240-301.
1110 انظر الوثيقة السياسية لحركة التوحيد والإصلاح على موقع الحركة على الرابط التالي: انظر الوثيقة السياسية لحركة التوحيد والإصلاح على موقع الحركة على الرابط التالي: <https://bit.ly/3fhBTdU>

- أن تضمن حرية التعبير وحق الاعتراض.

كما أشارت هذه الوثيقة إلى كون النظام السياسي المغربي منذ الاستقلال، تميز بعلاقة طاعة بين الحاكمين والمحكومين أكثر منها علاقة التزام "من الحاكم تجاه شعبه ورعاياه". وبغض النظر عن القصد وراء هذه العلاقة الذي يتجلى في الرغبة في خلق الاستقرار السياسي، فإن هذا وضع هذه العلاقة بين الحاكم والمحكومين، انطلاقاً من الصلاحيات التنفيذية التي يعطيها الدستور للملك "تطرح على مستوى الممارسة مجموعة من الإحراجات المرتبطة بالمسؤولية عن ممارسة السلطة"¹¹¹¹. كما يتمركز مشروع حركة التوحيد والإصلاح، كما يقول عبد الرحيم الشخي، رئيس الحركة: "بالأساس حول مركزية إقامة الدين، فالمشروع قد حسم الموضوع عبر الانتقال من إقامة الدولة إلى إقامة الدين"¹¹¹².

أصدرت الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية مؤخراً، بلاغاً تنتقد فيه بعض الدعوات المطالبة بالمساواة في الإرث بين المرأة والرجل، وجاء في البلاغ: "تؤكد الأمانة العامة موقفها الرفض للدعوات الصادرة عن بعض الجهات المعزولة المنادية بالمساواة في الإرث، وتعتبرها فضلاً عن كونها دعوات مستجيبة لإملاءات خارجية، خروجاً على الإجماع الوطني والثوابت الدينية والدستورية للمملكة، وتجاوزاً للإطار الذي حدده جلالته الملك أمير المؤمنين الذي أكد على ضرورة احترام النصوص القرآنية القطعية"¹¹¹³.

وقال عبد اللطيف وهبي الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة بصفته وزيراً للعدل، في موضوع "الرقابة الدينية" التي يمارسها أعضاء حزب العدالة والتنمية في انتقادهم لخطاب الحكومة، وذلك رداً على تدخل النائب البرلماني عبد الله بوانو أحد قيادي حزب العدالة والتنمية، في جلسة عمومية بمناسبة الإجابة على سؤال شفهي حول موضوع الولاية الشرعية على الأبناء القاصرين تقدم به حزب التقدم والاشتراكية، في مجلس النواب بتاريخ 17 أبريل 2023، أن هناك

1111 نفس المرجع السابق.

1112 لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، مرجع سابق، ص: 300.

1113 انظر الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 7 مارس 2023، منشور على الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية على الرابط:

<https://urlz.fr/mUpN>

من يمارس "ديكتاتورية دينية يعتقد أصحابها ملكهم للحقيقة المطلقة". وأكد ضمنا على وجود مؤسسات دستورية في إشارة إلى مؤسسات العلماء التي لها دور في مناقشة هذا الموضوع، وقال أن "المشكل موجود وأنه قرار غير مرتبط بي لوحدي"، وأنه ليست له السلطة، باعتبار أن "هذا مجال ديني مرتبط بمؤسسات دستورية لها رأيها فيه، وهناك قرار لجلالة الملك باعتباره المسؤول عن المجال الديني"¹¹¹⁴.

هناك أيضا مسألة استعمال قاموس الحلال والحرام، ولنأخذ مثلا على هذا الأمر من خلال في محاضرة¹¹¹⁵ ألقاها سعد الدين العثماني الأمين العام السابق لحزب العدالة والتنمية، بمقر حركة التوحيد والإصلاح بالرباط، حول موضوع "الأسرة بين المنظومة الإسلامية والمنظومة الغربية"، خلال شهر ماي 2023، ونشر الفيديو المتعلق بها على حسابه الرسمي بمنصة فيسبوك يوم 17 يونيو 2023. انطلق العثماني من خطاب ملكي سابق وتحديدا من جملة معينة فيه: "لا أحلّ حراما ولا أحرمّ حلالا"، داعيا إلى اعتبار هذه الجملة مبدأ في تعديل مدونة الأسرة. انتقد العثماني الجمعيات الحقوقية التي ترفع مطالب خاصة كرفع التجريم عن العلاقات الجنسية الرضائية في القانون الجنائي، وإلغاء تزويج القاصرين في مدونة الأسرة، معتبرا ذلك: "فتح الباب أمام القاصرين لممارسة الجنس خارج إطار الزواج، وهذا مناقض تماما لقاعدة تيسير الحلال والتضييق على الحرام التي هي الأساس الذي بُنيت عليه مدونة الأسرة". استعمل العثماني لغة فقهية إسلامية، كمصطلحات "التضييق على الحرام" "تيسير الحلال"، "العفة"، "الفاحشة"، "تيسير الزواج"، والتي طبعا لم ترد في الخطاب الملكي¹¹¹⁶، وإنما حاول استعمال خطاب الملك منتقيا منه ما يلتقي مع مرجعية حزبه الإسلامية، في حين أن الخطاب الملكي جاء شاملا متحدثا عن حقوق المرأة وتطبيق الدستور والمناصفة والاجتهاد

1114 انظر فيديو جلسة الأسئلة الشفوية بمجلس النواب بتاريخ 17 أبريل 2023، على القناة الرسمية لمجلس النواب المغربي على الرابط:

<https://www.youtube.com/live/39WF9N?FMsY?feature=share>

1115 انظر رابط فيديو المحاضرة على الحساب الخاص لسعد الدين العثماني على منصة فيسبوك: <https://urlz.fr/mNX4>

1116 جاء في الخطاب الملكي: "وبصفتي أمير المؤمنين، وكما قلت في خطاب تقديم المدونة أمام البرلمان، فإنني لن أحل ما حرم الله، ولن أحرم ما أحل الله، لاسيما في المسائل التي توطرها نصوص قرآنية قطعية. ومن هنا، نحرص أن يتم ذلك، في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية، وخصوصيات المجتمع المغربي، مع اعتماد الاعتدال والاجتهاد المنفتح، والتشاور والحوار، وإشراك جميع المؤسسات والفعاليات المعنية"، انظر خطاب الملك محمد السادس بمناسبة عيد العرش، بتاريخ 30 يوليوز 2022، رابط الخطاب في موقع وكالة

المغرب العربي للأنباء (مؤسسة عمومية رسمية): <https://urlz.fr/mOQk>

الديني في إطار مقاصد الشريعة، ثم عدم تجاوز النصوص القطعية في القرآن الكريم وهي النصوص الواضحة الحكم الفقهي التي أقر الملك بعدم إمكانية تجاوزها. فعندما يصر قادة حزب العدالة والتنمية على إعطاء تفسير ديني قد يبدو مختلفا عما ورد في خطاب الملك، فإن ذلك في نظرنا يدخل في إطار البحث عن دور "الممثل الديني الفرعي" بعد الملك، في تفسير مقتضيات الدين وعلاقتها بالقانون والتشريع، معتبرا في نفس المحاضرة أنه بدون هذه القيم الإسلامية ستسود الفوضى، مما يمكن تفسيره بنوع من التخويف المبطن، والتحذير من تجاهل المرجعية الإسلامية التي يتبناها حزبه.

ويستمر بنكيران إلى الآن¹¹¹⁷ في التذكير بتأثره بمضامين كتاب "معالم في الطريق" لسيد قطب، الذي دفعه للانضمام إلى حركة الشبيبة الإسلامية في السبعينيات من القرن الماضي، مما يفترض أن هذه المرجعية الإسلامية المشرقية لا زالت تتحكم في أفكاره، بل إنه يعبر عنها بطريقة تشبه الإشادة، مع عدم ذكر أي مرجع فقهي مالكي مغربي، مما يطرح التساؤل حول حدود ما سمي بالمراجعات الفكرية للشبيبة الإسلامي قبل تأسيس الجماعة الإسلامية من قبل بنكيران وقبل طلب المشاركة السياسية الشرعية.

أيضا هناك موقف يشبه الفتوى الفقهية تناولناها سابقا ولأبأس بالتذكير بها، وهو متعلق برفض حركة التوحيد والإصلاح بواسطة رئيسها أحمد الريسوني، الاحتفال برأس السنة الميلادية الذي أصدرته بواسطة بيان علني¹¹¹⁸، مستعملة مذهب الدولة لتمرير رسالتها من خلال حجة مذهب الإمام مالك، وكأنها بذلك تريد أن تخرج الدولة ومؤسساتها، مما عرض رئيسها حينها الدكتور أحمد الريسوني، إلى صدور رسالة تحذير قوية اللغة واللهجة من

1117 انظر رابط فيديو الحلقة الأولى من سلسلة "ذكريات لا منكرات"، يقدمها عبد الإله بنكيران، بتاريخ: 24 يونيو 2023، رابط الفيديو على قناة بنكيران الخاصة على يوتيوب: <https://youtu.be/7HvVZIJcDz4> ورابط الفيديو على الحساب الخاص لعبد الإله بنكيران على منصة فيسبوك:

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=pfbid024qDK5Vim5jQmKrfwsm9tCmEqhhgXsm1tq'W4GYkShFS6mx1xibMhP7D8ePupMtiql&id=10004'5516'4417

1118 ماهر الملاح، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3) جاء وقت الحديث"

السلطات العمومية، ثم مسألة تكامل السياسي مع الفقيه الداعية من خلال طرح سؤال برلماني حول عطلة السنة الميلادية من قبل فريق الحزب بمجلس النواب، ومقارنتها مع السنة الهجرية¹¹¹⁹.

رابعا - استجابات الخطاب بين حزب العدالة والتنمية ومؤسسات الدولة في تدبير الدين

هذه التفاعلات يطلق عليها الباحثون¹¹²⁰ توصيفا ينسجم مع مقاربة التحليل النقدي للخطاب كما أسلفنا في هذه الأطروحة عندما ناقشنا أنواع "استجابات الخطاب"، أي أن هناك خطابات تتفاعل فيما بينها. فقد يبدو أحيانا خطاب حزب العدالة والتنمية وحركة التوحيد والإصلاح "استجابة دعم"¹¹²¹ لخطاب السلطة لاسيما فيما يتعلق بالتعاون في محاربة الاستقطاب الجهادي العنيف، لكننا نرى أن هذه الاستجابة قد تكون متناقضة بشكل عميق مع البنية التكوينية والفكرية للنسق الفقهي والفكري الذي تأسست عليه الحركة والحزب، لاسيما في الشق المتعلق بالاستمرار في تبني نفس المرجعية التي يتبناها "الجهاديون"، ومنها أدبيات الحاكمية والخلافة الإسلامية، أو في استجابات تحاول توجيه الدولة من خلال تذكيرها بأحكام الحلال والحرام. هناك أيضا استجابة "الرضوخ"¹¹²² لخطاب السلطة، الذي يعني "استحداث الموقف أو تغييره وفقاً لضغط السلطة الحاكمة"، وهذا ما حدث عندما تم إبعاد عدد من الوجوه القيادية من الحزب ومن الحركة من بينهم أحمد الريسوني ومصطفى الرميد بعد أحداث 16 ماي 2003 الإرهابية بالدار البيضاء.

نجد أيضا "استجابة الممانعة"¹¹²³، وهي الاستجابة التي يتمتع من خلالها الحزب أو الحركة عن تقديم دعمه وتأييده للسلطة، كما لاحظنا سابقا في هذه الرسالة، في موقف الحزب والحركة من إقامة علاقات سياسية مع إسرائيل، وهو موقف لاحظنا فيه نوعا من الانتقاد الملحوظ للسلطة. وهناك وقائع أخرى تبرز رغبة حزب العدالة والتنمية في الظهور بمظهر المدافع عن الدين، بغاية ترسيم موقعه في خريطة التمثيل الديني إلى جانب المؤسسات الرسمية المعنية

1119 سعد الدين العثماني، حوار نشر في جريدة التجديد، المغرب، بتاريخ 11 يناير 2005، مرجع سابق.

1120 بسمة عبد العزيز، سطوة النص، خطاب الأزهر وأزمة الحكم، مرجع سابق، ص: 186.

1121 نفس المرجع السابق.

1122 نفس المرجع السابق.

1123 نفس المرجع السابق.

بذلك. فقد سبق أن دعا نواب الحزب في مجلس النواب إلى إلغاء مهرجان موازين الذي يقام بالرباط (استجابة ممانعة)، من بينهم بسيمة الحقاوي التي ستتولى منصبا وزاريا فيما بعد في حكومة بنكيران. وكان ذلك في تدخل لها بمجلس النواب، حيث عبرت عن رفضها لتنظيم المهرجان الذي قالت عنه أنه "تظم في تحد سافر للدعوات التي قام بها مجلس النواب والشارع المغربي بإلغائه، أو على الأقل طلب تأجيل دورة هذه السنة.. إن حاجتنا إلى المليار ومائتي مليون درهم التي منحت لراقصة ساقطة اختتم بها المهرجان من الناحية الرمزية هو أعلى وهدره بمرارة أكبر، لأنه ثمن عرض بورنوغرافي مليء بالإيحاء الجنسي والتحريض على الإباحية وضرب للمنظومة القيمية للمجتمع المغربي.."¹¹²⁴. غير أن الملاحظ أن هذا الخطاب تراجع مع توالي مشاركة الحزب في تدبير الحكومة وتدبير الشأن العام. فعندما صارت بسيمة الحقاوي وزيرة للتضامن والأسرة والمساواة والتنمية الاجتماعية ما بين سنوات 2012 و 2019، قالت في حوار تلفزيوني بأن "مهرجان موازين لا يصل إلى درجة الإباحية"¹¹²⁵.

لقد حاول حزب العدالة والتنمية، منذ فوزه في الانتخابات التشريعية وترؤسه للحكومة، الظهور بوجه معتدل ومتسامح مع بعض الممارسات المجتمعية الخلافية كالمهرجانات الموسيقية وبيع الخمر وغيرها، (استجابة رضوخ) إلا أنه وخلال 29 ماي 2015، في فترة ترؤس بنكيران للحكومة، بثت القناة الثانية سهرة افتتاح الدورة 14 من مهرجان موازين للموسيقي بالرباط، ظهرت فيه مغنية أجنبية اسمها جينيفر لوبيز ترقص، فعقد حزب العدالة والتنمية اجتماعا استثنائيا داخل مقر الحزب، ترأسه عبد الإله بن كيران، رئيس الحكومة والأمين العام للحزب، فوصف البث التلفزيوني لسهرة جينيفر بأنه "حفلة راقص تضمن مشاهد مخلة بالحياء ومستفزة للشعور الديني والأخلاقي للمجتمع المغربي ومتعارضة مع قيمه وتقاليد الأصيلية. وهو استهداف لقيم وأخلاق المجتمع المغربي واستفزاز غير مقبول لمشاعر

1124 كلمة بسيمة الحقاوي النائبة البرلمانية في مجلس النواب منشورة بتاريخ 10 يونيو 2011 على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=jUemssCkthY>

1125 بسيمة الحقاوي وزيرة التضامن في حوار تلفزيوني مع قناة العربية منشور بتاريخ 24 أبريل 2015 على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=pmP4OmW3'04>

المجتمع وقيم الأسرة المغربية، وأنه عمل مرفوض بكافة المقاييس ومخالف لقانون الاتصال السمعي البصري وانتهاك صريح لدفتر تحملات القناة، مما يقتضي فتح تحقيق حول هذا الانزلاق الخطير ومحاسبة المسؤولين عنه¹¹²⁶.

ولم يكتف الحزب بذلك، بل خرج بعض وزرائه في الحكومة وعدد من نوابه في البرلمان في وسائل الإعلام يستنكرون بث السهرة المذكورة، كما قرر فريق الحزب بمجلس النواب استدعاء مصطفى الخلفي وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة، عضو الأمانة العام للحزب نفسه، للمثول أمام لجنة التعليم والثقافة والاتصال بالمجلس، لمساءلته حول بث القناة المغربية الثانية للسهرة المذكورة. اختار الخلفي منصة "تويتر" للتعبير عن رأيه وقال بأن "ما جرى بثه مرفوض وغير مقبول ومخالف لقانون الاتصال السمعي البصري ولدفاتر التحملات"¹¹²⁷.

فقام رئيس الحكومة عبد الإله بنكيران، بمراسلة الهيئة العليا للسمعي البصري مطالبا إياها بالنظر في "المخالفات والتجاوزات بخصوص ما قامت القناة الثانية ببثه ليلة الجمعة 29 ماي 2015"، في إشارة لحفل المغنية الأمريكية جينيفر لوبيز، ودعا إلى "ضرورة إعمال المقتضيات القانونية التي تخول للهيئة العليا للسمعي البصري النظر في المخالفات وصلاحيات المراقبة وترتيب الجزاءات المناسبة على ضوء ما ينص عليه القانون وتماشيا مع القرارات التأديبية السابقة التي اتخذها المجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري في حق عدد من المتعهدين". إلا أن المجلس رفض قبول الطلب شكلا، معتبرا ذلك لا يدخل ضمن اختصاصاته أي البث في طلبات رأي في قضية تتعلق بقطاع الاتصال السمعي البصري، ولا يدخل ضمن الاختصاصات الاستشارية للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري¹¹²⁸.

1126 بيان صادر عن الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ فاتح يونيو 2015، انظر رابط البلاغ على موقع حزب العدالة والتنمية:

<https://www.pjd.ma/50040-25537.html>

1127 انظر رابط تغريدة الوزير مصطفى الخلفي على تويتر بتاريخ 30 ماي 2015:

https://twitter.com/mustapha_khalfi/status/604684696983891969

1128 انظر قرار الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري رقم 23.15 الصادر بتاريخ ثاني يوليوز 2015، في الجريدة الرسمية عدد 6406 بتاريخ 22 أكتوبر 2015.

وقد خلف قرار المجلس خيبة أمل لدى قيادة ومناضلي حزب العدالة والتنمية. ومنذ هذا التاريخ، تغير تعامل الحزب مع المهرجانات الموسيقية ولم تسجل مواقف أخرى معادية لإقامة هذا المهرجان الموسيقي الذي يحظى بالرعاية الملكية، ويفسر هذا التغيير في التعامل بالنقاط الإشارات وتجنب المواجهة مع السلطة. وللتعبير عن عدم تطرفه أو اعتراضه على الموسيقى أو تحريمها، كاستجابة رضوخ صادرة عن الحزب بخصوص الموسيقى، فقد ظل الحزب يعتمد عليها في مؤتمراته الوطنية، من خلال الأغاني والأنشيد التي يعتبرها أعضاءه "ملتزمة"، كما أن رئيس الحكومة والأمين العام للحزب عبد الإله بنكيران بات يظهر يردد بعض أغاني أم كلثوم¹¹²⁹ مثلاً، أو رفقة عدد من الفرق الموسيقية في عدة مناسبات منها مشاركته فرقة أحواش¹¹³⁰ التقليدية رقصتها المعروفة لدى المغاربة بمناسبة اختتام أشغال الحملة الوطنية لشبيبة العدالة والتنمية بأكادير في مارس 2015، ومشاركته رقصة "الدبكة" الفلسطينية¹¹³¹.

ويحاول الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، من خلال مواقفه اللينة مع الموسيقى والمهرجانات الموسيقية بشكل عام، الظهور بوجه متسامح غير "متطرف" مع العادات المغربية ومنها الرقص الشعبي، حتى يعطي مظهراً منفتحاً عنه وعن حزبه. "فالحزب في منزلة ما بين الدولة التي لا ينازعها شرعيتها، دون أن يشاطر توجهاتها، يتوحد إليها دون أن تحذب عليه، أو تثق فيه، وما بين الاتجاهات الإسلامية الراديكالية التي يشاركها مرجعيتها دون أن يشاركها رؤاها وأساليبها"¹¹³².

من النماذج الأخرى التي حاول فيها حزب العدالة والتنمية الابتعاد عن قاموس الحلال والحرام، هي موضوع السماح للمرأة لممارسة مهنة عدل لتحرير وتوثيق الالتزامات وعقود الزواج والطلاق والإرث التي كانت حكراً على الرجال بقوة القانون، وهو قرار ملكي جاء "بالتشاور مع المجلس العلمي الأعلى وبناء على الأحكام الشرعية المتعلقة

1129 انظر رابط فيديو يظهر فيه عبد الإله بنكيران داخل سيارة يستمع ويردد أغنية لأم كلثوم: <https://youtu.be/Ppbqo-RHORw>

1130 انظر فيديو مشاركة بنكيران الرقص مع فرقة أحواش على منصة يوتيوب على الرابط

<https://www.youtube.com/watch?v=XfjoFb3d4'E>

1131 بالمسرح الوطني محمد الخامس بالرابط بمناسبة الذكرى الـ"51" لانطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، انظر رابط

الفيديو على منصة يوتيوب: <https://youtu.be/E-boXtKOKnk>

1132 حسن أوريد، السياسة والدين في المغرب جدلية السلطان، مرجع سابق، ص: 81.

بالشهادة وأنواعها، والثوابت الدينية للبلاد، واعتبارا لما وصلت إليه المرأة المغربية من تكوين وتثقيف علمي رفيع، وما أبانت عنه من أهلية وكفاءة واقتدار في توليها لمختلف المناصب السامية¹¹³³. وقد بدا عبد الإله بنكيران مقتنعا تماما بالقرار الملكي، وعمل على إعطاء تبريرات دينية لشباب الحزب، في لقاء جمعه بهم مستشهدا بموقف أحمد الريسوني¹¹³⁴ من الموضوع قائلا: "أحمد الريسوني أخرج فتوى غير مسبوقة، فهو لا يرى مانعا من تولي المرأة مهنة العدالة الحالية، لأن العدل يكتب فقط كانت رجلا كان أو امرأة، المهم أن يحسن الكتابة ويكتب بالعدل، فلا أحد يمكنه انتقاد هذا القرار الذي اتخذته جلالة الملك بصفته أميرا للمؤمنين، لأنه صحيح ومسنود علميا"¹¹³⁵. ويفسر هذا الموقف اللين للحزب من الأمور الدينية، بكون هذه الأخيرة ترتبط بالدين كجمال يتولى شؤونه أمير المؤمنين بمقتضى النص الدستوري، كما يفسر بنهج الحزب لاستراتيجية عدم المواجهة بخصوص القضايا الخلافية داخل المجتمع. وفي هذا السياق يرى محمد ضريف أن "حزب العدالة والتنمية، قائد الائتلاف الحكومي الحالي، يمارس "علمانية مقنعة" في برامجهِ وتوجهاته، وذلك بعد أن كان الحزب يدّعي، أنه إسلامي أو ذي مرجعية إسلامية"¹¹³⁶.

يلاحظ أيضا في خطاب قادة حزب العدالة والتنمية أن هناك لجوء تبريريا يكاد يكون منتظما للتراث الإسلامي كلما وقعت للحزب أزمة سياسية داخلية أو خارجية. وقد ذهب الأمر بعدد من قادة الحزب إلى تشبيه عدد من الوقائع السياسية بوقائع حدثت زمن النبوة في بداية الإسلام مع الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، كما فعل سليمان العمراني نائب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، أثناء محاولات تشكيل حكومة سعد الدين العثماني سنة 2017 بعد الانتخابات التشريعية المجرة في أكتوبر 2016، التي تصدرها حزب العدالة والتنمية بـ 125 مقعدا برلمانيا مما أعطاه حسب الفصل 46 من الدستور أولوية حصرية في ترؤس الحكومة. ولتبرير ضرورة التحالف مع حزب الاتحاد

1133 بلاغ الديوان الملكي، عقب انعقاد المجلس الوزاري يوم 22 يناير 2018، انظر رابط البلاغ على موقع رئاسة الحكومة: <https://urlz.fr/mSkX>

1134 كان أحمد الريسوني حينها عضوا في المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح، ونائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
1135 كلمة عبد الإله بنكيران في المؤتمر الوطني السادس لشبيبة العدالة والتنمية في فبراير 2018، على الرابط التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=o8UUzj1c'2A>

1136 تصريح لمحمد ظريف الباحث في العلوم السياسية والحركات الإسلامية والأمين العام لحزب "الديمقراطيون الجدد"، خلال استضافته في ملتقى وكالة المغرب العربي للأنباء بالرابط بتاريخ 2014/09/30.

الاشتراكي للقوات الشعبية الذي شكل نقطة خلاف جوهرية أثناء تشكيل الحكومة بين عبد الإله بنكيران وبين باقي الاحزاب المتفاوضة على المشاركة في الأغلبية، وأهمها حزب التجمع الوطني للأحرار الذي حصل على 37 مقعدا وحزب الحركة الشعبية الذي حصل على 27 مقعدا، فقد شبه العمراني ضرورة التحالف مع الخصوم بحلف الفضول¹¹³⁷ الذي عرف في صدر الإسلام، وهو حلف تأسس من شخصيات غير مسلمة وربما لا تؤمن بالله وبالإسلام، غير أنه حلف ذو أهداف إنسانية واجتماعية نبيلة، كنصرة المظلوم ومساعدة الفقير واليتيم، مما اعتبرها حينها رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام منسجمة مع الدين الاسلامي وقال: "لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت". لكن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لم يدع إلى هذا الحلف فنتبى إشادته بهذا الحلف من باب الدعوة وبهدف تيسير الاسلام وتقريب صورته للناس حينها. مما يجعلنا نعتبر تبرير كهذا تحامل على تفسير سيرة النبي وجعلها مطية لتمرير خطاب سياسي أو لشرعنة سلوكيات سياسية ومصالح حزبية آنية، قد يكون من غير المعقول تبريرها بأنها مطابقة للمرجعية الإسلامية. ثم إن سليمان العمراني وهو حينها نائب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، في تبريره لمسألة قبول حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية حليفا لحزبه في الحكومة، شبه ذلك بصلح الحديبية بين الرسول وبين كبراء قريش بمكة، وما يعنيه ذلك من احياء مضمير بوجود جهة "مسلمة" وجهة "كافرة".

هذه التبريرات تطرح التساؤل حول معايير استدعاء التاريخ الاسلامي واستعمال سيرة الرسول بهذا الشكل، هل من أجل تبرير ضعف سياسي في سبيل تحقيق مكاسب سياسية آنية وصرافة؟ هل من أجل ممارسة وصاية سياسية على أعضاء الحزب وإسكات كل الأصوات المعارضة وبالتالي تعمد استعمال لغة دينية ذات سلطة معنوية مهيمنة على المنتسبين للحزب تقاديا لأي اعتراضات؟ وقد لقيت هذه التبريرات قبولا من قبل نشطاء شبكات التواصل الاجتماعي، ومن قبل خصوم حزب العدالة والتنمية السياسيين وحتى من قبل منتسبين بارزين في الحزب؟

1137 انظر مضمون تدوينة سليمان العمراني بتاريخ 24 مارس 2017، على رابط جريدة العمق المغربي:

<https://al3omk.com/156980.html>

كما لجأ عبد الإله بنكيران عدة مرات في خطبه للتذكير بالسيرة النبوية لتهدئة الخلافات داخل الحزب، لاسيما بعد اغفائه من تشكيل الحكومة الثانية، حيث ارتفعت حدة الخلافات بين قياديين وأعضاء الحزب وراج مصطلح "الخيانة" و "التخوين" داخل الحزب، مما دفع عبد الإله بنكيران إلى اللجوء إلى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام لتذكير أعضاء الحزب بكيفية إدارة الرسول للخلافات بين توجهات متشددة، منها ما عبر عنه عمر بن الخطاب تجاه عبد الله بن أبي الذي اتهم بالنفاق حينها، فكان موقف الرسول أن قال: "أحبون أن يقال أن محمدا يقتل أصحابه"، وكانت إدارة الخلاف بين الصحابة تتم باللجوء إلى الوحي أو إلى مواقف النبي¹¹³⁸.

ومن أبرز ردود الفعل على هذا التوظيف للخطاب الديني وللقرارات الخاصة للتراث الاسلامي في السياسة، هو رد فعل أحد أكبر خصوم حزب العدالة والتنمية، أي الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة إلياس العماري، الذي جاء في رده عبر تدوينة مكتوبة على صفحته في منصة التواصل الاجتماعي فيسبوك¹¹³⁹: "ألا تدفع مقارنة سليمان العمراني نائب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، لمفاوضات تشكيل الحكومة في المغرب وفي سنة 2017 مع "مفاوضات" نزع فتيل الاقتتال في مكة في العام السادس للهجرة؟ إلى توصيف فريق العدالة والتنمية بأصحاب الرسول (ص) وفريق بقية الأحزاب بقوم قريش الكفار"¹¹⁴⁰، مضيفا أنه "عندما يقارن الأستاذ سليمان العمراني بين مشاورات ومفاوضات الأستاذ العثماني، رغم تقديري واحترامي الكبير لشخصه ورزاقته وهذوءه وأخلاقه، و"صلح الحديبية"، ألا يضر خطابه تمييزا خطيرا بين فريقين، على قاعدة التدين والإيمان، فريق الرسول(ص) وفريق قريش، فريق المسلمين وفريق الكفار"¹¹⁴¹ وحاول في ختام رد فعله التعبير عن ما اعتبره مخاوف سياسية عندما قال أنه "عندما نقول أننا نخاف على الوطن من خطورة استغلال المشترك الديني، فنحن واعون بأن الأمور جدية، ولنا في تاريخ الأمم والشعوب

1138 انظر فيديو كلمة عبد الإله بنكيران في الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني للحزب بتاريخ 15 يوليوز 2017 منشور في قناة الحزب

على يوتيوب على الرابط: <https://youtu.be/K2BJxsyW994>

1139 نقلت هذه التدوينة من خلال عدة جرائد مغربية من بينها ما جاء في جريدة العمق المغربي، بتاريخ 24 مارس 2017، على الرابط:

<https://al3omk.com/157095.html>

1140 نفس المرجع السابق.

1141 نفس المرجع السابق.

دروس وعبر". وتساءل العماري عن لجوء العمراني إلى "الأحاديث النبوية الشريفة لتبرير مسألة سياسية ظرفية مرتبطة بشروط عرضية في الزمان والمكان. فلماذا يصر السياسيون في بلادنا على تغليف أفعالهم وسلوكاتهم الدنيوية بالنفحات المقدسة والعبر الدينية المشتركة لمنح مضامين تضيئي على هذه الأفعال والسلوكات صفة القدسية والطهرانية؟"¹¹⁴² وخرج العماري بخلاصة تخدم توجهات حزبه التي تحدثنا عنها سابقا، وقال أن هذا "يجعلنا نردد دائما بأن الفعل السياسي هو فعل بشري، وبأنه من غير المقبول أبدا استغلال المشترك الديني لأغراض حزبية فئوية ضيقة. فالدين حكم إلهي يهم جميع البشر، ولا يجوز تبرير وتغليف تصرفات وسلوكات حزب سياسي بأفعال وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل مكاسب سياسية دنيوية ترمي إلى كسب السلطة والجاه"¹¹⁴³.

كانت هناك ردود فعل أخرى بعضها من شخصيات محسوبة على التيارات الإسلامية، من بينها ما قاله المعتقل السابق في ملفات تطرف إسلامي، محمد رفيقي (الملقب بأبو حفص)، الذي كتب في تدوينة¹¹⁴⁴ على منصة فيسبوك، جاء فيها أن "التمثيل بقصة الحديدية واستدعاء المصطلحات والتراث الديني في صراع سياسي تنافسي بين أبناء وطن واحد مدعاة من الحركة (التوحيد والإصلاح المقربة من الحزب) والحزب (العدالة والتنمية) لبذل جهود أكبر في سبيل ترسيخ ثقافة التمييز داخليا قبل تسويقها خارجيا...".

وكان أيضا من بين ردود الفعل ما قاله بلاد التليدي (المنتمي لنفس حزب سليمان العمراني) وهو عضو المجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية، حيث دعا هو الآخر في تدوينة مكتوبة على حسابه بمنصة فيسبوك "إلى ترك السيرة النبوية بعيدا عن مشاورات الحكومة، على الأقل حتى نستطيع أن نناقش مرحلة سعد الدين العثماني السابقة إلى حدود 2008 التي كانت مليئة بالديني والسياسي ونظرية التمايز وتصرفات الإمامة، واتضح بعد ذلك أننا في حاجة لأطروحة الاتصال الديمقراطي"¹¹⁴⁵.

1142 نفس المرجع السابق.

1143 نفس المرجع السابق.

1144 انظر الرابط: <https://urlz.fr/mN'y>

1145 انظر الرابط: <https://urlz.fr/mN'y>

الفقرة الثالثة: تواصل ضحية عنيف

يقول سعيد بنكراد¹¹⁴⁶، أن حزب العدالة والتنمية، "أتقن دور "الضحية"، وحاول إظهار نفسه يتلقى "الطعنات من كل جانب". يحاول الحزب بواسطة خطبائه، أن يتهم الخصوم بأنهم يحاولون أن ينسبوا إليه أخطاء اعتاد الناس عليها عند غيره من الأحزاب. كما يرى بنكراد أن الحزب وكأنه من خلال تواصله، وكأنه "يقود المواجهات الكثيرة وحيدا في الساحة ضد جميع الخصوم من أجل "الشعب"، بدون دعم من أي فاعل سياسي آخر، باحثا عن تعاطف "الحشود"، "ليصنع من عباءة "الضحية" الممزقة جلباب "البطل" المهيب، وكأنه يروي لنا قصة تاريخية عن أبطال الروايات وكتب التاريخ"¹¹⁴⁷.

لم يكن استعمال خطاب الضحية المظلوم، خطابا عابرا في لقاءات الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، بل يتبين من خلال مراجعة وفحص المواد السمعية البصرية الموثقة لتصريحاته، أنه كان خطابا استراتيجيا ثابتا في خرجاته وتصريحاته، سواء داخل الحزب أو خارجه أو داخل مؤسسة البرلمان. ويبدو أن الأهداف الكبرى وراء هذه الاستراتيجية التواصلية، كان هو خلق التميز عن باقي الأحزاب السياسية، ومهاجمتهم وإزالة تلك "الخدوش"¹¹⁴⁸ التي صاحبت صورة الحزب أو ارتبطت ببعض قياداته منذ أن كانت ضمن تشكيل الشبيبة الإسلامية ومقتل عمر بنجلون، يضاف إليها ما وقع لصورة الحزب بعد الأحداث الإرهابية التي عرفها المغرب سنة 2003، ويقول بنكيران عن هذه الأحداث: "أحنا في 2003 دوزنا محنة منين جات الأحداث الإرهابية ديال الدار البيضاء، يعني بعض الأشخاص اللي مع الأسف الشديد نيتهم سيئة دفعوا بعض الناس، منهم مناضلين شرفاء، باش يحملونا المسؤولية المعنوية، لأن عندهم

1146 سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران، جريدة، "أخبار اليوم"، المغرب، عدد 21116، بتاريخ 23 أكتوبر 2016.

1147 نفس المرجع السابق.

1148 نفس المرجع السابق.

واحد القدرة رهيبية على إنتاج الكلمات والعبارات.. وفهمتيني ولا لا. كيدوخوليك الراس. ما تلتيني كتعرف بالضبط فاين كاين المشكل... وديك الساعة دعي لحل الحزب وكذا¹¹⁴⁹.

أولاً- تطبيق نظرية "المثلث الدرامي" لكاريمان على خطاب بنكيران: ثلاث أدوار في

نفس الوقت: الضحية والمنقذ والجلاد

أطلق العالم الألماني ستيفن كاريمان¹¹⁵⁰ Stephen Karpman، نظرية حول التفاعلات الاجتماعية تحت عنوان "المثلث الدرامي"¹¹⁵¹. وهو مثلث من ثلاثة أضلاع يلعب أدواره "المنقذ، والجلاد" على مستوى واحد من المثلث ويأتي في الزاوية السفلى دور "الضحية" وحيداً، وذلك لأن كلا من "المنقذ والجلاد" يرون أنفسهم أقوى وأجدر من الضحية الذي يوجهون جل اهتمامهم وأداءهم باتجاهه.

يصف هذا "المثلث" التفاعل المرضي لكثير من العلاقات سواء الأسرية أو المهنية، وفي جميع التفاعلات الاجتماعية تقريباً، وهي تتسم بالموصفات التالية¹¹⁵²:

- **المنقذ:** أو المساعد فهو الشخص الذي يقدم نفسه أنه مستنير واستراتيجي وعلى أنه يقدم يد المساعدة للآخرين، من خلال ما يقوم به لإنقاذ ضحية ما. فهذا المنقذ بواسطة هذا العمل يعطي لنفسه إحساساً بأهميته، وأنه شخصية انقاذ لا يمكن أن تكون مكان الضحية. ويعامل نفسه بنفس الطريقة التي اعتاد أن يعامل بها عندما كان طفلاً. ف "التجاهل" دون أن يعتنى به ودون أن يعطى الموافقة على أن يعتني بنفسه، يتحول فيما بعد إلى الرغبة في الاعتناء بالآخرين، وتجاهل

1149 عبد الإله بنكيران، كلمة بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017.

1150 أنظر كل ما كتب عن نظرية المثلث الدرامي على الموقع الرسمي لصاحب النظرية ستيفن كاريمان على الرابط:

https://karpmandramatriangle.com/dt_article_only.html

1151 نفس المرجع السابق.

1152 نفس المرجع السابق.

الذات"¹¹⁵³. ينطلق من فكرة أساسية مفادها: ليس المهم حاجاتي إنما حاجات الآخرين، على أساس أنه يرى أنه عندما يعتني بالآخرين، وبعد مرور زمن طويل فإن الآخرين سيعتنون به حينها، مع "أنه يعلم جيدا أن الآخر (الضحية) لا يستطيع العناية حتى بنفسه، مما قد يولد لدى هذا "المنقذ" شعورا "بالإحباط ومن ثم الاكتئاب ومن ثم يتحول من منقذ إلى ضحية"، وقد يطرح على نفسه سؤال جدوى ما قام به لفائدة الآخرين إذا كان هذا جزاؤه في الأخير أي عدم الاهتمام والاعتناء به.

ويرى "المنقذ"¹¹⁵⁴ نفسه على أنه بطل والناس من حوله يهللون له ويمتدحوه على سلوكه، لذا نجده دائما يبحث عن "ضحية" كي يراها ويحميها. كما أنه يشعر بالخوف من أن يصبح وحيدا، ويؤمن أن قيمته تأتي من كونه منقذ ومساعد للآخرين، ولذلك يضع نفسه في موضع الذي لا يمكن الاستغناء عنه، ولكي يتفادى الهجر "يبحث عن الشعور بالأهمية". ولا يدرك أن الرسائل التي يرسلها للآخرين تتضمن، أنه عندما يساعد وينقذ أكثر يتحمل مسؤوليته الذاتية بشكل أقل. ويلاحظ أن "المنقذ" يكتسب من "الأم" دور الرعاية والحماية الذي تقدمه، فهي تعتبر نفسها مسؤولة عن تصرفات ابنها إن هو "أصاب فمها وإن أخطأ فمها"، حينها يكون تعقيبها على سلوك ابنها، بأنه لو سمع كلامها ما حدث له ما حدث.

الجلاد: أو الظالم والشرير، يصفه كارمان¹¹⁵⁵ بأنه ذلك الشخص الذي تعرض للتعنيف الجسدي أو النفسي في طفولته، فيشعر بعدم القيمة ويخفي ألمه من خلال "العنف والقسوة". ويفضل تصنيف نفسه على أساس أنه صاحب سلطة ونفوذ حتى ولو بالقوة، لذا نجده يرهب الناس ويعاقبهم ويكثر من ملامتهم وذلك ناتج عن خوفه من أن يكون "عديم القوة، وعاجز". ويلاحظ أنه يصنف نفسه "كضحية" ويصف "جلده للآخرين"

1153 أنظر كل ما كتب عن نظرية المثلث الدرامي على الموقع الرسمي لصاحب النظرية ستيفن كارمان، مرجع سابق.

1154 نفس المرجع السابق.

1155 نفس المرجع السابق.

على أنه رد فعل لحماية نفسه، ولا يتحمل مسؤولية إيذاء الآخرين لأنه يعتقد أنهم يستحقون ذلك، فهو يرى الناس لا يستحقون الثقة وبذلك يرى أنه يجب عليه أن يهاجمهم قبل أن يهاجموه.

وتصنيف الجلاد والمنقذ في أعلى الهرم يعني أنهم يرون أنفسهم على أنهم الأذكى والأقوى، فهم متحدون مما يدفع الضحية للشعور بالضعف والدونية وذلك يحوله فيما بعد لدور "الجلاد".

الضحية: أو المطارد المراقب، هو شخص بحاجة دائمة للدعم، حيث أن قلقه الدائم يدفعه للبحث عن من هو أقوى منه "ليحميه"، وذلك ناتج عن قناعته أنه شخص "مُدمر، قليل الحيلة، لا يمتلك الذكاء الكافي ولا القدرة للنجاة بنفسه" ويعود السبب في ذلك إلى أنه تلقى حماية زائدة في طفولته، وفي الغالب يقع هذا الشخص "ضحية" لتعنيف الذات والمقاومة¹¹⁵⁶.

ومن أسباب¹¹⁵⁷ الدخول في "مثلث الضحية"، هو الضعف في تحمل المسؤولية عن الذات، أو التمسك بمعتقدات قديمة دون إخضاعها للمحاكمة العقلية، أو إنكار للمشاعر الحقيقية تجاه قضية ما واستبدالها بمشاعر أخرى تتماشى مع السياقات الاجتماعية، أو بسبب خداع الذات وعدم مواجهتها بالحقيقة، أو بممارسة الإسقاط أي إلصاق الشعور بالآخرين، وأيضا بسبب عدم القدرة على فهم الذات (من أنا). وقد يلعب الشخص الواحد الأدوار الثلاثة في نفس الوقت، كأن يعبر عن إرادته في تقديم المساعدة (المنقذ)، ثم يعبر في نفس الوقت أنه تعرض للوم بسبب فعل التعبير عن تقديم المساعدة (الضحية)، ثم يختم بأن هذا الوضع يعطيه حق الرد لحماية نفسه (الجلاد)¹¹⁵⁸.

لقد شكل "مثلث الضحية"، أحد الخطط التواصلية لحزب العدالة والتنمية جسده خطابات قياديوه وعلى رأسهم أمينه العام عبد الإله بنكيران محاولا إقناع الناس بقوة حججه وصدق مزاعمه السياسية. ويبدو أن هذا الأسلوب وافق إلى حد ما أسلوبه الخطابى في تقديم ذاته وفي وصف خصومه. فقد قدم نفسه في صورة حسنة جيدة "خيرة"، بينما

1156 أنظر كل ما كتب عن نظرية المثلث الدرامي على الموقع الرسمي لصاحب النظرية ستيفن كاريمان، مرجع سابق.

1157 نفس المرجع السابق.

1158 نفس المرجع السابق.

ضمت خطابه صورة شريرة لخصومه، مستعملا أسلوب الحكاية الدرامية وبناء مقدمة وعقدة وخاتمة لكل قصة. ولقد كان واضحا توجهه لإبراز دوره منقذا في عدد كبير من تصريحاته وخطبه السياسية، وكان ينتقل بسهولة لغوية بين أضلاع "مثلث الضحية"، وأحيانا كان يتقمص الصفات الثلاث في خطاب واحد.

أ- دور الضحية

استعمل بنكيران صورة البطل الشريف المغامر الصبور على الأذى الذي يسعى إلى تحقيق القيم الفاضلة، الذي تعرض للظلم ورغم ذلك فهو المنقذ الذي يمد يده للناس الذي يحتاجون مساعدته، راسما لخصومه صورة الشرير المتآمر عليه وعلى حزبه. ومن بين أهم هذه المؤامرات التي يقول أنه تعرض لها هو وحزبه عبر تاريخ تواجدهم في الساحة السياسية والدعوية، هي التضييق عليه وتعرضه رفقة زملائه للاعتقال والمنع تهجم الإعلام عليهم وغيرها، ليقدم نفسه وحزبه كضحايا مؤامرات ومكائد قوى الشر الخفية، في الوقت الذي كان المغاربة ينتظرون منه نقاشا حول حصيلة حكومته مثلا، أو حول السياسات العمومية الجديدة التي يقترحها حزبه أو القيمة المضافة للاقتصاد المغربي وغيرها من أمور تدبير قطاعات الدولة، باعتباره كان أمينا عاما لحزبه ثم رئيسا لحكومة البلاد.

وفي أحد لقاءات بنكيران مع شبيبة حزبه¹¹⁵⁹ في 28 يونيو 2016، وفي معرض حديثه عن الانتخابات التشريعية التي كان من المقرر أن تجرى بداية أكتوبر من نفس السنة، أكد بنكيران أن حزبه: "سينتصر في الانتخابات المقبلة لأن هذه هي مصلحة البلد ومصلحة الدولة الرسمية التي يرأسها الملك محمد السادس، وليس تلك التي لا ندري من أين تأتي قراراتها وتعييناتها". هذا الحديث عن وجود دولتين¹¹⁶⁰ في المغرب "دولة رسمية بقيادة الملك محمد السادس" ودولة ثانية لا يعرف "من أين تأتي قراراتها وتعييناتها"¹¹⁶¹، يحيل على مفهوم "الدولة العميقة" الذي يعرفه

1159 منقول في جريدة "الصباح"، المغرب، بتاريخ 29 يونيو 2016.

1160 "هل هناك دولتان في المغرب واحدة لا يتحكم فيها الملك؟"، ملف في أسبوعية الأيام، المغرب، عدد 720، بتاريخ 14-20 يوليو 2016.

1161 نفس الفكرة ردها عبد العزيز افتاتي (نائب برلماني حينها عن حزب العدالة والتنمية)، انظر أسبوعية، الأيام، المغرب، عدد 720 بتاريخ 14 يوليو 2016.

"باتريك أونيل¹¹⁶² Patrick O'Neil في مقاله المعنون بـ "الدولة العميقة: المفهوم الناشئ في علم السياسة المقارن" بكونها "تشمل الأجهزة التي تشتغل ضمن نطاق يتخطى النخب غير العسكرية داخل الدولة والمجتمع إلى الوصاية وهي تعتبر نفسها الوصي على القيم الوطنية ضد الأعداء الداخليين والخارجيين".

ولقد قام عبد الإله بنكيران بتوظيف هذا المفهوم الذي تداوله الإسلاميون الأتراك والمصريون، للإعراب عن تخوفه من حدوث تزوير واسع تقوده جهات نافذة في الدولة، من منطلق الدفاع عن امتيازاتها ومصالحها الخاصة وتصوراتها للتدبير الأمثل لشؤون البلاد، مما سيحول دون تصدُّر حزبه المشهد الانتخابي وقيادة الحكومة التي ستنتبثق عن انتخابات 7 أكتوبر 2016، وذلك لفائدة غريمه اللدود حزب الأصالة والمعاصرة.

اغتنم بنكيران عدة مناسبات خطابية وفي فترات زمنية متباعدة كما هو الشأن في خطابه بمناسبة فاتح ماي 2011، أو خلال كلمته بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017، ليؤكد أن ما تعرض له الحزب من حملة إعلامية ومؤاخذات المسؤولين في الدولة، لا يرجع للمواقف المتشددة للحزب في تلك الفترة، بل هي نتيجة "مؤامرات" دبرها خصوم الحزب والمتربصون به للقضاء عليه أو على الأقل إنهاكه سياسياً، "أحنا في 2003 دوزنا محنة منين جات الأحداث الإرهابية ديال الدار البيضاء، يعني بعض الأشخاص اللي مع الأسف الشديد نيتهم سيئة دفعوا بعض الناس، منهم مناضلين شرفاء، باش يحملونا المسؤولية المعنوية، لأن عندهم واحد القدرة رهبية على إنتاج الكلمات والعبارات.. وفهميني ولا لا. كيدوخوليك الراس. ما تليتي كتعرف بالضبط فاين كاين المشكل... وديك الساعة دعي لحل الحزب وكذا"¹¹⁶³.

وفي كلمته بمناسبة المؤتمر الاستثنائي للحزب المنعقد بتاريخ 26 ماي 2016، توجه بنكيران متحدثاً للمؤتمرين عن سلسلة المؤامرات التي ما انفك الحزب عرضة لها، لكنه في نفس الآن يؤكد على الطابع الاستثنائي لهؤلاء

1162 باتريك أونيل، "الدولة العميقة: المفهوم الناشئ في علم السياسة المقارن"، في سياسات عربية، عدد 30 يناير 2018، ص: 84.
1163 كلمة عبد الإله بنكيران، بمناسبة اليوم الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017، رابط فيديو الكلمة على منصة يوتيوب: <https://youtu.be/UARiAlrKKzw>

المتأمرين وعلى الغموض الشديد الذي يلف تحركاتهم: "سرتم في مسار سنوات طويلة وصعبة لم يخل ربما فيها يوم من محاولة إرباك أو إسقاط من خصومكم. أنا هنا لا أتحدث بالضرورة عن الخصوم السياسيين العاديين، هادوك عاديين بحال الفراقي د الكرة العاديين، لا أنا كنتحدث عن الخصوم الذين تعلمون، الذين يعلم الله أين هم مندسون وكيف يكيّدون، وإلى متى سوف يكيّدون؟"¹¹⁶⁴.

لم يقتصر بنكيران في حديثه عن المؤامرات التي يتعرض لها الحزب على الدسائس والمناورات المألوفة في المجال السياسي، بل اتخذت أبعادا خطيرة لما أشار في أكثر من مناسبة إلى كون الخصوم يخططون لتعريض سلامته الجسدية للخطر، وبكونه مستعدا للموت في سبيل المبادئ التي يؤمن بها، وبذلك يستمر بنكيران في استعمال الغموض فلم يكشف عن الجهة التي تهدده وأيضا لم يقيم بما تقتضيه المواطنة والإيمان بالقانون والمؤسسات لتقديم شكاية إلى الجهات القضائية المختصة.

لعب بنكيران دور الضحية عندما كان يستشهد بعبد الله بها الذي توفي في حادث قطار، ويعبر عن استعداده للموت في سبيل الله: مما يفتح باب التأويلات المتناقضة ويرسخ الطابع الدرامي لسرده وكان يقول¹¹⁶⁵: "إلامات سي باها احنا مستعدين نموتو في سبيل الله على وذكهم، مستعد نموت في سبيل الله، وراه كاين اللي كيهدد، حنا عارفينو وكنعرفو نقرأو، مبعيناش نفضحو الأمور".

وفي خطابه بمناسبة الملتقى الوطني الثاني عشر لشبيبة العدالة والتنمية بأكادير عشية انطلاق حملة الانتخابات التشريعية لـ 7 أكتوبر 2016، وفي إطار حديثه عن مواجهة "التحكم"، سيعود للحديث مجددا للحديث وبنبرة التحدي عن المضايقات والموت والاستشهاد: "الحمد لله وأكثر من مرة تابعوني في المحاكم وحفظت الشكايات، وهددوني. باغي نقوليهم واحد القضية ونعاود نكررها ليهوم: العجب، ملي كنا صغار، كنا كنستغربو كيف باقيين ممتناش في سبيل الله.

1164 خطاب بنكيران بمناسبة المؤتمر الاستثنائي للحزب في مايو 2016، رابط الفيديو: www.youtube.com/TWUVnmroJBA

1165 خطاب بنكيران بمدينة الدشيرة، 2015، انظر خطابه على الرابط:

عشنا حتى درنا 62 عام غير بالميلادية، أما بالهجرية 64 وزيادة. والحمد لله تزوجنا ودرنا الوليدات. وكنشوفو إذا كان هاد الشي هادا خصنا نفديوه بالأرواح ديالنا وبالدماء ديالنا احنا مستعدين. متغلطوش.. ثقافتنا يا معشر القوم لا تعرفونها. متخوفوناش لا بقتل لا بسجن لا بحتا شي حاجة¹¹⁶⁶. وفي أحد الملتقيات الخاصة بحزبه (بتاريخ 18 و 19 مايو 2013)، قدم بنكيران عرضا تناول البدايات الأولى لتأسيس جماعته معتبرا ذلك فترة معاناة وصدود واضطهاد، وشبه ذلك ببداية الدعوة الإسلامية حينما كان الرسول وأصحابه قليلي العدد وعانوا أذى المشركين¹¹⁶⁷.

ويبدو أن في هذه القصة لبسا وغموضا ولعبا على المفردات يتعمده بنكيران من أجل توجيه رسائل إلى خصومه وجلدهم وللعب دور الضحية أيضا. فقد أشار إلى أنه هو ورفاقه "تصدموا" فالمجتمع وأرادوا "تصحيح هاد الوضع"، وقوبلت دعوتهم بـ "التعذيب" و"المعتقلات"، بينما تلك كانت أحداث مرتبطة بأنشطة سياسية في إطار تنظيم الشبيبة الإسلامية السري الذي كان يدعو للثورة والاستيلاء على السلطة وإقامة دولة الخلافة، وبينما أيضا يفترض أن هذه أمور شملت مراجعات فكرية ونظرية نالت ثقة السلطة وسمحت لهم بناء على ذلك للولوج للعمل الشرعي فهل كانت تلك مراجعات وهمية، أم أن الأمر متعلق بتصفية حسابات مع السلطة عندما ربما توهم بنكيران أنه وحزبه أصبحوا أقوى بما يكفي، بعد الربيع العربي، لمنازعة الدولة؟

وفي هذا الإطار قال بنكيران¹¹⁶⁸: "احنا كنا شباب صغار، فنثقافتنا وكينونتنا كان فيها الإسلام، وجبناها من بيوتنا والمساجد اللي كنصليو فيها، من الكتاتيب اللي كنقراو فيها، من الوسط ديالنا اللي كيصعد وكينزل على ذكر الله.. حتا اللي هضرتي معه كيقول الله يعاون، حتا فالتصرف العادي لا أقصد التصرف اللي فيه الذكر... جينا للمجتمع ديالنا تصدمننا فيه.. مختلف. وتتاديننا داخل الحركة الإسلامية وقلنا لا بد من تصحيح هاد الوضع. ساعتها كنا صغار وشباب ولا نملك شيئا أو نكاد.. اصطدمنا مانقلش مصطدمناش.. دوزنا الابتلاء والتعذيب والمعتقلات، هاد

1166 كلمة عبد الإله بن كيران في الملتقى الوطني 12 لشبيبة العدالة والتنمية بأكادير 2016، رابط الفيديو الذي تم نشره بقناة اليوتيوب

بتاريخ 26 يوليوز 2016: <https://www.youtube.com/watch?v=sfs79DgB'-k>

1167 محمد الأمين مشبال، بلاغة الخطاب السياسي السجالي عند عبد الإله بنكيران، مرجع سابق، ص: 160.

1168 تصريحات وردت في أطروحة محمد الأمين مشبال، مرجع سابق، ص: 160.

الشي معروف.. شاهد عليه العشرات من الناس الموثوقين والمآت والآلاف. تاريخنا معروف مكيتخباعش وليس فيه مناطق مظلمة، وخذينا توجه خاص بينا فالحركة الإسلامية في العالم كله فيه المشاركة في الحياة السياسية، المشاركة فالحياة الثقافية، المشاركة فالحياة الاجتماعية، باعتبارنا جزء من هاد الأمة، ماشي أوصياء عليها، باعتبارنا جزء من جماعة المسلمين ماشي جماعة المسلمين¹¹⁶⁹.

وفي تجمع حزبي أمام منتخبي حزبه في أكتوبر 2017، أشار بنكيران إلى أسماء كبار المسؤولين في وزارة الداخلية الذين قال عنهم أنهم مارسوا ضغوطا على حزبه من أجل تحجيم مشاركتهم في الانتخابات: "راه احنا جينا لبلادنا شوية بشوية.. وديك الساعات كان فوزارة الداخلية السي فؤاد عالي الهمة، فهمتني ولا لا، والسي الساهل، الساهل ياك؟ وفرضوا علينا باش مانشاركوش إلا فحدود. ومع ذلك ماشركناش إلا فحدود، بمعنى آخر احنا ماجيناش بالإكراه"¹¹⁷⁰.

وخلال كلمته بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات المنعقد في 21 أكتوبر 2017 أشار بنكيران إلى أنه : "في سنة 1992، أنتم عارفين جلالة الملك (يقصد الملك الراحل الحسن الثاني) شاف ف "الأسبوع الصحفي" باللي احنا فدار الدكتور الخطيب قلنا كذا وكذا، غادي نشاركو فالانتخابات. صافيت ليا السي أحمد بنسودة قالي راه مغميكنلكومش تشاركوا فالانتخابات، وما دخلناش للانتخابات نهائيا"¹¹⁷¹.

وفي إطار إعادة سرد وقائع تاريخية سابقة لم تعد مثار جدل سياسي، وفي ملتقى حزبي (الكتاب المجالين بتاريخ 18 و19 مايو 2013،) تطرق بنكيران لوجه آخر من معاناة الحزب التي تجلت في التزوير الذي طال نتائج الحزب خلال انتخابات 2007 بغاية تحجيم تواجده وتأثيره السياسي: "دخلنا للبرلمان المرة الأولى بـ 9 د المقاعد والناس كانوا كيتوقعو مانجيبوش والإعلام اهتم بـ 9 ديالنا أكثر من اللي جابوا بـ 30. وعرفنا طرف د الحق ديالنا مشا لينا بحال اللي

1169 مقتدر رشيد، "المشاركة السياسية عند الإسلاميين الإصلاحيين المغاربة، مرجع سابق، ص: 52-55.

1170 كلمة بنكيران بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017، انظر رابط الفيديو على قناة اليوتيوب:

<https://youtu.be/UARiAlrKKzw>

1171 نفس المرجع السابق.

وقع ف1997، ناس اعترفوا وقالوا أن المقاعد ماشي ديالنا¹¹⁷² أما عن انتخابات 2002 فأوضح: "ما رشحناش فكلشي، رشحنا ف 54 دائرة على 93". وعن حيثيات وملابسات تقليص الحزب لعدد مرشحيه خلال الانتخابات التشريعية اللاحقة سنة 2002، أوضح بنكيران بمناسبة حوار¹¹⁷³ صحفي أجراه مع صحيفة "المشعل" وأعدت نشره جريدة هسبريس الإلكترونية أنه في "سنة 2002 تدخل السيد جطو ليس في القرار ولكن في الشكل، بطريقة حبية، في عدد الدوائر التي كنا ننوي الترشح فيها، كان يقول لنا يجب ألا تتجاوزوا 45 دائرة والإخوان كانوا يقولون 56 دائرة، خلال سنة 2003 كان الضغط قوياً بحيث قيل لنا إما أن نقتلصوا ترشيحاتكم إلى النصف أو أنه ستكون هناك معركة طاحنة ضدكم!".

ب- دور "الجلاد"

بالإضافة إلى خصومه المعتادين سيتحول بنكيران إلى جلاد مثلث الضحية حينما هاجم وسائل الإعلام التي تنتقده مشيطناً إياها¹¹⁷⁴، مستعملاً القرآن الكريم في وصفها عندما ربط ذلك بالآية من "وحي الشياطين"، "وكذلك جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ"¹¹⁷⁵. وقال عن الصحافة: "شوفوا الصحافة اللي مع الأسف الله وحده يعلم من يحركها، من يوحى إليها من شياطين الجن أم من شياطين الإنس.. طبعاً كل مرة شي حاجة، باش عمرك ما تقابل شغالاتك". ويضيف في نفس الخطبة: "الموشوشون جاو كيهجموكم ويشوشون عليكم بالإعلام ديالهم ففي القناة الثانية اللي ماشي محايدة engagée في الاتجاه الآخر، الصحف والجرائد ديالهم، والفنانين ديالهم".

1172 نص التصريح ورد في أطروحة محمد الأمين مشبال، مرجع سابق، ص: 161.

1173 انظر نص الحوار على الرابط: <https://urlz.fr/mN5L>

1174 انظر خطاب بنكيران بمناسبة المؤتمر الاستثنائي للحزب في مايو 2016، في ملحق أطروحة محمد الأمين مشبال، مرجع سابق، ص: 228.

1175 قرآن كريم، الآية 112 من سورة الأنعام.

وفي خطاب آخر لبنكيران في لقاء مع أساتذة منتدى العدالة والتنمية ببوزنيقة، انتقد بحدة مواقف بعض المنابر الإعلامية¹¹⁷⁶ من تجربة التسيير الحكومي لحزب العدالة والتنمية وقال: "ديك هسبريس باعت الطرح وانا مغنتصلش بهم باش نقولهم حشومه عليكم.. نقولهم إذا استمرتم فهاد الطريق مغتبقاش عندكم الشعبية. شوية بشوية الناس غيعيقو بكم وغادي يتخلوا عليكم. نتوما بحالكم بحال هداك نيني، بحال هداك كلهوم اللي باعوا الطرح راه ما عندهم حتا مستقبل"¹¹⁷⁷. وخلال المؤتمر الاستثنائي للحزب في ماي 2016 لم يفوت بنكيران الفرصة دون أن ينعث جريدة "الأخبار" التي يديرها الصحفي رشيد نيني ب "الأخبار المزورة" ويضيف "هديك مكنهضروش عليها واخا تتبع شحال ما باعت"¹¹⁷⁸.

كما هاجم¹¹⁷⁹ مشروع تأسيس مجموعة إعلامية (آخر ساعة) من قبل إلياس العماري الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة سنة 2016، والتي تضمنت موقعا إخباريا وجريدة يومية ومجلة ثقافية تعكس مواقفه السياسية وتوجهاته الفكرية، وحكم على المشروع بالفشل قبل ولادته مختزلا إياه في "القضاء على حزب العدالة والتنمية"، فقال عن هذه المجموعة وعن ارتباطها بحزب الأصالة والمعاصرة: "هاد الحزب باش تعرفوا حتى الفهم الله يجيب. واش إذا جبدتي 6 د المليار ونص غادي تقضي على العدالة والتنمية؟ (...)" سير (يقصد إلياس العماري) لملم داك الكويغطات ديالك راه ماكيشريهم حد، وشوف الناس اللي عطاوك داك الفلوس قول ليهوم سمو ليا راه معنديش منين نردهم ليكم ما نعرف يقدر يكون عندك"¹¹⁸⁰.

1176 انظر كلمة بنكيران على رابط الفيديو على قناة اليوتيوب: www.youtube.com/watch?v=qs'8WIJ1J0

1177 نفس المرجع السابق.

1178 نفس المرجع السابق.

1179 نفس المرجع السابق.

1180 كلمة عبد الإله بنكيران خلال المؤتمر الاستثنائي بتاريخ 28 ماي 2016، (مرجع سابق)، انظر الكلمة في الفيديو على منصة

يوتيوب على الرابط: www.youtube.com/TWUVnmroJBA

ومن النماذج التي تبرز حجم الترشق بين قيادة حزب العدالة والتنمية وحزب الأصالة والمعاصرة، حينما هاجم عبد الإله بنكيران، خصمه السياسي، الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة، إلياس العماري، متهما إياه بمحاربة الإسلام من خلال تصريحات سابقة له، معتبرا كلامه حول إذاعة محمد السادس¹¹⁸¹، هجوما ومحاربة للإسلام، وتطاولا على المجال المحفوظ للملك: "واش كتبوا بعدا الإذاعة والقناة، وشكون لي كيدير الإرهاب تم وهاد المجال محفوظ لأمير المؤمنين والدستور واضح.. قولوا لينا الحقيقة واش بغيتو تحاربوا الإسلاميين ولا الإسلام؟". وقد اعتبر العماري الإذاعة أنها تنشر خطاب التطرف تدريجيا مؤكدا: "هي دارت باش تنشر الإسلام المنفتح الإسلام المتطور، الإسلام المغربي لي ولينا كنصدروه للسينغال لفرنسا.. ولكن سيروا الإذاعة تشوفوا تابعوها نتوما كطلبة، بعض العبارات وبعض المصطلحات لي كتستعمل.."¹¹⁸²

وكان بنكيران يتهم خصومه السياسيين بالكذب وباختلاق القصص ضده وضد حزبه. ونظرا لكون صفة "الكذاب" تحمل معنى ديني ومعنى لأخلاقي، فإن استعمالها من قبل بنكيران ضد خصومه كان من أجل التأثير على عواطف وميولات الجمهور، بغية تشويه خصومه أمام الجماهير.

وقد عمل عبد الإله بنكيران، في أكثر من مناسبة، على الهجوم على خصومه السياسيين من بينهم الأمين العام لحزب الاستقلال حميد شباط والأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة، ففي مهرجان خطابي نظم بطنجة¹¹⁸³ بتاريخ 4 أكتوبر 2016، قال بنكيران: "أقسم بالله العظيم لو كنت أرى أن أحد الأمناء العامين يصلح لرئاسة الحكومة لتمنيت له

1181 في لقاء لإلياس العماري الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة مع طلبة المعهد العالي للصحافة والإعلام في منتصف شهر مارس 2016، قال أن إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم خرجت عن المسار المحدد لها وأصبحت تساهم في نشر خطابات التطرف والتشدد. وأضاف العمري، أن قناة محمد السادس للقرآن أنشئت من أجل التعريف بالإسلام المتنوع والمنفتح على الجميع، بغرض تصديره لكل من السينغال وبعض الدول الإفريقية بالإضافة إلى فرنسا ووجهات أوروبية أخرى، إلا أنها ومع مرور الوقت أصبحت تساهم في نشر ثقافة التطرف عبر استعمال مصطلحات تشيد بهذا التوجه وتدعو إليه. وأضاف إلياس العمري أنه يتعين على القائمين على هذه الإذاعة إعادة توجيهها من أجل الرجوع إلى الطريق السوي والمستقيم، أنشأت من أجلها خدمة للأغراض النبيلة. انظر تصريح إلياس العماري الذي ورد في مقال بعنوان: "إلياس العمري: إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم تنشر التطرف(فيديو)"، رابط المقال والفيديو: <https://dalil-rif.com/permalink/13776.htm>

1182 عبد الإله بنكيران، كلمة خلال اللقاء مع طلبة أحد معاهد الصحافة بالدار البيضاء، منشور بتاريخ 2016/03/17، على الرابط <https://www.youtube.com/watch?v=qyiMbKDM1NU>

1183 خطاب بنكيران بطنجة خلال الحملة الانتخابية البرلمانية 2016، رابط الفيديو على منصة يوتيوب: <https://youtu.be/TSM1tdjuC2s>

الفوز ومشيت ننعس.. ولكن، كندور وكنشوف شي واحدين باسم الله الرحمن الرحيم، خصوصا واحد البانضي أو جوج". ويشير بنكيران "بالبانضي" وهي كلمة عامية أصلها الكلمة الفرنسية le bandier وهي تعني أحد أفراد عصابة إجرامية. وفي نفس اللقاء قال أيضا: " أنا لا أخفيكم واحد السيدة عندها حزب كتنقد الحزب ديالي، ولكن كنعول على الحزب الآخر مافيا. أنا غير نقول مافيا ونقول فيا لي بغات لأنه هادوك مافيا، مافيا داخل فيها المخدرات، وداخل فيها محاربة إذاعة محمد السادس، ودخل فيها كشلي داكشي اللي كيبيغو المغاربة هم باغيين يحاربوه نعوذ بالله، نعوذ بالله". استمر عبد الاله بنكيران في هجومه على خصومه السياسيين في كلمة له بالدشيرة ضواحي أكادير خلال حملة الانتخابات الجهوية لسنة 2015: "وريلي الثروة ديالك أنت، أوريولي الثروة ديالكم كاملين، أجماعه د البانضيا اللي تسربت للاحزاب السياسية، واستوليتم عليها بالبلطجة، واستوليتم عليها بالمكر والخداع، واستوليتم عليها بأموال الحرام اللي خديتوها من باعة المخدرات بالشهادة ديالكم. هاد الكلام عندكم يحسبكم أنا اللي كنعولو، هدي اتهامات مباشرة كيقولها الأمين العام لحزب الاستقلال الحالي للشخص لي كيسيير الأصالة والمعاصرة في فيديو قبل أيام، محدهم مجاوبوش عليها هما بجوج متهمين فيها، وكما يقول المثل "إذا تخاصم السارقان ظهر المسروق، وإذا تصالحا اختفى المسروق". كما كان لا يتوانى في وصف منافسيه بصفات قذحية، وقد ذهب في أحد اللقاءات إلى وصف إلياس العماري الأمين العام السابق لحزب الأصالة والمعاصرة ب"الشيطان".¹¹⁸⁴

وخلال لقاء له بمدينة فاس¹¹⁸⁵ بمناسبة حملة الانتخابات التشريعية ل7 أكتوبر 2016 استنكر الإشاعات الكاذبة التي روجها حميد شباط الأمين العام السابق لحزب الاستقلال التي تروم إلصاق تهم زائفة بشخصه والنيل من سمعته بصفة خاصة، ومن مصداقية الحزب لدى المتعاطفين والمواطنين بصفة عامة، من خلال تقديمه في صورة رجل راكم

1184 انظر خطابه في اللقاء الحزبي على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=RKWUhxq4'8Y>

1185 كلمة بنكيران في فاس خلال الحملة الانتخابية التشريعية لسنة 2016، انظر الكلمة على رابط الفيديو على منصة يوتيوب:

<https://youtu.be/TOTPOxzhdx4>

ثروة مهمة مشبوهة المصدر: "قالك أنا عندي مطبعة ديال جوج د الملاير، قلتهم واخا أنا نبيعها لك بمليار ومليار أنتا ربحو وتعلموا أن ديك المطبعة الثمن ديالها لا جوج ملايير ولا مليار، وماشي ديال عبد الإله بنكيران"¹¹⁸⁶.

ويشدد بنكيران في جل خطابه وسجالاته السياسية على لجوء خصومه السياسيين إلى توظيف المال الحرام قصد شراء أصوات المواطنين أو بغية كسب ولاء منابر إعلامية ما أو تمويل مشاريع إعلامية تروم استهداف الحزب، مما يجعل منه عنصرا أساسيا في استراتيجية التآمر لدى الخصوم. ويتأكيده ذلك يسعى إلى تسفيه الخصوم وتقديمهم للرأي العام في صورة مافيا تريد استغلال الضعف المادي للمواطنين قصد شراء أصواتهم وبلوغ مواقع القرار من برلمان ووزارات ومجالس منتخبة لتحقيق مآربها الخاصة. وفي خطبة بنكيران تحدث عن شراء خصومه الذم في الانتخابات وقال: "كان ممكن التحكم في بعض المستشارين ملي تيكون عندك 31 والأغلبية عندها 32، كتمشي تحاول كفاش تدير (...). وعلاش هاد الناس غادي يغيروا الرأي ديالهم بالسلامة؟ أش عجبهم فيكم؟ هادو يإما خفوتهم، يإما شريتوهم، هاد الشي اللي كاين"¹¹⁸⁷.

ومقابل الهجوم على الخصوم، اغتتم المناسبة ليعطي صورة مثالية عن مناضلي وأطر الحزب تتمثل في زهدهم والحياة البسيطة التي يشتركون فيها مع عامة المواطنين، إضافة إلى التأكيد على المرجعية الدينية المتمثلة في عدم تناول الكحول: "ما كيشربو شراب، ما كيصيفطو ولادهم يقرؤوا بـ 4 و 5 د الملايين فالشهر، ما...، غاديين على قد الحال"¹¹⁸⁸. وفي خطبته بالدشيرة بمناسبة حملة الانتخابات¹¹⁸⁹ التشريعية لـ 7 أكتوبر 2016: "عياو ميقلبو، وعندهم البروجيكتورات على خوتكم، ملقاوش واحد مس درهم بغير حق من المال العام. هادي ثلاث سنوات مشاو كيقلو البهتان على السي مصطفى الخلفي، اللي شرا دويرة صغيرة بالمال اللي خلاه ليه باه، وبواحد القرض خادو هو والمرا ديالو".

1186 نفس المرجع السابق.

1187 خطاب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية عبد الإله بنكيران في المؤتمر الاستثنائي للحزب في 28 ماي 2016، مرجع سابق.

1188 كلمة بنكيران في فاس خلال الحملة الانتخابية التشريعية لسنة 2016، مرجع سابق.

1189 انظر خطابه في اللقاء الحزبي على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=RKWUhxQ4w8Y>

ت - دور المنقذ

قد يكون خطاب المنقذ الذي يقدمه بنكيران بعض الأحيان، نابغ من محاولة لتقمص الدور التقليدي الذي يمارسه عدد من السياسيين وهو دور الأب¹¹⁹⁰ أثناء خطابه وتواصله بغية الحصول على عطف الجماهير. يقول عبد الله لعماري¹¹⁹¹ رئيس المجلس الوطني لحزب النهضة والفضيلة ذو التوجه الإسلامي، أن بنكيران وحزبه العدالة والتنمية، عندما يقولون بأنهم "هم من أنقذوا النظام السياسي المغربي، أي النظام الملكي، عندما انطلقت حركة 20 فبراير سنة 2011، موجة ضمن أمواج الاحتجاجات الشعبية في الأقطار العربية، (...) وأن الربيع العربي المغربي مجسدا في حركة 20 فبراير، كاد أن يعصف بالبلاد وبالنظام، لولا أنه هو ومن معه، تصدوا لحمايته من هذا البأس المنزل!!"¹¹⁹²، فإن ذلك ليس حقيقيا لعدة أسباب منها "الحجم الضئيل الذي كان عليه حزب العدالة والتنمية تنظيميا، زمنئذ، حين خروج حركة 20 فبراير، لم يكن ليضيف وزنا وازنا إلى تلك الشوارع المحتجة، حتى ولو انضمت معه الأحزاب التي على شاكلته". وتساءل عبد الله لعماري هل كانت فعلا احتجاجات الشارع المغربي تهدد النظام السياسي المغربي؟ وهل "كانت شعاراتها تنادي بإسقاط النظام، كما نادى به شوارع عربية أخرى ضد أنظمتها فأسقطتها؟ ألم تكن الشعارات المرفوعة لا تتجاوز المطالبة بإسقاط الفساد والاستبداد، أي المطالبة بالإصلاح الديمقراطي فقط؟"¹¹⁹³.

يرى لعماري أن الذي "حمى وأنقذ البلاد والأوضاع والنظام هو ما تجلّى من عبقرية الأمة المغربية، التي تتجلّى دائما في المنعطفات التاريخية الصعبة، فتتميز بها الأمة المغربية بالاستثناء الذي تتمتع به عن المصارع والمزالق"¹¹⁹⁴. هذه العبقرية تجلت حسب لعماري في التميز المغربي بالتفاعل الإيجابي والسريع، والرؤية الاستباقية

1190 Schwartzberg Roger-Gérard, L'État spectacle 2, op, cité, P: 142.

1191 لعماري عبد الله، "بكاتيات ابن كيران وادعاء إنقاذ النظام المغربي من طوفان الربيع العربي"، جريدة العمق المغربي، بتاريخ 24

يونيو 2023، على الربا: <https://al3omk.com/852593.html>

1192 نفس المرجع السابق.

1193 نفس المرجع السابق.

1194 نفس المرجع السابق.

لتحولات التاريخ، والمبادرة الذكية بالاحتضان والاحتواء، الذي تجلى في الحوار بين الملك والشعب دون وسطاء، وأفرزه خطاب تاسع مارس، كل ذلك كان هو الذي حصن وحى البلاد والنظام، وكان ذلك وحده هو الذي ضمن الانتقال إلى هدوء الأوضاع فيما بعد حراك 20 فبراير، واستقرار البلاد بعد إعلان دستور 31 يوليوز 2011، وليس ما جاء في خطاب بنكيران أو حزبه الذي اعتبره لعماري أنه يحمل شبهة ابتزاز للدولة¹¹⁹⁵.

وفي تجسيد دور المنقذ أيضا أكد بنكيران بمناسبة انعقاد المؤتمر الاستثنائي للحزب في 28 مايو 2016: "جينا لقينا البلاد في أزمة ديال المقاصة، مازال محليناهاش نهائيا، ولكن يمكنني نقول لكوم بأننا حليناها الحمد لله. جينا لقينا البلاد في إضرابات عشوائية، حليناها الحمد لله. جينا لقينا البلاد فيها مشاكل ديال التوظيف، حليناها الحمد لله. ولي العدل بين الناس. لقينا الناس مهديين باش يفقدوا الماء والكهرباء ديالهم، حلينا المشكل الحمد لله. جينا لقينا العدالة في أزمة بدينا الإصلاح ديال العدالة وحنا غاديين. جينا لقينا قطاع الصحة في أزمة ديرنا فيه إجراءات غير مسبوقة. لقينا الميزانية د المغرب في حالة اختناق، كنا على شفا تقويم هيكلي جديد، اليوم أصبحنا مضرب الأمثال للدول التي تشبهنا في تحرير ميزانيتنا من الضغوط نسبية، وما زال غاديين"¹¹⁹⁶.

كما عاد بنكيران خلال خطبته في طنجة إبان حملة الانتخابات التشريعية سنة 2016 لاستعراض حصيلة الحكومة التي يرأسها والتي استفاد منها رجال الأعمال بقدر ما استفادت منها الفئات الشعبية: "عاونت المقاوله المغربية اللي كانت كتسال الفلوس للدولة وما كتلقاش اللي يعطيها رزقها. اعطيناها 7 د المليار ديال الدرهم أخرى لان المقاوله هي المحرك اللي كيحرك الاقتصاد (..) اليوم 56 ألف أرملة اللي معندهاش التغطية الاجتماعية كتمتع بمنحة من

1195 لعماري عبد الله، "بكتايات ابن كيران وادعاء إنقاذ النظام المغربي من طوفان الربيع العربي"، مرجع سابق.
1196 كلمة بنكيران في المؤتمر الاستثنائي لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 28 ماي 2016، انظر فيديو الكلمة على منصة يوتيوب على

الرابط: www.youtube.com/TWUVnmroJBA

350 حتى لـ 1050 درهم.. يكفيني فخرا أنه غيبقى مسجل أن القانون ديال التغطية الصحية عند الرجل ومراتو وولادو، عبد الاله بنكيران اللي كان وراه باش وصل¹¹⁹⁷.

ثانيا - تواصل حزب العدالة والتنمية: تواصل يميل إلى الحدة والرفض

يقول محمد شحرور من بين الصعوبات التي تحول أمام التواصل والحديث مع عدد من المنتمين إلى التيارات الإسلامية، هو أنهم تحصلوا على المعرفة بناء على "عقل حفزي"¹¹⁹⁸، حيث يصر عدد من المشايخ على الحفاظ عليه، فيتم بذلك تغييب ورفض "العقل النقدي، أي "العقل الباحث عن المعرفة والحقيقة بعيداً عما قاله زيد وحكم به عمرو، الذي يصل به الإنسان العاقل الواعي إلى رؤية الأشياء دونما حاجة إلى استعارة عيون الآخرين"¹¹⁹⁹. ويعتبر العقل النقدي أساس اكتساب العلوم والمعارف، وبه تتقدم المعرفة الإنسانية في كافة جوانبها. وهذا العقل النقدي هو العقل المستقيل منذ قرون عند العرب والمسلمين¹²⁰⁰. ويرى شحرور أن هناك من المشايخ من يفزع من تثبيت هذا العقل النقدي ويحاربه بل وقد يصل بعضهم أحيانا إلى "تكفير صاحبه"¹²⁰¹. فقد تعود عدد من هؤلاء المشايخ على توجيه سامعيهم في المساجد إلى عدم الاعتراض أو النقاش في المساجد مع الفقيه أو الإمام وبذلك تم إلغاء تشغيل العقل النقدي، الذي هو "عقل مكتسب وملكة تنمو في ظل شروط موضوعية منذ السنوات الأولى من عمر الإنسان، فإن لم تتوفر لها هذه الشروط ضمرت ثم غرقت تحت ركام من صداد التقليد، ليتحول صاحبها إلى ببيغاء لا يتقن سوى ترديد ما يقال له دون تفكير ولا تدبر"¹²⁰². وفي هذا التوجه يقول مالك بن نبي: "فلا غرابة إذن أن نرى الفكر العربي، لم يعرف بعد معنى الفاعلية، فإن استبداد الألفاظ والصيغ به يخلع على أي تفسير للنهضة طابعا سطوحيا، ومن الأمثلة

1197 كلمة بنكيران في الحملة الانتخابية بطنجة يوم 4 أكتوبر 2016، مرجع سابق.

1198 شحرور محمد، تجفيف منابع الإرهاب، سلسلة دراسات إسلامية معاصرة، الناشران: الأهالي للتوزيع، دمشق، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص: 292.

1199 نفس المرجع السابق.

1200 نفس المرجع السابق.

1201 نفس المرجع السابق.

1202 نفس المرجع السابق.

على ذلك ما حدث في مؤتمر الثقافة الإسلامية بتونس، فقد قام أحد الشيوخ ليلقي على المؤتمرين محاضرة قصرها على أحاديث الرحمة، ومضت ساعة أو أكثر في سرد سلسلة الحديث، ولا حاجة بنا إلى القول إن أحدا لم يعر حديثه التفاتا، بل إن المستمعين راحوا يتشاءبون، من الإعجاب!¹²⁰³. واستنتج مالك بن نبي خلاصة تؤكد هذا التوجه لدى عدد من المشايخ الإسلامية في الابتعاد عن لغة العقل والمنطق فيقول: "إن أخطر شيء يواجهنا في هذه المشكلة، هو اتفاق المحاضر والمستمع على الجمود وانعدام الفاعلية، حتى لقد تحولت الحقائق الحية، التي شكلت فيما مضى وجه الحضارة الإسلامية، إلى حقائق خامدة مدفونة في جمل راتقة"، فأصبحت "شهوة الكلام" أكثر أهمية من العمل على الرقي بالعلم من أجل إعطائه دوره الاجتماعي¹²⁰⁴. وهناك من الباحثين من أثار مسألة استثمار الحركات السياسية الإسلامية في العالم العربي في "العمل الجمعي، الكشفي والخيري، لبرمجة عقول الأطفال في المخيمات الصيفية على فكر الإخوان والسلفيين، ولهذا ينشأ المناضل «الإسلاموي» الإخواني تنشئة سياسية تجرده من النقد والمشاركة، وتفرض عليه الطاعة والانصياع"¹²⁰⁵.

وتحدث بعض المثقفين والباحثين الذين كانت لهم تجربة في العمل داخل التنظيمات الإسلامية، وقالوا إن "الحديث للمتدين المنتمي إلى تنظيم صعب بل في غاية الصعوبة، لأنه يتلقى كماً من الشحن ضد أي فكرة للمراجعة، وكما من التبريرات لكل أنواع الأخطاء، وكما من الشك والعدائية للمختلف (...). بترسانة تهم جاهزة، وآلية توليدها متعلقة بالمؤامرة الكونية على الدين"¹²⁰⁶، مما يخلق "معادلة الانسداد" لديه وبالتالي انسداد أفق الإصلاح¹²⁰⁷.

1203 مالك بن نبي، مشكلات الحضارة وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، سلسلة في الفكر النهضوي الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012، ص: 67.

1204 نفس المرجع السابق.

1205 نوري إدريس، "مفهوم الأمة في الفكر العربي المعاصر بين التجاذبات الأيديولوجية السياسية ورهانات الحداثة ودولة القانون"، مرجع سابق، ص: 637.

1206 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجا، مرجع سابق، ص: 130.

1207 نفس المرجع السابق، ص: 131.

ودرس بعض الباحثين¹²⁰⁸ تلك المواجهات السياسية التي حدثت ما قبل الانتخابات التشريعية المغربية لسنة 2011 بين حزب العدالة والتنمية وحزب الأصالة والمعاصرة. تعرض هذا الحزب لهجومات خطابية كثيفة من خلال بلاغات رسمية حزب الإسلاميين، ولاتهامات صادرة عن بنكيران للدولة بالوقوف وراء هذا الحزب ضد باقي الأحزاب السياسية. وجاء في أحد هذه البلاغات الصادرة عن حزب العدالة والتنمية: "لا يخفى على أحد اليوم أن مرحلة ما قبل ما يسمى بالربيع العربي وعلى الأقل منذ 16 ماي 2003 تميزت بتحكم الإدارة في الحياة السياسية عامة والاستهداف المباشر للعدالة والتنمية، خصوصا وذلك بطريقة مكشوفة تقوح اليوم رائحتها من وثائق ويكيليكس وغيرها، وعرف هذا الاستهداف أوجه مع الحزب السلطوي الجديد الذي جند له الأعضاء ومكن من تغطية دوائر 2009 بما لم يقدر عليه غيره ومنح المرتبة الأولى وشكلت له الأغلبية، وسخرت له الإدارة الترابية ووظف لصالحه القضاء ليسيطر على بعض المدن والجهات، وخيم على البلاد احتقان ضجت به الحياة السياسية عموما إلى أن وقعت أحداث اكديم إزيك، ليتبين أن المشكل ليس في العدالة والتنمية ولكنه في منطق التحكم الذي لا يمكنه أن يجر على المدى الطويل إلا المخاطر..."¹²⁰⁹.

وقد وصف بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية¹²¹⁰ حزب الأصالة والمعاصرة بالحزب السلطوي الجديد، الذي تم منحه المرتبة الأولى في الانتخابات الجماعية لسنة 2009، فيما يبقى دعم الدولة لحزب الأصالة والمعاصرة غير مثبت بالمعطيات المادية الملموسة التي ترقى إلى تكون معتمدة في البحث العلمي.

ويبدو أن نشوة الربيع العربي التي أطاحت بزعماء دول عربية، شحنت الجانب العاطفي لدى قادة حزب العدالة والتنمية، فجعلتهم يصورون أن المغرب لا ماضي ولا تاريخ له ولا أعراف يدبر بها الدولة والأزمات، وربما ظنوا أن موجة مطلب الديمقراطية وموجة الاحتجاجات الشعبية ستكون ورقة تسند مفاوضاتهم مع مكونات النظام السياسي، وأن

1208 عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي بالمغرب، مرجع سابق، ص: 173-176.

1209 بلاغ للأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 6 شتنبر 2011، منشور على موقع الحزب https://www.pjd.ma/wp-content/uploads/2022/05/blg_lmn_lm_tshkhys_lwd_lsyys_qbl_wbd_20_fbryr.2011'09.06.pdf

1210 نفس المرجع السابق.

مغربا جديدا سيولد سيشاركون هم في إعادة تأسيس قواعده. لعل هذا "الانتشاء" الزائد كان سببا في تسرع حزب العدالة والتنمية في ممارسة خطاب تصعيدي، مما قد يدفعنا إلى التساؤل حول جدية المراجعات الفكرية التي زعم أبناء التوحيد والإصلاح أنهم اقتنعوا بها، وعلى رأسها طاعة أمير البلاد، وفك الارتباط مع العنف واللغة العنيفة التي تشبه لغة الغلو الديني والتكفير، وأن كل تلك المراجعات ربما لم تكن سوى استراتيجية كمون وتخفي، سوف يتم الاستغناء عنها مع أول موجة احتجاجات تهدد النظام السياسي. لذلك قد تكون افتراضات بعض الجهات السياسية ومن بينها حزب الأصالة والمعاصرة، في تخوفاتها من صعوبة صناعة الثقة مع تنظيمات الاسلام السياسي، مؤسسة على الأقل كافتراضات تحتاج الدراسة والتعمق العلمي بشأنها. وفي نفس هذه الفكرة يرى جاسم سلطان أن إنشاء الإسلاميين للأحزاب في فضاء من الحرية لا يعني تطابق الفكرة الحزبية ووظائف الحزب وأهدافه مع قناعات بعض قيادات هذه الأحزاب الإسلامية، لأنه يعتبر أنها تنظيمات في الأصل أسست على منظومات فكرية تقوم على نقيض التعاقد وبالتالي فإن "الانقضاء على هذا التعاقد وارد بالقدر نفسه مع كل مخاطره وتبعاته"¹²¹¹.

لم يقف هجوم حزب العدالة والتنمية على حزب الأصالة والمعاصرة عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى نعت مناضليه بالانتفاعيين والفاشليين: "إن حزب العدالة والتنمية ينبه إلى أن هؤلاء الانتفاعيين فشلوا في تدبيرهم للشؤون وكادوا يشعلوا حرائق في جلباب الوحدة الوطنية والترابية كما هو معروف عند الجميع، وعرضوا الوطن لعاصفة الربيع العربي التي لم تنته أمواجها بعد. إن هؤلاء لن يوقفوا اليوم وهم يعودون إلى نفس ممارساتهم الفاشلة و أساليب المناورات والصفقات واختلاق الأحزاب والتحكم عن بعد في القضاء والعمال والولاية، وضبط الإيقاع بوسائل غير ديمقراطية وهذا لا يجدي على المدى البعيد و خصوصا في زمن تنادي فيه الشعوب بالكرامة والحرية والعدالة"¹²¹².

1211 جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجا، مرجع سابق، ص: 160.

1212 بلاغ للأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 6 شتنبر 2011، منشور على موقع الحزب https://www.pjd.ma/wp-content/uploads/2022/05/blg_lmn_lm_tshkhys_lwd_lsyys_qbl_wbd_20_fbryr.2011'09.06.pdf

أ- تواصل لفظي "عنيف" في مظهر المتمك للحقيقة

يمكن تعريف "العنف الرمزي على أنه إجراء خطاب أو نشاط تمثيلي لا يقوم على التطابق الرمزي مع الآخر، بل يتمثل في رفض الحقوق والوضع التأسيسي للهوية السياسية التي يكون المرء صاحبها"¹²¹³، وبذلك فهذا العنف يمثل النظر إلى الآخر كمثل اجتماعي من الدرجة الثانية. ويعتبر العنف نوع من الاعتداء والتجاوز، وهو تعبير عن "غياب للوساطة"¹²¹⁴، وعن عدم اعتراف بالآخر بأنه مشابه للذات، وبالتالي ينتج عنه إلحاق الضرر بالآخرين. وتمثل "الغطرسة" و "الاستعلاء"، "حالة من العنف في الفضاء السياسي، ولا يمكن في هذا الفضاء حصر العنف في العنف الجسدي فحسب، وإنما هناك عنف أخلاقي وفكري وحتى نفسي، ومثلما يوجد تعذيب جسدي، يوجد أيضاً تعذيب أخلاقي نفسي"، فتؤدي ممارسة التعذيب هاته إلى تدمير "الهوية وزعزعة استقرارها"¹²¹⁵.

وهناك العنف السياسي، الذي يصفه البعض بأنه هو استحالة التعرف على حلفاء المرء وخصومه، هو عنف يشتغل على إثارة الخصومات والعداوات ومنع تأسيس التحالفات أو بناء أي هوية رمزية مشتركة، قد تكون تجليات هذه الممارسة السياسية العنيفة، هي العنف اللفظي الذي يظهر في الخطابات السياسية أو في تواصل الأحزاب السياسية في مواجهة بعضها البعض¹²¹⁶.

يعبر هذا العنف السياسي عن إنكار للهويات السياسية، وعلى استحالة التواصل في الفضاء السياسي بشكل متماه "رمزياً مع بعضنا البعض"¹²¹⁷. وبذلك ينشأ العنف السياسي برفض الاعتراف بذات الآخر والسبب قد يكون هو "الاستعلاء" عن فهمه. لذلك فإن العنف السياسي يتمثل أولاً وقبل كل شيء في محاولة فرض طرق تفكير مختلفة، أو فرض ممارسات اجتماعية غير مجمع حولها، وبعدم الاعتراف بالخصوصية والشرعية. وخلاصة ذلك أن هذا النوع من

1213 Lamizet Bernard, le langage politique, Ellipses éditions, Paris, 2011, p: 152-158.

1214 Ibidem.

1215 Ibidem.

1216 Ibidem.

1217 Ibidem.

العنف يمثل "نهاية التواصل حيث يعتبر المرء نفسه المالك الوحيد للشرعية"، ويعطي لنفسه الحق في أن يفرض ما يشاء على الآخرين. وهناك من يشبه هذه الطريقة بالعنف الاستعماري حين فرض نفسه على الشعوب المستعمرة، والذي جسد معنى رفض الاعتراف بخصوصية الوساطات الرمزية والمؤسسية التي كانت تحملها الشعوب التي تم احتلالها¹²¹⁸. وبالنظر إلى أسلوب تواصل قيادات حزب العدالة والتنمية، فإنها تكاد تبدو عليه آثار عنف لفظي سياسي، ذا بعد رمزي واضح يرفض الهويات السياسية والثقافية لخصومه.

وفي إحدى خطبه، قال عبد الإله بنكيران: "أيها المغاربة أنتم في امتحان، اعطوني أصواتكم وخليوني مني ليهم"، "إياكم ثم إياكم تبقوا جالسين فديوركم يوم سابع أكتوبر دافعوا عن أنفسكم وعن بلادكم، بغيت نشوف في مكاتب التصويت الصف والناس ما خايفاش عطيون صوتكم وخليوني ليهم أحزاب المعقول معروفة والعدالة والتنمية يمثل أمل المجتمع".

يلاحظ أن خطاب بنكيران كأمين عام لحزب العدالة والتنمية، يُقدم المغاربة على أنهم كتلة واحدة يتفقون جميعا على الأفكار والأحكام والصفات والمواقف ذاتها التي يطرحها هو وحزبه، وهو الأمر الذي يحيل على نتيجة مفادها إبعاد الخارجين على هذا التوافق ونبذهم، بما يشبه التهديد المُضمّر لخصومه السياسيين.

وفي خطاب آخر قال: "أنا لا أخفيكم واحد السيدة عندها حزب كنتنقد الحزب ديالي، ولكن كنتقول على الحزب الآخر مافيا. أنا غير تقول مافيا وتقول فيا لي بغات لأنه هادوك مافيا، مافيا داخل فيها المخدرات، وداخل فيها محاربة إذاعة محمد السادس، ودخل فيها كل شي داكشي اللي كيغيو المغاربة هم باغيين يحاربوه نعوذ بالله، نعوذ بالله". يمكننا اعتبار خطاب بنكيران بتقرير موقف للمغاربة جميعهم، وكأنهم يتفقون معه جميعا برفض الآراء المُضادة لرأيه مستأثرا بالحديث نيابة عنهم، أو تقديم رأيه على كونه موقفهم الفعلي، فهذا خطاب بمثابة شاهد خطابي على رغبة الهيمنة وعلى مُمارسة إقصاء، ونبذ، واستبعاد تجاه الآخرين الذين يقعون في موقع الخصوم، بمعنى أنه وضع المغاربة

في صف وخصومه خارج صفة المغاربة مما يمكن اعتباره وفق التعريف أعلاه عنفا لفظيا واضحا. فقد أعطى عبد الإله بنكيران لنفسه ولحزبه في أكثر من مناسبة، مركز الصدق والأخلاق وبالتالي هو الوحيد دون جميع الأحزاب من يملك حقيقة الدولة وحقيقة الأشخاص. ظهرت هذه النزعة التي يمكن وصفها بالاستعلائية، في هجومه على خصومه السياسيين وخاصة على الأمين العام لحزب الاستقلال حميد شباط والأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة إلياس العماري.

في مهرجان خطابي نظم بطنجة¹²¹⁹ بتاريخ 4 أكتوبر 2016، قال بنكيران: "أقسم بالله العظيم لو كنت أرى أن أحد الأمناء العامين يصلح لرئاسة الحكومة لتمنيّت له الفوز ومشيت ننعس.. ولكن، كندور وكنشوف شي وحدين باسم الله الرحمن الرحيم، خصوصا واحد البانضي أو جوج".

وفي كلمة له بالدشيرة ضواحي أكادير خلال حملة الانتخابات الجهوية لسنة 2015 قال بنكيران: "وريلي الثروة ديالك أنت، أوريولي الثروة ديالكم كاملين، أجماعة د البانضيا اللي تسربتم للأحزاب السياسية، واستوليتم عليها بالبلطجة، واستوليتم عليها بالمكر والخداع، واستوليتو عليها بأموال الحرام اللي خديتوها من باعة المخدرات بالشهادة ديالكم. هد الكلام عندكم يحسبلكم أنا اللي كنفولو، هدي اتهامات مباشرة كيقولها الأمين العام لحزب الاستقلال الحالي للشخص لي كيسيير الأصالة والمعاصرة في فيديو قبل أيام، محدهم مجاوبوش عليها هما بجوج متهمين فيها، وكما يقول المثل "إذا تخاصم السارقان ظهر المسروق، وإذا تصالحا اختفى المسروق"¹²²⁰.

ب- تواصل أخلاقي مفرط في استهلاك أحكام القيمة

تميزت خطابات بنكيران بإصراره وعوده على إصاق صور سلبية بخصومه السياسيين، من قبيل الفساد، الريع، التشكيك في الذم المالية، عدم الانضباط للقانون... ولطالما وصف الحملات الانتخابية لخصومه السياسيين بكونها

1219 كلمة بنكيران في الحملة الانتخابية بطنجة يوم 4 أكتوبر 2016، مرجع سابق.

1220 رابط الفيديو على قناة اليوتيوب : <https://www.youtube.com/watch?v=DfQlXbS8'8g>

تمول من المال الحرام لشراء أصوات المواطنين. استخدم حزب العدالة والتنمية استراتيجية التحريف¹²²¹ لتشويه سمعة خصومه من خلال تصنيفهم على أنهم فاسدون أو غير أخلاقيين. وعلى سبيل المثال، خلال الانتخابات البرلمانية لعام 2016، اتهم حزب العدالة والتنمية خصومه بالتورط في الفساد وانعدام النزاهة الأخلاقية. كان هذا التكتيك يهدف إلى تقويض مصداقية الأحزاب المعارضة وتصوير حزب العدالة والتنمية على أنه الحزب الوحيد الذي يتمتع بسجل نظيف. استخدم حزب العدالة والتنمية أيضا طرق التحريف لتشويه آراء وسياسات خصومه¹²²²، فخلال الانتخابات التشريعية لسنة 2011، أطلق اتهامًا لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بمعاداة الإسلام والسعي لتقويض القيم الإسلامية في المجتمع المغربي، مما يعد في عمقه تحريضا على الكراهية بل تحريضا أو تبريرا للمتطرفين الإسلاميين الذين قد يلجؤون للعنف ضد هذا الحزب اليساري. واستند حزب العدالة والتنمية في هذا الاتهام على نوع من التحريف لمضامين وأهداف السياسات التي وصفها بالعلمانية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، والتي كانت تهدف إلى تعزيز العدالة الاجتماعية والمساواة لجميع المواطنين المغاربة، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية¹²²³.

ويستمر بنكيران في ممارسة الخطاب الأخلاقي بعد فشل حزبه في انتخابات 2021، حيث انتقد عبد اللطيف وهبي بصفته وزيرا للعدل، في خطاب له في تجمع عمالي للاتحاد الوطني للشغل بالمغرب (نقابة تابعة لحزب العدالة والتنمية) بالدار البيضاء في فاتح ماي 2023، فيما سماه "شرعنة العلاقات الرضائية"، معتبرا أن "من السياسة إلى بغا واحد يتكلم في هدشي، يتسنى حتى يكونوا الناس واكلين وشاربين، وناشطين، أنت في عز أزمة المغاربة جاي تتكلم لهم عن الزنا والفساد، وبين عشية وضحاها وليتي فقيه، وتستدل لنا بالدولة العثمانية، أش غادي تقول لله وللمغاربة، بغيتو تغيروا لنا القرآن، جيبو شي مرسوم غيروا لنا القرآن، وغيروا لنا قول الله تعالى: «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء

1221 المنور عبد الحفيظ، التواصل السياسي بالمغرب، مرجع سابق، ص: 187.

1222 نفس المرجع السابق.

1223 عبد الحفيظ المنور، مرجع سابق، ص: 187.

سيلا»¹²²⁴. وفي نفس الخطاب وجه بنكيران رسالة أخلاقية ذات عمق ديني للجماهير قائلا: "المغرب بلد قائم على أمرين أساسيين، هما الإسلام والملكية، والإسلام يقتضي الصدق، فعندما تريد أن تحكم عليك أن تكون صادقا مع الناس، ورئيس الحكومة قبل الوصول إلى منصبه وعد وعودا لا تنتهي لم يتم تنفيذها.. ومع الأسف صدّقه عدد من المغاربة وصوتوا مقابل دراهم معدودات، وهؤلاء لا حق لهم في الاحتجاج لأنهم أخذوا أموالا وباعوا كرامتهم ووطنهم ومستقبلهم"¹²²⁵. كما كانت مسألة العلاقات الرضائية موضوع مشادة كلامية علنية وجها لوجه في ساحة ضريح محمد الخامس بالرباط بين الأمين العام لحزب العدالة والتنمية عبد الإله بنكيران وعبد اللطيف وهبي الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة، بتاريخ فاتح أبريل 2013، بمناسبة 10 رمضان ذكرى رحيل الملك محمد الخامس، فبعد أن حيوا بعضهما البعض، قال بنكيران لوهبي: "واش حنا فهاد ظروف وبتنا نتكلم على الرضائية"، فرد وهبي بنفس المنطق الأخلاقي وقال: "اللهم الرضائية ولا لابلج (أي ممارسة هذه العلاقات على الشاطئ معيدا للأذهان قضية عمر بنحماد وفاطمة النجار، عضوي حركة التوحيد والإصلاح، اللذان اعتقلا في شاطئ قرب مدينة الرباط في وضع وصف إعلاميا بالمخل أخلاقيا أدى إلى متابعتها جنائيا)¹²²⁶.

الفقرة الثانية: تواصل أزمة دائم مبني على وجود خصومة مؤقتة

في هذه الفقرة سنحاول مناقشة أهم العناصر التي ساهمت في الفشل الانتخابي لحزب العدالة والتنمية سنة 2021، وسنركز على دور خطاب وتواصل الحزب في النتائج الانتخابية التي حصل عليها، في سياق أزمت معينة، وفي سياق تميز بتغيير الخصوم وقواعد الخصومة.

ويمكننا وضع ملاحظة أو افتراض حول السلوك الانتخابي في المغرب منذ دستور 2011، الذي يبدو أنه طغت عليه بشكل أكبر من السابق النزعة الانتقامية الجزائية، فأصبح سلوكا يمكن وصفه بأنه سلوك غير عقلاني إلى

1224 انظر فيديو خطاب بنكيران في فاتح ماي 2023 بالدار البيضاء على منصة يوتيوب على الرابط:

<https://youtu.be/m8GepjAojE>

1225 نفس المرجع السابق.

1226 للاطلاع على تفاصيل هذه الواقعة وعلى الفيديو المتعلق بها انظر الرابط: <https://urlz.fr/mUAq>

حد ما، هو سلوك ربما يتعاطى مع سؤال "ضد من نصوت"، وليس مع سؤال "لصالح من نصوت"، ليفرز قرارا تصويتيا قد يكون أحيانا متناقضا مع قناعات المصوت الشخصية، فقد نجد تقدما يصوت للإسلامي ضدا في جهات سياسية أخرى وليس قناعة وإيمانا بالمشروع الإسلامي.

تميزت البيئة السياسية بوجود عناصر توتر معادية للتوجهات الإسلامية في المحيط الدولي والإقليمي، التي ربما أصبحت أكثر ضغطا على المغرب، فأصبح احتمال تراجع حزب العدالة والتنمية إلى مرتبة أدنى أمرا واردا. كما أن قيادته للحكومة لعشر سنوات متتالية وظهور مخاطر جديدة ضاغطة على الدولة المغربية اقتصاديا واجتماعيا بسبب أزمة جائحة كوفيد 19، كانت أحد العناصر التي ربما أقتعت الداخل المغربي بضرورة خلق تناوب سياسي من نوع جديد، يقوده حزب آخر تفرضه المرحلة وتقضيه الدولة لإعادة تأسيس بناء جديد للمستقبل. وتبدو الأجنحة الإقليمية والدولية مستمرة في توجسها من المشاركة الإسلامية في السلطة وغير مطمئنة لها، "وخاصة بعض حلفاء المغرب التقليديين من دول الخليج الذين لا يبدون تحفظهم على الإسلاميين فقط، بل يتجاوزون ذلك إلى التحفظ على المبدأ الديمقراطي في الأصل وخاصة عقب أحداث 2011، وهو ما يجعل من التدخل التحكيمي ضروريا في بعض الأحيان لتبديد مخاوف هؤلاء الحلفاء وضمان مصالح شركاء المغرب السياسيين والاقتصاديين"¹²²⁷.

ورغم أن خطاب وتواصل الأزمة هو في عمقه تواصل مؤقت لا يمكنه أن يظل إلى ما لا نهاية، إلا أنه يلاحظ أن حزب العدالة والتنمية يتبناه بشكل دائم، ربما بسبب وجود عجز في انتاج خطاب تدبير الشأن العام بشكل دقيق ومفصل. فقد طبعا الأزمات الفكرية والعقدية والهوياتية والسياسية، خطاب الإسلاميين وتواصلهم فلم يتمكنوا من اقناع الناخبين في شتتير من سنة 2021، لأنه في نظرنا الأزمات التي أحاطت بالمجتمع اقتصاديا واجتماعيا في فترة آثار انتشار وباء كوفيد 19، وكانت بمثابة الصدمة التي جعلت المواطن لا يهتم بخطاب العواطف مهما كان دينيا، بقدر

الاهتمام بخطاب حل أزماته الاجتماعية بشكل فوري وعاجل الشيء الذي لم تقدم فيه حكومة الإسلاميين وبرامجهم أي صيغ مبدعة للحلول.

أولاً- أسس خطاب حزب العدالة والتنمية: الأزمات السياسية

كما هو الشأن بالنسبة لباقي مجالات وفضاءات المجتمع، فإن الفضاء السياسي والسياسيون يحتمل أن يتعرضوا لعدد من الأزمات¹²²⁸. تشكل الأزمات لحظات أساسية للتواصل السياسي، فهي تبرز "الحقيقة السياسية"، ولأن الفاعلين السياسيين مطالبون خلالها بالتعبير عن هويتهم السياسية بشكل تام. فالأزمة هي فترة "ظهور المعاني"، وظهور استراتيجيات الفاعلين السياسيين تتمثل حقيقتهم في أفعالهم وفي علاقاتهم الاجتماعية والمؤسسية¹²²⁹.

تكشف فترات الأزمات حجم التحديات الحقيقية للاتصال السياسي على أرض الواقع، وهي "تضع الوساطات الرمزية للحقيقة السياسية على المحك: الأزمة هي لحظة توقف للوساطة في انتظار صياغة معايير جديدة ومنطق جديد، وأشكال جديدة من العقلانية"¹²³⁰. وخلال الأزمات تتساءل الذات عن هويتها السياسية وشرعيتها، وبالتالي ينطلق الفاعل السياسي في مسار إعادة التفكير في تمثيل نفسه وفي الصورة التي ينبغي أن يعطي لذاته في الفضاء العام، وهي بذلك عملية إعادة بناء الهوية السياسية. يعتبر زمن الأزمة، فترة يتم فيه التشكيك في العلاقات بين الفاعلين السياسيين تحديداً، فهي مرحلة يواجه فيها الاتصال السياسي الحاجة إلى إعادة إنتاج نفسه والبناء على أسس مختلفة.

وبذلك فإن التواصل السياسي هو الذي يعبر عن الأحداث والوقائع ويحاول تفسيرها. إن هذا التواصل يسعى إلى وضع الأزمة في سياقها الثقافي، في سياق الهوية، بطرح التساؤلات عن معنى الانتماء، ويحاول إعادة التفكير في الهوية السياسية، وبسبب الأزمات تشغل وسائل الإعلام وأدوات التواصل من قبل الفاعلين الجدد أو المؤسسات

1228 Lamizet Bernard, le langage politique, Ellipses éditions, Paris, 2011, p: 148-158.

1229 Ibidem.

1230 Ibidem.

الجديدة التي تحاول أن تلعب دور وساطات جديدة في حلقة التواصل الاجتماعي¹²³¹. وتقول الباحثة بسمة عبد العزيز، الخطابات تزداد كثافة في أوقات الأزمات، ولا يمكن الجزم ببراءة الخطابات من أغراض الهيمنة على وعي متلقيها، "لاسيما إذا كان منتج الخطاب من حائزي السلطة أو ممن يسعون إلى حيازتها، وخصوصاً إذا كان سياق إنتاج الخطاب وتداوله سياق أزمة يبلغ فيها الاستقطاب بين الأطراف ذروته"¹²³².

لذلك فإننا عندما نفحص أسلوب تواصل قادة حزب العدالة والتنمية، منذ ولوجهم للحياة السياسية، وعبر كل الأزمات التي مروا منها منذ 1997، وحتى قبل ذلك منذ فترة الشبيبة الإسلامية، إلى فترة الربيع العربي، ثم الصراع مع حزب الأصالة والمعاصرة، ثم فشل بنكيران في تشكيل حكومة الولاية الثانية بعد دستور 2011، مروراً بأزمة التفجيرات الإرهابية في الدار البيضاء سنة 2003، فإنه يمكننا القول أن خطابهم ظل مطبوعاً بلغة التعامل مع عدة أزمات: أزمة "مشروع فكري سياسي"¹²³³، أزمة هوياتية للتعبير عن مرجعية الحزب الإسلامية والانتماء إلى تيارات الإسلام السياسي، أزمة اعتراف من قبل السلطة ومنحهم هامش أكبر للفعل السياسي، أزمة خطاب "مفقود" لبناء سياسات عمومية قطاعية واضحة المعالم، بل وأزمة انتماء ممزق ما بين البحث عن الخلافة الإسلامية كأزمة كبرى صامته في خطاب عدد كبير من الإسلاميين، وما بين الانتماء إلى دولة وطنية قد تتناقض مصالحها مع مصالح دول أخرى تنتمي إلى مفهوم "الأمة الإسلامية". ولعل غياب خطاب يؤسس لرؤية تنموية لدى حزب العدالة والتنمية أو كما يرى بعض الباحثين عدم الرؤية التنموية لحزب العدالة والتنمية مع رؤية «المغرب الممكن»، وبعدها مع رؤية «النموذج التنموي» وتباينهما في أكثر من مستوى، هو أحد أسباب التي تجعل التدخل "التحكيمي"، لفائدة مصالح الدولة، ضرورياً

1231 Lamizet Bernard, le langage politique, op. Cité.

1232 بسمة عبد العزيز، سطوة النص، مرجع سابق.

1233 محمد عابد الجابري، مواقف إضاءات وشهادات، سلسلة كتب صغيرة شهرية، من ملفات الذاكرة، الكتاب الحادي والأربعون، الطبعة الأولى، يوليو 2005، ص: 66-67.

أثناء ممارستهم كحزب للسلطة، وذلك للمواءمة بين الرؤيتين، وهو ما تجلّى على أكثر من صعيد في تجربة حكومة بنكيران¹²³⁴.

ويعد إنتاج الخطاب في فترة أزمة كاشفا عن أشياء عديدة، منها: "اختبار الأداء الخطابي للمؤسسة وقدرتها على توظيف الخطاب في التعامل مع الأزمة، والعلاقات المتشابكة للمؤسسة مع أطراف الأزمة، ومواطن التأثير والتأثر وتبادل الأدوار والصراعات الخطابية التي تخوضها المؤسسة في ساحة الصراع الخطابي، كما تمثل دراسة خطاب المؤسسة في الأزمة فرصة للكشف عن التحيزات الخطابية، وأفعال الإقصاء والتهميش التي يمكن أن يمارسها الخطاب أو تمارس عليه"¹²³⁵.

في المغرب ومع بداية احتجاجات الربيع العربي أواخر سنة 2010، وبداية سنة 2011، ظهرت حاجة حزب العدالة والتنمية إلى استنفار قدراته الخطابية للظهور القوي ومواجهة التغيرات الحالية ومحاولة الاستفادة منها، بعد فترة طويلة من الركود بسبب الضغوطات والتوافقات السياسية المفروضة. كانت ما يمكن أن نصفه بأزمة الربيع العربي جوهرية وراء كل التغيرات التي طرأت على خطاب وتواصل هذا الحزب في أفق الرهان على المشاركة في "الحكم"، الشيء الذي يفترض تجديد الشرعية أمام السلطة وأمام الجماهير في هذا السياق السياسي والاجتماعي المأزوم، عبر خلق جسور تعبر من اللغة الدينية إلى الخطاب السياسي. وبذلك فإن هذه الفترة كانت مهمة لإعادة التعريف بالذات ولإعادة إنشاء هوية الحزب الإسلامية بشكل جديد. ويعتبر إنشاء الهوية "خطوة تأسيسية ضرورية لممارسة السلطة، فالهوية هي "من أكون؟"¹²³⁶ والسلطة هي "ماذا من حقي أن أفعل؟".¹²³⁷ ولعلّ غرض إنشاء الهوية بما ينطوي عليه من تثبيت لهوية قائمة وتمييز للهوية عن هويات أخرى، يعدّ غرضاً منطقياً جداً في وقت عنوانه الأزمة، فالأزمة تُخلخل الهوية، كما تهدّد الوجود. وقد مثّل إنشاء الهوية دفاعاً خطابياً ضرورياً من أجل الدفاع عن الوجود، ولعلّ أهم

1234 جبرون امحمد، الملكية في أفق جديد، أسئلة الدين والديمقراطية والنموذج التنموي، مرجع سابق، ص: 67.

1235 ضياء الدين محمد، قراءة في كتاب "سطوة النص لبسمة عبد العزيز، مرجع سابق.

1236 نفس المرجع السابق.

1237 نفس المرجع السابق.

أداة في إكساب الخطاب هويته، هي اللغة الدينية والقيمية التي مارسها قادة حزب العدالة والتنمية وعلى رأسهم عبد الإله بنكيران.

ومنذ انتخابات 2016 تغيرت مجموعة من العناصر المتحكمة في السلوك الانتخابي، وتفككت كثير من الجبهات التي كانت تعطي أفضلية لحزب العدالة والتنمية. وربما هذا التحلل والتغير بعثر عددا من أوراقه الخطابية وأضعف مستوى فعله التواصلي المؤثر في الجماهير، من بين هذه العناصر، آثار جائحة كوفيد 19، على الأسر وعلى مدخولهم بشكل عام.

بينت تفاصيل تقرير المندوبية السامية للتخطيط المنجز بغرض تحليلي حسب النوع الاجتماعي لتأثير جائحة كوفيد-19 على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر¹²³⁸ أن وضعية الأسر التي تعولها النساء ظلت أكثر هشاشة بسبب الأزمة من الأسر التي يعولها الرجال، مما خلق آثارا "سلبية" خصوصا على الرضع وعلى الأطفال صغار السن وعلى الأطفال في سن التمدرس وأيضا على المراهقين، ناهيك عن الوضعية النفسية والقلق¹²³⁹ الذي أحدثته. وقد كانت هناك تفاوتات على الاستقرار في العمل وعلى استقرار الدخل، وكذلك على مستوى البدائل التلقائية المعتمدة لمواجهة تراجع مداخيل الأسر واستئناف أنشطتهم بعد رفع الحجر الصحي. ورصد التقرير أن النساء الأجيرات في القطاع الخاص كن أكثر تعرضا لفقدان مناصب الشغل، أو لوقف أنشطتهن بشكل تام. كما خلص التقرير إلى أن أزمة جائحة كوفيد 19 كشفت بوضوح الهشاشة القائمة لوضعية المرأة في سوق الشغل، فقد بين التقرير أن الأثر السلبي للأزمة كان أكثر حدة على النساء النشيطات المشتغلات بالمقارنة مع نظرائهن من الرجال¹²⁴⁰.

1238 انظر تقرير المندوبية السامية للتخطيط (مؤسسة مغربية رسمية): "تحليل حسب النوع الاجتماعي لتأثير جائحة كوفيد-19 على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر"، (54 صفحة)، صادر بتاريخ 24 فبراير 2021، الرابط:

https://www.hcp.ma/Communique-de-presse-Publication-du-rapport-d-analyse-genre-de-l-impact-de-la-pandemie-COVID-19-sur-la-situation_a2656.html

1239 نفس المرجع السابق، ص: 18.

1240 نفس المرجع السابق، ص: 52.

ولمواجهة الأزمة المالية جراء فقدان الشغل أو توقف النشاط المهني، اعتمد الرجال أرباب الأسر على مدخراتهم الذاتية، أو على القروض التي لاحظ التقرير أنهم كانوا يحصلون عليها بسهولة مقارنة مع النساء. وتبين أن استراتيجيات توزيع المساعدات العمومية لم تفلح في تصحيح هذه التفاوتات بسبب أنماط الاستهداف المستخدمة، فقد كانت نسبة النساء المسجلات في الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي أقل بكثير من نسبة الرجال، كما تبين أن النساء اللاتي يمارسن في القطاع غير النظامي، كانت أهليتهن للحصول على الإعانات العمومية دون أهلية الرجال¹²⁴¹.

أفاد التقرير أن نسبة الرجال العاملين في القطاع الخاص الذين أعلنوا توقفهم عن العمل أثناء الحجر الصحي أعلى من نسبة النساء فقد كانت 67% للرجال مقابل 64% للنساء، وتشمل هذه النسبة 67,9% للرجال و55,3% للنساء في أوساط العمال والعمال الفلاحيين و79,8% و77,6% لدى اليد العاملة غير الفلاحية، الشيء الذي خلصت من خلاله المندوبية إلى وجود معاناة النساء كانت أكبر جراء الأزمة¹²⁴².

أما بالنسبة لاستئناف النشاط، فلاحظت المندوبية أن نسب الرجال أفضل في أوساط التجار والأجراء الذين توقفوا عن العمل أثناء الحجر الصحي، على التوالي 66% و56% استأنفوا عملهم، مقارنة بالنساء 58,5% و49%. وقد ساهمت هشاشة وضعية المرأة في سوق الشغل في خلق وضع مالي أكثر صعوبة بالنسبة للمرأة، فقد كشفت معطيات التقرير أن الأسر التي تعيلها نساء عانت أكثر من فقدان الدخل، مما يجعلها أكثر عرضة للأزمات المالية وتداعياتها الاجتماعية. فكانت نسبة 41% من الأسر التي تعيلها نساء وجدت نفسها دون دخل، مقابل 32,5% للرجال. ومقارنة بالرجال صرح أقل من نصف النساء ربات الأسر من فئة "الأطر المتوسطة" أن الأجر هو مصدر

1241 نظر تقرير المندوبية السامية للتخطيط (مؤسسة مغربية رسمية): "تحليل حسب النوع الاجتماعي لتأثير جائحة كوفيد-19 على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر"، مرجع سابق.

1242 نفس المرجع السابق، ص:52.

دخلهن الأساسي 31% للنساء مقابل 63% للرجال. ووضح التقرير أن حصة النساء المنتميات إلى فئة "الأطر المتوسطة" اللاتي فقدن عملهن في بداية الأزمة أكبر من حصة الرجال 55% مقابل 40%.

كما بينت معطيات بحث المندوبية السامية للتخطيط أن 55% من النساء المعيلات لأسرهن اللواتي ينتمين لفئة "أطر متوسطة" و 73% من "تاجرات وصانعات حرفيات مؤهلات"¹²⁴³، صرحن بتوقف أحد أفراد أسرهن عن العمل في القطاع الخاص، مقابل 41% و 68% في نفس الفئات المهنية بالنسبة للأسر التي يعولها رجال. في التجارة مثلا، صرح 72% من ربات الأسر، مقابل 66% من أرباب الأسر التي يعولها الرجال، أن بعض الأفراد من أسرهن فقدوا عملهم في القطاع الخاص بسبب الجائحة. كما تمت ملاحظة نفس المنحى في قطاعي الفلاحة والخدمات، حيث بلغت هذه النسب في القطاع الأول 59% و 47% على التوالي، مقابل 55% و 48% في قطاع الخدمات¹²⁴⁴. ومن منظور الحفاظ على النشاط يتضح الفرق جليا بين الأسر التي يعيها الرجال وتلك التي تعيها النساء في نسب الأفراد الذين يواصلون عملهم في القطاع الخاص. فمن بين مجموع الأسر، يواصل 14% فقط من أفراد الأسر التي تعيها نساء العمل في القطاع الخاص مقابل 22% بالنسبة للأسر التي يعيها رجال. ويبرز هذا الأمر وجود هشاشة أكبر في أوساط النساء، بالنظر إلى أن الأسر التي يرأسها نساء أكثر تأثرا بفقدان العمل في القطاع الخاص مقارنة بالأسر التي يرأسها رجال¹²⁴⁵.

وتتفاقم هذا الملاحظة أكثر بالنسبة للأسر العاملة في التجارة، حيث لاحظت المندوبية أن 5,6% فقط من أفراد الأسر التي ترأسها نساء قد حافظوا على نشاطهم مقابل 28,2% لدى الأسر التي يعيها رجال، وتبرر هذه الملاحظة النسبة العالية جدا من النساء التاجرات اللواتي اضطررن إلى الاقتراض¹²⁴⁶.

1243 نظر تقرير المندوبية السامية للتخطيط (مؤسسة مغربية رسمية): "تحليل حسب النوع الاجتماعي لتأثير جائحة كوفيد-19 على

الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر"، مرجع سابق، ص: 30.

1244 نفس المرجع السابق، ص: 41-47.

1245 نفس المرجع السابق.

1246 نفس المرجع السابق.

في بحث أنجزته المندوبية السامية للتخطيط لرصد وتقييم التأثير السوسيو-اقتصادي لجائحة كوفيد-19 في

المغرب¹²⁴⁷ على تطور أنشطة المقاولات خلال عام 2021، ومقارنتها بما كانت عليه قبل الأزمة، تم رصد استنتاج أن عددا من المقاولات وجدت صعوبة في استئناف النشاط خلال سنة 2021، وأن 28٪ منها اضطرت إلى تعليق نشاطها لمدة 143 يوما في المتوسط خلال السنة نفسها، وكان هذا التوقف أطول بالنسبة لـ 30٪ من المقاولات الصغيرة جدا، حيث بلغ 158 يوما في المتوسط، مقابل 116 يوما لـ 27٪ من المقاولات الصغرى والمتوسطة و107 أيام بالنسبة لـ 14٪ من المقاولات الكبرى، منها مقاولات الفنون والترفيه وأنشطة العروض 49٪ والبناء 37٪ توقفت عن نشاطها في السنة نفسها لفترة 250 و186 و169 يوما في المتوسط على التوالي¹²⁴⁸. وقد بين بحث المندوبية أن 43٪ من المقاولات سجلت انخفاضا في النشاط يفوق 50٪ أو أكثر خلال عام 2021 مقارنة بفترة ما قبل الوباء، فيما صرحت 27٪ من المقاولات بانخفاض بين 10٪ و50٪، وصرحت 10٪ بانخفاض بأقل من 10٪، كما عرف أكثر من نصف المقاولات الصغيرة جدا انخفاضا في النشاط بنسبة 50٪ أو أكثر في عام 2021، مقابل نسبة 31٪ للمقاولات الصغرى والمتوسطة و13٪ بالنسبة للمقاولات الكبرى. ومن بين المقاولات الأكثر تضررا تلك التي تشتغل في قطاع الإيواء، حيث أن أغلبها عرفت انخفاضا في النشاط، فيما أعلنت 86٪ عن انخفاض بنسبة 50٪ أو أكثر خلال عام 2021 مقارنة بالفترة ما قبل كوفيد 19. كما أن التراجع في النشاط بأكثر من 50٪ يبقى مهما كذلك في قطاعي المطاعم (65٪) والفنون والترفيه وأنشطة العروض (75٪)¹²⁴⁹.

وتضمن التقرير معيطات مفصلة عما تسببت فيه الجائحة، في انخفاض عدد العاملين في المقاولات، ذلك أن 39٪ من المقاولات عرفت انخفاضا في عدد العاملين لديها خلال سنة 2021 مقارنة بالفترة التي سبقت الأزمة

1247 المندوبية السامية للتخطيط، البحث الرابع حول تأثير كوفيد-19، على نشاط المقاولات، تاريخ الإصدار فبراير 2022، رابط

البحث: <https://www.hcp.ma/file/229793>

1248 نفس المرجع السابق.

1249 نفس المرجع السابق.

الصحية، فيما صرحت 5% بارتفاع و56% باستقرار في عدد العاملين خلال هذه الفترة. وكانت المقاولات الكبرى الأكثر لجوء إلى تسريح العاملين لديها وتقليص عددهم، حيث صرحت 24% من المقاولات الكبرى بتقليص عدد عمالها، مقابل 34% من المقاولات الصغرى والمتوسطة و43% من المقاولات الصغيرة جدا. ووصلت نسبة المقاولات التي قلصت عدد عمالها إلى النصف أو أكثر 21% خلال سنة 2021 مقارنة بالفترة ما قبل الأزمة الصحية. وفي توزيع ذلك بحسب الفئات، فإن هذه النسبة تشكل 28% لدى المقاولات الصغيرة جدا، و10% لدى المقاولات الصغرى والمتوسطة، و5% بالنسبة للمقاولات الكبرى. وتمثل المقاولات العاملة في قطاعي الإيواء والبناء أكثر المقاولات التي قامت بتقليص عدد العاملين لديها، إذ تقلص العدد بنسبة 47% في قطاع الإيواء، و30% بالنسبة لقطاع البناء¹²⁵⁰.

ومن بين أهم ما فحصه تقرير المندوبية السامية هو تأثير الجائحة على المقاولات فيما يتعلق بتقليص تعويضات العاملين لديها، بحيث أن حوالي 24% من المقاولات خفضت مستوى تعويضات عمالها خلال سنة 2021. وجاءت المقاولات الصغيرة جدا، (وهي في عمومها مقاولات قريبة من المواطن بشكل يكاد يكون يوميا كمتاجر بيع الأغذية وغيرها)، في المرتبة الأولى التي قلصت تعويضات عمالها بـ 27%، ثم المقاولات الصغرى والمتوسطة بـ 20%، والمقاولات الكبرى بـ 10%. وجاءت مقاولات قطاع الإيواء على رأس المقاولات التي خفضت رواتب عمالها، إذ لجأت أكثر من ثمانين مقاولات من أصل عشر مقاولات 82% إلى خفض مستوى رواتب عمالها، حيث إن 60% من هاته المقاولات قامت بخفضه بنسبة 10% أو أكثر، و22% منها قلصته بأقل من 10%.

غير أنه وبناء على معطيات نفس البحث المذكور فإن سنة 2022 عرفت لجوء عدد من المقاولات إلى تشغيل اليد العاملة، حيث صرحت مقاولة واحدة من أصل خمسة عزمها القيام بذلك، وذلك بنسبة 46% بالنسبة للمقاولات الكبرى، و25% بالنسبة للمقاولات الصغرى والمتوسطة، و18% بالنسبة للمقاولات الصغيرة جدا. فقد أكدت الدراسة أن المقاولات تعتمز تجاوز تداعيات الجائحة، حيث تسعى نحو 29% منها إلى إنجاز مشاريع استثمارية خلال سنة 2022.

1250 المندوبية السامية للتخطيط، البحث الرابع حول تأثير كوفيد-19، مرجع سابق.

وتتوقع في هذا الصدد 13% من المقاولات زيادة في مستوى استثماراتها، فيما تعتزم 12% الحفاظ على المستوى ذاته، بينما تتوقع 3% من المقاولات انخفاضا في استثماراتها. وقد أشار التقرير إلى أن ربع المقاولات الكبرى تتوقع زيادة في مستوى الاستثمار خلال سنة 2022، فيما تمثل هذه النسبة 17% بالنسبة للمقاولات الصغرى والمتوسطة و11% لدى المقاولات الصغيرة جدا¹²⁵¹.

وتتوقع ما يقرب من 45% من المقاولات العاملة في قطاع الطاقة زيادة في استثماراتها خلال سنة 2022، وتمثل هذه النسبة 24% لدى المقاولات العاملة في قطاع الصناعات الاستخراجية، و14% لدى مقاولات الصناعات الكيماوية وشبه الكيماوية، و13% بالنسبة لصناعة النسيج والجلد، و9% لدى الصناعات المعدنية والميكانيكية، فيما 80% من مقاولات قطاعي الإيواء والمطاعم لا تتوقع أي مشروع استثماري خلال سنة 2022. وخلال سنة 2022، يتوقع 46% من أرباب المقاولات توجيه جهودهم الاستثمارية نحو اقتناء الآلات والمعدات، ويرغب 32% منهم في الاستثمار في تطوير منتجات وخدمات جديدة، بينما يود 24% الاستثمار في تحديث معدات تكنولوجيا المعلومات¹²⁵².

تميزت فترة ما قبل تشكيل العثماني لحكومته سنة 2017، بمواجهات سياسية متعددة وبخصومة سياسية ذات بعد ايديولوجي، بين تيار يقول عن نفسه أنه ضد تيارات الإسلام السياسي وأنه حدائي تقدمي يقوده حزب الأصالة والمعاصرة، وبين تيار إسلامي يقوده حزب العدالة والتنمية، واتسمت الفترة التي سبقت مباشرة انتخابات شتنبر 2021 بتغيير في قواعد وأسس الصراع السياسي، وتحول فرضته وضعية التفكير في كفاءات تدبير آثار جائحة كوفيد 19، من الخطاب السياسي النظري إلى صراع أفكار وإجراءات سياسات عمومية وإلى البحث عن خطاب متمحور حول كيفية التعامل مع الوضع الاجتماعي والاقتصادي الجديد والمتأزم. كما أن التغيير الذي حدث على مستوى الشخصيات القيادية للأحزاب التي تنافس حزب العدالة والتنمية، نتج عنه تغيير استراتيجياتهم في الفعل السياسي والتواصل لمواجهة حزب العدالة والتنمية، مما قد يشكل عنصرا جديدا قد يكون ماثرا في السلوك السياسي لبنيات الحزب

1251 المندوبية السامية للتخطيط، البحث الرابع حول تأثير كوفيد-19، مرجع سابق.

1252 نفس المرجع السابق.

الإسلامي سواء على المستوى المحلي أو التنظيمي الداخلي، وفي إعادة إنتاج مستويات جديدة من الخطاب واللغة السياسية، وبالتالي في البحث عن حركة تفاعلية جديدة قد ينتج عنها ما يمكن أن نصفه بارتباكات أحيانا وإلى جمود أحيانا أخرى، لاسيما إذا كان ذلك الفعل السياسي تأسس سابقا على قواعد إدارة المواجهات السياسية بناء على وصف محدد للخصومة وللخصوم.

فقد تميزت المرحلة ما قبل قيادة سعد الدين العثماني للحكومة سنة 2017، كما أوضحنا سابقا في هذه الأطروحة، بتحديد الخصم والجبهة المنافسة الأكثر خصومة سياسية وهي حزب الأصالة والمعاصرة في شخص أمينه العام إلياس العماري الذي كان يعتبره حزب العدالة والتنمية حزبا ذا امتداد سياسي لجهات داخل الدولة خلال الانتخابات السابقة منذ 2011. شكل في نظرنا هذا العنصر حينها عامل تفوق خطابي لحزب العدالة والتنمية بقيادة بنكيران، غير أن استقالة إلياس العماري ودخول حزب الأصالة والمعاصرة في صراعات داخلية حول تجديد قيادته، ومن تم "اختفاء" هذا الخصم من المشهد على الأقل على المستوى التواصل والخطابي، جعل من الصعب على قيادة العدالة والتنمية قيادة حملات انتخابية بدون خصم كهذا، فشخصية وخطابة بنكيران تميزت بالتعامل مع خصم أو "عدو" سياسي محدد، لأنه يشكل بالنسبة إليه عنصرا مستغزا لقدرات أعضائه التواصلية المهيأة بفعل التكوين الإسلامي التقليدي للمواجهة. كما يشكل هذا العامل موضوعا مؤطرا لمعظم مدد حلقات التواصل السياسي للحزب وعاملا للوحدة الداخلية و مكونا من خطاب الأزمة السياسية. وبذلك فإن غياب الخصم هو جزء من استراتيجية محتملة لإضعاف القدرة الخطابية و الإقناعية لحزب العدالة والتنمية ومن تم إضعاف قدراته في استمالة التصويت لفائدته. في نظرنا يزيد من حدة هذا الضعف بسبب غياب خصم "موحد" للصفوف، لدى هذا التنظيم، عدم وجود خطاب مبدع واضح لبناء الدولة ولتدبير آثار الأزمات الكبرى مثل آثار أزمة انتشار وباء كوفيد 19.

ثانياً - لبحث عن "الأعداء": نظرية صناعة العدو

يناقش الأكاديمي والدبلوماسي الفرنسي بيير كونيسا Pierre Conesa في كتابه "صناعة العدو"¹²⁵³، فرضية أن العدو هو صناعة تنشأ بداية عن تبني توجه ايديولوجي وبناء خطاب مصاحب له، يغديه صنّاع رأي يسميهم كونيسا ب: "محددي العدو"، وتنتهي عملية الصناعة للعدو هاته بتبني آليات لممارسة العنف. ويتساءل الكاتب "لماذا العدو؟" هل هناك حاجة اجتماعية وسياسية لوجود العدو في المجتمعات المعاصرة؟

يهدف كونيسا في كتابه إلى تحليل كيفية نشوء علاقة العداوة، وكيف يُبنى المُتخَيَّل قبل الذهاب إلى الحرب كما قال الشاعر الفرنسي هنري ميشو: "إنّ تحديد الأعداء والأصدقاء والتحقّق منهم، يشكّل آلية ضرورية قبل شنّ الحرب. ومن المنطقي أن نحاول فهم العجرفة الحربية التي تدفع الناس إلى أن يقتل بعضهم بعضًا بطريقة شرعية. فالحرب قبل كلّ شيء ترخيصٌ ممنوح شرعيًا لقتل أناس لا نعرفهم، وأحياناً نعرفهم كما في الحروب الأهلية، لكنهم يتحوّلون فجأةً إلى طرائد يجب تعقبها والقضاء عليها"¹²⁵⁴.

ويستشهد كونيسا بمقولة شهيرة لـ ألكندر أرباتوف، المستشار الدبلوماسي لـ ميخائيل غورباتشوف: "سنقدّم لكم أسوأ خدمة، سنحرمكم من العدو"¹²⁵⁵. ويضيف أن صناعة العدو هي وظيفة سياسي بعينها، فالعدو هو الآخر، الشر، التهديد، ولا يمكن فصله عن الحياة. وهو يقَدّم خدمات كثيرة ويعمل مهذبًا، خصوصًا عبر المسؤولية التي يمتثلها في قلقنا الاجتماعي. ويمكن لصناعة العدو أن ترسخ الأواصر الجمعية، ويمكنها أن تكون مخرَجًا بالنسبة إلى سلطةٍ تواجه مصاعب على الصعيد الداخلي"¹²⁵⁶.

1253 كونيسا بيير، صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح، ترجمة نبيل عجمان، العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2015.

1254 نفس المرجع، ص: 13.

1255 نفس المرجع السابق، ص: 14.

1256 نفس المرجع السابق، ص: 16.

يرى كونيسا أن هناك تفسيرين لحالة وجود العدو، التفسير الأول يستند على نظرية هوبز الذي يفترض أنّ الناس يتصرفون بطبعهم بصورة عنيفة، وأنّ التنظيم المشترك وحدّه يكبحهم. ويرى أنّ الإنسان قد يكون اجتماعياً قسراً وليس بطبعه، وأنّ العدو بالنسبة إليه مُعطىً طبيعي. وتخلّص هذه النظرية سريعاً إلى العبارة الشهيرة: "الإنسان ذئب الإنسان"، وتعتبر أنّ الحالة البدائية هي حالة "حرب الجميع ضد الجميع"، وفي هذه الحالة يكون الإنسان محكوماً بغريزة البقاء فحسب. وفي التفسير الثاني يقف روسو الذي رفض المنهج الذي يجعل من الحرب النظام الطبيعي للمجتمع البشري، ورأى أنّ الناس لا يكونون أعداءً إلا في الوضع الظرفي للحرب بين الدول التي يشاركون فيها بوصفهم جنوداً، وليس في الحالة البدائية¹²⁵⁷.

والعدو هو جزء من متخيل جمعي خاص بكل جماعة. إنه "أنا آخري"، يجب أن نجعلها غيرية، نلونها بالأسود ونجعلها مهددة لكي يبدو استخدام العنف شرعياً، وبذلك فإن العدو قد يكون موحداً للجماعة، محدداً لهويتها ومميزاً لها. كما يمكن توظيفه كمهدد لحالات القلق الجماعي، فعلى الرغم من أنّ الدول المتقدمة تعيش أماناً مثالياً، اخترعت "ما يسمى ب: "مبدأ الحيطة" الذي يضيف طابع الكارثية أو المأساة على أخطار محتملة بعيدة التحقق، ما جعل مواطنيها في حالة قلق دائم وانتظار لحماية السلطات لهم من كل ما هو غير متوقع.¹²⁵⁸ وقد يكون وجود العدو من أجل تلبية حاجات اجتماعية متعددة، منها الحاجة إلى الهوية، أي تعريف "الذات" من خلال تعريف "الآخر"، والحاجة إلى توطيد الأواصر ضمن الجماعة، ويعطي كونيسا مثلاً عن ذلك: "لن تتوحد باكستان التي تمرّقها الحروب الأهلية إلا عبر العدائية للهند". وكذلك الحاجة إلى تهدئة حالات القلق الاجتماعي، مستشهداً بقول دوركهايم: "حين يعاني المجتمع، يشعر بالحاجة إلى أن يجد أحداً يمكنه أن يعزو إليه ألمه، وينتقم منه لخيبات أمله"¹²⁵⁹.

1257 كونيسا بيبير، صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح، مرجع سابق، ص: 23-24
1258 فؤاد عبير، "باحث فرنسي: العدو صناعة وبناء يمكن تفكيكه"، مقال منشور على جريدة عربي 21، الرابط: <https://url.fr/mKAH>
1259 عبد الكريم بدرخان، "مراجعة كتاب: صنع العدو: أو كيف تقتل بضمير مرتاح؟"، مجلة جدلية الإلكترونية، معهد الدراسات العربية، ماي 2017، الرابط: <https://www.jadaliyya.com/Details/34227>

وبذلك فإن صناعة العدو كآخر مهدد لجهة ما، هي فعل سياسي بالضرورة. وبذلك يعتمد السياسي إلى جعل هذا العدو يجب أن مخالفا حتى ولو باستعمال الكذب والزور والافتعال، فيتم استعمال خطاب شفهي تمييزي يوظف ألفاظا تحط من قدر الآخر لتبرير العنف تجاهه وحرمانه من المعاملة الإنسانية العادلة، فهو ليس نداءً، ليس محاربا أو عدواً، إنه بربري، إرهابي، قاطع طريق، عنيف. ويصبح التمييز في ما بعد ثقافيا وعرقيا منشأ لنظريات التفوق العنصري¹²⁶⁰.

وعند توسعه في الحديث عن "محددي العدو"، عرفهم بكونهم أولئك الذين يسهمون باسم المصلحة العامة بتحديد العدو للرأي العام. وهي عملية تحتاج إلى تهيئة العقول لاختيار العدو لإنتاج آلية سوسولوجية تؤسس للموافقة الجماعية، فيتم الترويج لخطاب اجتماعي وسياسي لتدوير "مواضيع تاريخية قديمة ويصنعون منها ميثولوجيا جديدة"، هؤلاء الذين يقومون بذلك هم الاستراتيجيون وهم المثقفون والإعلاميون، ورجال الدين، والسياسيون والسينمائيون. ويعطي كونيسا مثالا على ذلك بدولة يوغوسلافيا سابقا فيقول إن: "تقدم الأزمة اليوغوسلافية مثالا على العملية السوسولوجية المطروحة هنا: مثقفون قداماء منشقون، سلطات دينية، محاربون قداماء، زعماء سياسيون... كل منهم قدم إسهامه في خطاب صناعة العدو، للوصول إلى الحرب الأهلية"¹²⁶¹.

وقد حدد كونيسا لاستكمال نظريته حول تفسير صناعة العدو، عدة نماذج للأعداء، مشيرا إلى أن العدو قد يكون في الغالب عبارة عن مزيج من نماذج متعددة مرتبطة ب "طول أمد التنافس القاتل"¹²⁶². ومن بين هذه التصنيفات والنماذج التي قدمها هناك: "العدو القريب"¹²⁶³ وهو عدو ينشأ الصراع معه بسبب الحدود، والخصم العالمي أو المنافس الكوكبي كما كانت الحال بالنسبة للحرب الباردة، أو تنافس الإمبرياليات في سباق الاستعمار. وهناك "العدو

1260 فؤاد عبيد، مرجع سابق.

1261 كونيسا بيير، صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح، مرجع سابق، ص: 59-62.

1262 نفس المرجع، ص: 115-133.

1263 نفس المرجع، ص: 77.

الحميم¹²⁶⁴ الذي تؤدي الخصومة معه إلى الحرب الأهلية، التي تبدأ عبر الكلمات وتنتهي بالقتل الاستباقي: أن نُقتل قبل أن نُقتل. والحرب الأهلية هي صراع الـ "هم" في مواجهة الـ "نحن" في فضاء مغلق، مع العلم أن الفريقين متشابهين، أي ينتميان إلى نفس الفضاء الوطني مثلا.

وهناك نوع آخر من الأعداء وهو "العدو المحجوب"¹²⁶⁵ وهو ناتج عن الإيمان بنظرية المؤامرة، والاعتقاد بوجود قوى خفية تحرك الشعوب وتحدّد مصيرها، ثم هناك "العدو الهجري"¹²⁶⁶ أو هكذا يراه المحتل الذي يريد إخضاعه، فيواجهه بالقوة والعنف، ويصبح قمعه هو "إحلال السلام". وهناك العدو التصوري وهو كما يقول كونيسا وضع فريد عرفه العالم تحت رئاسة جورج بوش الابن، "المسيطر ليس لديه عدو يجاربه، لا يمكنه سوى محاربة مفاهيم في صراع شامل. إنها الحرب الشاملة ضد انتشار أسلحة الدمار الشامل والإرهاب"، أي القيام بحرب استباقية¹²⁶⁷.

وهناك "العدو الإعلامي"¹²⁶⁸، الذي ينتج في ساحة الإعلام حيث تتفوق الصورة على النص، وهو عدو يتم استحضاره من خلال الشيطنة وليس من خلال التهديد الاستراتيجي الذي يمثله. ويتحدد هذا العدو الإعلامي عبر انتاجات المتقنين والإعلاميين. وهناك أيضا العدو المطلق أو حرب الخير ضد الشر التي "لا تقتصر على النزاعات الدينية، إذ هي أيضا حرب الأنظمة الشمولية الكبيرة العلمانية في القرن العشرين. الآخر هو الشر بل حتى الشيطان، ويجب على الحرب أن تؤدي إلى إبادته التامة على مستوى العالم، وأيضا على مستوى الخونة والمتآمرين، فالأيديولوجيات قاتلة مثل الديانات، ويصبح فيها الآخر هو الشر المطلق، بل هو الشيطان.

ويرى كونيسا أنه إذا سلمنا بفكرة أن العدو هو بنية فمن الممكن إذن تفكيكها¹²⁶⁹. وهناك عبر التاريخ محاولات كثيرة لتفكيك العدو كتب لبعضها النجاح، وأخفقت أخرى. وأهم هذه المحاولات الناجحة المصالحة بين فرنسا وألمانيا،

1264 كونيسا بيبير، صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح، مرجع سابق، ص: 134-152.

1265 نفس المرجع، ص: 171-189.

1266 نفس المرجع، ص: 153-171.

1267 نفس المرجع، ص: 190-200.

1268 نفس المرجع، ص: 200-227.

1269 نفس المرجع، ص: 233-265.

بعد ثلاثة حروب مدمرة. في المقابل لم تقبل اليابان الإقرار بالمسؤولية تجاه جيرانها الآسيويين، وكذلك لم تقبل فرنسا الاعتراف بمسؤوليتها عن جرائم في شعوب احتلتها في زمن الاستعمار. ويرى كونيسا أنه أيضا يمكن تفكيك العدو من خلال الوصول إلى تسويات، وقد نجحت بالفعل الكثير من الدول في إنهاء خلافاتها الحدودية، على سبيل المثال، بطرق سلمية تماما. يقول كونيسا: "سيكون صنع العدو خلال العقود المقبلة قطاع إنتاج ضخم". ويذكر أن بناء العدو عملية اجتماعية سياسية، ولذلك فإن مسؤولية النخب السياسية والثقافية لا تقلّ عن مسؤولية الأنظمة، ويختتم بمقولة لنتشه: "إنّ من يحيا على محاربة عدوّه، من مصلحته أن يدعه يعيش".

ومن أهم ما يميز خطابات قادة حزب العدالة والتنمية هو البحث عن "أعداء" أو عن خصوم والصراع معهم، والدخول معهم في معارك مستنفذة للطاقة والجهد، ومضيعة لزمان التنمية، على غرار معارك بعض قوى الحركة الوطنية غداة الاستقلال¹²⁷⁰. ويتكون هؤلاء الخصوم أحيانا من شخصيات سياسية منافسة، وأحيانا أخرى من أفكار ومؤسسات وتسميات غامضة إلى حد ما أو بنايات خفية، كأوصاف التماسيح والعمالقة التي استعملها بنكيران أو فكرة "التحكم"، والتقيد بفكرة وجود قوة خفية تتسلط وتتحكم وتمنع البلاد من الانتقال الديمقراطي، مما يصفها البعض بأنها معركة خاطئة¹²⁷¹.

ثالثا - تغير قواعد الاشتباك وتبديل شخصيات المشتبكين

سنحاول إبراز هذه المسألة من خلال مثال مهم في نظرنا، باعتبار أنه شكل محطة مواجهة برزت فيها قدرات الخصوم السياسية المعنية على إدارة الصراعات السياسية، وعلى طريقة التواصل بشأنها وعلى مرجعيتها النظرية. المثال الذي نعتمده هو المواجهة الإعلامية بين قيادات حزب العدالة والتنمية وحزب التجمع الوطني للأحرار بمناسبة

1270 جبرون امحمد، الملكية في أفق جديد، مرجع سابق، ص: 70-71.

1271 نفس المرجع السابق.

انتقادات واتهامات متبادلة. وقد اعتمدنا هذا المثال نظرا لحجم ردود الفعل ونظرا للاهتمام الإعلامي به، ونظرا أيضا لكونه كان بين حليفين داخل نفس حكومة سعد الدين العثماني وليس مع خصم خارج الحكومة.

أ- وقائع المواجهة بين حزب العدالة والتنمية وحزب التجمع الوطني للأحرار

بتاريخ 22 شتبر 2018، وبمناسبة الجلسة الافتتاحية للجامعة الصيفية لشباب الأحرار "المنعقدة بمدينة مراكش"، وفي كلمة له في الجلسة، وجه عضو المكتب السياسي لحزب التجمع الوطني للأحرار ورئيس مكتبه بجهة طنجة تطوان الحسيمة رشيد الطالب العالمي، (وهو في نفس الوقت وزير الشباب والرياضة في حكومة يقودها سعد الدين العثماني الأمين العام لحزب العدالة والتنمية)، انتقادات سياسية لجهة حزبية، بدون ذكر اسمها، غير أن ردود الفعل فيما بعد بينت أن المقصود هو حزب العدالة والتنمية¹²⁷².

اعتبر الطالب العالمي أن هذه الجهة السياسية المعنية في خطابه تسعى إلى "تخريب البلد"، وأنها تشكك في المؤسسات وفي المنتخبين، وربط هذه الهيئة التي لم يسمها ب أردوغان رئيس دولة تركيا التي تعتبره "قدوة"، واصفا إياه بأنه أغلق على نفسه العالم وسبب انهيار العملة التركية (الليرة) وقال: "ها أنتم ترون كيف كان حال الليرة سنة 2002 قبل أن يأتي الزعيم ويغلق على نفسه العالم فأصبحت حالة الليرة على ما هي عليه اليوم".¹²⁷³

تحدث الطالب العالمي عن قيادة هذا التنظيم السياسي وقال أنهم "بدأوا من 2010 في التشكيك في المؤسسات من برلمان وجماعات ترابية، غير أنهم لم يستطيعوا الحصول على العدد الكافي من الأصوات لتنفيذ الجزء الثاني من برنامجهم"، مضيفا أن هذا التشكيك في المؤسسات السياسية والمنتخبين والبرلمان "هدفه تخريب البلاد، ليضعوا أيديهم على البلاد ونسوا أن البلاد فيها الأولياء الصالحين وفي عمرها 14 قرنا وفيها التجمعين والتجمعيات لي ما

1272 انظر كلمة رشيد الطالب العالمي في افتتاح الجامعة الصيفية الشبيبة التجمع الوطني للأحرار على رابط منصة يوتيوب: <https://m.youtube.com/watch?v=k5VRE7MxAc>

1273 نفس المرجع السابق.

غايليوهمش¹²⁷⁴. كان لهذه التصريحات ارتدادات وتفاعلات على المستوى التواصلية بين الحزبين، جندت فيها طاقة الطرفين في وسائل الإعلام وفي شبكات التواصل الاجتماعي، وتفاعلت القيادات فيما بينها.

ب - ردود فعل حزب العدالة والتنمية: البناء على الأخلاق والقيم والهيمنة

يمكن تقسيم هذه الردود إلى نوعين، النوع الأول تجسد في فعل مواجهة إعلامية، جسده نائب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية سليمان العمراني، والنوع الثاني هو دعوة إلى عدم الرد وعدم المواجهة جسده توجيه الأمين العام لحزب العدالة والتنمية سعد الدين العثماني.

بتاريخ 24 شتنبر 2018، أي بعد مرور يومين على تصريحات الطالب العلمي، اختار نائب الأمين العام لحزب الإسلاميين سليمان العمراني، حسابه على منصة فيسبوك للرد عليه بواسطة تدوينة¹²⁷⁵، وصف فيها تصريحات الطالب العلمي بـ "المواقف الخطيرة والمسيسة وغير المقبولة تنتهك بشكل سافر ميثاق الأغلبية"¹²⁷⁶.

استهل تدوينته بالتذكير بموضوع رده، وقال أنه اطلع "كما اطلعت قيادة حزب العدالة والتنمية ومناضلوه والرأي العام الوطني على تصريحاتك في الجامعة الشبابية لحزبك عن حزبنا دون أن تسميه، وبما أن موقفك المعبر عنه لم يكن داخليا مما كان يستوجب لو كان الأمر كذلك اللجوء لقنوات الأغلبية لمعالجة ما تتبغى معالجته". ثم وجه العمراني كلامه مباشرة إلى وزير الشباب والرياضة في حكومة العثماني وقال: "إن كلامك لم يتوقف عند حدود انتقاد بعض المواقف ضد حزبك مما يمكن أن يُفهم ويُتَقَمَّ، بل تعداه إلى تَقَصِدِ حزب العدالة والتنمية دون الحاجة لأي تأويل، وإلا فمن تقصد بكلامك: لأنهم بداو من 2010 وبداو التشكيك في البرلمان والتشكيك في الأحزاب والتشكيك في الزعماء والتشكيك في المؤسسات الدستورية والتشكيك في الجماعات الترابية والتشكيك في رؤساء الجماعات الترابية بمختلف أصنافها ولكن لم يحصل على ذلك العدد من المقاعد التي تسمح لهم بالمرور للدور الثاني في تنفيذ المشروع ديالهم،

1274 نفس المرجع السابق.

1275 انظر مضمون تدوينة سليمان العمراني المنشورة في جريدة العمق المغربي، على الرابط:

<https://al3omk.com/334621.html>

1276 نفس المرجع السابق.

إلى أن تقول: معركة مشروعين مجتمعيين. مشروع ندافع عليه كمغاربة كاملين والذي عشنا فيه وكبرنا ومشروع آخر دخيل (...). باغين يخربوا البلاد باش يسهال ليهم أنه يوضعوا يديهم على البلاد. مواجهة هاد المشروع الذي يريد تخريب البلاد¹²⁷⁷.

ثم بعد إبراز سبب تدوينته، وصف العمراني مواقف الطالب العلمي، ب "الخطيرة والمسيئة وغير المقبولة تنتهك بشكل سافر ميثاق الأغلبية الذي يعتبر حزبكم من بين الموقعين عليه، وهو الذي نص على: الحرص على تماسك الأغلبية وعدم الإساءة للأحزاب المكونة لها دون أن يمنع ذلك من الحق في النقد البناء، وفي جميع الحالات تعمل الأحزاب المكونة للأغلبية على حل خلافاتها من داخل آليات الميثاق"¹²⁷⁸.

ومن أجل إظهار حسن نية قيادة حزب العدالة والتنمية تجاه حزب التجمع الوطني للأحرار، ذكر العمراني قيادة التجمع، بردها على عبد العالي حامي الدين¹²⁷⁹ قبل شهر ونصف على موقف كان صدر عنه ضد حزب التجمع الوطني للأحرار، وقال بشأن ذلك: "رغم أنه (عبد العالي حامي الدين)، ليس عضوا في الأمانة العامة لحزبنا كما أنت في حزبك، مع العلم أن موقف الأخ عبد العلي¹²⁸⁰ إذا كان معينا في شكله فقد يكون له أساس موضوعي يستدعي إذا كان الأمر كذلك التعبير عنه عبر القنوات المتاحة، وهذا منهجنا المبدئي والثابت في الوفاء لحلفائنا واحترام التعاقدات التي تجمعنا معهم في عدم قبول الإساءة منا إلى أي حزب من أحزاب الأغلبية خارج الانتقاد البناء والموضوعي"¹²⁸¹.

1277 نفس المرجع السابق.

1278 نفس المرجع السابق.

1279 كتب سليمان العمراني في حسابه الشخصي بالفيديو، ردا على تدوينة لحامي الدين: "مع كل الاحترام للأخ عبد العالي، فليسمح لي أن أقول له، إن تدوينته بشأن حزب التجمع الوطني للأحرار، تخالف ميثاق الأغلبية، (..)، ميثاق الأغلبية وقع عليه حزب العدالة والتنمية، والذي باسمه يتولى الأخ حامي الدين رئاسة لجنة دائمة بمجلس المستشارين". أنظر مضمون التدوينة على الرابط:

<https://alyaoum24.com/1126584.html>

1280 جاء في تدوينة عبد العالي حامي الدين القيادي في حزب العدالة والتنمية على حسابه الخاص على منصة فيسبوك: "زواج المال والسلطة وتوظيف المناصب العمومية لمراكمة ثروات خيالية هو المسؤول عن خلق شروط اقتصاد غير تنافسي و ساهم في خلق مقاولات تحتكر الاستثمار في كثير من المواد الحيوية، ولم يسمح بالحياة للعديد من المقاولات الصغرى والمتوسطة، (...). زواج المال بالسلطة يتحمل قدرا كبيرا من المسؤولية عن تفريخ الكثير من الفئات الفقيرة التي تعاني اليوم من الهشاشة والحرمان والتهميش الاجتماعي..". انظر الرابط:

<https://febrayer.com/589282.html>

1281 انظر مضمون تدوينة سليمان العمراني المنشورة في جريدة العمق المغربي، مرجع سابق.

وانتقد العمراني الطالب العلمي، وقال: "هل هناك إساءة أكبر من أن تصف حزبا يقود الأغلبية (أي حزب العدالة والتنمية) التي أنتم من مكوناتها ويرأس الحكومة التي أنتم جزء منها وأنت وزير فيها، بقولك بأن هذا الحزب لم يحصل على العدد من المقاعد الذي يسمح له بالمرور للدور الثاني في تنفيذ مشروعه "الهيمني" وهو الوصف الذي قصدته دون أن تقوله باللفظ، وخلقت تقابلا بين مشروع قلت إنكم تدافعون عنه أنتم وجميع المغاربة مع مشروع دخيل هو مشروع حزب العدالة والتنمية، وقلت إننا نريد تخريب البلاد ليسهل علينا وضع يدنا عليها؟"¹²⁸².

ثم حاول العمراني محاججة الطالب بالحديث عن ثقة الناخبين المغاربة في حزب العدالة والتنمية، وقال: "لست في حاجة إلى الدلالة على المنهج التعاوني والتوافقي لحزب العدالة والتنمية في تدبير الشأن العام، فهو أبرز من نار فوق علم كما يقال، لكن دعني أقول لك إن هذا (المشروع الهيمني التخريبي) هو الذي نال الثقة الكبيرة للمغاربة في اقتراعات 25 نونبر 2011 و 4 شتنبر 2015 و 7 أكتوبر 2016، فهل تجرؤ على وصف المغاربة ب "جريمة" دعم مشروع تلك مواصفاته يقود الحكومة للمرة الثانية على التوالي ويرأس أغلب المدن الكبرى؟ هل يمكن أن تصف المغاربة بالقاصرين؟ هل هذه هي الديمقراطية؟ وقد قال القدماء "رمتني بدائها وانسلت"¹²⁸³.

وخاطب نائب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية الطالب العلمي متسائلا: "هل نسيت أن حزبك لم يتجاوز بالكاد 37 مقعدا، لكنه تحكم بقدرة قادر في مفاوضات تشكيل الحكومة التي أسندت مهمة تشكيلها للأستاذ عبد الإله ابن كيران الذي نال حزبه بقيادته 125 مقعدا وعمل على ليّ الذراع وأثمرت مساعيه "غير الحميدة" في خلق البلوكاج.."، واصفا ذلك ب "جزاء سنمار" "مع سي عبد الإله مرتين، المرة الأولى لما أفلتتم مهمته لتشكيل الحكومة وقد أبطأ المفاوضات من أجل ذلك أسابيع من أجلكم، والثانية لما وقى لك شخصيا تمام الوفاء وهو رئيس للحكومة وقاد بنجاح مهمة انتخابك رئيسا لمجلس النواب وهو المنصب الذي لم تتله بكد يمينك وكنت خائفا عليه تترقب..".

1282 انظر مضمون تدوينة سليمان العمراني المنشورة في جريدة العمق المغربي، مرجع سابق.

1283 نفس المرجع السابق.

ثم وجه العمراني سؤالاً إلى الطالب العلمي فقال: "لماذا أنتم باقون في حكومة يقودها حزب بالمواصفات التي نكرت؟ ولماذا تبقى هذه الحكومة أصلاً؟؟ شيء ما ليس على ما يرام، (...)، نريد أن نعرف هل هذا موقف شخصي رغم خطورته أم هو موقف الحزب؟ لا بد من الوضوح.."¹²⁸⁴.

وفي ختام رده حاول العمراني إبراز جانب الأخلاق والقيم التي يتميز بها حزبه فقال: "إلى ذلك الحين أقول للسيد العلمي إنك مع الأسف الشديد أخطأت رسالتك العنوان، ونؤكد لك مرة أخرى أن حزب العدالة والتنمية رغم الذي وقع باق على وفائه لكل حلفائه وشركائه، وأخلاقه السياسية تلزمه أن يحترم قواعد الاختلاف وقنوات تصريفه ولن يشترط مهما بلغت الإساءة به لأنه في النهاية كل إناء بما فيه ينضح.."¹²⁸⁵.

كان يبدو أن رد فعل حزب العدالة والتنمية بواسطة القيادي سليمان العمراني، سيكون له ردود فعل أخرى من جانب حزب التجمع الوطني للأحرار، لذلك ولمحاولة تهدئة الوضع، خصوصاً بعد الهجوم الذي شنه العمراني، أصدر سعد الدين العثماني المتواجد حينها بنيويورك لحضور أشغال الجمعية العامة للأمم المتحدة ممثلاً للمغرب، توجيهها لجميع أعضاء الحزب بتاريخ 24 شتنبر 2018، بعدم الرد على تصريحات رشيد الطالب العلمي، وقال في توجيهه: "يوجه الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، سعد الدين العثماني، مناضلي ومناضلات الحزب، إلى عدم الرد على تصريحات السيد رشيد الطالب العلمي بشأن الحزب، بعد رد فعل نائبه الأول الأخ سليمان العمراني هذا الصباح، وذلك إلى حين اجتماع الهيئات الحزبية المخولة للنظر في الموضوع"¹²⁸⁶. لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد بل قامت قيادة حزب التجمع بالرد مجدداً على سليمان العمراني.

1284 انظر مضمون تدوينة سليمان العمراني المنشورة في جريدة العمق المغربي، مرجع سابق.

1285 نفس المرجع السابق.

1286 نفس المرجع السابق.

ت - تعقيب قيادة حزب التجمع الوطني لأحرار: خطاب بنفس اللغة القيمية

جاء الرد هذه المرة بواسطة تدوينة مطولة لمصطفى بايتاس بصفته عضوا في المكتب السياسي لحزب التجمع، على منصة فيسبوك، وهي نفس الوسيلة التي استعملها العمراني، عنوانها: "ما هكذا تورد الإبل يا أستاذ العمراني"¹²⁸⁷. افتتح بايتاس رده بنوع من اللغة البلاغية التقليدية فقال: "لكل أجل كتاب ولكل رسالة جواب.. وهذا كتابنا وجوابنا إلى الأستاذ العمراني سليمان نائب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، بخصوص الاشتباك المصطنع مع تصريحات الأخ راشد الطالب العلمي"، ثم في فقرة أخرى مبررا رده فقال: "فليكن ما تشاؤون، ولنجعل من مواجهاتنا على حلبة يرقبها الملأ ويشاهدها المغاربة، للتناظر والمحاججة دون خوف أو ريب، فقد ولى بدون رجعة زمن الطرق السياسية السيارة بدون محطات أداء، ولكل دفع منكم تعقيب منا يليق به وبمصدره"¹²⁸⁸.

وقد اعتمد بايتاس في رده على إدراج كل دفع من قبل العمراني ليرد عليه بدفع مضاد، موضحا في البداية على مسألة أثارها العمراني بشأن إخلال الطالب العلمي بميثاق الأغلبية الحكومية، ليؤكد أن تصريحات الطالب "التي قلت عنها أنها لم تحترم ميثاق تحالف الأغلبية الحكومية، والتي بالمناسبة لا تدخل في إطاره، لكون الميثاق جاء واضحا متعلقا بتنسيق العمل الحكومي وعمل الأغلبية ولم يتحفظ على إبداء أي طرف لآرائه السياسية، وإلا كنا أول من يغضب عندما كان قياديون كبار عندكم يتناوبون على مهاجمتنا بشكل منتظم وعنيف، من شيوخ ونساء و شباب، وكنا عندها نحفظ الود ونترفع عن صغائر السياسة"، وفي هذه المسألة فإنه كان يقصد تهجمات بعض قيادات ونواب حزب العدالة والتنمية ومن بينهم عبد العزيز الفتاتي وعبد العالي حامي الدين¹²⁸⁹.

وفي نفس المنطق الأخلاقي والقيمي الذي أراد العمراني وصف حزبه به، رد عليه بايتاس بأن حزبه هو أيضا "حزب الالتزام بالعهود ولكم أن ترجعوا لتاريخ تحالفاتنا السياسية خصوصا في زمن التناوب، ولا يمكن بأي حال من

1287 انظر تدوينة مصطفى بايتاس كما نقلتها وسائل الإعلام المغربية على رابط جريدة العمق المغربي:

<https://al3omk.com/334955.html>

1288 نفس المرجع السابق.

1289 نفس المرجع السابق.

الأحوال أن ينجر إلى "صراع الديكة" الذي يحاول بعض قياديي العدالة والتنمية أن يجرنا إليه، مضيفاً أنه "وانطلاقاً من حرصنا الوطني والمسؤول على إنجاح الولاية الحكومية الحالية، وضمان استمراريتها إلى نهايتها، ما فتئنا ندعو إلى ضرورة الالتزام بميثاق الأغلبية الذي وقعه رؤساء الأحزاب المشكلة للأغلبية الحكومية". كما حاول الرجوع إلى التاريخ القريب للدفاع على فكرة أن حزب التجمع هو أيضاً حزب التعاون والعهود فقال: " وتذكر أن للتجمع الوطني للأحرار علاقات ود واحترام في علاقاته مع باقي الفرقاء السياسيين وعلاقاتنا كانت طيبة للغاية ومبنية على الاحترام والتصالح و الحوار بيننا وبين عدد مهم من الأحزاب الوطنية خصوصا في تسعينيات القرن الماضي. وبفضل تلك العلاقات ساهم التجمع الوطني للأحرار بقوة في إنجاز حكومة التناوب التوافقي التي قادها الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، وحرص التجمعيون على إنجازها، وكنا على الدوام في الحكومات التي شاركنا فيها وما نزال، وتذكرون أننا أنقذنا حكومة بنكيران من السقوط بعد انسحاب حزب كبير ضمن الأغلبية آنذاك سنة 2013، عندها كنا مسهلين ومتجاوبين وكانت قيادتنا قيادة المعقول حسب مقولات بنكيران، والآن معاكسين و "شوافين"، أي منطلق هذا الذي تقيسون به العلاقات السياسية؟"¹²⁹⁰.

وكتعبير عن استمرار أعضاء العدالة والتنمية في ممارسة التهم على التجمع الوطني للأحرار، قال بايتاس أن حزبه كشريك في الحكومة نبه "السيد رئيس الحكومة، إلى أن ما يقوم به قياديون بحزبه من ضرب تحت الحزام بجميع فنون الحرب بما من شأنه أن يقوض مبدأ التماسك والتضامن الحكومي، من خلال تهمهم على التجمع الوطني للأحرار واستهداف قيادته، بشكل مستفز وبأسلوب غير مقبول، تعدى المواقف السياسية وحاول تلطيخ سمعتها والمس بكرامتها وحقوقها". ورغم هذه التهجومات و"التجاوزات" في الانتقاد، يقول بايتاس أن حزبه لم يعتبرها إلا "مجرد مواقف شخصية نفسية لا تستحق الرد، ولا تعبر عن موقف حزب العدالة والتنمية، فإننا نتفاجأ اليوم بالردود غير المسؤولة والمرفوضة أخلاقيا وسياسيا التي عبرتم عنها، السيد العمراني بصفتكم الحزبية كنائب الأمين العام لحزبكم، تتبنون فيها

1290 تدوينة مصطفى بايتاس، مرجع سابق.

بشكل مباشر حيناً وبشكل ضمني أحياناً أخرى، كل التهجمات السابقة على حزبنا، ومن جملتها تهجمات عبد العالبي حمي الدين الذي حكم على حزبنا بالنهاية، وعبد العزيز افتاتي الذي وصفنا بكارتيلات المال الحرام والناس تفهم وتعي ما معنى كارتيلات، مستعملاً لغة ذات رمزية دينية ليمارس نوعاً من التسلط على عقول الناس، مما يطرح التساؤل مجدداً حول عدم قدرتك على ممارسة السياسة بدون اللجوء إلى الدين والعواطف".

وفيما يتعلق بمسألة المشاركة في الحكومة التي اعتبرها العمراني في رده، أنها جاءت بسبب قبول حزب العدالة والتنمية لهذه المشاركة رغم أن التجمع لم يحصل سوى على 37 مقعداً في مجلس النواب، فقال بايتاس رداً على ذلك: "لسنا في حاجة لتذكيرك السيد العمراني بأننا نتواجد في الحكومة بقرار سيادي لحزبنا وفقاً لميزان القوة وليس صدقة من حزبك، ولا ننتظر منك أو من بعض إخوانك أن يقرروا لنا متى نستمر أو ننسحب من الحكومة، فلا ينبغي أن تغفلوا أن تشكيل الحكومات والأغليات في بلادنا وفي العالم كله، له أعراف دستورية و مساطر سياسية خاصة ليس من السهل بتاتا إطلاق التصريحات على عواهنها بهذا الخصوص".¹²⁹¹

وفي معرض رده ذهب بايتاس في انتقاد حزب العدالة والتنمية في استعماله للخطاب الديني وبالإشارة إلى أنه حزب يخلط ما "بين السياسة والدعوة ولذلك تلجأ إلى خلق فكرة العدو، في ثنائية الطاهر والمدنس والحق والباطل والحلال والحرام، وتسييس الدين وتدين السياسة". كما لاحظ طرح بايتاس ملاحظة حول كون حزب العدالة والتنمية يبحث عن صناعة "أعداء"، للتمكن من إنتاج خطابه السياسي، فقال: "وعلى ما يبدو أنكم لا تستطيعون العيش بدون خطاب الأزمة وبدون خلق "عدو" تتصارعون معه لكي تظهروا للعموم، فبدون عدو تتصارعون معه وتشهرون أنفسكم لا يمكن أن تحققوا وجودكم، لذلك صرت ترى الوقائع وتحللها من زاوية ضيقة. وتبرر الفشل بعرقلة "العدو" لتشكيل

الحكومة، هذا العدو الذي لا يوجد إلا في مخيلتك". من وجهة نظره يرى بايتاس أنه في "السياسة لا وجود للعدو ولا تمارس السياسية أصلا بمنطق العداوة"¹²⁹².

وانتقد بايتاس خطاب حزب العدالة والتنمية الذي يرى نفسه على صواب والآخرين على خطأ فقال: "للأسف يبقى المنطق الفرعوني مسيطر على عقولكم وكأنكم تملكون تفويضا ربانيا منحكم قلما أحمرنا تصحح به أخطاء العباد من وجهة نظركم وتقيمون لهم محاكم تفتيش وأيام حساب، مع العلم أنكم أنتم أيضا بشر تقبلون على الطهر كما قد تقعون في الرجس والدنس، وقد تدافعون عن الدنس إذا كان يخدمكم و تنفرون من الطهر إذا خالفكم المسير". مبرزا أن حزبه يجعل العمل أساس تدبير الشأن العام، وليس الشعارات، وما كان التجمعيون يوما يرفعون سقف الانتظارات أو ينزلون بالسياسة إلى الشعبوية التي لا تخلق إلا التئيس والمعارضة من أجل المعارضة".

وتناول بايتاس مسألة المراجعات وقد يكون واعيا بالمراجعات الفكرية التي قام بها قياديو العدالة والتنمية قبيل طلب المشاركة في الحياة السياسية بشكل شرعي وعلني، فقال: "نحن منسجمون ومتناغمون مع انفسنا منذ تأسيس التجمع ولم نغير أبدا بوصلتنا، ولم نقم بمراجعات وتنازلات عن مواقفنا وأفكارنا لندخل غمار الدولة، أما تنظيمك فقد سار في ليال كثيرة بدون بوصلة قبل الإدماج في الحياة السياسية وبعدها، وتغيرت مواقفكم بعدها علنا من مؤسسات كثيرة ومهمة في البلاد"¹²⁹³.

ودفاعا عن تصريحات الطالب العلمي استعمال لغة تقليدية بطلب "فتوى" من العمراني قائلا: "أفتنا بصدق في اشتباكنا هذا، أيهما أخطر على استقرار العلاقات كيفما كان نوعها داخل الدولة المجتمع، أن يبدي القيادي وعضو المكتب السياسي للتجمع الطالب العلمي رأيه بهذه الصفة في تأطير شبيبة حزبه، بحكم تجربته في تدبير الشأن العام عن افلاس نموذج اقتصادي وصل التضخم فيه حوالي 20% وتدهورت قيمة عملته الوطنية وأصبح نموذجا لا يمكن الاقتداء به، وأقر ذلك كل الخبراء المستقلين، أم أن يهاجمك قيادي مستعملا قاموس الحلال والحرام، ويصفك بأنك

1292 تدوينة مصطفى بايتاس، مرجع سابق.

1293 نفس المرجع السابق.

تجسد كارتيلات المال الحرام، أو يطالبك بالرحيل لأنك فاسد أو أنت تمارس «الشوافة» في الحياة السياسية والتي جاءت على لسان رئيس الحكومة السابق والأمين العام السابق لحزبكم؟ لقد وصل السيل الزبي أمام هذه التقية الميكيفيلية وأمام تبادل الأدوار هذا والذي لا يمت لقيم الإسلام بشيء ومع ذلك ينطبق عليكم المثل الشعبي العميق ضربني وبكا سبقني وشكا¹²⁹⁴.

وقد يكون ما قاله بايتاس بوجود العديد من المناطق الرمادية في عمل الإسلاميين يخلق شكوكا مشروعة بشأن ما إذا كانت هذه الحركات تدعم الديمقراطية لأسباب نفعية تماما - كوسيلة للوصول إلى السلطة لتأسيس دولة إسلامية سلطوية. كما أنها تمنح النظم الحالية التي لا تريد الإصلاح ذريعة جاهزة لمنع المشاركة السياسية للحركات الإسلامية، والتي تعد أقوى معارضيها¹²⁹⁵.

ويعد استمرار المناطق الرمادية انعكاسا للمشكلات الموجودة في السياق السياسي الأشمل، وإن اتخذ أي موقف غامض هو استراتيجية دفاع تستخدمها قوى المعارضة الإسلامية وغير الإسلامية، ولا توجد ضمانات بأن الوقت سيؤدي تلقائيا إلى القضاء على المناطق الرمادية وأن الحركات الإسلامية التي لا تلجأ للعنف ستواصل التطور في اتجاه ليبرالي. بل تظل النتيجة غير مؤكدة، وستتحدد من خلال الكيفية التي سيتطور بها الوضع السياسي في كل دولة¹²⁹⁶.

ونفى بايتاس أن يكون حزبه هو من عرقل تشكيل بنكيران لحكومته، وقال أن "المفاوضات بناء على قواعد اللعبة الديمقراطية كانت جارية بناء على القواعد التي طوق بنكيران بها نفسه. رئيس الحكومة المكلف آنذاك، في إطار حقوقه السياسية واختياراته، تشبث بحزب حليف لم يحصل إلا على عدد قليل وفضله بمنحه عددا من الحقائق تفوق عدد الحقائق التي حصل عليها حزبين آخرين رغم أنهما يتوفران على مقاعد برلمانية أكثر منه بكثير". وبناء على ذلك فقد

1294 تدوينة مصطفى بايتاس، مرجع سابق.

1295 نيثان. ج. براون، عمرو حمزاوي، ومارينا أوتاواي، الحركات الإسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي: استكشاف المناطق

الرمادية، مرجع سابق.

1296 نفس المرجع السابق.

رفض التجمع "أن ينظم حزب معين إلى التحالف كما أقسم أمين عام حزبكم بأغظ الأيمان حينها، أنه لن يتحالف مع حزب آخر حصل على الرتبة الثانية، وهذا حقه في اختيار الحلفاء فلماذا تتكرون علينا هذا الحق؟ تشبثنا نحن في المقابل بحزبين صديقين، مثلما تشبثتم أنتم بحزب حصل على مقاعد أقل من الحزبين الذين تشبثنا بهما، وهذا حقكم أيضا، فلما ترحمون على الناس ما تحلونه لأنفسكم، هل تملكون الحقيقة المطلقة أم تملكون القداسة والعصمة والسمو على باقي خلق الله؟"¹²⁹⁷.

وختم بايتاس تدوينته التي نشرتها عدد من الجرائد المغربية والأجنبية، منبها حزب العدالة والتنمية إلى أنه "لا حق لكم في أن تستيحووا الأرض والعباد، وأن تطلقوا أولادكم وبناتكم ليهاجمونا متى يشاؤون وكيف يشاؤون بدون أدب وأخلاق ثم تطلبون منا عدم الرد، ثم تتسلطوا علينا بأفواهكم كلما أبدينا آرائنا في أمور تهم المغاربة لا تعجبكم. إن عدتم عدنا، وكلما أبديتهم السلم والاحترام رددنا عليكم التحية بأنبل منها، وكلما تماديتم في تسفيهننا عدنا لكم بأفضل من ذلك، والبادئ أظلم"¹²⁹⁸. ويبدو من خلال رد بايتاس أنه كان ردا متميزا في نظرنا بثلاث عناصر ذات دلالات خطابية ذات أهمية لاسيما في تكسير المربع الأيديولوجي الذي يستعمله حزب العدالة والتنمية ضد خصومه:

أولها استعمال لغة عربية فصيحة تحمل بلاغة لغوية قريبة من اللغة الخطابية والبلاغية التي يستعملها ذوي التكوين الديني التقليدي كالمختصين لحزب العدالة والتنمية مستعملا ألفاظا مستوحاة من القرآن الكريم وذات حمولة دينية: "لكل أجل كتاب"، "أفتنا"، "الفرعوني"، الطاهر والدنس"، "الحلال والحرام" إن عدتم عدنا".

ثانيا اعتمد بايتاس لغة ترافعية حجاجية بمعنى أنه وضع الوقائع ثم تفاعل مع دفعات وكلام العمراني ورد عليه باستدلال وتعليل منطقي واضح.

1297 نيثان. ج. براون، عمرو حمزاوي، ومارينا أوتواوي، الحركات الإسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي: استكشاف المناطق الرمادية، مرجع سابق.
1298 نفس المرجع السابق.

ثالثا حاول بايتاس أن ينزع عن حزبه صفة "العدو" وأن يظهر حزبه بكونه حزب منافس يستعمل

المناظرة الديمقراطية العلنية للرد وشرح وجهات نظره.

ومن أهم خلاصات هذه المواجهة أنها كانت بين متنافسين يوجدان داخل نفس الحكومة، وأنها لم تكن بلغة

أيديولوجية نظرية على غرار المواقف من الإسلاميين ومن الدين أو من الحداثة وغيرها، كما كان الشأن سابقا في

الصراعات بين قيادات حزب العدالة والتنمية وقيادات حزب الأصالة والمعاصرة. ولم تتوقف الردود عند هذا الحد بل

انتهى الأمر برد عزيز أخنوش رئيس حزب التجمع الوطني للأحرار بتاريخ 26 شتبر 2018،¹²⁹⁹ بواسطة بلاغ معم

على وسائل الإعلام، عبر فيه عن اندهاشه مما وصفه التهافت في ردود الفعل المتضخمة وغير المفهومة التي

استهدفت عضوا للمكتب السياسي في حزبه، الذي قال عنه أخنوش أنه "كان يتحدث بمناسبة مداخلته في الجامعة

الصفية لشبيبة الحزب، موردا أنه يقوم بدوره التأييري ويمارس حقه في التعبير فيما يتعلق بالخيارات الاقتصادية التي

يمكن لبلدنا أن يسير على منوالها أو يتفادها".

واعتبر أخنوش رد الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية الذي يرأس الأغلبية الحكومية "غير مقبول"، وعبر عن

استغرابه من كون حزب العدالة والتنمية ذهب إلى حد إصدار بلاغ صحافي لمهاجمة أحد أعضاء المكتب السياسي في

حزب التجمع الوطني للأحرار علنا، قائلا: "تسعر باستغراب كبير، لأنه في اللحظة التي نعتقد فيها أن الوطن يجب أن

يتأهب لمجابهة التحديات التي تواجهه، وفي لحظة نحن مدعوون فيها جميعا إلى التجاوب مع النداءات الملكية التي

حملها خطابان أساسيان، وضعنا جميعا أمام مسؤولياتنا، هذا هو النقاش الذي اختار البعض جونا إليه". وتوقع

أخنوش أن يكون رد فعل قيادة العدالة والتنمية عبارة عن "انتقادات أو نقاشا للأفكار حول القضايا الرئيسية التي أثارها

1299 انظر رد عزيز أخنوش على جريدة هسبريس الإلكترونية، المغرب، على الرابط: <https://url.fr/mRwl>

التجمع الوطني للأحرار فيما يتعلق بتنمية القطاعات الاجتماعية بالمغرب، وإيجاد الحلول لمشكل البطالة التي تراكمت خلال السبع سنوات الماضية واتخذت أبعادا تدق ناقوس الخطر¹³⁰⁰.

وفي هذا الرد أبرز أحنوش أن حزبه لو أراد "أن يعطي أولوية لهذا النوع من النقاش لكان لا يزال ينتظر تفسيرات حزب العدالة والتنمية حول الشتائم والافتراءات المباشرة الموجهة من أحد أعضاء أمانته العامة ضد التجمع الوطني للأحرار وأعضائه". وبرر أحنوش تجاهل حزبه لتهجمات قياديين في العدالة والتنمية بسبب ما وصفه بإيمان حزبه "بضرورة الحفاظ على مناخ عمل يسمح للمغرب بمباشرة أوراش التنمية الحقيقية، في تنازل منا عن حق الرد خدمة لمصلحة الوطن"¹³⁰¹. تؤكد هذه الردود في نظرنا محاولة لنزع أي فتيل من شأنه أن يعطي لحزب العدالة والتنمية الفرصة لبناء خطاب خصومة ضد حزب التجمع الوطني للأحرار أمام الجماهير لكون ردود التجمعيين لم تكن في نفس توجهات حزب الأصالة والمعاصرة التي كانت تناقش فكرة العمل الاسلامي والأفكار النظرية التي تستعملها وتتأسس عليها التيارات الإسلامية.

هناك متغيرات أخرى ظهرت في المشهد السياسي المغربي قد تكون ذات أهمية في فهم نتائج انتخابات 2021، منها غياب عناصر توتر سياسية كانت تقوي جبهة العدالة والتنمية، وظهرت أخرى لا تدفع إلى ممارسة نفس الحدة في المواجهة والتميز و لا تشجع على نفس القدرة على الاشتباك اللغوي التواصلي السابق.

ت - غياب عناصر التوتر واحتواء الصراع: من إلياس العماري إلى عبد اللطيف

وهبي

ساهم تحي إلياس العماري بعد تقديم استقالته من قيادة حزب الأصالة والمعاصرة، في خلق نوع من الهدنة الخطابية مع حزب العدالة والتنمية. اعتبر حسن بنعدي، الأمين العام السابق لحزب الأصالة والمعاصرة، وأحد

1300 رد عزيز أحنوش على جريدة هسبريس الإلكترونية، مرجع سابق.

1301 نفس المرجع السابق.

الأعضاء الأوائل المؤسسين لحركة لكل الديمقراطيين التي أطلقها فؤاد عالي الهمة مستشار الملك محمد السادس عام 2007، أن هذه الاستقالة هي بمثابة ولادة جديدة للحزب¹³⁰². تميز إلياس العماري كما وضحنا سابقاً، بتبني توجه مواجهة و"محاربة" ومحاصرة توجهات ما كان يصفه بـ "تنظيم الإخوان". ويمكن اعتبار هذا الاصطلاح أي التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، ذو نشأة مشرقية عربية، وقد يكون غير منسجم مع واقع العمل الاسلامي في المغرب، بالنظر إلى عناصر نشأة وتطور حزب العدالة والتنمية، وبالنظر أيضاً إلى بنية الدولة المغربية وطبيعة نظامها السياسي. تولى بعد ذلك عبد اللطيف وهبي قيادة حزب الأصالة والمعاصرة، بداية سنة 2020، وهو شخصية سياسية عرف عنها صداقاتها¹³⁰³ وقربها وعلاقتها المهادنة¹³⁰⁴ وحتى تنسيقها¹³⁰⁵ مع قيادات حزب العدالة والتنمية، وبذلك فتحت مرحلة أخرى تميزت بالتهدئة الخطابية الهجومية ضد حزب الإسلاميين. ويبدو من خلال تصريحات وهبي أنه يسير منذ قيادته للحزب في اتجاه مختلف يمكن وصفه بالمعاكس لتوجهات سلفه إلياس العماري المستقيل من قيادة التنظيم السياسي، ويبدو أيضاً أنه يسعى لإعطاء مشروعية جديدة لحزبه، لا تعتمد على المواجهة الأيديولوجية مع الإسلاميين، ويؤكد هذا التوجه ما قاله في حوار مع وكالة المغرب العربي للأنباء بتاريخ 27 يوليوز 2022، أنه ليست لديه معارك أيديولوجية مع حزب العدالة والتنمية، وأن الخلاف الموجود معه في موضوع تدبير الشأن العام والحصيلة الحكومية فقط. وقال: "إذا كان ضرورياً أن أتحالف معه فسأفعل ذلك". وصف وهبي الصراع الذي كان بين حزبه وبين

1302 انظر نص حوار حسن بنعدي مع جريدة لكم، المغرب بتاريخ 11 غشت 2017 على الرابط:

<https://lakome2.com/interview/26517>

1303 انظر تصريحات عبد اللطيف وهبي لقناة الغد عندما قال انهم يختلفون مع العدالة والتنمية ولكن لا نعادي، انظر الرابط على منصة

يوتيوب: <https://m.youtube.com/watch?v=B873AFTf7U>

1304 في تصريحه في برنامج تلفزي: "نقطة إلى السطر"، بتاريخ 11 ماي 2022، على القناة الأولى المغربية وهي قناة رسمي، قال الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة عبد اللطيف وهبي، أن النتيجة التي تحصل عليها حزب العدالة والتنمية في الانتخابات التشريعية الاخيرة "صدمته". وأضاف وهبي، خلال حواره ضيفاً على برنامج على القناة الأولى، أنه لا يقبل أن يحصل العدالة والتنمية على 13 مقعداً بعد التجربة الحكومية التي خاضها: "صندوق الاقتراع أعطى النتيجة لكن النتيجة صدمتني وكنت أعتقد أنهم سيحصلون على 30 مقعداً ليكون لهم حضور سياسي و يمكن معهم خوض نقاش بين الاغلبية و المعارضة"، انظر الرابط على منصة يوتيوب:

<https://youtu.be/Q-uLhfRJ1Rc>

1305 انظر تصريحات عبد اللطيف وهبي التي قال فيها إنه ينسق مع حزب العدالة والتنمية على الرابط:

<https://m.alayam24.com/articles-334558.html>

حزب الإسلاميين بصراع الديكة، وقال في نفس الحوار "خسرنا عشر سنوات بسبب هذا الصراع، دون أن نركز على كيفية تطوير البلاد واستمرارها"¹³⁰⁶.

في نظرنا أبرز محددات المشروع الجديدة التي حاول وهبي ترسيخها، تكمن في محاولة وضع مسافة مع فكرة أن حزب الأصالة والمعاصرة هو حزب الدولة، ثم الابتعاد عن بعض أفكار ولادة الحزب ومنها مسألة محاصرة الإسلاميين. إضافة إلى ذلك يمكننا القول أن وهبي حاول تبني فعل خطابي يعارض بعض السياسات العمومية والقطاعية الحكومية، بتبني لغة معارضة مؤسساتية تنتقد وترفض بعض مخرجات المؤسسات الرسمية، بل إنه أحيانا يبدو أنه سعى للتطابق مع لغة معارضة العدالة والتنمية وتشارك نفس مساحة النقد لبعض قرارات الحكومة والدولة.

الأمين العام الجديد لحزب الأصالة والمعاصرة¹³⁰⁷ قد يكون تمكن من القطع مع نهج المواجهة المباشرة مع الإسلاميين، نظريا وفكريا وميدانيا، بعدم الدخول معهم في أي صدامات أو نقاشات كتلك التي ميزت فترة الثنائي إلياس العماري وبنكيران، وقد عبر عن ذلك عندما وصف الاشتباكات مع الأحزاب هي ليست بسبب المرجعيات وإنما بسبب تدبير المشترك العام بين المغاربة من خلال معارضة السياسات العمومية. و يبدو أيضا أنه إلى حد بعيد تمكن من احتواء الأزمات الخطابية مع العدالة والتنمية، كما أن الهدف الرئيسي في استراتيجية تعامله مع الإسلاميين كانت هي محاولة قطع الطريق أمام عودة خطاب بنكيران حول "التحكم" الموجه ضد حزب الأصالة والمعاصرة، والعمل على عدم استعمال خطاب الخصومة الذي كان يستعمله الحزب الإسلامي ضد حزبه، وهو أحد العناصر التواصلية التي كان يستعملها قادة العدالة والتنمية كحجة للترافع بها لاستمالة الجماهير.

1306 انظر رابط فيديو الحوار: <https://urlz.fr/mTIP>

1307 انتخب عبد اللطيف وهبي أمينا عاما لحزب الأصالة والمعاصرة يوم الأحد 9 فبراير 2020، من قبل المجلس الوطني لحزب الأصالة والمعاصرة، وذلك في اليوم الثالث والختامي من أشغال المؤتمر الوطني الرابع المنعقد بمركز المعارض محمد السادس في الجديدة، وذلك بعد إبعاد التيار الصدامي مع الإسلاميين ومن أهم مكوناته الأمينين العامين السابقين إلياس العماري وحكيم بنشماش الذي خلف وهبي، انظر الرابط: <https://urlz.fr/mTIw>

في ورقة وزعت على شكل مقال على وسائل الإعلام عنوانها " أي اقتصاد وطني بعد كورونا؟"¹³⁰⁸، حاول أمين عام حزب الأصالة والمعاصرة بسط تقييمه للظرفية الحالية وإعطاء مشروع تصور عن اقتصاد المغرب ما بعد مرور الأزمة، الشيء الذي يستدعي، وفق اعتقاده، " تعميق التفكير في بدائل تمكن من إنعاش الاقتصاد المغربي بسرعة معقولة تمكننا من تحقيق توازنات كفيلة من وقف النزيف الذي أصاب النفقات العمومية دون مقابل في الموارد". كما يقر في تشخيصه أن السياسة الاقتصادية الناجحة لما "بعد الحجر الصحي هي تلك التي تقبل بانخفاض الإنتاج الداخلي الخام إن لم تكن تسعى له، لأنها تتكيف مع واقع جديد هدفه هو منع انتشار جديد للوباء"¹³⁰⁹. وعن أزمة عدم إيجاد حلول جاهزة يرى وهبي أن أزمة كوفيد 19 هي "أزمة دون نموذج" غير مسبوق في حياة البشرية، وبالتالي فإن التفكير في حلولها هو تفكير يكتنفه التجريب والاجتهاد والإصغاء الجيد لتفاصيل واقع ومظاهر هذه الأزمة¹³¹⁰.

ورغم أنه في ورقته أشاد بالإجراءات الاجتماعية التي قامت بها الدولة للحفاظ على المداخل وعلى استمرار بقاء المقاولات بهدف التماسك الاجتماعي، نظرا لحجم الضرر الذي لحق قطاعات منتجة للاقتصاد المغربي، بسبب قرار الحجر الصحي المبكر، وانطواء الدول على نفسها، فإنه مقابل ذلك عبر عن نوع من عدم التقبل لحجم تناقضات قيم الإنتاج المغربي. تحدث عن حجم التناقضات الاقتصادية التي يعيشها المغرب، بين حجم الامكانيات ومستوى النتائج وبين الخطاب والواقع، فهو يرى أن هذه التناقضات تصيب المرء "بدوار مؤلم"، "تناقضات بين الإمكانيات الغنية (..) والنتائج السلبية التي ينتهي إليها. تناقضات بين مجتمع مغربي منفتح (...)، ومؤسسات جامدة ومتكلسة، خطابات حكومية ممثلة بادعاءات وواقع يومي صعب لعموم المواطنين والمواطنات. تناقضات بين إصلاحات سخية لفائدة مناخ المال والأعمال وبين مواقع متدنية ومخجلة في التصنيفات الدولية"¹³¹¹.

1308 عبد اللطيف وهبي، "أي اقتصاد وطني بعد كورونا؟"، بتاريخ 19 ماي 2020، في الموقع الرسمي لحزب الأصالة والمعاصرة ،

انظر الرابط: <https://urlz.fr/mTlo>

1309 نفس المرجع السابق.

1310 نفس المرجع السابق.

1311 نفس المرجع السابق.

كما أكد في هذه الورقة على تشخيص الاقتصاديين المغاربة لبنيات الاقتصاد المغربي في ثلاث دعائم أساسية أولها الفلاحة، التي "تتسم بضعف المساهمة في ناتج الداخلي الخام مما يعطي العوامل المناخية أهمية قصوى في النمو السنوي للاقتصاد المغربي فهي مرتبطة بتقلبات التساقطات المطرية مما يرخي بظلاله على فرضيات نسب النمو باعتبار الفلاحة محددًا أساسيًا يتحكم في باقي محددات النمو¹³¹².

الدعامة الثانية التي علق عليها عبد اللطيف وهبي وهي ما سماها بدور الدولة القوي في تنشيط الاقتصاد. فالدولة المغربية من منظوره هي المشغل الأول وهي المستثمر الأول وهي كذلك المستهلك الأول، ولا يمكن لأي فاعل اقتصادي سواء كان خاصًا أو عموميًا أن ينمي مداخله دون تدخل الدولة. فالإقتصاد عندنا مرهون بقرارات الدولة واستراتيجياتها، وإليها يعود الجميع عندما نحتاج إلى تصحيح الاختلالات، أو محو الديون أو طلب إعفاءات، أو التمتع بامتيازات ضريبية أو الحصول على تراخيص ريعية ما ". هذا الوضع في نظره يصعب عملية الارتقاء بالقطاع الخاص الذي يحمل هشاشة سوسيو اقتصادية منذ نشأته ويظل تابعًا للدولة المحتكرة بقوة تنظيمية وإدارية عبر التاريخ، حسب تصوره¹³¹³.

الدعامة الثالثة للاقتصاد الوطني، هي الاعتماد على القطاع الخاص لخلق مناصب الشغل والنمو. هذا القطاع في قراءة وهبي، ورغم كل الجهود، يظل متميزًا باختلالات متعددة وبضعف على مستوى التنافسية والتصدير والرفع من مناصب الشغل¹³¹⁴.

واستشرافًا للمستقبل فإن وهبي يتحدث من منظور سياسي عن ضرورة خلق ما أسماه باقتصاد الثقة. وهو يرى أن الثقة تعتبر عاملاً أساسيًا في النشاط الاقتصادي من خلال إدراك المغاربة لضرورة المساهمة في انعاش الاقتصاد، كل حسب إمكانياته وطاقته وموقعه. ويشترط وهبي لذلك تجسيد قيمة العدالة في تقديم المساعدات للمغاربة، بناءً على

1312 عبد اللطيف وهبي، "أي اقتصاد وطني بعد كورونا؟"، مرجع سابق.

1313 نفس المرجع السابق.

1314 نفس المرجع السابق.

تقاسم مهمة انقاذ الاقتصاد والشغيلة والمهن الاجتماعية الصغيرة، ولحماية القدرة الشرائية، بين موارد الدولة وبين مداخل المقاولات الكبرى ذات الامكانات المهمة. و مرد ذلك أن الاعتماد فقط على الإمكانيات العمومية سيؤدي إلى عمليات تضريب ستزيد من إضعاف الطبقة المتوسطة¹³¹⁵.

استشهد وهبي بوصف أحد مساعدي الجنرال ديغول لمجتمع إعادة بناء اقتصاد فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية، الذي اعتبره "مجتمع الريبة و الحذر لكونه مجتمعا هشاً تسوده (معادلة) رابح-خاسر" وهو مجتمع متميز بضعف الحياة المشتركة، "مجتمع ملائم للنزاعات الاجتماعية، يسوده الانغلاق و عنف المراقبة المتبادلة". في مقابله يفضل وهبي وصف مجتمع الثقة بكونه "مجتمع النمو، مجتمع رابح-رابح، مجتمع التضامن و المشروع المشترك، مجتمع مفتوح على التبادلات و التواصل". مستخلصاً أنه في وضع المغرب "إن أهم مقدمة لتشييد مجتمع الثقة، هي مقدمة عنصرين إثنين أساسيين: الأول هو التخلي عن اقتصاد الربح و الثاني هو محاربة الفساد"¹³¹⁶.

ويرى وهبي في ورقته ضرورة الثقة في الدولة لأنه و "إن كانت الدولة قبل الوباء عاجزة على خلق نمو اقتصادي مطرد، فإنها في مواجهة كوفيد 19، استطاعت امتصاص الصدمة و خلق شروط اقتصادية و اجتماعية و تنظيمية جعلت هذه المواجهة فعالة و ناجحة، و بناء على هذا النجاح خلقت وحدة وطنية أساسها حماس حفاظ الأفراد لصحة غيرهم قبل صحتهم الخاصة، مما أنتج لحظة تاريخية ملئها التطلع لوطن أفضل"¹³¹⁷.

وبذلك يظهر أن وهبي كأمين عام جديد لحزب الأصالة والمعاصرة انتخب نهاية سنة 2019، بدأ بداية مختلفة عن الأمناء العامون الذين سبقوه في الحزب محاولاً تصحيح خلل التعامل مع الظاهرة الإسلامية، نظراً لبداية عهده مع بداية انتشار جائحة كوفيد 19، فكانت فرصة جديدة أمامه لبداية خطاب غير صدامي مع حزب العدالة والتنمية، من خلال المشاركة في النقاش العمومي بهدف المساهمة في ايجاد حلول للبلاد، وليس بهدف مواجهة الإسلاميين.

1315 عبد اللطيف وهبي، "أي اقتصاد وطني بعد كورونا؟"، مرجع سابق.

1316 نفس المرجع السابق.

1317 نفس المرجع السابق.

ث - عزيز أخنوش و نزع فتيل المواجهة الأيديولوجية مع حزب العدالة والتنمية

يعتبر مجيء عزيز أخنوش وزير الفلاحة في عدة حكومات مغربية من بينها حكومة بنكيران، على رأس حزب التجمع الوطني للأحرار بمثابة عنصر إضافي لتخفيف حدة المواجهات العقدية التي سادت في فترة ترؤس بنكيران للحكومة، فهو كرجل أعمال ينتمي لحزب لطالما تميز بوجود الأعيان الاقتصاديين، لا يعطي رغبة في المواجهات النظرية الأيديولوجية كما كان الشأن مع إلياس العماري وحزب الأصالة والمعاصرة. تميزت شخصية أخنوش داخل الحكومة بقبول من قبل حزب العدالة والتنمية، فقد كان يصفه بنكيران بأنه "ولد الناس" و "رجل المعقول"، وبالتالي فإن شهادات بنكيران نفسه في حق أخنوش تقطع الطريق أمام أي صدامات من نوع نظري عقدي، وبالتالي يمكن القول أن حزب العدالة والتنمية، يجد صعوبة في بناء خطاب خصومة فكرية مع سياسي لا يثير الكثير من المخاوف الأيديولوجية، وبالتالي تقلصت فرص بناء الهجوم السياسي فتركزت بذلك مهاجمة أخنوش على وضعه كرجل أعمال بانتقاده فيما يتعلق بالجمع بين المال والسلطة التي يبدو أنها انتقادات لا تستقيم في ظل وجود رجال أعمال في مراكز الحكم وقيادة الدول في الديمقراطيات الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوروبا. غير أن هذا العنصر الخطابي المعتمد على انتقاد وجود رجل أعمال في مجال السياسية يمكن اعتباره نوعا من العنف اللفظي والاقصاء وفق ما ذكرناه في هذه الرسالة، وضعفا في بناء خطاب مواجهة مقارنة مع خطابات بنكيران عن التحكم ضد العماري. الطرح الذي قدمه عزيز أخنوش في مقاله¹³¹⁸ في إطار النقاش العمومي حول تصورات ما بعد كوفيد 19، هو طرح يهدف إلى وضع صورة لحركة الاقتصاد والإنتاج مستقبلا. في نظرنا قراءة رد فعل رئيس التجمع الوطني للأحرار تظهر ثلاث زوايا رئيسية. الزاوية الأولى هي ظهور مؤشرات على ولادة بورجوازية مغربية، واعية بموقعها داخل الدولة والمجتمع، وتحاول الخروج من منطق تجميع المال والاعتناء إلى المساهمة في صياغة مجتمع جديد. تبدو أنها محاولة

1318 أخنوش عزيز، "هذه رؤيتي لمغرب ما بعد جائحة "كورونا"، مقال نشر في عدة منابر إعلامية بتاريخ 13 أبريل 2020، من بينها جريدة هسبريس الإلكترونية على الرابط: <https://urlz.fr/mTHg>

للبورجوازية المغربية لتقديم نفسها للمواطن في فترة الأزمات الكبرى، من خلال تحليلها للمرحلة التاريخية التي يمر منها المغرب، وهي بذلك في نظرنا تقترح تعاقدًا جديدًا مع الدولة والمجتمع وتتنظر إلى استقرارها الاقتصادي كضمانة لاستقرار المجتمع ككل، خصوصًا أن مقترحات أخنوش لم تتوقف عند المال والأعمال بل امتدت إلى التعليم والمعرفة والصحة والأمن الغذائي وغيرها.

البورجوازيات الحديثة عموماً ظهرت بشكل ملحوظ عقب أزمات عالمية كبرى وهي متنوعة التعاريف و التحديد، لاسيما البورجوازية الأوروبية، التي برزت بشكل لافت بعد الحرب العالمية الثانية، وساهمت في إعادة بناء أوروبا والسوق الأوروبية المشتركة، وفي صناعة الإعلام والتلفزة والثقافة والمسرح وغيرها.

تناول أخنوش في مقابله توجهاً ذا عمق كينيزي بمعنى إعطاء مساحة أكبر للدولة في الفعل المنتج والرقابي والضبطي للاقتصاد وللحاجات الاجتماعية، ولو بخلق عجز موازناتي مالي بالاستدانة الخارجية بغية تشجيع بناء مجتمع الاستهلاك، وبالتالي تشجيع الإنتاج ثم تحفيز الاستثمار وبالتالي خلق دورة إنتاج تعود بالنفع على خزينة الدولة من خلال التضريب المستقبلي. غير أن مسألة الاستدانة الخارجية تحتاج إلى تدقيق حتى لا تفقد الدولة سيادتها المالية وبالتالي القدرة على الفعل السياسي والإصلاحي سواء داخل الدولة أو على المستوى الدولي.

بذلك أخنوش يجادل إلى حد ما في نظرية الماكرو اقتصادية التي يعتمدها المغرب لضبط العجز والتضخم، ويرى أن الوضع الحالي مضغوط بإكراهات اجتماعية كبيرة لا مجال فيها للتكشف أو للحلول السهلة إجرائياً والمكلفة اجتماعياً وسياسياً، وبالتالي لا مجال للتردد في تبني سياسة اقتصادية شجاعة، تحفظ الدولة والمجتمع وتؤمنه اقتصادياً واجتماعياً وأيضاً سياسياً. قد تكون خلفيته كرجل أعمال وكمالك لرأس مال ولوسائل إنتاج، هي سبب ذهابه في هذا التوجه دون إعطاء أهمية كبيرة لمسألة السيادة السياسية، لكنها تبقى نظرة قابلة للنقاش في سياق البحث عن حلول لنتائج وباء كوفيد 19.

ج- تعقيب العدالة والتنمية على أطروحة أخنوش: الأثرؤنكسية الاقتصادية بجرعة

إسلامية هي ضمان مكتسبات المغرب الموازناتية

هناك ملاحظة تبدو أساسية في رد حزب العدالة والتنمية بحيث اقتصر تعقيبه على أطروحة أخنوش الاقتصادية دون سواه من باقي الأحزاب السياسية، خصوصا في ظل تهذئة خطابية مع حزب الأصالة والمعاصرة بقيادة وهبي ومع حزب الاستقلال بقيادة نزار بركة، الشيء الذي قد يؤكد فرضية أن حزب العدالة والتنمية يشغل خطابيا بمنطق البحث عن الخصم لممارسة قدراته التواصلية. جاء هذا التعقيب بواسطة إدريس الأزمي القيادي في الحزب والنائب البرلماني وعمدة فاس، والوزير السابق في الاقتصاد والمالية بواسطة نفس الوسيلة أي عبر مقال منشور في جرائد متنوعة¹³¹⁹، على عزيز أخنوش باختيار النظرية الماكرو اقتصادية "الأمنة" للمغرب بحكم أنه تم تجريبيها وأعطت نتائج إيجابية، بل وحققت مكاسب كبيرة على مستوى إدارة المديونية والعجز الموازناتي وأيضا التحكم في التضخم. بذلك فهو يرى أنه من "المغامرة" أن يخرج المغرب من هذا التوجه وتبني التوجه الذي طرحه أخنوش. الأزمي أورد عدة اعتبارات مالية، وأكثر من ذلك واجه خصمه السياسي بقواعد دستورية تفرض الماكرو اقتصادية خصوصا المادة 77 من الدستور¹³²⁰. غير أن الأزمي ربما لم ينتبه إلى كون الملك محمد السادس عندما شخص استنفاد النموذج التنموي للمغرب لجميع مراحلها، وعين وكلف لجنة التفكير في اقتراح نموذج تنموي جديد، فإنه طلب منهم الانفتاح على جميع الأفكار التنموية.

فالتفكير عموما أثناء الأزمات يفترض في نظرنا تقديرا استثنائيا وخروجا عن التفكير العادي من أجل إنتاج نظريات ومقاربات لتدبير الأزمات. ثم إن ما طرحه أخنوش يمكننا اعتباره خطة مرحلية لتدبير الأزمة، فهي وصفة قد تدخل في باب المؤقت لتدبير وضع مأزوم بغية إقلاع اقتصادي جديد ثم بعد ذلك يمكن العودة للقواعد العادية أو لما قبل الأزمة. وبدل مناقشة محاولة أخنوش التفكير في إبداع صيغ تنموية جديدة، يرى الأزمي بضرورة الاستمرار في

1319 إدريس الأزمي الإدريسي، "في مواجهة الأزمة.. الأزمي يكتب: لا نقشف ولا إفراط بل تضامن ومسؤولية واعتدال"، بتاريخ 17 أبريل 2020، في الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية، انظر الرابط: <https://www.pjd.ma/node/68533>
1320 نفس المرجع السابق.

التدبير الاقتصادي الحالي مع جرعات إصلاحية، بل وإنه حاول تهويل طرح أخنوش بكونه خطرا على الاقتصاد ومكتسباته. ولإضفاء نوع من المشروعية على رده الذي يشكل خطابا سياسيا وليس ردا عاديا في إطار حوار مجتمعي حول مقترحات حلول الأزمة، استعمل الأزمي لغة دينية مقتبسا أية قرآنية، "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا"، سورة الفرقان الآية 67¹³²¹، لما يتميز به القرآن من لغة تملك سلطة على الناس وأن كل خارج عنها أو رافض لها قد يصنف في خانة خارج الاسلام.

هذا الاقتباس القرآني يعد في نظرنا امتدادا لمحاولات توظيف الدين بطريقة تبدو انتقائية وتجزئية تنقصها الموضوعية وتحكمها التنافسية السياسية، باعتبار أن قيم الدين ينبغي أخذها بشكل شمولي حتى لا تفقد اطلاقيتها وتصبح نسبية لواقعة ظرفية.

د - مؤشرات على ولادة "بورجوازية اجتماعية" تعبر عن نفسها من خلال المشاركة

السياسية

من خلال تفحص خطاب عزيز أخنوش يبدو لنا أن هناك خطابا مضمرا يستبطن الاستعداد لحضوره في انتخابات شتنبر 2021، وأيضا يستبطن خطاب حزبه خلال فترة كوفيد 19، في نظرتة لكيفية تدبير آثار الأزمة الصحية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، بل ويظهر ذلك منذ وصوله إلى رئاسة حزب التجمع. هذا الخطاب يدفعنا للتساؤل عن إمكانية وجود فرضية محاولة سياسية جادة لطرح سياسي جديد لتشجيع "البورجوازية المغربية"، التي يبدو أنها خرجت من منطلق الاعتناء المادي الصرف إلى ظهور مؤشرات على تشكلها كطبقة اجتماعية غنية تتمتع بعلاقات اجتماعية ولها ميول ثقافي من خلال الإعلام والفن بواسطة دعم المهرجانات الثقافية مثلا.

ولعل السياق السياسي والاقتصادي المأزوم بسبب آثار كوفيد 19 شجع على تسريع ظهور هذه البوادر وهذا الخطاب السياسي الصادر عن طبقة غنية أصبحت تعي دورها الاجتماعي والسياسي والإعلامي، سياق ساهم في

السماح لهذه البورجوازية الناشئة سياسيا على الكشف عن نفسها بشكل واضح، والسعي إلى البحث عن توافق مع المجتمع لبناء دولة عصرية تتقاسم فيها مساحات المصالح كل من المجتمع والدولة والبورجوازية. في نظرنا قد يكون سبب عدم إعلانها عن نفسها بصورة واضحة، هو أننا نفترض أنها تعيش صراعات داخلية ناتجة عن عدم انسجام في النشأة والنشاط الاقتصادي، فتجد فئة اشتغلت في المجال الفلاحي أقرب إلى الفئات البسيطة والقروية، وفئة اشتغلت في التصنيع والتكنولوجيا منفتحة على الفضاءات العالمية والأسواق الكبرى، وفئة اشتغلت بالوساطة المالية كقطاع البنوك والتأمينات ولا تنتج اقتصادا حقيقيا أي لا تنتج منتجات يحتاجها المواطن للعيش كالغذاء مثلا، مما قد ينتج عنه صراعات داخل هذه الفئات الغنية حول رغبات الاغتناء بدون مجهود مجتمعي أو سياسي واضح. وربما أيضا عدم وضوحها قد يرجع إلى عدم ارتباطها بالطبقة المثقفة المسييسة بشكل كبير، التي يمكن أن تتوافق معها على تدعيم الثقافة والفكر المغربيين في أفق إيجاد صيغة تعاون مجتمعية.

هناك تجارب دولية عديدة لعبت فيها البورجوازية دورا في المشاركة السياسية والاجتماعية، لدعم بناء الدول ودعم قدرات المجتمع، هناك الدور البورجوازي في بناء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، من خلال مد جسور التعاون مع المجتمعات الغربية لإعادة بناء ذاتها الاقتصادية والاجتماعية ولثقافية والهوياتية من جديد في العمران، و الصناعة، الشغل وضماناته الاجتماعية، في الفنون والإعلام والثقافة وحقوق الإنسان، في العلوم والتعليم والصحة وغيرها.

يرى الباحثان الفرنسيان في السوسيولوجيا ميشيل برينسن ومونيك برينسن شارلوت¹³²²، أن "البورجوازيون أغنياء، لكنهم يتمتعون بثروة متعددة الوجوه"، لديهم الكثير من المال، و"لكن أيضًا من الثقافة، من العلاقات الاجتماعية والهوية"، فكثافة "العلاقات تؤدي إلى نوع من الجماعية". يتساءل هذان الباحثان اللذان أنجزا دراسة سوسيولوجية عن البورجوازية¹³²³، هل "البورجوازية طبقة مهددة بالانقراض كما حدث مع طبقة النبلاء قديما؟"، أم أن البورجوازية "اندمجت مع النخب الجديدة" بسبب "التعايش مع المجتمع" وتشارك "الأشياء؟". وقد تكون استمرارية هؤلاء البورجوازيون

1322 Michel Pinçon et Monique Pinçon-Charlot, Sociologie de la bourgeoisie, op, cité.P: 5-6

1323 Ibidem.

وحفاظهم على مكانتهم وتحصينها من الزوال "من خلال تنوعهم". ونظرا لتوفرها على هذه القدرات الاندماجية في المجتمع، فإن الباحثين المذكورين يرون أن "مستقبلها واعد"، فهي "تقريبا الوحيدة في بداية القرن الحادي والعشرين التي لا تزال موجودة بالفعل كطبقة، يدرّك لحدودها، و حدودها هي مصالحها الجماعية. لا توجد مجموعة اجتماعية أخرى تقدم هذه الدرجة والوحدة والوعي الذاتي والتعبئة"¹³²⁴.

في التجربة المغربية السؤال المطروح والذي يحتاج إلى دراسات أخرى متخصصة وعميقة، هو هل بدأت تتشكل فعلا بورجوازية اجتماعية ومدى قدرتها على بناء مواقفها تجاه الدولة والمجتمع وتجاه الثقافة والسياسة؟ لأنه في نظرنا محاربة هذه الفئة واقصاؤها من خلال خطاب "عدم جواز الجمع بين المال والسلطة" الذي نعتقد أنه لا يستقيم مع حقائق التاريخ ومع التاريخ الاسلامي نفسه، سيضعف قدرات الدولة في المرحلة الراهنة في أي إقلاع تنموي أو في صناعة قوة إقليمية في كل المجالات، وفي التوافق مع رجل الأعمال الواعي باحتياجات الدولة في بناء مجتمع المعرفة، كما ستزيد المواجهات معها من حدة الصراعات الداخلية وستزيد من نشاط الخطاب الشعبي غير البناء. وقد يكون خطاب أخنوش في فترة انتخابات 2021، أحد العناصر التي ساهمت في إقناع "الطبقة المتوسطة" بالمساهمة في التغيير السياسي، خصوصا أمام حزب العدالة والتنمية الذي قاد الحكومة لولايتين متتاليتين، ولم يقدم أفكارا جديدة لما بعد كوفيد 19، وأنه على يبدو أنه لم ينجح في فهم احتياجات الطبقات المتوسطة والدنيا وفي فهم السياق الجديد.

ثالثا - التحول من "الشعبوية" إلى الخطاب العقلاني المعتدل: من حميد شباط إلى

نزار بركة

من جانب آخر عرف سياق ما قبل انتخابات شنتبر 2021، عدم تمكن حميد شباط من الاستمرار في قيادة حزب الاستقلال و حصول نزار بركة الذي ينتمي إلى العائلات المحافظة التي أسست حزب الاستقلال وغير المعادية

للفكر الاسلامي والعقدي¹³²⁵، على ثقة الاستقلاليين لقيادة التنظيم¹³²⁶. هذا العامل في تقديرنا يضاف إلى سلسلة العوامل التي تفقد حزب العدالة والتنمية القوة في بناء حجج الخطاب التبريري الهجومى التظلمى، و تنقص من حدة المواجهة الجماهيرية الشعبوية التي كان شباط أحد أقطابها لاسيما من خلال تبادل الاتهامات عبر الإعلام مع بنكيران الذي وصل إلى درجة الاتهام بالانتماء إلى تنظيم داعش الإرهابي أو لجهاز المخابرات الموساد وغيرها من الاتهامات¹³²⁷. وقد سبق لحמיד شباط أن أعلن انسحاب حزبه من الأغلبية الحكومية التي يتزعمها بنكيران وينضم بذلك إلى المعارضة¹³²⁸. أما بخصوص طبيعة نزار بركة في بناء الخطاب التواصلي فهي مختلفة جذريا عن حميد شباط الذي تميز بالصدمات المفتوحة مع المنافسين، فقد أظهر بركة أداء مختلفا في إعادة الالتزام إلى هياكل حزبه وبنياته الموازية وإلى خلائه المنتشرة، وابتعد عن لغة المواجهة الشعبوية متجها إلى خطاب سياسيات عمومية تبدو عقلانية إلى حد ما. ولعل نتائج الانتخابات المهنية التي أعطت نقابة الاتحاد العام للشغالين بالمغرب التابعة لحزب الاستقلال¹³²⁹، الصدارة في عدد من القطاعات كانت مؤشرا على خروج الحزب من الأزمات التنظيمية والخطابية التي عرفها الحزب في فترة تولي شباط قيادة التنظيم.

1325 انظر رسالة علال الفاسي إلى الملك الحسن الثاني في دجنبر 1961، مرجع سابق.

1326 انتخب نزار بركة أمينا عاما لحزب الاستقلال بتاريخ 7 أكتوبر 2017، بعد ولاية واحدة لحמיד شباط، انظر الرابط:

<https://urlz.fr/mTJ3>

1327 انظر بعض روابط التقارير الصحفية التي تناولت هذه الاتهامات: - "بعدها اتهم بنكيران بالعمل لصالح داعش شباط يتهم البغدادي

بالسعي لتصفيته"، جريدة الأخبار، المغرب، بتاريخ 1 مارس 2017، الرابط: <https://urlz.fr/naal>

- "شباط يطالب بنكيران بالكشف عن علاقته بـ"داعش" والموساد"، جريدة هسبريس، 22 يوليوز 2014، الرابط: <https://urlz.fr/naaV>

- "شباط يتهم بنكيران بالكذب والتسلط"، جريدة الصباح، المغرب، 26 مارس 2015، الرابط: <https://assabah.ma/83357.html>

- "بنكيران: يرد على اتهامه بوجود علاقة له بداعش والموساد: لم أتصور أن يصل الكلام إلى هذه الدرجة من السوء"، جريدة القدس

العربي، بتاريخ: 23 يوليوز 2014، الرابط: <https://www.alquds.co.uk/%D8%A8%D9%83%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D8%B1%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%85%D9%87-%D8%A8%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A9-%D9%84%D9%87>

1328 انظر التقرير الإخباري: "شباط: حزب الاستقلال لن يتراجع عن الانسحاب من الحكومة"، جريدة هسبريس بتاريخ 30 يونيو

2013، الرابط: <https://urlz.fr/nabw>

1329 انظر التقارير الصحفية عن نتائج انتخابات ممثلي الموظفين في اللجان المتساوية الأعضاء بالقطاع العام والخاص: "الأول مرة في

التاريخ.. الاتحاد العام للشغالين بالمغرب يتصدر انتخابات القطاع الخاص"، جريدة اليوم 24، 10 يوليوز 2021، الرابط:

<https://alyaoum24.com/1561617.html?amp=1>

وخلال أزمة انتشار جائحة كوفيد 19، أنتجت قيادة الاستقلال كحزب في المعارضة، مقترحات حلول لبعض جوانب الأزمات الاقتصادية والمالية والاجتماعية للمغرب وخلقت نقاشا عقلانيا مع الحكومة. اعتمد الحزب العودة إلى الخطاب السياسي المحافظ ذو الأبعاد الاجتماعية بناء على تصورات المؤسسين كعلال الفاسي. كما أن حزب الاستقلال تتقاطع بعض أفكاره الاجتماعية والدينية الإسلامية "المقاصدية" مع حزب العدالة والتنمية¹³³⁰، ويمكن القول أن مرجعية الحزب تتقاطع أيضا مع بنية النظام السياسي المغربي ككل في توجيهها المحافظ الذي يعتبر الدين جزءا من الهوية ومن تدبير الدولة عكس التوجهات الحداثية لحزب الأصالة والمعاصرة مثلا.

ومن خلال النظر في مقترحات الأحزاب السياسية خلال فترة الجائحة، تبدو مقترحات حزب الاستقلال عملية غير مرتبطة بلغة الشعارات والعواطف. عمل حزب الاستقلال خلال فترة الطوارئ الصحية على إبراز قدرته في صناعة أفكار ومقترحات التدبير العمومي، من خلال توضيح رؤيته في إدارة الدولة في البعد الاقتصادي والمالي والاجتماعي، مما منحه تواجدا داخل خريطة تنافس مشاريع الأفكار، من بينها مقترحه في ضرورة اعتماد قانون مالية تعديلي الشيء الذي تبنته الحكومة.

أيضا من بين العناصر التي اضعفت رغبة الخصومة السياسية ضده من قبل حزب العدالة والتنمية، هو أن حزب الاستقلال لم يعبر عن مواجهة أو أي خطاب عدائي ضد حزب الإسلاميين، أو عن أي انغلاق سياسي تجاهه،

- "الاتحاد العام للشغالين بالمغرب .. الدرع النقابي لحزب الاستقلال رقم 1 في القطاع الخاص"، جريدة الصباح، المغرب، 5 يوليوز 2021، الرابط: <https://assabah.ma/567846.html>

- الإعلان عن نتائج انتخاب ممثلي الموظفين بالمجلس الأعلى للتوظيف العمومية لسنة 2021 على الرابط: <https://www.maroc.ma/ar/%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%85%D8%AB%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D%84%D9%85%D9%88%D8%B8%D9%81%D9%8A%D9%86-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%84%D9%84%D9%88%D8%B8%D9%8A%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1>

1330 عبد العلي حامي الدين، "علال الفاسي ومصرنة المغرب"، مرجع سابق.

بل أبان عن مرونة وانفتاح على الحوار، وفتح باب التعاون والتنسيق مع العدالة والتنمية من خلال التواصل مع رئاسة الحكومة ومع كوادر الحزب، بالرغم من وجوده في المعارضة.

أنتج نزار بركة الأمين العام لحزب الاستقلال رفقة أعضاء حزبه، مذكرة للخروج من الأزمة، أسموها مذكرة "إنعاش اقتصادي مسؤول اجتماعيا وبيئيا لحماية المكتسبات والبناء المشترك للمستقبل"¹³³¹. انطلق حزب الاستقلال في هذه المذكرة بالتذكير بمرجعية الحزب القيمية وجاء فيها: "ولقد قام حزب الاستقلال بصياغة تصوره لمرحلة ما بعد كورونا انطلاقا من مرجعياته الفكرية والسياسية التي تقوم على التعادلية الاقتصادية والاجتماعية، وعلى الإنسية المغربية في تنوع روافدها الحضارية والثقافية، وعلى منظومة المبادئ والقيم التي يؤمن بها ويدافع عنها، في إحقاق الحرية والعدل والإنصاف والمساواة والتضامن، والتعاون، وتكافؤ الفرص، وقيمة العمل وفضيلة الاجتهاد، وغيرها من القيم الداعمة للتنمية والتطور والتقدم. ولذلك، فإن حزب الاستقلال يقدم هذه المذكرة في شأن تصور الحزب للخروج من أزمة «كورونا» متضمنة لخطة الإقلاع الاقتصادي والمواكبة الاجتماعية وأولويات مشروع قانون المالية المعدل، وهي بمثابة جيل جديد من الإصلاحات، كجزء لا يتجزأ من رؤية الحزب للنموذج التنموي الجديد، الذي ينبغي أن يستوعب تداعيات ما بعد مرحلة جائحة كورونا"¹³³².

ابتعد نزار بركة عن الصراعات السياسية المفتوحة والتراشق الإعلامي أو الدخول في انتقادات للحكومة أو لحزب العدالة والتنمية، ورمز على مناقشة السياسات العمومية بعيدا عن أسلوب سلفه شباط. استعمل بركة في اجتماع "عن بعد" للجنة التنفيذية لحزبه بتاريخ 27 يونيو 2020 جملة "الجهاد الأصغر"، قد يكون من أجل التذكير بمرجعية استقلال المغرب وبالمرجعية الوطنية وبالمشروعية التاريخية للحزب، في الحديث عن المرحلة التي يعيشها المغرب معتبرا أنه "يعيش لحظة مفصلية شبيهة بتلك اللحظة التي قال عنها الملك محمد الخامس لبناء المغرب المستقل (إننا

1331 مذكرة "إنعاش اقتصادي مسؤول اجتماعيا وبيئيا لحماية المكتسبات والبناء المشترك للمستقبل"، للاطلاع على المذكرة انظر رابطها على الموقع الإلكتروني الرسمي: <https://www.istiqlal.info/downloads>
1332 نفس المرجع السابق.

ننتقل من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، داعيا إلى "إنقاذ الآلاف من المواطنين من البطالة ودعم المقاولات من الانهيار"¹³³³. الخطاب الذي يتبناه نزار بركة في مشاركته في النقاش العمومي حول كيفية تدبير مرحلة الأزمة الصحية لكوفيد 19 وآثارها الاقتصادية والاجتماعية، يتميز بثلاث عناصر أساسية من حيث البناء والأهداف¹³³⁴.

أولها محاولة إبراز ثبات خطابي للحزب بإظهار العمق الاجتماعي في طرح مخرجات السياسات العامة للدولة من خلال ربط المقترحات بالأصول النظرية للحزب. العنصر الثاني يتجسد في نظرنا في محاولة تدبير الحزب بمقاربة تشاركية كقوة اقتراحية غير صدامية، لتعبئة قدرات وكفاءات وطاقات التنظيم البشرية، من خلال إشراكها تواصليا في النقاش العمومي في زمن الجائحة، ولخلق سلسلة من المسؤوليات الأخلاقية والسياسية الداخلية تقوي الانتماء الداخلي والتلاحم حول القيادة. فيما نرى أن العنصر الثالث يتمثل في تحديد عناصر لغة سياسية تتراوح ما بين التطابق والتعارض مع العمل الحكومي، تارة للتمايز الفكري وتارة للتعبئة السياسية الانتخابية¹³³⁵ مع القطع مع أسلوب القيادة السابقة للحزب وبعدم إعطاء الفرصة لحزب العدالة والتنمية للدخول في سجلات أخلاقية وقيمة.

يعتبر بركة الأزمة الصحية أنها أزمة سياسية بامتياز، تحتاج إلى ترتيب الأولويات السياسية الكبرى وأيضا إلى تعاقد اجتماعي جديد. كما أن الحزب وفق تعبير أمينه العام انخرط فيما أسماه المعارضة الوطنية، معتبرا أنه من الضروري المساهمة بالترافع على قضايا المواطنين والمواطنات، وثانيا بتقديم الحلول والبدائل، مشددا على واجب نهج الشفافية والوضوح من قبل الحكومة، وأيضا على منهج التشارك مع جميع الفاعلين، من أجل الإنصاف وتوزيع عادل "للتضحيات"، ومن أجل الحفاظ على الثقة التي يرى أنها ترسخت بفعل التدخلات الملكية في تدبير الأزمة¹³³⁶.

1333 انظر الرابط: <https://al3omk.com/556296.html>

1334 التقرير الإخباري، "أوراق حزبية(ج4)بركة: الثقة والتشارك والعمق الاجتماعي والانفتاح عناصر إقلاع اقتصادي مغربي"، على

الرابط : <https://urlz.fr/mTHT>

1335 نفس المرجع السابق.

1336 نفس المرجع السابق.

وبخبرته التقنية في الجانب المالي والاقتصادي، فإنه ينبه إلى ضرورة "تحديد أولويات جديدة للسياسات العمومية من بينها ما هو متعلق بتقوية سيادة الوطنية، وضمان الأمن الغذائي، وتوفير التمويل الاستراتيجي بالنسبة للقطاعات الأساسية كالطاقة على سبيل المثال لا الحصر، إلى جانب الحفاظ على سيادة القرار الاقتصادي"، وبذلك فهو يختلف مع طرح أخنوش الذي يرى بإمكانية الاستدانة الخارجية لتمويل الاقتصاد في إطار مقابلته الكينيزية كما قلنا سابقا، فنزار بركة يعتبر الركون للاستدانة الخارجية، قد تكون له نتائج غير محمودة على مستوى استقلالية القرار الوطني، كما يجمع على ذلك الخبراء الاقتصاديين المغاربة¹³³⁷.

انطلق نزار بركة مما اعتبره العمق الاجتماعي المنسجم مع مرجعية حزبه ومع العرض السياسي الجديد للتنظيم. ويرى أن خطة انعاش اقتصادي "ينبغي أن تكون خطة إنعاش اقتصادي مسؤولة، تقطع مع السياسات التي تؤدي إلى توسيع الفوارق الاجتماعية والمجالية، وإلى الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية خصوصا الموارد المائية، وبالتالي لابد من الانخراط في سياسة جديدة"¹³³⁸.

وعن تصوره لأولويات السياسات العمومية القطاعية فإنه جمعها في رزمة واحدة من أربع عناصر. أولها وضع "خطة لإنقاذ القطاعات الأكثر تضررا، والتي تحتضر جراء أزمة "كورونا" كقطاع السياحة، الصناعة التقليدية، والنقل الجوي"¹³³⁹، وثانيها هو الاهتمام بالقطاعات المنتجة لمناصب الشغل، وثالثها هو دعم ما أسماه بالقطاعات الواعدة كالقطاع الصحي والرقمي. وآخر هذه العناصر هو انقاذ المقاولات الصغيرة والجد صغرى، باعتبارها تشكل أكثر من 90 في المائة من النسيج المقاولاتي الوطني المعيلة لحوالي أكثر من 10 ملايين أسرة مهددة بالعيش تحت عتبة الفقر، والتي تعاني ومهددة بالإفلاس وبالتالي احتمال ارتفاع البطالة وانخفاض معدل النمو. واعتبر بركة أن هذا الظرف رغم

1337 مذكرة "إنعاش اقتصادي مسؤول اجتماعيا وبيئيا لحماية المكتسبات والبناء المشترك للمستقبل"، مرجع سابق.

1338 نفس المرجع السابق.

1339 نفس المرجع السابق.

حجم الأزمات التي أحدثتها، فإنه يطرح أمام المغرب عدة فرص نجاح اقتصادي يجب استثمارها، من أهمها توفره على امكانيات استثمار أجنبي من قبل الصينيين والدول الأوروبية في إطار ما أسماه بالعولمة الجهوية.

وما بين انتقاد الحكومة ورئيسها في عدم التوفر على تصور متكامل حول كيفية تدبير الخروج من الحظر الصحي، فإنه يؤكد ما سبق أن دعا له بشكل لافت منذ بداية حالة الطوارئ الصحية، بضرورة التعجيل بإعداد قانون مالية تعديلي من حيث الهيكلية الشاملة، نظرا لاختلال المداخيل وباقي القيم المالية المفترضة، التي بني عليها قبل الجائحة وهو الشيء الذي انتهت له الحكومة بعد تردد ورفض في البداية، مما يؤكد تفاعل الحكومة مع الطرح الاستقلالي في هذا الجانب، فقد اعتبر بركة أن الزمن المغربي الحالي هو ليس زمن الأغلبية والمعارضة بل هو زمن وقفة وطنية جماعية¹³⁴⁰. من خلال رؤية نزار بركة ومن خلال موقع حزب الاستقلال تاريخيا وحاضرا في المجتمع وفي السياسة، فإننا نعتقد أنه كان بإمكانه، ولاتزال هذه الإمكانية قائمة، أن يعيد إنتاج فكرة مشروع خطاب ديني انطلاقا من تراث رواده كعلال الفاسي، وبالتالي بلورة فكر مقاصدي يتعامل مع الدولة والمجتمع بناء على قواعد من التراث الإسلامي وعلى القراءات الدينية المغربية في إطار المذهب المالكي والتصوف، مما قد يجعل من الحزب مرجعا للتنافس مع أي تيارات إسلامية حركية غير متوافقة مع التصور المغربي للخطاب الديني، بدون اللجوء إلى خطاب شعبي غير مقنع، أو أسلوب تواصل غير متأصل في أدبيات الحزب، كالأسلوب الذي اختاره أمينه العام حميد شباط بدل البحث في جذور الحزب الثقافية والمعرفية والخطابية.

رابعا - السياق الداخلي لحزب العدالة والتنمية: خلافات وسلوكيات "مرفوضة"

مرت عشر سنوات على تواجد الحزب في الحكومة فكان لذلك انعكاس على ظهور نوع من الصراعات الداخلية، بين تيار وصف إعلاميا بتيار "الاستوزار"، استفاد من المشاركة في الحكومة وفي مناصب مسؤولية أخرى، ويمكننا القول أنه "أنضجه" العمل داخل الدولة والمؤسسات وأخرجه من خانة انتقاد تدبير الدولة، كما لاحظنا سابقا في

1340 مذكرة "إنعاش اقتصادي مسؤول اجتماعيا وبيئيا لحماية المكتسبات والبناء المشترك للمستقبل"، مرجع سابق.

تناقضات تصريحات بسيمة الحقاوي فيما يتعلق بمهرجان موازين، إلى دائرة العقلانية والنهضة والتفاوض من أجل البقاء في دوائر المسؤوليات العمومية، وبين فئات تحسب نفسها أقصيت من المشاركة في الفعل المؤسسي داخل الدولة، وأن دورها أصبح محصوراً في الفرجة وفي الاستجابة لاستدعاءات التجيش المتكررة و المؤقتة للدفاع عن المشاركة وعن وزراء الحزب كلما كانت هناك هجمات خارجية، مما يكون قد أضعف نسبياً وتدرجياً ولاء بعض المنتسبين للتنظيم ولفكرة الحزب التي تأسس عليها، الشيء الذي يمكن أن يحدث عدم الثقة في خطاب القيادة، مما قد ينعكس على رغبة الاستمرار في نفس النهج الصدامي مع الجبهات الأخرى.

قيادة الحزب ومشاركته في حكومتين متتاليتين، في نظرنا أفرزت "طبقة" أو فئة استهوتها "ثقافة" البورجوازية داخل الحزب، فظهر ما يمكن وصفه بمؤشرات على ظهور "بورجوازية إسلامية متوسطة"، لها طموح في الاغتناء المادي وممارسة التجارة والاقتصاد المنتج للثروة من خلال إحداث الشركات والمقاولات وجمعيات رجال الأعمال، وهي وحريصة على الفعل الاجتماعي والسياسي والاعلامي، ويبدو أنها فئة تميل إلى التوافق مع مراكز القرار السياسي والاقتصادي والإداري للدولة، فحاولت أن تصنع لنفسها مصالح متوسطة تجارية ومهنية ومعيشية، وأيضاً صنعت محيطاً داعماً خاصاً بها، وتتهج بعض أساليب الوساطة "الزبونية". وبنكيران نفسه قد لاحظ في أحد خطبه أن أغلب قيادات الحزب كانوا لا يملكون لا ثروات ولا سيارات "فارهة" وغيرها، والآن أصبحوا يملكون وسائل راحة وتنقل ثمينة. قال بنكيران وهو ليس أميناً عاماً للحزب (حينها كان سعد الدين العثماني هو رئيس الحكومة والأمين العام للحزب)، في لقاء مع مستشاري الحزب بجماعة مشرع العين بجماعة تارودانت، في كلمة نشرها على حسابه في فيسبوك ولم تنشرها قناة حزب العدالة والتنمية على يوتيوب: "تحسنت حالتنا ونحمد الله، وفرحانين، تحسنت سياراتنا وإمكاناتنا المادية"¹³⁴¹. وفي كلمة في أحد دورات المجلس الوطني للحزب على مشارف نهاية ترؤسه للحزب سنة 2017، تميزت كلمة بنكيران بالتذكير بمحطات تشكيل الحزب منذ السبعينيات ثم محاولات الحصول على الشرعية القانونية للعمل السياسي وبعد

1341 انظر فيديو كلمة بنكيران على حسابه الرسمي على منصة فيسبوك على الرابط: <https://urlz.fr/n7pd>

ذلك الانخراط في حزب الخطيب إلى ما وقع له من إعفاء في تشكيل الحكومة. وقد تساءل في هذا اللقاء عن أسباب تراجع القيم في الحزب وهل كان إيمانهم بالفكرة الإسلامية وهم شباب كان كذبا بعدما وقع من تبدل في السلوك والمواقف. كما ذكر بنكيران بما وقع سنة 2003 عندما وقعت تفجيرات الدار البيضاء الإرهابية، التي قال عنها أنها كادت أن تعصف بالحزب بسبب تحركات الخصوم ضدهم. ثم توجه بنكيران إلى الحاضرين في دورة المجلس الوطني وقال: "حنا بدينا هاد الشي وحنا صغار السن، الإنسان منين يكون السن ديالو صغير يكون القلب ديالو حي يكون قريب من المبادئ (...)", باقي ما ولف طوموبيلات، إما كيمشي على رجليه أو ف شي بيشكليط ولا ف شي موطور بحالي أنا.. هاديك الساعة حتى واحد ما كانت عندو لا رونو 9 أو رونو 12 ولا حتى شي حاجة ربما بعض الإخوة المعلمين.. بدينا هاد الشي ف هداك الوقت، واش ديك الوقت كنا صادقين أو كنا كنتمثلو على بعضنا، كنا نصليو.. كنا نكيو.. كنا نديرو الدروس وكننأثرو.. واش هاد الشي تبدل تغير، ولينا حاجة أخرى، لابد يكون تغير.. على كل حال ماشي بهاد السرعة (يتحدث عن مشروع الحزب الإسلامي)، يعرف هاد النهاية المؤسفة المحزنة.. ما عندناش ف المرجعية ديالنا باش نتجاوزو أزمة؟¹³⁴².

ويبدو أن هذه الفئة الجديدة، من خلال ملاحظة واقع الصراعات الداخلية، أنها أصبحت تملك قوة القرار الحزبي بسبب روابط المصالح المادية، في مواجهة الفئات الاجتماعية المتوسطة و البسيطة داخل التنظيم. هذه الفئة الجديدة يبدو أنها تعي أنه من الضروري أن تدافع عن نفسها وعن بقائها داخل شبكة القرار من خلال المشاركة الرسمية، كأى فئة اجتماعية جديدة، بنهج طريق الهدنة والتوافق والتخلي عن سلوك المواجهة المفتوحة المباشرة مع الدولة إلى جانب المساهمة في إعادة ضبط ايقاع التدافع داخل التنظيم، ظهر ذلك في تبريرات إعفاء بنكيران من تشكيل الحكومة ومن تبرير تشكيل حكومة سعد الدين العثماني.

1342 أنظر فيديو كلمة عبد الإله بنكيران في المجلس الوطني الاستثنائي بتاريخ 15 يوليوز 2017، بعد أشهر من إعفائه من تشكيل الحكومة الجديدة وقبل أشهر قليلة من انتخاب سعد الدين العثماني أمينا عاما للحزب بعد فشل تيار تعديل النظام الأساسي للحزب والتمديد لبنكيران لولاية ثالثة متتالية على رأس الحزب، المنشورة في قناة الحزب على يوتيوب على الرابط:

<https://youtu.be/K2BJxsyW994>

ثم إن تحية بنكيران عن رئاسة الحكومة وعن قيادة الحزب، وظهور سعد الدين العثماني يمكن أن نعتبره بمثابة بداية إعادة الحزب إلى المنطق الذي حكم بدايات مشاركته السياسية لاسيما في صورته الأولى في الفترة المباشرة لما بعد سنة 2003 بعد العمليات الإرهابية بالدار البيضاء، والتي تميزت بالدخول في مرحلة التوافق مع إرادة الدولة، حول توزيع الخريطة السياسية والانتخابية. وبملاحظة خطاب تدبير حكومته في فترة حالة الطوارئ الصحية سنة 2020، تبين أن سعد الدين العثماني ليست لديه أي مشاكل في تبني تصورات "السلطة" في التدبير، بل أكثر من ذلك يمكننا القول أنه أبدى استعدادا للتخلي عن بعض اختصاصاته الحكومية لفائدة وزراء آخرين بدون أي اعتراض أو احتجاج، كوزير الداخلية ووزير الصحة أو للولاة والعمال وترك أمور تدبير المرحلة لهم.

كما أن ظهور بعض السلوكيات من قبل أعضاء بارزين في الحزب أو في حركة التوحيد والإصلاح، أثرت على صورة الحزب إعلاميا وخلقت نوعا من الصراعات الداخلية ذات البعد الأخلاقي والقيمي، فأصبح الحزب "ينتقد إعلاميا"، انطلاقا من مرجعيته. هناك قضية "الخلوة" بدون زواج رسمي وموثق بين عضوين في حركة التوحيد والإصلاح (فاطمة النجار وعمر بنحماد) و التي كانت محل متابعة جنائية من قبل السلطات القضائية¹³⁴³، أو ما حدث مع القياديين في حزب العدالة والتنمية¹³⁴⁴ (أمينة ماء العينين¹³⁴⁵ ومحمد يتيم¹³⁴⁶) عندما تعرضا لانتقادات من قبل وسائل الإعلام فيما سمتها بعض الصحافة المغربية بـ "الفضائح الأخلاقية"، والتي اعتبرتها منابر إعلامية متعددة بأنها تتناقض مع المرجعية الإسلامية التي يتحدث عنها اسلاميو حركة التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية.

خلال سنة 2017، أي السنة التي أعفي فيها عبد الإله بنكيران من مهمة تشكيل الحكومة، واستبداله بسعد الدين العثماني، ظهرت الخلافات الداخلية بشكل ملحوظ بين أعضاء الحزب بمن فيهم الأعضاء القياديين، وظهر ما يمكن

1343 انظر رابط المقال المتعلق بهذه المتابعة القضائية: <https://al3omk.com/90956.html>

1344 انظر الرابط: <https://www.telemaroc.tv/info/8251>

1345 انظر رابط الوقائع على رابط جريدة الأخبار، المغرب، بتاريخ 20 يناير 2019 : "لجنة الشفافية تستدعي ماء العينين"

<https://www.alakhbar.press.ma/html/لجنة-الشفافية-تستدعي-ماء-العينين-67382.html>

1346 انظر رابط جريدة الصباح، "يتيم ومدلكنته، فضيحة في باريس": <https://assabah.ma/354966.html>

أن نصفه بالتراشق على صفحات منصات التواصل الاجتماعي وعلى صفحات وسائل الإعلام، لاسيما فيما يتعلق بمحاولة تغيير النظام الأساسي للحزب للسماح لبنكيران بالاستمرار في قيادة الحزب لولاية ثالثة متتالية. ويبدو أن ظاهر الخلاف داخل الحزب، كان من بين أسبابه المعركة التنظيمية التي دارت داخل لجنة الأنظمة والمساطر التابعة للمجلس الوطني للحزب بخصوص تعديل المادة 16 من النظام الأساسي للحزب، التي تنص على حصر مهام الأمين العام في ولايتين متتاليتين فقط، فكان هدف مقترح التعديل هو يفتح المجال أمام ولاية ثالثة لعبد الإله بنكيران.

كانت من أهم العناصر التي حركت الصراع الإعلامي بين أعضاء الحزب، هي إحدى تصريحات بنكيران التي قال فيها إنه خلال الانتخابات التشريعية لسنة 2011 كان هو "الرقم 1" في إدارة الحملة الانتخابية، وقال أنه "كاين اللي مشا للحج، وكاين اللي دار حملة على قد الحال، وكاين اللي ما كانش باغي يدير الحملة، وكاين اللي ما بغاش يشارك كاع فهديك الانتخابات"¹³⁴⁷.

بعد ذلك كتب عزيز الرياح¹³⁴⁸ أحد قيادي الحزب ووزير في حكومة سعد الدين العثماني، تدوينة على حسابه في منصة فيسبوك، عبر فيها عن انتقاده لموقف عدد من أعضاء الحزب كانت "تخونه" وتتهمه بـ"القرب من "المخزن" والسعي وراء الكرسي"، وتحدث في تدوينته أيضا عن موضوع ضم حزب الاتحاد الاشتراكي للحكومة وقال إنه كان مع ضم الحزب في البداية إلا أنه عارض ذلك بعد إقالة بنكيران¹³⁴⁹.

كان من بين الذين عقبوا على تدوينته عبد العالي حامي الدين¹³⁵⁰ بدون أن يذكر الرياح بالاسم. قال حامي الدين في تدوينة نشرها على حسابه في الفيسبوك "هل من الضروري إعادة كتابة القصة؟ وإذا كان من الضروري ألا ينبغي أن يتم ذلك بشكل جماعي؟". وقال أيضا: "مرة أخرى، أقول ليس من المفيد اجتزاء وقائع معينة عن سياقاتها

1347 كلمة بنكيران بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017، انظر رابط الفيديو على قناة اليوتيوب:

<https://youtu.be/UARiAlrKKzw>

1348 انظر مضمون تدوينة عزيز الرياح على الرابط: <https://www.yabiladi.ma/articles/details'58784>

1349 نفس المرجع السابق.

1350 نفس المرجع السابق.

وإهمال وقائع أخرى، لأن ذلك سيؤدي بنا إلى التدليس... الصورة لا يمكن أن تكتمل إلا بتركيب جميع الصور وهذا ما ينبغي أن يشارك فيه الجميع بدون سرديات فردية لن تفيد في بناء القصة بكاملها"، وأضاف في تدوينته أنه: "أزداد اقتناعا بلا جدوى الرجوع إلى الماضي وأزداد اقتناعا بأن الإنصات إلى صوت المناضلين داخل المؤسسات وإلى نبض المجتمع يمثل جزءا من الحل للتفكير في المستقبل"¹³⁵¹.

استعمل مصطفى الرميد وزير الدولة المكلف بحقوق الإنسان وعضو الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية نفس الوسيلة للتعبير عن مواقفه الخلافية، فكتب تدوينة طويلة على حسابه في موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك¹³⁵²، للرد على تصريحات بنكيران المذكورة أعلاه. قال الرميد أنه اتصل ببكيران "وكنت أنتظر مسارعتة للاعتذار، لكنه إذ لم يفعل لم يبق أمامي إلا البيان والتبيين، خاصة وأنه سبق له أن صرح في المجلس الوطني للحزب المنعقد بتاريخ 15 يوليوز 2017 قائلا سمعت بلي شي واحد قال ردوا البال راه التزكيات جاية بمعنى تهدد الإخوان غدا إلى كنت في منصب المسؤولية ما غاديش تعطيهم التزكية لأنهم ما ناصروكش اليوم)، ولما اتصلت به معربا عن استنكاري لما سمعت، سواء صح ذلك أم لم يصح، لأنه إن صح فهذا يعني أن هناك انحرافا ينبغي ان يوضع له حد على مستوى أداء بعضنا، وإن لم يصح فينبغي وضع حد للافتراءات التي تمس شرف الحزب وسمعته وديمقراطيته، إلا أنه رفض رفضا مطلقا، مما جعل عموم الأعضاء يتوزعون في اتهام قياديي الحزب بهذا الانحراف"¹³⁵³.

وقال في تدوينته إنه فوجئ "بما ورد في خطاب الأخ الأمين العام لحزب العدالة والتنمية، الأستاذ عبد الإله بنكيران، في سياق كلمته بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات، المنعقد يوم السبت 21 أكتوبر الجاري بالمعمورة". وقال الرميد إن هذا التصريح يثير عدة ملاحظات من بينها أن "اللقاء المذكور كان لقاء مدارس لعمل المنتخبين الجماعيين، خاصة منهم من يتحمل مسؤولية التسيير كما يدل على ذلك برنامج اللقاء، إلا أن كلمة الأخ

1351 تدوينة عزيز الرياح، مرجع سابق.

1352 انظر مضمون تدوينة المصطفى الرميد على الرابط: <https://urlz.fr/mTzt>

1353 نفس المرجع السابق.

الأمين العام أوردت معطيات ووقائع وأحداث لا علاقة لها مطلقا بموضوع اللقاء الذي كان يفترض فيه اجتناب كل ما يزيد في تفاقم الخلافات ويكرس مزيدا من النزاعات". وانتقد الرميد بنكيران لما اعتبره أنه خالف توجيهه الصادر في 16 أكتوبر 2017، "والذي لاحظ فيه على بعض التفاعلات بين أعضاء الحزب على مواقع التواصل الاجتماعي، أنها لم تتضبط على العموم لمنهج وآداب الاختلاف، ومست بأخلاق الأخوة والاحترام المطلوب بين مناضلي الحزب، مضيفا أن بعضها اشتط إلى حد الإساءة للأشخاص والانتصار والتعصب لفكرة أو رأي أو اختيار". وصف الرميد بنكيران بأنه ينتصر لنفسه "مسفها جهود الجميع"، وتساءل الرميد "هل ما قاله الأخ الأمين العام بشأن إخوانه يطابق توجيهه أم يناقضه؟ وهل فعلا كان ذلك هو حال إخوانه بالشكل الذي وصفه؟ وما الفائدة من ذكر ذلك كله الآن؟"¹³⁵⁴.

وحاول الرميد الرد على بعض ما جاء في تصريحات بنكيران التي تعنيه هو شخصيا وقال: "فعلا سافرت إلى الحج أثناء إيداع الترشيحات وعدت مع بداية الحملة الانتخابية. وخلافا لما زعمه الأخ الأمين العام فإنني شاركت في الحملة الانتخابية بما وسعني من مشاركة". كما انتقد الرميد تهجم بنكيران على باقي الأعضاء وقال: "حتى بدوا وكأنهم متخاذلين ومفرطين وغير مكثرتين باستحقاقات مرحلة حاسمة من تاريخ الحزب والوطن، وتمجيده لنفسه بشكل جعله وكأنه هو الحزب والحزب هو"¹³⁵⁵.

ووجه الرميد عدة أسئلة لبنكيران من بينها: "إذا كان المصطفى الرميد على سبيل المثال بهذا الشكل الذي حاولت الإيحاء به أمام جمع غفير من قيادات الحزب على صعيد ربوع الوطن، فلماذا اقترحتة عضوا في الحكومة بعد هذا "الخدلان" الذي أشرت إليه؟ ولماذا تمسكت به بعدما واجه اقتراحك صعوبات تعرفها؟ ولماذا اقترحتة بعد ذلك على المجلس الوطني خلال المؤتمر السابع لعضوية الأمانة العامة؟ ولماذا أصبحت تعتمد عليه في الكثير من الأمور الحزبية والحكومية خلال السنوات الفارطة؟ ولماذا كنت تصر على القول مرات أنك لا ترى غيره مؤهلا لقيادة الحزب والحكومة؟"، وسؤال: "هل كنت ستقول الذي قلته لو ناصر المصطفى الرميد التمديد لولاية ثالثة، وأنت تعرف في هذا

1354 مضمون تدوينة المصطفى الرميد، مرجع سابق.

1355 نفس المرجع السابق.

رأبي المبدئي، والذي سبق أن بسطته عليك تفصيلا منذ حوالي سنتين وهو ما سأعود إلى استعراضه في مناسبة قادمة إن شاء الله". واستعمل الرميد لغة القيم من أجل انتقاد بنكيران وقال: "لقد استشعرت، كما العديد من الإخوة، خيرا مع البلاغين الأخيرين بدعوتهما أعضاء الحزب العودة إلى جادة الصواب، وكنت آمل أن يكون الأمين العام قدوتنا جميعا في ذلك خاصة أنه دعا في بلاغه الأخير إلى صيانة الأعمال من العبث ونهى عن تخريب البيوت بالأيدي، لكنه للأسف الشديد أبى إلا أن يخالف ما دعا عموم الأعضاء إليه"¹³⁵⁶.

وكانت الخلافات الداخلية قد بدأت مباشرة بعد إعفاء بنكيران وتعيين العثماني لتشكيل الحكومة، وكما أشرنا لجا بعض القياديين إلى تبرير مفاوضات العثماني مع باقي الأحزاب ثم حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية للحكومة خلافا لتوجه بنكيران أثناء مفاوضاته. وقال بلال التليدي¹³⁵⁷ وهو أحد أطر الحزب عن هذه التبريرات التي تميزت بارتباطها بالتراث الإسلامي (حلف الفضول، صلح الحديبية مثلا)، أنه بعد مرحلة العثماني "جاءت مرحلة المقاومة، لم يوظف فيها بنكيران أي مفهوم أصولي ولا أي سيرة ومع ذلك حقق الانتصارات. دعونا من التعسف، ولنناقش السياسة كما هي على أرض الواقع، تقدير في مقابل تقدير، انتهى الكلام"، بذلك يرى التليدي أن استعمال السنة النبوية بهذه الطريقة هو تعسف وغير مبرر.

وكان أحمد الريسوني أبرز القياديين الإسلاميين المؤسسين للحزب، وبمناسبة الصراعات التي تفجرت داخل الحزب بعد إعفاء بنكيران وفي سياق تشكيل حكومة سعد الدين العثماني، من خلال تدوينة¹³⁵⁸ نشرها على حسابه في منصة فيسبوك وتناقلتها وسائل الإعلام، استعمل فيها اللغة الفقهية والدينية واستشهد بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية. عبر في هذه التدوينة عن "استياءه" من أساليب بنكيران في السجال السياسي وفي مواجهة خصومه وأيضا أعضاء حزبه على حد سواء وقال فيها: "بدأت تقشو في الحزب لغة الانتصارات ونفسية الأقوياء المنتصرين. وبدأ الغرور يحل

1356 مضمون تدوينة المصطفى الرميد، مرجع سابق.

1357 انظر تصريحات بلال التليدي على الرابط: <https://urlz.fr/mN'y>

1358 انظر التدوينة على الحساب الخاص بالريسوني على فيسبوك على الرابط التالي: <https://urlz.fr/mTyO>

وعلى موقع منتدى العلماء خدمة العلم و العلماء على الرابط: <https://urlz.fr/mTz4>

محل التواضع، وبدأ الدفع بالتي هي أخشن يحل محل الدفع بالتي هي أحسن. وقد كان مُدْرَج البرلمان شاهدا على هذا وعلى أكثر منه، من الرداءة والفظاظة في الخطاب والسجال. كما أصبحت التجمعات الانتخابية، وحتى اللقاءات الحزبية الداخلية، ميدانا للمبارزة والطعان والسخرية والفرجة والضحك. ولقد كان لغياب الأستاذ عبد الله بها - بعد وفاته أواخر 2014- أثر واضح في نمو هذا الاتجاه؛ إذ كان - رحمه الله - هو محتسب الحزب في اعتداله وتوازنه وأخلاقيته. وقد ترك غيابه ثغرة لم تُسد حتى الآن. ولما تم التغاضي والسكوت (في الأمانة العامة وغيرها) على ظاهرة الرداءة الأخلاقية والتعبيرات العدائية، في معاملة الخصوم ومواجهتهم، لِمَا يجلبه ذلك من إعجاب وشعبية، تطور هذا المسلك وبدأ يشيع ويترسخ داخل الحزب وبين أعضائه الكبار والصغار. فلم يعد أسلوبا قاصرا على مواجهة المناوئين فحسب، بل أصبح يستعمل للداخل والخارج معا¹³⁵⁹.

وبذلك يكون هكذا تميز السياق الذي سبق انتخابات شتنبر 2021، بوجود خلافات داخلية بين أعضاء حزب العدالة والتنمية، قد يكون لها دور في إضعاف قدرات الحزب التواصلية ومن تم قد تكون ساهمت في تراجع الحزب سياسيا وضعفه في إقناع مناضليه وفي اقناع أطر حركة التوحيد والإصلاح وأيضا إقناع الجماهير للتصويت عليه مجددا.

إذا استثنينا مرحلة "الوصاية" المتمثلة في الدكتور عبد الكريم الخطيب، في قيادته للحزب، منذ تأسيسه كحزب العدالة والتنمية سنة 1999 إلى سنة 2004، والتي نعتبرها مرحلة مراقبة ووصاية تأسيسية انتقالية لولوج الإسلاميين إلى الحياة السياسية المغربية، فإن قيادة الحزب لم تشهد أي تجديد حقيقي في نخب الحزب القيادية، خصوصا على مستوى مؤسسة الأمين العام للحزب.

وعندما يتحدث الحزب عن تجديد النخب وعن الديمقراطية الداخلية، فإننا نتساءل عن أي تجديد يمكن الحديث عنه، باعتبار أن الشخصيات التي مرت من العمل السياسي السري ثم تأسيس جماعات دعوية من السبعينيات من

القرن الماضي التي توجت بإحداث حركة التوحيد والإصلاح، هي نفسها التي قادت الحزب وتقوده إلى الآن، مع أنها قامت بما يمكن وصفه بمراجعات ثم مراجعة المراجعات وهكذا ظلت تسير في حلقة "الولادة المأزومة" تجلت في نتائج انتخابات 2021 التي جعلت الحزب في آخر صفوف الأحزاب بعدما كان متصدرها.

فالتجديد في النخب لاشك أنه يواكبه تجديد في الخطاب وفي ثقافة التنظيم وفي الأفكار وتحديدًا في مشاريع السياسات العمومية، والأفكار المبدعة لحل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية. غير أننا نلاحظ أن الحزب ظل يتأرجح بين شخصيتين وأمينين عامين بينهما فروق واسعة في الخطاب وطريقة التواصل، مما يدفعنا للقول أن مرجعية الحزب وخطابه مرتبط بأشخاص وليس بأي مرجعية فكرية موحدة خصوصًا مع توجهات العثماني التي تشبه العلمانية الإسلامية.

تميزت مرحلة العثماني الأولى أي من 2004 إلى 2008، بكشف الهوية الخطابية التواصلية لهذا القيادي، بكونها هادئة وغير صدامية ومستعدة للتوافق مع مؤسسات السلطة في الدولة. وقد عرفت هذه الفترة رجاءات سياسية عنيفة، أظهر فيها العثماني ميلًا نحو التوافق والتهدئة وابتعادًا عن الاشتباك سواء مع الخصوم أو مع السلطة. فقد تمكن من إزالة عناصر التوتر والتأقلم مع المتطلبات، منذ الأحداث الإرهابية في أمريكا في شتنبر سنة 2001، والتي كان لها انعكاس على نظرة الخارج وأيضًا الداخل للحركات الإسلامية، ثم الأحداث الإرهابية التي عرفت الدار البيضاء في 16 ماي 2003، التي عرفت تراجع قياديين بارزين أمثال الريسوني والرميد إلى الوراء كانهاء للعاصفة ليعود الرصيد فيما بعد للمشاركة في القرار السياسي.

بعد فترة تولي بنكيران قيادة الحزب، عاد العثماني من جديد وفي سياق أزمة سياسية أيضا لعله ليخلق التوافق المطلوب والتوازن في المشهد السياسي وداخل الحزب بعد إعفاء بنكيران من تشكيل الحكومة. امتدت هذه الفترة من

سنة 2017 وانتهت سنة 2021، اعتمد فيها العثماني من جديد نفس نهجه القديم بعدم الصدام مع الدولة ثم قدم استقالته من القيادة بعد التراجع في النتائج الانتخابية للثامن من شتنبر 2021¹³⁶⁰.

برر استقالته رفقة باقي أعضاء الأمانة العامة المستقلين بوجود خروقات في هذه الانتخابات "سواء في مرحلة الإعداد لها من خلال إدخال تعديلات في القوانين الانتخابية مست بجوهر الاختيار الديمقراطي إضافة إلى عمليات الترحال السياسي، أو ممارسة الضغط على مرشحي الحزب من قبل بعض رجال السلطة وبعض المنافسين وذلك من أجل تنيهم عن الترشيح، وكذا من خلال الاستخدام المكثف للأموال وتوج ذلك بالتعسف ضدا على القانون بالامتناع عن تسليم المحاضر لممثلي الحزب، في عدد كبير من مكاتب الاقتراع وطرد بعضهم الآخر، علما أن المحاضر تعد الوسيلة الوحيدة التي تعكس حقيقة النتائج المحصل عليها."

فيما يخص عبد الإله بنكيران، فقد تناوب على قيادة الحزب مع العثماني على مرحلتين، ويمكن القول أن الزمن التدييري السياسي الإسلامي للحزب توزع بينهما هما الاثنان فقط. كانت مرحلة بنكيران الأولى طويلة نسبيا مقارنة مع العثماني امتدت من سنة 2008 إلى سنة 2017، حيث اعفي بنكيران من تشكيل الحكومة ثم رفضت التعديلات على النظام الأساسي للحزب، للسماح له بولاية ثالثة متتالية. يمكن وصف هذه الفترة من تاريخ الحزب منذ نشأته إلى حدود اليوم، بأنها أوج التواجد في المشهد السياسي، بتصدر انتخابات 2011 و 2016 البرلمانية وترؤس الحكومة لولايتين متتاليتين، وهيمنة الحزب على أكبر المراكز الحضرية من خلال حصوله على الأغلبية المطلقة أو المرتبة الأولى في المدن الكبرى والمحورية كالرباط والدار البيضاء وفاس وطنجة وأكادير، وهي الفترة التي تزامنت مع ما عرف بالربيع العربي وبروز بنكيران كشخص سياسي ذي كاريزما تؤهله لكسب رهانات المرحلة، وأنه ورغم خمس سنوات سياسية سابقة تصدرها بنكيران من 2011 إلى 2016 في رئاسة الحكومة من 2012 إلى 2016، ورغم كل الاحتجاجات

1360 بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 2021/09/09، المنشور على الموقع الإلكتروني للحزب على الرابط التالي:

<https://www.pjd.ma/157253-81932.html>

القطاعية والنقابية والاجتماعية، فإنها لم تؤثر في تصدره لولاية أخرى، ورغم الحملات الإعلامية ضده من طرف خصومه السياسيين، وفي مقدمتهم حميد شباط وإلياس العمري، ولم يتمكنوا من إزاحته و القضاء على "هيمنته" على المشهد السياسي المغربي¹³⁶¹.

مجمل تلك النتائج أظهرت أن حزب العدالة والتنمية تقدم بخطوات حثيثة وأضحى القوة السياسية الأولى في البلاد تنظيميا و جماهيريا. وعلى النقيض من أسلوب سعد الدين العثماني، تميز بنكيران بأسلوب قد ينطبق عليه وصف "الشعبي" واستهلاك مفرط للخطاب الديني، وبصدامية كبيرة مع عدد كبير من الفاعلين السياسيين بما في ذلك دوائر الملك. ومع ذلك هناك من يرى أنه ورغم هذه النتائج التي حققها بنكيران بدأت صورة الحزب في الضمور، "لقد ضرب الحزب المرجعيات الإسلامية عرض الحائط، كما ظهر جليا في موقفه حيال الحكم العسكري في مصر، أو التأويل الديمقراطي للدستور. أما أداء الحكومة فلم يرق للتطلعات. ولعل الحالة المدرسية هي حالة وزير الاتصال مصطفى الخلفي الذي اضطر أن يسحب مشروع الإصلاح الذي وعد به، ورضي أن لا يكون له أي تأثير على القنوات التلفزيونية وعلى وكالة الأنباء".

ومنذ 2017 وبعدما لم يتمكن بنكيران من تشكيل الحكومة وبعد قرار الملك باستبداله بسعد الدين العثماني، لكون "المشاورات التي قام بها السيد رئيس الحكومة المعين، لمدة تجاوزت الخمسة أشهر، لم تسفر إلى حد اليوم، عن تشكيل أغلبية حكومية، إضافة إلى انعدام مؤشرات توحى بقرب تشكيلها"، عرف الحزب انقسامات داخلية في المواقف والتفسيرات بين تيارين متناقضين، تيار يدعم بنكيران وآخر عرف إعلاميا ب "تيار الاستوزار" يقصد به رغبة أصحابه في الاستمرار في الحكومة، ويمثله قياديان في الحزب وهما "عزيز الرباح" و "مصطفى الرميد".

1361 Thierry Desrues, " Le PJD en villes ,le PAM à la campagne, le multipartisme marocain à l'épreuve de la bipolarisation" in l'année du Maghreb, N 15/2016, P:229-254. Lien électronique : <https://journals.openedition.org/anneemaghreb/2901> et <https://doi.org/10.4000/anneemaghreb.2901>

وقد وصل الصدام بين هاذين التوجهين حد التراشق الإعلامي العلني بما في ذلك على منصات التواصل الاجتماعي كما لاحظنا سابقا، مما يثير التساؤل حول تصريحات سابقة لقياديي الحزب، بأن للحزب وسائل لتدبير الاختلافات الداخلية داخل جو من الاحترام والهدوء والديمقراطية. انتشرت موجة من الغضب أوساط التنظيمات الموازية للحزب وظهرت من خلال تدوينات وتعليقات شببية الحزب في شبكات التواصل الاجتماعي. في خضم ذلك عبر بنكيران عن تفهمه لقرار استبعاده من رئاسة الحكومة، وعبر عن "تفاعله الإيجابي مع بلاغ الديوان الملكي وتثمين الأمور الإيجابية التي جاءت فيه". وبعد استقالة العثماني من قيادة الحزب سنة 2021، جاءت المرحلة الثانية لبنكيران منذ سنة 2021 إلى اليوم، حيث أعيد انتخابه أمينا عاما للحزب في 30 أكتوبر 2021، في سياق أزمة داخلية وضعف انتخابي واضح.¹³⁶²

تتميز مرحلتي الشخصيتين بالتقائهما في التأكيد على مرجعية الحزب الإسلامية، وفي استعمال لغة دينية بدرجات متفاوتة وبحدة مختلفة، واختلافهما الكبير في طريقة وسياق توظيف المرجعية والخطاب الديني، وأيضا في تبني الأسلوب الشعبي وطريقة الخطابة والأداء والنبرة التواصلية. ويبدو أن خطاب بنكيران حاليا لا يزال يقتات على بعض من مضامين خطابه وتواصله أثناء فترة قوة الحزب انتخابيا وعدديا، مثل مهاجمة من كان يسميهم التماسيح والعمالقة أو بعض قيادات حزب الأصالة والمعاصرة، غير أن الجميع لاحظ نقصا في الحدة التي كان عليها سابقا. ومن بين الشخصيات الإسلامية التي كانت قد توقعت فشل مشروع الحزب الإسلامي في المغرب هو فريد الأنصاري الذي يعتبر واحدا من شخصيات الحركة الإسلامية بالمغرب الذين كانت لهم اسهامات علمية ودعوية تشهد بها حركة التوحيد والإصلاح. وكان أحد رواد رابطة المستقبل الإسلامي رفقة أحمد الريسوني، وتميز بمراجعات ذاتية حول تجربته في العمل الإسلامي بالمغرب. وقد عمل بالجامعة كأستاذ منذ أواخر الثمانينات من القرن الماضي وقضى بالجامعة إلى حين وفاته 29 سنة، اعتبرتها حركة التوحيد والإصلاح أنها "كانت فترة علم واجتهاد وبحث علمي متين ليتحقق

1362 كلمة عبد الإله بنكيران خلال أشغال المجلس الوطني للحزب مباشرة بعد انتخاب عبد الإله بنكيران أمينا عاما للحزب في 31 أكتوبر 2021، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=VDqKj7IW'y0>

بصفة "العالم الوارث"، ولذلك لا غرابة أن يتخصص في "أصول الفقه"، أو بمعنى آخر في فلسفة قانون الاستتباب الإسلامي، بل تخصص في دراسة مصطلحات ومفاهيم أصول الفقه¹³⁶³. وكان أحد الفاعلين البارزين في رابطة المستقبل الإسلامي ثم في حركة التوحيد والإصلاح بعد اندماجهما، قبل أن يقدم استقالته وينسحب من هذه التنظيمات الإسلامية سنة 2000، حسب ما يقول هو شخصيا في كتابه الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب.

في هذا الكتاب انتقد فكرة تأسيس حزب سياسي إسلامي لكونه اعتبر شروط التأسيس غير متوفرة أهمها عدم الانسجام بين مكّوني حركة التوحيد والإصلاح، وبذلك فإنه يعتبر إعلان الحركة تأسيس حزب العدالة والتنمية كان سببا في فشل المشروع الدعوي، وفشلا للحركة الإسلامية في المغرب. وكان هذا الكتاب بمثابة استشراف لمستقبل الحزب وتشخيص لواقع الخلافات الداخلية بين أطراف نفس الحركة¹³⁶⁴. وهو في قراءته يشبه إلى حد بعيد ما ذهب إليه حسام تمام وهو أحد الباحثين في الجماعات الإسلامية والذي توفي سنة 2011، وكان قد كتب كتابا قبل فترة الربيع العربي، تحدث فيه عن اختلالات بناء جماعة الإخوان المسلمين وعن "تسلفهم" وعن عدم استعدادهم للحكم¹³⁶⁵.

وصف الأنصاري العلاقة بين حركة التوحيد والإصلاح و رابطة المستقبل الإسلامي انطلاقا من تجربته الشخصية وتجربة أبناء الرابطة وقال: "عشنا نحن أبناء الرابطة كفكرٍ وتوجُّه كالأضياف غير المرغوب فيهم! وأدركنا أنه علينا أن نقاتل، وأن نناور من أجل البقاء كفكرٍ وكتوجه! ولكننا لم نستطع لأن ذلك شيء لم نتعلمه في مجالسنا التربوية من قبل!"¹³⁶⁶. قام الأنصاري بعملية مراجعة فكرية، تأسست على مجموعة من الأفكار النقدية التنظيمية والسلوكية وصلت إلى درجة نقد مفهوم الدين لدى الحركة الإسلامية بما في ذلك حركة التوحيد والإصلاح. يقول

1363 انظر ورقة "الدكتور فريد الأنصاري سيرة عالم وداعية"، على رابط موقع حركة التوحيد والإصلاح:

<https://alishah.ma/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%B1-%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B5%D8%7%D8%B1%D9%8A-%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA>

1364 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 3-4-5.

1365 حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، مرجع سابق.

1366 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق.

الأنصاري: " لقد كانت تجربة (التوحيد والإصلاح) بالنسبة لي صدمة منهجية مفيدة جداً! بل كانت فرصة تاريخية في عمري! راجعتُ فيها كثيراً من المفاهيم الدينية، بدءاً بمفهوم (الدين) نفسه! وما تفرع عنه من مفاهيم العمل الإسلامي جملة، طبيعته، ومراتب أولوياته. فعانيتُ شهد الله أرقاً وحسرةً على ما ضيعت وعلى ما فرطت! (...)، ثم اتبعتُ سبباً، فأجريتُ عمليات جراحية عميقة على نفسي، لاستئصال أورامها الخبيثة! وما زلتُ! فَمَنَّ اللهُ بعد ذلك باجتهادات أخرى في الدعوة والعمل، وباختيارات أخرى في الفكر والممارسة، وبطريقة أخرى في التصريف والتدبير. وقد صدر شيء من ذلك في بعض كتبي، وستصدر تتماته في ورقات أخرى لاحقاً إن شاء الله. وإنما الموفق من وفقه الله¹³⁶⁷. وكان من أهم هذه الكتب التي أصدرها (الفجور السياسي) سنة 2000، و(البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي) سنة 2003، وكتاب (الأخطاء الستة للحركة الإسلامية في المغرب) سنة 2007، وختَمَهَا بكتاب (الفطرية) سنة 2009، وهي السنة التي توفي فيها. ويعتبر الأنصاري قرار حركة التوحيد والإصلاح المشاركة السياسية الشرعية عن طريق تأسيس حزب العدالة والتنمية كواجهة سياسية لها، اعلانا لوفاة الحركة الإسلامية¹³⁶⁸، لأن الحركة والحزب تحولتا إلى وجهان لعملة واحدة، وصارت الدعوة خادمة للسياسة¹³⁶⁹.

يقول الأنصاري أن العمل الإسلامي بالمغرب تعرض إلى خروج عن التوجه وتدمير لمكتسباته بعد تقرير المشاركة السياسية، "إن اتخاذ حزب سياسي للعمل الإسلامي مبدئياً إنما يصلح عندما تكون ظروف العمل الإسلامي باعتباره منظومة دعوية تجديدية شاملة غير ممكنة في البيئة أو متعذرة، وبشرط أن تكون إمكانات العمل السياسي غير مؤدية إلى نتائج عكسية على مستوى الدين والتدين، ولقد علم في قواعد أصول الفقه أن (كل فرع عاد على أصله بالإبطال فهو باطل!). ويرى أنه كان "بإمكان الحركة الإسلامية بالمغرب أن تصل إلى أفضل النتائج السياسية دون أن نتخذ لها حزباً لو أنها اشتغلت كقوة دينية دعوية، حاضرة برجالها وأفكارها في كل ميدان منتشرة في كل قطاع. من

1367 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق.

1368 نفس المرجع السابق، ص: 24.

1369 نفس المرجع السابق، ص: 94.

المسجد إلى المعمل ثم إلى الإدارة! ومن التعليم إلى الإعلام ثم إلى الاقتصاد. لقد كان بإمكانها أن تجعل بعض الأحزاب السياسية الأخرى تنخرط في تطبيق الممكن من برامجها السياسية دون أن تنزلق هي إلى شرك الاستهلاك التجزيئي لقوتها! ولكن بعد زمن يمكنها من إنضاج تأثيرها السياسي غير المباشر في الهيئات والمؤسسات، لكن عقدها كامنة في أنها تنتظر في عملها إلى الممكن وغير الممكن في اللحظة الآتية فقط، وتلك هي مشكلتها، إن ما ليس بممكن اليوم قد يكون ممكنا غدا، إذا قدمنا شروطه العملية عند الانطلاق، وسرنا في الاتجاه الصحيح لقد كان بإمكان الحركة الإسلامية أن تكون ما أرادت لو أنها أرادت وجه الله حقيقة ولم تستعجل أمرها، إن سر الخطأ لديها أنها استثمرت كل طاقتها في الهياكل والأشكال دون أن تستثمرها في الإنسان!¹³⁷⁰. وأنه بدل أن يساهم الإسلاميون في تخليق الحياة السياسية "كما زعموا تدينوا بأوساخها"¹³⁷¹، من بينها استعمال المناورة والخداع، وظهور "قلة الحياء" في الرجال والنساء على السواء¹³⁷²، فيتساءل الأنصاري عن أي "وجه تخاطب الحركة الإسلامية الناس اليوم إذا هي كذبت في خطابها كما يكذب السياسيون، وفجرت في خصامها كما يفجر النقابيون، ثم انحلت في أخلاقها كما ينحلّ الشهبانيون"¹³⁷³، ناهيك عن المواجهات العلنية أو الضمنية بين القيادات في حركة التوحيد والإصلاح أو في حزب العدالة والتنمية مع المذهب المالكي وتفضيل مذهب السلفية المشرقية، ورفع اسم ابن تيمية كشيخ الإسلام وعدم التعامل بنفس الشكل مع علماء وفقهاء المالكية، ثم المواجهة مع التصوف المغربي وغيرها من الأمور التي سبق بسطها¹³⁷⁴.

وبذلك فإنه يمكننا القول أن فريد الأنصاري وضع يده قبل الربيع العربي وقبل تصدر الحزب المشهد السياسي، على مكامن الخلل البنيوي والتنظيمي والفكري داخله، وهي التي تبدو عناصر جديرة بالقراءة والدراسة والفهم، لأنها أسباب قد تكون الأهم في الفشل الذي وصل إليه حزب العدالة والتنمية في انتخابات 2021.

1370 فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، مرجع سابق، ص: 31-32.

1371 نفس المرجع السابق، ص: 35.

1372 نفس المرجع السابق، ص: 35-38.

1373 نفس المرجع السابق، ص: 40.

1374 نفس المرجع السابق، ص: 132-164.

ولقد أحدث كتاب "الأخطاء الستة للحركة الإسلامية في المغرب" لفريد الأنصاري أثرًا كبيرًا في وسط الإسلاميين في المغرب، الأثر الذي سمي بـ "دويّ الأخطاء الستة". وكان من أبرز الردود التي كتبت حول الكتاب هو رد أحد رفاق الأنصاري في رابطة المستقبل الإسلامي سابقا، و هو أحمد الريسوني الرئيس الأسبق لحركة التوحيد والإصلاح. لم يكن رده¹³⁷⁵ بذلك العمق والتوصيل يشمل مضامين ودفوعات الكتاب، وإنما كان موجزا "غلب عليه مدح رجال حركة الدعوة والإصلاح والسخرية من المؤلف". يرى بعض الباحثين أن هذا الرد بهذه الطريقة إنما يمكن تفسيره بكون الأنصاري كان منتميا لنفس تنظيم الريسوني، ثم ينشق عنه ويتركه، أن يكتبه بمنطق إظهار الفضائح وكشف المستور، فيستقرّ تأليفه تلك الجهة التي انشق عنها، فتتحرك للردّ عليه، فيتمادى هو في فضحها وهتك سترها. فالموقع الطبيعي لردّ الريسوني هو هذا، ولعله وُظف للقيام بالدور المذكور آنفاً، غير أن المؤلف كان مُدرّكاً لذلك في تجاوبه مع رد الريسوني، فكان متمسماً بالاتزان عفيف اللسان، ولم يتماد في فضح أو هتك ستر، يكون فيه إخلال بالأخلاق والديانة¹³⁷⁶. ومنهم من دعا بعد وفاة المؤلف، إلى الانفتاح على هذا الكتاب والاستفادة منه، أمثال القيادي في حزب العدالة والتنمية وأحد أطر حركة التوحيد والإصلاح أبو زيد المقرئ الإدريسي¹³⁷⁷.

1375 أحمد الريسوني، "الرد الكامل على كتاب الأخطاء الستة"، أنظر رابط الرد على مدونة أحمد الريسوني: <https://raissouni.net/398>

1376 مراجعة كتاب الأخطاء الستة للحركة الإسلامية في المغرب ، رابط التقرير: "%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D8%B9%D8%A9-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AA%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8">https://ar.islamway.net/article/7536"/>"%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%AC%D8%B9%D8%A9-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AA%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8

1377 نفس المرجع السابق.

استنتاجات الدراسة

سعت هذه الأطروحة إلى التعرف على أطروحات و استراتيجيات خطاب حزب العدالة والتنمية في استعماله للخطاب الديني في المشهد السياسي، بالتركيز على أمينه العام عبد الإله بنكيران، في مختلف خطبه وتصريحاته، وعلى البنية اللغوية وأسلوب التواصل الذي له ارتباط بالتكوين المعرفي والسيكولوجي للشخص، وآليات التعبير المجازي، والأفعال الكلامية التي تم توظيفها في بلورة مضامين الخطاب لديه، والتي تعد عناصر مؤثرة في إنتاج خطاب الحزب وقيادته.

وقد اعتمدنا في هذه الأطروحة على إطار نظري شمل ثلاث نظريات أساسية، وهي نظرية المجتمع الشبكي لمانويل كاستيلاس¹³⁷⁸، ثم نظرية أفعال الكلام لأوستن ونظرية الديمقراطية التداولية، مستعملين أداة التحليل الكيفي على مدخل تحليل الخطاب النقدي.

وعلى ضوء نظرية الديمقراطية التداولية، فإن من أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة هي أن بنكيران أساسا يستعمل لغة بسيطة وواضحة وشعبية تصل إلى الجماهير بسهولة، إلا أنها غير مؤسسة على خطاب تداولي، لكون بنكيران لا يستخدم الاستدلال العقلي أو الأدلة الملموسة لدعم عناصر خطبه، وبدلا من ذلك يركز على خلق نوع من الانفصال السياسي الداخلي بين تيار مؤمن وتيار علماني أو حدائي لا يؤمن بالمرجعية الإسلامية كأساس للعمل السياسي، من خلال تركيزه على مهاجمة خصومه، بدل خلق قوة نقاشية تساهم في إطلاق جدلية ديمقراطية للوصول إلى حلول للمشاكل العمومية. فيظهر بذلك بنكيران كشخصية شعبية تحشد الجماهير ضد خصوم سياسيين بدون أي تشجيع على التبادلات الحوارية الثنائية، فالخطاب التداولي يقتضي الصدق والتوازن في النقاشات السياسية، وبالتالي

فإن الاتهامات ضد بعض وسائل الإعلام أو ضد الخصوم السياسيين، حسب النظريات المعتمدة في هذه الأطروحة فإنها تنتهك الأسس التي يقوم عليها الخطاب التداولي.

فيما يتعلق بنظرية أفعال الكلام التي اعتمدها في هذه الدراسة، فإن ما يدعم أن كلام بنكيران كان أسلوباً منهجياً يحكمه العقل وليس العواطف، هو تلك التوظيفات المتسقة والمتكررة لألفاظ الإهانة والإساءة ضد خصومه، إضافة إلى استخدام ترميز لغوي والسخرية والنكتة بغية تحقيق إنجاز فعلي وهو التأثير على المتابعين لتصريحاته واستمالتهم أو توجيههم. وبذلك فإن الإهانات التي يستعمل بنكيران أو حديثه عن عيوب خصومه أو استعماله لغة الرموز والنكت والاستعارات والتشبيه وغيرها تشير إلى أنها لم تكن عشوائية أو اندفاعية بل كانت موجهة لتحقيق تأثير على الجماهير.

وفيما يتعلق بنظرية المجتمع الشبكي أو مجتمع الشبكة لـ مانويل كاستلز، فإن السمة التي ميزت تواصل حزب العدالة والتنمية خلال فترة الدراسة أي خلال ولايتي ترؤسه الحكومة، استعمال أسلوب تواصل أكثر بساطة، يصل إلى جمهور أكبر مقارنة بخصومه السياسيين، وبالتالي كان الهدف التأثير على الفاعلين غير السياسيين على الشبكات المعنية، لفهم رسائله بسهولة أكبر من رسائل الفاعلين السياسيين الآخرين على الشبكة. وتميز هذا التواصل بالرغبة في الوصول reach إلى جماهير عريضة من خلال استعمال منصة فيسبوك ويوتيوب، كوسائل تقنية حديثة أو كشعبوية تقنية بمحتوى بسيط وسهل الفهم والتفسير، لتحقيق نسب مشاهدة كبيرة. استخدم حزب العدالة والتنمية كفاعل سياسي الاتصال الذاتي الجماهيري على الشبكة لتقديم محتوى سياسي، لمدح ذاته والتهجم على خصومه لاسيما خلال فترة الحملات الانتخابية.

غير أن تواصل بنكيران تميز أحيانا بالغموض والتناقض خصوصا عندما يتحدث عن جهات غير مرئية يرمز إليها بأسماء حيوانات أو بكائنات غيبية، مع أنه يدعي أنه يعرف هذه الجهات. أيضا عندما يتحدث أنه يتعرض للتهديد

من دون الكشف عن الجهة التي تهدده وعن عدم وضعه لشكايات في الموضوع لدى القضاء، فيتعهد عدم الخوض في وصف هذه الجهات أو إعطاء أسمائها.

وقد وظف بنكيران أساليب لغوية في تهجمه على خصومه في التعبير المجازي الذي وظفه لذلك، كالاستعارة، التشبيه، الكناية، الشعارات، التكرار، أسلوب المبالغة، الاستفهام الاستنكاري، التعجب، والأفعال المساعدة، والضمائر، وغيرها.

وبناء على النموذج الاجتماعي المعرفي لتيون فان ديك في تحليل الخطاب النقدي، والذي كما أشرنا في المقدمة أنه ينظر إلى اللغة كأداة لتطويع الخطاب وجعله مجالاً للممارسة السلطوية السياسية، التي تتضمن الرغبة في الهيمنة عبر الاختيارات اللغوية المقصودة، فمن خلال المربع الأيديولوجي لفان ديك "أنا والآخر"، تكشف عدداً من الأهداف الخفية لخطاب قيادي حزب العدالة والتنمية. وبذلك يمكن استنتاج العديد من المواقف الأيديولوجية الخفية، فيتضح في كثير من تصريحات وخطب بنكيران أنها لعبت دوراً حاسماً في إنتاج المعتقدات والمواقف تجاه الحزب وتجاه خصومه منذ فترة الربيع العربي 2011 إلى نهاية ولايته على رأس الحكومة، بعدما خلقت نصوص خطاباته تفاعلاً في سياقها الاجتماعي. وانطلاقاً من هذه النظرية في تحليل الخطاب فقد استخدم بنكيران خطاباً أيديولوجياً ذو نزعة قيمية أخلاقية بغرض تبرير أفكاره، وإقناع متابعيه، ومن أجل تشويه سمعة الآخر أي خصومه، باستعمال لغة استقطاب مهيمنة لدعم ذاته وحزبه داعمة مقابل ازدياد الآخر. وفي نفس النسق المنهجي للتحليل النقدي للخطاب، وفيما يتعلق بأهم استجابات الخطاب لدى حزب العدالة والتنمية تجاه السلطة، فقد تميزت كما لاحظنا في سياق هذه الأطروحة باستجابات ممناعة ورفض أحياناً لبعض قرارات الدولة، واستجابات رضوخ وتبعية وعدم اعتراض.

أولاً- الأطروحات والاستراتيجيات الخطابية الرئيسية في تواصل عبد الإله بنكيران تجاه المشهد

السياسي في المغرب

بالنظر إلى الإطار النظري والمنهجي لهذه الأطروحة وبالنظر إلى منهج تحليل الخطاب المتبع، فإن نتائج الدراسة أفضت إلى خلاصات مركزية تدور حول أهم الأطروحات والاستراتيجيات والاستجابات التواصلية التي تبناها حزب العدالة والتنمية من خلال قيادته وتحديدا تلك التي عبر عنها أمينه العام عبد الإله بنكيران. تبين الدراسة أن بنكيران تناول ستة أطروحات مركزية مثلت محاور خطبه وتصريحاته المرتبطة بالحياة السياسية المغربية، تضمنت الهجوم على الخصوم، انتقاد وسائل الإعلام، إلقاء اللوم والتصلب من المسؤولية وتحميلها للآخرين، التقليل من حجم المخاطر المحدقة بشعبية الحزب، التعبير عن التعاطف والدعم وأخيرا أطروحة الحزب الطاهر ومناضلوه الشرفاء.

أ- الأطروحة الأولى: الهجوم على الخصوم

وتعد هذه الأطروحة أهم أطروحة تبناها بنكيران والمنتسبين لحزبه، فقد تنوعت خطاباته الموجهة للهجوم وانتقاد خصومه السياسيين، وبظهور مؤشرات في تصريحاته على رغبة للإساءة لهم بشكل واضح من خلال تكرار عدد من الإهانات لخصومه السياسيين، وتحديدا لحزب الأصالة والمعاصرة وحزب الاستقلال و التجمع الوطني للأحرار والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وقياداتهم، متهما إياهم بالفشل وإثارة الفتنة والتحكم والمافيا و"البانديا" وغيرها من الصفات. كما تحولت مهاجمة بنكيران لإلياس العماري الأمين العام لحزب الأصالة والمعاصرة وحميد شباط الأمين العام لحزب الاستقلال وإدريس لشكر الكاتب الأول لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، إلى عادة تواصلية في عدد كبير من تصريحاته وخطبه، لاسيما خلال الفترة التي ترأس فيها الحكومة.

ب- الأطروحة الثانية: نقد وسائل الإعلام

شكلت هذه الأطروحة إحدى أهم الأطروحات المركزية في خطاب عبد الإله بنكيران، واستخدام النقد والاتهامات والسخرية والتهمك تجاهها. تعتمد بنكيران تكرار إطلاق مجموعة من الصفات القديحة عليها، لكونها تنتشر أخبارا وموادا

غير صحيحة إضافة إلى انتقاد مواقفها ضد حكومته. ويبدو أن الهدف من وراء ذلك هو محاولة نزع الشرعية عن المنابر الإعلامية المعارضة لسياساته أو المنتقدة له ولحزبه، في تعامله مع بعض القضايا أو بمناسبة تصريحاته.

ت- الأطروحة الثالثة: إلقاء اللوم والتنصل من المسؤولية وتحميلها للآخرين

اتخذ بنكيران هدفا مركزيا في معظم خطبه لاسيما عندما كان رئيسا للحكومة محاولا معاتبة الآخرين ولوم خصومه وتحميلهم مسؤولية فشل تدبير بعد قضايا الدولة، أو بعض القطاعات أو في عرقلة بعض القرارات الحكومية، بعض الأحيان هذه الأطراف التي يحملها المسؤولية لا تظهر ولا يكشفها ويتعمد استعمال لغة ترميز للإشارة إليها كما هو الأمر بالنسبة لاستعماله لقاموس الحيوانات لوصف هذه الأطراف.

ث- الأطروحة الرابعة: التقليل من حجم الخطر

اتسمت خطابات بنكيران في تعامله مع عدد من القضايا بنوع من اللامبالاة و التقليل من مخاطر نتائج تدبيرها، على شعبية الحزب وعلى مواقفه السياسية المستقبلية. ولعل ذلك مرده إلى ثقة زائدة في النفس وفي استمرار روح الضغط على الأنظمة السياسية في المنطقة بعد الربيع العربي، وأيضا ربما إلى عدم فهمه لتقلبات السياقات الاقتصادية والاجتماعية وتجاوز مرحلة وذهنية الربيع العربي، فاستمر في نفس نهجه الخطابى التصعيدي ضد الخصوم وفي ما يشبه تجاوز الخطوط الحمراء في الانتقاد وفي الحديث عن شخص الملك، فلم ينتبه لتغير الظروف بسرعة لاسيما في فشل تجارب انتفاضات الربيع العربي، ثم كان البت في بعض الملفات الاجتماعية بمثابة قبلة موقوتة مثل ملف التقاعد وملف صندوق المقاصة، التي كان للتعديلات التي أدخلها عليها خصوصا نظام المقايضة في أثمنة المحروقات، تأثير على شعبية الحزب فيما بعد مع مجيء سعد الدين العثماني لرئاسة الحكومة، وكان يقول أنه ماض في هذه الإصلاحات ولو انقصت من شعبية حزبه، وربما لم يكن يقدر تمام التقدير أو يتوقع حجم المخاطر ونتائجها على حزبه إذا ما هو غادر الحكومة ورئاسة الحزب. وقد يكون العثماني بعده واصل في نفس الأطروحة حينما ظل "يتفرج" على آثار جائحة كورونا اجتماعيا واقتصاديا بدون أي فعل صادر عنه بشكل مباشر. بل تعمد العثماني في إحدى خرجاته

الإعلامية رفقة وزير الصحة في الأسابيع الأولى من انتشار الوباء، طمأنة المغاربة بأن الفيروس ليس خطيرا، وبأنه يكفي وضع كمادة على مستوى الأنف والغم لتفادي الخطر وأن الوضع تحت السيطرة وليس هناك ما يخيف، ثم جاءت بعد ذلك فترة الحجر الصحي وما نتج عنها من تراجع في المداخل وفقدان مناصب الشغل وتوقف شبه كلي للحياة الاقتصادية وغيرها من الآثار.

ج- الأطروحة الخامسة: التعاطف وتقديم الدعم

تمثلت هذه الأطروحة في قضايا أهمها الدفاع عن أطر الحزب والتضامن معهم جراء مشاكل خاصة أو بمناسبة متابعات قضائية أو ملفات مشابهة، ثم إعلان بنكيران أحيانا كثيرة دعم بعض وزراء حكومته الذين خصمهم فيما بعد كعزيز أخنوش وزير الفلاحة، ثم تقديم الدعم لبعض قيادات الأحزاب الأخرى كحزب التقدم والاشتراكية وأمينه العام نبيل بن عبد الله. وأيضا دعمه لعدد من قرارات الملك وعدم مناقشتها بما في ذلك قرار بناء علاقات سياسية مع إسرائيل إضافة إلى بعض التعاطف الذي كان يظهره بنكيران من حين لآخر مع الفئات الاجتماعية الفقيرة كالأرامل مثلا.

ح- الأطروحة السادسة: الحزب الطاهر ومناضله الشرفاء

شكل مدح بنكيران لحزبه وللمنتسبين إليه أحد أهم عناصر خطبه وتصريحاته، مبرزا أنه حزب طاهر ومناضله شرفاء لا يعرفون السرقة أو ما شابه ذلك، وأنهم متواضعون ومتوسطو المعيشة والدخل، وأنهم لا يشبهون خصوم الحزب، الذين تحوم حولهم شبهات السرقة والاعتناء بدون سبب واضح وغيرها من الصفات. غير أن وقائع حدثت كسرت هذه الصورة بشكل ما لدى الجماهير المغربية لاسيما تلك التي تناولتها الصحافة على أنها فضائح أخلاقية لقياديين وأطر في حزب العدالة والتنمية وفي حركة التوحيد والإصلاح.

ثانيا- استراتيجيات الخطاب المستخدمة من قبل عبد الإله بنكيران

اعتمد بنكيران بالأساس على إلقاء خطب جماهيرية سواء في الفضاءات المفتوحة أو داخل القاعات كأسلوب تواصل رئيسي، مع استعمال شبكات التواصل الاجتماعي لنقل هذه اللقاءات سواء في الوقت الحقيقي لخطبه، أو بعد

تقطيعها وتنزيل أهم مضامينها خصوصا في يوتيوب أو فيسبوك. حاول بنكيران توظيف هذه الاستراتيجيات بغية منح خطابه قوة الإقناع لدى متابعيه، و لرسم صورة قد تحظى بإعجاب جزء كبير من المغاربة، وشملت هذه الاستراتيجيات الخطابية على:

أ- استراتيجية تقديم ذاته الشخصية وتطابقها مع الذات الحزبية والإسلامية

هناك العديد من المقاطع تضم تصريحات بنكيران يعبر فيها عن رضاه ويمدح فيها نفسه كأمين عام للحزب، وكناشط إسلامي قديم، ويمدح فيها حزبه والمنتسبين لتنظيمه السياسي. يقدم بنكيران نفسه كمنقذ للبلاد وللنظام السياسي ككل، وأنه محب للملك وللشعب وأنه يخلص في عمله ولديه شجاعة لاتخاذ القرارات الصعبة أحيانا، مقابل إصراره على تقديم سلبه للآخر في خطابه أي خصومه ومنافسوه، خاصة خصومه السياسيين، الذين قدمهم على أنهم فاسدون وسلطويون يشكلون خطرا على الدولة وليست لهم أي رؤية سياسية لحل المشاكل ولا يريدون الخير للبلاد ومزيفون، وغير جديرين بالثقة.

ب- استراتيجية البحث عن الاعتراف والثقة وبث الأمل في حزبه

يبدو أن هدف بنكيران من خلال هذه الاستراتيجية هو التأثير في مؤسسات الدولة وفي المواطنين، لكسب ثقتهم ومساندة حزبه في الاستمرار في قيادة المشهد السياسي، وتعزيز صورته لديهم، مستعملا لغة شعبية بسيطة وخطاب شعبي للتواصل مع أتباعه، لإثارة مشاعر متناقضة ما بين الغضب من الواقع ومن الخصوم وأيضا الخوف من المستقبل إذا هم حكموا مؤسسات الدولة كما يسعى أحيانا إلى نشر مشاعر الأمل والحماس في نفوس المتابعين والمنتسبين لحزبه.

ت- استراتيجية صناعة الخصم و لعب دور الضحية

استعمل بنكيران هذه الاستراتيجية باعتبار أن حزبه تعرض لكثير من الاهتمام من قبل وسائل الإعلام، هذا الاهتمام الإعلامي ينطوي على كثير من النقد، فيستعمل بنكيران الخطب ونشرها عبر منصات التواصل الاجتماعي

للدفاع عن خطابه أو عن سلوك حزبه وقياداته، مستعملا نفس اللغة البسيطة السهلة وغير الرسمية أو الصعبة مع التعبير الجسدي عن التأثر بالبكاء مثلا، وذلك لكي تفهمه وتتعاطف معه كل الفئات الاجتماعية. يستعمل بنكيران هذه الاستراتيجية للتذكير بما يصفه من تضيق تعرض له وبما يقصده من معاملة غير عادلة مع حزبه، مما يمكنه من التأثير في الجماهير بخلق حالة وإحساس لدى جمهوره المستهدف أنه يتعرض لهجوم غير عادل، وبالتالي يستمر في زرع الشك وعدم الثقة في المؤسسات الإعلامية وفي خصومه. غير أن الملاحظ أنه كلما تجاهل الخصوم تصريحات بنكيران، وكلما كان الخصوم أقل هجومية كلما فقد الحزب وقيادته القدرة على مواصلة الهجوم عليهم، نظرا لكونه يجيد صناعة ردود الفعل من خلال الخطابات المضادة التي تصدر عن الخصوم.

ث - استراتيجية وضع المقارنات

يتعمد بنكيران في عدد من خرجاته الإعلامية والخطابية، على وضع مقارنات بينه وبين خصومه وبين حزبه وبين باقي المنافسين، مستخدما لغة الأخلاق والقيم والدين وليس لغة المنجزات والأرقام في الغالب الأعم. أحيانا يشير وينتقد عددا من السياسات العمومية للحكومات السابقة خصوصا تلك المرتبطة بمواضيع اجتماعية، كتعويضات الأرامل مثلا. فيقوم بانتقاد ومهاجمة خصومه واصفا إياهم بغير الأكفاء أو المشبوهين أو ذوي مصالح خاصة كما فعل مع عزيز أخنوش قبيل انتخابات شتنبر 2021، حيث قام بانتقاده وأنه غير مؤهل للسياسية وعليه أن يظل في عالمه الاقتصادي وأن ينشغل بمشاريعه أفضل من أن يدخل غمار السياسة.

ج- استراتيجية التهكم والسخرية

شكلت هذه الاستراتيجية في استخدام الضحك و السخرية أحد أهم محتويات خطب بنكيران ضد خصومه السياسيين، وضد بعض النخب المغربية.

ح- استراتيجية التبرير

يلجأ بنكيران في خطبه لاسيما عندما كان رئيسا للحكومة، إلى استعمال استراتيجية التبرير كلما تعرض لاحتجاج أو اعتراض أو انتقاد لقراراته أو لعدم الرضا سواء من قبل وسائل الإعلام أو من خصومه السياسيين، مرجعا ذلك إلى قوى خفية تحارب مشاريعه وتعرقل عمل حكومته وحزبه، متعهدا أنه سيواصل مواجهتهم والتصدي لهم، مذكرا بعلاقته المتميزة مع الملك خصوصا، وذلك ربما لإعطاء صورة بأن الملك يدعمه وأن من يعارضه داخل الدولة هم جهات مجهولة.

خ- استراتيجية الاستخفاف والإنكار

يتعمد بنكيران في خطبه التقليل من حجم المخاطر على شعبيته وعلى شعبية حزبه جراء عدد من القرارات اتخذها فخلقت تدمرا اجتماعيا، أو أن ينكر علاقته ببعض القرارات كما فعل في قضية تعثر مشاريع الحسيمة منارة المتوسط التي بسببها أقيمت عدد من الوزراء. وتضمنت استراتيجية التهوين من بعض القرارات خصوصا تلك التي جاءت في إصلاح أنظمة التقاعد ونظام صندوق المقاصة برفع الدعم العمومي عن المحروقات، أن هذه قرارات ضرورية لإصلاح الدولة وإنقاذها من الأزمة، ولن يكون لها تأثيرات سلبية على المغاربة.

د- استراتيجية التضامن

كانت بالأساس موجهة إلى المنتسبين لحزبه، في دفاعه عنهم كلما تعرضوا لهجمات إعلامية، كما حدث مع أمينة ماء العينين ومحمد يتيم عندما تعرضا لانتقادات من قبل وسائل الإعلام فيما سمي بالفضائح الأخلاقية، أو في قضية حامي الدين الذي يتعرض للمحاكمة في قضية مقتل شاب يساري في التسعينيات من القرن الماضي أو في قضية بالقايد عمدة مراكش السابق في ملفات شبهاة جرائم مالية وغيرها من القضايا. كما كان يعبر عن تضامنه مع شخصيات سياسية مغربية أخرى وأحزاب مغربية.

ذ - استراتيجية نزع الشرعية عن وسائل الإعلام

يهدف أيضا هذا التأثير على مكانة وسائل الإعلام لمحاولة إثبات أن بنكيران وحزبه وقياداته هي مصدر الصدق والحقيقة ودونه الزيف والكذب، وهو ما يطلق عليه "جورج لاكوف George Lakoff"، بالتأطير الانحرافي Deflection Framing، الساعي للهجوم بغية تغيير الاتجاه، عبر توجيه الاتهامات بطرق مختلفة من أجل نشر ما يريد من أفكار وأخبار على أنها الحقيقة. هذه الاستراتيجية تسمح لبنكيران بتمييز نفسه كبطل شجاع لا يخاف من الإعلام وبأنه القائد السياسي الوحيد الذي ينتقد الأساليب الملتوية لوسائل الإعلام، في محاولة لسحب الثقة من التقارير الإعلامية، والتي تنتقد الكثير منها حزبه وتدبيره الحكومي.

ر - استراتيجية التنافس في التمثيل الديني

سعى حزب العدالة والتنمية وحركة التوحيد والإصلاح على منافسة الدولة ومؤسساتها فيما يتعلق بالتمثيل الديني، من خلال اصدار الفتاوى أحيانا أو التعليق على بعض اجتهادات المالكية وعدم التعامل الايجابي مع التصوف أو بتبني قراءات سلفية مشرقية. ويبدو أنهما أي الحزب والحركة حاولا تبني رؤيته منافسة لمذهب الدولة والحلول محلها جماهيريا كتنظيم ديني وفقهي بديل عن الدولة. فكانت الرغبة واضحة في منافسة الدولة على مسألة التمثيل الديني تجاوزت "مهمة" التكامل مع الدولة في تصريف الأمور العقديّة، رغم وجود وثيقة دستورية ونصوص قانونية توّظد مكانة مؤسسة إمارة المؤمنين، من خلال التميز بين الصلاحيات والاختصاصات الدينية للملك، والاختصاصات السياسية المرتبطة بتدبير السياسات العامة، وتحدد مؤسسات الإفتاء الشرعي.

يبدو أن حزب العدالة والتنمية يستعمل نفس اللغة الدينية للمؤسسات الدينية للدولة المغربية، غير أن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد تشابه شكلي مع اختلاف وظيفي جوهري. فخطاب الدولة الديني يروم بالأساس تلبية الحاجات العقديّة للمؤمن والمتدين وتحسينه من اللجوء إلى مذاهب أجنبية غير منسجمة مع أسس المذهب المالكي ومع المكون الصوفي فيه، في حين أن استراتيجية خطباء العدالة والتنمية تبدو أنها محاولة لخلق التميز عن الخصوم والتنافس من

أجل هدف سياسي وهو استمالة الجماهير. ويمكن التمييز بين استهلاك الخطاب الديني بين الدولة ومؤسسة المجالس العلمية والعلماء المالكيين وبين استعمالات حزب العدالة والتنمية وحركة التوحيد والإصلاح في نقط الاختلاف الآتية:

• مؤسسات الدولة و الاستعمال الشرعي للخطاب الديني:

- من وجهة نظر قانونية: استعمال مؤطر ومنظم.
- من وجهة نظر فقهية: تطابق مع المذهب المالكي في بعده الصوفي.
- من وجهة سياسية: تثبيت إمارة المؤمنين ومذهب الدولة الديني في المجتمع ونزع الشرعية عن مخالفي توجهات أمير المؤمنين.

• حزب العدالة والتنمية واستعمال الخطاب الديني في العملية السياسية:

- من وجهة نظر قانونية: استهلاك مفرط وخروج عن روح النصوص القانونية وإخلال بقواعد التنافس.
- من وجهة نظر فقهية: امتثال متذبذب للمذهب المالكي وممارسة مدارس فقهية سلفية وعدم وضوح المسافة مع ما نسميه خط التسلف الكامن داخل التنظيم السياسي لاسيما في نخب جماعة التوحيد والإصلاح.
- من وجهة نظر سياسية: مقاومة المختلف عن الحزب سياسيا واستمالة الجماهير، ومحاولة التقرب إلى أمير المؤمنين و إضعاف الخصوم دعاة الحداثة، وتثبيت الدور الديني والتنفيذي المحافظ للملكية، و دعمها أمام دعاوى الحداثة مع الدفاع على القيم الليبرالية المحافظة.

ثالثا- الجوانب السيكو-استراتيجية لخطاب بنكيران

تتمحور هذه الجوانب حول تجليات الصلابة النفسية Psychological Hardiness، التي تكشف بعض الملامح النفسية لشخصية بنكيران، والتي قد تكون مهمة في تحليل خطاباته على مختلف المنصات. وهناك مقياس

علمي لهذه الجوانب السيكلوجية في تحليل الخطاب¹³⁷⁹، وضعته سوزان كوبازا¹³⁸⁰ (1982) S.Kobasa وهو يشتمل على ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

1- **الالتزام Commitment**: وهو القدرة التي يمتلكها الفرد على تحديد أهدافه وتحقيقها، وتقدير إمكاناته، واتخاذ القرارات الملائمة لأهدافه وقيمه، ويشمل الالتزام تحمل الفرد للمسؤولية تجاه نفسه وتجاه أهدافه، وأيضاً تجاه الآخرين، ومدى قدرته على التعامل بإيجابية خلال الفترات الصعبة والأحداث الضاغطة، ويمكن قياس هذا العنصر في خطاب بنكيران من خلال ما يظهر في مضمون خطبه تجاه الأحداث والتي كان يعبر فيها عن قوة وعن صمود لاسيما تلك المرتبطة بمواجهة حركة 20 فبراير أو قيادات حزب الأصالة والمعاصرة.

2- **التحكم Control**: وهو اعتقاد الفرد بأنه قادر على التحكم في الأحداث والمواقف الضاغطة التي يواجهها، وبأنه قادر على التعامل معها، وإدراكه لهذه الضغوط بأنها غير مستمرة، والميل نحو الشعور أنه فعال ولديه القدرة على التأثير في أحداث الحياة ومواجهتها بدلاً من الاستسلام والشعور بالعجز، ويقصد بها في هذه الدراسة، مقدار اعتقاد بنكيران أنه بإمكانه التحكم واتخاذ القرارات المسؤولة والواعية فيما يواجهه من أحداث سياسية داخل الحزب أو في الحياة السياسية المغربية ككل، وقدرته على تحمل المسؤولية تجاه الأحداث.

3- **التحدي Challenge**: وهو قدرة الفرد على إدراك المشكلات على أنها تحديات وليست تهديدات، والبحث عن حلول لها، والتكيف مع مواقف الحياة الجديدة، وقدرته على مواجهة الأحداث الضاغطة بفاعلية، مما

1379 Paul T. Bartone, "Big five personality factors hardiness and social Judgment as predictors of leader performance Leadership and Organization" in Development Journal, Vol 30, No 6, 2009, pp. 498-521.

Published in: <https://urlz.fr/mlvs>

1380 Shazia Faiz, "Perception of Politics and its Dual Outcomes :The Moderating Role of Psychological Hardiness Abasyn", in Journal of Social Sciences. Vol 11, Issue 1, 2018, pp:117-130. Published in:

<https://urlz.fr/mlvo> ,

https://www.researchgate.net/publication/343473343_Perception_of_Politics_and_its_Dual_Outcomes_The_Moderating_Role_of_Psychological_Hardiness

يساعده على التكيف السريع في مواجهتها، ويقصد بها هنا، مدى اعتقاد بنكيران أن ظهور حزب الأصالة والمعاصرة مثلا هو تحدي لحزبه وليس تهديدا له، ويجب التصدي له بحشد الجماهير لكونه يشكل تحديا له ولحزبه في طريق تصدر الانتخابات والبقاء في الحكومة. كما تبدو هذه الرغبة في التحدي عندما كان يتحدى بنكيران خصومه منهم حميد شباط وإلياس العماري في أمور متعلقة بالكشف عن معطيات أو عن ثرواتهم ومصادر تمويلهم وغيرها من الأمور.

خاتمة

بعد مشاركة مثيرة للنقاشات لحزب العدالة والتنمية منذ سنة 1997 في الحياة السياسية بطريقة شرعية وعلنية، تصدر خلالها المشهد السياسي لولايتين انتخابيتين في سنة 2011، ثم في سنة 2016، وترأس خلالهما الحكومة وشارك فيها بوزراء في قطاعات متعددة، كانت محطة انتخابات شتبر 2021، سقوطا "حرا" نحو آخر الترتيب. في نظرنا أن لهذا السقوط ولهذا التراجع أسباب كثيرة تناولنا أهمها في هذه الأطروحة، ومنها ما هو بنيوي مرتبط "بجينات" التنظيم وجذوره الفكرية، ومنها ما هو مرتبط بخطابه وأسلوب تواصله.

يمكننا القول إجمالاً أن هناك ثلاث مكونات للأزمة التي يعيشها حزب العدالة والتنمية، شكلت لديه مانعا في الاستمرار في مسار الريادة وفي الحفاظ على القدرة على إنتاج الذات السياسية داخل الدولة والمجتمع المغربيين، بشكل متجدد.

المكون الأول في نظرنا مرتبط بالولادة المأزومة، ومراجعاتها الفكرية غير المحسومة بشكل واضح ونهائي، ومخاضاتها العسيرة منذ بدايات الشبيبة الإسلامية إلى تبني قرار المشاركة السياسية، وبالتحولات من فكر الدعوة والجماعة إلى فكر الحزب والسياسة، ومرتبطة بالقدرة على فهم سيرورة النشأة وتاريخ وجود الفكرة الإسلامية في المجتمع المغربي، وعلى القدرة على تدبير العبور من تنظيم الجماعة الدعوية إلى تنظيم الحزب.

اصطدم الحزب بعدة إشكالات نظرية لم يحسمها بشكل يقيني وواضح، منها مثلا موضوع أزمة التوفيق بين مفهوم الأمة الإسلامية، أحد أهم العناصر المشكلة لشخصية الإسلامي، وبين مفهوم الدولة القطرية الترابية؛ موضوع الدولة الحديثة في علاقتها بالسيادة وفي مفهوم الدولة الإسلامية والحاكمية؛ وموضوع الحسم الارتباط بأنساق تنظيمية إسلامية أجنبية كجماعة الإخوان المسلمين والسلفية الحنبلية والوهابية.

المكون الثاني للأزمة نراه يتعلق بأزمة الخطاب الذي يتبناه قادة حزب العدالة والتنمية الذي كان يهدف في بداياته قبل دخول حزب الخطيب، إلى الحصول على الاعتراف من قبل السلطة، و إلى الاندماج في الدولة وفي النظام السياسي، وهو كان ولا يزال، في نظرنا خطاب أزمة يتناول بإسهاب أزمات علاقات الحزب مع الدولة ومع الخصوم ومع الإعلام ومع النخب، والذي أصبح خطابا دائما مع أنه خطاب أزمة يفترض فيه أنه مؤقت، فتحول في آخر المطاف إلى ما يشبه "اعتراف" خطاب المظلومية والمعارضة على حساب خطاب البناء وخطاب السياسات العمومية. ثم إن هذا الخطاب لا يساعد على بناء سياسيات عمومية تقيد المواطن مما يخلق نفورا تجاه الحزب لاسيما مع آثار فترة انتشار وباء كوفيد 19 التي كانت تتطلب حولا اقتصادية واجتماعية وليس خطاب خصومة.

ولقد شكل المتغير الديني الإسلامي أحد أهم روافد البنية النخبوية والتواصلية الخطابية للحزب، مما قد يثير سؤالا فرعيا حول كيفية اشتغال الحزب بهذا المتغير، هل كقناعة فكرية راسخة خصوصا لدى الجيل المؤسس، أم كأداة للتوظيف السياسي لاستمالة عواطف الجماهير؟

كان هذا الخطاب موجها إلى السلطة وإلى الخصوم، مطالبنا حيننا بالديمقراطية والتخليق وحيننا يعمل على تبرير وشرعنة قرارات الدولة. وفي نظرنا هذا الخطاب غير كاف للإجابة على مخرجات الأزمة الاجتماعية والاقتصادية وعلى الانتظارات الجماعية الشعبية المستعجلة للمواطنين. وهناك تجربة حزب النهضة الإسلامي في تونس الذي لم يسعفه خطاب الأزمة المتعلق بضرورة احترام الديمقراطية والحقوق الإنسانية في خلق قبول تام لدى الجماهير أو في الحصول على مساندة شعبية كما حصل في 2011، في واقع يحتاج إلى حلول اجتماعية واقتصادية مستعجلة.

تميز أيضا الفعل التواصلية لحزب العدالة والتنمية بانتشاره الجماهيري، كتعبير عن الهوية الدينية، بواسطة نصوص تبرز التقاطعات الواضحة بين الثقافي الديني بالخطابي السياسي، الشيء الذي يمكن اعتباره أنه يخلق نوعا من التسلط اللغوي والاقصاء المضر والعنيف لغويا للخصوم من الهوية الدينية.

المكون الثالث والأخير يتمحور حول قدرة قادة التنظيم فكريا على فهم عناصر السياق المغربي الحالي، المطبوع بمخلفات أزمت اجتماعية واقتصادية متنوعة نتجت عن أزمة كوفيد 19، وعلى فهم محاور وأوليات الدولة والمواطنين. لقد ظلت قيادة الحزب تعيش "حماسة اللحظة" المرتبطة بسياق 2011. مما يطرح التساؤل حول مدى قدرتهم من خلال التوافق والتنازل مع مطالب السلطة، على الحفاظ على مستوى الاندماج في النظام السياسي بالتعرف وتفهم طقوسه وأعرافه ورموزه ولغته، وفي تدبير العلاقة مع باقي الفاعلين السياسيين.

وتجدر الإشارة إلى أن الفشل الانتخابي لحزب العدالة والتنمية سنة 2021، أعاد إلى الواجهة وإلى النقاش الداخلي للحزب فكرة إعادة النظر في أطروحة الحزب وصناعة تصور جديد أو منقح، وهي فكرة سبق لعدد من الباحثين أن عبروا عنها بهدف إثارة الانتباه إلى ضرورة صرف النظر عن أطروحة الانتقال الديمقراطي التي يؤسس عليها الحزب رؤاه، و أن "بناء نظام سياسي حديث في المغرب، والخروج النهائي من مأزق ثنائية التحكم/الديمقراطية، والقطع نهائيا مع تاريخ الصراع السياسي في البلد.. لا يحتاج، ولن يتحقق باستدعاء مقولة الانتقال الديمقراطي، وبعثها من جديد، وإنما إلى تأليف مبدع بين التقليد والحداثة السياسية بما يحفظ للملكية حضورها الفعلي، ويتيح للمواطنين المشاركة في السلطة، من خلال ممثليهم"¹³⁸¹.

وفي الختام فإنه يمكننا أن نورد ملاحظة قد تكون مفيدة علميا لأي بحوث مستقبلية، وهي أن نصف فئات الشباب واليافعين الذين ولدوا في بداية "العهد الجديد" أي مع تولي الملك محمد السادس العرش سنة 1999، تكون قد عاشت نصف عمرها، وهي في مرحلة بداية نضجها ورشدها أي منذ فترات الربيع العربي 2010 و 2011، في زمن سياسي تميز بخطابات أزمة وخطابات يمكن وصفها بالشعبوية مع زمن تواصل حزب العدالة والتنمية ولاسيما من خلال عبد الإله بنكيران، مما يحيلنا على سؤال مراعاة "البيداغوجيا السياسية" في الخطاب السياسي وفي عملية

1381 جبرون امحمد، "البيجدي مطالب بالتخلي عن أطروحة الانتقال الديمقراطي ومواجهة التحكم"، جريدة اليوم 24 الإلكترونية، المغرب، بتاريخ 15 غشت 2016، الرابط: <https://alyaoum24.com/682453.html>

التنشئة وعملية البناء الاجتماعي للعمر، باعتبار أن هناك فئات عمرية قد لا ينتبه إليها أحد في تواصله السياسي، وقد يحدث لديها سوء فهم للسياسة ينتج عنه عزوف سياسي وعدم ثقة في المؤسسات ككل. هذا بالإضافة إلى إمكانية إلحاق الضرر بملكاتها التواصلية ولاستجاباتها تجاه خطاب الفاعلين السياسيين. ولعل هذا ما يفسر جزءا مما نشهده اليوم عبر منصات التواصل الاجتماعي من آثار لتلك المرحلة التواصلية، في تعاطي رواد المنصات مع القرارات والمواقف السياسية والرسمية.

المراجع

المراجع باللغة العربية

➤ الكتب والمؤلفات

- أكنوش عبد اللطيف، "المكانة الاجتماعية والسياسية للشرفاء في المغرب"، في مجلة أبحاث، المغرب، العدد 18، 1988.
- أكنوش عبد اللطيف، "تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية"، في أفريقيا الشرق، المغرب، 1987.
- أكنوش عبد اللطيف، السلطة والمؤسسات السياسية في مغرب الأمس واليوم، مكتبة بروفانس البيضاء، 1998.
- إبراهيم أبراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الطبعة الأولى، 1998.
- إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2011.
- إبراهيم القادري بوتشيش، النكتة مصدرا تاريخيا، هل يساهم النص المضحك في كتابة التاريخ العربي؟، مجلة أسطور، العدد 13، يناير 2021.
- إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في قضايا المجتمع والحضارة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.
- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الجزء الثاني، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2011.
- إبراهيم حمادة بسيوني، دور وسائل الاتصال في صنع القرارات في الوطن العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، فبراير 1993.
- إبراهيم عبد الله غلوم، بنية الكوميديا الهزلية، دار الانتشار العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2012.
- ابن خلدون: المقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، 1972.
- ابن رشد، الكتاب الكبير للنفس لأرسطو، الترجمة من اللاتينية إلى اللغة العربية: إبراهيم الغربي، دار الحكمة، 1997.

- أبو اللوز عبد الحكيم، الحركات السلفية في المغرب (1971-2004) بحث أنثروبولوجي وسوسيولوجي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، 79، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نونبر 2009.
- ابواللوز عبد الحكيم، "الحركات والتنظيمات الإسلامية في المغرب"، موسوعة "الحركات الإسلامية في الوطن العربي"، إشراف د. عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، يناير 2013.
- أحمد حسن السمان، الإعلام والسياسة، التسويق السياسي في القرن 21، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2018.
- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1993.
- أحمد شكري السباعي، الوسيط في الأصل التجاري، الجزء الثاني، مطبعة المعارف الجديدة لرباط، 2008.
- أحمد قادم وآخرون، التحليل الحجاجي للخطاب، دار الكنوز، الطبعة الأولى، الأردن، 2016
- أركون محمد، "دولة القانون أو التحرير الثاني للمغرب الكبير"، في مجلة المناهل، العدد 14، السنة 19، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 1993.
- أركون محمد، قضايا في نقد العقل الديني، دار الطليعة، بيروت، 1988.
- إريك ميغري، سوسيولوجيا الاتصال والميديا، ترجمة: نصر الدين لعياضي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، الطبعة الأولى، المنامة، 2018.
- أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، عدد 177، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شتبر 1987.
- أكنوش عبد اللطيف، السلطة والمؤسسات السياسية في مغرب الأمس واليوم، مكتبة بروفانس، الدار البيضاء، 1988.
- امحمد جبرون، تاريخ المغرب المعاصر (1912-1999) من الحماية إلى وفاة الملك الحسن الثاني، دار الإحياء للنشر والتوزيع، طنجة، المغرب، مارس 2023.
- أنيتا فيترز و جيردا إيغا لورباخ، الخطاب السياسي في وسائل الإعلام منظورات عبر الثقافات، ترجمة عيسى علي العاكوب، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى 2016.

- أوريد حسن، السياسة والدين في المغرب جدلية السلطان والفرقان، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2020.
- بحكاك حميد، "الإسلاميون المغاربة بين الدعوة والدولة حركة التوحيد والإصلاح نموذجا، منشورات دفاتر سياسية، الطبعة الأولى، 2009.
- البدادي عبد اللطيف، الخطاب السياسي المغربي الحديث واستراتيجيات إنتاج السلطة، ضمن كتاب جماعي بعنوان قراءة في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير، الطبعة الأولى 2016.
- برشيد عبد الكريم، المسرح الاحتفالي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، 1989.
- برشيد عبد الكريم، حدود الكائن والممكن، سلسلة الدراسات النقدية، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1985.
- بسمة عبد العزيز، سطوة النص، خطاب الأزهر وأزمة الحكم، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، مصر، الطبعة الأولى، 2016.
- بن أحمد، حوكا، إغواء المنصب وإعراض اللقب: طرح إبستمولوجي في نقد النخبة المحلية، مجلة وجهة نظر، عدد 43، شتاء 2010.
- بن زيدان عبد الرحمان، من قضايا المسرح الغربي، مطبعة صوت مكناس، المغرب، 1979.
- بن شقرون محمد، مظاهر الثقافة المغربية في عهد المرينيين، مطبعة الرسالة، الرباط، 1982.
- بنكيران عبد الإله، الحركة الإسلامية وإشكالية المنهج، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.
- بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت و المتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، فبراير 1991.
- بوشتي بوكزول، المغاربة والقدس جوانب من العلاقات التاريخية، الطبعة الأولى، طوب بريس، الرباط، 2015.
- بوصوف عبد الله، في الحاجة إلى وسطية الإسلام التدين المغربي نموذجا، الطبعة الأولى، 2019، مطبعة أمين كراف، سلا، المغرب.

- بول ريكور، نظرة التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي ببيروت، 2003.
- بيير بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1986.
- التاقي البشير، الحركة الإسلامية والمشاركة السياسية بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، 2009.
- التليدي بلال، الإسلاميون والربيع العربي، الصعود، التحديات، تدبير الحكم، (تونس، مصر، المغرب، اليمن)، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، الطبعة الأولى 2012.
- التليدي بلال، مراجعات الإسلاميين، دراسة في تحولات النسق السياسي والمعرفي، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2013.
- التليدي بلال، ذاكرة الحركة الإسلامية المغربية، طوب بريس، الرباط، 2008.
- التوازني نعيمة هراج، الأمناء في المغرب في ظل حكم السلطان المولى الحسن 1873-1894، مطبعة فضالة، المحمدية، 1985.
- ج. ب. تايلور، الصراع على سيادة أوروبا 1918 - 1848، ترجمة فاضل جنكر، الطبعة الأولى، كلمة أبو ظبي الإمارات العربية المتحدة والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2009.
- جبرون امحمد، الملكية في أفق جديد، أسئلة الدين والديمقراطية والنموذج التنموي، دار الإحياء للنشر والتوزيع، طنجة، الطبعة الأولى، 2023.
- جاسم سلطان، أزمة التنظيمات الإسلامية الإخوان نموذجاً، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2015.
- جاسم سلطان، التفكير الاستراتيجي والخروج من المأزق الراهن، مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، الطبعة الثانية، 2010.
- جاسم سلطان، قواعد في الممارسة السياسية، مشروع النهضة سلسلة أدوات القادة، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، 2008.
- الجموسي جوهر، الافتراضي والثورة مكانة الأنترنت في نشأة مجتمع مدني عربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، مارس 2017.
- جنوبي محمد، الأولياء في المغرب الظاهرة بين التجليات والجزور التاريخية السوسيو ثقافية، مطبعة دار القرويين، المغرب، 2004.

- جون واتربوري، أمير المؤمنين.. الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، الطبعة الأولى 2004.
- الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت، يونيو 1998.
- حسام الدين فياض، نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر دراسة في علم الاجتماع التأويلي، المكتبة الإلكترونية: مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، <https://books-library.net/sitemap> الطبعة الأولى، 2018.
- حسام تمام، الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، دار الشروق، الطبعة الثانية، 2013، القاهرة، مصر.
- حسن أوريد، الإسلام السياسي في الميزان (حالة المغرب)، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2016
- الحسين أعبوشي، "جدلية الصراع في شأن الطبيعة الدينية والمدنية للدولة في المغرب"، في الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (مؤلف جماعي)، الجزء الثاني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2017.
- حمودي عبد الله، الحداثة والهوية، سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين واللغة، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2015.
- حمودي عبد الله، الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطوية في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة عبد المجيد الجحفة، دار النشر توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الرابعة، 2010.
- حنفي حسن "الأصولية الإسلامية"، سلسلة الدين والثورة في مصر 1981-1952، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- خالد بنجدي، قراءة حول مظاهر السلوك الانتخابي للاقتراع التشريعي ل 25 نونبر 2011، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 102، يناير 2012.
- الخالدي محمود، نقض الديمقراطية، دار الجيل، بيروت، ومكتبة المحتسب، عمان، 1984.
- الخالدي محمود، نقض الديمقراطية، دار الجيل، بيروت، 1984.
- الخطيبي عبد الكبير، النقد المزدوج، منشورات عكاظ، الرباط، 2000.
- دارن أ. شركات، كريستوفر.ج. إليسون، روناى ستارك، لورانس ر. إياناكوني، السوق الدينية في الغرب، ترجمة عز الدين عناية، الطبعة الأولى، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، 2012.

- دانييل ريفيه، تاريخ المغرب من مولاي إدريس إلى محمد السادس، ترجمة أحمد ابن الصديق، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2022.
- الراعي علي، المسرح في الوطن العربي، سلسلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الطبعة الثانية، الكويت، 1999.
- راندة عاشور، عبد العزيز بسيوني، الحملات الانتخابية عبر الإعلام الجديد، المكتب العربي للمعارف، القاهرة جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 2017.
- رشدي فكار، تأملات إسلامية في قضايا الإنسان والمجتمع، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1987.
- رفعت سيد أحمد، النبي المسلح الرافضون، رياض الريس، ج1، لندن، 1991.
- رقية المصدق، منعطف النزاهة الانتخابية: معالم الانحسار في تدبير الانتخابات التشريعية المباشرة، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006.
- رمضان مصطفى، قضايا المسرح الاحتفالي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سورية بدمشق، الطبعة الأولى، 1993.
- الريسوني أحمد، الحركة الإسلامية صعود أم أفول، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2014.
- الريسوني أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995.
- ريمي لوفو، "الإسلام والتحكم السياسي في المغرب"، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، العدد 13-14، 1991/1992.
- الزاهي نور الدين، الزاوية والحزب، الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، 2003.
- زكريا بن صغير، الحملات الانتخابية مفهومها وسائلها وأساليبها، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- زين الدين محمد، الدستور ونظام الحكم بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى 2022، الدار البيضاء.

- سحنون زكرياء، الخطاب السياسي لعبد الإله بنكيران قراءة في الأسس الفكرية والمنهجية، طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى 2016.
- سعيد خمري، قضايا علم السياسة مقاربات نظرية، دار المناهل الرباط، 2018.
- سعيد نكاوي، المشهد الحزبي بالمغرب بين التحالف والانشقاق، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الأولى، 2003.
- سيد علي شتا، نظرية الدور والمنظور الظاهري لعلم الاجتماع، الطبعة الأولى، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، 1999.
- سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، الطبعة السادسة، 1979.
- شحور محمد، تجفيف منابع الإرهاب، سلسلة دراسات إسلامية معاصرة، الناشران: الأهالي للتوزيع، دمشق، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.
- شريعتي علي، دين ضد الدين، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 2007، رابط الكتاب:
<https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%B6%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-pdf>
- شقير محمد، السلوك الانتخابي بالمغرب بين الشفافية السياسي والمقاطعة الشعبية، منشورات دفاتر سياسية، 2014.
- شقير محمد، تطور الدولة في المغرب إشكالية التكون والتمركز والهيمنة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن العشرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2002.
- الصاوي صلاح، نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، دار طيبة، الرياض، النسخة الإلكترونية بتاريخ 05 شتنبر 2011، الرابط في مكتبة نور الإلكترونية <https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D9%88%D8%A3%D8%AB%D8%B1%D9%87%D8%A7-%>

[%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B4%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D8%A9-](#)
[%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-](#)
[%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B6%D8%B9%D9%8A%D8%A9-pdf](#)

- الصغير عبد المجيد، المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية: قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010.
- ضريف محمد، الإسلام السياسي في المغرب مقارنة وثائقية، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الثالثة، 1992.
- ضريف محمد، الحقل الديني المغربي ثلاثية السياسية والتدين والأمن، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، نونبر 2017.
- ضريف محمد، مؤسسة السلطان الشريف بالمغرب محاولة في التركيب، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1988.
- ضريف محمد ، الإسلام السياسي في المغرب: مقارنة وثائقية، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى، 1992.
- ضريف محمد ، الإسلاميون المغاربة حسابات السياسة في العمل الإسلامي 1969.1999، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، 1999.
- ضريف محمد، الحقل السياسي المغربي: الأسئلة الحاضرة والأجوبة الغائبة، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.
- ضريف محمد، النسق السياسي المغربي مقارنة سوسيولوجية، في أفريقيا الشرق، الغرب، 1991.
- طه عبد الرحمن، رُوح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2012.
- الطوزي محمد، الملكية والإسلام السياسي في المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، مارس 2001.
- عبد الحليم الزيات، التنمية السياسية دراسة في علم الاجتماع السياسي: البنية والأهداف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.

- عبد الحميد المودن، عبد الرحمان محمد مغربي، المغاربة في القدس الشريف نموذج من التعاون المغربي الفلسطيني، "الذاكرة التاريخية المشتركة المغربية - الفلسطينية، الجزء الأول، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2018.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، نسخة Pdf مكتبة ودار المدينة النورة الدار التونسية للنشر، 2012، رابط: <https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D9%85%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%AE%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%86-pdf>
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993.
- عبد الرحمان عزي، علم الاجتماع الإعلامي، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2010.
- عبد الرزاق الدليمي، الإعلام في ظل التطورات العالمية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة العربية 2017.
- عبد العزيز بن عبد الله، القدس تاريخيا وفكريا، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، مارس 1981.
- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي المغربي، 2012.
- عثمان الزياتي، الخطاب السياسي في المغرب بين منزلقات البلاغة وزلات اللسان، منشورات مجلة الحقوق، دار نشر المعرفة الرباط، الإصدار 46، 2017.
- العثماني سعد الدين، "المشاركة السياسية في فقه شيخ الإسلام ابن تيمية"، سلسلة الحوار 29، منشورات الفرقان.
- العثماني سعد الدين، الدين والسياسة تمييز لا فصل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2015.
- عطا الله أحمد شاکر، إدارة المؤسسات الإعلامية، ط1، دار أسامة للنشر، الأردن، 2015.
- عماد عبد الغني، السلفية والسلفيون الهوية والمغاربة قراءة في التجربة اللبنانية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2016.

- عماد عبد اللطيف، الخطابة السياسية في العصر الحديث، دار العين للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2015.
- عماد عبد اللطيف، تحليل الخطاب السياسي البلاغة، السلطة، المقاومة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2020.
- عماد عبد اللطيف، مقدمة كتاب سطوة النص خطاب الأزهر وأزمة الحكم، لبسمة عبد العزيز، دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات، مصر، الطبعة الأولى، 2016.
- العماري عبد الرحيم، نسق التواصل السياسي بالمغرب خطاب الكتلة الديمقراطية من الميثاق إلى التناوب 17 ماي 1992 . 14 مارس 1998، منشورات زاوية للفن والثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2005.
- الغالي محمد، "بناء الدولة الحديثة بين نظرية إمارة المؤمنين وأطروحات الإسلام السياسي في المغرب قراءة في فرص التعايش والاندماج ومخاطر التنازع"، في الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (مؤلف جماعي)، الجزء الثاني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2017.
- فران فينتورا، الخطاب السينمائي لغة الصورة، ترجمة: علاء شنانة، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة العامة للسينما، سوريا، دمشق، 2012.
- فريد الأنصاري، الأخطاء الستة للحركة الإسلامية بالمغرب، منشورات رسالة القراءان، 2007.
- فريد الأنصاري، البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، دار السلام، القاهرة، 2009.
- فؤاد معلال، شرح القانون التجاري الجديد، مطبعة الأمنية، الرباط، الطبعة الرابعة، 2012.
- فيليب ريتور، سوسيولوجيا التواصل السياسي، ترجمة خليل أحمد خليل، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت، لبنان 2008
- كاترين كيربرا-أوريكيوني، المضمرة، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.
- كتاب شبكات التواصل الاجتماعي، مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2016.
- الكلاوي محمد، المجتمع والسلطة دراسة في إشكالية التكوين التاريخي والسياسي للمؤسسات والوقائع الاجتماعية، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1995.
- كونيسا بيير، صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح ، ترجمة نبيل عجمان، العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، 2015.

- لحبيب معمري، التنظيم في النظرية السوسيولوجية، منشورات ما بعد الحداثة، فاس، 2009.
- لزرق عزيز، الدين والسياسة الدعوة والثورة، سلسلة دفاتر وجهة نظر، الطبعة الأولى، 2015.
- ليفي ستراوس كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1977.
- ليلى أبو زيد، ممالك المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2023.
- ماري تيريز جورنو، معجم المصطلحات السينمائية، تحت إدارة: ميشيل ماري، ترجمة: فائز بشور، نسخة الكترونية على رابط مكتبة نور، سنة 2009. الرابط: <https://urlz.fr/mMgh>
- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، سلسلة في الفكر النهضوي الإسلامي، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012.
- مجموعة مؤلفون، المغرب في سنة 2011، إشراف عمر حرشان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى 2012.
- مجير الدين العلمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، إعداد وتحقيق ومراجعة: محمود عودة الكعابنة، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، 1999.
- محمد أبو القاسم حاج حمد، الحاكمية، دار الساقى، بيروت، 2009.
- محمد أبو رمان، أنا سلفي، منشورات مؤسسة فريدريش إيبيرت، عمان، 2014.
- محمد أديب السلوي، الأحزاب السياسية المغربية 1934. 2014، مطابع الرباط نت المغرب، 2015.
- محمد الصديق الحافظي، الرباط في القدس توثيق لما تفرق بين الرحلات المغربية عن قيم القدس وفضائلها، منشورات وكالة بيت مال القدس الشريف، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2023.
- محمد الغزالي، هموم داعية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة السادسة، 2006.
- محمد عابد الجابري، مواقف إضاءات وشهادات، سلسلة كتب صغيرة شهرية، من ملفات الذاكرة، الكتاب الحادي والأربعون، الطبعة الأولى، يوليو 2005.
- محمد عمارة، الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق دراسة ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2000.
- محمد لكموش، الدين والسياسة في المغرب، منشورات أفريقيا الرشق، 2013.

- محمد نبيل ملين، السلطان الشريف الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة عبد الحق الزموري و عادل بن عبد الله، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مركز جاك بيرك، جامعة محمد الخامس السويسي، الرباط، المغرب، 2013.
- محمد سعود البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، 2000.
- المختار مطيع، المبادئ العامة للقانون الدستوري والمؤسسات السياسية، دار القلم، الطبعة الأولى، 2002.
- مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، 2000.
- مضي خديجة، محاضرات في القانون التجاري، جامعة ابن زهر، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكادير، 2010-2011.
- المعاشي ربيعة، حدود العلاقة بين المؤسسة الملكية والحركة الإسلامية بالمغرب، مطبعة الحمامة، تطوان، الطبعة الأولى 2021.
- المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار، المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمة محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2006 .
- المودودي أبو الأعلى، الخلافة والملك، ترجمة: أحمد إدريس، دار القلم، 1978.
- المودودي أبو الأعلى، منهاج الانقلاب الإسلامي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1988.
- موسى جواد الموسوي، الإعلام الجديد تطور الأداء و الوسيلة و الوظيفة، مكتبة الإعلام و المجتمع، بغداد، 2011.
- مي عبد الله، الدعاية وأساليب الإقناع، لبنان، دار النهضة العربية، 2006.
- ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سيلا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007.
- ميلود بلقاضي، الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، مكتبة دار السلام، الطبعة الأولى 2011.
- نوري إدريس، "مفهوم الأمة في الفكر العربي المعاصر بين التجاذبات الأيديولوجية السياسية ورهانات الحداثة ودولة القانون"، في الإسلاميون وقضايا الدولة والمواطنة (مؤلف جماعي)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الجزء الأول، بيروت 2016.

- هشام بن زروال، الدعاية السياسية: المفهوم والخطاب، قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، الطبعة الأولى، 2016.
- هشام جابر، النكتة السياسية عند العرب بين السخرية البريئة والحرب النفسية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 2009.
- هنري برغسون، الضحك: بحث في دلالة المضحك، ترجمة سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.
- هنري برغسون، الضحك، ترجمة: سامي الدروبي و عبد الله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1998.
- يتيم محمد، العمل الإسلامي والاختيار الحضاري، منشورات حركة الإصلاح والتجديد، الطبعة الرابعة، 1996.
- يتيم محمد، أوراق في المنهج الحضاري، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 2000.
- يوسف إدريس، نحو مسرح عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت، 1974.

➤ الأطروحات والرسائل الجامعية

- أمين عبد الإله، مقارنة سوسيو ثقافية للعمل الجمعي الحقوقي بالمغرب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، السنة الجامعية 2001-2002، كلية الحقوق، جامعة القاضي عياض، مراكش.
- الأنصاري محمد، أحكام ولاية العلم والعلماء اتجاه الدولة والمجتمع، أطروحة لنيل الدكتوراه في الفقه الإسلامي، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب، 2001-2002.
- بونعاج مربيه، السلوك السياسي للحركات الإسلامية بالمغرب، نموذج حركة التوحيد والإصلاح، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكدال، الرباط، السنة الجامعية 2007-2008.
- المهناوي محمد، التنظيم العسكري وعلاقته بالسلطة والمجتمع في العهد العلوي، أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة، 1996.
- الدكالي كريم، التأطير القانوني للحكومة الامنية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون الخاص، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية السويسي بالرباط، مختبر الدراسات والأبحاث القانونية والسياسية، السنة الجامعية 2021-2022.

- رشيد كديرة، النخب الإدارية بالمغرب: مدراء الإدارات المركزية نموذجا . دراسة نظرية وميدانية، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون، كلية الحقوق أكدال، جامعة محمد الخامس، الرباط، الموسم الجامعي 2004-2005.
- الزهراوي محمد، الحركة الإسلامية بالمغرب العربي، دراسة حول اشكاليات : المشاركة، التطرف، العنف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكدال، الرباط، السنة الجامعية، 2014-2015.
- طاوسي قاسمي، ترجمة أفعال الكلام من الإنجليزية إلى العربية في الخطاب السياسي دراسة تحليلية، رسالة لنيل الماجستير في الترجمة، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر2، 2006.
- عبد الحفيظ المنور، التواصل السياسي بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، يوليو 2023
- عيدودي عبد النبي، المجالس العلمية ورهان الإصلاح الديني بالمغرب، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية أكدال، الرباط، 2012-2013.
- قدار عبد الرحيم، المخيال الديني و الخطاب السياسي الحزبي في الجزائر نموذج : حزب جبهة التحرير الوطني و حركة مجتمع السلم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2011/2012.
- لشهب نور الدين، التواصل السياسي في الفضاء الجهادي بالمغرب، رسالة لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، السنة الجامعية 2020-2021.
- المتاقي البشير، الحركة الإسلامية والمشاركة السياسية بالمغرب حركة التوحيد والإصلاح وحزب العدالة والتنمية نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام، بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بمراكش، السنة الجامعية 2008-2009.
- محمد الزهراوي، الإسلام السياسي والسلطة في المغرب، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة محمد الخامس، كلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية أكدال، الرباط، السنة الجامعية 2005-2006.

- مشبال، محمد الأمين، بلاغة الخطاب السياسي السجالي عند عبد الإله بنكيران، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، السنة الجامعية 2020.2019
- مقتدر رشيد، "المشاركة السياسية عند الإسلاميين الإصلاحيين المغاربة، مساهمة لدراسة وتقييم المسار السياسي للإسلاميين بالمغرب"، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 314، السنة 27، أبريل 2005.
- مقتدر رشيد، الإدماج السياسي للقوى الإسلامية في المغرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى 2010.
- مقتدر رشيد، الإدماج السياسي للقوى الإسلامية في المغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2011.
- منصور، فاطمة الزهراء، دور الاتصال السياسي في المشاركة الانتخابية، بحث لنيل الماستر بكلية الحقوق بجامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2013-2014.
- المومني، نادر، فضاء التواصل السياسي بالمغرب المعاصر 1999/1844، أطروحة لنيل الدكتوراه في القانون العام نوقشت بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بجامعة القاضي عياض خلال السنة الجامعية 2002 /2001.
- نبيل الأندلوسي، المشاركة السياسية بالمغرب مقارنة للثابت والمتحول في التنشئة السياسية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام والعلوم السياسية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية سلا، جامعة محمد الخامس الرباط، السنة الجامعية 2014. 2015.

➤ الدراسات والمقالات العلمية وأعمال الندوات العلمية

- أحمد خميس و محمد الطيار، "استخدام الدين في الحياة السياسية"، دراسة في مجلة السياسة والاقتصاد، المجلد 11، العدد 10، أبريل 2021، جامعة حلوان، مصر. الروابط الإلكترونية:
[https://doi.org/10.21608/jocu.2021."1735'1078](https://doi.org/10.21608/jocu.2021.)
[https://jocu.journals.ekb.eg/article"151950.html](https://jocu.journals.ekb.eg/article)
- إدريس أجويلل، "دور المحتسب في حماية المستهلك ومراقبة الأسعار"، مجلة الإحياء، إصدارات الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، العدد 21، 2016، الرابط:
<https://www.arrabita.ma/blog/%D8%AF%D9%88%D8%B1->

[%D8%A7%D9%84%D9%5%D8%AD%D8%AA%D8%B3%D8%A8%D9%81%D9](#)

[%8A-%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%A9-](#)

[%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%87%D9%84%D9%83-](#)

[/%D9%88%D9%85%D8%B1%D8%A7%D%82%D8%A8%D8%A9](#)

- دريس هاني، " في التسلط الحافي والاستبداد كملهاة"، مجلة وجهة نظر، العدد 49، السنة الرابعة عشرة، 2011
- أمحمد المالكي، المغرب وتجربة الانتقال الديمقراطي في إسبانيا، مساهمة في ندوة: تجارب الانتقال الديمقراطي المقارن، دفاتر سياسية، العدد 60، يناير 2004.
- باتريك أونيل، "الدولة العميقة: المفهوم الناشئ في علم السياسة المقارن"، في سياسات عربية، عدد 30 يناير 2018.
- باسكون بول، "الأساطير والمعتقدات بالمغرب"، ترجمة مصطفى المسناوي، مجلة بيت الحكمة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، العدد الثالث، أكتوبر 1986.
- بالاندييه جورج، "السلطة و الحداثة"، ترجمة هاشم صالح، منشور في مجلة العلوم الإنسانية و الحضارية، الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي بيروت، العدد 41، سنة 1986.
- بونعمان سليمان، "وظائف النخبة المحلية في النسق السياسي المغربي"، في المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 44، 2009.
- بيير بورديو، "السوق اللغوية"، ترجمة حسن أحجيج، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 20، يونيو 1999.
- تامر كامل محمد، إشكالية الشرعية والمشاركة وحقوق الإنسان في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 251، يناير 2000.
- جبرون امحمد، "الاسلاميون في طور التحول: من الديمقراطية الأداة إلى الديمقراطية الفلسفية: حالة حزب العدالة والتنمية المغربي"، تبين، عدد 3، شتاء 2013.
- حمداني عمر، عناصر الشعبوية في الخطاب السياسي المغربي، في صحيفة حفريات www.hafryat.com مركز دال، جمهورية مصر العربية، حفريات، 2017.

- الخلوقي محمد، "تحديات التجربة الإسلامية في المغرب (دراسة نقدية)"، دراسة، مركز برق للدراسات والأبحاث، اسطنبول، 2017، الرابط: <https://urlz.fr/mLjv>
- الزهراوي محمد، "الإسلاميون المغاربة: من رهان الإصلاح إلى "أزمة التنظيم" قراءة في تجربة حزب العدالة والتنمية المغربي (1997 - 2017)"، المركز الديمقراطي العربي، 5 يوليو 2020، الرابط: <https://democraticac.de/?p=67665>
- سطي عبد الإله، "وظيفة العملية الانتخابية والمسألة الديمقراطية في المغرب"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 27 نونبر 2022، الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5501>
- الضبع مصطفى، النكتة: "أسطورة العصر الحديث، دراسة في الجينات والتشكل والدلالة"، مجلة الانطولوجيا، بتاريخ 10 يونيو 2020، رابط الدراسة: <https://alantologia.com/blogs/31188/>
- السعيدي عبد الرزاق، "المؤسسات الدينية السياسية ودورها في التحولات الراهنة مقارنة سوسيو تاريخية"، في موقع مركز أفكار للدراسات والأبحاث، أكادير، المغرب، بتاريخ: 12 دجنبر 2018، الرابط: <https://afkaar.center/2018/12/12/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%D8%A7%8AA-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%8A-%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7>
- سليمان بونعمان، وظائف النخبة المحلية في النسق السياسي المغربي، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 44، خريف 2009.
- السيد عمر، "حول مفهوم الأمة في قرن: نقد تراكمي مقارن" دراسة في مركز الحضارة للدراسات والبحوث، 2013، رابط تحميل الدراسة في الموقع الإلكتروني لمركز الحضارة: <https://hadaracenter.com/3-1/>
- الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، (مجموعة من المؤلفين.)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت، يونيو 1998،

- شاعر عبد الحميد وعبد الله معتز سيد وعشماوي سيد، تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، الكتاب السابع عشر، الفكاة واليات النقد الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كتب دوت كوم، 2004.
الرابط: <https://research-solution.com/uplode/book/book-11737.pdf>
- ضريف محمد، "فاعلون الدينون بعد 16 ماي 2003"، ورقة قدمت في ندوة نظمتها مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد، الدفاتر الزرقاء، مؤسسة عبد الرحيم بوعبيد، العدد 10، دجنبر 2007، منشور في جريدة الاتحاد الاشتراكي، المغرب، بتاريخ 31 دجنبر 2008، الرابط: <https://www.maghress.com/alittihad/84620>
- ضياء الدين محمد، قراءة في كتاب "سطوة النص لبسة عبد العزيز"، مجلة بدايات، الرابط: <https://bidayatmag.com/print/781>
- الطوزي محمد، "الإسلام والدولة في المغرب العربي"، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، العدد 13/14، سنة 1991/1992.
- عبد العلي حامي الدين، "إمارة المؤمنين في النظام السياسي المغربي: الأصول والمرجعية، الوظائف السياسية"، مجلة ألوان مغربية، العدد الثالث، أكتوبر - نونبر 2004.
- عبد العلي حامي الدين، الحركة الإسلامية بالمغرب محاولة في التعريف، وجهة نظر، العدد الرابع، صيف 1999.
- عبد الكريم بدرخان، "مراجعة كتاب: صنع العدو: أو كيف تقتل بضمير مرتاح؟"، مجلة جدلية الإلكترونية، معهد الدراسات العربية، ماي 2017، الرابط: <https://www.jadaliyya.com/Details/34227>
- عبد الله الشاهر، "ماهية الأسطورة وطبيعتها"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، مجلد 43، عدد 517.
- عبد الله الهاشمي، مقال النكتة أصله وحقيقتها، مجلة القافلة - الثقافة والأدب، أرامكو السعودية. الرابط: [/https://qafilah.com/ar/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%83%D8%AA%D8%A9](https://qafilah.com/ar/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%83%D8%AA%D8%A9)
- عدلان عطية، "مشروع علمنة الإسلام، سعد الدين العثماني أنموذجا"، دراسات سياسية، المعهد المصري للدراسات، اسطنبول، 2021، متوفر على الرابط: <https://urlz.fr/mLgj>

- عصام مبارك، "الالتزام السياسي بين المفاهيم والتحديات"، في مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 111، يناير 2020، الرابط: <https://urlz.fr/mLP6>
- علمنة اللغة كمدخل لعلمنة المجتمع، مجلة تبيان الإلكترونية، 21 يوليوز 2019، الرابط: <https://tipyan.com/secularization-of-language>
- عماد عبد اللطيف، "بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته"، ضمن power and role of the intellectual منشورات قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب جامعة القاهرة، 2006.
- عماد عبد اللطيف، "من الوعي إلى الفعل: مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي"، مجلة ثقافات، مجلة علمية تصدرها كلية الآداب بجامعة البحرين 2009.
- عماري مصطفى، "رهانات الخطاب الديني بين الرسمي واللا رسمي في الحقل الديني بالجزائر الخطاب الديني المسجدي أنموذجاً"، مجلة قضايا التطرف والجماعات المسلحة، المجلد 03، العدد 09، 2022، منشورة في موقع المركز الديمقراطي العربي، بتاريخ 24 نونبر 2022، الرابط: <https://democraticac.de/?p=85964>
- الغزيوي أبو علي، بن المداني ليلة، "أسس ومقومات المسرح الاحتفالي عند عبد الكريم برشيد"، منشور في مجلة عالم الثقافة، 5 يوليوز 2022، الرابط: <https://worldofculture2020.com/?p=80661>
- فلاح عبد الزهره لازم الكعبي، (جامعة واسط كلية الآداب العراق)، المعرفة الحسية بينباسكال وبرغسون دراسة تحليلية مقارنة، غي لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 18، 2015، الرابط الإلكتروني للدراسة: <http://dx.doi.'rg/10.31185/lark.Vol'.lss18.698>
- كمال القصير، "تعثر تشكيل الحكومة بالمغرب: هُندسة الحقل السياسي أم فُرْملة التجربة؟"، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 30 يناير 2017، على الرابط: <https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2017/01/170130061251803.html>
- كمال راغب الجابي، "النكتة صناعة، ورواية، ورسالة"، مجلة المعرفة، العدد 468، دمشق، شتبر 2002.
- مانويل كاستيلاس، "شبكات التواصل الاجتماعي والاستقطاب السياسي"، محاضرة افتتاحية، منشور في مجلة الجزيرة لدراسات الاتصال والإعلام، مركز الجزيرة للدراسات، السنة الأولى، العدد 2، الدوحة، يوليوز 2023.

- محمد بن جلول، "الدعوي والسياسي في تجربة حركة التوحيد والإصلاح: الثابت والمتغير"، في أواصر للثقافة والفكر والحوار، بتاريخ 30 أكتوبر 2021، الرابط: <https://urlz.fr/nasM>
- محمد خطابي، "ما الخطاب السياسي"، مداخلة ضمن قراءات في الخطاب السياسي، إعداد محمد خطابي ولحسن بوتكلاي، مختبر المجتمع واللغة والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، جامعة ابن زهر، أكادير، 2016
- محمود هدهود، "نقد جدل السيادة والحاكمية"، مجلة الجمهورية، سوريا، بتاريخ 29 يناير 2020، الرابط: <https://aljumhuriya.net/ar/2020/01/29/%D%86%D9%82%D8%AF-%D8%AC%D8%AF%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A7%D9%83%D9%85%D9%8A%D8%A9>
- محمود سعد محمود، "مفهوم الأمة وخصائصها في فكر الشيخ محمد رشيد رضا"، 2010، رابط الدراسة: <https://www.alukah.net/culture/0/9330/>
- محمد الفلاح العلوي، "البيعة في نظام الحكم بالمغرب: الجذور والامتدادات"، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، العدد 353، الرابط: <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/8625>
- المختار مطيع، وضعية النائب البرلماني في المغرب، انتخابه، أحوال التنافي، حصانته، الضمان الاجتماعي، مجلة دراسات ووقائع دستورية وسياسية، ع 1، 2008.
- مرابط فدوى، "الأحزاب السياسية ومسألة وصناعة القرار السياسي في الدول المغاربية (المغرب-الجزائر)"، مجلة جيل الدراسات السياسية والعلاقات الدولية، العدد 14، 2018. الرابط: <https://jilrc.com/archives/8041>
- مراجعة كتاب الأخطاء الستة للحركة الإسلامية في المغرب رابطا التقرير: <http://iswy.co/e265e1> أو على الرابط: <https://ar.islamway.net/article/7536>

[B9%D8%A9-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A1-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AA%D8%A9-](#)

[%D9%84%D9%84%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9-](#)

[%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%7%D9%85%D9%8A%D8%](#)

[A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8](#)

- مصباح محمد، "كيف يفكر السلفيون؟"، دراسة أنجزت بتاريخ 11 مارس 2019، من قبل المعهد المغربي لتحليل السياسات، الرباط، المغرب، رابط الدراسة: <https://mipa.institute/6559>
- معارف مغربية، "قراءة في كتاب نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر (الفصل الأول) للدكتور عبد الرحيم العماري"، بتاريخ 10 أبريل 2019، الرابط: https://maarifalma4rib.blogspot.com/2019/04/blog-post_89.html?m=1
- منال محمد هشام نجار، "النكتة قراءة مقامية براجماتية"، مجلة أفنان، النادي الأدبي، تبوك، العدد 21، أبريل 2013.
- المهداوي أحمد، "محطات تاريخية في تطور الفكر السلفي"، المركز الديمقراطي العربي، 15 نونبر 2016، رابط الدراسة: <https://democraticac.de/?p=39954>
- المهدي الشيباني، الأحزاب السياسية النفاثة سوسولوجية، مركز البحوث والاستشارات العلمية والتدريب، المجلة الجامعة، ليبيا، العدد 16، المجلد الأول، فبراير 2014.
- نبيل الأندلسي، 20 فبراير: قراءة في مسار حركة فيسبوكية تحولت إلى حركة فاعلة ومؤثرة. مجلة وجهة نظر، 2013.
- نزيهة وهابي، أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي، مجلة جسور المعرفة، المجلد 6، عدد 4، دجنبر 2020، جامعة البليدة، الجزائر.
- نظرية المثلث الدرامي على الموقع الرسمي لصاحب النظرية ستيفن كاريمان على الرابط: https://karpmandramatriangle.com/dt_article_only.html

- نور الدين الميلادي و أنوار العرفي، "الحرب على السردية الفلسطينية: محاصرة المحتوى الفلسطيني على شبكات التواصل الاجتماعي"، منشور في مجلة الجزيرة لدراسات الاتصال والإعلام، مركز الجزيرة للدراسات، السنة الأولى، العدد 2، الدوحة، يوليو 2023.
 - نيثان. ج. براون، عمرو حمزاوي، ومارينا أوتاواي، الحركات الإسلامية والعملية الديمقراطية في العالم العربي: استكشاف المناطق الرمادية، أوراق كارنيجي ((www.CarnegieEndowment.org))، سلسلة الشرق الأوسط، إصدار مشترك لمؤسسة كارنيجي للسلام الدولي ومؤسسة Herbert Quandt Stiftung الألمانية، مارس 2006. www.CarnegieEndowment.org/pub
 - وزيف محمد، "الإسلاميون وحقوق الانسان في المغرب الإسلاميون والمسألة الحقوقية في المغرب"، دراسة منشورة على الموقع الإلكتروني لمركز مبادرة الإصلاح العربي، بتاريخ 20 دجنبر 2018، الرابط: <https://urlz.fr/mKkd>
 - ولد القابلة إدريس، في النكتة السياسية، ديوان العرب، بتاريخ 28 شتنبر 2008، الرابط: <https://urlz.fr/mPHm>
 - يسف محمد، "الخلافة الإسلامية أو إمارة المؤمنين"، يوم 17 غشت 2012، منشور في الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، على الرابط التالي: <https://bit.ly/3vpVaja>
- **النصوص التشريعية**
- دستور المملكة المغربية، صادر بتاريخ 29 يوليو 2011، نشر بالجريدة الرسمية عدد: 5964bis، بتاريخ 30 يوليو 2011.
 - الظهير الشريف رقم 1-03-193 صادر في 9 شوال 1424 (4 ديسمبر 2003) في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الجريدة الرسمية عدد 5172، بتاريخ 25 ديسمبر 2003.
 - الظهير الشريف رقم 1.05.210 الصادر في 15 من محرم 1427 الموافق 14 فبراير 2006، القاضي بتحويل جمعية رابطة علماء المغرب صفة مؤسسة ذات نفع عام تحت اسم «الرابطة المحمدية للعلماء، الجريدة الرسمية، الجريدة الرسمية عدد 5418، ص: 1106.
 - الظهير الصادر في 8 نونبر 1993 في شأن اختصاصات وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالجريدة الرسمية، عدد 4236، 5 يناير 1993، ص: 23.

- القانون التنظيمي رقم 29.11، صادر بتاريخ 22 أكتوبر، 2011 جريدة رسمية عدد 5989، بتاريخ 24 أكتوبر 2011 المتعلق بالأحزاب السياسية.
- القانون التنظيمي رقم 59.11 المتعلق بانتخاب أعضاء مجالس الجماعات الترابية، كما تم تعديله بالقانون التنظيمي رقم 34.15 الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.15.90 بتاريخ يوليو 2015، جريدة رسمية عدد 6380 ، 23 يوليو 2015، ص: 6713.
- النصوص القانونية المرتبطة بالاتصال السمعي البصري في الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري على الرابط: <https://www.haca.ma/ar/%D9%86%D8%B5%D9%88%D8%B5-%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86%D9%A%D8%A9-%D9%85%D8%B1%D8%AA%D8%A8%D8%B7%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B9%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B5%D8%B1%D9%8A>

➤ الجريدة الرسمية للمملكة المغربية

- الجريدة الرسمية عدد 47، بتاريخ 27 مارس 1914، ص: 105.
- الجريدة الرسمية عدد 6268، بتاريخ 26 يونيو 2014.
- الجريدة الرسمية عدد 6268، بتاريخ 26 يونيو 2014.
- الجريدة الرسمية عدد 6381، صادرة بتاريخ 27 يوليوز 2015.
- الجريدة الرسمية، عدد 40، بتاريخ 6 فبراير 1914، ص: 57.

➤ تقارير ومنشورات مؤسساتية

- التقرير السنوي للوكالة الوطنية لتقنين المواصلات لسنة 2017. الرابط: <https://www.anrt.ma/ar/publications/rapport-annuel>

- تقرير المجلس الوطني لحقوق الإنسان بخصوص ملاحظة الانتخابات الجماعية والجهوية والتشريعية لسنة 2021، المتوفر على الرابط التالي:
https://www.cndh.org.ma/sites/default/files/mlhzt_wly_llmjls_intkhbt_2021_.pdf
- تقرير المندوبية السامية للتخطيط (مؤسسة مغربية رسمية): "تحليل حسب النوع الاجتماعي لتأثير جائحة كوفيد-19 على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنفسي للأسر"، (54 صفحة)، صادر بتاريخ 24 فبراير 2021، الرابط:
https://www.hcp.ma/Communique-de-presse-Publication-du-rapport-d-analyse-genre-de-l-impact-de-la-pandemie-COVID-19-sur-la-situation_a2656.html
- تقرير الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري بشأن تعددية التعبير السياسي في خدمات الاتصال السمعي البصري خلال الفترة الانتخابية (من فاتح غشت إلى 08 شتنبر 2021)، منشور في الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري على الرابط:
<https://www.haca.ma/sites/default/files/upload/Rapport%20Elections%202021%20VA.pdf>
- تقرير الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري بشأن تعددية التعبير السياسي في خدمات الاتصال السمعي البصري خلال تشريعات 2016، منشور في الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للاتصال السمعي البصري على الرابط:
https://www.haca.ma/sites/default/files/u'load/images/Legislatives%202016%204-2-2017_1.pdf
- تقرير مجلس الاستخبارات القومية <http://www.dni.gov/files/documents>
- تقرير مرصد الأزهر لمكافحة التطرف، (مؤسسة تابعة للأزهر الشريف بمصر)، تحت عنوان: "ادعاء امتلاك التفسير الصحيح للنص الديني أحد أبرز المشتركات بين التنظيمات المتطرفة"، القاهرة، 2022، منشور على موقع الأزهر بمصر www.azhar.eg رابط التقرير: <https://urlz.fr/mN5o>
- دليل الإمام والخطيب والواعظ، منشور بالموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بعدما صادق عليه المجلس العلمي الأعلى بتاريخ 17 مارس 2006، انظر الرابط:

<https://www.habous.gov.ma/%D8%AF%D9%84%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%85%D8%A7%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%B7%D9%8A%D8%A8-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%B8>

• قرار الهيئة العليا للاتصال السمعي البصري رقم 23.15 الصادر بتاريخ ثاني يوليوز 2015، في الجريدة الرسمية عدد 6406 بتاريخ 22 أكتوبر 2015.

• المندوبية السامية للتخطيط، البحث الرابع حول تأثير كوفيد-19، على نشاط المقاولات، تاريخ الإصدار فبراير 2022، رابط البحث: [/https://www.hcp.ma/file/229793](https://www.hcp.ma/file/229793)

• نتائج الانتخابات التشريعية لسنة 2016، على الرابط: <http://www.elections.ma/elections/legislatives/resultats.aspx?Id=I1Vr5AJaDkA534Qqp+ldqg==&IE=1>

• نتائج انتخابات شتبر 2021، على الموقع الرسمي للانتخابات على الرابط: <http://www.elections.ma/elections/legislatives/resultats.aspx?Id=T1uzm+f7U%2fWF+F+rn+x03Zg%3d%3d&IE=1#>

➤ الوثائق الحزبية والسياسية

• فريق العدالة والتنمية بمجلس النواب، "حصيلة السنوات الخمس، التزام وعطاء: الولاية التشريعية (1997-2002)", الطبعة الأولى، غشت 2002.

• تعريف حركة التوحيد والإصلاح، منشور على موقع الحركة. www.alislah.ma.

• حركة التوحيد والإصلاح، وثيقة الرؤية السياسية، الطبعة الأولى، 2000.

• حزب العدالة والتنمية، الورقة المذهبية، البرنامج العام.

• رسالة وزير الدولة المكلف بالشؤون الإسلامية علال الفاسي إلى الملك الحسن الثاني مؤرخة في 5 دجنبر 1961، نشرت في الجريدة الرسمية للمملكة رفقة الظهير المحدث لوزارة الشؤون الإسلامية، الجريدة الرسمية عدد 2566، بتاريخ 29 دجنبر 1961، ص 3338.

• العدد الأول من جريدة التراكاتور يناير 2021.

- الوثيقة السياسية لحركة التوحيد والإصلاح على موقع الحركة على الرابط التالي: انظر الوثيقة السياسية لحركة التوحيد والإصلاح على موقع الحركة على الرابط التالي: <https://bit.ly/3fhBTdU>
 - الوثيقة المرجية والفكرية صادق عليها الحزب في مؤتمره الوطني الثالث المنعقد بتاريخ يناير 2016، للاطلاع على الوثيقة على الرابط: <https://urlz.fr/mlQp>
 - ورقة "الدكتور فريد الأنصاري سيرة عالم وداعية"، على رابط موقع حركة التوحيد والإصلاح: <https://alislah.ma/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%83%D8%AA%D9%88%D8%B1-%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%86%D8%B5%D8%7%D8%B1%D9%8A-%D8%B3%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D8%A7%D8%AA>
 - مذكرة "إنعاش اقتصادي مسؤول اجتماعيا وبيئيا لحماية المكتسبات والبناء المشترك للمستقبل"، للاطلاع على المذكرة انظر رابطها على الموقع الإلكتروني الرسمي: لحزب الاستقلال: <https://www.istiqlal.info/downloads>
 - مذكرة حزب العدالة والتنمية في موضوع المراجعة الدستورية، الدستور الجديد للمملكة المغربية 2011، سلسلة نصوص ووثائق، الطبعة الأولى 2011.
 - ميثاق حركة التوحيد والإصلاح، طوب بريس للطباعة والنشر، 1998، على الرابط: <https://alislah.ma/%D9%88%D8%AB%D8%7%D8%A6%D9%82-%D9%88%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%82>
 - النظام الأساسي لحزب العدالة والتنمية المصادق عليه في المؤتمر الوطني السابع بتاريخ 14 يوليوز 2012.
 - النظام الأساسي لحزب الأصالة والمعاصرة الصادر في مؤتمرة التأسيسي، فبراير 2009.
- الخطب الملكية**
- خطاب الملك الحسن الثاني أمام مجلس النواب الجريدة الرسمية للمملكة اب، أكتوبر 1970.
 - خطاب الملك محمد السادس في 9 مارس 2011.

- خطب ورسائل الملك محمد السادس، وكالة المغرب العربي للأنباء، الرابط:
<https://www.mapnews.ma/ar/discours-messages-sm-le-roi>

➤ بلاغات وبيانات

- بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 2021/09/09، المنشور على الموقع الإلكتروني للحزب على الرابط التالي: <https://www.pjd.ma/157253-81932.html>
- بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 24 دجنبر 2020، بخصوص الموقف من تطورات القضية الفلسطينية ومسألة الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء والاتفاق على فتح علاقات سياسية مع إسرائيل، البلاغ منشور على الموقع الإلكتروني الرسمي للحزب على الرابط: <https://www.pjd.ma/144305-75340.html>
- بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 7 مارس 2023، منشور على الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية على الرابط: <https://urlz.fr/mUpN>
- بلاغ الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية، بتاريخ 8 نوفمبر 2020 بخصوص قضية الصحراء وقضية عرقلة جبهة البوليساريو حركة المرور بمعبر الكركرات الرابط بين المغرب وموريتانيا، الرابط على الموقع الإلكتروني الرسمي للحزب: <https://www.pjd.ma/141715-74023.html>
- بلاغ الديوان الملكي، عقب انعقاد المجلس الوزاري يوم 22 يناير 2018، انظر رابط البلاغ على موقع رئاسة الحكومة: <https://urlz.fr/mSkX>
- بلاغ المركز المغربي من أجل ديمقراطية الانتخابات، (جمعية غير حكومية تأسست سنة 2002، من باحثين وحقوقيين ونشطاء مجتمع مدني)، صادر في يوليو 2016، منشور على عدد من الجرائد المغربية من بينها على الرابط: <https://urlz.fr/mN2J>
- بلاغ حركة التوحيد والإصلاح بتاريخ 11 دجنبر 2020، منشور على الموقع الإلكتروني للحركة تحت عنوان: "التوحيد والإصلاح تنوه بالجهود الوطنية المبذولة دفاعا عن وحدة المغرب وسيادته، وتستنكر كل محاولات التطبيع والاختراق الصهيوني"، الرابط: <https://urlz.fr/mL9n>

- بلاغ للأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 6 شتبر 2011، منشور على موقع الحزب
https://www.pjd.ma/wp-content/uploads/2022/05/blg_lmn_lm_-_tshkhys_lwd_lsusy_qbl_wbd_20_fbryr.2011'09.06_.pdf
- بلاغ للأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 6 شتبر 2011، منشور على موقع الحزب
https://www.pjd.ma/wp-content/uploads/2022/05/blg_lmn_lm_-_tshkhys_lwd_lsusy_qbl_wbd_20_fbryr.2011'09.06_.pdf
- بلاغ وزير الداخلية في رابط وكالة المغرب العربي للأنباء: <https://urlz.fr/mMEB>
- البيان الصحفي لحركة مجتمع السلم (حزب إسلامي جزائري)، الصادر بتاريخ 16 نونبر 2020، تحت عنوان: " بيان الحركة إثر أحداث منطقة الكركرات في الصحراء الغربية"، الرابط:
<https://hmsalgeria.net/ar/p/12187>
- بيان حركة البناء الوطني الحزب الجزائري المتعلق بفتح معبر الكركرات، صادر يوم واحد بعد فتحه، بتاريخ 14 نونبر 2020، نشر على موقع وكالة الأنباء الجزائرية (مؤسسة عمومية رسمية)، الرابط:
<https://www.aps.dz/ar/algerie/95875-2020-11-14-08-29-18>
- بيان صادر عن الأمانة العامة لحزب العدالة والتنمية بتاريخ فاتح يونيو 2015، انظر رابط البلاغ على موقع حزب العدالة والتنمية: <https://www.pjd.ma/50040-25537.html>

➤ روابط الفيديو على منصات يوتيوب وفيسبوك

- قناة حزب العدالة والتنمية على منصة يوتيوب على الرابط: <https://youtube.com/@PjdTv>
- المهرجانات الجهوية لحزب العدالة والتنمية لسنة 2022 وتضم 43 فيديو على الرابط:
<https://youtube.com/playlist?list=PL7SIB2F0mCrP5WdIS5zTgwwmdJNLL6vKU>
- مهرجانات عبد الإله بنكيران وتضم 7 فيديوهات على الرابط:
<https://youtube.com/playlist?list=PL7SIB2F0mCrOJsWG5LJafcuUD4vBS2XN5>

- الجلسات الشهرية لمساءلة رئيس الحكومة عبد الإله بنكيران وهددها 60 فيديو على الرابط:
<https://youtube.com/playlist?list=PLdqF6n3Cy02BY0-e8FNBNHh0erC7nlkZ0>
- كلمات ولقاءات مختلفة لبنكيران سواء لقاءات صحفية أو مع قناة الحزب وعددها 51 فيديو على الرابط:
[https://youtube.com/playlist?list=PLdqF6n3Cy02BDIvnYSNb4Od7cB3k\"DGZp](https://youtube.com/playlist?list=PLdqF6n3Cy02BDIvnYSNb4Od7cB3k\)
- المهرجانات الانتخابية خلال حملة انتخابات 2016 وهي 7 فيديوهات على الرابط:
<https://youtube.com/playlist?list=PL7SIB2F0mCrM7i-oFXJn9JYyIZPn91rjT>
- "بنكيران يهاجم وهبي في "ساحة الضريح" هسبريس على الرابط: <https://urlz.fr/mUAq>
- بنكيران يعود لمهاجمة وهبي والبام رابط الفيديو:
<https://www.youtube.com/watch?v=RKWUhXq4w8Y>
- أحمد الريسوني، مقابلة تلفزيونية على قناة الجزيرة القطرية بتاريخ 15/06/1999، برنامج "ضيف وقضية"، عنوان الحلقة: "ظروف نشأة الحركات الإسلامية في المغرب"، الرابط: <https://urlz.fr/mLjH>
- أحمد الريسوني، مقابلة على قناة الجزيرة القطرية بتاريخ 15/06/1999، برنامج "ضيف وقضية"، عنوان الحلقة: "ظروف نشأة الحركات الإسلامية في المغرب"، رابط البرنامج:
<http://www.aljazeera.net/programs>
- رابط فيديو حوار نص الفيديو الكامل لحضور عبد اللطيف وهبي لووكالة المغرب العربي للأنباء، بتاريخ 27-07-2021: <https://urlz.fr/mTIP>
- كلمة بنكيران على رابط الفيديو على قناة اليوتيوب: www.youtube.com/watch?v=qsG8WIJ1J0
- كلمة راشد الطالب العلمي في افتتاح الجامعة الصيفية الشبيبة التجمع الوطني للأحرار على رابط منصة يوتيوب: <https://m.youtube.com/watch?v=k5VRE7MxAc>
- برنامج "90 دقيقة للإقناع" على القناة التلفزيونية ميدي1 تي في بتاريخ 02/10/2015، رابط الحلقة على منصة يوتيوب: <https://m.youtube.com/watch?v=a7lhOGje-B4>
- بسيمة الحقاوي وزيرة التضامن في حوار تلفزيوني مع قناة العربية منشور بتاريخ 24 أبريل 2015 على الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=pmP4OmW3'04>

- بعض النكت التي وظفها عبد الإله بنكيران في مناسبات مختلفة، تم توضيحها في فيديو على يوتيوب ورابطه هو: <https://urlz.fr/ml9z>
- تصريح مصطفى الرميد وزير حقوق الإنسان والعلاقة مع البرلمان بالجلسة العامة بمجلس النواب بتاريخ 5 ماي 2015، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=Oa1'GAqrjzo>
- تصريحات عبد اللطيف وهبي لقناة الغد عندما قال انهم يختلفون مع العدالة والتنمية ولكن لا نعاديها، انظر الرابط على منصة يوتيوب: <https://m.youtube.com/watch?v=-B873AFTf7U>
- جلسة الأسئلة الشفوية بمجلس النواب بتاريخ 17 أبريل 2023، على القناة الرسمية لمجلس النواب المغربي على الرابط: <https://www.youtube.com/live/39WF9N'FMsY'feature=share>
- جلسة المساءلة الشهرية بمجلس المستشارين سنة 2016 رابط تصريحه على اليوتيوب: [https://www.youtube.com/watch?v=v7q"RI9G'kM](https://www.youtube.com/watch?v=v7q)
- كلمة بنكيران بطنجة خلال الحملة الانتخابية البرلمانية 2016، رابط الفيديو على منصة يوتيوب: <https://youtu.be/TSM1tdjuC2s>
<https://www.youtube.com/watch?v=RKWUhXq4w8Y>
- كلمة بنكيران بمدينة الدشيرة، 2015، انظر خطابه على الرابط: <https://www.youtube.com/?v=RKWUhXq4'8Y>
- فيديو الحلقة الأولى من سلسلة "تكريات لا مذكرات"، يقدمها عبد الإله بنكيران، بتاريخ: 24 يونيو 2023، رابط الفيديو على قناة بنكيران الخاصة على يوتيوب: <https://youtu.be/7HvVZlJcDz4> ورابط الفيديو على الحساب الخاص لعبد الإله بنكيران على منصة فيسبوك: https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=pfbid024qDK5Vim5jQmKrfwsm9tCmEqhghXsm1tq'W4GYkShFS6mx1xibMhP7D8ePupMtiql&id=100044551654417
- فيديو بالمرح الوطني محمد الخامس بالرباط بمناسبة الذكرى الـ"51" لانطلاقة حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"، انظر رابط الفيديو على منصة يوتيوب: <https://youtu.be/E-boXtKOKnk>
- فيديو عبد الإله بنكيران داخل سيارة يستمع ويردد أغنية لأم كلثوم: <https://youtu.be/Ppbqo-RH0Rw>
- فيديو محاضرة سعد الدين العثماني على منصة فيسبوك: <https://urlz.fr/mNX4>

- فيديو مشاركة بنكيران الرقص مع فرقة أحواش على منصة يوتيوب على الرابط
<https://www.youtube.com/watch?v=XfjoFb3d4'E>
- كلمة بنكيران في فاس خلال الحملة الانتخابية التشريعية لسنة 2016، انظر الكلمة على رابط الفيديو على منصة يوتيوب: <https://youtu.be/TOTP0xzhdx4>
- كلمة بسيمة الحقاوي النائبة البرلمانية في مجلس النواب منشورة بتاريخ 10 يونيو 2011 على الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=jUemssCkthY>
- كلمة بنكيران بطنجة خلال الحملة الانتخابية البرلمانية بتاريخ 4 أكتوبر 2016 على قناة الحزب على منصة يوتيوب على الرابط: <https://www.youtube.com/live/4EUQRFcpeq?feature=share>
- كلمة بنكيران بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017، انظر رابط الفيديو على قناة اليوتيوب: <https://youtu.be/UARiAlrKKzw>
- كلمة بنكيران بمناسبة اللقاء الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017، انظر رابط الفيديو على قناة اليوتيوب: <https://youtu.be/UARiAlrKKzw>
- كلمة بنكيران بمناسبة المؤتمر الاستثنائي للحزب في مايو 2016، رابط الفيديو:
www.youtube.com/TWUVnmroJBA
- كلمة بنكيران خلال الحملة الانتخابية لانتخاب أعضاء مجلس النواب أكتوبر 2016 بمدينة فاس على قناة الحزب على منصة يوتيوب: https://www.youtube.com/live/zSF25XD'G_w?feature=share
- كلمة بنكيران على حسابه الرسمي على منصة فيسبوك على الرابط: <https://urlz.fr/n7pd>
- كلمة بنكيران على يوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=sw-QRQDe4HQ>
- كلمة بنكيران في افتتاح المؤتمر الخامس لشبيبة حزبه أبريل 2013 على قناة الحزب على منصة يوتيوب على الرابط: <https://youtu.be/-Lm6Sw-CU48>
- كلمة بنكيران في المؤتمر الاستثنائي لحزب العدالة والتنمية بتاريخ 28 ماي 2016، انظر فيديو الكلمة على منصة يوتيوب على الرابط: www.youtube.com/TWUVnmroJBA
- كلمة بنكيران في فاتح ماي 2023 بالدار البيضاء على منصة يوتيوب على الرابط:
<https://youtu.be/m8IGepjAojE>

- كلمة سعد الدين العثماني خلال أشغال المجلس الوطني للحزب مباشرة بعد انتخاب عبد الإله بنكيران أمينا عاما للحزب في 31 أكتوبر 2021، على الرابط التالي:
<https://www.youtube.com/watch?v=VDqKj7IW'y0>
- كلمة سعد الدين العثماني على قناة الحزب على يوتيوب على الرابط:
<https://youtu.be/kYAS9NzOBoo>
- كلمة عبد الإله بن كيران في الملتقى الوطني 12 لشبيبة العدالة والتنمية بأكادير 2016، رابط الفيديو الذي تم نشره بقناة اليوتيوب بتاريخ 26 يوليوز 2016، الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=sfs79DgB'-k>
- كلمة عبد الإله بنكيران بتاريخ فاتح ماي 2014 على الفيديو التالي:
<https://www.youtube.com/watch?v=vLRefRvxwy4>
- كلمة عبد الإله بنكيران خلال المؤتمر الاستثنائي بتاريخ 28 ماي 2016، (مرجع سابق)، انظر الكلمة في الفيديو على منصة يوتيوب على الرابط: www.youtube.com/TWUVnmroJBA
- كلمة عبد الإله بنكيران خلال أشغال المجلس الوطني للحزب مباشرة بعد انتخاب عبد الإله بنكيران أمينا عاما للحزب في 31 أكتوبر 2021، على الرابط التالي:
<https://www.youtube.com/watch?v=VDqKj7IW'y0>
- كلمة عبد الإله بنكيران في الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني للحزب بتاريخ 15 يوليوز 2017 منشور في قناة الحزب على يوتيوب على الرابط: <https://youtu.be/K2BJxsyW994>
- كلمة عبد الإله بنكيران في المؤتمر الوطني السادس لشبيبة العدالة والتنمية في فبراير 2018، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=o8UUzj1c'2A>
- كلمة عبد الإله بنكيران في المؤتمر الوطني السادس لشبيبة العدالة والتنمية في فبراير 2018، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=o8UUzj1c'2A>
- كلمة عبد الإله بنكيران في المؤتمر الوطني السادس لشبيبة العدالة والتنمية في فبراير 2018، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=o8UUzj1c'2A>

- كلمة عبد الإله بنكيران في ندوة صحفية تلت الاجتماع العاجل للأمانة العامة للحزب بتاريخ 18 مارس 2017، انظر الرابط على منصة يوتيوب: <https://m.youtube.com/watch?v=EuvNZ6U5Th>
- كلمة عبد الإله بنكيران، بمناسبة اليوم الوطني لمنتخبي مجالس الجماعات في 21 أكتوبر 2017، رابط فيديو الكلمة على منصة يوتيوب: <https://youtu.be/UARiAlrKKzw>
- مهرجان خطابي بأكادير بتاريخ 30 غشت 2015، على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=LwVMY5WH's0>

➤ موسوعات ومعاجم

- الموسوعة السياسية: <https://urlz.fr/mlqc>
- عبد المجيد سالمى، معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب المصري، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1998.
- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997.
- المعاجم العربية الواردة على الرابط: <https://urlz.fr/mLSt>
- معجم لسان العرب لابن منظور، النسخة الإلكترونية، دار المعارف، رابط النسخة على مكتبة نور الرقمية: <https://urlz.fr/nb4F>
- الموسوعة السياسية، نظرية الدور في العلاقات الدولية، الإعداد العلمي: مريم مخلوف نشر بتاريخ 3 يونيو 2022. <https://political-encyclopedia.org/dictionary/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D8%B1%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%20%D8%A9>

➤ مقالات الرأي والتحليل والتعليق في المنابر الصحفية

❖ الجرائد الورقية

- عبد العلي حامي الدين، "إسلاميون ويساريون يدا في يد للتضامن مع المعتقلين الستة في ملف بليرج"، جريدة المساء، المغرب، عدد: 11 أكتوبر 2008.
- افتتاحية بجريدة الراية، العدد 15، شتبر 1991.
- بنكيران عبد الإله، "الجماعات والفقهاء الحركي"، جريدة الإصلاح، المغرب، السنة الثانية، العدد 15، بتاريخ 18 مارس 1988.
- بنكيران عبد الإله، "المسلمون"، الراية، عدد 10، مايو 1994.
- جريدة أخبار اليوم، المغرب، العدد 1295، بتاريخ 15/16/2014.
- التليدي بلال، "الإسلاميون وتوسيع المشاركة السياسية في المغرب"، مقال منشور على جريدة الشرق الأوسط عدد 12665 بتاريخ 1 غشت 2013. الرابط الإلكتروني: <https://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&issueno=12665&article=738418>
- جريدة الإصلاح، عدد 34، سنة 1989.
- جريدة الميثاق الوطني، عدد 1511، بتاريخ 6 يناير 1982.
- الحمداوي محمد، "رئيس حركة التوحيد والإصلاح لـ "التجديد": المرجعية الإسلامية خط أحمر"، جريدة التجديد، عدد 10 يونيو 2011.
- الخلفي مصطفى (قيادي في حزب العدالة والتنمية)، "المشروع السياسي لحركة التوحيد والإصلاح"، جريدة التجديد، عدد خاص، المغرب، 2002.
- سعيد بنكراد، ملامح الاستراتيجية التواصلية لبنكيران. "أخبار اليوم" عدد 21116 - بتاريخ 23 أكتوبر 2016.
- ضريف محمد، "الفاعل الديني بين اللاتسييس الجزئي والتسييس المفروض"، جريدة المساء، المغرب، عدد 16 دجنبر 2009، الرابط: <https://www.maghress.com/almassae/32340>
- ضريف محمد، "قراءة في أداء مؤسسات الحقل الديني الرسمي"، جريدة التجديد، بتاريخ 21 فبراير 2009، الرابط: <https://www.maghress.com/attajdid/47877>
- عبد الحميد يونس، الفكاهاة طب نفسي، مجلة العربي، الكويت، عدد 357، بتاريخ 1 غشت 1988. الرابط الإلكتروني:

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/AL_Arabi/AL_Arabi_1_988/Issue_357/index.html

- العثماني سعد الدين، "الدين والسياسة تمييز لا فصل"، مجلة الفرقان، العدد: 82، 2018.
- عصيد أحمد، "من أجل جبهة لمقاومة النكوص السياسي والحقوقي: التحدي الذي يواجه الإسلاميين هو تحقيق أهداف الحراك الشعبي وليس أهدافهم الخاصة والضيقة"، جريدة الصباح، المغرب، عدد 12 مارس 2012.
- فتاح الله عبد الناصر، الاتصال السياسي بالمغرب، جريدة العلم 16 يناير 2002.
- مجلة الفرقان، عدد 37، سنة 1996.
- مجلة تيل كيل بالفرنسية، بتاريخ 12 شتنبر 2006.
- يتيم محمد، حركة التوحيد والإصلاح التجربة الوجدانية التوجهات العامة، الفرقان، العدد 41، 1998.
- يتيم محمد، التغيير الحضاري ومسألة الديمقراطية، مجلة الفرقان، عدد 37، 1997.
- يتيم محمد، "نظرات في فقه المشاركة والمقاطعة"، جريدة الراية عدد 251، 1997.

❖ الجرائد الإلكترونية

- إبراهيم الدويري، حضر مجالسهم مئات الآلاف ومارس بعضهم الدعاية السياسية والمذهبية وسعوا للثراء العريض.. الوعاظ والفُصّاص في التاريخ الإسلامي، بتاريخ 2 يونيو 2020، رابط المقال: <https://www.aljazeera.net/turath/2020/6/%D9%88%D8%A7%D8%B9%D8%B8%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D9%8A%D8%AE%D8%B6%D8%B9%D9%86-%D9%84%D8%A5%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%81-%D9%86%D9%82%D8%A7%D8%A8%D8%A9>
- عبد العلي حامي الدين، "علال الفاسي ومصرنة المغرب"، 12 يوليوز 2015، في الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية، الرابط: <https://www.pjd.ma/14994-7550.html>
- عبد العلي حامي الدين، "المجلس الوطني لحقوق الإنسان ومبادئ باريس"، بدون تاريخ رابط المقال على موقع حزب العدالة والتنمية: www.pjd.ma/node/1661

- إبراهيم القادري بوتشيش، "الدولة العميقة وتوظيف الرمز الحيواني في خطاب الأحزاب والتنظيمات السياسية بالمغرب"، في جريدة باناصا، المغرب، بتاريخ 12 نونبر 2021، الرابط: <https://banassa.com/orbites/116651.html>
- أحمد الريسوني، "الرد الكامل على كتاب الأخطاء الستة"، أنظر رابط الرد على مدونة أحمد الريسوني: <https://raissouni.net/398>
- أخنوش عزيز، "هذه رؤيتي لمغرب ما بعد جائحة كورونا"، مقال نشر في عدة منابر إعلامية بتاريخ 13 أبريل 2020، من بينها جريدة هسبريس الإلكترونية على الرابط: <https://urlz.fr/mTHg>
- إدريس الأزمي الإدريسي، "في مواجهة الأزمة.. الأزمي يكتب: لا نقشف ولا إفراط بل تضامن ومسؤولية واعتدال"، بتاريخ 17 أبريل 2020، في الموقع الرسمي لحزب العدالة والتنمية، انظر الرابط: <https://www.pjd.ma/node/68533>
- جبرون امحمد، "البيجيدي مطالب بالتخلي عن أطروحة الانتقال الديمقراطي ومواجهة التحكم"، جريدة اليوم 24 الإلكترونية، المغرب، بتاريخ 15 غشت 2016، الرابط: <https://alyaoum24.com/682453.html>
- حداد لحسن، "الخطاب الشعبي" .. ثقافة هجينة وجلد جماعي للذات"، في جريدة هسبريس الإلكترونية، بتاريخ 29 يوليوز 2023، انظر الرابط: <https://www.hespress.com/%d8%ad%d8%af-%d9%8a%d8%b3%d8%a8%d8%b1-%d8%a3%d8%ba%d9%88%d8%a7%d8%b1-%d8%a7%d9%84%d8%ae%d8%b7%d8%a7%d8%a8-%d8%a7%d9%84%d8%b4%d8%b9%d8%a8%d9%88%d9%8a-%d8%ab%d9%82%d8%a7%d9%81%d8%a9-1208996.html>
- الخطيب معتز، "الإسلاميون بين الدولة الوطنية والمشروع الإسلامي"، موقع الجزيرة، 23 دجنبر 2020، الرابط: <https://urlz.fr/mL4U>
- رياض عصمت، فن الحرب هو السلام (2)، قراءة في مقولات الكاتب الصيني صن تزو، بتاريخ 2 شتبر 2018، جريدة الحرة الإلكترونية على الرابط: <https://www.alhurra.com/p/536.html>

- الصراع على رواية التاريخ أم الأرض؟.. مؤرخ يناقش مغالطات الرواية الروسية تجاه أوكرانيا، موقع الجزيرة نت، الرابط: <https://urlz.fr/mN6f>
- عبد السلام حيدر، "أدب النكتة.. إبداع فني يعكس أوجاع المجتمعات"، 13 دجنبر 2017، منشور في عربي بوسط، الرابط: <https://urlz.fr/mPHC>
- عبد اللطيف وهبي، "أي اقتصاد وطني بعد كورونا؟"، بتاريخ 19 ماي 2020، في الموقع الرسمي لحزب الأصالة والمعاصرة، انظر الرابط: <https://urlz.fr/mTlo>
- عبد اللطيف وهبي، "أي اقتصاد وطني بعد كورونا؟"، بتاريخ 19 ماي 2020، في الموقع الرسمي لحزب الأصالة والمعاصرة، انظر الرابط: <https://urlz.fr/mTlo>
- عبد الله الطحاوي، رفضوا مساجدهم "الحرام" وقوانينهم الوضعية وقدموا رؤى للإصلاح.. هل حاول ابن تيمية والسبكي وابن خلدون إنقاذ دولة المماليك؟، مقال منشور على موقع الجزيرة، بتاريخ 16 نونبر 2021، رابط: <https://urlz.fr/mlf8>
- عبد الله لعماري، "عبد الرحمن بنعمرو، جوهرة النضال، وأيقونة العدالة ومفخرة المغاربة الأحرار"، جماعة العدل والإحسان، ومتاح على www.aljamaa.net/ar/document/80803.shtml
- عبد المنعم الشحات، (أحد شيوخ السلفية بمصر)، "الإسلام والديمقراطية مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف"، 31 ماي 2013، في الجريدة الإلكترونية أنا السلفي وهو موقع ينشر فيه سلفيون مصريون وغيرهم مقالات عن أفكارهم، الرابط: <https://anasalafy.com/ar/40815-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%82%D8%B1%D8%A7%D8%B7%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%81%D8%A7%D9%82-%D9%88%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%B7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81>

- عثمان لحياني (جزائر) عادل نجدي (المغرب)، "إخوان" المغرب والجزائر في نزاع الصحراء: الولاء للدولة أولاً، تقرير إخباري، جريدة العربي الجديد، النسخة الإلكترونية على الأنترنيت، بتاريخ 22 نونبر 2020، الرابط: <https://urlz.fr/mL80>
- فؤاد عبير، "باحث فرنسي: العدو صناعة وبناء يمكن تفكيكه"، مقال منشور على جريدة عربي 21، الرابط: <https://urlz.fr/mKAH>
- لعماري عبد الله، بكائيات ابن كيران وادعاء إنقاذ النظام المغربي من طوفان الربيع العربي، جريدة العمق المغربي، بتاريخ 24 يونيو 2023، على الربا: <https://al3omk.com/852593.html>
- ما هي "متلازمة نابليون" التي اتهم الغرب بوتين بها بعد حرب أوكرانيا؟ مقال على موقع عربي بوسط على الرابط: <https://urlz.fr/mN66>
- ماهر الملاخ، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع (3) جاء وقت الحديث"، بتاريخ 19 شنتبر 2021، جريدة العمق المغربية، رابط المقال: <https://al3omk.com/681378.html>
- ماهر الملاخ، (عضو سابق بالمجلس الوطني لحزب العدالة والتنمية)، "تجربة العدالة والتنمية نهاية أطروحة ونكسة مشروع تجربة العدالة والتنمية.(2): في البدء كانت أطروحتان"، بتاريخ 18 شنتبر 2021، في جريدة العمق المغربي الإلكترونية ، انظر الرابط: <https://al3omk.com/681337.html>
- موقع منتدى العلماء خدمة العلم و العلماء على الرابط: <https://urlz.fr/mTz4>
- نجم الدين خلف الله، مصادرة العربية مرتين: بين قداسة اللغة والتطرف العلماني، منشور على الموقع الإلكتروني لجريدة العربي الجديد، 24 ماي 2019، رابط: <https://urlz.fr/mleW>

➤ التقارير الإخبارية الصحفية

❖ الجرائد الورقية

- "شباط يتهم بنكيران بالكذب والتسلط"، جريدة الصباح، المغرب، 26 مارس 2015، الرابط: <https://assabah.ma/83357.html>
- جريدة الصباح، "يتيم ومدلكته، فضيحة في باريس": <https://assabah.ma/354966.html>

- أسبوعية الأيام، المغرب، عدد 720 بتاريخ 14 يوليوز 2016.

❖ الجرائد الإلكترونية

- الاتحاد العام للشغالين بالمغرب .. الدرع النقابي لحزب الاستقلال رقم 1 في القطاع الخاص"، جريدة الصباح،

المغرب، 5 يوليوز 2021، الرابط: <https://assabah.ma/567846.html>

- "شباط: حزب الاستقلال لن يتراجع عن الانسحاب من الحكومة"، جريدة هسبريس بتاريخ 30 يونيو 2013،

الرابط: <https://urlz.fr/nabw>

- "بن كيران: يرد على اتهامه بوجود علاقة له بداعش والموساد: لم أتصور أن يصل الكلام إلى هذه الدرجة من

السوء"، جريدة القدس العربي، بتاريخ: 23 يوليوز 2014، الرابط:

<https://www.alquds.co.uk/%D8%A8%D9%86-%D9%83%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D8%B1%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D8%AA%D9%87%D8%A7%D9%85%D9%87-%D8%A8%D9%88%D8%AC%D9%88%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A9-%D9%84%D9%87>

- "حارة المغاربة.. وصية صلاح الدين الأيوبي الحية"، بتاريخ 26 يناير 2023، الرابط:

<https://doc.aljazeera.net/cinema/2020/3/10/%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D9%88%D8%B5%D9%8A%D8%A9-%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%8A%D9%88%D8%A8%D9%8A>

- "شباط يطالب بنكيران بالكشف عن علاقته بداعش والموساد"، جريدة هسبريس، 22 يوليوز 2014، الرابط:

<https://urlz.fr/naaV>

- "لجنة الشفافية تستدعي ماء العينين" <https://www.alakhbar.press.ma> /لجنة-الشفافية-تستدعي-ماء-

العينين-67382.html

- "بعد صورة le Moulin rouge صورة جديدة لماء العينين بساحة Vendôme الرابط: <https://www.telemaroc.tv/info/8251>
- الأشرف حسن، "تحذيرات من مس المرجعية الإسلامية في دستور المغرب"، جريدة هسبريس الإلكترونية، بتاريخ 9 يونيو 2011، الرابط: <https://urlz.fr/mKp1>
- الإعلان عن نتائج انتخاب ممثلي الموظفين بالمجلس الأعلى للتوظيف العمومية لسنة 2021 على الرابط: <https://www.maroc.ma/ar/%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%85%D8%AB%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%B8%D9%81%D9%8A%D9%86-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%84%D9%84%D9%88%D8%B8%D9%8A%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%88%D9%85%D9%8A%D8%A9/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1>
- الأشرف حسن، "عبد الرحمان بنعمرو.. شيخ الحقوقيين في المغرب"، مقال في العربي، 20 نوفمبر 2015، الرابط: <https://urlz.fr/mKnW>
- إلياس العمري: إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم تنشر التطرف، رابط المقال والفيديو: <https://dalil-rif.com/permalink/13776.htm>
- تقارير صحفية عن نتائج انتخابات ممثلي الموظفين في اللجان المتساوية الأعضاء بالقطاع العام والخاص: "الأول مرة في التاريخ.. الاتحاد العام للشغالين بالمغرب يتصدر انتخابات القطاع الخاص"، جريدة اليوم 24، 10 يوليوز 2021، الرابط: <https://alyaoum24.com/1561617.html?amp=1>
- التقرير الإخباري بشأن رفض بنكيران التحالف مع حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية على الرابط: <https://urlz.fr/narx>
- التقرير الإخباري على جريدة هسبريس بعنوان : بنكيران يصف شباط بـ "رمز الفساد" ويعتبر البام "مولودا بعيوب خلقية"، بتاريخ 1 فبراير 2014 على الرابط: <https://urlz.fr/narz>

- التقرير الإخباري على موقع القناة الوطنية الثانية (دوزيم): "بنكيران: انتهى الكلام مع أخنوش"، يناير 2017 على الرابط: <https://urlz.fr/narH>
- التقرير الإخباري عن أزمة التفاوض بشأن تشكيل الحكومة: "أزمة تشكيل الحكومة المغربية تتعمق بسبب الخلاف بين بنكيران وأخنوش"، على الرابط: <https://arabic.cnn.com/world/2017/07/05/government-morocco-crisis>
- التقرير الإخباري، "أوراق حزبية (ج4) بركة: الثقة والتشارك والعمق الاجتماعي والانفتاح عناصر إقلاع اقتصادي مغربي"، على الرابط: <https://urlz.fr/mTHT>
- تقرير عن أمر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بإدراج تاريخ الأديان ضمن برامج الجامعات، انظر الرابط: <https://urlz.fr/mN63>
- تقرير مجلة فورين أفيرز بتاريخ 23 أكتوبر 2014، على الرابط: <https://www.foreignaffairs.com/articles/morocco/2014-10-23/rabats-undoing>
- التليدي بلال، "حرية المعتقد والهوية السياسية للدولة المغربية"، جريدة التجديد، بتاريخ 16 يونيو 2011.
- قسم الإعلام والعلاقات العامة والنشر ينظم دورة تكوينية لمراسلي الموقع الإلكتروني، موقع حزب العدالة والتنمية: <https://www.pjd.ma/node/1940>
- حول جماعة العدل والإحسان أنظر تقرير منشور على موقع الجزيرة نت الموسوعة "حركات وأحزاب"، بتاريخ 2014/11/6، الرابط: <http://www.aljazeera.net/encyclopedia>
- تقرير اخباري عن المتابعة القضائية لكوار من حركة التوحيد والإصلاح: <https://al3omk.com/90956.html>
- سلفيو المغرب يدعمون الإسلاميين ويستعدون لتأسيس حزب سياسي، بتاريخ 28 أكتوبر 2011، الرابط: <https://www.hespress.com/%D8%B3%D9%84%D9%81%D9%8A%D9%88-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D9%8A%D8%AF%D8%B9%D9%85%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D8%B9-64718.html>

- عزيز أخنوش على جريدة هسبريس الإلكترونية، المغرب، "أخنوش: هجمات "البيجيدي" مرفوضة .. وادعاءات الإخوان" عقيمة"، على الرابط: <https://urlz.fr/mRwl>

➤ الحوارات والتصريحات الصحفية

❖ الجرائد الورقية

- ابن كيران يبوح بكل أسراره من تنظيم سري إلى رئاسة الحكومة، مجلة الزمان، العدد 21، يوليو 2015.
- الريسوني أحمد، حوار مع جريدة التجديد، العدد 132، دجنبر 2000.
- الزهراوي محمد، حوار مع جريدة المساء، العدد 3288 بتاريخ 13 و14 أكتوبر 2017.
- المقرئ أبو زيد الإدريسي في حوار مع جريدة التجديد، في عددها بتاريخ: 15 يناير 2008.
- سعد الدين العثماني، حوار نشر في جريدة التجديد، المغرب، بتاريخ 11 يناير 2005، رابط الحوار: <https://www.maghress.com/attajdid/1729>
- الشيخ محمد زحل في حوار مع مجلة "البيان" السنة 17، العدد 174، المغرب، أبريل/مايو، 2002.
- محمد باها، حوار صحفي مع جريدة العصر، العدد الأول، 1997.

❖ الجرائد الإلكترونية

- الجريدة الإلكترونية كيفاش تي في، بتاريخ 2016/03/04، للاطلاع على الحوار على الرابط التالي: <https://www.youtube.com/watch?v=Qb6Tc4HkyEk>
- التصريح الصحفي لعبد الإله بنكيران بعدم إمكانية التحالف مع حزب الأصالة والمعاصرة على الرابط: <https://urlz.fr/narw>
- تصريح بنكيران على رابط المقال بتاريخ 21 مارس 2021، تحت عنوان "بعنوان: بنكيران يلوح بالانسحاب من "البيجيدي" بسبب القنب الهندي"، الرابط: <https://urlz.fr/mlQ1>
- تصريح لخالد البوقري المسؤول عن شبيبة حزب العدالة والتنمية على جريدة هسبريس، 17 ماي 2015، رابط: <https://urlz.fr/mlOH>

- تصريحات وزير الخارجية الروسي لافروف التي جاء فيها دعوته وزير الدفاع الألماني إلى التعلم من دروس التاريخ قبل حديثه عن هزيمة روسيا، بتاريخ: 16 يناير 2023، انظر الرابط: <https://urlz.fr/mN62>
- تصريحات عبد اللطيف وهبي التي قال فيها إنه ينسق مع حزب العدالة والتنمية على الرابط: <https://m.alayam24.com/articles-334558.html>
- حوار حسن بنعدي مع جريدة لكم، المغرب بتاريخ 11 غشت 2017 على الرابط: <https://lakome2.com/interview/26517>
- الزهراوي محمد، "هذه أبرز رسائل خطاب العرش"، بتاريخ 30 يوليوز 2016، في موقع هسبريس على الرابط التالي: <http://www.hespress.com/orbites/316%25.html>
- سعد الدين العثماني، حوار على موقع مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، 2008، الرابط: <https://carnegieendowment.org/sada/1686>
- عبد العزيز قراقي، في حوار صحفي مع وكالة المغرب العربي للأنباء بتاريخ 2021/08/17.
- مقابلة لإلياس العماري مع فرنس بريس بتاريخ 23 شتنبر 2016، الرابط: <https://urlz.fr/mlQt>
- **تدوينات وتغريدات منقولة عن منصات فيسبوك وتويتر**
- تدوينة المصطفى الرميد على الرابط: <https://urlz.fr/mTzt>
- تدوينة سليمان العمراني المنشورة في جريدة العمق المغربي، على الرابط: <https://al3omk.com/334621.html>
- تدوينة سليمان العمراني بتاريخ 24 مارس 2017، على رابط جريدة العمق المغربي: <https://al3omk.com/156980.html>
- تدوينة عزيز الرباح على الرابط: <https://www.yabiladi.ma/articles/details'58784>
- التدوينة على الرابط: نائب "العثماني" يهاجم "حامي الدين" لانتقاده حزب "أخنوش"! <https://febrayer.com/589282.html> <https://alyaoum24.com/1126584.html>
- تدوينة مصطفى بايتاس كما نقلتها جريدة العمق المغربي: <https://al3omk.com/334955.html>
- تغريدة الوزير مصطفى الخلفي على تويتر بتاريخ 30 ماي 2015: https://twitter.com/mustapha_khalfi/status/604684696983891969

Bibliographie en Français

➤ OUVRAGES

- Abderrahim Lamchichi, “L’Islamisme s’enracine au Maroc”, in le monde diplomatique, numéro de Mai 1996.
- Alain Touraine (1966), rationalité et politique dans l’entreprise, l’entreprise et l’economie du 20 ème siècle, T2, édition Puf, Paris.
- Albouy (S), Marketing et Communication Politique, l’Harmattan, 1994.
- Alexandre Dorna, le populisme, Presses universitaires de France P.U.F,1999.
- Anouar Abdelmalek, La pensée politique Arabe, Éditions du Seuil, France, 1970.
- Arkoun Mohamed, Islam et changement social, l’Islam actuel devant sa tradition et la mondialisation, Éditions, Payot, Lausanne, 1980.
- Bougrand (M), Le Marketing Politique, PUF, Que Sais-Je? N 1698.
- BOUTHOU L Gaston, La Sociologie de la Politique, Presses Universitaires de France, Paris, 1967.
- C.A.Julien , Histoire de l’Afrique du Nord, Paris, 1978.
- Claisse Alain, “Le makhzen d’aujourd’hui”, in Le Maroc actuel, Éditions, C.N.R.S, Paris, 1992.

- Cornélius Castoriadis, L'institution: imaginaire de la société, Editions, seuil, 1975.
- Cotteret (JM), Gouverner, c'est paraître, réflexion sur la communication politique, PUF, 1ere édition, 1991.
- El Yaagoubi Mohamed, Histoire de l'Etat et des institutions au Maroc, Essai de synthèse, REMALD, collection manuels et travaux universitaires, N 8, 1999.
- Ellul Jacques, Propagande, éd. Economica, Paris, 1982.
- Foucault, Michel : L'ordre du discours. – Paris, Ed. Gallimard, 1971.
- Gourevitch Jean Paul, La propagande dans tous ses états, éd. Flammarion, France, 1981.
- Henry H. Schulte et Marcel P. Dufresne, Pratique du Journalisme, Nouveaux Horizons, Paris, 2007.
- Lgnace Dalle, Hassan II entre tradition et absolutisme, Librairie Arthème Fayard, Paris, 2011.
- Jürgen Habermas , l'Espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, traduit de l'allemand par Marc B. De Launay, critique de la politique, Paris, Payot, 1978.
- Laroui Abdellah, Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830–1912), Centre Culturel Arabe, Casablanca, 1993.

- Leveau Rémy, “Aperçu sur l’évolution du système politique depuis 20 ans”, in Maghreb Machrek, N 106, octobre/novembre 1984.
- Leveau Rémy, Le sabre et le turban l’avenir du Maghreb, Éditions François Boutin, Paris, 1993
- Linebarger, P. M. Anthony, Psychological Warfare, Combat Forces Press. Washington, 1954.
- London (D), Le Marketing politique, Dalloz, 1986.
- Machado Da Silva Juremir, « La télévision et Internet dans les élections Brésiliennes de 2010 », Hermes, La Revue, 2011/1, Numéro 59.
- Madeleine Grawitz, Méthodes des sciences sociales, collection Précis, Droit public science politique, Éditions Dalloz, Paris, 1996.
- MESSARA Antoine, Parties et Forces Politiques au Liban Renouveau et Engagement, Fondation Libanaise Pour la Paix Civile Permanente, 1998.
- Michel Crozier, Erhard Freiberg, l’acteur et le système : les contraintes de l’action collective, Editions du seuil, Paris, 1977.
- Michel Offerlé, les partis politiques, Que sais-je ?, n 2376, Paris, 2022.
- Michel Pinçon et Monique Pinçon-Charlot, Sociologie de la bourgeoisie, Collection Repères, Éditions La Découverte, Quatrième Édition, 2016, Paris.

- Michels Robert, Sociologie du parti dans la démocratie moderne, Collections Folio Essais, Éditions Gallimard, Paris, impression novoprint, Barcelone 2015.
- Milan, A. (2005), Volonté de participer : l'engagement politique chez les jeunes adultes, Tendances sociales Canadiennes, Hiver, 2005.
- Mohamed-Sghir Janjar, L'épisode MALI: réflexions sur un cas de désobéissance civile au Maroc, Les Etudes et les Essais du Centre Jacques Berque, n° 6, année 2011.
- Mouhtadi, Najib, Pouvoir et communication au Maroc Monarchie, médias et acteurs politiques (1956-1999), L'Harmattan, Paris, 2008.
- Oumama Kettani, La Communication : A l'épreuve du modèle d'analyse communicationnelle intégré, Publication Annajah, 1ere édition ,2009.
- Palazzoli, Claude, Le Maroc politique De l'indépendance à 1973, la bibliothèque Arabe Sindbab, Paris, 1974.
- Philippe Braud, Sociologie politique, LGDJ, Collection Manuel, Sous-collection Droit public, 15e édition, Paris, 2022.
- Philippe Breton, l'argumentation, Dans la communication, Editions du Casbah. Alger, Janvier 1998.
- Philippe Guillot, Introduction à la Sociologie Politique, Armand Colin, Paris, 1998.
- Raymond (A) et autres, Dictionnaire de sociologie, Larousse, Paris, 2001.

- Raymond Aron : Classe sociale, classe politique, classe dirigeante, in Archives Européennes de sociologie, N2, T1, 1960.
- Raymond Aron, Catégorie dirigeantes ou classes dirigeantes, RFSP, Vol15, N1, 1965.
- Rémy Leveau, Islamisme et populisme, in vingtième siècle , revue d'Histoire , N56 ,Octobre-Décembre, 1997, Dossier: les Populismes.
- Rémy RIEFFEL, Sociologie des médias, édition Ellips, 3 ème édition, France, 2010.
- Robert Jacques, la monarchie marocaine, L.G.D, édition, 1996.
- Robert Rézette, les partis politiques marocains, Paris, Cahiers de la Fondation des Sciences Politiques, Editions Armand Colin, 1955.
- Roger-Gérard Schwartzberg, Sociologie politique, Éditions Monchrestien, 5e Édition, Paris, 1998.
- Schwartzberg Roger-Gérard, L'État spectacle 2, politique, casting et médias, édition Plon, Paris, 2009
- Thierry Vedel, Internet et les pratiques politiques, In « la communication politique : Etat des avoirs, enjeux et perspectives », Dir, Gingras Anne Marie, Edition PUf, 2003.
- Tozy Mohammed , Monarchie Et Islam Politique Au Maroc, Presses de sciences politiques, Paris, 1999.

- Waterbury John, Le Commandeur des croyants, la Monarchie et son élite, P.U.F, Paris, 1975.
- Wolton (D), La Communication Politique : Construction d'un modèle, Hermès, N : 4, le Nouvel Espace Public, 1989.
- Zeghal Malika, Les islamistes marocains, Le défi à la Monarchie, La Découverte, Paris, 2005.
- Youssef Belal, Le cheikh et le calife Sociologie religieuse de l'islam politique au Maroc. Tarik éditions, 2012.

➤ Thèses

- Fadil Mohamed, Un groupe religieux à l'épreuve du parti politique

Sécularisation de l'islamisme au Maroc :Mouvement de l'unicité et de la réforme–Parti de la justice et du développement [1996–2011], Thèse présentée en cotutelle en vue de l'obtention des grades de Philosophiae Doctor (PhD.)en Sciences des Religions de l'Université de Montréal et de Docteur en Sociologie de l'Ecole Pratique des Hautes Études Paris–Sorbonne, Université de Montréal et École Pratique des hautes études Paris–Sorbonne, Juillet, 2014.

➤ **Études et Articles Scientifiques**

- Andy Bennett, Pour une réévaluation du concept de contre-culture ; Traduction de Jedediah Sklower, la revue des musiques populaires, volume 9-1 année 2012.
- Bastien Frédéric, Greffet Fabienne, les compagnes électorales sur internet : une comparaison entre France et Québec, Hermès, La Revue, 2009/2 (n 54).
- Danielle Forget, L'ironie stratégie de discours et pouvoir argumentatif, Etudes littéraires. Volume 33 n°1. Automne 2000- Hiver 2001.
- Fadil Mohamed, "Contre le Roi : l'islamisme comme répertoire d'opposition au régime", in Observatoire International du Religieux, Bulletin N°17, Mars 2018. Lien : <https://obsreligion.cnrs.fr/bulletin/contre-le-roi-lislamisme-comme-repertoire-dopposition-au-regime/>
- Friedrich Ebert Stiftung, "Les Jeunes et l'Engagement en Politique", in Friedrich Ebert Stiftung, Yaoundé, 2014.
- Godelier Maurice, "l'Etat: les processus de sa formation, diversité de ses formes et ses bases", in Revue internationale des sciences sociales, XXXII, 4, 1980. Lien: https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000043597_fre
- Hammoudi Abdellah, " Segmentarité, stratification sociale, pouvoir politique et sainteté, réflexions sur les thèses de Gellener", in Hespéris-Tamuda, vol 16, 1977.

- Jean-Michel Salgon, “Who’s who dans le PJD?”, In Les Cahiers de l’Orient 2008/2, N° 90, 2008/2, Éditions Centre d’études et de recherches sur le Proche-Orient, p:51-60. Lien: <https://www.cairn.info/revue-les-cahiers-de-l-orient-2008-2-page-51.htm>
- Karine Abiven, “Un genre de discours miniature : pour un modèle de l’anecdote”, in Pratiques linguistique, littérature, didactique, Centre de recherche sur les médiations (CREM), OpenEdition Journals, 1 juin 2013. Lien: <https://journals.openedition.org/pratiques/3744> ; <https://doi.org/10.4000/pratiques.3744>
- Le site de l’institut sciences politiques de Toulouse: http://www.sciencespo-toulouse.fr/medias/fichier/dispo-lengagement_1427786283728-pdf?INLINE=FALSE
- Myriam Catusse, Lamia Zaki, « Gestion communale et clientélisme moral au Maroc :les politiques du Parti de la justice et du développement », in Critique Internationale, Presses de sciences po, 2009, p :18. Liens : <https://www.cairn.info/revue-critique-internationale-2009-1-page-73.htm?ref=doi>
https://www.researchgate.net/publication/32224849_Gestion_communale_et_clientelisme_moral_au_Maroc_Les_politiques_du_Parti_de_la_justice_et_du_developpement <https://shs.hal.science/halshs-00354940>
- Mohsen-Finan Khadija et Zeghal Malika, “Opposition islamiste et pouvoir monarchique au Maroc, Le cas du Parti de la Justice et du Développement”, in

Revue française de science politique, 2006/1 Vol.56, p :79–119. Lien :

<https://www.cairn.info/revue-francaise-de-science-politique-2006-1-page-79.htm>

- Nicolas Dot-Pouillard, « L’islamisme et les insurrections arabes au prisme de la variable identitaire », in La Dispute, 2013, pp.422. Lien : <https://shs.hal.science/halshs-00911643/document>
- Patrick Charaudeau, “Réflexions pour l’analyse du discours populiste”, in Mots les s du politique, n°97, novembre 2011, p: 106, lien de la version électronique: <https://journals.openedition.org/mots/20534>
- Patrick Juignet, “Les paradigmes scientifiques selon Thomas Kuhn”, in Philosophie, Science et Société, publié le 6 mai 2015, Mis à jour le 4 mai 2023. Lien électronique: <https://philosciences.com/vocabulaire/113-paradigme-scientifique-thomas-kuhn>
- Peter Szendy, “Lecture souveraine, lecture distraite, les Leviathans de Hobbes et Melville”, in OpenEdition Books, Presses universitaires de Paris Nanterre, 30 Mai 2022, lien: <https://books.openedition.org/pupo/27293?lang=en>
- SEILER Daniel-Louis, “Maurice Duverger et les partis politiques”, in Revue Internationale de Politique Comparée, 2010, Vol17.
- Thierry Desrues, “ Le PJD en villes ,le PAM à la campagne, le multipartisme marocain à l’épreuve de la bipolarisation” in l’année du Maghreb, N 15/2016. Lien

électronique : <https://journals.openedition.org/anneemaghreb/2901> et

<https://doi.org/10.4000/anneemaghreb.2901>

- Thomas Berns, Bodin : la souveraineté saisie par ses marques, Centre de Philosophie du Droit de l'Université Libre de Bruxelles, Lien:
https://www.google.co.ma/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=https://di-pot.ulb.ac.be/dspace/bitstream/2013/31990/1/tb-0027.doc&ved=2ahUKEwicw7DUxsqAAxXsUaQEHW4_DQgQFnoECCMQAQ&usg=A0vVaw0hbSWDe9kcrkMnJUNbz9Bz
- Thomas Lepeltier, “À propos de La Logique de la découverte scientifique, de Karl Popper”, in Histoire et philosophie des sciences (2013). Lien électronique:
<https://doi.org/10.3917/sh.lepel.2013.01.0152> et <https://www.cairn.info/histoire-et-philosophie-des-sciences--9782361060398-page-152.htm>
- Zeghal Malika, Religion et politique au Maroc aujourd'hui, Définir le religieux et le politique, in Religion et politique au Maghreb: les exemples tunisien et marocain, Policy Paper 11, Institut Français des relations internationales (IFRI), Paris, 2005.
- Zidane Meriboute, “« Printemps arabe » : le poids des Frères musulmans – leur vision de L'État et de la finance islamiques”, in International Development Policy, Revue internationale de politique de développement, N 3/2013. Lien:
<https://journals.openedition.org/poldev/1322> et <https://doi.org/10.4000/poldev.1322>

➤ **Journaux et Magazines**

- Alexandre Dorna. Faut t'il avoir peur du populisme ? Le Monde diplomatique, Novembre 2003.
- Edward Bondi, "Quand les conditions ont la force de la réalité", in le monde, 2011.
- La télévision joue avec le réel et met entre la vie et nous un écran sur lequel ne s'agitent que des ombres » Journal le Figaro, France, le lien :
<http://evene.lefigaro.fr/citation/television-joue-reel-met-vie-ecran-lequel-agitent-ombres-66909.php>

Bibliography en English

➤ **Books**

- A.ALMOND Gabriel, VERBA Sidney, The Civic Culture: Political Attitudes and Democracy in Five Nations, SAGE Publications, California, 1989.
- A'ndre Gonawela, Speaking their Mind: Populist Style and Antagonistic Messaging in the Tweets of Donald Trump Narendra Modi Nigel Farage and Geert Wilders
Computer Supported Cooperative Work(CSCW), vol 27,no 1. Link:
<https://doi.org/10.1007/s10606-018-9316-2>
- Biddle, Bruce J. Role Theory: Expectations, Identities, and Behaviours , Academic Press, 1979 NEW YORK, USA.
- Cunningham, B. S. The Idea of Propaganda: A Reconstruction, Praeger Publishers, Westport, USA, 2002.
- EHRLICH Thomas, Civic Responsibility and Higher Education, Oryx Press, ERIC Document Reproduction, Phoenix, 2000.
- Ellul, J. Propaganda – the formation of men's attitudes, Vintage books, NY, 1973.
- Manuel, Castells, Communication Power, Oxford, University Press, New York, USA, 2009

- Susan Gilson Miller, A History of Modern Morocco, Cambridge university press, 2013.
- Van Dijk's, T. A, Ideology and Discourse: A multidisciplinary Introduction, Universidad Pompeo Fabra, Barcelona, 2000.
- Van Dijk's. T, What is o Political Discourse Analysis. In Jean Blommaert and Chris Bulicaen (Eds), Political Linguistics, Amsterdam : Benjamin, 1997.
- VERBA Sidney, SCHLOZMAN Kay Lehman, E. BRADY Henry, Voice and Equality: Civic Voluntarism in American Politics, Harvard University Press, Cambridge, 1995.
- Verba, S., H., Kim, J, Participation and political equality : A seven nation comparison. Chicago, Illinois : University of Chicago Press, 1978.

➤ **Thesis**

- Stephanie Lorraine Derr, Role conflict, ambiguity, and changing family roles in single parent families, Thesis Submitted to The College of Arts and Sciences of the University of Dayton In Partial Fulfilment of the Requirements for The Degree Master of Arts in Psychology, University of Dayton, Ohio, USA, April 1998. Published in:

<https://urlz.fr/mlth>

➤ **Studies and Scientific Papers**

- Akash Dutt Dubey, Decoding the Twitter Sentiments towards the Leadership in the times of COVID-19: A Case of USA and India, 2020, link:
<https://ssrn.com/abstract=3588623>
- Alina Nechita, “Mass self-communication”, in Journal of Media Research, Vol 3, n: 14, 2012. Published in: <https://urlz.fr/mluF>
- Ari-Veikko Anttiroiko, “Castells’ network concept and its connections to social economic and political network analyses”, Journal of social structure vol, 16, n: 11, 2016. Published in: <https://urlz.fr/mlus>
- Bayan Robin Natsheh, Social Media as a Tool of Persuasion in Political marketing: Analyzing the discourse of Trump’s Tweets during his Presidential Campaign, thesis to obtain the Degree of Master of Applied Linguistics and the Teaching of English, College of Graduate Studies, Hebron University, Palestine, 2019. Published in: <https://urlz.fr/mluS>
- Benjamin Walter, “Critique of Violence”, 1921, in Selected Writings, Vol 1 1913-1926, THE BELKNAP PRESS OF HARVARD UNIVERSITY PRESS, Cambridge, Massachusetts, London, England 1996, sixth printing 2004, by Harvard university, press paperback edition, p: 236-252. Link: <https://criticaltheoryconsortium.org/wp-content/uploads/2018/05/Benjamin-Critique-of-Violence-1.pdf> , HARVARD UNIVERSITY PRESS, Cambridge, Massachusetts, London, England 1996, sixth printing 2004, by Harvard university, press paperback edition. Link:

<https://criticaltheoryconsortium.org/wp-content/uploads/2018/05/Benjamin-Critique-of-Violence-1.pdf> Bram Spruyt, Gil Keppens, Filip Van Droogenbroeck, "Who Supports Populism and What Attracts People to It?" in Political Research Quarterly, University of Utah, 2016. Link: <http://dx.doi.org/10.1177/1065912916639138>

- David Sears, Politicisation, in Fred Greenstein and Nelson Polby Meds Hand nook political science Vol 2, Massachusetts, Addition Wels publishing Company, 1979.
- De Benoist Alain, "What is Sovereignty?" In Telos: Critical Theory of the Contemporary 1999. Lien: <http://journal.telospress.com/content/1999/116/99.short>
- Dewi K. Soedarsonoset, Bahtiar B. Mohamad, Diekola M. Akanmu, Political Leaders and Followers' Attitudes: Twitter as A Tool for political Communication: Journal of Critical Reviews, 2020, Vol 7 · Issue 8. Link: <https://www.researchgate.net/publication/342523027>
- Deiwiks Christa, "Populism," Living Reviews in Democracy, 2009, Vol. Link: https://www.ethz.ch/content/dam/ethz/special-interest/gess/cis/cis-dam/CIS_DAM_2015/WorkingPapers/Living_Reviews_Democracy/Deiwiks.PDF
- Dominique Wolton , la communication politique : construction d'un modèle. Revue Hermès n4, 1989.
- Doob, W. Leonard, "Goebbels' Principles of Propaganda", The Public Opinion Quarterly, Vol. 14, No. 3, (Oxford University Press. Oxford, 1950).

- Dyzenhaus David, "Kelsen, Heller and Schmitt: Paradigms of Sovereignty Thought", Theoretical Inquiries in Law, Vol. 16 2015. Link: <https://philpapers.org/rec/DYZKHA>
- Dzemał Spago, "Insults Speak Louder than Words: Donald Trump's Tweets through the Lens of the Speech Act of Insulting", in Journal of Language and Literary Studies, 2019. Published in: <https://urlz.fr/mlv1>
- Indik, B., Seashore, S.E., & Slesinger, J. "Demographic correlates of psychological strain", Journal of Abnormal and Social Psychology, 1964, p: 69, 26–38, published in: <https://psycnet.a.org/doi/10.1037/h0040300>
- Jeffrey Mankoff, "Russia's War in Ukraine: Identity, History, and Conflict", in The Center for Strategic and International Studies (CSIS), 22 April, 2022, link: <https://www.csis.org/analysis/russias-war-ukraine-identity-history-and-conflict>
- Jesús Díaz-Campo et autres, Latin American leaders on Twitter. Old uses for New media during political Crises Revista Latina de Comunicación Social 70, 2015. Link: <http://dx.doi.org/10.4185/RLCS-2015-1040en>
- Jon Green, Edgerton Jared, Skyler J Cranmer, Elusive consensus: Polarization in elite communication On the COVID-19 pandemic, Sci Adv 2020, vol 6.no 28, eabc2717. Link: <https://www.science.org/doi/10.1126/sciadv.abc2717>
- Joseph P. Zompetti, Rhetorical Incivility in the Twitter sphere: A Comparative Thematic Analysis of Clinton and Trump's Tweets During and After the 2016

Presidential Election, Journal of Contemporary Rhetoric, Vol.9, No 1/2. Link:

https://www.researchgate.net/publication/338189571_Rhetorical_Incivility_in_the_Twitterosphere_A_Comparative_Thematic_Analysis_of_Clinton_and_Trump's_Tweets_During_and_After_the_2016_Presidential_Election

- Joshua J. Dyck, Edward L Lascher, Direct Democracy and Political Efficacy

Reconsidered, in political behaviour, September 2009. Link:

<http://dx.doi.org/10.1007/s11109-008-9081-x>

- Kestas Kirtiklis, "Manuel Castells' theory of information society as media theory",

Lingua posnaniensis, Lix (1), 2017. Published in: <https://urlz.fr/mlul>

- Ladrière Jean, "Karl Popper, Misère de l'historicisme", traduit de l'anglais par Hervé

Rousseau, In Revue Philosophique de Louvain, Troisième série, tome 58, n°60,

1960. Lien électronique : [https://www.persee.fr/doc/phlou_0035-](https://www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1960_num_58_60_5062_t1_0632_0000_1)

[3841_1960_num_58_60_5062_t1_0632_0000_1](https://www.persee.fr/doc/phlou_0035-3841_1960_num_58_60_5062_t1_0632_0000_1)

- Manuel Castells, Communication: Power and Counter-power in the Network Society,

International Journal of Communication, vol,1, 2007. published in:

<https://urlz.fr/mluk>

- Manuel, Castells, "A Network Theory of Power" in International Journal of

Communication", vol 5, 2011. Published in: <https://urlz.fr/mlux>

- Merton, Robert K. "The Role-Set: Problems in Sociological Theory." in British Journal of Sociology Volume 8, 1957.
- Nader Hanna, Deborah Richards, "Speech Act Theory as an Evaluation Tool for Human-Agent Communication", in Algorithms, vol, 12, issue: 4, 2019. Published in: <https://urlz.fr/mluW>
- Nilay Yavuz, Naci Karkin, İsmet Parlak, Özlem Özdeşim Subay, Political Discourse Strategies Used in Twitter during Gezi Park Protests: A Comparison of Two Rival Political Parties in Turkey, International Journal of Public Administration in the Digital Age, 2018, Vol. 5, Issue 1. Link: <http://dx.doi.org/10.4018/IJPADA.2018010105>
- Paromita Pain et Gina Masullo Chen, The President Is in: Public Opinion and the Presidential Use of Twitter, 2019. Published in <https://doi.org/10.1177/2056305119855143>
- Paul Smith, (2018), An Analysis of the Relevance of Deliberative Democracy. Agonistic Pluralism and Pluralist Group Theory in Explaining Twitter Activity During the Scottish Independence Referendum 2014, degree of Doctor of Philosophy the Robert Gordon University. Publié sur: <https://rgu-repository.worktribe.com/output/348473>

- Paul T. Bartone, “Big five personality factors hardiness and social Judgment as predictors of leader performance Leadership and Organization” in Development Journal, Vol 30, No 6, 2009. Published in: <https://urlz.fr/mlvs>
- Petra Gümplová, “Hans Kelsen’s Critique of Sovereignty”, 2009. Lien: <https://www.semanticscholar.org/paper/Law-%2C-Sovereignty-%2C-and-Democracy-%3A-Hans-Kelsen-%E2%80%99-s-G%C3%BCmplov%C3%A1/6a75bcc4ed737b662a0c8f7e324732a132e635a4> et https://www.academia.edu/6656713/Hans_Kelsens_Critique_of_Sovereignty
- Piotr W. Juchacz (2020). Deliberative Law-Making: A Case Study of the Process Of Enacting of a ‘Constitution of the Third Sector’ in the Polish Sejm International Journal for the Semiotics of Law vol.33.no.3.
- Priscilla Flores, Social Medias Influence on Political Communication: A Content Analysis of. Donald Trump’s Tweets in the First 100 Days of His Presidency Master degree in Arts The University of Texas Rio Grande Valley, 2018. Link: <https://www.google.co.ma/url?sa=t&source=web&rct=j&opi=89978449&url=https://scolarworks.utrgv.edu/cgi/viewcontent.cgi%3Farticle%3D1257%26context%3Ddetd&ved=2ahUKEwiktK3WzJ6AAxVjVqQEHA2DT0QFnoECBIQAQ&usg=AOvVaw2jH3zOznuLpfb76P6c6Ax3>

- Rogers Brubaker, why populisme, in populisme and the crisis of democracy, vol 1, 2020. Link: <https://doi.org/10.1002/9781119430452.ch5>
- Shazia Faiz, "Perception of Politics and its Dual Outcomes :The Moderating Role of Psychological Hardiness Abasyn", in Journal of Social Sciences. Vol 11, Issue 1, 2018. Published in: <https://urlz.fr/mlvo>
https://www.researchgate.net/publication/343473343_Perception_of_Politics_and_its_Dual_Outcomes_The_Moderating_Role_of_Psychological_Hardiness
- Sohaib R. Rufai Catey Bunce, World leaders' usage of Twitter in response To the Covid-19 pandemic: a content analysis Journal of Public Health, 2020, Vol 42, No 3. Link: <https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC7188178/>
- Spruyt, Bram, "An Asymmetric Group Relation? An Investigation into Public Perceptions of Education-Based Groups and the Support for Populism, "Acta Politica, 2014, Vol. 49. Link: <http://dx.doi.org/10.1057/ap.2013.9>
- Steven J. Campbell, Role Theory, Foreign Policy Advisors, and U.S. Foreign Policymaking, working papers, Department of Government & International Studies University of Southern Carolina, International Studies Association, published in 1999, link: <https://ciaotest.cc.columbia.edu/isa/cas01/>
- Steven J. Campbell, Role Theory, Foreign Policy Advisors, and U.S. Foreign Policymaking, working papers, Department of Government & International Studies

University of Southern Carolina, International Studies Association, published in 1999,

link: <https://ciaotest.cc.columbia.edu/isa/cas01/>

- Theodore.M.Newcomb, "ROLE BEHAVIORS IN THE STUDY OF INDIVIDUAL PERSONALITY AND OF GROUPS", published in Journal of Personality, Volume 18, Issue 3, mars 1950. Link: <https://doi.org/10.1111/j.1467-6494.1950.tb01247.x>
- Vit Benes, Role theory: A conceptual framework for the constructivist foreign policy analysis?, study published in 2018, link: <https://urlz.fr/mlrH>
- Walton, Douglas, "What is propaganda, and what exactly is wrong with it?", Public affairs quarterly, volume 11, number 4, October 1997.

➤ Dictionary and encyclopaedia

- <https://www.toupie.org/Dictionnaire/Militantisme.htm>

- Secularized Language, in: Conservapedia:

https://www.conservapedia.com/Secularized_Language

فهرس المحتويات

2	مقدمة.....
12	أولاً- السياق.....
20	ثانياً: القيمة العلمية للموضوع.....
25	ثالثاً- أهداف الأطروحة والمدة الزمنية المدروسة.....
26	رابعاً- في تعريف التواصل السياسي.....
30	خامساً- الحقل المعرفي للأطروحة.....
31	خامساً- الدراسات السابقة.....
31	أ-دراسات مغربية.....
33	ب-دراسات أجنبية حديثة تناولت استراتيجيات الخطاب والتواصل.....
38	ج- جوانب الاستفادة من الدراسات السابقة.....
38	سابعاً- إشكالية الموضوع.....
40	ثامناً- الإطار النظري والمنهجي للأطروحة.....
	أ-نظرية المجتمع الشبكي.....
43	ب-نظرية فعل الكلام Speech Acts Theory
46	ت- نظرية الديمقراطية التداولية Deliberative Democracy theory
48	ت-مقاربة التحليل النقدي للخطاب.....
49	ج- الأدوات المنهجية للدراسة.....
53	تاسعاً- فرضية الأطروحة.....
55	عاشراً- عينة الدراسة.....
56	القسم الأول.....
59	حزب العدالة والتنمية فاعل سياسي جديد بمرجعية تقليدية.....
59	تواصل بمكون إسلامي في بنية مغربية تقليدية.....
65	الفصل الأول.....
65	حزب العدالة والتنمية.....
65	العوامل الطبيعية للنشأة.....
67	مبحث أول: عناصر بيئة نشأة حزب العدالة والتنمية.....
67	الفقرة الأولى: البيئة الدينية كعامل طبيعي للنشأة.....
69	أولاً- الرجوع للتاريخ كوسيلة لفهم سيرورة تشكل بنية الدولة المغربية وعلاقتها بالدين.....
71	أ-في أهمية استدعاء التاريخ.....
73	ب-المرابطون والموحدون وتشكل المشروع الإمبراطوري على أطروحة دينية.....

78	ت-المريونيون والوطاسيون واستمرار عنصر الدين في تشكيل بنية الدولة
79	ث-السعديون وتشكل الدولة الوطنية" بمشروعية دينية
80	ثانيا- العلويون وحضور المشروعية الدينية في تدبير الأزمات الداخلية والخارجية
85	ثالثا- الملك محمد السادس: العودة إلى مسير التاريخ من الفكرة الإمبراطورية إلى الفكرة "الاندماجية" القارية
87	الفقرة الثانية: السلطان الشريف وارتباطه بالمرجعية الدينية في تدبير الدولة
89	أولا- استقرار الحكم عبر آلية عقد البيعة
91	ثانيا- استقرار الدولة عبر "مؤسسة المخزن"
95	ثالثا- إمارة المؤمنين صاحبة الولاية العامة في تدبير شؤون الدين
98	رابعا- استقرار علاقة المجال الديني بالسياسي
101	خامسا- تدبير المجال الديني: قطاع إداري تسلسلي تديره وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
107	سادسا- دور الزوايا في تدعيم السلطة الروحية للسلطان
113	سابعا- دور العلماء في الاستقرار السياسي
117	ثامنا- إرث الاستعمار الفرنسي: محاولة علمنة اللغة العربية في علاقتها بالدين
120	أ-في تعريف مفهوم علمنة اللغة.....
	ب-في علاقة اللغة بالدين وبالسياق العام

	121
125	الفقرة الثانية : البيئة السياسية كعامل مؤطر للفعل السياسي
126	أولا- نبذة عن الفكرة الحزبية بالمغرب
128	ثانيا- وظائف الحزب السياسي
129	مبحث ثاني: حزب العدالة والتنمية أمام أنماط حزبية مغربية: ثنائية الدور والوظيفة
130	الفقرة الأولى: عناصر العملية السياسية
130	أولا- المشاركة السياسية: مجال مفتوح للتنافس
132	ثانيا- النخبة السياسية بالمغرب: تقليدية وعصرية
133	الفقرة الثانية: صناعة الالتزام السياسي
134	أولا- مفهوم الالتزام السياسي في عمل البنية الحزبية
136	ثانيا- دور الحزب في خلق الالتزام السياسي
138	ثالثا- بين المناضل والمنخرط في الحزب
140	رابعا- حول مفهوم الزبون السياسي
144	الفقرة الثالثة: البحث عن الدور السياسي
144	أولا- الدور كفعل اجتماعي
147	ثانيا- في أفق فهم دور الحزب السياسي: نظرية الدور كأساس نظري
151	ثالثا- نظرية الدور في النسق السياسي الداخلي ومتغيرات تفسير الدور
155	الفصل الثاني
155	حزب العدالة والتنمية
155	العوامل غير الطبيعية للتطور

157	مبحث أول: الصعوبات المرتبطة بقرار مشاركة اسلاميو حركة التوحيد والإصلاح في الحياة السياسية
161	الفقرة الأولى: الصعوبات الفكرية ومحاولات "تطويعها"
164	أولاً- الديمقراطية و الشورى وحقوق الإنسان
173	ثانياً- إسلاميو العدالة والتنمية ومراجعة مفهوم الحاكمية
188	ثالثاً- الدولة الإسلامية والملكية وإمارة المؤمنين: نحو مراجعات أعمق
191	رابعاً- إشكالية التوفيق بين مفهوم الأمة الإسلامية ومفهوم الدولة الوطنية
200	الفقرة الثانية: الصعوبات المرتبطة بالعلاقة مع أنساق حركية إسلامية أجنبية: في تصور الهوية التنظيمية
201	أولاً- ارتباط وجودي/حركي بجماعة الإخوان المسلمين
205	ثانياً- الإخوان المسلمون والسلفية
212	ثالثاً- ارتباط عقدي وفقهي بالحركة السلفية وبالوهابية
221	مبحث ثاني: تطور حزب العدالة والتنمية و صعوبات الاندماج السياسي
225	الفقرة الأولى: نحو المشاركة السياسية
225	أولاً- الانتقال من الفكرة الدعوية إلى الفعل السياسي
230	ثانياً- الانتقال من العمل السري إلى العمل العلني الشرعي
237	ثالثاً- الانتقال من الضعف السياسي إلى ممارسة السلطة: بداية التمرس على خطاب المظلومية والمعارضة
246	الفقرة الثانية: التمايز العسير عن حركة التوحيد والإصلاح
247	أولاً- دور الحركة في تهيئة وإسناد النخبة السياسية للحزب
248	ثانياً- دور الحركة في المراقبة المعنوية والأخلاقية للحزب
251	ثالثاً- دور الحركة في التأطير النظري وبناء المواقف لفائدة الحزب
253	القسم الثاني
253	حزب العدالة والتنمية التأسيس لخطاب دعوي أخلاقي قيم في الحياة السياسية
256	الفصل الأول
256	التواصل السياسي للحزب
256	كوسيلة للتعبير عن الهوية:
256	تقاطعات الثقافي بالخطابي
258	مبحث أول: علاقة الخطاب بالتواصل السياسي
259	الفقرة الأولى: الخطاب كرأس مال ثقافي
259	أولاً- عناصر الخطاب الديني والسياسي
264	ثانياً- تاريخية علاقة الصراع بين الديني والسياسي
265	ثالثاً- الخطاب الديني كبضاعة تسويقية: نظرية السوق الدينية
266	رابعاً- بروز علاقة الخطاب السياسي بالخطاب الديني
267	الفقرة الثانية: الخطاب كامتداد ايديولوجي
268	أولاً- في علاقة الخطابي بالأيديولوجي
271	ثانياً- علاقة النخب السياسية بصناعة الخطاب
275	الفقرة الثالثة: علاقة نخب حزب العدالة والتنمية بصناعة الخطاب
283	أولاً- سؤال المستهدف في خطاب نخب حزب العدالة والتنمية

- 285 ثانيا- استقبال الجماهير للخطاب الديني: بين التمثلات الذهنية والأثر الخطابي من خلال المخيال الديني.
- 289 مبحث ثاني: التواصل السياسي لحزب العدالة والتنمية: استهلاك يوفق بين الأدوات التقليدية والحديثة
- 290 الفقرة الأولى: الأدوات الحديثة في تواصل حزب العدالة والتنمية
- 291 أولا- مفهوم الديمقراطية الرقمية والاتصال السياسي واستجابات الجمهور
- 299 ثانيا- التواصل الداخلي و الخارجي لحزب العدالة والتنمية من أجل تعبئة جماهيرية
- 302 ثالثا- تواصل جماهيري متعدد الأوعية والتقنيات
- 313 الفقرة الثانية: الأدوات التقليدية في تواصل حزب العدالة والتنمية
- 314 أولا- من التواصل "المسجدي" إلى التواصل الصحفي
- 319 ثانيا- صورة عن صحافة خصوم حزب العدالة والتنمية
- 320 الفقرة الثالثة: استعمال وسائل الإعلام السمعية البصرية
- 321 أولا- الولوج إلى وسائل الإعلام السمعية البصرية كتعبير عن التعددية السياسية
- 322 ثانيا- تعددية التعبير السياسي في خدمات الاتصال السمعي البصري خلال الفترات الانتخابية لسنة 2016 وسنة 2021
- 325 الفصل الثاني
- 325 حزب العدالة والتنمية
- 325 فعل تواصلي سياسي مؤثر
- 325 ذو نزعة إقصائية مضرة
- 327 مبحث أول: استراتيجية تواصلية من أجل كسب المشروعية الشعبية
- 329 الفقرة الأولى: تواصل العدالة والتنمية : المواجهة من خلال الفرجة
- 330 أولا- الحلقات الخطابية الجماهيرية: تقنيات مصورة ومؤثرات تكنولوجية مواكبة
- 333 ثانيا- خشبات "ممسرحية" مشوقة: في الحاجة إلى "البطل" بنكيران
- 336 ثالثا- تأثيرات البيئة الثقافية الشعبية: بنكيران وممارسة المسرح السياسي الاحتفالي
- 337 رابعا- درجة انطباق نظرية الاحتفالية على لقاءات بنكيران: بين الفن والسياسة
- 343 الفقرة الثانية: تواصل باقي الفاعلين السياسيين
- 344 أولا- حول نشأة ومرجعيات حزب الأصالة والمعاصرة
- 347 ثانيا- حول نخب حزب الأصالة والمعاصرة
- 350 الفقرة الثالثة: تواصل قيادة حزب العدالة والتنمية: استراتيجية الاختباء وراء غموض الرموز
- 351 أولا- موقع الرموز في الصراعات السياسية
- 354 ثانيا- البنية اللغوية للخطاب الديني لقيادي حزب العدالة والتنمية: لغة سلطوية مضرة
- 360 ثالثا- استعمال النكتة والطرفة والرموز: الخطاب المضمر في تواصل قادة العدالة والتنمية
- 378 مبحث ثاني: علاقة خطاب وأسلوب تواصل حزب العدالة والتنمية بالفشل في انتخابات شتنبر 2021
- 381 الفقرة الأولى: تواصل حزب العدالة والتنمية والاشتغال بمنطق الإقصاء والاحتكار لقوة التمثيل الديني
- 384 أولا- تواصل حزب العدالة والتنمية: الشعبوية والإخلال بقواعد التنافس السياسي
- 396 ثانيا- القانون المغربي: تقييد محدود لاستعمال الدين في السياسة
- 399 ثالثا- التواصل الديني للحزب والتنافس من أجل التمثيل الديني
- 405 رابعا- استجابات الخطاب بين حزب العدالة والتنمية ومؤسسات الدولة في تدبير التدين
- 413 الفقرة الثالثة: تواصل ضحية عنيف

- أولاً- تطبيق نظرية "المثلث الدرامي" لكابريمان على خطاب بنكيران: ثلاث أدوار في نفس الوقت: الضحية والمنقذ والجلاد 414
- ثانياً- تواصل حزب العدالة والتنمية: تواصل يميل إلى الحدة والرفض 429
- أ-تواصل لفظي "عنيف" في مظهر المتمك للحقيقة. 433
- ب-تواصل أخلاقي مفرط في استهلاك أحكام القيمة. 435
- الفقرة الثانية: تواصل أزمة دائم مبني على وجود خصومة مؤقتة 437
- أولاً- أسس خطاب حزب العدالة والتنمية: الأزمات السياسية. 439
- ثانياً- لبحث عن "الأعداء": نظرية صناعة العدو 449
- ثالثاً- تغير قواعد الاشتباك وتبديل شخصيات المشتبكين. 453
- أ-وقائع المواجهة بين حزب العدالة والتنمية وحزب التجمع الوطني للأحرار. 454
- ب-ردود فعل حزب العدالة والتنمية: البناء على الأخلاق والقيم والهيمنة 455
- ت- تعقيب قيادة حزب التجمع الوطني للأحرار: خطاب بنفس اللغة القيمية. 459
- ت-غياب عناصر التوتر واحتواء الصراع: من إلياس العماري إلى عبد اللطيف وهبي 466
- ث-عزيز أخنوش و نزع فتيل المواجهة الأيديولوجية مع حزب العدالة والتنمية 472
- ج-تعقيب العدالة والتنمية على أطروحة أخنوش: الأثرؤذكسية الاقتصادية بجرعة إسلامية هي ضمان مكتسبات المغرب الموازناتية 474
- د- مؤشرات على ولادة "بورجوازية اجتماعية" تعبر عن نفسها من خلال المشاركة السياسية 475
- ثالثاً- التحول من "الشعبوية" إلى الخطاب العقلاني المعتدل: من حميد شباط إلى نزار بركة 477
- رابعاً- السياق الداخلي لحزب العدالة والتنمية: خلافات وسلوكيات "مرفوضة" 483
- استنتاجات الدراسة 500
- أولاً- الأطروحات والاستراتيجيات الخطابية الرئيسية في تواصل عبد الإله بنكيران تجاه المشهد السياسي في المغرب 503
- أ-الأطروحة الأولى: الهجوم على الخصوم 503
- ب-الأطروحة الثانية: نقد وسائل الإعلام. 503
- ت-الأطروحة الثالثة: إلقاء اللوم والتنصل من المسؤولية وتحميلها للآخرين 504
- ث-الأطروحة الرابعة: التقليل من حجم الخطر 504
- ج-الأطروحة الخامسة: التعاطف وتقديم الدعم 505
- ح-الأطروحة السادسة: الحزب الطاهر ومناضلوه الشرفاء 505
- ثانياً- استراتيجيات الخطاب المستخدمة من قبل عبد الإله بنكيران 505
- أ-استراتيجية تقديم ذاته الشخصية وتطابقها مع الذات الحزبية والإسلامية 506
- ب-استراتيجية البحث عن الاعتراف والثقة وبث الأمل في حزبه 506
- ت-استراتيجية صناعة الخصم و لعب دور الضحية. 506
- ث-استراتيجية وضع المقارنات 507
- ج-استراتيجية التهكم والسخرية 507
- ح-استراتيجية التبرير. 508
- خ-استراتيجية الاستخفاف والإنكار 508
- د-استراتيجية التضامن 508
- ذ-استراتيجية نزع الشرعية عن وسائل الإعلام. 509

509	ر-استراتيجية التنافس في التمثيل الديني.....
510	ثالثا- الجوانب السيكو-استراتيجية لخطاب بنكيران
513	خلاصة و خاتمة
518	المراجع
519	المراجع باللغة العربية
562	Bibliographie en Français
573	Bibliography en English

